

البداية والنهاية

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء
إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

أشرف على تحقيقه: فضيلة الشيخ
مصطفى بن العدوي

خرج أحاديث هذا الجزء:
أبو أنس عمرو بن عمر
طلال بن محمد الطرابيلي

الجزء الثاني

دار ابن رجب

رقم الإيداع : ٢٠٤٤٢ / ٢٠٠٤
I.S.B.N. : 977 - 390 - 033 - 9

باب ذكر جماعة من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام

ثم نُتْبِعُهم بذكر داودَ وسُليمانَ عليهما السلامُ.

قال ابنُ جرير في «تاريخه»[١] : لا خلافَ بين أهلِ العلمِ بأخبارِ الماضينَ، وأُمورِ السالفينَ من أُمَّتِنا وغيرِهم؛ أنَّ القيِّمَ بأمورِ بني إسرائيلَ بعدَ يوشَعَ، كالبُ بنُ يُوفَنَّا - يعني: أحدَ أصحابِ موسى عليه السلامُ - وهو زوجُ أختِه مريمَ، وهو أحدُ الرَّجُلينِ اللَّذَيْنِ ممَّن يخافونَ اللَّهَ، وهما يوشَعُ وكالبُ، وهما القائلانِ لبني إسرائيلَ حين نَكَلُوا عن الجهادِ: ﴿**ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة: ٢٣]. قال ابن جرير: ثمَّ من بعده كان القائمُ بأمورِ بني إسرائيلَ حِزْقيلَ بنَ بوذيَ، وهو الذي دعا اللَّهَ فأحيا الذين خرجوا من ديارِهم وهم ألوفٌ حذَرَ الموتِ.

قصة حزقيل

قال اللَّهُ تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة: ٢٤٣] قال محمدُ بن إسحاقَ، عن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ[٢] : إنَّ كالبَ بنَ يُوفنَّا لمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ إليه بعدَ يوشَعَ، خلَفَ في بني إسرائيلَ حِزْقيلَ ابنَ بوذيَ، وهو ابنُ العجوزِ، وهو الذي دعا للقومِ الذين ذكَرَهم اللَّهُ في كتابِه، فيما بلغَنَا: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ**﴾ قال ابنُ إسحاقَ[٣] : فَرُّوا من الوَباءِ، فنَزَلُوا بصعيدٍ من الأرضِ، فقال لهمُ اللَّهُ: مُوتُوا. فماتُوا جميعًا، فحَظَرُوا عليهم حَظيرةً دونَ السِّباعِ، فمضتْ عليهم دهورٌ طويلةٌ، فمرَّ بهم حِزْقيلُ - عليه السلامُ - فوقَفَ عليهم مُتفكِّرًا، فقيل له: أتُحبُّ أنْ يبعثَهمُ اللَّهُ وأنتَ تنظُرُ؟ فقال: نعم. فأُمرَ أنْ يدْعُوَ تلك العظامَ أنْ تكتَسيَ لحمًا، وأنْ يتَّصِلَ العَصَبُ بعضُهُ ببعضٍ. فناداهم عن أمرِ اللَّهِ له بذلك، فقام القومُ أجمعونَ، وكبَّرُوا تكبيرةَ رجلٍ واحدٍ. وقال أسباطُ[٤] ، عن السُّدِّيِّ، عن أبي مالكٍ، وعن أبي صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ، وعن مُرَّةَ، عن ابنِ مسعودٍ، وعن أُناسٍ من الصحابة، في قوله: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ**﴾ قالوا: كانتْ قريةٌ يُقال لها: «دَاوَرْدَانُ» قِبَلَ «واسطٍ»، وقَعَ بها الطَّاعونُ، فهربَ عامَّةُ أهلِها، فنزلُوا ناحيةً منها، فهلَكَ مَنْ بَقِيَ في القريةِ، وسَلِمَ الآخرونَ، فلم يَمُتْ منهم كثيرٌ، فلمَّا ارتَفَعَ الطاعونُ، رجعُوا سالمِينَ، فقال الذين بَقُوا: أصحابُنا هؤلاءِ كانوا أحزَمَ مِنَّا، لو صَنَعْنَا كما صَنَعُوا بَقِينا، ولئنْ وَقَعَ الطاعونُ ثانيةً لَنَخْرُجَنَّ معهم. فوقَعَ في

---

(١) «التاريخ» (١/ ٢٧١).

(٢) **ضعيف إليه:** رواه ابن جرير «تاريخ» (١/ ٢٧٢) بسند ضعيف فيه ابن حميد وعنعنة ابن إسحاق عن وهب.

(٣) **ضعيف:** رواه ابن جرير «تاريخ» (١/ ٢٧٢) بنفس السند السابق.

(٤) **حسن:** رواه ابن جرير (١/ ٢٧١) «تاريخ» وسبق الكلام على هذا السند وأن الشيخ أحمد شاكر صححه.

قابِلٍ، فهَرَبُوا وهم بِضعةٌ وثلاثون ألفًا، حتَّىٰ نزلوا ذلك المكانَ، وهو وادٍ أفْيَحُ، فناداهم مَلَكٌ من أسفلِ الوادي وآخرُ من أعلاهُ: أنْ مُوتُوا، فماتوا، حتَّىٰ إذا هَلَكُوا وبَقِيتْ أجسادُهم، مرَّ بهم نبيٌّ يُقال له: حزقيلُ. فلمَّا رآهم وقَفَ عليهم، فجعلَ يَتَفكَّرُ فيهم، ويلْوِي شِدقَيْه وأصابعَهُ، فأوحَىٰ اللَّهُ إليه: تُريدُ أنْ أُرِيكَ كيفَ أُحْيِيهِم؟ قال: نعم. وإنما كان تفكُّرُه أنَّهُ تَعَجَّبَ من قدرةِ اللَّه عليهم، فقيل له: نادِ. فنادَىٰ: يا أيَّتُها العظامُ، إنَّ اللَّهَ يأمرُك أنْ تجتمعِي. فجعلت العظامُ يطيرُ بعضُها إلىٰ بعضٍ، حتَّىٰ كانتْ أجسادًا من عظامٍ، ثم أوحَىٰ اللَّهُ إليه، أنْ نادِ: يا أيَّتُها العظامُ إنَّ اللَّهَ يأمُرك أنْ تكتَسي لحمًا. فاكتست لحمًا ودمًا، وثيابَها التي ماتتْ فيها. ثم قيلَ له نادِ. فنادَىٰ: أيَّتُها الأجسادُ، إنَّ اللَّهَ يأمُرُك أنْ تَقُومِي. فقاموا. قال أسباطُ[1]: فزعمَ منصورٌ، عن مجاهدٍ، أنَّهم قالوا حين أُحيُوا: سُبحانَكَ ربَّنا وبحمدِكَ، لا إلهَ إلا أنتَ. فرجَعُوا إلىٰ قومِهِم أحياءً يَعرِفُونَ أنَّهم كانوا موتَىٰ، سَحْنَةَ الموتِ علىٰ وجوههم، لا يَلْبَسُونَ ثوبًا إلا عادَ كفَنًا دَسْمًا، حتَّىٰ ماتوا لآجالِهِمُ التي كُتِبَتْ لهم. وعن ابن عباسٍ[2]: أنَّهم كانوا أربعةَ آلافٍ. وعنه: ثمانيةَ آلافٍ، وعن أبي صالحٍ[3]: تسعةَ آلافٍ. وعن ابن عباسٍ أيضًا: كانوا أربعين ألفًا. وعن سعيدِ بن عبدِ العزيزِ[4]: كانوا من أهلِ أذْرِعاتٍ. وقال ابنُ جُرَيْجٍ، عن عطاءٍ[5]: هذا مَثَلٌ. يعني أنه سِيقَ مثلاً مُبيِّنًا أنَّهُ لن يُغنِي حَذَرٌ من قَدَرٍ. وقولُ الجمهورِ أقوىٰ؛ أنَّ هذا وَقَعَ.

وقد روَى **الإمامُ أحمدُ**[6] **وصاحبا «الصحيح»**، من طريقِ الزُّهْرِي، عن عبدِ الحميدِ بن عبدِ الرحمنِ بن زيدِ بن الخطابِ، عن عبدِ اللَّه بن عبد اللَّه بن الحارثِ بن نَوْفَلٍ، عن عبد اللَّه بن عباسٍ، أنَّ عمرَ بن الخطابِ خرجَ إلىٰ الشامِ، حتَّىٰ إذا كان بِسَرْغٍ، لقِيَهُ أمراءُ الأجنادِ، أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ وأصحابُهُ، فأخبروه أنَّ الوباءَ وقعَ بالشامِ، فذكرَ الحديثَ. يعني في مُشاوَرَتِهِ المهاجرين والأنصارَ، فاختلَفُوا عليه، فجاءَه عبد الرحمن بن عوفٍ، وكان مُتَغَيِّبًا ببعضِ حاجتِه، فقال: إنَّ عندي من هذا علمًا؛ سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ: **«إذا كانَ بأرضٍ وأنتُمْ بها، فلا تَخْرُجوا فِراراً منه، وإذا سمعتُمْ به بأرضٍ؛ فلا تَقْدَمُوا عليه»** فَحَمِدَ اللَّهَ عمرُ ثم انْصَرَفَ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا حجَّاجٌ ويزيدُ المَعْنَىٰ قالا: حدَّثَنا ابنُ أبي ذِئبٍ، عن الزُّهريِّ، عن سالمٍ، عن عبدِ اللَّه بن عامرِ بن ربيعةَ، أنَّ عبدَ الرحمنِ بنَ عوفٍ أخبَرَ عمرَ وهو في الشامِ، عن النبي ﷺ: **«إنَّ هذا السَّقَمَ عُذِّبَ به الأُمَمُ قَبْلَكُم، فإذا سَمِعْتُمْ به في أرضٍ فلا تَدْخُلُوها، وإذا وقَعَ بأرضٍ وأنتم بها، فلا تَخْرُجوا فراراً منهُ»** قال: فرَجَعَ عمرُ من الشامِ. وأخرجاهُ[7] من حديثِ مالكٍ عن

---

(١) حسن إليه: رواه ابن جرير (٢/ الجزء الثاني/ ٥٨٧) وأسباط لا ينزل عن رتبة الحسن.

(٢) حسن إليه: ابن جرير (٢/ الجزء الثاني/ ٥٨٦) بسند حسن من رواية سفيان عن ميسرة النهدي عن المنهال عن سعيد بن جبير عنه.

(٣) سنده لا بأس به: رواه ابن أبي حاتم (٢٤١٤) فيه سعيد بن مسروق الكندي ذكره ابن أبي حاتم في الجرح ولم يذكر فيه جرحًا.

(٤) حسن إليه: رواه ابن أبي حاتم (٢٤١٠) وسنده حسن. (٥) حسن إليه: رواه ابن أبي حاتم (٢٤١١) وسنده حسن.

(٦) متفق عليه: المسند (١/ ١٩٤)، والبخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٥٧٤٥).

(٧) المسند (١/ ١٩٣)، انظر الحديث السابق.

الزُّهْرِيِّ، بنحوِه.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ:(١) ولم يُذْكَرْ لنا مُدَّةُ لُبْثِ حِزْقِيلَ في بني إسرائيلَ، ثم إنَّ اللَّه قَبَضَهُ إليه، فلمَّا قبضَ نسيَ بنو إسرائيلَ عهدَ اللَّه إليهم، وعَظُمَتْ فيهمُ الأحداثُ، وعبدُوا الأوثانَ، وكان في جملةِ ما يعبدُونَهُ من الأصنام صنمٌ يُقالُ له: بَعْلٌ، فبعثَ اللَّهُ إليهم إلياسَ بنَ ياسينَ بن فِنْحاصَ ابن العيزارِ بنِ هارونَ بن عمرانَ.

قلت: وقد قدَّمنا قصةَ إلياسَ تَبَعًا لقصَّة الخَضِرِ؛ لأنَّهما يُقْرَنَانِ في الذِّكْرِ غالبًا، ولأجلِ أنها بعدَ قصةِ موسىٰ في سورةِ الصَّافَّات، فَتَعَجَّلْنا قصَّتَهُ لذلك. واللَّهُ أعْلَمُ.

قال محمدُ بنِ إسحاقَ(٢) ، **فيما ذُكرَ له عن وهبِ بنِ مُنَبِّه قال:** ثم تَنَبَّأَ فيهم بعدَ إلياسَ، وصِيُّهُ اليَسَعَ بنُ أخطوبَ، عليه السلام، وهذه:

قصة اليَسَعَ، عليه السلام

وقد ذكرَهُ اللَّهُ تعالىٰ مع الأنبياءِ في سورة «الأنعام» في قوله: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الانعام:٨٦].

وقال تعالىٰ في سورة «ص»: ﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٨].

قال إسحاقُ بنُ بشرٍ(٣) ، أبو حُذَيفَةَ: أنبأنا سعيدٌ، عن قتادةَ، عن الحسنِ قال: كان بعدَ إلياسَ اليَسَعُ -عليهما السلامُ- فَمَكَثَ ما شاءَ اللَّهُ أنْ يَمْكُثَ؛ يَدْعُوهم إلىٰ اللَّه مُسْتَمْسِكًا بمنهاجِ إلياسَ وشريعتِه، حتَّىٰ قبضَهُ اللَّهُ -عزَّ وجلَّ- إليه، ثم خلفَ فيهم الخُلُوفُ، وعَظُمَتْ فيهمُ الأحداثُ والخطايا، وكثُرَتِ الجبابرةُ، وقَتَلُوا الأنبياءَ، وكان فيهم مَلِكٌ جبارٌ عنيدٌ طاغٍ، ويُقالُ: إنَّه الذي تَكَفَّلَ له ذو الكفْلِ إنْ هو تابَ وراجعَ، دخلَ الجنَّةَ، فسُمِّي ذا الكفْلِ. قال محمدُ بن إسحاقَ(٤) : هو اليَسَعُ بن أخطوبَ.

وقال الحافظُ أبو القاسم ابنُ عساكرَ، في حرف الياء من «تاريخه»: اليَسَعُ؛ وهو: الأسباطُ بنُ عديِّ بن شوتلمَ بنِ أفرائيمَ بن يوسُفَ بنِ يعقوبَ بنِ إسحَاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ. ويُقالُ: هو ابنُ عمِّ إلياسَ النبيِّ، عليهما السلام. ويُقالُ: كان مُستَخفِيًا معه بجبَلِ قاسيُونَ من مَلك بَعْلَبَكَّ، ثمَّ ذهبَ معه إليها، فلمَّا رُفعَ إلياسُ خَلَفَه اليَسَعُ في قومِه، ونَبَّأَهُ اللَّهُ بعدَهُ. ذَكَر ذلك عبدُ المنعم بنُ إدْريسَ بن سنانٍ، عن أبيه، عن وهبِ بنِ مُنَبِّه. قال: وقال غيرُهُ: كان الأسباطُ ببانْياسَ. ثم ذكرَ ابنُ عساكرَ قراءةَ من قَرَأَ: ﴿اليَسَعَ﴾ بالتخفيف وبالتَّشْديد، ومن قرأ «اللَّيْسَعَ» وهو اسمٌ واحدٌ لنبيٍّ من الأنبياء.

قلتُ: قد قدَّمْنا قصةَ ذي الكفلِ بعدَ قصةِ أيوبَ، عليهما السلامُ؛ لأنه قد قيلَ: إنَّهُ ابنُ أيوبَ، فاللَّهُ أعلمُ بالصواب.

---

(١) ضعيف الإسناد: رواه ابن جرير «التاريخ» (١/ ٢٧٣) فيه ابن حميد.

(٢) ضعيف الإسناد: «تاريخ الطبري» (٢٧٢) والسند ضعيف.

(٣) منكر: إسحاق بن بشر متهم بالكذب.

(٤) ضعيف الإسناد: رواه ابن جرير (١/ ٢٧٣) فيه ابن حميد.

فصلٌ

قال ابنُ جرير وغيرُهُ: ثم مَرَجَ أمرُ بني إسرائيلَ، وعَظُمتْ فيهم الأحداثُ والخُطُوبُ والخطايا، وقَتَلُوا من قَتَلُوا من الأنبياء، وسلَّطَ اللَّهُ عليهم بدلَ الأنبياءِ مُلُوكًا جبَّارينَ يَظلِمُونَهم، ويَسْفِكُون دماءَهم، وسلَّط اللَّهُ عليهم الأعداءَ من غيرِهم أيضًا. وكانوا إذا قاتلوا أحدًا من الأعداء، يكونُ معهم تابوتُ الميثاق الذي كان في قبَّة الزمان، كما تقدَّمَ ذِكْرُهُ، فكانوا يُنْصَرُونَ بِبَرَكَته، وبما جعلَ اللَّهُ فيه من السَّكينةِ والبَقيَّة، مما تركَ آلُ موسىٰ وآلُ هارونَ، فلمَّا كان في بعضِ حروبِهم معَ أهلِ غَزَّةَ وعسقلانَ، غلبوهم عليه، وقَهَرُوهم علىٰ أخذه، فانتزعوه من أيديهم، فلمَّا علم بذلك مَلِكُ بني إسرائيلَ في ذلك الزمانِ، مالتْ عُنُقُه فمات كَمَدًا، وبَقِيَ بنو إسرائيلَ كالغنم بلا راعٍ، حتَّى بعثَ اللَّهُ فيهم نبيًا من الأنبياء، يُقالُ له: شمويلُ. فطلبُوا منه أنْ يُقيمَ لهم مَلِكًا ليُقاتلوا معه الأعدا ، فكانَ من أمرهم ما سنذْكُرُه ممَّا قصَّ اللَّهُ في كتابِه.

قالَ ابنُ جرير: فكانَ بينَ وفاة يُوشَعَ بنِ نونٍ إلىٰ أنْ بَعَثَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ شمويلَ بنَ بالي، أربعُمائة سنةٍ وستُّونَ سنةً. ثم ذكرَ تفصيلَها بمُدَدِ الملوكِ الذين مُلِّكُوا عليهم، وسمَّاهم واحدًا واحدًا، تركنَا ذِكْرَهم قصْدًا.

قصة شمويل وفيها بدأ أمر داود عليهما السلام

هو شمويلُ - ويُقال: أشمويلُ - بنُ بالي بن علقمةَ بن يرخامَ بن أليهو بن تهو بن صوفَ بن علقمَةَ ابن ماحثَ بن عموصا بن عزريا. قال مُقاتلٌ: هو من ذريَّة هارونَ. وقال مجاهدٌ: هو أشمويلُ بنُ هلفاقا. ولم يرفعْ في نسبِه أكثرَ من هذا، فاللَّهُ أعلم.

حكَى السُّدِّيُّ[1] بإسناده، عن ابن عباسٍ، وابن مسعودٍ، وأناسٍ من الصحابة - والثعلبيُّ - وغيرهم؛ أنَّهُ لَمَّا غلبت العمالقةُ مَنْ أرضِ غزَّةَ وعسقلانَ علىٰ بني إسرائيلَ، وقتلُوا منهم خلقًا كثيرًا، وسَبَوْا من أبنائهم جمعًا كثيرًا، وانقطعت النُّبوَّةُ من سبْط لاوي، ولم يبقَ فيهم إلا امرأةٌ حُبْلَىٰ، فجعلتْ تَدْعُو اللَّهَ عزّ وجلَّ أنْ يَرْزُقَها ولدًا ذَكَرًا، فولدتْ غلامًا فسَمَّتْهُ أشمويلَ، ومعناهُ بالعبرانيَّة إسماعيلُ؛ أي: سمعَ اللَّهُ دُعائي، فلمَّا تَرَعْرَعَ بعثَتْهُ إلىٰ المسجد، وأسلَمَتْهُ عندَ رجلٍ صالحٍ فيه؛ يكونُ عندَهُ ليَتَعَلَّمَ مِنْ خيرِه وعبادته، فكانَ عندَهُ، فلمَّا بَلَغَ أشُدَّهُ بينَما هو ذاتَ ليلة نائمٌ إذا صوتٌ يأتيه من ناحية المسجد، فانْتَبَهَ مَذْعُورًا، فظَنَّهُ الشيخُ يدْعُوهُ، فسألَهُ: أدَعَوْتَني؟ فَكَرِهَ أنْ يُفْزِعَهُ فقال: نعم، نَمْ فنامَ. ثم ناداهُ الثانيةَ، فكذلك ثم الثالثةَ، فإذا جبريلُ يدعوهُ، فجاءَه فقال: إنَّ ربَّكَ قد بَعَثَكَ إلىٰ قومكَ. فكان من أمرِه معهم ما قصَّ اللَّهُ في كتابِه، قال اللَّهُ في كتابِه العزيز: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن**

(١) **حسن الإسناد:** رواه ابن جرير (١/ ٢٧٦) وسبق الكلام على هذا السند وتصحيح الشيخ أحمد شاكر له.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

[البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١].

قال أكثرُ المفسرينَ: كان نبيُّ هؤلاءِ القومِ المذكورينَ في هذهِ القصَّةِ هو شمويلُ. وقيل شمعونُ. وقيل: هما واحدٌ، وقيل: يوشَعُ - وهذا بعيدٌ - لما ذكرَهُ الإمامُ أبو جعفرٍ ابنُ جريرٍ في «تاريخِهِ» أنَّ بينَ موتِ يوشَعَ وبعْثَةِ شمويلَ أربعمائةِ سنةٍ وستينَ سنةً، فاللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّ هؤلاءِ القومَ لَمَّا أنهكَتْهُمُ الحروبُ وقهرَهم الأعداءُ سألوا نبيَّ اللّهِ في ذلكَ الزمانِ، وطلبوا منه أنْ يُنَصِّبَ لهم مَلِكا يكونون تحتَ طاعته؛ ليُقاتلُوا من ورائه ومعه، وبينَ يديه الأعداءَ، فقال لهم: ﴿**هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ أي: وأيُّ شيءٍ يمنعُنا من القتالِ ﴿**وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا**﴾ يقولون: نحن محروبون موتورونَ، فحقيقٌ لنا أنْ نُقاتِلَ عن أبنائنا المَنْهُوبينَ المُسْتَضْعَفينَ فيهم المأسورين في قَبْضَتِهم. قال تعالىٰ: ﴿**فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ كما ذكر في آخرِ القصة، أنَّهُ لم يُجاوزِ النَّهَرَ مع الملكِ إلا القليلُ، والباقُونَ رجعُوا ونَكَلُوا عن القتالِ: ﴿**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا**﴾ قال الثَّعْلَبيُّ: وهو طالوتُ بنُ قيسِ بن أفيلَ بنِ صارو بن نحورت بنِ أفيحَ بن أنيسَ بن بنيامينَ ابنِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ. قال عكْرِمةُ[1] والسُّدِّيُّ[2]: كان سَقَّاءً. وقال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ[3]: كان دبَّاغًا. وقيل غيرُ ذلك. فاللَّهُ أعلمُ. ولهذا ﴿**قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ**

---

(١) **ضعيف الإسناد:** رواه ابن جرير (٢/ الجزء الثاني/ ٦٠٣) فيه شريك بن عبد اللَّه سيئ الحفظ.

(٢) **حسن الإسناد:** رواه ابن أبي حاتم (٢٤٦١) وابن جرير نفس المصدر السابق من رواية أسباط عنه.

(٣) **ضعيف الإسناد:** رواه ابن جرير (١/ الجزء الثاني/ ٦٠١) فيه ابن حميد وإلهام من حدَّث ابن إسحاق عنه.

بالْمُلْك منهُ ولَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾ وقد ذكروا أنَّ النُّبوَّةَ كانت في سبطِ لاوِي، وأنَّ المُلكَ كان في سبطِ يَهُوذا، فلمَّا كان هذا من سبطِ بنيامينَ، نَفَرُوا منه وطَعَنوا في إمارَتِه عليهم، وقالوا: نحنُ أحقُّ بالمُلك منه. وذكرُوا أنَّهُ فقيرٌ لا سَعَةَ من المالِ معه، فكيفَ يكونُ مثلُ هذا مَلِكًا؟ **﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾** قيل: كان اللَّهُ قد أوحَىٰ إلىٰ شمويلَ، أنَّ أيَّ بني إسرائيلَ كان طُولُهُ علىٰ طولِ هذه العصا، وإذا حَضَرَ عندَكَ يفُورُ هذا القرنُ الذي فيه من دُهْنِ القُدسِ، فهو مَلِكُهم. فجعلوا يَدخُلونَ ويَقيسونَ أنفُسَهم بتلك العصا، فلم يكنْ أحد منهم علىٰ طولِها سوىٰ طالوتَ، فلمَّا حَضَرَ عندَ شمويلَ فارَ ذلك القرنُ، فدَهَنَهُ منه وعيَّنَهُ الملكَ عليهم، وقال لهم: **﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾** قيل: في أمرِ الحروبِ، وقيل: بل مطلقًا **﴿وَالْجِسْمِ﴾** قيل: الطُّولُ، وقيل: الجمال. والظاهرُ من السياقِ أنَّهُ كان أجملَهم وأعلَمَهُم بعدَ نبيِّهم عليه السلام **﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ﴾** فله الحكمُ، وله الخلقُ والأمرُ **﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** وهذا أيضًا من بركَةِ ولايةِ هذا الرجلِ الصالحِ عليهم ويُمْنه عليهمْ؛ أنْ يرُدَّ اللَّهُ عليهمُ التابوتَ الذي كان سُلِبَ منهم، وقَهَرَهُمُ الأعداءُ عليه، وقد كانوا يُنْصَرُونَ علىٰ أعدائِهم بسببه **﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾** قيل: طَسْتٌ من ذهبٍ كان يُغْسَلُ فيه صُدُورُ الأنبياءِ. وقيل: السكينةُ مثلُ الرِّيحِ الخَجُوجِ. وقيل: صورتُها مثلُ الهِرَّة، إذا صَرَخَتْ في حالِ الحربِ، أيقنَ بنو إسرائيلَ بالنَّصْرِ **﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾** قيل: كان فيه رُضاضُ الألواحِ وشيءٌ من المَنِّ الذي كان ينزلُ بالتيه. **﴿تَحْمِلُهُ الْمَلائِكَةُ﴾** أي: تأتيكُم به الملائكةُ يحملُونَهُ وأنتم ترَوْنَ ذلك عِيانًا؛ ليَكُونَ آيةً للَّه عليكم، وحُجَّةً باهرةً علىٰ صدقِ ما أَقُولُهُ لكم، وعلىٰ صحَّةِ ولايةِ هذا الملكِ الصالحِ عليكم، ولهذا قال: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾** وقيل: إنَّه لما غَلَبَ العمالقةُ علىٰ هذا التابوت، وكان فيه ما ذُكِرَ من السَّكِينةِ والبقيَّةِ المُبارَكَةِ وقيل: كان فيه التَّوراةُ أيضًا ـ فلمَّا استقرَّ في أيديهم، وضَعُوه تحتَ صَنَمٍ لهم بأرضِهم، فلمَّا أصبحوا إذا التابوتُ علىٰ رأسِ الصنمِ فوضعوه تحتَهُ، فلمَّا كان اليومُ الثاني إذا التابوتُ فوقَ الصَّنَمِ، فلمَّا تكرَّرَ هذا علموا أنَّ هذا أمرٌ من اللَّهِ تعالىٰ، فأخرَجُوه من بلدِهِم وجَعَلُوه في قريةٍ من قُراهم، فأخذَهم داءٌ في رِقابِهِم، فلمَّا طالَ عليهم هذا جَعَلُوه في عَجَلَةٍ وربطوها في بقرتَيْنِ وأرسلوهما، فيُقالُ: إن الملائكةَ ساقَتهما حتَّىٰ جاءوا بهما ملأَ بني إسرائيلَ وهم ينظرون، كما أخبرَهم نبيُّهم بذلك. فاللَّهُ أعلمُ علىٰ أيِّ صفةٍ جاءتْ به الملائكةُ، والظاهر أن الملائكةَ كانت تحملُهُ بأنْفُسهم، كما هو المفهومُ من الآيةِ. واللَّهُ أَعْلَمُ. وإنْ كان الأولُ قد ذَكَرَهُ كثيرٌ من المفسِّرينَ أو أكثَرُهم. **﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾** قال ابن عبَّاسٍ(١)

---

(١) **حسن إليه:** رواه ابن جرير (٢/ الجزء الثاني/ ٦١٨) وابن أبي حاتم (٢٥٠) من طريق السدي عن أبي مالك عنه. وابن جرير من طريق ابن جريج عنه والطريقان يُقوي كلاً منها الآخر.

وكثيرٌ من المفسرين: هذا النهرُ هو نهرُ الأردُنِّ. وهو المُسَمَّى بالشريعة، فكان من أمر طالوتَ بجنوده عندَ هذا النهر، عن أمرِ نبيِّ اللَّه له، عن أمرِ اللَّه له، اختباراً وامتحاناً؛ أنَّ مَنْ شَرِبَ من هذا النهرِ اليومَ فلا يَصْحَبُني في هذه الغزوة، ولا يصحبُني إلا من لم يَطْعَمْهُ، إلا غُرْفَةً في يده. قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾ قال السُّدِّيُّ[1]: كان الجيشُ ثمانينَ ألفًا، فشربَ منه ستَّةٌ وسبعونَ ألفًا، وتَبَقَّى معه أربعة آلاف. كذا قال.

وقد روى البخاريُّ[2] **في «صحيحه»**، من حديث إسرائيلَ وزُهَيْرٍ والثَّوْرِيِّ، عن أبي إسحاقَ، عن البراءِ بنِ عازبٍ قال: كُنَّا أصحابَ محمدٍ ﷺ، نَتَحَدَّثُ أنَّ عدَّةَ أصحابِ بَدْرٍ على عدَّةِ أصحابِ طالوتَ ـ الذين جاوزوا مَعَهُ النهرَ ـ، ولم يُجاوزْ معهُ إلا بِضْعَةَ عَشَرَ وثلثُمائة مؤمنٌ. وقولُ السُّدِّيِّ أنَّ عدَّةَ الجيشِ كانوا ثمانين ألفًا، فيه نَظَرٌ؛ لأنَّ أرضَ بيتِ المقدسِ لا تَحْتَمِلُ أنْ يَجتمعَ فيها جيشٌ مُقاتلةٌ يَبْلُغُونَ ثمانينَ ألفًا. واللَّهُ أَعْلَمُ.

قال اللَّهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: استَقَلُّوا أنفُسَهم، واستَضْعَفُوها عن مُقاوَمَةِ أعدائهم، بالنِّسْبَةِ إلى قِلَّتِهم وكثرةِ عددِ عدُوِّهم، ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يعني: ثَبَّتَهُم الشُّجعانُ منهم والفُرسانُ أهلُ الإيمانِ والإيقانِ، الصابرونَ على الجِلادِ والجدالِ والطِّعانِ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ طَلَبُوا من اللَّه أنْ يُفْرِغَ عليهمُ الصبرَ؛ أيْ يغْمُرَهم به من فوقِهم، فتستقِرَّ قلوبُهم ولا تَقْلَقَ وأنْ يُثَبِّتَ أقدامَهم في مجالِ الحربِ، ومُعْتَرَكِ الأبطالِ، وحومَةِ الوَغَى، والدعاءِ إلى النِّزالِ، فسألُوا التَّثَبُّتَ الظاهرَ والباطنَ، وأنْ يُنْزِلَ عليهم النصرَ على أعدائهم وأعدائه، من الكافرينَ الجاحدينَ بآياته وآلائه، فأجابهمُ العظيمُ القديرُ السميعُ البصيرُ الحكيمُ الخبيرُ إلى ما سألوا، وأنالهم ما إليه فيه رَغِبُوا، ولهذا قال: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بحولِ اللَّه لا بحولِهم، وبقوَّةِ اللَّه ونصْرِه لا بقوَّتِهم وعددِهم، مع كثرةِ أعدائهم وكمالِ عددِهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ فيه دلالةٌ على شجاعة داودَ عليه السلامُ، وأنَّهُ قَتَلَهُ قتلاً أَذَلَّ به جندَهُ وكَسَرَ جيشَهُ، ولا أعظمَ من غَزْوَةٍ يَقْتُلُ فيها ملكُ عدُوِّهِ فيَغْنَمُ بسبب ذلك الأموالَ الجزيلةَ، ويأسِرُ الأبطالَ والشُّجعانَ والأقرانَ، وتعلو كلمةُ الإيمانِ على الأوثانِ، ويُدالُ لأولياءِ اللَّه على أعدائه، ويظهرُ الدِّينُ الحقُّ على الباطلِ وأوليائه. وقد ذَكَرَ السُّدِّيُّ فيما يرويه، أنَّ داودَ عليه السلامُ كان أصغرَ أولادِ أبيه، وكانوا ثلاثةَ عشرَ ذَكَرًا، كان سَمِعَ طالوتَ ملكَ بني إسرائيلَ وهو يُحَرِّضُ بني إسرائيلَ على قَتْلِ جالوتَ وجنودِه، وهو يقولُ: من

---

(١) **حسن الإسناد:** رواه ابن أبي حاتم (٢٥٠٢) وابن جرير (٢/ الجزء٢/ ٦٢٢) وسنده حسن عنه.
(٢) البخاري (٣٩٥٧).

قتلَ جالوتَ زوَّجْتُهُ بابنتي، وأشركْتُهُ في مُلْكِي. وكان داودُ عليه السلام، يَرْمِي بالقَذَّافَةِ - وهو المِقلاعُ - رميًا عظيمًا، فبيْنَا هو سائرٌ مع بني إسرائيلَ إذْ ناداهُ حَجرٌ، أنْ خُذْني فإنَّ بي تَقْتُلُ جالوتَ. فأخذَهُ، ثمَّ حجرٌ آخرُ كذلك، ثم آخرُ كذلك، فأخذ الثلاثةَ في مِخْلاته، فلمَّا تواجَهَ الصَّفَّانِ، بَرَزَ جالوتُ ودعا إلى نفسه، فتقدَّمَ إليه داودُ، فقال: ارجعْ فإنِّي أكرهُ قَتْلَكَ. فقال: لكنِّي أُحبُّ قَتْلَكَ. وأخذ تلكَ الأحجارَ الثلاثةَ من مِخْلاته فوَضَعَها في القَذَّافَة ثم أدارَها، فصارَت الثلاثةُ حجرًا واحدًا، ثم رَمَى بها جالوتَ فَفَلَقَ رأسَهُ، وفرَّ جيشُهُ مُنْهزِمًا، فَوَفَّى له طالوتُ بما وعدَهُ؛ فزوَّجَهُ ابنتَهُ وأجْرَى حُكْمَهُ في مُلْكه، وعَظُمَ داودُ عليه السلامُ عندَ بني إسرائيلَ وأحبُّوه ومالوا إليه أكثرَ من طالوتَ، فذكَروا أنَّ طالوتَ حَسَدَهُ وأرادَ قَتْلَهُ، واحتالَ على ذلك فلم يَصِلْ إليه، وجعلَ العلماءُ ينهَوْنَ طالوتَ عنْ قتلِ داودَ، فتسلَّطَ عليهم فقتلهم، حتَّى لم يبقَ منهم إلا القليلُ، ثم حصَلَ له توبةٌ وندمٌ وإقلاعٌ عمَّا سلَفَ منه، وجعلَ يُكثِرُ من البُكاء، ويخرُجُ إلى الجَبَّانَة فيبكي حتَّى يَبُلَّ الثَّرَى بدُمُوعه، فنُودِيَ ذاتَ يومٍ من الجبَّانَة: أنْ يا طالوتُ، قَتَلْتَنا ونحنُ أحياءٌ، وآذَيْتَنا ونحنُ أمواتٌ. فازدادَ لذلك بكاؤُه وخوفُهُ، واشتدَّ وَجَلُه، ثم جَعَلَ يسألُ عن عالمٍ يسألُهُ عن أمرِه، وهل له من توبةٍ، فقيل له: وهل أبقيتَ عالمًا؟ حتَّى دُلَّ على امرأةٍ من العابدات، فأَخَذَتْهُ فذهبت به إلى قبرِ يوشَعَ عليه السلامُ، قالوا: فدعتِ اللَّهَ فقامَ يوشعُ من قبرِه، فقال: أقامت القيامةُ؟ فقالتْ: لا، ولكنَّ هذا طالوتُ يسألُكَ: هل له من توبةٍ؟ فقال: نعم، يَنْخَلِعُ من المُلك، ويذهبُ فيُقاتلُ في سبيلِ اللَّه حتَّى يُقْتَل. ثم عادَ ميتًا. فتَرَكَ المُلْكَ لداودَ عليه السلامُ، وذهبَ ومعه ثلاثةَ عشرَ من أولاده فقاتَلُوا في سبيلِ اللَّه حتَّى قُتلُوا. قالوا: فذلك قوله تعالى: ﴿**وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ**﴾ هكذا ذكره ابنُ جريرٍ في «تاريخه»[1] من طريق السُّدِّيِّ بإسناده.

وفي بعض هذا نظرٌ ونكارةٌ. واللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال محمدُ بنُ إسحاق[2]: النبيُّ الذي بُعِثَ فأخبَرَ طالوتَ بتوبتِه، هو اليسعُ بنُ أخطوبَ. حكاه ابنُ جريرٍ أيضًا.

وذكر الثَّعْلَبيُّ أنها أتتْ به إلى قبرِ أشمويلَ، فعاتَبَهُ على ما صنعَ بعدَهُ من الأمور. وهذا أنسَبُ. ولعلَّهُ إنَّما رآهُ في النوم، لا أنَّه قام من القبرِ حيًا؛ فإنَّ هذا إنما يكونُ معجزةً لنبيٍّ، وتلك المرأةُ لم تكن نبيَّةً. واللَّهُ أَعْلَمُ. قال ابنُ جريرٍ: وزعمَ أهلُ التوراةِ أنَّ مدَّةَ مُلْكِ طالوتَ إلى أنْ قُتلَ معَ أولادِه كانَتْ أربعينَ سنةً. فاللَّهُ أعلمُ.

---

(١) «التاريخ» (١/ ٢٧٨) من رواية أسباط عنه.

(٢) «التاريخ» (١/ ٢٨٠) بسند ضعيف فيه ابن حميد.

قصة داود عليه السلام وما كان في أيامه وذكر فضائله وشمائله ودلائل نبوته وأعلامه

هو داودُ بنُ إيشا بن عُويدَ بن باعزَ بنِ سلمونَ بن نحشونَ بنِ عويناذبَ بنِ إرمَ بن حصرونَ بن فارصَ بن يهوذا بن يعقوبَ بن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ، عبدُ اللَّهِ ونبيُّهُ وخليفتُهُ في أرضِ بيتِ المقدسِ.

قال محمدُ بن إسحاقَ[1] **عن بعضِ أهلِ العلمِ، عن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ:** كانَ داودُ عليه السلامُ قصيرًا أزرقَ العينينِ، قليلَ الشعرِ، طاهرَ القلبِ نقيَّهُ. تقدَّمَ أنَّهُ لمَّا قتلَ جالوتَ، وكان قَتْلُهُ له - فيما ذكر ابنُ عساكرَ - عندَ قصرِ أمِّ حكيمٍ بقربِ مَرْجِ الصُّفَّرِ. فأحبَّتْهُ بنو إسرائيلَ ومالوا إليه وإلى مُلْكِه عليهم، فكان من أمرِ طالوتَ ما كان، وصارَ الملكُ إلى داودَ عليه السلام، وجمعَ اللَّهُ له بين المُلكِ والنُّبوةِ، بين خَيْرَيِ الدُّنيا والآخرةِ، وكان المُلكُ يكون في سبط والنُّبُوَّةُ في سبطٍ آخرَ، فاجتمعَ في داودَ هذا وهذا، كما قال تعالى: ﴿ **وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٥١] أي: لولا إقامةُ الملوكِ حُكامًا على الناسِ، لأكلَ قويُّ الناسِ ضعيفَهم. ولهذا جاء في بعضِ الآثارِ: «السُّلطانُ ظلُّ اللَّهِ في أرضِه»[2] وقال أميرُ المؤمنين عثمانُ بن عفَّانَ: «إنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بالسُّلطان ما لا يَزَعُ بالقرآنِ». وقد ذكرَ ابنُ جريرٍ في «تاريخه» أنَّ جالوتَ لمَّا بارزَ طالوتَ، فقال له: اخرُجْ إليَّ أو أخرُجُ إليك. فندبَ طالوتُ الناسَ، فانتَدبَ داودُ، فَقَتَلَ جالوتَ. قال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ: فمالَ الناسُ إلى داودَ، حتَّى لم يكُنْ لطالوتَ ذكرٌ، وخلعوا طالوتَ وولَّوْا عليهم داودَ. وقيل: إن ذلك عن أمرِ شمويلَ، حتَّى قال بعضُهم: إنَّهُ ولاهُ قبلَ الوَقْعَةِ.

قال ابنُ جرير: والذي عليه الجمهورُ، أنَّهُ إنَّما وَلِيَ المُلكَ بعدَ قتلِ جالوتَ. واللَّهُ أَعْلَمُ. وروى ابنُ عساكر[3] عن سعيد بن عبد العزيز: قَتْلَهُ جالوتَ كان عندَ قصرِ أمِّ حكيمٍ، وأنَّ النهرَ الذي هناك هو المذكورُ في الآية، فاللَّهُ أعلمُ.

وقال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾ [سبأ: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿ **وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ**

---

(١) **ضعيف الإسناد:** رواه ابن جرير «التاريخ» (١/ ٢٨١) بسند ضعيف فيه شيخ الطبري ابن حميد ضعيف وإبهام من روى عنه ابن إسحاق.

(٢) **ضعيف:** رواه البيهقي «الشعب» (٧٣٧٢) والبزار (١٥٩٠) «كشف الأستار» وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٦١) من طرقه عن جمع من الصحابة وهم: أبو عبيدة وأنس وأبو هريرة وابن عمر وعمر رضي اللَّه عنهم أجمعين لكن لا يخلو طريق من متروك أو متهم. وضعفه الشيخ ناصر في الضعيفة في مواضع (ح/ ٦٠٤ - ١٦٦١ - ١٦٦٤) وتتبع طرقها. عليه رحمة اللَّه.

(٣) «تاريخ دمشق» (١٧/ ٨١).

شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٧٩، ٨٠] أعانه اللَّهُ على عَمَلِ الدُّروعِ من الحديد؛ ليُحْصِنَ المُقاتِلَةَ من الأعداء، وأرشدهُ إلى صَنْعَتِها وكَيْفِيَّتِها، فقال: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ أي: لا تُدقَّ المسمارَ فيَقْلَق، ولا تُغلظهُ فيَفْصِم. قاله مجاهدٌ[١]، وقتادةُ[٢]، والحَكَمُ[٣]، وعِكْرِمَةُ، وغيرُهم. قال الحسنُ البَصْريُّ[٤]، وقتادةُ[٥] والأعمشُ: كان اللَّهُ قد ألانَ له الحديدَ حتَّى كانَ يَفْتِلُهُ بيدِه، لا يحتاجُ إلى نارٍ ولا مطرقةٍ. قال قتادةُ[٦]: فكانَ أوَّلَ مَنْ عَمِلَ الدُّروعَ من زَرَدٍ، وإنَّما كانت قبلَ ذلك صفائحَ. قال ابنُ شَوْذَب: كان يعملُ كلَّ يومٍ درعًا يبيعُها بستَّة آلافِ درهمٍ.

وقد ثبَتَ في الحديثِ الصحيح: «إنَّ أطيبَ ما أكَلَ الرَّجُلُ من كَسْبِه، وإنَّ نبيَّ اللَّه داودَ كان يأكُلُ من كسْبِ يَدِه»[٧].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧-٢٠]. قال ابنُ عبَّاسٍ[٨]، ومجاهدٌ[٩]: الأيْدُ القوةُ في الطاعة. يعني: كان ذا قوَّةٍ في العبادة والعملِ الصالح. قال قتادةُ[١٠]: أُعْطِيَ قوةً في العبادةِ وفقْهًا في الإسلام. قال: وقد ذُكِرَ لنا أنَّه كانَ يقومُ الليلَ ويصومُ نصفَ الدَّهْرِ.

وقد ثبَت في «الصحيحين»[١١]: أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «أحبُّ الصَّلاة إلى اللَّه صلاةُ داودَ، وأحَبُّ الصِّيام إلى اللَّه صيامُ داودَ؛ كانَ ينامُ نصفَ الليل، ويقُومُ ثُلُثَهُ، وينامُ سُدُسَهُ، وكانَ يَصُومُ يومًا ويُفْطِرُ يومًا، ولا يَفِرُّ إذا لاقَى». وقولُهُ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ كما قال: ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ أي: سبِّحي معه. قاله ابنُ عبَّاسٍ[١٢] ومجاهدٌ[١٣] وغيرُ واحدٍ في تفسيرِ هذه الآيةِ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ﴾ أي: عندَ آخرِ النَّهارِ وأوَّلِهِ، وذلك أنَّه كان اللَّهُ تعالى قد وَهَبَهُ من الصوتِ العظيمِ ما لم

---

(١) **صحيح إليه**: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٨) من رواية ابن أبي نجيح وابن جريج عنه.

(٢) **حسن إليه**: رواه عبد الرزاق (٢٣٩٩) من رواية معمر عنه. ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٨) من رواية خالد بن قيس عن قتادة.

(٣) **حسن إليه**: رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٨) من رواية سفيان بن عيينة عن أبيه وعيينة وثقه ابن حبان.

(٤) عزاه السيوطي لابن أبي حاتم ولا يوجد في المطبوع منه.

(٥) **صحيح إليه**: رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٦) وعبد الرزاق (٢٣٩٧) من رواية معمر.

(٦) **حسن إليه**: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٧) بسند حسن.

(٧) **صحيح**: رواه البخاري (٢٠٧٣) من رواية المقداد بن معدي كرب وأصحاب السنن.

(٨) رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٧٠) من صحيفة علي بن أبي طلحة عنه ومن طريق العوفي عنه.

(٩) **صحيح**: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٧٠) من طرق عنه طريق منصور عنه وابن أبي نجيح عنه.

(١٠) **صحيح**: عبد الرزاق (٢٥٨٢) عن معمر وابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٧٠) بسند حسن من رواية سعيد عنه مختصراً و«التاريخ» بطوله (١/ ٢٨٢) بنفس السند.

(١١) **متفق عليه**: البخاري (١١٣١)، مسلم (٢٧٣١).

(١٢) **صحيح**: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٥) من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه ومن طريق العوفي عنه.

(١٣) **صحيح إليه**: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٥) من رواية منصور وابن أبي نجيح عنه.

يُعْطِهِ أحدًا، بحيثُ **إنَّه** كان إذا تَرَنَّمَ بقراءةِ كتابِهِ يقفُ الطيرُ في الهواءِ، يُرَجِّعُ بتَرْجِيعِه ويُسَبِّحُ بتسبيحِهِ، **وكذلك الجبالُ** تُجيبُهُ وتُسَبِّحُ معه كلَّما سَبَّحَ بُكْرَةً وعَشِيًا، صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه.

وقال **الأوزاعيُّ**[1] : **حدَّثَنِي** عبدُ اللَّهِ بن عامرٍ قال: **أُعْطِيَ** داودُ من حُسْنِ الصوت ما لم يُعْطَ أحدٌ قطُّ؛ **حتَّىٰ إنْ كان الطيرُ والوحشُ** لَيَعْكُفُ حولَهُ حتَّىٰ يموتَ عَطَشًا وجُوعًا، وحتَّىٰ إنَّ الأنهارَ لَتَقِفُ.

وقال وهبُ بنُ مُنَبِّهٍ[2] : كان لا يسمَعُهُ أحدٌ إلا حَجَلَ كهيئةِ الرَّقْصِ، وكان يقرأُ الزَّبُورَ بصوتٍ لم تَسْمَعِ الآذانُ بمثله، فيَعْكُفُ الجِنُّ والإنسُ والطيرُ والدَّوابُّ علىٰ صوته حتَّىٰ يَهْلِكَ بعضُها جُوعًا.

وقال أبو عَوَانَةَ الإسفرايينيُّ:[3] حدَّثنا أبو بكرِ بنُ أبي الدُّنيا، حدَّثَنا محمدُ بنُ منصورٍ الطُّوسِيُّ، سمعتُ صُبَيْحًا أبا تُرابٍ. (ح) قال أبو عوانةَ: وحدَّثني أبو العباسِ المُرِّيُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ صالحٍ العَدَوِيُّ، حدثنا سيَّارٌ، هو ابنُ حاتمٍ، عن جعفرٍ، عن مالكٍ قال: كان داودُ عليه السلامُ إذا أخذَ في قراءةِ الزَّبُورِ تَفَتَّقَتِ العَذَارَىٰ. وهذا غريبٌ. وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[4] ، عن ابنِ جُرَيْجٍ: سألتُ عطاءً عن القراءةِ علىٰ الغناءِ، فقال: وما بأسٌ بذلك؟ سمعتُ عبيدَ بنَ عُمَيْرٍ يقول: كان داودُ عليه السلامُ يأخذُ المِعْزَفَةَ، فيضربُ بها، فيقرأُ عليها، فتَرُدُّ عليه صوتَهُ، يريدُ بذلك أنْ يَبْكِيَ ويُبْكِيَ.

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، حدَّثنا معمرٌ، عن الزُّهْرِيِّ، عن عُروةَ، عن عائشةَ قالتْ: سمعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ صوتَ أبي موسىٰ الأشعريِّ وهو يقرأ، فقال: «**لقدْ أُوتِيَ أبو موسَى مِنْ مَزَامِيرِ آلِ داودَ**» وهذا علىٰ شرطِ الشَّيخَيْنِ، ولم يُخرِجاه من هذا الوجه.

وقَالَ أحمدُ[6] : حدَّثنا حسنٌ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن محمدِ بن عمرٍو، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**لَقَدْ أُعْطِيَ أبو مُوسَى مِنْ مَزَامِيرِ داودَ**» علىٰ شرطِ مسلمٍ.

وقد رُوِينا[7] عن أبي عُثمانَ النَّهْدِيِّ، أنَّه قال: لقدْ سمعتُ البَرْبَطَ والمِزْمارَ، فما سمعتُ صوتًا أحسنَ من صوتِ أبي موسَىٰ الأشعريِّ.

وقد كان مع هذا الصوتِ الرَّخيمِ سريعَ القراءةِ لكتابِهِ الزَّبُورِ، كما قال الإمام أحمدُ[8] : حدَّثنا عبدُ الرَّزاقِ، حدَّثنا معمرٌ، عن همامٍ، عن أبي هريرة قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**خُفِّفَ على داودَ القراءةُ، فكانَ يأمُرُ بِدَابَّتِهِ فتُسْرَجُ، فكانَ يَقْرأُ القرآنَ مِنْ قبلِ أنْ تُسْرَجَ دابَّتُهُ، وكان لا يأكُلُ إلا من عَمَلِ يَدَيْه**».

وكذلك روىٰ البخاريُّ منفردًا به عن عبد اللَّهِ بن محمدٍ، عن عبد الرزَّاقِ به، ولفظه: «**خُفِّفَ على**

(١، ٢) رواه ابن عساكر «تاريخ دمشق» (١٧/ ٩٩). (٣) رواه ابن عساكر «تاريخ دمشق» (١٧/ ١٠٠).

(٤) **صحيح الإسناد**: المصنف (٤١٦٥).

(٥) **صحيح**: أحمد المسند (٦/ ١٦٧) ورواه عبد الرزاق «المصنف» (٤١٧٧) والنسائي «الكبرى» (١٠٩٣) وغيرهم.

(٦) **صحيح**: المسند (٢/ ٣٥٤).

(٧) **صحيح إليه**: رواه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٨١) وأبو نعيم (١/ ٢٥٨) وسنده صحيح.

(٨) **صحيح**: المسند (٢/ ٣١٤)، البخاري (٣٤١٧)، ابن عساكر «تاريخ دمشق» (١٧/ ٨٩).

داودَ القُرآنُ، فكانَ يأمُرُ بدوابِّه فتُسْرَجُ، فيَقرأُ القرآنَ قبلَ أنْ تُسرَجَ دوابُّهُ، ولا يأكُلُ إلا من عملِ يَدَيْه» ثم قال البخاريُّ: ورواهُ موسىٰ بنُ عُقْبَةَ، عن صَفْوانَ - هو ابنُ سُلَيْمٍ - عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ. وقد أسْنَدَهُ ابنُ عساكرَ في ترجمةِ داودَ عليه السلامُ في «تاريخه» من طرقٍ عن إبراهيمَ بن طَهْمَانَ، عن موسىٰ بن عقبةَ، ومن طريقِ أبي عاصمٍ، عن أبي بكرٍ السَّبْرِيِّ، عن صفوانَ بنِ سُليمٍ به.

والمرادُ بالقرآنِ ههنا الزَّبورُ الذي أنزلَهُ اللَّهُ عليه وأوحاهُ إليه. وذكرُ دَوَابِّه أشْبَهُ أنْ يكونَ محفوظًا؛ فإنَّهُ كان مَلِكًا له أتباعٌ، فكان يقرأُ الزَّبورَ بمقدارِ ما تُسْرَجُ الدَّوابُّ، وهذا أمرٌ سريعٌ مع التَّدبُّرِ والتَّرنُّمِ والتَّغنِّي به علىٰ وجهِ التَّخشُّعِ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه. وقد قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، والزبورُ كتابٌ مشهورٌ، وذَكَرْنا في «التفسير» الحديثَ الذي رواهُ أحمدُ وغيرُهُ، أنَّهُ أُنزلَ في شهرِ رمضانَ، وفيه من المواعظِ والحِكَمِ ما هو مشهورٌ معروفٌ لمن نظَرَ فيه.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] أي: أعطيناه مُلكًا عظيمًا وحُكْمًا نافذًا. روىٰ ابنُ جريرٍ [(١)] وابنُ أبي حاتمٍ [(٢)]، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رَجُلَيْنِ تداعيا إلىٰ داودَ عليه السلامُ، في بَقَرٍ ادَّعَىٰ أحدُهما علىٰ الآخرِ أنَّهُ اغتصَبَها منه، فأنْكَرَ المُدَّعَىٰ عليه، فأرجأ أمرَهما إلىٰ الليلِ، فلمَّا كان الليلُ أوحَىٰ اللَّهُ إليه أنْ يَقْتُلَ المُدَّعِيَ، فلمّا أصبحَ قال له داودُ: إنَّ اللَّهَ قد أوحَىٰ إليَّ أنْ أقْتُلَكَ، فأنا قاتِلُكَ لا محالَةَ، فما خَبَرُكَ فيما ادَّعَيْتَهُ علىٰ هذا؟ قال: واللَّهِ يا نبيَّ اللَّهِ، إنِّي لَمُحقٌّ فيما ادَّعَيْتُ عليه، ولكنِّي كنتُ اغْتَلْتُ أباهُ قبلَ هذا فقَتَلْتُهُ. فأمَرَ به داودُ فَقُتِلَ؛ فعَظُمَ أمرُ داودَ في بني إسرائيلَ جدًا، وخضعُوا له خُضُوعًا عظيمًا. قال ابنُ عبَّاسٍ: فهو قوله تعالىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ وقوله تعالىٰ: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوة. ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ قال شُرَيْحٌ [(٣)]، والشَّعْبيُّ [(٤)]، وقَتَادَةُ [(٥)]، وأبو عبدِ الرحمنِ السُّلَمِيُّ [(٦)] وغيرُهم ﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: الشهودُ والأيمان. يعنُون بذلك البَيِّنَةُ علىٰ المُدَّعِي، واليمينُ علىٰ من أنْكَرَ. وقال مجاهدٌ [(٧)] والسُّدِّيُّ [(٨)]: هو إصابةُ القضاءِ وفهْمُهُ. وقال مُجاهدٌ: هو الفَصْلُ في الكلامِ وفي الحُكْمِ. واختارَهُ ابنُ جريرٍ. وهذا لا يُنافِي ما رُوِيَ عن أبي موسىٰ [(٩)]، أنَّه قولُ: أمَّا بَعْدُ. وقال وَهبُ بنُ مُنَبِّهٍ [(١٠)]: لَمَّا كَثُرَ الشَّرُّ

---

(١) حسن: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٣٨) من طريق علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس وهذا سند لا بأس به.

(٢) ابن أبي حاتم وليس في المطبوع منه.

(٣) صحيح: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٤٠) عنه من طريق الحكم عنه.

(٤) حسن: ابن جرير (١٢/ ٢٣/ ١٤٠) فيه عزان بن موسى صدوق.

(٥) حسن: ابن جرير (١٢/ ٢٣/ ١٤٠) من رواية سعيد عنه.

(٦) حسن: ابن جرير (١٢/ ٢٣/ ١٤٠) من رواية أبي حصين عنه.

(٧) ضعيف: ابن جرير (١٢/ ٢٣/ ١٣٩) من رواية ليث بن أبي سليم عنه.

(٨) حسن: ابن جرير (١٢/ ٢٣/ ١٣٩) من رواية أسباط عنه.

(٩) ضعيف جدًا: رواه ابن أبي حاتم (١٨٣٣٩) وسنده ضعيف جدًا فيه عبد العزيز بن أبي ثابت متروك.

(١٠) سنده ضعيف جدًا: رواه ابن عساكر «تاريخ دمشق» (١٧/ ١٠٣) فيه إسحاق بن بشر متهم بالكذب.

وشهاداتُ الزُّورِ في بني إسرائيلَ، أُعْطِيَ داودُ سلسلةً لفَصْلِ القضاءِ، فكانت ممدودةً من السماءِ إلى صخرةِ بيتِ المقدسِ، وكانت مِنْ ذَهَبٍ، فإذا تَشاجرَ الرَّجُلانِ في حقٍّ، فأيُّهما كان مُحقًا نالَها، والآخرُ لا يَصِلُ إليها، فلم تَزلْ كذلك حتَّى أَوْدَعَ رجلٌ رجلاً لؤلؤةً، فجَحَدَها منه، واتَّخذَ عُكَّازًا وأَوْدَعَها فيه، فلمَّا حَضَرَا عند السِّلسلة، تناولَها المُدَّعي، فلمَّا قيلَ للآخرِ: خُذْها بيَدِكَ. عَمَدَ إلى العُكَّازِ، فأعطاهُ المُدَّعِيَ، وفيه تلك اللُّؤلؤةُ، وقال: اللَّهُمَّ إنَّك تعلمُ أنِّي دفعتُها إليه. ثم تناولَ السِّلسلةَ فنالَها، فأشْكَلَ أمرُها على بني إسرائيلَ، ثم رُفِعَتْ سريعًا من بينهم. ذَكَرَه بمعناه غيرُ واحدٍ من المفسِّرين. وقد رواه إسحاقُ بنُ بشرٍ، عن إدريسَ بن سنانٍ، عن وهبٍ به بمعناه.

قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٢١-٢٥].

وقد ذكر كثيرٌ من المفسرينَ، من السَّلَفِ والخَلَفِ، هاهنا قَصَصًا وأخبارًا أكثرُها إسرائيليَّاتٌ، ومنها ما هو مكذوبٌ لا محالةَ، تَرَكْنا إيرادَها في كتابنا قَصْدًا؛ اكتفاءً واقتصارًا على مجردِ تلاوةِ القصَّةِ من القرآن العظيم، واللَّهُ يهدي من يَشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ.

وقد اختلفَ الأئمةُ في سجدةِ «ص»، هل هي من عزائمِ السُّجُودِ أو إنَّما هي سجدةُ شُكْرٍ ليستْ من عزائمِ السُّجودِ؟ على قَوْلَيْنِ.

قال البخاري[1]: حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ الطَّنَافسيُّ، عن العوَّامِ قال: سألتُ مجاهدًا عن سجدةِ «ص»، فقال: سألتُ ابنَ عبَّاسٍ: من أينَ سَجَدْتَ؟ فقال: أو ما تقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الانعام: ٨٤]، ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الانعام: ٩٠] فكانَ داود ممَّنْ أُمِرَ نبيُّكُم ﷺ أنْ يَقْتَدِيَ بِهِ، فَسَجَدَهَا داودُ عليه السلامُ؛ فسَجَدَها رسولُ اللَّهِ ﷺ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا إسماعيلُ ـ هو ابنُ عُلَيَّةَ ـ، عن أيوبَ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّهُ قال في السجود في «ص»: ليستْ من عزائمِ السجود، وقد رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يسجدُ فيها. وكذا رواهُ البخاريُّ وأبو داودَ، والتِّرمذيُّ، والنَّسَائيُّ[3]، من حديثِ أيوبَ، وقال التِّرمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) **صحيح**: البخاري (٤٨٠٧).
(٢) **صحيح**: المسند (١/ ٣٦٠).
(٣) **صحيح**: البخاري (٣٤٢٢) أبو داود (١٤٠٩) الترمذي (٥٧٧).

وقال النَّسائيُّ[١] : أخبرَني إبراهيمُ بنُ الحسنِ المِقْسَميُّ، حدَّثنا حجَّاجُ بنُ محمدٍ، عن عُمَرَ بنِ ذَرٍّ، عن أبيه، عن سعيد بن جُبير، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ سَجَدَ في «ص»، وقال: «**سَجَدَها داودُ تَوبَةً، ونَسْجُدُها شُكْرًا**» . تفرَّدَ به أحمدُ، ورجالُهُ ثقاتٌ.

وقال أبو داودَ:[٢] حدَّثنا أحمدُ بن صالحٍ، حدَّثنا ابنُ وهبٍ، أخبرني عمرُو بنُ الحارث، عن سعيد بن أبي هلالٍ، عن عياضِ بن عبدِ اللَّهِ بنِ سعدِ بن أبي سَرْحٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ قال: قرأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو على المنبرِ «ص»، فلمَّا بلغَ السَّجْدَةَ، نزلَ فسجدَ، وسجدَ الناسُ معه، فلمَّا كان يومٌ آخرُ قرأَها، فلمَّا بَلَغَ السَّجْدَةَ تَشَزَّنَ الناسُ للسجودِ فقال: «**إنَّما هي توبَةُ نبيٍّ، ولكنْ رأيْتُكُمْ تَشَزَّنْتُم**» فنَزَلَ وسَجَدَ. تفرَّدَ به أبو داودَ، وإسنادُه على شرطِ الصحيحِ.

وقال الإمامُ أحمدُ[٣] : حدَّثنا عفَّانُ، حدَّثنا يزيدُ بن زُرَيعٍ، حدَّثنا حُمَيْدٌ حدَّثنا بكرٌ، وهو ابنُ عمرَ، وأبو الصِّدِّيقِ النَّاجيُّ، أنَّه أخبرَهُ أنَّ أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ رأىٰ رُؤيا، أنَّهُ يكتُبُ «ص»، فلمَّا بلغَ إلى التي يسجدُ بها، رأىٰ الدَّواةَ والقَلَمَ وكلَّ شيءٍ بحَضْرَتِه انقلَبَ ساجدًا. قال: فقصَّها على النبيِّ ﷺ، فلم يَزَلْ يَسْجُدُ بها بَعْدُ. تَفَرَّدَ به أحمدُ.

وروىٰ التِّرْمذيُّ، وابنُ مَاجَه[٤] ، من حديث محمد بن يزيدَ بنِ خُنَيْسٍ، عن الحسنِ بن محمدِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبي يزيدَ، قال: قال لي ابنُ جُريجٍ: حدَّثَني جدُّكَ عبيدُ اللَّهِ بنُ أبي يزيدَ، عن ابنِ عباسٍ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، إنِّي رأيتُ فيما يرىٰ النائمُ كأنِّي أُصلِّي خلفَ شجرةٍ، فقرأتُ السَّجْدَةَ فسجدتُ، فسجَدَت الشَّجَرةُ لسجودي، فسمعتُها تقولُ وهي ساجدةٌ: اللَّهُمَّ اكْتُبْ لي بها عندَكَ أجرًا، واجعَلْهَا لي عِنْدَكَ ذُخْرًا، وضَعْ عَنِّي بها وِزْرًا، واقْبَلْهَا مِنِّي كما قَبِلْتَ من عَبْدِكَ داودَ. قال ابن عبَّاسٍ: فرأيْتُ النبيَّ ﷺ قام فقرأَ السجدةَ ثم سجدَ، فسمعتُهُ يقولُ وهو ساجدٌ كما حَكَىٰ الرجلُ عن كلامِ الشجرةِ. ثم قال الترمذيُّ: غريبٌ لا نعرفُهُ إلا من هذا الوجهِ.

وقد ذكر بعضُ المفسِّرينَ: أنَّهُ عليه السلامُ، مكثَ ساجدًا أربعينَ يومًا. وقاله مجاهدٌ والحسنُ وغيرُهما. وورَدَ في ذلك حديثٌ مرفوعٌ[٥]، لكنَّهُ من روايةِ يزيدَ الرَّقَاشِيِّ، وهو ضعيفٌ متروكُ الروايةِ.

---

(١) **صحيح بشواهده**: النسائي (١١٤٣٨) «الكبرى» و«المجتبى» (٢/ ١٥٨) صحيح لغيره وقد أعله البيهقي (٢/ ٣١٩) بالإرسال؛ لرواية ابن عيينة عن عمر بن ذر عن أبيه مرسلاً. لكن الحديث يشهد له ما في الصحيح قبله. وقد صحَّحه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (٩١٧).

(٢) **صحيح**: أبو داود (١٤١٠) صححه الألباني ـ عليه رحمة اللَّه ـ في صحيح سنن أبي داود.

(٣) **رجاله ثقات**: المسند (٣/ ٧٨) رجاله ثقات رواه ابن أبي عدي وابن زريع كلاهما عن حميد عن بكر بن عبد اللَّه المزني عن أبي سعيد وخالفهم هشيم عند البيهقي (٢/ ٣٢٠) فرواه عن حميد عن بكر المزني عن مخبر عن أبي سعيد زاد واسطة وهو مخبر.

(٤) **ضعيف**: الترمذي (٥٧٩) ابن ماجه (١٠٥٣) تفرد به الحسن بن محمد بن عبيد اللَّه. قال العقيلي: لا يتابع على حديثه (١/ ٢٤٢ ترجمة رقم ٢٨٩).

(٥) **ضعيف جدًا**: رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٥٠) وهو ضعيف جداً كما قال الحافظ.

وأثر مجاهد رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٥٠) وسنده ضعيف من رواية ليث بن أبي سليم عنه وأثر الحسن أيضًا بسند فيه مطر الوراق كثير الخطأ.

قال اللَّهُ تعالَىٰ: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [ص: ٢٥] أي: وإنَّ له يومَ القيامة لزلفَىٰ وهي القُربةُ التي يُقرِّبه اللَّهُ بها ويُدْنِيه من حَظيرةَ قُدُسه بسببها، كما ثبَتَ في الحديث: «**المُقْسطُونَ على منابرَ من نُورٍ عنْ يَمينِ الرَّحْمنِ، وكِلْتَا يَديْه يمينٌ، الذينَ يُقْسطونَ في أهْلِيهِمْ وحُكْمِهِمْ ما وَلُوا**»(١).

وقال الإمامُ أحمدُ(٢) **في «مُسْنَده»**: حدَّثنا يحيَىٰ بنُ آدمَ، حدَّثنا فُضيْلٌ، عن عَطيَّةَ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ. قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنَّ أحبَّ الناسِ إلى اللَّه يومَ القيامة وأقْرَبَهُمْ منهُ مَجْلسًا: إمامٌ عادلٌ، وإنَّ أبغضَ الناسِ إلى اللَّه وأشَدَّهُمْ عذَابًا: إمامٌ جائرٌ**» وهكذا رواهُ الترمذيُّ من حديثِ فُضيلِ بن مرزوقٍ الأغرِّ به، وقال: لا نعْرِفُهُ مرفوعًا إلا من هذا الوجه. وقال ابنُ أبي حاتمٍ(٣): حدَّثنا أبو زرعةَ، حدَّثنا عبدُ اللَّه بن أبي زيادٍ، حدَّثنا سيَّارٌ، حدَّثنا جعفرُ بنُ سُليمانَ، سمعتُ مالكَ بنَ دينارٍ في قوله: ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ قال: يُقامُ داودُ عليه السلامُ يوم القيامة عندَ ساقِ العرشِ، فيقولُ اللَّهُ: يا داودُ، مَجِّدْني اليومَ بذلكَ الصوتِ الحسنِ الرَّخيمِ، الذي كُنْتَ تُمَجِّدُني به في الدُّنيا. فيقول: وكيف وقد سُلِبْتُه؟ فيقولُ: إنِّي أرُدُّه عليكَ اليومَ. قال: فيرفعُ داودُ بصوتٍ يَسْتَفْرِغُ نعيمَ أهلِ الجنانِ.

قوله تعالى: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦] هذا خطابٌ من اللَّه تعالىٰ مع داودَ، والمرادُ: وُلاةُ الأمورِ وحُكامُ الناسِ، وأمرُهم بالعدْلِ واتِّباعِ الحقِّ المُنَزَّلِ من اللَّهِ لا ما سواه من الآراءِ والأهواءِ، وتوعَّدُ من سَلَكَ غيرَ ذلك وحكَمَ بغيرِ ذلك، وقد كان داودُ عليه السلام هو المُقْتَدَىٰ به في ذلك الزمان، في العَدْلِ وكثرةِ العبادةِ وأنواعِ القُرُباتِ، حتَّىٰ إنَّهُ كان لا تَمْضِي ساعةٌ من آناءِ الليلِ وأطرافِ النَّهارِ إلا وأهلُ بيتِه في عبادةٍ ليلاً ونهارًا، كما قال تعالىٰ: ﴿ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣]. قال أبو بكرٍ ابنُ أبي الدُّنيا (٤): حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بن بسَّامٍ، حدَّثنا صالحٌ المُرِّيُّ، عن أبي عِمرانَ الجَوْنَيِّ، عن أبي الجَلْد، قال: قرأتُ في مسألةِ داودَ عليه السلام، أنه قال: يا ربِّ كيف لي أن أشْكُرَك وأنا لا أصلُ إلىٰ شُكْرِك إلا بنعمتِك؟ قال: فأتاهُ الوَحْيُ: أنْ يا داودُ أليس تعلمُ أنَّ الذي بك من النِّعَمِ منِّي؟ قال: بلىٰ يا ربِّ. قال: فإنِّي أرضىٰ بذلك منكَ.

وقال البيهقيُّ:(٥) أخبرنا أبوعبدِ اللَّهِ الحافظُ، أنبأنا أبو بكرِ بنُ بالَوَيْهِ، حدَّثنا محمدُ بنُ يونُسَ

---

(١) **صحيح**: مسلم (٤٦٩٨) النسائي (٨/ ٢٢١).
(٢) **ضعيف**: المسند (٣/ ٢٢)، والترمذي (١٣٢٩) فيه عطية العوفي ضعيف.
(٣) **ضعيف**: ابن أبي حاتم (١٨٣٤٨) فيه سيار بن حاتم في حفظه ضعف.
(٤) **ضعيف**: في كتاب الشكر (٥) فيه صالح المري ضعيف.
(٥) **منكر**: الشعب (٤٤١٦) فيه متهم وهو محمد بن يونس.

القُرَشيُّ، حدثنا روحُ بنُ عُبادَةَ، حدثني عبدُ اللَّه بنُ لاحقٍ، عن ابن شهاب قال: قال داودُ: الحمدُ للَّه كما يَنْبَغي لكَرَم وَجْهِه، وعزِّ جلاله. فأوْحَى اللَّهُ إليه: إنَّكَ أتْعَبْتَ الحَفَظَةَ يا داودُ. ورواهُ أبو بكر ابنُ أبي الدُّنيا[1] ، عن عليِّ بن الجَعْد، عن الثَّوْريِّ مثْلَهُ.

وقال عبدُ اللَّه بنُ المبارَك في كتاب «الزهد»[2] : أنبأنا سُفيانُ الثَّوْريُّ، عن رجلٍ، عن وهب بن مُنَبِّه قال: إنَّ في حكْمَة آل داودَ حقٌّ على العاقل أن لا يَغْفُلَ عن أربع ساعات؛ ساعةٌ يُناجي فيها ربَّهُ، وساعةٌ يُحاسبُ فيها نفسَهُ، وساعةٌ يُفْضي فيها إلى إخوانه الذين يُخْبرُونَهُ بعُيُوبه ويَصْدُقُونَهُ عن نفسه، وساعةٌ يُخَلِّي بين نَفْسه وبين لَذَّاتها فيما يَحلُّ ويَجْمُلُ؛ فإنَّ هذه الساعةَ عونٌ على هذه الساعات وإجْمامٌ للقلوب، وحقٌّ على العاقل أنْ يعرفَ زمانَهُ، ويحفظَ لسانَهُ، ويُقْبلَ على شأنه، وحقٌّ على العاقل أنْ لا يَظْعَنَ إلا في إحدى ثلاث: زادٌ لمَعاده، ومَرَمَّةٌ لمعاشه، ولَذَّةٌ في غير مُحَرَّم.

وقد رواهُ أبو بكر ابنُ أبي الدُّنيا[3] ، عن أبي بكر بن أبي خيثَمَةَ، عن ابن مهديٍّ، عن سُفيانَ، عن أبي الأغَرِّ، عن وهب بن مُنَبِّه، فذَكَرَهُ. ورواهُ أيضًا عن عليِّ بن الجَعْد، عن عُمَرَ بن الهَيْثَم الرَّقَاشيِّ، عن أبي الأغَرِّ، عن وهب بن مُنَبِّه، فذَكَرَهُ. وأبو الأغَرِّ هذا، هو الذي أبْهَمَهُ ابنُ المبارَك[4] في روايته. قاله ابنُ عساكر[5] .

وقال عبدُ الرزَّاق: أنبأنا بِشْرُ بنُ رافع، حدثنا شيخٌ من أهل صنْعاءَ يُقالُ له: أبو عبد اللَّه. قال: سمعتُ وَهْبَ بنَ مُنَبِّه، فذَكَرَ مثْلَهُ.

وقد روى الحافظُ ابنُ عساكر[6] في ترجمة داودَ عليه السلامُ، أشياءَ كثيرةً مليحةً، منها قولُهُ: كُنْ لليتيم كالأب الرَّحيم، واعلمْ أنَّك كما تزرعُ كذلك تَحْصُدُ. ورُويَ بسند غريب مرفوعًا، قال داود: يا زارعَ السَّيئات، أنتَ تحصُدُ شَوْكَها وحَسَكَها. وعن داودَ عليه السلامُ أنَّه قال: مثلُ الخطيب الأحمَق في نادي القوم، كَمَثَل المُغَنِّي عند رأس الميِّت. وقال أيضًا: ما أقْبَحَ الفقرَ بعدَ الغنَى، وأقبحُ من ذلك الضَّلالةُ بعدَ الهُدَى. وقال: انظرْ ما تكرهُ أنْ يُذْكَرَ عنك في نادي القوم، فلا تَفْعَلْهُ إذا خلوتَ. وقال: لا تَعِدَنَّ أخاك بما لا تُنْجِزهُ له، فإن ذلك عداوةٌ ما بينكَ وبينَهُ.

وقال محمدُ بن سعد[7] : أنبأنا محمدُ بنُ عمرَ الواقديُّ، حدثني هشامُ بنُ سعد، عن عمرَ مولَى غُفْرةَ، قال: قالتْ يَهُودُ لمَّا رأتْ رسولَ اللَّه ﷺ يَتَزَوَّجُ النِّساءَ: انظروا إلى هذا الذي لا يشبعُ من الطعام، ولا واللَّه ما له همَّةٌ إلاَّ إلى النِّساء. حَسَدُوه لكثرة نسائه، وعابُوه بذلك، فقالوا: لو كان نبيًا ما رَغبَ في النِّساء. وكان أشدَّهُم في ذلك حُيَيُّ بنُ أخطَبَ، فأكْذَبَهُمُ اللَّهُ وأخبرَهم بفضل اللَّه وسَعَته على نبيِّه، صلواتُ اللَّه عليه وسلامُه، فقال: ﴿ أم يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ من فَضْله ﴾

---

(١) صحيح: الشكر (٣٧) صحيح إلى الثوري.

(٢) ضعيف إلى: وهب الزهد له (٣١٣) فيه مبهم.

(٣) ابن أبي الدنيا في العقل وفضله (٣٠).

(٤) الزهد له (١٠٥، ١٠٦).

(٥) سنده لا بأس به: «تاريخ دمشق» (١٧/ ٩٩).

(٦) «تاريخ دمشق» (١٧/ ٨٠ـ ١٠٩).

(٧) ضعيف جدًا: «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٦٣) فيه محمد بن عمر الواقدي. متروك.

[النساء: ٥٤] يعني بالناس: رسولَ اللَّه ﷺ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤] يعني ما آتى اللَّهُ سُليمانَ بنَ داودَ، كانت له ألفُ امرأةٍ؛ سبعُمائةٍ مَهيرةٌ وثلثُمائةٍ سُرِّيَّةٌ. وكانت لداودَ عليه السلامُ مائةُ امرأةٍ، منهنَّ امرأةُ أوريا أمُّ سليمانَ بنِ داودَ، التي تزوَّجها بعدَ الفتنة، هذا أكثرُ ممَّا لمحمد ﷺ. وقد ذَكَرَ الكلبيُّ نحوَ هذا، وأنَّهُ كان لداودَ عليه السلامُ مائةُ امرأةٍ، ولسليمانَ ألفُ امرأةٍ، منهنَّ ثلثُمائةٍ سُرِّيَّةٌ.

وروَى الحافظُ[1] في «تاريخه»، في ترجمة صدقَةَ الدِّمَشْقيِّ الذي يروي عن ابن عبَّاسٍ، من طريقِ الفرَجِ بن فَضَالَةَ الحِمْصي، عن أبي هُريرة الحِمْصي، عن صَدَقَةَ الدِّمشقيِّ، أنَّ رجلاً سألَ ابنَ عباسٍ عن الصِّيام، فقال: لأحدِّثنَّكَ بحديثٍ كان عندي في التَّخْت مخزونًا، إن شئتَ أنبأتُكَ بصومِ داودَ؛ فإنَّه كانَ صوَّامًا قوَّامًا، وكان شُجاعًا لا يفرُّ إذا لاقَى، وكان يصومُ يومًا ويُفطرُ يومًا، وقال رسولُ اللَّه ﷺ: «أفضلُ الصيامِ صيامُ داود» وكان يقرأُ الزَّبورَ بسَبْعينَ صوتًا يُلَوِّنُ فيها، وكانتْ له ركعةٌ من الليلِ يُبْكي فيها نَفْسَهُ، ويُبْكي بِبُكائه كلُّ شيء، ويَطْرَبُ بصوتِه المهمومُ والمحمومُ. وإن شئتَ أنبأتُكَ بصومِ ابنِه سُليمانَ؛ فإنَّهُ كان يصومُ من أول الشهرِ ثلاثةَ أيام، ومن وسَطه ثلاثةَ أيام، ومن آخرِه ثلاثةَ أيام، يَسْتفْتِحُ الشهرَ بصيامٍ، ووسَطَه بصيامٍ، ويَخْتِمُهُ بصيامٍ. وإنْ شئْتَ أنبأتُكَ بصومِ ابنِ العذراءِ البَتُولِ عيسَى ابنِ مريمَ؛ فإنَّهُ كانَ يصومُ الدَّهْرَ ويأكلُ الشَّعيرَ ويَلْبَسُ الشَّعْرَ، يأكُلُ ما وَجَدَ ولا يسألُ عمَّا فَقَدَ، ليس له ولدٌ يموتُ ولا بيتٌ يَخْرَبُ، وكان أينما أدركَهُ الليلُ صفَن بينَ قَدميْه، وقام يُصلِّي حتَّى يُصبحَ، وكان راميًا لا يفُوتُهُ صيدٌ يُريدُهُ، وكان يَمُرُّ بمجالسِ بني إسرائيلَ فيَقْضي لهم حوائجَهُم. وإن شئتَ أنبأتُكَ بصومِ أُمِّهِ مريمَ بنت عمرانَ؛ فإنَّهَا كانتْ تصومُ يومًا وتُفْطرُ يومين. وإن شئتَ أنبأتُكَ بصومِ النبيِّ العربيِّ الأُمِّيِّ محمدٍ ﷺ؛ فإنَّهُ كان يَصُومُ من كلِّ شهرٍ ثلاثةَ أيامٍ ويقولُ: «إنَّ ذلكَ صَوْمُ الدَّهْرِ».

وقد روَى نحوَهُ الإمامُ أحمدُ[2]، عن أبي النَّضْرِ، عن فَرَجِ بنِ فَضَالَة، عن أبي هَرِم، عن صَدَقَةَ، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا في صومِ داودَ.

ذكر كمية حياته وكيفية وفاته عليه السلام

قد تقدَّمَ في ذكرِ الأحاديثِ الواردةِ في خلقِ آدمَ، أنَّ اللَّهَ استخرجَ ذُرِّيَّتَهُ من ظَهْرِه، فرأَى فيهمُ الأنبياءَ عليهم السلامُ، ورأى فيهم رجلاً يَزْهَرُ، فقال: «أيْ ربِّ، مَنْ هذا؟ قال: هذا ابنُكَ داودُ، قال: أي ربِّ، كم عُمُرُهُ؟ قال: ستونَ عامًا. قال: أي ربِّ، زِدْ في عُمُره. قال: لا، إلا أن أزيدَهُ من عُمُركَ. وكان عُمُرُ آدمَ ألفَ عام، فزادَهُ أربعينَ عامًا، فلمَّا انقَضَى عمرُ آدمَ جاءَهُ مَلَكُ الموت، فقال: بَقِيَ من عُمُري أربعونَ سنةً. ونَسِيَ آدمُ ما كان وَهَبَهُ لولدِه داودَ، فأتمَّها اللَّهُ لآدمَ ألفَ سنة، ولداودَ مائةَ سنة»

(١) صحيح بشواهده: ابن عساكر «تاريخ دمشق» (٢٤/ ٤٧) وصدقه الدمشقي لم يذكر ابن عساكر فيه جرحًا ولا تعديلاً.
(٢) ضعيف الإسناد: المسند (١/ ٣١٤) لضعف الفرج بن فضالة، وأبو هرم مجهول.

رواه أحمدُ عن ابنِ عباسٍ، والتِّرمذيُّ وصححَّه عن أبي هريرةَ، وابن خُزيمةَ، وابنُ حبَّانَ، وقال الحاكم: على شرط مسلم. وقد تقدَّمَ ذكرُ طرقِه وألفاظِه في قصةِ آدم[1]. قال ابنُ جرير: وقد زَعَمَ بعضُ أهلِ الكتاب أنَّ عُمُرَ داودَ كان سبعًا وسبعينَ سنةً.

قُلتُ: هذا غلطٌ مردودٌ عليهم. قالوا: وكان مدةُ مُلْكِه أربعين سَنَةً، وهذا قد يُقبَلُ نَقْلُهُ؛ لأنَّه ليس عندنا ما يُنافيه، ولا ما يَقْتضيه.

وأمَّا وفاتُهُ عليه السلامُ، فقال الإمام أحمدُ[2] في «مسنده»: حدَّثنا قُتَيْبَةُ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ بن محمدٍ، عن عمرِو بن أبي عمرٍو، عن المُطَّلبِ، عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: **«كانَ داودُ النبيُّ فيه غَيْرَةٌ شديدةٌ، وكان إذا خرجَ أُغْلقَت الأبوابُ، فلَمْ يَدْخُلْ على أهله أحدٌ حتَّى يَرْجِعَ»** قال: **«فخرجَ ذاتَ يوم وغُلِّقَت الدارُ، فأقبلَت امرأتُهُ تَطَّلِعُ إلى الدار، فإذا رجلٌ قائمٌ وَسَطَ الدار، فقالتْ لمن في البيت: من أينَ دَخَلَ هذا الرجلُ والدارُ مُغْلَقَةٌ؟ واللَّه لتُفْتَضَحُنَّ بداود. فجاءَ داودُ، فإذا الرجلُ قائمٌ وَسطَ الدار، فقال له داودُ: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهابُ المُلوكَ ولا يَمْتَنِعُ منِّي شيءٌ. فقال داودُ: أنتَ واللَّه مَلَكُ الموت، فَمَرْحبًا بأمر اللَّه. فَرَمَلَ داودُ مكانَهُ حيثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ، حتَّى فَرَغَ مِنْ شأنه، وطَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ، فقال سُليمانُ للطيرِ: أظلِّي على داودَ. فأظلَّتْ عليه الطيرُ حتَّى أظلمتْ عليهما الأرضُ، فقال لها سُليمانُ: اقبضي جناحًا جناحًا»** قال أبو هريرة: يُرينا رسولُ اللَّه ﷺ كيفَ فَعَلَت الطيرُ. وقبضَ رسولُ اللَّه ﷺ بيده، **«وغَلَبَتْ عليه يومَئذ المَضْرَحيَّةُ»** انفَرَدَ بإخراجه الإمامُ أحمدُ، وإسنادُهُ جيِّدٌ قويٌّ؛ رجاله ثقاتٌ. ومعنى قوله: **«وغلبتْ عليه يومئذ المَضْرَحيَّةُ»** أي: وغلبت على التَّظْليلِ عليه المضرحيَّة، وهي الصُّقُورُ الطوالُ الأجْنحَة، واحدُها مَضْرَحِيٌّ، قال الجوهريُّ: وهو الصقرُ الطويلُ الجناح. وقال السُّدِّيُّ، عن أبي مالكٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: ماتَ داودُ عليه السلامُ فجأةً، وكان يُسْبِتُ، وكانت الطيرُ تُظلُّه. وقال السُّدِّيُّ أيضًا عن أبي مالك، وعن سعيدِ بن جُبيرٍ، قال: مات داودُ عليه السلام يومَ السبتِ فجأةً. وقال إسحاقُ بن بشرٍ، عن سعيدِ بن أبي عَرُوبَةَ، عن قتادة، عن الحسنِ، قال: مات داودُ عليه السلام وهو ابنُ مائة سنةٍ، ومات يومَ الأربعاءِ فجأةً، وقال أبو السَّكنِ الهَجَريُّ: مات إبراهيمُ الخليلُ فجأةً، وداودُ فجأةً، وابنُه سليمانُ فجأةً، صلواتُ اللَّه وسلامُهُ عليهم أجمعين. رواهُ ابنُ عساكرَ، وروى عن بعضهم: أنَّ مَلَكَ الموت جاءه وهو نازلٌ من محْرابِه، فقال له: دَعْني أنزلْ أو أصْعَدْ. فقال: يا نبيَّ اللَّه، قد نَفِدَت السِّنونَ والشهورُ والآثارُ والأرزاقُ. قال: فخرَّ ساجدًا على مَرْقاة من تلك المراقي، فقَبَضَهُ وهو ساجدٌ. وقال إسحاقُ ابنُ بشرٍ: أنبأنا وافرُ بنُ سليمانَ، عن أبي سُليمانَ الفلَسْطينيِّ، عن وهبِ بن منبِّهٍ قال: إنَّ الناسَ حَضَرُوا جنازةَ داودَ عليه السلامُ، فجلسوا في الشمسِ في يومٍ صائفٍ. قال: وكان قد شيَّعَ جنازَتَهُ

(١) سبق تخريجه والحكم عليه في قصة آدم.
(٢) منقطع: المسند (٢/ ٤١٩) المطلب بن عبد اللَّه بن حنطب لم يسمع من أبي هريرة.

يومئذٍ أربعونَ ألفَ راهبٍ، عليهم البَرانسُ، سوىٰ غيرِهم من الناسِ، ولم يَمُتْ في بني إسرائيلَ - بعدَ موسىٰ وهارونَ - أحدٌ كانت بنو إسرائيلَ أشدَّ جَزَعًا عليه منهم علىٰ داودَ. قال: فآذاهم الحرُّ فنادَوْا سليمانَ عليه السلام، أنْ يَعْجَلَ عليهم لما أصابَهم من الحرِّ، فخرجَ سُليمانُ فنادىٰ الطيرَ فأجابتْ فأمرَها فأظلَّتِ الناسَ، قال: فتراصَّ بعضُها إلىٰ بعضٍ من كلِّ وَجْهٍ، حتَّىٰ استمسكَت الريحُ، فكادَ الناسُ أن يَهْلِكُوا غمًّا فصاحُوا إلىٰ سليمان عليه السلامُ من الغمِّ، فخرجَ سليمانُ فنادىٰ الطيرَ؛ أن أظلِّي الناسَ من ناحيةِ الشمسِ، وتنحَّيْ عن ناحيةِ الريحِ. ففعلتْ، فكانَ الناسُ في ظلٍّ وتَهُبُّ عليهم الريحُ، فكان ذلك من أول ما رأوا من مُلك سليمانَ.

وقال الحافظُ أبو يعلى[1]: حدَّثنا أبو همَّامٍ الوليدُ بنُ شُجاعٍ، حدَّثني الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن الهَيْثَمِ ابنِ حُمَيْدٍ، عن الوَضينِ بنِ عطاءٍ، عن نصرِ بن علقَمَةَ، عن جُبيرِ بن نُفَيْرٍ، عن أبي الدرداءِ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَقَدْ قَبَضَ اللَّهُ داودَ من بين أصحابه ما فُتِنُوا ولا بَدَّلُوا، ولقد مَكَثَ أصحابُ المسيحِ على سُنَّتِه وهَدْيِه مائتَيْ سنة**» هذا حديثٌ غريبٌ، وفي رفعِه نَظَرٌ، والوضينُ بنُ عطاءٍ كان ضعيفًا في الحديثِ. واللَّهُ أَعْلَمُ.

قصة سُليمان بن داود عليهما السلام

قال الحافظُ ابنُ عساكر[2]: هو سليمانُ بنُ داودَ بنِ إيشا بنِ عُوَيدَ بنِ باعزَ بن سلمونَ بن نحشونَ بنِ عميناذب بنِ إرمَ بنِ حصرون، بنِ فارصَ بنِ يهودا بن يعقوبَ بن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ، أبو الرَّبيعِ، نبيُّ اللَّهِ، ابنُ نبيِّ اللَّهِ.

جاء في بعضِ الآثارِ أنَّه دخلَ دِمَشْقَ. قال ابنُ ماكُولا: فارصُ بالصادِ المهملة، وذكرَ نسبَهُ قريبًا مما ذكرَهُ ابن عساكرَ. قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿ **وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ** ﴾ [النمل: ١٦] أي: وَرِثَهُ في النُّبُوَّةِ والمُلْكِ. وليس المرادُ وِراثَةَ المالِ لأنَّه قد كان له بنونَ غيرُهُ، فما كان لِيُخَصَّ بالمالِ دونَهُم. ولأنَّه قد ثَبَت في «الصحاح» من غيرِ وجهٍ، عن جماعةٍ من الصَّحابَةِ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**لا نُورَثُ، ما تَرَكْنا فهو صدقةٌ**»[3] وفي لفظٍ: «**إنَّا معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ**»[4]. فأخبرَ الصادقُ المصدوقُ أنَّ الأنبياءَ لا تُورَثُ أموالُهم عنهم

---

(١) **ضعيف كما قال الحافظ**: لم أقف عليه في مسند أبي يعلى، ورواه ابن حبان (٦٢٣٦) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٦٩) و(٧/ ٨٩) في ترجمة وضين بن عطاء. نقل كلام السعدي في وضين قال: واهي الحديث. والحديث فيه أيضًا عنعنة الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية...ونصر بن علقمة عن جبير بن نفيل مرسل قاله أبو حاتم في مراسيل ابنه (٢٢٦).

(٢) «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٣٠).

(٣) **متفق عليه**: البخاري (٦٧٢٧) مسلم (٤٥٥٥).

(٤) **قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١٠)**: وأما ما اشتهر في كتب أهل الأصول وغيرهم بلفظ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» فقد أنكر جماعة من الأئمة وهو كذلك بالنسبة لخصوص لفظ «نحن» لكن أخرجه النسائي من طريق ابن عيينة عن أبي الزناد بلفظ: «إنا معاشر الأنبياء لا نورث» من رواية محمد بن منصور عن ابن عيينة عنه ـ الكبرى (٦٣٠٩) ـ وهو كذلك في مسند الحميدي عن ابن عيينة وهو من أتقن أصحاب ابن عيينة فيه.

كما يُورَثُ غيرهم، بل تكونُ أموالُهم صدقةً من بعدِهم على الفقراء والمحاويج، لا يَخُصُّونَ بها أقرِباءَهم؛ لأنَّ الدُّنيا كانت أهونَ عليهم وأحقرَ عندهم من ذلك، كما هي عندَ الذي أرسلَهم واصطفاهُم وفَضَّلَهم، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾؛ يعني: أنَّه عليه السلامُ كان يعرِفُ ما تَتَخَاطَبُ به الطُّيورُ بِلُغاتِها، ويُعَبِّرُ للناسِ عن مقاصِدِها وإراداتِها.

وقد قالَ الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهَقيُّ: أنبأنَا أبو عبدِ اللَّه الحافظُ، أنبأنَا عليُّ بن حَمْشَاذَ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ قُتَيْبَةَ، حدَّثنا عليُّ بنُ قُدامةَ، حدَّثنا أبو جعفرٍ الأُسْوانِيُّ - يعني محمدَ بنَ عبد الرحمنِ - عن يعقوبَ القُمِّيِّ، حدَّثني أبو مالكٍ، قال: مرَّ سُليمانُ بنُ داودَ بعُصْفُورٍ يدورُ حولَ عُصفورةٍ، فقال لأصحابِه: أتدرُون ما يقولُ؟ قالوا: وما يقولُ يا نبيَّ اللَّه؟ قال: يخطُبُها إلى نفسه، ويقولُ: زَوِّجيني أُسْكِنْكِ أَيَّ غُرَفِ دِمَشْقَ شِئْتِ. قال سليمانُ عليه السلامُ: لأنَّ غُرَفَ دمشقَ مبنيَّةٌ بالصَّخْرِ لا يقدرُ أنْ يسْكُنَها أحدٌ، ولكنْ كلُّ خاطبٍ كذَّابٌ. رواه ابنُ عساكرَ[1] عن أبي القاسمِ زاهرِ بن طاهرٍ، عن البيهقيِّ به. وكذلك ما عداها من الحيواناتِ وسائرِ صنوفِ المخلوقاتِ؛ والدليلُ على هذا قولُه بعدَ هذا من الآياتِ: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي؛ من كلِّ ما يحتاجُ المَلِكُ إليه؛ من العُدَدِ والآلاتِ، والجُنُودِ، والجيوشِ، والجماعاتِ، من الجنِّ والإنسِ والطيورِ، والوحوشِ والشياطينِ السارحاتِ، والعلومِ والفُهومِ، والتعبيرِ عن ضمائرِ المخلوقاتِ من النَّاطقاتِ والصَّامتاتِ. ثم قال: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ أي: من بارئ البَرِيَّاتِ وخالقِ الأرضِ والسمواتِ، كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل: ١٧ - ١٩] يُخبِرُ تعالى عن عبدِه ونبيِّه وابن نبيِّه سُلَيمانَ بنِ داودَ عليهما الصلاة والسلامُ، أنَّه ركِبَ يومًا في جَيْشِه جميعه من الجنِّ والإنسِ والطيرِ؛ فالجنُّ والإنسُ يسيرونَ معه، والطيرُ سائرةٌ معه تُظلُّه بأجنحتِها من الحرِّ وغيره، وعلى كلٍّ من هذه الجيوشِ الثلاثةِ وَزَعَةٌ؛ أي: نُقَباءُ يَرُدُّون أوَّلَهُ على آخرِه، فلا يتقدَّمُ أحدٌ عن موضعه الذي يَسيرُ فيه ولا يتأخَّرُ عنه، قال اللَّهُ تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ فأَمَرَتْ، وَحَذَّرَتْ، واعْتَذَرَتْ عن سليمانَ وجنودِه بعَدَمِ الشُّعورِ. وقد ذَكَرَ وَهْبٌ[2] أنَّه مرَّ وهو على البِساطِ بوادٍ بالطائفِ، وأنَّ هذه النملةَ كان اسمُها «جرسَ»، وكانت من قبيلةٍ يُقالُ لهم: بنو الشَّيْصَبانِ، وكانت عَرْجَاءَ، وكانتْ بقَدْرِ الذِّئبِ. وفي هذا كلِّه نظرٌ، بل في هذا السِّياقِ دليلٌ على أنَّهُ كان في مَوْكِبِه راكبًا في خُيولِه وفرسانِه، لا كما زَعَمَ بعضُهم من أنَّه كان إذ

(١) ضعيف: «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٣٢) فيه يعقوب القمي ضعيف وعلي بن قدامة ضعيف.

(٢) موضوع: رواه ابن عساكر «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٦٥) فيه إسحاق بن بشر متهم بالكذب.

ذاك علىٰ البِسَاطِ؛ لأنَّهُ لو كان كذلك لم يَنَلِ النملَ منه شَيْءٌ ولا وَطْءٌ؛ لأنَّ البِساطَ كان عليه جميعُ ما يحتاجُون إليه مِن الجيوشِ والخُيولِ والجِمالِ والأَثْقالِ والخيامِ والأنعامِ، والطَّيْرُ مِن فوقِ ذلك كلِّه، كما سنُبيِّنه بعدَ ذلك، إنْ شاءَ اللَّهُ تعالىٰ.

والمقصودُ أنَّ سُليمانَ عليه السلامُ، فَهِمَ ما خاطبَتْ به تلك النملةُ لأُمَّتِها من الرَّأيِ السَّديدِ والأمرِ الحميدِ، وتبسَّمَ من ذلك علىٰ وَجْهِ الاستبشارِ والفَرَحِ والسُّرورِ بما أطْلَعَهُ اللَّهُ عليه دونَ غيره، وليس كما يقولُهُ بعضُ الجَهَلَةِ، من أنَّ الدوابَّ كانت تَنْطِقُ قبلَ سليمانَ، وتُخاطِبُ الناسَ، حتَّىٰ أخذَ عليهم سليمانُ بنُ داودَ العهدَ وألْجَمَها، فلم تَتَكلَّمْ مع الناسِ بعدَ ذلك فإنَّ هذا لا يقولُهُ إلا الذين لا يعلمونَ، ولو كان هذا هكذا لم يَكُنْ لسليمانَ في فَهْمِ لُغاتِها مَزِيَّةٌ علىٰ غيرِهِ؛ إذ كان الناسُ كلُّهم يَفْهَمُون ذلك، ولو كان قد أَخَذَ عليها العهدَ أن لا تتكلَّمَ مع غيرِهِ، وكان هو يفْهَمُها، لم يكنْ في هذا أيضًا فائدةٌ يُعوَّلُ عليها، ولهذا قال: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي ﴾ أي: ألهِمْني وأرشِدْني ﴿ **أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ فَطَلَبَ من اللَّهِ أنْ يُقَيِّضَهُ للشكرِ علىٰ ما أنعمَ به عليه، وعلىٰ ما خصَّهُ به من المَزِيَّةِ علىٰ غيرِهِ، وأنْ يُيَسِّرَ عليه العملَ الصَّالحَ، وأنْ يَحْشُرَهُ إذا توَفَّاهُ مع عبادِهِ الصالحينَ، وقد استجابَ اللَّهُ تعالىٰ له، والمرادُ بوالدَيْهِ داودُ عليه السلامُ، وأمُّه، وكانت من العابدات الصالحات كما قال سُنَيْدُ بنُ داودَ، عن يوسفَ بنِ محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ، عن أبيه، عن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**قالتْ أمُّ سُليمانَ ابنِ داودَ: يا بُنَيَّ لا تُكثِرِ النَّوْمَ بالليلِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ النومِ باللَّيلِ تَدَعُ العَبْدَ فقيرًا يومَ القيامَةِ**» رواه ابنُ ماجَهْ[1] عن أربعةٍ من مشايخِهِ، عنه به نحوَهُ. وقال عبدُ الرَّزَّاقِ[2]، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهْرِيِّ: إنَّ سُليمانَ بنَ داودَ عليه السلامُ، خَرَجَ هو وأصحابُهُ يَسْتَسْقُونَ، فرأَىٰ نملةً قائمةً رافعةً إحدىٰ قوائمِها تستَسْقي، فقال لأصحابِهِ: ارْجِعوا فقد سُقِيتُم، إنَّ هذه النَّملةَ اسْتَسْقَتْ فاستُجيبَ لها. قال ابنُ عساكرَ[3]: وقد رُوِيَ مرفوعًا ولم يُذْكَرْ فيه سليمانُ. ثم ساقَهُ من طريقِ محمدِ بنِ عُزَيْزٍ، عن سلامَةَ بن رَوْحِ بنِ خالدٍ، عن عُقَيْلٍ، عن ابنِ شِهابٍ، حدَّثَني أبو سَلَمَةَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، أنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «**خَرَجَ نبيٌّ من الأنبياء بالنَّاسِ يَسْتَسْقُونَ اللَّهَ، فإذا هُمْ بِنَمْلَةٍ رَافِعَةٍ بَعْضَ قوائمِها إلى السَّماءِ، فقال النبيُّ: ارْجِعُوا فَقَدِ اسْتُجِيبَ لكُمْ من أجلِ هذه النَّمْلَةِ**».

وقال السُّدِّيُّ: أَصابَ الناسَ قَحْطٌ علىٰ عهدِ سُليمانَ عليه السلامُ، فأمرَ الناسَ فخَرَجُوا، فإذا بنملةٍ قائمةٍ علىٰ رِجْلَيْها، باسطةٍ يَدَيْها وهي تقولُ: اللَّهُمَّ إنَّا خلْقٌ من خَلْقِك، ولا غَنَاءَ بنا عن فَضْلِكَ. قال: فَصَبَّ اللَّهُ عليهمُ المَطَرَ».

---

(١) **ضعيف**: ابن ماجه (١٣٣٢) فيه سنيد ضعيف. ويوسف بن محمد بن المنكدر ضعيف.

(٢) **صحيح الإسناد إلى الزهري**: المصنف (٤٩٢١).

(٣) **ضعيف**: رواه ابن عساكر «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٨٨) فيه محمد بن عزيز ضعيف وسلامة بن روح كذلك وقيل: لم يسمع من عقيل.

قال تعالى: ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ (٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٦) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ** ﴾ [النمل: ٢٠-٣٧] يذكرُ تَعالَىٰ ما كانَ من أمرِ سُليمانَ والهُدْهُدِ؛ وذلك أنَّ الطيورَ كانَ علىٰ كلِّ صِنْفٍ منها مُقَدَّمونَ يَقُومُونَ بما يُطْلَبُ منهم، ويَحْضُرُونَ عنده بالنَّوْبَةِ، كما هي عادةُ الجنودِ مع الْمُلوكِ، وكانت وظيفةُ الهدهد علىٰ ما ذَكَرَهُ ابنُ عباسٍ[1] وغيرُهُ أنَّهم كانوا إذا أعْوَزُوا الماءَ في القِفَارِ، في حالِ الأسفارِ، يَجيءُ فَيَنْظُرُ لهم هل بهذه البِقاعِ من ماءٍ، وفيه من القوَّةِ التي أودَعَها اللَّهُ تعالىٰ فيه، أنْ يَنْظُرَ إلىٰ الماءِ تحتَ تُخُومِ الأرضِ، فإذا دَلَّهُم عليه، حَفَروا عنه واستَنْبَطُوه وأَخْرَجُوهُ، واستَعْمَلُوه لحاجَتِهم، فلمَّا تَطَلَّبَهُ سُليمانُ، عليه السَّلامُ، ذاتَ يومٍ، فَقَدَهُ ولم يَجِدْه في مَوْضِعِه مَحَلِّ خِدْمَتِه ﴿ **فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ** ﴾ أي: ما له! أَمَفقودٌ من هاهنا، أو قد غابَ عن بَصَرِي، فلا أراه بحَضْرَتي؟ ﴿ **لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا** ﴾، تَوَعَّدَهُ بنوعٍ من العذابِ اخْتَلَفَ الْمُفسِّرون فيه، والمقصودُ حاصِلٌ علىٰ كلِّ تَقْديرٍ. ﴿ **أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ أي: بحُجَّةٍ تُنْجِيه من هذه الوَرْطَةِ. قال اللَّهُ تعالَىٰ: ﴿ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ** ﴾ أي: فغاب الهُدْهُدُ غيبةً ليستْ بطويلةٍ، ثم قَدِمَ منها ﴿ **فَقَالَ** ﴾ لسُليمانَ: ﴿ **أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ** ﴾ أي: اطَّلَعْتُ علىٰ ما لم تَطَّلِعْ عليه ﴿ **وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾ أي: بخبرٍ صادقٍ ﴿ **إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾ يذكُرُ ما كان عليه مُلُوكُ سبأ في بلادِ اليمنِ من المملكةِ العظيمةِ والتَّبابعةِ الْمُتَوَّجِينَ، وكان الْمُلكُ قد آلَ في ذلك الزمانِ إلىٰ امرأةٍ منهم ابنةِ مَلِكِهِم، لم يُخْلِفْ غيرَها، فَمَلَّكُوها عليهم.

---

(١) صحيح: رواه ابن جرير «التاريخ» (١/ ٢٨٩) من طريق مجاهد عنه وفي «التفسير» (١١/ الجزء ١٩/ ١٤٤) من طريق الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير عنه. ومن طريق العوفي عنه. ومن طريق أبي مجلز عنه عن عبد اللَّه بن سلام.

وذَكَرَ الثَّعْلَبِيُّ(١) وغيرُهُ، أنَّ قَوْمَها مَلَكُوا عليهم بعدَ أبيها رجلاً فعمَّ به الفسادُ، فأَرْسَلَتْ إليه تَخْطُبُه فتزَوَّجَها، فلمَّا دَخَلَتْ عليه سَقَتْهُ خمرًا ثمَّ حَزَّتْ رأسَهُ ونَصَبَتْهُ على بابِها، فأقبلَ الناسُ عليها ومَلَّكُوها عليهم. وهي بَلْقيسُ بنتُ البشرخ، وهو الهَدْهادُ. وقيل: شَرَاحيلُ بنُ ذي جَدَنٍ بنِ البشرخِ ابن الحارثِ بن قيسِ بن صَيْفيِّ بن سبأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قحطانَ. وكان أبوها من أكابرِ المُلوك، وكان قد تأبَّى أنْ يتزَوَّجَ من أهلِ اليمنِ، فيُقالُ: إنَّهُ تزوَّجَ بامرأةٍ من الجنِّ، اسمُها رَيْحَانَةُ بنتُ الشكرِ، فولَدَتْ لهُ هذه المرأةَ، واسمُها بَلْعَمَةُ، ويُقالُ لها: بَلْقيسُ.

وقد روَى الثَّعْلَبِيُّ من طريقِ سعيدِ بن بشيرٍ(٢)، عن قتادةَ، عن النَّضْرِ بنِ أنسٍ، عن بَشِيرِ بن نَهيكٍ، عن أبي هُريرَةَ عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «**كَانَ أحدُ أَبَوَيْ بَلْقيسَ جنِّيًا**» وهذا حديثٌ غريبٌ، وفي سنده ضعفٌ.

وقال الثَّعْلَبِيُّ(٣): أخبرني أبو عبد اللَّه بن قبحونةَ، حدَّثنا أبو بكرٍ بنُ جُرْجَةَ، حدَّثنا ابنُ أبي الليث، حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ، حدثنا أبو مُعاويةَ، عن إسماعيلَ بنِ مسلمٍ، عن الحسنِ، عن أبي بَكْرَةَ قال: ذُكِرَتْ بَلْقيسُ عندَ رسولِ اللَّه ﷺ فقال: «**لا يُفْلِحُ قومٌ ولَّوْا أَمْرَهُمُ امرأةً**»(٤) إسماعيلُ بن مسلمٍ هذا هو المَكِّيُّ، ضعيفٌ.

وقد ثَبَتَ في «صحيح البُخاريِّ»، من حديثِ عوفٍ، عن الحسنِ، عن أبي بَكْرَةَ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لمَّا بلغَهُ أنَّ أهلَ فارسَ مَلَّكُوا عليهم ابنةَ كِسْرَى، قال: «**لَنْ يُفْلِحَ قومٌ ولَّوْا أَمْرَهُمُ امرأةً**» ورواهُ الترمذيُّ والنَّسائيُّ من حديث حُمَيْدٍ، عن الحسنِ، عن أبي بَكْرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ، وقال التِّرْمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ. وقولُهُ: ﴿**وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ**﴾ أي: ممَّا من شأنه أن تُؤْتاهُ الملوكُ ﴿**وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ يعني: سريرَ مَمْلَكَتِها، كان مُزَخْرَفًا بأنواعِ الجواهرِ واللآلئِ والذهبِ والحُليِّ الباهرِ. ثم ذَكَرَ كُفْرَهم باللَّه وعبادَتَهم الشمسَ من دون اللَّه، وإضلالَ الشيطان لهم وصدَّهُ إيَّاهم عن عبادة اللَّه وحدَهُ لا شريكَ له ﴿**الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾ أي: يعلمُ السرائرَ والظواهرَ من المحسوسات والمعنويَّات ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ أي: له العرشُ العظيمُ، الذي لا أعظمَ منه في المخلوقات. فعند ذلك بعثَ معهُ سليمانُ عليه السلام كتابَهُ يتضمَّنُ دعوتَهُ لهم إلى طاعة اللَّه وطاعة رسوله، والإنابة والإذعان إلى الدُّخول في الخُضوع لِمُلكه وسُلطانه؛ ولهذا قال لهم: ﴿**أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ**﴾ أي: لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري ﴿**وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ أي: واقْدَمُوا عليَّ سامعينَ مُطيعينَ بلا مُعاوَدَةٍ ولا مُراوَدَةٍ، فلمَّا جاءَها الكتابُ مع الطيرِ، ومِنْ ثَمَّ

---

(١) «عرائس المجالس» قصة سليمان.

(٢) **ضعيف**: رواه ابن جرير (١١/ الجزء ١٩/ ١٦٩) من نفس الطريق وهو ضعيف فيه الوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن وسعيد بن بشير ضعيف.

(٣) «عرائس المجالس».

(٤) **صحيح**: البخاري (٤٤٢٥)، الترمذي (٢٢٦٢) النسائي (٨/ ٢٢٧).

اتَّخَذَ الناسُ البَطائِقَ، ولكنْ أينَ الثُّرَيَّا من الثَّرَىٰ؟! تلك البطاقةُ كانت مع طائرٍ سامعٍ مُطيعٍ فاهمٍ، عالمٍ بما يقولُ ويُقالُ له؛ فَذَكَرَ غيرُ واحدٍ من المفسرينَ وغيرِهم، أنَّهَ الهدهدَ حملَ الكتابَ وجاءَ إلىٰ قَصْرِها فألقاهُ إليها وهي في خَلْوةٍ لها، ثم وقَفَ ناحيةً ينتظرُ ما يكونُ من جوابِها عن كتابها، فجمعتْ أمراءَها ووُزراءَها وأكابرَ دولتِها وأُولي مشُورَتِها ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ ثم قرأتْ عليهم عُنوانَهُ أولاً ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ﴾ ثم قرأته: ﴿وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ثُمَّ شاورَتْهُم في أمرِها وما قد حلَّ بها وتَأَدَّبتْ معهم، وخاطبتهم وهم يسمعونَ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ تعني: ما كنتُ لأَبُتَّ أمرًا إلا وأنتم حاضرون ﴿قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ يعنُونَ: لنا قُوَّةٌ وقدرةٌ علىٰ الجلادِ والقتالِ ومُقاوَمَةِ الأبطالِ، فإنْ أردت منَّا ذلك، فإنّا عليه من القادِرِينَ ﴿و﴾ مع هذا ﴿الأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فَبَذَلُوا لها السَّمْعَ والطَّاعَةَ، وأخبروها بما عندَهم من الاستطاعةِ، وفَوَّضُوا إليها في ذلك الأمرَ؛ لترَىٰ فيه ما هو الأرشَدُ لها ولهم، فكان رأيُها أتمَّ وأسَدَّ من رأيهم، وعَلِمَتْ أنَّ صاحبَ هذا الكتاب، لا يُغالَبُ ولا يُمانَعُ ولا يُخالَفُ ولا يُخادَعُ ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ تقولُ برأيها السديد: إنَّ هذا الملكَ، لو قد غَلَبَ علىٰ هذه المملكة، لم يَخْلُصِ الأمرَ من بينكم إلا إليَّ، ولم تكُنِ الحدَّةُ الشَّديدةُ والسَّطْوَةُ البليغةُ إلا عليَّ ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ أرادتْ أنْ تُصانِعَ عن نَفْسِها وأهلِ مملكتِها بهَدِيَّةٍ تُرْسِلُها، وتُحَفٍ تَبْعَثُها، ولم تعلم أنَّ سُليمانَ عليه السلامُ لا يقبلُ منهم ـ والحالةُ هذه ـ صَرفًا ولا عَدْلاً؛ لأنهم كافرونَ، وهو وجنودُهُ عليهم قادِرُونَ، ولهذا ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ هذا وقد كانت تلك الهدايا مُشْتَمِلةً علىٰ أمورٍ عظيمةٍ، كما ذكرهُ المُفسِّرونَ، ثم قال لرسولِها إليه ووافِدِها الذي قَدِمَ عليه، والناسُ حاضرونَ يسمعون: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ يقول: ارجعْ بهديَّتِكَ التي قَدِمتَ بها، إلىٰ مَنْ قد منَّ بها، فإنَّ عندي ممَّا قد أنعمَ اللَّهُ عليَّ وأسداهُ إليَّ، من الأموالِ والتُّحَفِ والرِّجالِ، ما هو أضعافُ هذا وخيرٌ من هذا الذي أنتم تفرحونَ به، وتفخرونَ علىٰ أبناءِ جنسِكم بسببِهِ. ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَّ قِبَلَ لَهُم بِهَا﴾ أي: فلأبعثنَّ إليهم بجنودٍ لا يستطيعونَ دفاعَهم ولا نِزالَهم ولا مُمانَعَتَهم ولا قِتالَهم، ولأُخرجنَّهم من بلدِهم وحوزَتِهم ومعامَلَتِهم ودَوْلَتِهم أذِلَّةً ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ عليهم الصَّغارُ والعارُ والدَّمارُ. فلمَّا بلغَهم ذلك عن نبيِّ اللَّهِ، لم يَكُنْ لهم بُدٌّ من السَّمْعِ والطاعةِ، فبادَرُوا إلىٰ إجابَتِهِ في تلك الساعةِ، وأقْبَلُوا صُحْبَةَ الملكةِ أجمعينَ، سامعينَ مُطيعينَ خاضعينَ، فلمَّا سمعَ بقُدُومِهم عليه ووُفُودِهم إليه، قال لِمَنْ بينَ يديه مِمَّنْ هو مُسَخَّرٌ له من الجانِّ، ما قصَّهُ اللَّهُ عنه في القرآن: ﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ

الْكتَاب أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أَن يرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقرًّا عندَهُ قَالَ هَذَا من فَضْلِ رَبِّي ليَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لنَفْسه وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدي أَمْ تَكُونُ منَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قيلَ أَهَكَذَا عَرْشُك قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتينَا الْعلْمَ من قَبْلهَا وَكُنَّا مُسْلمينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ من دُونِ اللَّه إِنَّهَا كَانَتْ من قَوْمٍ كَافرِينَ (٤٣) قيلَ لَهَا ادْخُلي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٣٨ـ٤٤] لَمَّا طَلَبَ سُليمانُ من الجانِّ أنْ يُحْضِرُوا له عرشَ بَلْقيسَ، وهو سريرُ مملكتها الذي تَجْلِسُ عليه وقتَ حُكْمِها قبلَ قُدُومها عليه ﴿**قَالَ عفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أَن تَقُومَ من مَّقَامكَ**﴾ يعني: قبلَ أنْ يَنْقَضِيَ مَجْلِسُ حُكْمِكَ، وكان ـ فيما يُقالُ ـ من أوَّلِ النَّهارِ إلىٰ قُرَيْبِ الزوالِ يَتَصَدَّىٰ لُمهمَّاتِ بني إسرائيلَ وما لهم من الأشغالِ ﴿**وَإِنِّي عَلَيْه لَقَوِيٌّ أَمينٌ**﴾ أي: وإني لذو قوَّةٍ علىٰ إحضارِه إليك، وأمانةٍ علىٰ ما فيه من الجواهرِ النفيسة لديكَ ﴿**قَالَ الَّذي عندَهُ علْمٌ مِّنَ الْكتَابِ**﴾، المشهورُ أنَّهُ آصفُ بنُ برخيا، وهو ابنُ خالةِ سُليمانَ. وقيل: هو رجلٌ من مُؤمني الجان، كان فيما يُقالُ يحفَظُ الاسمَ الأعظمَ. وقيل: رجلٌ من بني إسرائيلَ، من عُلَمائِهم. وقيل: إنَّه سُليمانُ ـ وهذا غريبٌ جدًا ـ . وضَعَّفَهُ السُّهَيْليُّ بأنَّهُ لا يصحُّ في سياقِ الكلامِ. قال: وقد قيلَ فيه قولٌ رابعٌ، أنَّه جبريلُ. ﴿**أَنَا آتيكَ به قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ قيل: معناه قبلَ أن تبعثَ رسولاً إلىٰ أقصىٰ ما ينتهي إليه طَرْفُكَ من الأرضِ، ثم يعودَ إليك. وقيل: قبل أن يصلَ إليك أبعدُ من تراهُ من الناسِ. وقيلَ: قبلَ أنْ يَكِلَّ طرفُكَ إذا أدمتَ النظرَ به قبلَ أنْ تُطْبِقَ جَفْنَكَ. وقيل: قبل أنْ يرجعَ إليكَ طرفُكَ إذا نظرتَ به إلىٰ أبعدَ غايةٍ منكَ ثمَّ أغْمَضْتَهُ. وهذا أقربُ ما قيلَ. ﴿**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقرًّا عندَهُ**﴾ أي: فلمَّا رأىٰ عرشَ بَلْقيسَ مُستقرًا عندهُ في هذه المدَّة القريبة، من بلادِ اليمنِ إلىٰ بيت المقدسِ، في طرفَةِ عينٍ: ﴿**قَالَ هَذَا من فَضْلِ رَبِّي ليَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾ أي: هذا من فضل الله عليَّ وفضله علىٰ عبيدة، ليختبرهم علىٰ الشكر أو خلافه. ﴿**وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لنَفْسه**﴾ أي: إنما يعودُ نفعُ ذلك عليه. ﴿**وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾ أي: غنيٌّ عن شُكر الشاكرينَ، ولا يتضرَّرُ بكُفْرِ الكافرينَ. ثم أمرَ سُليمانُ عليه السلامُ أنْ يُغَيِّرَ حَلْيَ هذا العرشِ ويُنْكَّرَ لها؛ ليَخْتَبِرَ فَهْمَها وعقلَها، ولهذا قال: ﴿**نَنظُرْ أَتَهْتَدي أَمْ تَكُونُ منَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَتْ قيلَ أَهَكَذَا عَرْشُك قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ**﴾ وهذا من فِطْنَتِها وغزارَةِ فَهْمِها؛ لأنها استبعدَتْ أنْ يكونَ عرشَها؛ لأنَّها خلَّفَتْهُ وارءَها بأرضِ اليمنِ، ولم تَكُنْ تعلمُ أنَّ أحدًا يقدرُ علىٰ هذا الصُّنعِ العجيب الغريب.

قال اللَّه تعالى إخباراً عن سليمانَ وقومه: ﴿**وَأُوتينَا الْعلْمَ من قَبْلهَا وَكُنَّا مُسْلمينَ (٤٢) وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ من دُونِ اللَّه إِنَّهَا كَانَتْ من قَوْمٍ كَافرِينَ**﴾ أي: ومنعها عبادةُ الشمسِ التي كانت تسجدُ لها هي وقومُها من دونِ اللَّه اتباعًا لدينِ آبائهم وأسلافِهم، لا لِدَليلٍ قادَهم إلىٰ ذلك ولا حَداهُم علىٰ ذلك، وكانَ سُليمانُ قد أَمَرَ ببناءِ صرحٍ من زُجاجٍ، وعملَ في مَمَرِّهِ ماءً وجعلَ عليه سَقْفًا من زجاجٍ،

وجعلَ فيه من السَّمَك وغيرِها من دَوَابِّ الماء، وأُمِرَتْ بدخُول الصَّرْح، وسُليمانُ جالسٌ على سَرِيرِه فيه ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقد قيلَ: إنَّ الجنَّ أرادُوا أن يُبَشِّعوا منظرها عندَ سليمانَ، وأنْ تُبْديَ عن ساقَيْها ليَرَىٰ ما عليها من الشَّعْرِ فيُنَفِّرَه ذلك منها، وخشوا أن يَتَزَوَّجَها؛ لأنَّ أُمَّها من الجانِّ فتتسلَّطَ عليهم معه. وذكر بعضُهم أنَّ حافَرَها كان كحافرِ الدابَّةِ، وهذا ضعيفٌ. وفي الأول أيضًا نظرٌ والله أعلم. إلا أنَّ سليمانَ قيل: إنَّه لما أراد إزالته حين عزم على تَزَوُّجِها، سألَ الإنسَ عن زوالِه فذكَرُوا له المُوسَىٰ، فامتَنَعتْ من ذلك، فسألَ الجانَّ فصنَعُوا له النُّورَةَ، ووضَعُوا له الحمَّامَ، فكان أوَّلَ من دخلَ الحمَّامَ، فلمَّا وجَدَ مَسَّهُ قال: أَوْه من عذابِ اللَّه، أَوْه أَوْه قبلَ أن لا يَنْفَعَ أَوْه. رواه الطبراني[1] مرفوعًا. وفيه نظرٌ.

وقد ذكرَ الثعلبيُّ[2] وغيره أنَّ سُليمانَ لمَّا تزوجها، أقرَّها على مملكة اليمنِ وردَّها إليه، وكان يزورُها في كلِّ شهرٍ مرَّةً، فيُقيمُ عندها ثلاثةَ أيامٍ ثم يعودُ على البساط، وأمرَ الجانَّ فبَنَوْا لها ثلاثةَ قُصُورٍ باليمنِ: غُمْدَانَ، وسالحِينَ، وبينونَ، فاللَّهُ أَعْلَمُ، وقد روَىٰ ابن إسحاق[3]، عن بعضِ أهلِ العلمِ، عن وهبِ بنِ مُنَبِّه، أنَّ سُليمانَ لم يتزوجها، بل زوَّجها بملك هَمْدَانَ، وأقرَّها على مُلكِ اليمنِ، وسَخَّرَ زوبَعَةَ مَلِكَ جنِّ اليمنِ، فبَنَىٰ لها القصورَ الثلاثةَ التي ذكرناها باليمنِ، والأولُ أشهرُ وأظهرُ واللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال تعالى في سورة «ص»: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣١) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٢) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ (٣٤) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣٥) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٨) هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ [ص: ٣٠-٤٠]. يذكُرُ تعالى أنَّهُ وَهَبَ لداوُدَ سليمانَ عليهما السَّلامُ، ثم أَثْنَىٰ اللَّهُ عليه تعالى فقال: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي: رجَّاعٌ مُطيعٌ للَّه. ثم ذَكَرَ تعالى ما كانَ من أمرِه في الخيلِ الصَّافناتِ - وهي التي تقفُ على ثلاثٍ وطَرَفِ حافرِ الرابعةِ - الجياد: وهي المُضَمَّرَةُ السِّرَاعُ: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ يعني: الشمس. وقيل: الخيلُ، على ما سنذكُرُه من القولين. ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ قيل: مَسَحَ عراقيبَها وأعناقَها بالسُّيوفِ. وقيل: مسَحَ عنها العرَقَ لمَّا أجراها وسابَقَ بينها

---

(١) ضعيف: الطبراني في الأوسط (٤٦٤) وابن عساكر «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٧٧، ٢٧٨). تفرد به إسماعيل بن عبد الرحمن الأودي قال البخاري: لا يتابع عليه.

(٢) «عرائس المجالس» والثعلبي يأتي بالموضوعات.

(٣) ضعيف الإسناد: ابن جرير في «التاريخ» (١/ ٢٩٢) فيه ابن حميد ضعيف وإبهام من حدث ابن إسحاق عن وهب.

وبين يديه، على القول الآخر. والذي عليه أكثرُ السَّلف الأوَّلُ، فقالوا: اشتَغَلَ بعرض تلك الخيول حتَّى خرجَ وقتُ العصر وغَرَبَت الشمسُ. رُوي هذا عن عليّ بن أبي طالب[1] وغيره. والذي يُقْطَعُ به، أنَّه لم يترك الصلاةَ عمدًا من غير عُذْرٍ، اللَّهُمَّ إلا أن يُقال: إنه كان سائغًا في شريعتهم تأخيرُ الصلاة لأجل أسباب الجهاد، وعرضُ الخيل من ذلكَ. وقد ادَّعَىٰ طائفةٌ من العلماء في تأخير النبي ﷺ صلاة العصر يومَ الخندق أنَّ هذا كان مشروعًا إذ ذاكَ، حتَّى نُسخَ بصلاة الخوف. قاله الشافعيُّ وغيرهُ. وقال مكحولٌ والأوزاعيُّ: بل هو حُكْمٌ مُحْكَمٌ إلى اليوم، أنَّهُ يجوزُ تأخيرها لعُذْرِ القتال الشديد. كما ذكرنا تقريرَ ذلك في سُورة النِّساء عند صلاة الخوف. وقال آخرونَ: بل كان تأخيرُ النبي ﷺ صلاةَ العصر يومَ الخندق نسيانًا، وعلى هذا فيُحْمَلُ فعلُ سُليمانَ ـ عليه السلام ـ على هذا. واللَّهُ أعْلَمُ.

وأمَّا من قالَ: الضميرُ في قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ عائدٌ على الخيل، وإنَّهُ لم يفتهُ وقتُ صلاة، وإنَّ المرادَ بقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ يعني: مسحَ العرَقَ. عن عراقيبها وأعناقها. فهذا القول اختاره ابن جرير، ورواه الوالبيُّ عن ابن عباس[2] في مَسْح العرق. ووَجَّه هذا القولَ ابنُ جرير، بأنَّه ما كان ليُعَذِّبَ الحيوانَ بالعرقَبَة، ويُهْلكَ مالاً بلا سببٍ ولا ذنبٍ لها. وهذا الذي قالَهُ فيه نظرٌ؛ لأنَّهُ قد يكونُ هذا سائغًا في ملَّتهم. وقد ذهبَ بعضُ علمائنا إلى أنَّه إذا خافَ المسلمونَ أنْ يَظْفَرَ الكُفَّارُ على شيءٍ من الحيوانات من أغنامٍ ونحوها جازَ ذَبْحُها وإهلاكُها؛ لئلا يتقوَّوا بها، وعليه حُملَ صَنيعُ جعفر بن أبي طالب يومَ عَقَرَ فَرَسَهُ بموته. وقد قيل: إنَّها كانت خيلاً عظيمةً؛ قيل: كانت عشرَةَ آلاف فَرَسٍ. وقيل: كانت عشرين ألفَ فرسٍ. وقيل: كان فيها عشرونَ فرسًا من ذوات الأجْنحَة.

وقد روَى أبو داودَ[3] في «سننه»: حدَّثنا محمدُ بنُ عوفٍ، حدَّثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ، أنبأنا يحيَىٰ بنُ أيُّوبَ، حدَّثني عُمارةُ بنُ غَزيَّةَ، أنَّ محمدَ بنَ إبراهيمَ حدَّثَهُ عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن، عن عائشةَ قالتْ: قَدمَ رسولُ اللَّه ﷺ من غزوة تبوكَ ـ أو خَيْبَرَ ـ وفي سَهْوَتها سترٌ، فَهَبَّت الريحُ فكَشَفَتْ ناحيَةَ السِّتر عن بنات لعائشةَ لُعَب، فقال: «ما هَذَا يا عائشَةُ؟!» فقالتْ: بناتي. ورأَىٰ بينَهُنَّ فرسًا له جَناحان من رقاعٍ، فقال: «ما هذا الذي أرَى وَسْطَهُنَّ؟!» قالت: فَرَسٌ. قال: «وما الذي عليه هذا؟!» قالتْ: جناحان. قال: «فَرَسٌ لَهُ جَنَاحَان؟!» قالت: أما سمعتَ أنَّ لسُليمانَ خيلاً لها أجْنحَةٌ! قالت: فضَحكَ حتَّى رأيتُ نَواجذَهُ ﷺ.

---

(١) ضعيف: رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٣/ ١٥٥) من طريق أبي صخر عن أبي معاوية البجلي عن أبي الصهباء. أبو معاوية مجهول وكذلك أبو الصهباء.

(٢) ضعيف إليه: رواه ابن جرير (١٢/ الجزء٢٣/ ١٥٦) من رواية علي بن أبي طلحة عنه.

(٣) ضعيف: سنن أبي داود (٤٩٣٢) والنسائي (٨٩٥٠) الكبرى تفرد به عمارة بن غزية متكلم فيه. وصححه الشيخ ناصر في آداب الزفاف (ص٢٧٥).

وقال بعضُ العلماء: لَّما ترَكَ الخيلَ للَّه، عوَّضَهُ اللَّهُ عنها بما هو خيرٌ له منها، وهو الرِّيحُ التي كان غُدُوُّها شهراً ورواحُها شهراً، كما سيأتي الكلامُ عليها، كما قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا إسماعيلُ، حدَّثنا سُليمانُ بنُ المغيرةِ، عن حُميدِ بن هِلالٍ، عن أبي قتادةَ وأبي الدَّهْماءِ، وكانا يُكْثِران السَّفَرَ نحوَ البيتِ، قالا: أتينا علىٰ رجلٍ من أهلِ الباديةِ، فقال البَدَوِيُّ: أخذ بِيدي رسولُ اللَّه ﷺ، فجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ - وقال: «**إنَّكَ لا تدَعُ شيئًا اتِّقَاءَ اللَّه عزَّ وجلَّ إلا أعطاكَ اللَّهُ خيراً منه**».

وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ**﴾ ذكرَ ابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتمٍ، وغيرُهما من المفسرينَ، ههنا آثاراً كثيرةً عن جماعةٍ من السلفِ، وأكثَرُها أو كلُّها مُتَلَقَّاةٌ من الإسرائيلياتِ، وفي كثيرٍ منها نكارةٌ شديدةٌ، وقد نبَّهنا علىٰ ذلك في كتابنا «التفسير»، واقتَصرنا ههنا علىٰ مجرَّدِ التِّلاوةِ. ومضمونُ ما ذكروه أنَّ سُليمانَ عليه السلامُ، غابَ عن سريرِهِ أربعين يومًا، ثم عاد إليه، ولَّما عادَ أُمِرَ ببناءِ بيتِ المقدسِ، فبناهُ بناءً مُحكمًا، وقد قدَّمْنا أنَّه جُدِّدَ، وأنَّ أولَ من جعَلَهُ مسجداً إسرائيلُ عليه السلامُ، كما ذكرنا ذلك عند قولِ أبي ذرٍّ: قلتُ يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ مسجدٍ وُضعَ أوَّلُ؟ قال: «**المسجدُ الحرامُ**» قلت: ثم أيٌّ؟ قال: «**مسجدُ بيت المقدسِ**» قلتُ: كم بينهما؟ قال: «**أربعونَ سنةً**»[2] . ومعلومٌ أنَّ بينَ إبراهيمَ الذي بنَىٰ المسجدَ الحرامَ وبينَ سُليمانَ بن داودَ عليهما السلامُ أزيدَ من ألف سنةٍ، دَعْ أربعينَ سنةً، وكان سؤاله المُلكَ الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعده بعد إكماله بناءَ البيتِ المقدَّسِ، كما قال الإمامُ أحمدُ، والنَّسائِيُّ، وابنُ ماجَهْ، وابنُ خُزَيمَةَ، وابنُ حِبَّانَ، والحاكمُ[3] ، بأسانيدهم، عن عبد اللَّهِ بن فيروزَ الدَّيْلَميِّ، عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاصِ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنَّ سُليمانَ لَّما بنَى بيتَ المقدسَ سَألَ ربَّهُ عزَّ وجلَّ خلالاً ثلاثًا، فأعطاهُ اثْنَتَيْنِ، ونحنُ نَرْجُو أنْ تكونَ لَنَا الثالثةُ؛ سألَهُ حكمًا يُصادفُ حُكْمَهُ، فأعطاهُ إيَّاه، وسَأَلَهُ مُلكًا لا ينْبَغي لأحد من بعده، فأعطاهُ إيَّاه، وسألَهُ أيُّما رجلٍ خَرَجَ منْ بيته لا يُريدُ إلا الصَّلاةَ في هذا المسجد خَرَجَ من خطيَّتَه مثلَ يومِ ولَدَتْهُ أُمُّهُ، فَنَحْنُ نَرجو أنْ يكونَ اللَّهُ قد أعطانَا إياها**» فأمَّا الحكمُ الذي يوافقُ حُكمَ اللَّه تعالىٰ، فقد أثْنَىٰ اللَّهُ تعالىٰ عليه وعلىٰ أبيه في قوله: ﴿**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا**﴾ [الأنبياء: ٧٨، ٧٩]، وقد ذَكَر شريحٌ القاضِي، وغيرُ واحدٍ من السلفِ، أنَّ هؤلاءِ القومَ كان لهم كَرْمٌ، فَنَفَشَتْ فيه غَنَمُ قومٍ آخرينَ، أي: رَعَتْهُ بالليلِ فأَكَلَتْ شَجَرَهُ بالكُلِّيَّةِ، فتحاكَمُوا إلىٰ داودَ عليه السلام، فحكمَ لأصحابِ الكرمِ بقيمَته، فلمَّا خَرَجُوا علىٰ سليمانَ قال: بِمَ حَكَمَ لكُمْ نبيُّ اللَّه؟ فقالوا: بكَذَا وكَذَا. فقال: أما لو كنتُ أنا لما حَكَمْتُ إلا بتسليمِ الغنمِ إلىٰ أصحابِ الكرمِ، فيَسْتَغِلُّونها نتاجًا ودَرًّا حتَّىٰ يُصْلِحَ أصحابُ الغنمِ كَرْمَ أولئك ويرُدُّوه إلىٰ ما كان عليه، ثم يَتَسَلَّمُوا غنَمَهم. فبلَغَ داودَ عليه السلام ذلك فحكَمَ بهِ.

---

(١) **رجاله ثقات**: المسند (٥/ ٧٨) بنفس السند أعلاه. (٢) **متفق عليه**: سبق تخريجه في قصة يعقوب.

(٣) **صحيح**: المسند (٢/ ١٧٦) النسائي المجتبى (٢/ ٣٤) وابن ماجه (١٤٠٨) ابن خزيمة (١٣٣٤) وصححه وابن حبان (١٦٣٣) والحاكم (١/ ٣٠).

وقريبٌ من هذا ما ثبتَ في «الصحيحين»[١] من حديث أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**بينما امرأتان معهُما ابناهُما، إذْ عدَا الذِّئبُ فأخذَ ابنَ إحداهُما فَتنازَعتَا في الآخَرِ، فقالت الكُبْرَى: إنَّما ذَهَبَ بابْنِك. وقالت الصُّغْرَى: إنَّما ذَهَبَ بابْنِك. فَتحاكمَتا إلى داوُدَ فَحكَمَ به للكُبْرَى، فَخرَجتَا علَى سُليمانَ، فقالَ: ائتُوني بالسِّكين أشُقُّهُ نصفَين، لكُلِّ واحدة منكُما نصفُهُ، فقالت الصُّغْرَى: لا تَفعل يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هو ابنُها. فَقَضَى به لَهَا**» ولعلَّ كُلاً من الحُكْمَيْنِ كان سائغًا في شريعَتِهم، ولكنَّ ما قاله سُليمانُ أرجَحُ، ولهذا أثنَىٰ اللَّهُ عليه بما أَلْهَمهُ إيَّاهُ، ومَدح بعدَ ذلك أباهُ فقال: ﴿**وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ ثم قال: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً**﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريحَ عاصفَةً ﴿**تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**﴾ [الأنبياء: ٧٩ - ٨٢]، وقال تعالىٰ في سورة «ص»: ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٦) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٣٨) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩) وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾ لَمَّا تَرَكَ الخيلَ ابتغاءَ وجه اللَّه عوَّضَهُ اللَّهُ منها الريحَ، التي هي أسرعُ سيراً، وأقوىٰ وأعظمُ، ولا كُلْفَةَ عليه لها. ﴿**تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ**﴾ أي: حيثُ أرادَ من أيِّ البلادِ. كان له بِساطٌ مُرَكَّبٌ من أخشابٍ، بحيثُ إنَّه يَسَعُ جميعَ ما يحتاجُ إليه؛ من الدُّورِ المبنيةِ والقصورِ، والخيامِ والأمتعةِ، والخيولِ، والجمالِ، والأثقالِ والرجالِ من الإنسِ والجانِّ، وغيرِ ذلك من الحيواناتِ والطيورِ، فإذا أراد سفراً أو مُسْتَنْزَهًا، أو قتالَ ملكٍ أو أعداءٍ من أي بلادِ اللَّه شاءَ، فإذا حملَ هذه الأمورَ المذكورةَ علىٰ البِساطِ، أمرَ الريحَ فدَخلَتْ تَحْتَهُ فرفعَتْهُ، فإذا استقلَّ بينَ السماءِ والأرضِ أمرَ الرُّخاءَ فسارتْ به، فإذا أراد أسرع من ذلك أمر العاصفةَ فحملتْه أسرع ما يكونُ، فوضعته في أي مكانٍ شاء، بحيثُ إنه كان يرتحلُ في أولِ النهارِ من بيت المقدسِ، فتغدوا به الريحُ فتضعه بإصطَخْرَ، مسيرةَ شهرٍ فيُقيمُ هناكَ إلىٰ آخرِ النهارِ، ثم يروحُ من آخرِه، فَتَرُدُّهُ إلىٰ بيت المقدسِ، كما قال تعالىٰ: ﴿**وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٢، ١٣] قال الحسن البصريُّ[٢]: كان يغدو من دِمَشْقَ فينزلُ بإصطَخْرَ فيَتَغَدَّىٰ بها، ويَذهبُ رائحًا منها فَيَبيتُ بكابُلَ، وبينَ دِمَشْقَ وبين إصْطَخْرَ مسيرةُ شهرٍ، وبين

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٦٧٦٩) مسلم (٤٤٧٠).

(٢) **صحيح إليه**: رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٩) بسند صحيح. من رواية ابن بشار عن أبي عاجر وهو العقدي عن قرة عن الحسن. ومن طريق حماد بن مسعدة عن قرة عنه.

اصْطَخْرَ وكابُلَ مسيرةُ شهرٍ.

قلتُ: قد ذَكَرَ المتكلمونَ عن العُمرانِ والبُلدانِ، أنَّ إصْطَخْرَ بَنَتْها الجانُّ لسليمانَ، وكان فيها قرارُ مملَكَةِ التُّرْك قديمًا، وكذلك غيرُها من بُلدانٍ شتَّى، كتَدْمُرَ، وبيتِ المقدسِ، وبابِ جَيْرُونَ، وبابِ البَريدِ، اللَّذَيْنِ بدمَشْقَ، على أحدِ الأقوالِ. وأمَّا القِطْرُ، فقال ابنُ عبَّاسٍ[١] ، ومجاهدٌ[٢] وعكْرِمَةُ، وقَتادَةُ[٣] ، وغيرُ واحدٍ: هو النُّحاسُ. قال قَتادَةُ: وكانتْ باليمنِ؛ أنْبَعَها اللَّهُ له. قال السُّدِّيُّ: ثلاثةُ أيامٍ فقطْ أخذَ منها جميعَ ما يحتاجُ إليه للبناياتِ وغيرِها. وقوله: ﴿**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ أي: وسخَّر اللَّهُ له من الجنِّ عُمالاً يعملونَ له ما يشاءُ، لا يفترونَ ولا يخرجونَ عن طاعته، ومن خَرَجَ منهم عن الأمرِ عَذَّبَهُ ونَكَّلَ به ﴿**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ**﴾ وهي الأماكن الحَسَنَةُ وصُدُورُ المجالسِ. ﴿**وَتَمَاثِيلَ**﴾ وهي الصُّوَرِ في الجُدرانِ، وكان هذا سائغًا في شريعتِهم ومِلَّتِهم. ﴿**وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ**﴾ قال ابنُ عبَّاسٍ[٤]: الجَفْنَةُ كالجَوْبَةِ من الأرضِ. وعنه: كالحياضِ. وكذا قال مجاهدٌ[٥] ، والحسنُ[٦] ، وقتادةُ[٧] ، والضَّحَّاكُ[٨] ، وغيرُهم. وعلى هذه الروايةِ يكونُ الجوابُ: جمعَ جابيةٍ، وهي الحوضُ الذي يُجْبَى فيه الماءُ، كما قال الأعشى:

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ المُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ السَّيْحِ العِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

وأمَّا القُدورُ الراسياتُ، فقال عِكْرِمَةُ[٩] : أَثَافِيُّها منها. يعني أنَّهُنَّ ثوابتُ لا يَزُلْنَ عن أماكنِهنَّ. وهكذا قال مجاهدٌ[١٠] وغيرُ واحدٍ، ولَمَّا كان هذا بصدَدِ إطعامِ الطَّعامِ والإحسانِ إلى الخلقِ من إنسٍ وجانٍّ قال تعالى: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ وقال تعالى: ﴿**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٧) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾ [ص: ٣٧، ٣٨]، يعني أنَّ منهم من قد سَخَّرَهُ في البناءِ، ومنهم من يأمُرُهُ بالغوصِ في الماءِ؛ لاستخراجِ ما هُنالكَ من الجواهرِ واللآلئِ، وغيرِ ذلك مما لا يُوجَدُ إلا هُنالكَ. وقوله: ﴿**وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾ أي: قد عَصَوْا؛ فَقُيِّدُوا مُقرَّنِينَ اثنين اثنين في الأصفادِ، وهي القيودُ. هذا كلُّه من جملةِ ما هيَّأَ اللَّهُ وسخَّر له من الأشياءِ التي هي من تمامِ الملكِ الذي لا ينبغي لأحدٍ من بعدِهِ، ولم يكن أيضًا لمن كان قبلَهُ.

---

(١) **ضعيف إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء٢٢/ ٦٩) من طريق علي بن أبي طلحة عنه ومن طريق العوفي عنه.

(٢) **صحيح إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ١٦/ ٢٦) في تفسير الكهف من طريق ابن أبي نجيح عنه.

(٣) **حسن إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٦٩) بسند حسن من رواية سعيد بن أبي عروبة عنه.

(٤) **ضعيف إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء٢٢/ ٧١) من طريقي علي بن أبي طلحة والعوفي عنه.

(٥) **صحيح إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء٢٢/ ٧١) من رواية ابن أبي نجيح عنه وذكرنا الكلام على هذه الرواية فيما سبق.

(٦) **صحيح إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء٢٢/ ٧١).

(٧) **حسن إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء٢٢/ ٧١) من رواية سعيد عنه.

(٨) **فيه ضعف إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٧١) من طريقين عنه فيهما ضعف.

(٩) **لم أقف عليه:** من قول عكرمة إنما من قول ابن عباس.

(١٠) **صحيح إليه:** رواه ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٧١) من رواية ابن أبي نجيح عنه.

وقد قال البخاري[١] : حدَّثنا محمدُ بن بشَّارٍ، حدَّثنا محمدُ بن جعفرٍ، حدَّثنا شُعْبَةُ، عن محمد ابن زيادٍ، عن أبي هُريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ عفريتًا من الجنِّ تَفَلَّتَ البارحةَ، ليَقْطَعَ عليَّ صلاتي؛ فأمْكَنَنِي اللَّهُ منهُ، فأخذْتُهُ فأردتُ أنْ أربطَهُ إلى ساريةٍ من سواري المسجدِ؛ حتَّى تَنْظُروا إليهِ كُلُّكُمْ، فذكَرْتُ دعوةَ أخي سُليمانَ: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾ فَرَدَدْتُهُ خاسئًا**» وكذا رواه مسلمٌ والنَّسائيُّ من حديث شُعبةَ.

وقال مُسلمٌ: حدَّثنا محمدُ بن سلمة المراديُّ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بن وهبٍ، عن مُعاويةَ بن صالحٍ، حدَّثني ربيعةُ بن يزيدَ، عن أبي إدريسَ الخَوْلانيِّ، عن أبي الدرداء قال: قامَ رسولُ اللَّه ﷺ يُصَلِّي، فسمعناهُ يقول: «**أعُوذُ باللَّهِ منكَ، ألْعَنُكَ بلَعْنَةِ اللَّه**» ثلاثًا، وبَسَطَ يَدَهُ كأنَّهُ يَتناولُ شيئًا، فلمَّا فَرَغَ من الصلاة قُلْنا: يا رسولَ اللَّهِ، سَمِعْناكَ تقولُ في الصلاة شيئًا لم نَسْمَعْكَ تقولُهُ قَبْلَ ذلك، ورأيناكَ بَسَطْتَ يَدَكَ، قال: «**إنَّ عَدُوَّ اللَّه إبليسَ جاءَ بشهابٍ من نارٍ ليَجْعَلَهُ في وَجْهِي، فَقُلْتُ: أعوذُ باللَّه منكَ - ثلاثَ مرَّاتٍ - ثُمَّ قلتُ: ألْعَنُكَ بلعْنَةِ اللَّه التَّامَّةِ. فلَمْ يَسْتَأخِرْ - ثلاثَ مراتٍ - ثم أردتُ أخْذَهُ، واللَّه لولا دعوةُ أخينا سُليمانَ لأصبحَ مُوثَقًا يَلْعَبُ به وِلْدَانُ أهلِ المدينة**» وكذا رواهُ النَّسائيُّ[٢] عن محمد بن سلَمَةَ به.

وقال أحمدُ[٣]: حدَّثنا أبو أحمد حدَّثنا مَسَرَّةُ بنُ مَعْبَدٍ، ثنا أبو عُبيدٍ صاحبُ سُليمانَ قال: رأيتُ عطاءَ بن يزيدَ الليثيَّ قائمًا يُصَلِّي، فذَهَبْتُ أمُرُّ بينَ يديه فرَدَّني، ثم قال: حدَّثني أبو سعيدٍ الخُدْريُّ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قامَ فصلَّى صلاةَ الصُّبحِ وهو خلفَهُ، فقرأَ فالتَبَسَتْ عليه القراءةُ، فلمَّا فرَغَ من صلاته قال: «**لَوْ رأيتُمُوني وإبليسَ، فأهويْتُ بيدي، فما زلتُ أخْنُقُهُ حتَّى وجدتُ بَرْدَ لُعَابِه بينَ أُصبُعيَّ هاتَيْنِ - الإبهامِ والتي تليها - ولولا دعوةُ أخي سُليمانَ، لأصبحَ مربوطًا بساريةٍ من سواري المسجد، يتلاعبُ به صبيانُ المدينة، فمن استطاعَ منكُم أن لا يحولُ بينهُ وبينَ القبْلَة أحدٌ فليَفْعَلْ**» روى أبو داودَ[٤] منه: «**فَمَن استطاعَ**» إلى آخره، عن أحمدَ بن أبي سُريجٍ، عن أبي أحمدَ الزُّبيريِّ به.

وقد ذكَرَ غيرُ واحدٍ من السَّلَف أنَّهُ كانت لسليمانَ من النساء ألفُ امرأةٍ، سبعمائة بمهورٍ، وثلاثُمائة سَرَاريُّ. وقيلَ بالعكسِ: ثلثُمائة حرائرُ وسبْعُمائة من الإماءِ.

وقد كان يُطيقُ من التَّمتُّعِ بالنِّساء أمرًا عظيمًا جدًا.

قال البخاري[٥] : حدَّثنا خالدُ بن مَخْلَدٍ، حدَّثنا مُغيرةُ بنُ عبد الرحمن، عن أبي الزِّنَادِ، عن الأعرجِ، عن أبي هُريرةَ، عن النبي ﷺ قال: «**قالَ سُليمانُ بنُ داودَ: لأطوفَنَّ الليلةَ على سبعينَ امرأةً، تحملُ كلُّ امرأةٍ فارسًا يجاهدُ في سبيلِ اللَّه. فقال له صاحبُهُ: - إنْ شاءَ اللَّهُ - فلم يَقُلْ؛ فلَمْ تحملْ شيئًا،**

---

(١) **متفق عليه**: البخاري (٣٤٢٣)، مسلم (١٢٠٩) النسائي (١١٤٤٠) الكبرى.
(٢) **صحيح**: مسلم (١٢١١)، النسائي (٣/ ١٣) المجتبى.
(٣) **صحيح لغيره**: المسند (٣/ ٨٢).
(٤) **صحيح**: السنن (٦٩٩).
(٥) **صحيح**: البخاري (٣٤٢٤).

إلا واحداً ساقطاً أحدُ شقيّه» فقال النبي ﷺ: **«لو قالها لجاهَدُوا في سبيلِ اللَّه»** وقال شُعيبٌ وابن أبي الزِّناد: **«تسعين»** وهو أصحُّ. تفرَّدَ به البخاريُّ من هذا الوجه.

وقال أبو يَعْلَى[١]: حدَّثنا زُهيرٌ، حدَّثنا يزيدُ، أنبانا هشامُ بنُ حسَّانَ، عن محمدٍ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«قال سُليمانُ بن داودَ: لأطوفَنَّ الليلةَ على مائة امرأة، كلُّ امرأة منهنَّ تلدُ غُلامًا يضربُ بالسَّيفِ في سبيلِ اللَّه ـ ولم يقل: إن شاء اللَّه ـ فطافَ تلكَ الليلةَ على مائة امرأةٍ، فلم تلدْ منهُنَّ امرأةٌ إلا امرأةٌ، ولدَتْ نصفَ إنسانٍ»** فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«لو قالَ: إن شاء اللَّهُ؛ لولدتْ كُلُّ امرأة منهنَّ غلامًا يضربُ بالسيفِ في سبيلِ اللَّه عزَّ وجلَّ»** إسنادُهُ على شرطِ «الصحيح» ولم يُخرِّجوه من هذا الوجه.

وقال الإمامُ أحمدُ[٢]: حدَّثنا هُشَيْمٌ، ثنا هشامٌ، عن ابنِ سيرين، عن أبي هريرةَ قال: قال سُليمانُ بن داودَ: لأطوفَنَّ الليلةَ على مائة امرأةٍ، تلدُ كلُّ واحدةٍ منهنَّ غلامًا يقاتلُ في سبيلِ اللَّه. ولم يَسْتَثْنِ؛ فما ولدتْ إلا واحدةٌ منهنَّ بشقِّ إنسانٍ. قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«لو استثنى لوُلِدَ له مائةُ غُلامٍ، كُلُّهُمْ يُقاتلُ في سبيلِ اللَّه عزَّ وجلَّ»** تفرَّد به أحمدُ أيضًا.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا عبدُ الرزاق، ثنا معمرٌ، عن ابنِ طاوُسٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«قال سُليمانُ بن داودَ: لأطوفَنَّ الليلةَ بمائة امرأة، تلدُ كلُّ امرأة منهنَّ غُلامًا يُقاتلُ في سبيلِ اللَّه»** قال: **«ونسيَ أنْ يقولَ: إنْ شاءَ اللَّهُ، فأطافَ بهنَّ»** قال: **«فَلَمْ تَلِدْ مِنْهُنَّ امرأةٌ إلا واحدةٌ نصفَ إنسانٍ»** فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«لو قالَ: إنْ شاءَ اللَّهُ لم يَحْنَثْ، وكان دَرَكًا لحاجَتِه»**[٣] وهكذا أخرجاه في «الصحيحين» من حديثِ عبدِ الرَّزَّاقِ به مثلَهُ.

وقال إسحاقُ بن بِشْرٍ[٤]: أنبأنا مقاتلٌ، عن أبي الزناد، وابنُ أبي الزناد عن أبيه، عن عبدالرحمن، عن أبي هُريرةَ، أنَّ سليمانَ بن داودَ كان له أربعمائة امرأةٍ وستُّمائة سُرِّيَّةٍ، فقال يومًا: لأطوفنَّ الليلةَ على ألفِ امرأةٍ، فتحملُ كلُّ واحدةٍ منهُنَّ بفارسٍ يجاهدُ في سبيلِ اللَّه ولم يستَثْنِ، فطافَ عليهنَّ فلم تحملْ واحدةٌ منهنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ منهنَّ جاءتْ بشقِّ إنسانٍ. فقال النبي ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لو استثنى فقال: إنْ شاءَ اللَّهُ؛ لَوُلِدَ له ما قال، فُرسانٌ، ولَجَاهَدُوا في سبيلِ اللَّه عزَّ وجلَّ»** وهذا إسنادٌ ضعيفٌ؛ لحالِ إسحاقَ بنِ بشرٍ، فإنَّهُ منكَرُ الحديثِ، ولا سيَّما وقد خالفَ الرِّواياتِ الصِّحاحِ.

وقد كان له عليه السلامُ من أُمورِ المُلكِ واتِّساعِ الدَّوْلَةِ وكثرةِ الجُنودِ وتنوُّعها، ما لم يكُنْ لأحدٍ من قبلَهُ، ولا يُعطيه اللَّهُ أحدًا بعدَهُ، كما قال: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:١٦]، وقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي

---

(١) رجاله ثقات: أبو يعلى (٦٣٤٧) وابن عساكر من طريقه (٢٢/ ٢٥٨).

(٢) صحيح: المسند (٢/ ٢٢٩).

(٣) متفق عليه: البخاري (٥٢٤٢) مسلم (٤٢٦٤) ولفظه «سبعين امرأة»، المسند (٢/ ٢٧٥).

(٤) منكر: رواه ابن عساكر في «التاريخ» (٢٢/ ٢٥٨) إسحاق بن بشر متهم وكذلك شيخه مقاتل بن سليمان.

﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ . وقد أعطاهُ اللَّهُ ذلك بنصِّ الصادقِ المصدوقِ.

ولَمَّا ذكر تعالى ما أنعم به عليه وأسداهُ من النعم الكاملة العظيمة إليه قال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: أعطِ مَنْ شئتَ واحرِمْ من شئتَ، فلا حسابَ عليكَ، أي: تصرَّفْ في المالِ كيف شئتَ، فإنَّ اللَّهَ قد سوَّغَ لك كلَّ ما تفعلُهُ من ذلك، ولا يُحاسبُكَ على ذلك، وهذا شأنُ النبيِّ الملكِ، بخلافِ العبدِ الرسولِ، فإنَّ من شأنه أن لا يُعطي أحدًا، ولا يمنعُ أحدًا إلا بإذنِ اللَّه له في ذلك.

وقد خُيِّرَ نبيُّنا محمدٌ صلواتُ اللَّه وسلامُهُ عليه، بينَ هذينِ المقامَيْنِ، فاختارَ أن يكونَ عبدًا رسولاً، وفي بعضِ الرِّواياتِ أنَّه استشارَ جبريلَ في ذلك فأشارَ إليه أنْ تواضعْ. فاختارَ أنْ يكونَ عبدًا رسولاً، صلواتُ اللَّه وسلامُهُ عليه. وقد جعَلَ اللَّهُ الخلافةَ والملكَ من بَعْدِهِ في أمَّتِه إلى يومِ القيامة، فلا تزالُ طائفةٌ من أمَّتِه ظاهرينَ حتَّى تقومَ الساعةُ. فللَّه الحمدُ والمنَّةُ.

ولَمَّا ذَكَرَ تعالى ما وَهَبَهُ لنبيِّه سُليمانَ عليه السلام، من خيرِ الدُّنيا نبَّهَ على ما أعدَّهُ له في الآخرةِ من الثوابِ الجزيلِ والأجرِ الجميلِ، والقُرْبةِ التي تُقَرِّبُهُ إليه، والفوزِ العظيمِ والإكرامِ بين يديه، وذلك يومَ المعادِ والحسابِ، حيثُ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾.

ذكر وفاته ومدة ملكه وحياته

قال اللَّهُ تباركَ وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤] روى ابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتمٍ وغيرُهما[١] من حديثِ إبراهيمَ بن طَهْمانَ، عن عطاءِ بن السائبِ، عن سعيدِ بن جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «كانَ سُليمانُ نبيُّ اللَّه عليه السلامُ، إذا صلَّى رأى شجرةً نابتةً بينَ يديه فيقولُ لها: ما اسمُكِ؟ فتقولُ: كذا. فيقولُ: لأيِّ شيءٍ أنتِ؟ فإنْ كانت لغَرْسٍ غُرِسَتْ، وإنْ كانت لدواءٍ كُتبتْ، فبينما هو يُصَلِّي ذاتَ يومٍ، إذ رأى شجرةً بينَ يديهِ، فقال لها: ما اسمُكِ؟ قالت الخرُّوبُ. قال: لأي شيءٍ أنتِ؟ قالتْ: لخرابِ هذا البيتِ. فقال سليمان: اللَّهُمَّ عمِّ على الجنِّ موتي؛ حتَّى تعلمَ الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمونَ الغيبَ. فنَحَتَها عصًا، فتَوَكَّأَ عليها حولاً، والجنُّ تعملُ، فأكَلَتْها الأَرَضَةُ، فتبيَّنَتِ الإنسُ أنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمونَ الغيبَ ما لبثوا حولاً في العذابِ المُهين» قال: وكان ابنُ عباسٍ يقرؤُها كذلك. قال: فشَكَرَتِ الجنُّ للأَرَضَةِ، فكانت تأتيها بالماءِ. لفظُ ابنِ جريرٍ. وعطاءٌ الخراسانيُّ في حديثه نكارة. وقد رواه الحافظ ابن عساكر[٢]، من طريقِ سلمةَ بن كُهَيْلٍ، عن سعيدِ بن جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ موقوفًا، وهو أشبهُ بالصوابِ. واللَّهُ أعلمُ. وقال السُّدِّيُّ[٣] في خبرٍ ذَكَرَهُ عن

---

(١) ضعيف الإسناد: ابن جرير (١٢/ الجزء٢٢/ ٧٤) ابن أبي حاتم ليس في المطبوع، والحاكم (٤/ ١٩٧). وقال: وهو غريب بمرة والطبراني «الكبير» (١٢٢٨١). علته عطاء بن السائب اختلط وإبراهيم بن طهمان روى عنه بعد الاختلاط.

(٢) سنده فيه ضعف: «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٩٦) والحاكم (٤/ ١٩٨) فيه أبو الجواب الأحوص بن جواب يَهم.

(٣) حسن: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٧٥) هذا السند سبق الكلام عنه وتصحيح الشيخ أحمد شاكر له.

أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّةَ، عن ابن مسعود، وعن أُناسٍ من الصحابة، كان سُليمانُ عليه السلامُ يتجرَّدُ في بيت المقدسِ السنةَ والسنتين، والشهرَ والشَّهرَيْنِ، وأقلَّ من ذلك وأكثرَ، يُدْخِلُ طعامَهُ وشرابَهُ، فأدْخَلَهُ في المرةِ التي تُوُفِّيَ فيها، فكان بَدْءَ ذلك أنَّه لم يكن يومٌ يُصبحُ فيه إلا نبتَتْ في بيت المقدسِ شجرةٌ فيأتيها فيسألها: ما اسمُكِ؟ فتقولُ الشجرة: اسمي كذا وكذا. فإنْ كانت لغرسٍ غرسَها وإن كانت نبتت دواءً، قالت: نَبَتُّ دواءً لكذا وكذا، فيجعلها كذلك، حتَّىٰ نَبَتَتْ شجرةٌ يُقالُ لها الخروبةُ. فسألها: ما اسمك؟ فقالت: أنا الخَرُّوبَةُ. فقال: لأيِّ شيءٍ نبتِّ؟ فقالتْ: نَبَتُّ لخرابِ هذا المسجد. قال سُليمانُ: ما كان اللَّهُ ليُخْرِبَهُ وأنا حيٌّ، أنت التي علىٰ وَجْهِكِ هلاكي وخرابُ بيت المقدس. فنَزَعَها وغَرَسَها في حائطٍ له، ثم دخل المحرابَ، فقامَ يُصَلِّي مُتَّكِئًا علىٰ عصاه، فماتَ ولم تعلمْ به الشياطينُ، وهم في ذلك يعملونَ له، يخافون أن يخرُجَ فيُعاقبَهم، وكانت الشياطينُ تجتمعُ حولَ المحراب، وكان المحرابُ له كُوًى بين يديه وخلفَهُ، فكان الشيطانُ الذي يريد أن يخلَعَ يقولُ: ألستُ جَليدًا إنْ دخلتُ فخرجتُ من ذلك الجانب؟ فيَدْخُلُ حتَّىٰ يخرجَ من الجانبِ الآخرِ، فدَخَلَ شيطانٌ من أولئكَ فَمَرَّ - ولم يكنْ شيطانٌ ينظرُ إلىٰ سُليمانَ عليه السلامُ وهو في المحرابِ إلا احترقَ - ولم يسمعْ صوتَ سُليمانَ، ثم رجَعَ فلم يسمعْ، ثم رجعَ فوقَعَ في البيتِ ولم يحترقْ، ونظر إلىٰ سليمان عليه السلام قد سَقَطَ ميِّتًا، فخرجَ فأخبرَ الناسَ أنَّ سُليمانَ قد ماتَ، ففَتَحُوا عنه فأخرجوه، ووَجَدوا منسأَتَهُ - وهي العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأرضةُ، ولم يعلموا منذ كم ماتَ، فوضعوا الأرضةَ علىٰ العصا فأكلَتْ منها يومًا وليلة، ثم حسبُوا علىٰ ذلك النَّحْوِ، فوجدُوه قد مات منذُ سنة، وهي قراءةُ ابن مسعودٍ: (فَمَكَثُوا يَدْأَبُونَ لَهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِه حَولاً كَاملاً). فأيقَنَ الناسُ عندَ ذلكَ أنَّ الجنَّ كانوا يكذبونَ، ولو أنَّهم علموا الغيبَ لعلموا بموتِ سُليمانَ، ولم يلبَثُوا في العذابِ سنةً يعملونَ له، وذلك قولُ اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿**مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ**﴾ يقول: تبيَّن أمرهم للنَّاسِ، أنَّهم كانوا يكذبونَهم، ثم إنَّ الشياطينَ قالوا للأرَضَةِ: لو كُنْتِ تأكلينَ الطعامَ لأتَيْناكِ بأطيبِ الطعامِ، ولو كنتِ تشربين الشرابَ سَقَيْناكِ أطيبَ الشراب، ولكنَّا سننْقُلُ إليكِ الماءَ والطِّينَ. قال: فهم ينقُلونَ إليها ذلك حيثُ كانت، قال: ألم ترَ إلىٰ الطين الذي يكون في جوف الخشب، فهو ما تأتيها به الشياطينُ شُكرًا لها. وهذا فيه من الإسرائيليات التي لا تُصَدَّقُ ولا تُكَذَّبُ.

وقال أبو داود[1] **في كتاب القَدَر**: حَدَّثَنا عثمانُ بن أبي شيبة، حدَّثنا قبيصةُ، حدَّثنا سُفيانُ، عن الأعمشِ، عن خَيْثَمَةَ، قال: قال سُليمانُ بن داودَ عليهما السلام لملك الموت: إذا أردْتَ أنْ تَقْبِضَ رُوحِي فأعْلِمْني. قال: ما أنا بأعلمَ بذلك منكَ؛ إنَّما هي كُتُبٌ تُلْقَىٰ إليَّ، فيها تسميةُ مَنْ يموتُ.

---

(١) معضل: رواه ابن عساكر من طريق أبي داود (تاريخ ٢٢/ ٢٨٩) عن محمد بن آدم المصيصي نحوه وابن أبي شيبة (٨/ ١١٧) نحوه.

وقال أَصْبَغُ بنُ الفرجِ، وعبدُ اللَّه بنُ وَهْبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلَمَ[١] ، قال: قال سُليمانُ لمَلَكِ الموتِ: إذا أُمِرْتَ بي فأَعْلِمْني. فأتاهُ فقال: يا سُليمانُ، قد أُمِرْتُ بكَ، قد بَقِيتْ لكَ سُوَيْعَةٌ. فدعا الشياطينَ فَبَنَوْا عليه صرحًا من قواريرَ ليس له بابٌ فقامَ يُصلِّي فاتَّكأَ على عصاه. قال: فدخَلَ عليه مَلَكُ الموتِ فقَبَضَ رُوحَهُ وهو مُتَوَكِّئٌ على عَصَاهُ. ولم يصنعْ ذلك فِرارًا من ملكِ الموتِ. قال: والجنُّ تَعْمَلُ بينَ يَدَيْهِ ويَنْظُرونَ إليه، يحسَبُونَ أنَّه حيٌّ. قال: فبعثَ اللَّه دابَّةَ الأرضِ، يعني إلى منْسَأَتِه، فأَكَلَتْها حتَّى إذا أكلَتْ جوفَ العصا ضَعُفَتْ وثَقُلَ عليها فَخَرَّ، فلمَّا رأت الجنُّ ذلك، انْفَضُّوا وذَهَبُوا. قال: فذلك قولُهُ: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قال أصبَغُ: وبلَغَنِي عن غيرِه أنَّها مكَثَتْ سنةً تأكلُ في منْسَأَتِه حتَّى خرَّ. وقد رُوِيَ نحوُ هذا عن جماعة من السلفِ وغيرهم. واللَّهُ أَعْلَمُ.

قال إسحاقُ بنُ بشرٍ، عن محمد بن إسحاقَ، عن الزُّهْرِيِّ[٢] وغيره: إنَّ سُليمانَ عليه السلامُ، عاشَ ثِنْتَينِ وخمسينَ سنةً، وكان مُلْكُهُ أربعينَ سنةً. وقال إسحاقُ: أنبأنا أبو رَوْقٍ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباسٍ، أنَّ مُلْكَهُ كان عشرينَ سنةً. فاللَّهُ أعلمُ. وقال ابنُ جريرٍ: فكان جميعُ عُمرِ سُليمانَ بنِ داودَ عليهما السلامُ: نَيِّفًا وخمسينَ سنةً. وفي سنةِ أربعٍ من مُلْكِه ابتدأ ببناءِ بيتِ المقدسِ فيما ذُكِرَ ثم مَلَكَ بعدهُ ابنُه رُحُبْعُمُ، مُدَّةَ سبعَ عشرةَ سنةً فيما ذكرهُ ابنُ جريرٍ. قال: ثُمَّ تفرَّقَتْ بَعْدَهُ مملكةُ بني إسرائيلَ.

بابُ ذكرِ جماعةٍ من أنبياء بني إسرائيل بعد داود وسليمان وقبل زكريا ويحيى عليهم السلام فمنهم شعيا بنُ أمصيا

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[٣]: وكان قبلَ زكريا ويحيَى، وهو مِمَّن بَشَّرَ بعيسى ومحمدٍ عليهما السلام، وكان في زمانه ملكٌ اسمُهُ صديقةٌ على بني إسرائيلَ ببلادِ بيتِ المقدسِ، وكان سامعًا مطيعًا لشعيا فيما يأمُرُهُ به وينهاهُ عنه من المصالحِ، وكانتِ الأحداثُ قد عَظُمَتْ في بني إسرائيلَ، فمرضَ الملكُ وخَرَجَتْ في رِجْلِهِ قُرْحَةٌ، وقَصَدَ بيتَ المقدسِ ملكُ بابلٍ في ذلك الزمانِ وهو سنحاريبُ، قال ابنُ إسحاقَ: في سِتِّمائةِ ألفِ رايةٍ. وفَزِعَ الناسُ فَزَعًا عظيمًا شديدًا، وقال الملكُ للنبيِّ شعيا: ماذا أوحى اللَّهُ إليكَ في أمرِ سنحاريبَ وجُنُودِه؟ فقال: لم يُوحِ إليَّ فيهم شيئًا بعدُ، ثم نزلَ عليه الوحيُ بالأمرِ للملكِ صديقةَ، بأن يُوصِي ويَسْتَخْلِفَ على مُلْكِهِ من يشاءُ؛ فإنَّهُ قد اقْتَرَبَ أَجَلُهُ، فلمَّا أخبَرَهُ بذلك أقبَلَ الملكُ على القِبْلَةِ، فصلَّى وسبَّحَ ودعا وبكَى، فقال وهو يبكي ويَتَضَرَّعُ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ، بقلبٍ مُخْلِصٍ وتَوَكُّلٍ وصَبْرٍ: اللَّهُمَّ ربَّ الأربابِ وإلهَ الآلهةِ، يا رحمنُ يا رحيمُ،

---

(١) صحيح إليه: ابن جرير (١٢/ الجزء ٢٢/ ٧٥) سنده صحيح إليه، لعله أخذه من الإسرائيليات واللَّه أعلم.
(٢) موضوع: ابن عساكر تاريخ (٢٢/ ٢٩٩) وإسحاق بن بشر متهم.
(٣) ضعيف الإسناد: رواه ابن جرير تاريخ (٣١٣) فيه ابن حميد.

يا من لا تأخُذُهُ سنةٌ ولا نومٌ، اذكُرْني بعلْمِي، وفعْلِي، وحُسْنِ قضائي على بني إسرائيلَ، وذلك كلُّهُ كان منكَ، فأنتَ أعلمُ به من نفسي، سرِّي وإعلاني لك. قال: فاستجابَ اللَّهُ له ورَحِمَهُ، وأوحَىٰ الله إلىٰ شعيا أن يُبَشِّرَهُ بأنه قد رَحِمَ بُكاءَهُ، وقد أَخَّرَ في أَجَلِه خمسَ عَشْرَةَ سنةً، وأنجاهُ من عدُوِّهِ سنحاريبَ. فلمَّا قال له ذلك ذهبَ عنه الوجَعُ وانقطَعَ عنه الشَّرُّ والحُزْنُ، وخرَّ ساجدًا، وقال في سُجُوده: اللَّهُمَّ أنتَ الذي تُعْطِي المُلكَ مَنْ تَشَاءُ وتَنزِعُهُ مِمَّنْ تشاءُ، تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وتُذِلُّ مَنْ تشاءُ، عالمُ الغيبِ والشَّهادَةِ، أنتَ الأولُ والآخرُ والظَّاهرُ والباطنُ، وأنتَ ترحَمُ وتَسْتَجِيبُ دعوةَ المُضطرِّينَ. فلمَّا رفَعَ رأسَهُ، أوحَىٰ اللَّهُ إلىٰ شعيا أن يأمُرَهُ أن يأخُذَ ماءَ التينِ، فيجعَلَهُ علىٰ قُرْحَتِه، فيَشْفَىٰ ويُصْبِحَ قد بَرِئَ. ففعلَ ذلك فشُفِيَ، وأرسلَ اللَّهُ علىٰ جيشِ سنحاريبَ الموتَ، فأصبحوا وقد هَلَكُوا كلُّهم سِوَىٰ سنحاريبَ وخمسةٍ من أصحابِهِ، منهم بُخْتُ نَصَّرَ، فأرسلَ مَلِكُ بني إسرائيلَ فجاءَ بهم، فجعلهم في الأغلالِ وطافَ بهم في البلادِ علىٰ وجهِ التَّنْكيلِ بهم والإهانةِ لهم سبعين يومًا ويُطعمُ كلُّ واحدٍ منهم كلَّ يومٍ رغيفَيْنِ من شَعيرٍ، ثم أودعَهُم السِّجْنَ، وأوحَىٰ اللَّهُ تعالىٰ إلىٰ شعيا أن يأمرَ الملكَ بإرسالهم إلىٰ بلادهم، ليُنْذِروا قومَهم ما قد حلَّ بهم، فلمَّا رَجَعُوا جمعَ سنحاريب قومَهُ وأخبرَهم بما قد كان من أمرهم، فقال له السحرةُ والكهنةُ: إنَّا أخبرناكَ عن شأنِ ربِّهم وأنبيائهم فلم تُطعْنا، وهي أُمَّةٌ لا يَسْتطيعُها أحدٌ من ربِّهم، فكان أمرُ سنحاريبَ مِمَّا خوَّفَهُم اللَّهُ به. ثم ماتَ سنحاريبُ بعدَ سبعِ سنينَ. قال ابن إسحاقَ: ثم لمَّا ماتَ صديقةُ مَلِكُ بني إسرائيلَ، مَرِجَ أمرُهم واخْتَلَطَتْ أحداثُهم، وكَثُرَ شرُّهم، فأوحَىٰ اللَّهُ تعالىٰ إلىٰ شعيا، فقام فيهم فوَعَظَهم . . . وذكرهم، وأخبرهم عن الله بما هو أهله وأنذرهم بأسه وعقابه . . . وكذَّبُوه، فلمَّا فَرَغَ من مقالته عَدَوْا عليه وطلبُوه ليَقْتُلوهُ، فهَرَبَ منهم، فمرَّ بشجرةٍ فانفلقَتْ لَهُ، فدَخلَ فيها، وأدْرَكَهُ الشيطانُ فأخذَ بهُدْبَةِ ثوبِه فأبْرَزَها، فلمَّا رأوا ذلك جاءُوا بالمنشارِ فوَضَعُوه علىٰ الشجرةِ، فَنَشَرُوها ونَشَرُوه معها، فإنَّا للَّهِ وإنَّا إليه راجعونَ.

منهم أرميا بن حلقيا من سبط لاوي بن يعقوب

وقد قيل: إنَّه الخَضِر. رواه الضَّحاكُ عن ابنِ عباسٍ. وهو غريبٌ وليس بصحيحٍ. قال ابنُ عساكرَ[١]: جاءَ في بعضِ الآثارِ، أنَّهُ وقَفَ علىٰ دَمِ يحيَىٰ بنِ زكريا وهو يفورُ بدمَشْقَ، فقال: أيُّها الدَّمُ، فَتَنْتَ الناسَ فاسْكُنْ. فسَكَنَ ورَسَبَ حتَّىٰ غابَ. وقال أبو بكرٍ بنُ أبي الدُّنيا[٢]: حدثَّني عليُّ بنُ أبي مريَمَ، عن أحمدَ بن حبَّابٍ، عن عبدِ اللَّهِ بن عبدِ الرحمنِ. قال: قال أرميا: أيْ ربِّ، أيُّ عبادكَ أحبُّ إليكَ؟ قال: أكثَرُهم لي ذكرًا الَّذين يَشْتَغلُون بذكْرِي عن ذكْرِ الخلائقِ، الذين لا تَعْرِضُ لهم وساوسُ الغَنَاءِ، ولا يُحَدِّثُون أنْفُسَهم بالبقاءِ، الذين إذا عَرَضَ لهم عَيْشُ الدُّنيا قَلَوْهُ، وإذا زُوِيَ عنهم سُرُّوا بذلك. أُولئك أنْحلُهم مَحَبَّتِي وأعطيهم فوقَ غاياتهم.

---

(١) «تاريخ دمشق» (٨/ ٢٨).

(٢) **ضعيف الإسناد**: رواه ابن عساكر عنه (٨/ ٢٨) فيه علي بن أبي مريم لم أقف له على ترجمة.

ذكر خراب بيت المقدس

وقوله تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢ - ٨].

وقال وهبُ بن مُنَبِّه[1] : أوحىٰ اللَّهُ إلىٰ نبيٍّ من أنبياء بني إسرائيلَ، يُقال له: أرميا، حين ظَهَرَتْ فيهمُ المعاصي، أنْ قُمْ بَيْنَ ظَهْرانَيْ قومكَ، فأخبرْهم أنَّ لهم قلوبًا ولا يفقهُون وأعينًا ولا يُبصرونَ، وآذانًا ولا يسمعونَ، وإنِّي تَذَكَّرْتُ صلاحَ آبائهم، فَعَطَفَنِي ذلك علىٰ أبنائهم فَسَلْهُم: كيف وَجَدُوا غبَّ طاعتِي؟ وهل سَعِدَ أحدٌ ممَّن عصاني بمعصيتي؟ وهل شَقِيَ أحدٌ ممَّن أطاعني بطاعتي؟ إنَّ الدوابَّ تذكُرُ أوطانَها فتَنْزِعُ إليها، وإنَّ هؤلاء القومَ تركوا الأمرَ الذي أكْرَمْتُ عليه آباءَهم، والتَمَسُوا الكرامةَ من غيرِ وجهِها، أمَّا أحبارُهم فأنكَرُوا حَقِّي، وأمَّا قُرَّاؤُهم فعَبَدُوا غيري، وأمَّا نُسَّاكُهم فلم يَنْتَفِعُوا بما عَلِمُوا، وأمَّا وُلاتُهم فكَذَّبُوا عليَّ وعلىٰ رُسُلِي، خَزَنُوا المكرَ في قلوبِهم، وعَوَّدُوا الكَذِبَ ألسنتَهم. وإنِّي أقسمُ بجلالي وعِزَّتِي، لأُهَيِّجَنَّ عليهم جيولاً لا يفقهُون ألسنتَهم، ولا يعرِفونَ وُجُوهَهُم، ولا يرحَمُون بُكاءَهم، ولأَبْعَثَنَّ فيهم مَلِكًا جبَّارًا قاسيًا، له عساكرُ كقطَعِ السحاب، ومواكبُ كأمثالِ العَجَاجِ، كأنَّ خَفَقَانَ راياته طَيَرَانُ النُّسُورِ، وكأنَّ حملَ فرسانه كرُّ العِقْبانِ، يُعيدُونَ العمرانَ خرابًا، ويَتْرُكونَ القُرىٰ وَحْشَةً، فيا ويلَ إيلياءَ وسُكَّانِها، كيف أُذَلِّلُهم للقتلِ، وأُسَلِّطُ عليهم السِّباءَ، وأُعيدُ بعدَ لَجَبِ الأعراسِ صُراخًا، وبعد صهيلِ الخيلِ عُواءَ الذِّئابِ، وبعدَ شُرَافاتِ القُصُورِ مساكنَ السِّباعِ، وبعدَ ضَوْءِ السُّرُجِ وَهَجَ العَجَاجِ، وبالعزِّ الذُّلَّ، وبالنِّعْمَةِ العُبُودِيَّةَ، وأُبَدِّلَنَّ نساءَهم بعدَ الطِّيبِ التُّرابَ، والمَشْيَ علىٰ الزَّرابيِّ الخَبَبَ. ولأَجْعَلَنَّ أجسادَهم زِبْلاً للأرضِ، وعظامَهم ضاحيةً للشمسِ، ولأَدُوسَنَّهم بألوانِ العذابِ، ثُمَّ لآمُرَنَّ السماءَ فَلَتَكُونَنَّ طَبَقًا من حديدٍ، والأرضَ سبيكةً من نُحاسٍ، فإنْ أمطرَتْ لم تُنْبِتِ الأرضُ، وإنْ أنبتت شيئًا في خلالِ ذلك، فبرَحْمَتِي للبهائمِ، ثُمَّ أَحْبِسُه في زمانِ الزَّرْعِ، وأُرْسِلُهُ في زمانِ الحَصَادِ فإنْ زَرَعُوا في خلالِ ذلك شيئًا، سَلَّطْتُ عليه الآفَةَ، فإنْ خَلَصَ منه شيءٌ نَزَعْتُ منه البَرَكَةَ، فإنْ دَعَوْنِي لم أُجِبْهم، وإنْ سَأَلُوا لم أُعْطِهم وإنْ بَكَوْا

---

(١) حسن إليه: رواه ابن جرير تاريخ (١/ ٣٢١) من طريقين عنه أحدهما حسن وهو طريق عبد الصمد بن معقل عنه والآخر من طريق ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق عمن لا يتهم عنه.

لم أرحَمْهم، وإن تضرَّعُوا صرَفْتُ وَجْهي عنهم. رواهُ ابنُ عساكرَ(١) بهذا اللفظ.

وقالَ إسحاقُ بن بشر: أنبأنا إدريسُ، عن وهب بن مُنَبِّه(٢) قال: إنَّ اللَّهَ تعالى لَمَّا بعَثَ أرميا إلى بني إسرائيلَ، وذلك حينَ عَظُمَت الأحداثُ فيهم؛ فعَمِلُوا بالمعاصي وقَتَلُوا الأنبياءَ، طَمِعَ بُخْتُ نَصَّرَ فيهم، وقَذَفَ اللَّهُ في قلبِهِ، وحَدَّثَ نَفْسَهُ بالمسيرِ إليهم؛ لَمَّا أرادَ اللَّهُ أنْ يَنْتَقِمَ به منهم، فأوحَى اللَّهُ إلى أرميا؛ أنِّي مُهْلِكٌ بني إسرائيلَ، ومُنْتَقِمٌ منهم، فَقُمْ على صخرةِ بيتِ المقدسِ؛ يأتيكَ أمري ووَحْيي. فقامَ أرْميَا فشَقَّ ثِيابَهُ، وجعلَ الرَّمادَ على رأسِه، وخرَّ ساجدًا، وقال: يا ربِّ، وَدِدْتُ أُمِّي لم تَلِدْني حين جَعَلْتَني آخِرَ أنبياءِ بني إسرائيلَ، فيكونُ خرابُ بيتِ المقدسِ، وبوارُ بني إسرائيلَ من أجلِي. فقيل له: ارْفَعْ رأسَكَ. فرَفَعَ رأسَهُ فَبَكَى، ثم قال: يا ربِّ، مَنْ تُسَلِّطُ عليهم؟ قال: عَبَدَةَ النِّيرانِ؛ لا يَخافُونَ عقابِي، ولا يرجُونَ ثوابِي، قُمْ يا أرميا فاسْتَمِعْ وَحْيِي، أُخْبِرْكَ خَبَرَكَ وخبرَ بني إسرائيلَ؛ من قبلِ أنْ أَخْلُقَكَ اخْتَرْتُكَ، ومن قبلِ أنْ أُصَوِّرَكَ في رحمِ أُمِّكَ قَدَّسْتُكَ، ومن قبلِ أنْ أُخْرِجَكَ من بطنِ أُمِّكَ طَهَّرْتُكَ، ومن قبلِ أنْ تَبْلُغَ نَبَّأْتُكَ، ومن قبلِ أن تَبْلُغَ الأَشُدَّ اخترْتُكَ، ولأمرٍ عظيمٍ اجْتَبَيْتُكَ، فقُمْ مع الملك، تُسَدِّدُهُ وتُرْشِدُه. فكان مع الملكِ يُرْشِدُهُ ويأتيه الوحيُ من اللَّه، حتَّى عَظُمَت الأحداثُ، ونَسُوا ما نَجَّاهُمُ اللَّهُ من عَدُوِّهم سنحاريبَ وجُنُوده، فأوحَى اللَّهُ إلى أرميا؛ قُمْ فاقْصُصْ عليهم ما آمُرُكَ به، وذَكِّرْهم نِعْمَتِي عليهم، وعَرِّفْهم أحداثَهم. فقال أرميا: يا ربِّ، إنِّي ضعيفٌ إنْ لم تُقَوِّني، عاجزٌ إنْ لم تُبَلِّغْني، مُخْطِئٌ إنْ لم تُسَدِّدْني، مخذولٌ إنْ لم تنصُرْني، ذَليلٌ إنْ لم تُعِزَّني. فقالَ اللَّهُ تعالى: أوَ لَمْ تَعْلَمْ أنَّ الأمورَ كُلَّها تَصْدُرُ عن مشيئَتِي، وأنَّ الخلقَ والأمرَ كلَّه لي، وأنَّ القلوبَ والألسنةَ كلَّها بيدي، فأُقَلِّبُها كيف شئْتُ فتُطيعُني، فأنا اللَّهُ الذي ليس شيءٌ مثلي، قامت السمواتُ والأرضُ وما فيهنَّ بكَلِمَتِي، وأنَّه لا يخْلُصُ التوحيدُ ولم تَتِمَّ القدرةُ إلا لي، ولا يَعْلَمُ ما عندي غيري، وأنا الذي كَلَّمْتُ البحارَ ففَهِمَتْ قولي، وأمرتُها فَفَعَلَتْ أمري، وحَدَدْتُ عليها حدودًا، فلا تعدو حدِّي، وتأتي بأمواجٍ كالجبال، فإذا بلغَتْ حَدِّي ألبَسْتُها مَذَلَّةً لطاعتي، وخوفًا واعترافًا لأمري، وإنِّي معكَ، ولن يصلَ إليكَ شيءٌ معي، وإنِّي بعثتُك إلى خلقٍ عظيمٍ من خَلْقِي؛ لِتُبَلِّغَهم رسالاتي، فتستوجبَ لذلك أجرَ من اتَّبَعَكَ، ولا ينقُصُ ذلك من أجورِهم شيئًا، وإنْ تُقَصِّرْ عنها، تستَحِقَّ بذلك وزرَ من ترَكْتَهُ في عمايَةٍ، ولا ينقُصُ ذلك من أوزارِهم شيئًا، انطَلِقْ إلى قومِك، فَقُمْ فيهم، وقُلْ لهم: إنَّ اللَّهَ قد ذَكَرَكُم بصلاحِ آبائكم؛ فلذلك استبقاكم يا معشرَ أبناءِ الأنبياء، كيف وَجَدَ آباؤُكم مَغَبَّةَ طاعتي، وكيف وجدتُم مَغَبَّةَ معصيتي؟ وهل وَجَدُوا أحدًا عصاني فَسَعِدَ بمعصيتي؟ وهل عَلِمُوا أحدًا أطاعني فشَقِيَ بطاعَتِي؟ إنَّ الدَّوابَّ إذا ذَكَرَتْ أوطانَها الصالحةَ نَزَعَتْ إليها، وإنَّ هؤلاءِ القومَ رَتَعُوا في مُرُوجِ الهلكةِ، وتَرَكُوا الأمرَ الذي به أكرمتُ آباءَهم، وابْتَغَوا الكرامةَ من غير

---

(١) ابن عساكر تاريخ (٨/ ٢٩).

(٢) **موضوع**: ابن عساكر تاريخ (٨/ ٣٤) فيه إسحاق بن بشر متهم بالكذب.

وَجْهها. أمَّا أحبارُهم ورُهبانُهم، فاتَّخذوا عبادي خَوَلا يَتعَبَّدُونهم ويحكُمُونَ فيهم بغيرِ كتابِي، حتَّىٰ أَجْهَلُوهم أمرِي، وأنسَوْهم ذِكْرِي وسُنَّتِي، وغَرُّوهم عنِّي، فدانَ لهم عبادِي بالطاعة، التي لا تنبَغِي إلا لي، فهم يُطيعُونهم في معصيتِي. وأمَّا مُلوكُهم وأُمراؤُهم فَبَطِرُوا نعمتِي، وأَمِنُوا مَكْرِي، وغَرَّتْهُم الدُّنيا، حتَّىٰ نَبَذُوا كتابِي ونَسُوا عهدِي، فهم يُحَرِّفُون كتابي، ويَفْتَرُون علىٰ رُسُلِي؛ جُرأَةً منهم عليَّ وَغِرَّةً بي. فسبحانَ جَلالِي وعُلُوِّ مكانِي، وعظمةِ شأنِي هل ينبغي أن يكون لي شريكٌ في ملكي! وهل ينبغي لبشرٍ أن يُطاع في معصيتي! هل ينبغي لي أن أخلُقَ عباداً أجعَلُهم أرباباً من دوني! أو آذَنَ لأحدٍ بالطاعةِ لأحدٍ! وهي لا تنبغي إلا لي! وأمَّا قُرَّاؤُهم وفقهاؤُهم فيَدْرُسُونَ ما يَتَخَيَّرُونَ، فيَنْقادُونَ للملوكِ، فيُتَابِعُونهم علىٰ البدعِ التي يَبْتَدِعونَ في دِينِي، ويُطيعُونهم في معصيتي، ويُوفُون لهم بالعُهُودِ النَّاقضةِ لعهْدِي، فهم جهَلَةٌ بما يعلَمُون، لا ينتفعونَ بشيءٍ ممَّا علموا من كتابِي، وأمَّا أولادُ النَّبِيِّينَ، فمَقْهُورونَ ومَفْتُونون، يخوضُون مع الخائضينَ، يَتَمَنَّوْنَ مثلَ نَصْرِي آباءَهم، والكرامةَ التي أكرَمْتُهم بها، ويزعُمُون أنَّه لا أحدَ أولَىٰ بذلك منهم، بغيرِ صدقٍ منهم، ولا تَفَكُّرٍ، ولا يَذْكُرونَ كيف كان صبرُ آبائِهم، وكيف كان جُهْدُهم في أمرِي، حتَّىٰ اغْتَرَّ المغتَرُّونَ، وكيفَ بَذَلُوا أنفسَهم ودماءَهم، فَصَبَرُوا وصَدَقُوا، حتَّىٰ عزَّ أمرِي، وظَهَر ديني فتَأَنَّيْتُ هؤلاءِ القومَ، لعلَّهم يستحيون منِّي ويرجعونَ، فتَطَوَّلْتُ عليهم وصَفَحْتُ عنهم، فأَكْثَرْتُ ومَدَدْتُ لهم في العُمُرِ، وأَعْذَرْتُ لهم لعلَّهم يَتَذَكَّرُونَ، وكُلُّ ذلك أُمْطِرُ عليهم السماءَ، وأُنْبِتُ لهمُ الأرضَ، وأُلْبِسُهم العافيةَ، وأُظْهِرُهم علىٰ العدوِّ، ولا يزدادُونَ إلا طُغْيانًا وبُعْدًا منِّي، فحتَّىٰ متىٰ هذا؟! أَبِي يَسْخَرونَ، أَمْ بِي يَتَمَرَّسُونَ؟! أم إيايَ يُخادعونَ؟! أم عليَّ يَجْتَرِئُونَ؟! فإنِّي أقسمُ بعزَّتِي، لأُتيحنَّ لهم فتنةً يَتَحَيَّرُ فيها الحليمُ، ويَضِلُّ فيها رأيُ ذَوِي الرأيِ، وحكمةُ الحكيمِ، ثم لأُسَلِّطَنَّ عليهم جبارًا قاسيًا عاتيًا، أُلبِسُهُ الهيبةَ، وأنزعُ من قلبِهِ الرأفَةَ والرحمةَ، وآليتُ أنْ يَتَّبِعَهُ عددٌ وسوادٌ مثلُ الليلِ المُظلِمِ، له فيه عساكرُ مثلُ قِطَعِ السحابِ، ومواكبُ مثلُ العَجَاجِ، وكأنَّ حفيفَ راياتِه طَيَرَانُ النُّسورِ، وحَمْلَ فُرْسانه كسربِ العقبانِ، يُعيدُونَ العُمرانَ خرابًا، والقُرىٰ وَحْشًا، ويَعيثُونَ في الأرضِ فسادًا، ويُتَبِّرُونَ ما عَلَوْا تَتْبِيرًا، قاسيةٌ قلوبُهم؛ لا يكتَرِثُونَ ولا يَرِقُّونَ، ولا يرحَمُونَ، ولا يُبْصِرونَ، ولا يسمعونَ، يَجُولونَ في الأسواقِ بأصواتٍ مرتفعةٍ مثلِ زئيرِ الأُسدِ، تَقْشَعِرُّ من هيبتها الجُلُودُ، وتَطيشُ من سمعها الأحلامُ بألسنةٍ لا يفقَهُونَها، ووجُوهٍ ظاهرٍ عليها المنكرُ لا يعرفونها. فوَعِزَّتِي لأُعَطِّلَنَّ بُيُوتَهم من كُتُبِي وقُدُسِي، ولأُخْلِيَنَّ مجالِسَهم من حديثِها ودُرُوسِها، ولأُوحِشَنَّ مساجدَهم من عُمَّارِها وزُوَّارِها، الذين كانوا يَتَزَيَّنُون بعمارتِها لغيرِي، ويَتَهَجَّدُونَ فيها ويَتَعَبَّدُونَ لكسبِ الدُّنيا بالدينِ، ويَتَفَقَّهُونَ فيها لغيرِ الدِّينِ، ويَتَعَلَّمُونَ فيها لغيرِ العملِ، لأُبَدِّلَنَّ ملوكَها بالعزِّ الذُّلَّ، وبالأمنِ الخوفَ، وبالغِنَىٰ الفقرَ، وبالنِّعْمةِ الجوعَ، وبطولِ العافيةِ والرَّخاءِ ألوانَ البلاءِ وبلباسِ الديباجِ والحريرِ مدارعَ الوبَرِ والعَبَاءَ، وبالأرواحِ الطَّيِّبَةِ والأدهانِ جِيَفَ القَتْلَىٰ، وبلباسِ التِّيجانِ أطواقَ الحديدِ والسلاسلَ

والأغلالَ، ثم لأعيدَنَّ فيهم بعدَ القُصورِ الواسعةِ والحصُونِ الحصينةِ الخرابَ، وبعدَ البُرُوجِ المُشَيَّدَةِ مساكِنَ السِّباعِ، وبعدَ صهيلِ الخيلِ عُواءَ الذِّئابِ، وبعدَ ضوءِ السِّراجِ دُخانَ الحريقِ، وبعدَ الأُنسِ الوحشةَ والقفارَ، ثم لأبَدِّلَنَّ نساءَها بالأسورةِ الأغلالَ، وبقلائدِ الدُّرِّ والياقوتِ سلاسلَ الحديدِ، وبألوانِ الطِّيبِ والأدهانِ النَّقْعَ والغُبارَ، وبالمشي على الزَّرابيِّ عُبُورَ الأسواقِ والأنهارِ والخَبَبَ إلى الليلِ في بطونِ الأسواقِ، وبالخدُورِ والستورِ الحسورَ عن الوجوهِ والسُّوقِ والإسفارَ، والأرواحِ السَّمُومَ، ثم لأدُوسنَّهم بأنواعِ العذابِ، حتَّى لو كان الكائنُ منهم في حالقٍ لوصَلَ ذلك إليه. إنِّي إنَّما أُكْرِمُ من أكرمَني، وإنَّما أهينُ من هان عليه أمري، ثُمَّ لآمرَنَّ السماءَ خلالَ ذلك؛ فَلَتَكُونَنَّ عليهم طبقًا من حديدٍ، ولآمرَنَّ الأرضَ، فلَتَكُونَنَّ سبيكةً من نُحاسٍ، فلا سماءَ تُمطرُ، ولا أرضَ تُنبتُ، فإن أمطرتْ خلالَ ذلك شيئًا سلَّطْتُ عليه الآفةَ، فإنْ خلَصَ منه شيءٌ نَزَعتُ منه البركةَ، وإنْ دَعَوْني لم أُجِبْهُم، وإن سألوني لم أُعْطِهم، وإن بكوا لم أرحَمْهم، وإن تَضرَّعُوا إليَّ صَرَفْتُ وجهي عنهم. وإن قالوا: اللَّهُمَّ أنت الذي ابْتَدَأْتَنا وآباءَنا من قبلنا برحمتكَ وكرامتك، وذلك بأنَّك اختَرْتَنا لنَفْسك، وجعلتَ فينا نُبُوَّتَك وكتابَك ومساجدَك، ثم مَكَّنْتَ لنا في البلادِ، واستخلفتَنا فيها وربَّيْتَنا وآباءَنا من قبلنا بنعمتكَ صغارًا، وحفظتَنا وإيَّاهُم برَحْمَتِكَ كبارًا، فأنتَ أوفَى المُنْعِمينَ، فلا تُغَيِّرْ وإنْ غَيَّرْنا، ولا تُبدِّلْ وإنْ بَدَّلْنا، وأنْ تُتِمَّ فضلَكَ ومنَّكَ وطَوْلَكَ وإحسانَكَ. فإنْ قالوا ذلك، قلتُ لهم: إني أبْتَدِئُ عبادي برحمَتي ونعمَتي، فإنْ قَبِلُوا أتممتُ، وإن استَزادُوا زِدْتُ، وإنْ شكَرُوا ضاعَفْتُ، وإنْ بَدَّلُوا غَيَّرْتُ، وإذا غَيَّرُوا غَضِبْتُ، وإذا غضبتُ عَذَّبْتُ، وليس يقومُ شيءٌ لغضبي. قال كعبٌ: فقال أرميا: برَحْمَتِكَ أصبحتُ أتكلَّمُ بين يديكَ، وهل ينبغي ذلك لي، وأنا أذَلُّ وأضعفُ من أن ينبغي لي أن أتكلَّمَ بين يديكَ، ولكنْ برحْمَتِكَ أبقيتَني لهذا اليومِ، وليس أحدٌ أحقَّ أنْ يَخافَ هذا العذابَ وهذا الوعيدَ منِّي، بما رَضِيتَ به منِّي طَولاً، والإقامةِ في دارِ الخاطئينَ وهم يَعْصُونَكَ حولي بغيرِ نَكيرٍ ولا تغييرٍ منِّي، فإنْ تُعَذِّبْني فبِذَنْبي، وإنْ تَرْحَمْني فذلك ظَنِّي بك، ثُمَّ قال: يا ربِّ، سُبحانَكَ وبحمدك، وتباركْتَ ربَّنا وتعالَيْتَ، أتُهلكُ هذه القريةَ وما حولَها وهي مساكنُ أنبيائك ومنزِلُ وحيِك؟ يا ربِّ سُبحانَك وبحمدك، وتباركْتَ ربَّنا وتعالَيْتَ لمَخْرَبِ هذا المسجدِ وما حولَهُ من المساجدِ، ومن البُيُوتِ التي رُفِعَتْ لذكْرِك؟ يا ربِّ سُبحانَكَ وبحمدك، وتباركْتَ وتعاليْتَ لمَقْتكَ هذه الأُمَّةَ وعذابكَ إيَّاهُم وهم من ولدِ إبراهيمَ خليلك وأُمَّةِ موسَى نَجِيِّكَ، وقومِ داودَ صَفيِّكَ، يا ربِّ أيُّ القُرَى تأمَنُ عُقُوبتَك بعد أورشليمَ؟ وأيُّ العبادِ يأمنونَ سَطْوَتَكَ بعدَ ولدِ خليلكَ إبراهيمَ، وأُمَّةِ نَجيِّك موسَى، وقومِ خليفَتِكَ داودَ؟ تُسَلِّطُ عليهم عَبَدَةَ النيرانِ! قال اللَّهُ تعالى: يا أرميا، من عصاني فلا يَسْتَنْكِرْ نِقْمَتي؛ فإنِّي أكرمْتُ هؤلاءِ القومَ على طاعتي، ولو أنَّهم عصوني لأنزَلْتُهم دارَ العاصينَ إلا أن أتدارَكَهم برحمتي. قال أرميا: يا ربِّ اتَّخَذْتَ إبراهيم خليلاً، وحفظْتَنا به، وموسى قرَّبْتَهُ نَجيًا، فنسألُكَ أنْ تَحفَظَنَا ولا تَتَخطَّفَنا، ولا تُسَلِّطَ علينا عَدُوَّنا. فأوحَى اللَّهُ إليه: يا أرميا إنِّي

قدَّسْتُكَ في بطنِ أُمِّكَ، وأَخَّرْتُكَ إلى هذا اليومِ، فلو أنَّ قومَكَ حَفظُوا اليتامَى والأراملَ والمساكينَ وابنَ السبيلِ، لكُنْتُ الداعمَ لهم، وكانوا عِنْدي بمنزلةِ جنَّةٍ ناعمٍ شَجَرُها، طاهرٍ ماؤُها، ولا يغورُ ماؤُها، ولا تبُورُ ثمارُها ولا تَنْقَطِعُ، ولكنْ سأشْكُو إليك بني إسرائيلَ؛ إنِّي كنتُ لهم بمنزلةِ الرَّاعِي الشفيقِ، أُجَنِّبُهُمْ كُلَّ قحطٍ وكُلَّ عسرةٍ، وأُتْبعُ بهم الخصبَ، حتَّى صاروا كِباشًا ينطَحُ بعضُها بعضًا، فيا ويلَهُم ثم يا ويلَهم، إنَّما أكرمُ من أكرَمَنِي وأهينُ من هانَ عليهِ أمرِي، إنَّ من كان قبلَ هؤلاءِ القومِ من القُرونِ يستخِفُّونَ بمعصيتي، وإنَّ هؤلاءِ القومَ يَتَبَرَّعُونَ بمعصيتي تَبَرُّعًا فيُظْهِرُونها في المساجدِ والأسواقِ وعلى رُءوسِ الجبالِ وظِلالِ الأشجارِ، حتَّى عَجَّتِ السماءُ إليَّ منهم، وعجَّتِ الأرضُ والجبالُ، ونَفَرَتْ منهم الوحوشُ بأطرافِ الأرضِ وأقاصيها، وفي كلٍّ ذلك لا ينتهونَ ولا ينتفعونَ بما عَلِموا من الكتاب. قال: فلمَّا بَلَّغَهم أرميا رسالةَ ربِّهم، وسمعوا ما فيها من الوعيدِ والعذابِ، عَصَوْه وكذَّبوه واتَّهَمُوه وقالوا: كَذَبْتَ وعظَّمْتَ على اللَّه الفِرْيَةَ، فتَزْعُمُ أنَّ اللَّهَ مُعَطِّلٌ أرضَهُ ومساجِدَهُ من كتابِهِ وعبادَتِهِ وتوحيدِهِ، فَمَنْ يعبُدُهُ حينَ لا يَبْقَى له في الأرضِ عابدٌ ولا مَسْجِدٌ ولا كتابٌ؟ لقد أعظَمْتَ الفِرْيَةَ على اللَّه، واعتَرَاكَ الجنونُ. فأخذُوه وقيَّدُوه وسجَنُوه، فعندَ ذلك بعثَ اللَّهُ عليهم بُخْتُ نَصَّرَ، فأقبلَ يسيرُ بجنودِهِ حتَّى نَزَلَ بساحَتِهم، ثم حاصَرَهم، فكان كما قال تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] قال: فلما طالَ بهم الحصرُ، نَزَلُوا على حُكْمِه، فَفَتَحُوا الأبوابَ، وتَخَلَّلُوا الأَزِقَّةَ، وذلك قوله تعالى: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ وحَكَمَ فيهم حُكْمَ الجاهليَّةِ وبَطْشَ الجبَّارينَ، فَقَتَلَ منهم الثُّلُثَ، وسَبَى الثُّلُثَ، وتَرَكَ الزَّمْنَى والشُّيوخَ والعجائزَ، ثم وَطِئَهم بالخيلِ، وهَدَم بيتَ المقدسِ، وساقَ الصِّبْيانَ، وأوقفَ النساءَ في الأسواقِ مُحْسَرَاتٍ، وقَتَلَ المُقاتلَةَ وخَرَّبَ الحُصُونَ، وهدَّم المساجِدَ، وحرَّقَ التوراةَ، وسألَ عن دانيالَ الذي كان كتبَ له الكتابَ، فوَجَدَهُ قد ماتَ، وأخرَجَ أهلُ بيتِهِ الكتابَ إليه، و كان فيهم دانيالُ بن حِزْقيلَ الأصغرُ، وميشائيلُ وعزرائيلُ وميخائيلُ، فأمضَى لهم ذلك الكتابَ، وكان دانيالُ بن حِزقيلَ خلفًا من دانيالَ الأكبرِ، ودخلَ بُخْتُ نَصَّرَ بجنودِهِ بيتَ المقدسِ، ووطِئَ الشامَ كلَّها وقتلَ بني إسرائيلَ حتَّى أفناهم، فلمَّا فَرَغَ منهم، انصرفَ راجعًا، وحملَ الأموالَ التي كانت بها، وساقَ السَّبايا، فبلغَ معه عِدَّةُ صِبيانِهم من أبناءِ الأحبارِ والملوكِ تسعينَ ألفَ غُلامٍ، وقذَفَ الكُناساتِ في بيتِ المقدسِ، وذبحَ فيه الخنازيرَ، وكان الغلمانُ سبعةَ آلافِ غلامٍ من بيتِ داودَ، وأحدَ عَشَرَ ألفًا من سبطِ يوسفَ ابن يعقوبَ وأخيه بنيامين، وثمانيةَ آلافٍ من سبطِ إيشَا بن يعقوبَ، وأربعةَ عَشَرَ ألفًا من سبط زَبالون، ونَفْتالي ابني يعقوبَ، وأربعة عَشَرَ ألفًا من سبط دانِ بن يعقوبَ، وثمانيةَ آلافٍ من سبطِ يستاخرَ بن يعقوبَ، وألفينَ من سبطِ رايلونَ بن يعقوبَ، وأربعة آلافٍ من سبطِ روبيلَ ولاوي، واثني عشر ألفًا من سائرِ بني إسرائيلَ، وانطلقَ حتَّى قَدِمَ أرضَ بابلَ.

قال إسحاقُ بنُ بشرٍ: قال وهبُ بن منبهٍ: فلمَّا فَعَلَ ما فَعَلَ، قيلَ له: كان لهم صاحبٌ يُحَذِّرُهم

ما أصابَهُم، ويَصِفُك وخَبَرَكَ لهمْ، ويُخبِرُهم أنَّكَ تقتُلُ مُقاتلَتَهُم، وتَسْبِي ذَرارِيَّهم، وتَهْدِم مساجدَهم، وتَحْرِقُ كنائسَهم، فكَذَّبوه واتَّهَمُوه، وضربُوه، وقيَّدُوه وحَبَسوه. فَأَمَرَ بُخْتُ نَصَّرَ، فأخرِجَ أرْمِيَا مِن السِّجْنِ، فقال له: أكُنْتَ تُحَذِّرُ هؤلاءِ القومَ ما أصابَهُم؟ قال: نَعَمْ. قال: فأنَّي عَلِمْتَ ذلك؟ قال: أَرْسَلَنِي الله إليهم فكذَّبوني. قال: كَذَّبُوك وضربُوكَ وسجنُوك؟ قال: نعم. قال: بئسَ القومُ قومٌ كذَّبُوا نبيَّهم، وكذَّبوا رسالةَ ربِّهم، فهلْ لَكَ أَنْ تَلْحَقَ بِي، فأكْرِمَك وأواسِيَك، وإن أحْبَبْتَ أن تُقِيمَ في بلادك، فَقَد أمَّنْتُكَ. قال له أرْمِيَا: إني لم أَزَلْ في أمانِ الله منذُ كنتُ، لم أخْرُجْ منه ساعةً قَطُّ، ولو أنَّ بني إسرائيلَ لم يَخرُجُوا منه، لم يخافُوكَ ولا غيرَكَ، ولم يكُنْ لكَ عليهم سُلْطانٌ، فلمَّا سَمِعَ بُخْتُ نَصَّرَ هذا القولَ منه، تَرَكَه، فأَقَامَ أرْمِيَا مكانَه بأرْضِ إيلِياءَ. وهذا سياقٌ غريبٌ، وفيه حِكَمٌ ومَواعِظُ وأشياءُ مَليحةٌ، وفيه مِن جهَةِ التَّعْريبِ غَرابةٌ.

وقال هشامُ بن محمدِ بن السائبِ الكَلْبيُّ:[1] كان بُخْتُ نَصَّرَ أَصفَهْبَذًا، لِمَا بينَ الأهوازِ إلى الرُّومِ؛ لِلْمَلِكِ على الفُرْسِ وهو لهراسبُ، وكان قد بَنَى مدينةَ بَلْخَ التي تُلَقَّبُ بـ«الحَسْناء»، وقاتَلَ التُّرْكَ، والْجأهُم إلى أضيَقِ الأَماكنِ، وبَعَثَ بُخْتُ نَصَّرَ لقتَالِ بني إسرائيلَ بالشامِ، فلمَّا قَدِمَ الشَّامَ صالَحَهُ أهلُ دِمَشْقَ، وقد قِيلَ: إنَّ الذي بَعَثَ بُخْتُ نَصَّرَ، إنَّما هو بهمنُ مَلِكُ الفرسِ بعدَ بشتاسبَ ابن لهراسبَ، وذلك لتَعَدِّي بني إسْرائيلَ على رُسُلِه إليهم، وقد رَوَى ابنُ جريرٍ[2]، عن يونسَ بن عبدِ الأعْلَى، عن ابن وَهْبٍ، عن سليمانَ بن بلالٍ، عن يَحْيَى بن سعيدٍ الأنصاريِّ، عن سعيدِ بن المسيَّبِ، أنَّ بُخْتُ نَصَّرَ لَمَّا قَدِمَ دمَشْقَ، وَجَدَ بها دَمًا يَغْلِي على كِبًا - يعني القمامةَ - فسألَهم: ما هذا الدَّم؟ فقالوا: أدْرَكْنَا آباءَنا على هذا، وكُلَّما ظَهَرَ عَلَيْه الْكِبَا ظَهَرَ، قال: فقَتَلَ على ذلكَ سبعين ألفًا من المسلمين وغيرِهم، فَسَكَنَ، وهذا إسْنادٌ صحيحٌ إلى سعيدِ بن الْمُسَيَّب، وقد تَقَدَّمَ مِن كلامِ الحافظ ابن عَساكرَ ما يدلُّ على أنَّ هذا دَمُ يَحْيَى بن زكريّا، وهذا لا يَصِحُّ؛ لأنَّ يحْيَى بن زَكَرِيَّا بعدَ بُخْتُ نَصَّرَ بمُدَّةٍ، والظاهرُ أنَّ هذا دمُ نبيٍّ مُتقدِّمٍ، أو دَمٌ لبعضِ الصالحينَ، أوْ لمن شَاءَ الله ممَّن اللهُ أعلمُ به.

قال هشامُ بن الكَلْبِيِّ[3]: ثُمَّ قَدِمَ بُخْتُ نَصَّرَ بيتَ المقدسِ، فصالَحَه مَلِكُها، وكان من آل داودَ، وصانَعَه عن بني إسرائيلَ، وأخَذَ منه بُخْتُ نَصَّرَ رَهائِنَ ورَجَعَ، فلمَّا بَلَغَ طَبَرِيَّةَ بَلَغَه أنّ بني إسرائيلَ ثارُوا على مَلِكِهم فقتَلُوه لأجْلِ أنَّه صالَحَه، فَضَرَبَ رِقابَ مَنْ معه من الرَّهائنِ ورَجَعَ إليهم، فأخَذَ المدينةَ عنْوَةً، وَقَتَلَ الْمُقَاتلَةَ وسَبَى الذُّرِّيَّةَ. قال: وبَلَغَنا أنَّه وَجَدَ في السِّجْنِ أرْميا النبيَّ، فأخْرَجَه وقصَّ عليه ما كانَ من أمْرِه إيَّاهم، وتَحْذيرِه لهم عن ذلك، فَكَذَّبُوه وسَجَنُوه، فقال بُخْتُ نَصَّرَ: بئسَ القومُ قومٌ عَصَوْا رَسُولَ الله، وخلَّى سبيلَه وأحسَنَ إيه. واجْتَمَعَ إليْه مَن بَقِيَ مِن ضُعَفاءِ بني إسرائيلَ، فقالوا: إنَّا قد أسَأنا وظَلَمنا، ونحنُ نتُوبُ إلى اللهِ، عَزَّ وجلَّ، مِمَّا صَنَعْنا، فادْعُ الله أن

---

(١) **سنده ضعيف**: ذكره عنه ابن جرير (١/ ٣١٦) تاريخ قال حُدثت عن هشام.
(٢) **صحيح الإسناد**: تفسير (٩/ الجزء ١٥/ ٢٩ - ٣٠) وسنده صحيح.
(٣) **سنده ضعيف**: ابن جرير تاريخ (١/ ٣١٦) قال حُدثت عن هشام.

يَقْبَلَ تَوبَتَنا. فدعا ربَّه، فأوْحَىٰ اللهُ إليْه أنَّه غيرُ فاعلٍ، فإن كانوا صادقينَ فلْيُقيمُوا معك بهذه البَلْدَة، فأخْبَرَهم ما أمَرَه الله تعالىٰ به، فقالوا: كيف نُقيمُ بهذه البلدَة وقد خَرِبَتْ، وغَضِبَ اللهُ علىٰ أهلِها! فأبَوْا أن يُقيمُوا. قال ابن الكَلْبِيِّ: ومن ذلك الزَّمان تَفرَّقَتْ بنو إسرائيلَ في البلاد، فنَزَلَتْ طائفةٌ منهم الحجازَ، وطائفةٌ يَثْرِبَ، وطائفةٌ واديَ القُرىٰ، وذَهَبَتْ شِرْذِمَةٌ منهم إلىٰ مِصْرَ، فكَتَبَ بُخْتُ نَصَّرَ إلىٰ مَلِكِها، يطلبُ منه مَن شَرَدَ منهم إليه، فأبَىٰ عليه، فركَبَ في جيشِه، فقاتَلَه وقَهَرَه وغَلَبَه، وسَبَىٰ ذَرَاريَّهم، ثُمَّ رَكِبَ إلىٰ بلادِ المَغْرِبِ، حتي بَلَغَ أقْصَىٰ تلكَ النّاحيَة. قال: ثم انصَرَفَ بِسَبْيٍ كثيرٍ إلىٰ بلادِ المغْرِبِ، ومصرَ، وأهلِ بيتِ المقْدسِ، وأرضِ فلسطينَ، والأرْدُنِّ، وفي السَّبْيِ دانيالُ: قلتُ: والظّاهر أنَّه دانيالُ بن حِزقِيلَ الأصغرُ لا الأكبرُ، علىٰ ما ذَكَره وهبُ بن مُنَبِّهٍ. واللهُ أعلمُ.

ذكر شيء من خبر دانيال عليه السلام

قال ابن أبي الدُّنيا[1]: حَدَّثني أحمدُ بن عبدِ الأعلَىٰ الشَّيْبانيُّ، قال: إنْ لم أكُنْ سَمِعْتُه مِن شُعَيْبِ ابن صَفْوانَ، فحدَّثني بعضُ أصْحابِنا عنه، عن الأَجْلَحِ الكِنْديِّ، عن عبدِ الله بن أبي الهُذَيْلِ قال: ضَرَّي بُخْتُ نَصَّرَ أسَدَين، فألقاهُما في جُبٍّ وجاءَ بدانيالَ فألْقاه عليهما، فَلَمْ يَهِيجَاهُ فمكَثَ ما شاءَ اللهُ، ثمَّ اشْتَهىٰ ما يَشْتَهي الآدميُّون مِن الطَّعامِ والشَّرابِ فأوْحَىٰ اللهُ إلىٰ أرْمِيَا وهو بالشَّامِ: أَنْ أَعْدِدْ طَعَامًا وشَرابًا لدانيالَ، فقال: يا ربِّ، أنا بالأرضِ المقَدَّسة، ودانيالُ بأرْضِ بابِلَ من أرضِ العِراقِ، فأوْحَىٰ اللهُ إليْه: أَنْ أعْدِدْ ما أمَرْناك بِه، فإنَّا سنُرسِلُ مَن يَحْمِلُك ويَحْمِلُ ما أعْدَدْتَ ففَعَلَ، وأرسَلَ اللهُ إليه من حَمَلَه وحَمَلَ ما أعدَّ، حتىٰ وَقَفَ علىٰ رأسِ الجُبِّ فقال: دانيالُ، دانيالُ. فقال: مَنْ هذا؟ قال: أنا أرميَا. فقال: ما جاءَ بكَ؟ فقال: أرْسَلَني إليك ربُّك. قال: وقد ذَكَرَني ربِّي؟ قال نعم. فقال دانيال: الحمدُ لله الذي لا ينْسَىٰ مَن ذَكَره، والحمد لله الذي لا يُخَيِّبُ مَنْ رَجَاه والحمدُ لله الذي مَن وَثِقَ به لم يَكِلْهُ إلىٰ غَيْرِه، والحمدُ لله الذي يَجْزِي بالإحسانِ إحسانًا، والحمدُ لله الذي يَجْزِي بالصَّبْرِ نَجَاةً، والحمدُ لله الذي هو يَكْشِفُ ضُرَّنا بعدَ كَرْبِنا، والحمدُ لله الذي هو ثِقَتُنا حينَ تَسُوءُ ظُنُونُنا بأعمالِنا، والحمدُ للهِ الذي هو رَجاؤنا حين تَنْقَطع الحِيَلُ عنَّا.

وقال يونسُ بن بُكَيْرٍ، عن محمدِ بن إسحاقَ عن أبي خَلْدَةَ خالد بن دينارٍ، حدَّثنا أبو العاليَة قال[2]: لَمَّا افْتَتَحْنا تُسْتَرَ وَجَدْنا في مالِ بَيْتِ الهُرْمُزَانِ سريراً، عليه رجلٌ مَيِّتٌ، عندَ رأسه مُصْحَفٌ، فأخَذْنا المصحفَ، فحمَلْناه إلىٰ عمرَ بن الخطَّاب، فدعا له كَعْبًا فنَسَخَه بالعَرَبيَّةِ، فأنا أولُ رَجُلٍ من العَرَب قَرأَه، قرأْتُه مِثْلَ ما أقْرَأُ القرآنَ هذا، فقلتُ لأبي العالية: ما كانَ فيه؟ قال: سِيَرُكُم وأمورُكم ولُحُونُ كَلامِكُم، وما هو كائنٌ بعدُ. قلتُ: فما صَنَعْتُم بالرَّجُلِ؟ قال: حَفَرْنَا بالنَّهارِ ثلاثةَ عشرَ قَبْراً

---

(١) ضعيف: الإسناد فيه مبهم. وروى ابن أبي الدنيا في الشكر (١٧٣) عن علي بن أبي طالب نحوه. بسند ضعيف فيه إسماعيل بن عباس ضعيف، والانقطاع بين أبي البختري وعلي.

(٢) في إسناده ضعف: يونس بن بكير يخطئ وابن إسحاق مدلس وقد عنعن.

مُتَفَرِّقَةً، فلمَّا كانَ باللَّيلِ دفنَّاه وسوَّيْنَا القُبورَ كُلَّها؛ لنُعَمِّيَه على النَّاسِ فلا يَنْبُشُونَه. قلتُ: فما يَرْجَونَ منْه؟ قال: كانت السَّماءُ إذا حُبِسَتْ عنهم، بَرَزُوا بسَريرِه، فيُمْطَرُون. قلتُ مَنْ كنتم تَظُنُّونَ الرَّجُلَ؟ قال: رجُلٌ يُقالُ له: دانيالُ. قلتُ: مُنْذُ كَمْ وَجَدْتُموه قد مات؟ قال: منذُ ثلثمائة سَنَةٍ. قلتُ: ما تَغَيَّرَ منه شيء؟ قال: لا، إلا شَعَرَاتٌ من قَفَاهُ إنّ لحومَ الأنبياء لا تُبْلِيها الأرضُ ولا تَأكُلُها السِّباعُ، وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى أبي العالية، ولكن إن كانَ تاريخُ وفاته محفوظًا من ثَلثمائة سنة فليس بنبيٍّ، بل هو رجلٌ صالحٌ؛ لأنَّ عيسى ابن مريمَ ليس بينَه وبينَ رسولِ الله ﷺ نبيٌّ، بنصِّ الحديثِ الذي في البخاريِّ[١]، والفَتْرَةُ التي كانت بينَهما أربعُمائة سنةٍ، وقيل: ستُّمائة. وقيل: ستُّمائة وعشرون سنةً. وقد يكونُ تاريخُ وفاته من ثَمانمائة سنةٍ، وهو قريبٌ من وقتِ دانيالَ، إن كان كونُه دانيالَ هو المطابقَ لمَا في نَفْسِ الأمْرِ؛ فإنَّه قد يكونُ رجلاً آخَرَ، إمَّا من الأنبياء أو الصَّالحين، ولكنْ قَرُبَت الظُّنونُ أنَّه دانيالُ؛ لأنَّ دانيالَ كان أخَذَه مَلِكُ الفُرْس، فأقامَ عندَه مسجونًا، كما تقدَّمَ. وقد رُوِيَ بإسنادٍ صحيحٍ إلى أبي العالية، «أنَّ طُولَ أنْفه شِبْرٌ». وعن أنسِ بن مالكٍ، بإسنادٍ جيِّدٍ، أنَّ طُولَ أنفه ذراع فيحتملُ على هذا أن يكون رجلٌ من الأنبياء الأقدمين قبلَ هذه المدةِ. واللهُ أعلمُ[٢].

وقد قال أبو بكر ابنُ أبي الدُّنيا في كتاب «أحكام القُبور»[٣]: حدَّثنا أبو بلال محمدُ بن الحارث ابن عبد الله بن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى الأشْعَرِيِّ، حدَّثنا أبو محمد القاسمُ بن عبد الله، عن أبي الأشْعَث الأحْمَرِيِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ دانيالَ دَعَا ربَّهُ، عزَّ وجلَّ، أنْ تَدْفِنَهُ أُمَّةُ محمَّد**» فلمَّا افْتتح أبو موسى الأشْعَرِيُّ تُسْتَرَ، وجَدَه في تابُوت، تَضْرِبُ عُرُوقُه ووُرِيدُه، وقد كان رسولُ الله ﷺ قال: «**مَنْ دلَّ على دَانيَالَ، فبَشِّرُوهُ بالجنَّة**». فكان الذي دلَّ عليه رجلٌ يُقالُ له: حُرْقُوصٌ، فكَتَبَ أبو موسى إلى عمرَ بخَبَرِه.

فكتبَ إليه عمرُ، أن ادْفنه، وابعثْ إلى حُرْقُوصٍ؛ فإن النبيَّ ﷺ بَشَّرَه بالجَنَّة.

وهذا مُرْسَلٌ من هذا الوجْه، وفي كَوْنه محفُوظًا نَظَرٌ. واللهُ أعلمُ.

ثم قال ابنُ أبي الدُّنيا: حَدَّثنا أبو بلال، حَدَّثنا قاسمُ بن عبد الله، عن عَنْبَسَةَ بن سعيد - وكان عَالمًا - قال: وَجَدَ أبو موسى مع دانيالَ مُصْحفًا وجَرَّةً فيها وَدَكٌ ودَراهِمَ، وخاتَمَه، فكتب أبو موسى بذلك إلى عمرَ، فكتبَ إليه عمرُ: أمَّا المصحفُ فابْعَثْ به إلينَا، وأمَّا الوَدَكُ فابْعَثْ إلينا منه، ومُرْ مَن قِبَلَكَ من المسلمين يَسْتَشفُون به، واقْسِم الدَّراهمَ بينَهم، وأمَّا الخاتَمُ فقد نَفَلْنَاكَهُ. ورَوَى ابنُ أبي الدُّنيا من غيرِ وجهٍ، أنَّ أبا موسى لَمَّا وَجَدَه، وذَكَرُوا له أنّه دانيالُ، التَزَمَه وعانَقَه وقَبَّلَه، وكَتَبَ إلى عُمَرَ يَذْكُرُ له أمْرَه، وأنَّه وَجَدَ عندَه مالاً موضوعًا، قريبًا من عَشَرَةِ آلافِ درْهَم، وكان مَن جاءَ اقْتَرَضَ منها، فإن

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) ذكر ابن الجوزي في المنتظم (١/ ٢٥٧) أن بين نوح وإبراهيم دانيال الأكبر، وروي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه هو الذي أجرى دجلة والفرات، وروى عن طريق حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني قال: كان أنف دانيال ذراعًا.

(٣) لم أعثر على الكتاب مطبوعًا والحديث مرسل ضعيف وفيه مجاهيل.

ردُّها، وإلاَّ مَرِضَ، وأنَّ عندَه رَبْعَةً، فأمَرَ عمرُ بأن يُغَسَّلَ بماءٍ وسِدْرٍ ويُكَفَّنَ ويُدْفَنَ، ويُخْفَىٰ قَبْرُه، فلا يَعْلَمَ به أَحَدٌ، وأمَرَ بالمالِ أن يُرَدَّ إلىٰ بيْتِ المال، وبالرَّبْعَةِ فَتُحْمَلُ إليه، ونفَلَه خاتَمَه. ورُوِيَ عن أبي موسىٰ، أنَّه أمَرَ أربعةً مِن الأسَراءِ فسكَرُوا نهراً، وحَفَرُوا في وَسَطِه قبْراً، فدَفَنَه فيه، ثمَّ قدَّمَ الأربعَةَ الأسَراءِ فضَرَبَ أعناقَهم، فلم يَعْلَمْ مَوْضعَ قَبْرِه غيرُ أبي موسىٰ الأشعَرِيِّ، رضيَ اللهُ عنه.

وقال ابن أبي الدُّنيا[1]: حدثني إبراهيمُ بن عبدِ الله، حدَّثَنا أحمدُ بن عمرِو بن السَّرْحِ، حدَّثنا ابن وَهْبٍ، عن عبدِ الرحمنِ بن أبي الزِّناد، عن أبيه[2] قال: رأيتُ في يَدِ أبي بُرْدَةَ بن أبي موسىٰ الأشْعَرِيِّ خاتَماً، نَقْشُ فصِّه أسَدَانِ بيْنَهما رَجُلٌ، يَلْحَسانِ ذلكَ الرَّجُلَ، قال أبو بُرْدَةَ: هذا خاتَمُ ذلكَ الرَّجُلِ المَيِّتِ الذي زعمَ أهلُ هذه البلدة أنه دانيال أخذه أبو موسىٰ يومَ دفنه قال: أبو بُرْدَةَ، فسأل أبو موسىٰ علماءَ تلكَ القريةِ عنْ نقْشِ ذلك الخاتَمِ، فقالوا: إنَّ الملكَ الذي كان دانيالُ في سُلطانه، جاءَه المُنَجِّمُون وأصْحابُ العلْمِ، فقالوا له: إنَّه يُولَدُ ليلةَ كذا وكذا غلامٌ يَعُورُ مُلْكَكَ ويُفْسِدُه. فقال الملك: والله لا يَبْقَىٰ تلكَ الليلةَ غلامٌ إلاَّ قَتَلْتُه. إلاَّ أنهم أخَذُوا دانيالَ، فألْقَوه في أَجَمَةِ الأسَدِ، فباتَ الأسَدُ ولَبُوَتُه يَلْحَسانِه، ولم يضُرَّاه، فجاءت أُمُّه فَوَجَدَتْهُما يَلْحَسانه فَنَجَّاه اللهُ بذلك، حتىٰ بَلَغَ ما بَلَغَ، قال أبو بُرْدَةَ: قال أبو موسىٰ: قال علماءُ تلك القرية: فنقَشَ دانيالُ صورتَه وصورةَ الأسَدَيْنِ يَلْحَسَانِه في فصِّ خاتَمِه لِئَلاَّ يَنْسَىٰ نِعْمَةَ الله عليه في ذلك، إسنادٌ حسنٌ.

وهذا ذكرُ عمارةِ بَيْتِ المقدسِ بعْدَ خرابِها، واجتماعِ بني إسرائيلَ بعدَ تفرُّقِهم في بقاعِ الأرض

قال الله تعالىٰ في كتابه المُبين، وهو أصْدَقُ القائلين: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

[البقرة: ٢٥٩].

قال هشامٌ بن الكَلْبي[3]: ثُمَّ أوْحَىٰ اللهُ تعالىٰ إلىٰ أرْمِيَا، عليه السلامُ - فيما بَلَغَني - أنِّي عامرٌ بيْتَ المَقْدِسِ، فاخْرُجْ إليها، فانزِلْها. فَخَرَجَ حتىٰ قدِمَها وهي خَرابٌ، فقال في نَفْسه: سُبْحانَ الله، أمَرَني اللهُ أن أنْزِلَ هذه البَلْدَةَ، وأخبَرَني أنَّه عامرها، فمتىٰ يَعْمُرُها، ومتىٰ يُحْيِيها اللهُ بعدَ مَوْتِها؟ ثُمَّ وَضَعَ رأسَهُ فنامَ ومعه حمارُه وسَلَّةٌ من طعام، فَمَكَثَ في نَوْمِه سبعين سنةً حتىٰ هَلَكَ بُخْتَنَصَّرَ،

---

(١) نقله البلاذري في فتوح البلدان في فتح السوس عن جماعة من أهل السير (٥٣٣).

(٢) إسناده حسن: إلى أبي بردة.

(٣) سنده ضعيف: تاريخ الطبري (١/ ٣١٧) قال: حدثت عن هشام.

والملكُ الذي فوقَه وهو لهراسبُ، وكان مُلْكُهُ مائةً وعشرين سنةً، وقامَ بعدَه وَلَدُه بشتاسبُ بن لهراسبَ، وكان موتُ بُخْتُ نَصَّرَ في دولتِه، فَبَلَغَهُ عن بلادِ الشام أنَّها خرابٌ، وأنَّ السباعَ قد كَثُرَتْ في أرضِ فِلَسْطينَ فلم يبقْ بها من الإنس أحد فنادىٰ في أرض بابلَ، في بني إسرائيلَ أنَّ مَن شاءَ أنْ يرْجعَ إلىٰ الشَّامِ، فلْيَرجعْ، وملَّك عليهمُ رَجُلاً مِن آلِ داودَ، وأمَرَه أنَ يَعْمُرَ بيتَ المَقْدسِ، ويَبْنيَ مَسْجِدَها، فَرَجَعُوا فَعَمَرُوها، وفَتَحَ اللهُ لأرْميا عَيْنيَه، فنظَرَ إلىٰ المدينة، كيف تُبْنَىٰ وكيف تُعَمَّرُ، ومَكَثَ في نومِه ذَلك حتىٰ تَمّتْ له مائةُ سنةٍ، ثم بَعَثَه اللهُ، وهو لا يَظُنُّ أنَّه نامَ أكْثَرَ مِن ساعةٍ، وقد عَهِدَ المدينةَ خرابًا، فلمَّا نظَرَ إليها عامرةً آهلَةً قال: أعلمُ أنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيء قديرٌ. قالَ: فَأَقَام بنو إسرائيلَ بها، وردَّ اللهُ عليهم أمْرَهم فمكَثُوا كذلك حتىٰ غَلَبْت عليهم الرومُ في زَمَن ملوكِ الطوائفِ، ثُمَّ لم يَكُنْ لهم جماعةٌ ولا سلطانٌ، يَعْنِي بعدَ ظُهُورِ النصارىٰ عليهم. هكذا حكاهُ ابن جريرٍ في «تاريخه» عنه. وذكر ابن جريرٍ، أنَّ لهراسبَ كان مَلِكًا عادلاً سائسًا لَمْلَكَتِه، قد دانَتْ له العبادُ والبلادُ، والملوكُ والقُوَّادُ وأنَّه كان ذا رَأيٍ جَيِّدٍ في عمارةِ الأمْصَارِ والأنهارِ والمعاقلِ، ثُمَّ لَمَّا ضَعُفَ عن تدبيرِ المملكةِ، بعدَ مائة سنةٍ ونَيِّفٍ، نَزَلَ عن المُلْكِ لولَدِه بشتاسبَ، فكان في زمانه ظهورُ دِينِ المَجُوسيَّةِ؛ وذلك أنّ رجلاً كان اسمُه زَرَادُشْتَ، كان قد صَحِبَ أرْميا، عليه السَّلامُ، فأغْضَبَه، فدَعا عليه أَرْميا، فبَرِصَ زَرَادُشتُ، فذَهَبَ فلَحِقَ بأرضِ أذْرَبيجانَ، وصَحِبَ بشتاسبَ فلقنه دين المجوسية الذي اخترعه من تلقاء نفسه لعنه الله فقبِلَه منه بشتاسبُ، وحَمَلَ النَّاس عليه، وقَهَرَهم، وقَتَلَ منهم خَلْقًا كثيراً مِمَّن أباه منهم. ثم كان بعدَ بشتاسبَ يهمن بن بشتاسب من ملوك الفرس المشهورين والأبطال المذكورين وقد نابَ بُخْتُ نَصَّرَ لكُلِّ واحدٍ من هؤلاءِ الثلاثةِ، وعُمِّرَ دَهرًا طويلاً، قَبَّحَه اللهُ.

والمقصودُ أنَّ هذا الذي ذَكَرَه ابنُ جريرٍ، مِن أنَّ هذا المارَّ علىٰ هذه القريةِ، هو أرْميا، عليه السَّلام. قاله وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ[1]، وعبدُ الله بن عُبَيدِ بن عُمَيْرٍ[2] وغيرُهما، وهو قويٌّ مِن حيثُ السِّياقُ المتقدِّمُ. وقد رُوِيَ عن عليٍّ[3]، وعبدِ الله بن سَلاَمٍ[4]، وابن عباسٍ[5]، والحسنِ[6]، وقتادةَ[7]، والسُّدِّيِّ[8]، وسليمانَ بن بُرَيدَةَ[9]، وغيرِهم أنَّه عُزيْرٌ، وهذا أشْهَرُ عندَ كثيرٍ من السّلَفِ والخَلَفِ. واللهُ أعلمُ.

---

(١) **حسن الإسناد**: ابن جرير (٣/ ٣/ ٢٩) بسند حسن.

(٢) **صحيح الإسناد**: رواه ابن أبي حاتم (٢٦٤٣) وابن جرير(٣/ الجزء٣/ ٢٩) وسنده صحيح إليه.

(٣) **صحيح الإسناد**: ابن جرير (٣/ ٣/ ٢٨) وابن أبي حاتم (٢٦٤١) من طريق ناجية بن كعب عنه وسنده صحيح.

(٤) **ضعيف الإسناد**: رواه ابن عساكر «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٢٠) وسنده منقطع بين الحسن وابن سلام.

(٥) **ضعيف الإسناد**: ابن جرير (٤٠/ ٣٢٠). بسند منقطع عن سالم الخواص عنه وسالم لا أعرفه ولا يدرك ابن عباس لبعد الطبقة بينهما فهو شيخ شيخ الطبري.

(٦) ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر له إسناد عقب أثر علي.

(٧) **حسن الإسناد**: رواه ابن جرير (٤٠/ ٣٢٠) من رواية سعيد عنه.

(٨) **حسن الإسناد**: رواه ابن جرير (٤٠/ ٣٢٠) من رواية أسباط عنه.

(٩) **ضعيف الإسناد**: رواه ابن جرير (٤٠/ ٣٢٠) فيه ابن حميد.

وهذه قصة العُزَيْر

قال الحافظُ أبو القاسمِ بن عَسَاكر[١] : هو عُزَيْرُ بن حَيْوَةَ، ويُقَال: ابنُ سوريقَ بنِ عرنا بن أيوبَ ابن درثنا بنِ عري بن تقي بن السبوعِ بن فنحاصَ بن العازرِ بن هارونَ بن عِمْرانَ. ويُقالُ: عُزيرُ بنُ شروخا، جاء في بعضِ الآثارِ، أنَّ قَبْرَه بدمَشْقَ. ثُمَّ ساق من طريقِ أبي القاسمِ البَغَويِّ[٢] ، عن داودَ ابن عمرٍو، عن حبَّانَ بن عليٍّ، عن محمدِ بن كُرَيْبٍ عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا: «**لاَ أدْرِي ألُعِنَ تُبَّعٌ أم لاَ، ولاَ أدْرِي أكَانَ عُزَيْرٌ نبيًّا أم لاَ؟**» ثُمَّ رَوَاه[٣] من حَديثِ مُؤَمَّلِ بن الحَسَنِ، عن محمدِ بن إسحاقَ السِّجْزِيِّ، عن عبدِ الرَّزَّاق، عن مَعْمَرٍ، عن ابن أبي ذئبٍ، عن سَعِيدٍ المَقْبرِيِّ، عن أبي هُريرة مرفوعًا نحوَه، ثم رَوَىٰ من طريقِ إسحاقَ بنِ بشْرٍ، وهو متروكٌ، عن جُوَيْبِرٍ، ومُقاتِلٍ، عن الضَّحّاكِ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ عُزَيْرًا كان ممَّنْ سَبَاه بُخْتُ نَصَّر وهو غلامٌ حَدَثٌ، فلما بلغَ أربعين سنةً أعطاه اللهُ الحكْمَةَ، قال: ولم يكُنْ أحَدٌ أحْفَظَ ولا أعْلَمَ بالتوراةِ منه. قال: وكان يُذْكَرُ مع الأنبياءِ، حتىٰ مَحَا اللهُ اسمَه مِن ذلك، حينَ سألَ ربَّه عن القَدَرِ وهذا ضعيفٌ ومُنْقَطعٌ ومُنْكَرٌ. واللهُ أعلمُ.

وقال إسحاقُ بن بشْر، عن سعيدِ بن أبي عَرُوبَةَ، عن قَتادَةَ، عن الحسنِ، عن عبدِ الله بن سَلاَم: إنَّ عُزَيْرًا هو العبدُ الذي أمَاتَه الله مائَةَ عامٍ ثُمَّ بعَثَه.

وقال إسحاقُ بن بشْر: أنبأَنا سعيدُ بن بَشِير، عن قَتادَةَ، عن كعبٍ، وسعيدُ بن أبي عَرُوبةَ، عن قَتادةَ، عن الحسنِ، ومُقَاتِلٌ، وجُوَيْبِرٌ، عن الضَّحاكِ عن ابنِ عبَّاس، وعبدُ الله بن إسماعيلَ السُّدِّيُّ، عن أبيه، عن مُجاهدٍ، عن ابن عباسٍ، وإدْرِيسُ، عن جَدِّه وهب بن منبه قال إسحاق بن بشر: كل هؤلاء[٤] حدَّثوني عن حديث عُزَيْرٍ، وزاد بعضُهم علىٰ بَعْضٍ، قالوا بإسنادِهم: إن عزيرًا كان عبدًا صالحًا حكيمًا خرج ذات يوم إلىٰ ضيعة له يتعاهدها، فلمَّا انصَرَفَ انتهَىٰ إلىٰ خَرَبَةٍ حينَ قامت الظَّهيرَة وأصابَه الحَرُّ، ودَخَلَ الخَرِبَةَ وهو علىٰ حمارِه، فنزل عن حمارِه ومعه سَلَّةٌ فيها تِينٌ، وسَلَّةٌ فيها عنَبٌ، فنَزَلَ في ظلِّ تلك الخَرِبَةِ وأخْرَجَ قَصْعَةً معه، فاعْتَصَرَ مِنَ العنبِ الذي كان معه في القَصْعَةِ، ثم أخْرَجَ خُبْزًا يابِسًا معه، فألقاه في تلك القَصْعَةِ في العَصِيرِ، ليَبْتَل ليَأْكُلَه، ثم اسْتَلْقَىٰ علىٰ قَفاه وأسْنَدَ رِجْلَيْه إلىٰ الحائطِ، فنَظَرَ سَقْفَ تلكَ البُيُوت، ورأَىٰ ما فيها وهي قائمةٌ علىٰ عُرُوشِها وقد باد أهْلُها ورأىٰ عِظَامًا باليَةً فقال: ﴿**أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ فلَمْ يَشُكَّ أنَّ الله يُحْيِيها، ولكنْ قالها

---

(١) تاريخ ابن عساكر (٤٠/ ٣١٧).

(٢) **ضعيف**: تاريخ ابن عساكر (٤٠/ ٣١٧) فيه محمد بن كريب ضعيف. ورواه أبو داود (٤٦٧٤) من طريق عبد الرزاق. قال البيهقي (٨/ ٣٢٩). قال البخاري: مرسلاً رواه هشام عن ابن أبي ذئب عن الزهري مرسلاً. وهو الأصح. صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود والصحيحة (٢٢١٧).

(٣) **ضعيف**: تاريخ ابن عساكر (٤٠/ ٣١٨) وفيه محمد بن إسحاق السجزي ضعيف واتهم بالسرقة.

(٤) **موضوع**: رواه ابن عساكر «تاريخ» (٤٠/ ٣٢٢) وإسحاق بن بشر متهم بالكذب.

تَعَجُّبًا، فبَعَثَ الله مَلكَ الموت فقَبَضَ رُوحَه فأَماتَه اللهُ مائةَ عامٍ، فلما أتت عليه مائة عام وكانت فيما بينَ ذلك في بني إسرائيلَ أُمورٌ وأَحْداثٌ. قال: فبَعَثَ الله إلىٰ عُزَيرٍ ملَكًا، فَخلَقَ قلْبَه ليَعْقِلَ به، وعَيْنَيْه ليَنْظُرَ بهما؛ فيَعْقِلَ كيف يُحْيِي اللهُ الموتَىٰ، ثُمَّ رَكَّبَ خَلْقَه وهو يَنْظُرُ، ثم كَسَا عِظامَه اللَّحْمَ والشَّعْرَ والجِلْدَ، ثم نَفخَ فيه الرُّوحَ، كلُّ ذلك وهو يَرَىٰ ويَعْقِلُ، فاستَوَىٰ جَالسًا، فقال له المَلكُ: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ قال: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك أنَّه كان نامَ في صدْرِ النَّهارِ عندَ الظَّهيرَةِ، وبُعِثَ في آخرِ النهارِ والشَّمْسُ لم تَغِبْ، فقال: أو بعضَ يومٍ، ولم يَتِمَّ لي يومٌ، فقال له المَلكُ: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ﴾ يَعْنِي الطَّعامَ، الخُبْزَ اليابسَ، وشرابَه؛ العصيرَ الذي كان اعتَصَرَ في القَصْعةِ، فإذا هُما علىٰ حالِهما لم يَتَغَيَّرِ العصيرُ، والخبزُ يابسٌ، فذلك قوله: ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ يَعْنِي: لم يَتَغَيَّرْ، وكذلك التِّينُ والعنبُ غَضٌّ لم يَتَغَيَّرْ عن شيءٍ من حالِهما، فكأنَّه أنْكَرَ في قلبِه، فقال له المَلكُ: أنْكَرْتَ ما قلتُ لكَ؟ انظُرْ إلىٰ حمَارِكَ. فنَظَرَ، فإذا حمارُه قد بَلِيَتْ عظامُه وصارت نَخِرَةً فنادَىٰ المَلكُ عظامَ الحمارِ فأجابتْ، وأقبلتْ من كلِّ ناحيَةٍ، حتىٰ رَكَّبَه المَلكُ وعُزَيْرٌ يَنْظُرُ إليه، ثُمَّ ألبَسَهَا العُرُوقَ والعَصَبَ، ثُمَّ كَسَاهَا اللحْمَ، ثم أنبت عليها الجلد والشعر ثم نَفَخَ فيه المَلَكُ، فقام الحمارُ رافعًا رأسَه وأُذُنَيْه إلىٰ السَّماءِ، ناهقًا يَظُنُّ القيامةَ قد قامتْ، فذلك قولُه: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ يعني، انظر إلىٰ عِظَامِ حمارِك، كيف نُرَكِّبُ بعضَها بعضًا في أوْصَالها، حتىٰ إذا صارتْ عظامًا مُصَوَّرًا حماراً بلا لَحْمٍ، ثم انظرْ كيف نَكْسُوها لَحمًا ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من إحياءِ الموتَىٰ وغيرِه. قال: فرَكِبَ حمارَه حتىٰ أتىٰ مَحلَّته، فأنْكَرَه الناسُ، وأنْكَرَ الناسَ، وأنكر منازِلَهم، فانطلقَ علىٰ وَهْمٍ منه، حتىٰ أتىٰ مَنْزِلَه، فإذا هو بعجوزٍ عَمْياءَ مُقْعَدَةٍ، قد أتىٰ عليها مائةٌ وعشرون سنةً، كانت أمَةً لهم، فخَرَجَ عنهم عُزَيْرٌ وهي بنتُ عشرين سنةً، كانت عرَفَتْه وعقَلَتْه، فلَمَّا أصابَها الكِبَرُ، أصابَها الزَّمَانَةُ، فقال لها عُزَيْرٌ، يا هذه، أهذا منْزِلُ عُزَيْرٍ؟ قالت: نعم، هذا منزلُ عُزَيْرٍ فبَكَتْ وقالت: ما رأيتُ أحدًا من كَذَا وكذا سَنَةً يَذْكُرُ عُزَيْرًا، وقد نَسِيَهُ النَّاسُ. قال: فإنِّي أنا عُزَيْرٌ، كان الله أماتَنِي مائةَ سَنَةٍ ثم بَعَثَنِي. قالتْ: سبحانَ الله؟! فإنّ عزيْرًا فقد منذُ مائةِ سَنَةٍ، فلم نَسْمَع له بِذِكْرٍ. قال فإنِّي أنا عُزَيْرٌ. قالت: فإنَّ عُزَيْرًا رجلٌ مستجابُ الدعوَةِ، يدعُو للمريضِ ولصاحب البلاء بالعافية والشفاء فادع الله أن يرد عليَّ بصري حتىٰ أراك فإن كنتَ عُزَيْرًا عَرَفْتُك. قال: فدعا ربَّهُ ومسَحَ بيده علىٰ عَيْنَيْها فصَحَّتا وأخَذَ بيدها وقال: قومي بإذن الله. فأطْلقَ الله رِجلَيْها، فقامت صحيحةً كأنَّما نَشِطَتْ من عقالٍ، فنَظَرَتْ فقالت: أشهَدُ أنَّك عُزَيْرٌ، وانطلقتَ إلىٰ محلَّة بني إسرائيل وهم في أبياتهم ومجالسهم وابنٌ لعزيزٍ شيخ ابنُ مائةِ سنةٍ وثماني عَشْرَةَ سنةً وبنو بنيه شُيوخٌ في المجلْسِ، فنادَتْهُم فقالت: هذا عُزَيْرٌ قد جاءكم. فكذَّبوها، فقالت: أنا فلانةُ مولاتُكم، دَعَا لي ربَّه، فرَدَّ عليَّ بَصَرِي، وأطْلَقَ رِجْلَيَّ، وزَعَم أنَّ الله أماته مائَةَ سنةٍ، ثُمَّ بَعَثَه. قال: فنَهَضَ الناسُ فاقبلوا إليه فنظروا إليه فقال ابنه: كانت لأبي شامة

سوداءُ بين كتفيه فكَشَفَ عن كَتِفَيْه فإذا هو عُزَيرٌ، فقالت بنو إسرائيلَ: فإنه لم يكُن فينا أحدًا حَفظَ التوراةَ فيما حُدِّثنا، غير عُزَيرٍ، وقد حَرَقَ بُخْتَ نَصَّرَ التَّوراةَ، ولم يَبْقَ منها شيءٌ، إلا ما حَفظَتْ الرجالُ، فاكتُبْها لنا. وكان أبوهُ سروخا قد دَفَن التَّوراةَ أيامَ بُخْتُ نَصَّرَ، في موضعٍ لم يَعْرِفْه أحدٌ غير عُزَيرٍ، فانْطَلَقَ بهم إلى ذلك الموضع، فحَفَرَه فاستَخْرَجَ التَّوراةَ، وكان قد عَفَنَ الوَرَقُ، ودَرَسَ الكِتابُ قال: وجَلَس في ظلِّ شجرةٍ وبنو إسرائيل حَوْلَه، فجَدَّدَ لهم التوراةَ ونزلَ من السَّماء شهابان، حتى دَخَلاَ جَوْفَه، فتَذَكَّرَ التَّوراةَ، فجدَّدَها لبني إسرائيلَ، فَمِنْ ثَمَّ قالت اليهودُ: عُزَيرٌ ابن الله - جَلَّ الله وعَزَّ - للَّذِي كانَ من أمرِ الشِّهابَيْنِ وتجديده التَّوراةَ، وقيامه بأمرِ بني إسرائيلَ، وكان جَدَّدَ لهم التوراةَ بأرضِ السَّوادِ بدَيْرِ حزْقِيلَ. والقريةُ التي مات فيها يُقالُ لها: سايراباذُ. قال ابن عباسٍ: فكان كما قال الله تعالى: ﴿ولنجعلك آية للناس﴾ يَعْني لبني إسرائيل. وذلك أنَّه كان يَجلسُ مع بَنِيه وهم شيوخٌ وهو شابٌ؛ لأنَّه ماتَ وهو ابن أربعين سنةً، فبَعَثَه الله شابًّا، كهَيْئَةِ يومَ مات. قال ابن عباسٍ: بُعِثَ بعدَ بُخْتُ نَصَّرَ. وكذلك قال الحَسَنُ:

وقد أنشَدَ أبو حاتم السِّجِسْتانيُّ في معنى ما قاله ابنُ عباسٍ:

واسْــوَدُ رَأسِ شــابَ من قــبله ابنُهُ	وَمن قَــبْله ابْنُه فَــهُــوَ أكْـــبَـــرُ
يَرَى ابن ابنه شَــيْـخًـا يَدبُّ على عَــصًـا	ولِحْـيَـتُـهُ سَـوْدَاءُ والرَّأسُ أشْـقَـرُ
ومــا لابنه حَــيْلٌ ولا فَــضْلُ قُــوَّةٍ	يَقُـومُ كـمـا يَمْـشي الصَّبيُّ فيَعْـثـرُ
يُعَـدُّ ابنُهُ في الناس تسْـعينَ حـجَّـةً	وعـشـرين لا يَجْـرِي ولا يَتَبَـخْـتَـرُ
وعُــمْــرُ أبيــه أرْبعــون أمَــرَّها	ولابن ابنه تسْـعــونَ في النَّاس غُــبَّــرُ
فــمــا هُوَ في المعْــقــول إن كُنتَ داريًا	وإن كنتَ لا تَدْري فــبــالجَــهْلِ تُعْــذَرُ

فصلٌ

المشْهورُ أنَّ عُزَيْرًا نبيٌّ من أنْبياءِ بني إسرائيلَ، وأنَّه كان فيما بينَ داود وسليمانَ، وبينَ زكريا ويَحْيَى، وأنَّه لَمَّا لم يَبْقَ في بني إسرائيلَ، من يحفظ التوراة ألهمه الله حفظها فردَّها على بني إسرائيل كما قال وَهْبُ بن مُنَبِّه: أمَرَ الله مَلَكًا فنَزَلَ بمَغْرَفَةٍ من نورٍ، فقَذَفَهَا في فِي عُزَيْرٍ، فنَسَخَ التَّوراةَ حَرْفًا بحَرْفٍ، حتى فرَغَ منها.

وروَى ابن عساكر[1]، عن ابن عباسٍ، أنَّه سأل عبد الله بن سَلامٍ عن قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٠] لِمَ قالوا ذلك؟ فذَكَرَ له ابن سَلاَمٍ ما كان من كَتْبِه لبني إسرائيلَ التَّوراةَ من حِفْظه وقول بني إسرائيلَ: لم يستطعْ موسى أن يأتينا بالتَّوراة إلاَّ في كتابٍ، وإنَّ عُزَيْرًا قد جاءَنا بها من غيرِ كتابٍ، فرَماه طوائفُ منهم، وقالوا: عُزَيْرٌ ابن الله.

ولهذا يقولُ كثيرٌ من العلماء: إنَّ تَواتُرَ التَّوراةِ انقَطَعَ في زَمَنِ العُزَيْرِ. وهذا مُتَّجهٌ جدًّا إذا كان

(١) ضعيف: «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٢٦) فيه علي بن عاصم يخطئ.

العزَيْرُ غيرَ نَبيٌّ، كما قاله عَطَاءُ بن أبي رَبَاح، والحسنُ البَصْريُّ فيما رَواه إسحاقُ بن بشرٍ[١]، عن مُقاتِلِ بن سليمانَ، عن عطاءٍ، وعن عثمانَ بن عطاءٍ الخُراسَانيِّ، عن أبيه، ومقاتلٌ، عن عطاءِ بن أبي رَبَاحٍ، قال: كان في الفَتْرَةِ تسعةُ أشياءَ: بُخْتُ نَصَّرَ، وجنةُ صنعاء وجنةُ سبأ وأصحابُ الأخدود وأمر حاصورا وأصحابُ الكَهْفِ، وأصحابُ الفيلِ، ومدينةُ أنْطاكِيَةَ، وأمرُ تُبَّعٍ.

وقال إسحاقُ بن بشرٍ: أنبأنا سعيدٌ، عن قتادةَ، عن الحسنِ قال: كان أمرُ عُزَيْرٍ وبخُتُ نصَّرَ في الفَتْرةِ. وقد ثَبَتَ في «الصَّحيح»[٢] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **«إن أولى الناس بابن مريمَ لأنا، إنه ليس بيني وبينه نبي»** وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ: كان فيما بيَن سليمانَ وعيسىٰ، عليهما السَّلامُ.

وقد رَوَىٰ ابنُ عساكرَ[٣]، عن أنسِ بن مالكٍ، وعَطَاءِ بن السَّائبِ، أنَّ عُزَيْراً كان في زَمَنِ موسىٰ ابن عِمْرانَ، وأنَّه استَأذَنَ عليه، فلم يَأذَنْ له - يعني لَمَا كان مِن سُؤاله عن القَدَرِ - وأنَّه انصرَفَ وهو يقولُ: مائةُ مَوْتَةٍ أهْوَنُ من ذُلِّ ساعةٍ. وفي معنىٰ قولِ عُزَيْرٍ: مائةُ مَوْتَةٍ أهْوَنُ من ذُلِّ ساعةٍ. قولُ بعضِ الشُّعَرَاءِ:

قَدْ يَصْبِرُ الحرُّ على السَّيْفِ ... ويأنَفُ الصَّبْرَ على الحَيْفِ
ويُؤثِرُ المَوْتَ على حَالَهَ ... يَعجِزُ فيها عَنْ قِرَىٰ الضَّيْفِ

فأمَّا ما رَوىٰ ابن عساكرَ[٤] وغيرُه، عن ابن عباسٍ، ونَوْفٍ البِكَالِيِّ، وسُفيانَ الثَّوريِّ، وغيرهم، مِن أنَّه سَأَلَ عن القَدَرِ، فمُحِيَ اسمُه من ذكْرِ الأنبياءِ، فهو مُنكَرٌ، وفي صحَّتِه نَظَرٌ، وكأنَّه مأخوذٌ عن الإسْرائيلِيّات، وقد رَوَىٰ عبدُ الرَّزَّاقِ[٥] وقُتَيْبَةُ بن سعيدٍ، عن جَعْفَرِ بن سليمانَ، عن أبي عِمْرانَ الجَونيِّ، عن نَوْفٍ البِكَاليِّ قال: قال عُزَيْرٌ فيما يُناجِي ربَّه: يا ربِّ، تَخْلُقُ خلقًا، فتُضِلُّ مَن تَشاءُ، وتَهْدِي مَن تَشَاءُ. فقيلَ له: أعرِضْ عن هذا. فعادَ فقيلَ له: لتُعرِضَنَّ عن هذا، أوْ لأمْحُونَّ اسمَكَ مِنَ الأنبياءِ، إنِّي لا أُسألُ عمَّا أفْعَلُ، وهم يُسألُون. وهذا يَقْتضِي وُقوعَ، ما تُوُعِّدَ عليه لو عَاد، فما عادَ، فما مُحِيَ اسمُه. والله أعْلَم. وقد رَوَىٰ الجماعةُ[٦] سِوىٰ الترمِذي، مِن حديثِ يُونُسَ بن يزيدَ، عن الزُّهريِّ، عن سعيدٍ وأبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ، وكذلكَ رواه شُعَيبٌ، عن أبي الزِّنادِ، عن الأعْرَجِ، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رَسولُ الله ﷺ: **«نَزَلَ نبيٌّ من الأنبياء تحتَ شَجَرة، فلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ فأمَرَ بِجَهَازِه، فأُخرِجَ من تَحْتِها، ثمَّ أمَرَ بِها، فأُحْرِقَت بالنَّارِ، فأَوْحَى الله إليه، فَهلاَّ نَمْلَةً واحدَةً»** فرَوَىٰ إسحاقُ بن بشرٍ[٧]، عن ابن جُرَيْجٍ، عن عبد الوهابِ بن مجاهدٍ، عن أبيه، أنَّه عُزَيْرٌ وكذا رُوِيَ عن ابن عبَّاسٍ، والحَسَنِ البَصْرِيِّ، أنَّه عُزَيْرٌ. فاللهُ أعلمُ.

---

(١) موضوع: رواه ابن عساكر «تاريخ» (٤٠/ ٣٣٨) وإسحاق بن بشر متهم بالكذب.
(٢) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٢)، مسلم (٦٠٨٣).
(٣) «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٣٧).
(٤) ضعيف: «تاريخ دمشق» (٤٠/ ٣٣٣) أثر ابن عباس فيه كنانة بن جبلة متروك وبسند آخر فيه أبو معشر.
(٥) حسن الإسناد: رواه ابن عساكر «تاريخ» (٤٠/ ٣٣٥) والسند حسن من بعد عبد الرزاق.
(٦) متفق عليه: البخاري (٣٠١٩) مسلم (٥٨١٠) أبو داود (٥٢٦٦) النسائي (٧/ ٢١١) ابن ماجه (٣٢٢٥).
(٧) موضوع: ابن عساكر «تاريخ» (٤٠/ ٣٣٥) وإسحاق متهم بالكذب.

قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ كهيعص ① ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ⑦ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ⑧ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ⑨ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ⑩ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ⑪ يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ⑫ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ⑬ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ⑭ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴾ [مريم: ١-١٥].

وقال تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ㊲ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ㊳ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ㊴ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ㊵ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ [آل عمران: ٣٧-٤١].

وقال تعالى في سورة الأنبياء: ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ㊹ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٠]. وقال تعالى: ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٥].

قال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في كتابه «التاريخ»[1] **المشهور الحافل:** زكريّا بن حنّا ويقال: زكريّا بن دانٍ، ويقال: زكريا بن أدن بن مسلم بن صدوق بن محمان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن ملقاطية بن ناحور بن سلوم بن بهفانيا بن حاش بن أني بن خثعم بن سليمان بن داود، أبو يحيى النّبيُّ، عليه السلام، من بني إسرائيل، دخل البثنيَّة من أعمال دمشق في طلب ابنه يحيى. وقيل: إنه كان بدمشق حين قتل ابنه يحيى. والله أعلم. وقد قيل غير ذلك في نسبه. ويقال فيه: زكرياءُ، بالمدِّ وبالقصر. ويقال: زكريٌّ، أيضًا.

والمقصود أنَّ الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقصَّ على الناس خبر زكريا، عليه السلام، وما كان من

---

(١) «التاريخ» (١٩/٤٨).

أمره حين وهبه الله ولدًا على الكبر، وكانت امرأته عاقرًا في حال شبيبتها، وقد أسنَّتْ أيضًا؛ حتى لا ييأس أحدٌ من فضل الله ورحمته، ولا يقنط من فضله، تعالى وتقدَّس، فقال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾. قال قتادةُ[1] عند تفسيرها: إنَّ الله يعلم القلب النَّقيَّ، ويسمع الصوت الخفيَّ. وقال بعض السَّلف: قام من الليل فنادى ربه مناداةً أسرَّها عمن كان حاضرًا عنده؛ مخافةً، فقال: يا ربِّ، يا ربِّ، يا ربِّ. فقال الله: لبيْك، لبيْك، لبيْك. ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ أي: ضعف وخار من الكبر ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ استعارةٌ من اشتعال النَّار في الحطب، أي: غلب على سواد الشَّعر شيبُه، كما قال ابن دريد في مقصورته:

إمَّا ترى رأسيَ حاكَى لونُهُ ... طُرَّةَ صبحٍ تحت أذيالِ الدُّجَى
واشتعل المبْيَضُّ في مسودِّه ... مثل اشتعال النَّار في جزل الغَضَا
وآضَ رَوْضُ اللهو يبسًا ذاويًا ... من بَعْد ما قد كان مجَّاج الثَّرى

يذكر أن الضعف قد استحوذ عليه باطنًا وظاهرًا، وهكذا قال زكريا عليه السلام: ﴿إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾.

وقوله: ﴿وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي؛ ما عودتني فيما أسألك فيه إلا الإجابة. وكان الباعث له على هذه المسألة، أنَّه لما كفل مريم بنت عمران بن ماثان، وكان كلما دخل عليها محرابها، وجد عندها فاكهةً في غير أوانها ولا في أوانها، وهذه من كرامات الأولياء، فعلم أنَّ الرَّازق للشيء في غير أوانه، قادرٌ على أن يرزقه ولدًا، وإن كان قد طعن في سنِّه ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

وقوله: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا﴾. قيل: المراد بالموالي العصبة، وكأنَّه خاف من تصرُّفهم بعده في بني إسرائيل بما لا يوافق شرع الله وطاعته، فسأل وجود ولدٍ من صلبه، برًّا تقيًّا مرضيًّا، ولهذا قال: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾ أي؛ من عندك بحولك وقوتك ﴿وَلِيًّا يَرِثُنِي﴾ أي؛ في النُّبُوَّة والحكم في بني إسرائيل.

﴿وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ يعني كما كان آباؤه وأسلافه من ذرِّيَّة يعقوب أنبياء، فاجعله مثلهم في الكرامة التي أكرمتهم بها من النبوة والوحي. وليس المراد ههنا وراثة المال، كما زعم ذلك من زعمه من الشيعة، ووافقهم ابن جرير ههنا، وحكاه عن أبي صالح من السلف؛ لوجوه:
أحدها: ما قدَّمنا عند قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦] أي؛ في النبوة والملك، كما ذكرنا في الحديث المتفق عليه[2] بين العلماء، المرويِّ في «الصحاح» و«المسانيد» و«السُّنن» وغيرها، من طرقٍ عن جماعة من الصحابة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا نُورَث، ما تركنا فهو صدقةٌ**». فهذا نصٌّ على أنَّ

---
(١) حسن الإسناد: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٤٥) بسند حسن عنه.
(٢) سبق تخريجه في قصة سليمان وداود.

رسول الله ﷺ لا يورث، ولهذا منع الصِّدِّيق أن يصرف ما كان يختصُّ به في حياته إلىٰ أحدٍ من وُرَّاثِهِ، الذين لولا هذا النصُّ لصرف إليهم، وهم: ابنته فاطمة، وأزواجه التِّسعُ، وعمُّه العباس، رضي الله عنهم، واحتجَّ عليهم الصِّدِّيق في منعه إياهم بهذا الحديث، وقد وافقه علىٰ روايته عن رسول الله ﷺ: عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليُّ بن أبي طالب، والعباس بن عبدالمطلب، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وأبو هريرة، وآخرون، رضي الله عنهم.

الثاني: أن الترمذي رواه بلفظ يعم سائر الأنبياء: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث**» وصححه.

الثالث: أن الدنيا كانت أحقر عند الأنبياء من أن يكنزوا لها، أو يلتفتوا إليها، أو يهمهم أمرها، حتىٰ يسألوا الأولاد ليحوزوها بعدهم؛ فإن من لا يصل إلىٰ قريب من منازلهم في الزهادة، لا يهتم بهذا المقدار أن يسأل ولدًا يكون وارثًا له فيها.

الرابع: أن زكريا، عليه السلام، كان نجارًا يعمل بيده، ويأكل من كسبها، كما كان داود، عليه السلام، يأكل من كسب يده، والغالب - ولا سيما من مثل حال الأنبياء - أنه لا يجهد نفسه في العمل إجهادًا يستفضل منه مالاً يكون ذخيرة له يخلفه من بعده، وهذا أمرٌ بينٌ واضحٌ لكل من تأمله بتدبر وتفهم، إن شاء الله.

قال الإمام أحمد[1]: حدثنا يزيد - يعني ابن هارون - أنبأنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**كان زكريا نجارًا**» وهكذا رواه مسلمٌ، وابن ماجه من غير وجه عن حماد بن سلمة به.

قوله: ﴿**يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيًّا**﴾. وهذا مفسرٌ بقوله: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾، فلما بُشِّر بالولد وتحقق البشارة؛ شرع يَسْتَعْلِم - علىٰ وجه التعجب - وجود الولد، والحالة هذه، له: ﴿**قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا**﴾ أي؛ كيف يوجد ولدٌ من شيخ كبير، قيل: كان عمره إذ ذاك سبعًا وسبعين سنةً. والأشبه، والله أعلم، أنه كان أسنَّ من ذلك.

﴿**وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا**﴾ يعني: وكانت امرأتي في حال شبيبتها عاقرًا لا تلد. والله أعلم. كما قال الخليل: ﴿**أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ**﴾ [الحجر: ٥٤]، وقالت سارَّةُ: ﴿**يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [هود: ٧٢-٧٣]. وهكذا أجيب زكريَّا، عليه السلام؛ قال له الملك الذي يوحي إليه بأمر ربه: ﴿**كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ**﴾ أي؛ هذا سهلٌ يسيرٌ عليه.

﴿**وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا**﴾ أي؛ قدرته أوجدتك بعد أن لم تكن شيئًا مذكورًا، أفلا

---

(١) صحيح: المسند (٢/٢٩٦)، مسلم (٦١١٢)، ابن ماجه (٢١٥٠).

يوجد منك ولداً وإن كنت شيخاً كبيراً؟!

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] ومعنى إصلاح زوجته، أنها كانت لا تحيض فحاضت. وقيل: كان في لسانها شيءٌ؛ أي بذاءةٌ.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً﴾ أي؛ علامةً على وقت تعلّقَ منّي المرأة بهذا الولد المبشَّر به.

﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ يقول: علامة ذلك أن يعتريك سكتٌ، لا تنطق معه ثلاثة أيام إلا رمزاً، وأنت في ذلك سويُّ الخَلْقِ، صحيح المزاج، معتدل البنية. وأُمِرَ بكثرة الذِّكْر في هذه الحال بالقلب، واستحضار ذلك بفؤاده بالعشيِّ والإبكار، فلما بُشِّر بهذه البشارة، خرج مسروراً بها على قومه من محرابه. ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾، والوحي ههنا هو الأمر الخفيُّ؛ إمَّا بكتابة، كما قاله مجاهدٌ، والسديُّ[١]، أو إشارة، كما قاله مجاهدٌ ـ أيضاً[٢] ـ ووهبٌ، وقتادة. قال مجاهدٌ، وعكرمة، ووهبٌ، والسديُّ، وقتادة[٣]: اعتقل لسانه من غير مرضٍ. وقال ابن زيد[٤]: كان يقرأ ويسبح، ولكن لا يستطيع كلام أحدٍ.

وقوله: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾، يخبر تعالى عن وجود الولد وفق البشارة الإلهية لأبيه زكريا، عليه السلام، وأنَّ الله علمه الكتاب والحكمة وهو صغيرٌ في حال صباه. قال عبدالله بن المبارك[٥]: قال معمرٌ: قال الصبيانُ ليحيى بن زكريا: اذهب بنا نلعب. فقال: ما للَّعب خُلقْنَا. قال: وذلك قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

وأما قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ فروى ابن جرير[٦]، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قال: لا أدري ما الحنان. وعن ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وقتادة، والضحاك[٧]: ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا﴾ أي؛ رحمةً من عندنا رحمنا بها زكريا، فوهبنا له هذا الولد. وعن عكرمة[٨]: ﴿وَحَنَانًا﴾ أي؛ محبَّةً عليه. ويحتمل أن يكون ذلك صفةً لتحَنُّن يحيى على

---

(١) حسن الإسناد: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٤) أثر مجاهد من طريق ابن أبي نجيح عنه. وأثر السدي من طريق أسباط عنه وهو حسن.

(٢) حسن الإسناد: (٩/ الجزء ١٦/ ٥٣) بنفس السند عن مجاهد وأثر وهب ضعيف وأثر قتادة من طريق معمر عنه.

(٣) حسن الإسناد: ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٢). بنفس الأسانيد السابقة.

(٤) صحيح الإسناد: ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٤) بسند صحيح عنه.

(٥) صحيح الإسناد: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٥) بسند صحيح عن معمر.

(٦) ضعيف إليه: ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٦) فيه سنيد ضعيف.

(٧) رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٥) أثر ابن عباس من طريقين من طريق علي بن أبي طلحة. والطريق الثاني عند عبد الرزاق (١٧٤٧) من طريق ابن عيينة عن رجل عن ابنه عنه فيه مجهولان لكن الطرق يقوي بعضها بعضًا. أثر عكرمة ضعيف من رواية سماك عنه وسماك ضعيف في عكرمة. أثر قتادة من طريق معمر عنه رواه عبد الرزاق (١٧٤٤). أثر الضحاك من طريقين ضعيفين عنه من طريق جويبر عنه وجويبر ضعيف، والآخر منقطع قال الطبري: حُدثت عن الحسين.

(٨) ضعيف الإسناد: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٦) فيه ابن حميد.

الناس، ولا سيما على أبويه، وهو محبتهما والشفقة عليهما، وبره بهما. وأما الزكاة فهو طهارة القلب وسلامته من النقائص والرذائل. والتقوى طاعة الله؛ بامتثال أوامره، وترك زواجره. ثم ذكر بره بوالديه وطاعته لهما أمرًا ونهيًا، وترك عقوقهما قولاً وفعلاً، فقال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾. ثم قال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، هذه الأوقات الثلاثة أشدُّ ما تكون على الإنسان؛ فإنه ينتقل في كل منها، من عالم إلى عالم آخر، فيفقد الأول بعد ما كان ألفه وعرفه، ويصير إلى الآخر، ولا يدري ما بين يديه؛ ولهذا يستهل صارخًا إذا خرج من بين الأحشاء وفارق لينها وضمها، وينتقل إلى هذه الدار، ليكابد همومها وغمومها، وكذلك إذا فارق هذه الدار، وانتقل إلى عالم البرزخ بينها وبين دار القرار، وصار بعد الدور والقصور، إلى عرصة الأموات سكان القبور، وانتظر هناك النفخة في الصور ليوم البعث والنشور، فمن مسرور ومحبور، ومن محزون ومثبور، وما بين مجبور ومكسور، وفريق في الجنة وفريق في السعير. ولقد أحسن بعض الشعراء حيث قال:

ولدتك أمك باكيًا مستصرخًا ... والناس حولك يضحكون سرورًا
فاحرص لنفسك أن تكون إذا بكوا ... في يوم موتك ضاحكًا مسرورًا

ولما كانت هذه المواطن الثلاثة أشقَّ ما تكون على ابن آدم، سلم الله على يحيى في كل موطن منها، فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾. وقال سعيد بن أبي عروبة[1]، عن قتادة، أن الحسن قال: إن يحيى، وعيسى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي، أنت خيرٌ مني. فقال له الآخر: استغفر لي، أنت خيرٌ منِّي. فقال له عيسى: أنت خيرٌ منِّي؛ سلمت على نفسي، وسلم الله عليك. فعرف والله فضلها.

وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾، فقيل: المراد بالحصور، الذي لا يأتي النساء. وقيل غير ذلك. وهو أشبه؛ لقوله: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.

وقد قال الإمام أحمد[2]: حدثنا عفان، حدثنا حمادٌ، أنبأنا عليُّ بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أحد من ولد آدم إلا وقد أخطأ، أو همَّ بخطيئة، ليس يحيى بن زكريا، وما ينبغي لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**».

علي بن زيد بن جدعان تكلم فيه غير واحد من الأئمة، وهو منكر الحديث، وقد رواه ابن خزيمة، والدارقطنيُّ، من طريق أبي عاصم العبَّاداني، عن علي بن زيد بن جدعان، به مطولاً ثم قال ابن خزيمة: وليس على شرطنا.

---

(١) **حسن الإسناد:** ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٩).

(٢) **ضعيف:** المسند (١/ ٢٥٤) علته علي بن زيد ضعيف، ويوسف بن مهران: لين، ولم يلق ابن عباس، وابن أبي شيبة من نفس الطريق (٧/ ٤٦٨).

وقال ابن وهب[١] : حدثني ابن لهيعة، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه يومًا وهم يتذاكرون فضل الأنبياء، فقال قائل: موسى كليم الله. وقال قائلٌ: عيسى روح الله وكلمته. وقائلٌ يقول: إبراهيم خليل الله. فخرج النبيُّ ﷺ وهم يذكرون ذلك، فقال: **«أين الشهيد، أين الشهيد يلبس الوبر، ويأكل الشجر، مخافة الذنب»** قال ابن وهب: يريد يحيى بن زكريا.

وقد رواه محمد بن إسحاق[٢] ، وهو مدلسٌ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب، حدثني ابن العاص: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنبٌ، إلا ما كان من يحيى بن زكريا»**. فهذا من رواية ابن إسحاق، وهو من المدلسين، وقد عنعن ههنا.

ثم قد رواه عبد الرزاق[٣] ، عن معمر، عن قتادة عن سعيد بن المسيب مرسلاً. ثم رأيت ابن عساكر ساقه من طريق أبي أسامة، عن يحيى بن سعيد الأنصاري به.

ثم قد رواه ابن عساكر[٤] من طريق إبراهيم بن يعقوب الجوزجانيِّ، خطيب دمشق، حدثنا محمد بن الأصبهانيِّ، حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن عبدالله بن عمرو، قال: ما أحدٌ إلا يَلْقى الله بذنب، إلا يحيى بن زكريا. ثم تلا: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾، ثم رفع شيئًا من الأرض فقال: ما كان معه إلا مثل هذا، ثم ذبح ذبحًا. وهذا موقوفٌ من هذه الطريق، وكونه موقوفًا أصح من رفعه. والله أعلم. وأورده ابن عساكر من طرقٍ، عن معمر؛ من ذلك ما أورده من حديث إسحاق بن بشر[٥] ، وهو ضعيفٌ، عن عثمان بن ساجٍ، عن ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن معاذ، عن النبيِّ ﷺ بنحوه.

وروي من طريق أبي داود الطيالسيِّ، وغيره، عن الحكم بن عبد الرحمن بن أبي نُعْمٍ، عن أبيه، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة يحيى، وعيسى، عليهما السلام»**[٦] .

وقال أبو نعيم الحافظ الأصبهاني:[٧] حدثنا إسحاق بن أحمد، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أحمد بن أبي الحواريِّ سمعت أبا سليمان يقول: خرج عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا يتماشيان، فصدم يحيى امرأةً، فقال له عيسى: يا بن خالةٍ، لقد أصبت اليوم خطيئةً، ما أظنُّ أن يُغْفَر

---

(١) ضعيف: ابن عساكر النسخة غير مطبوعة ترجمة يحيى عليه السلام والسند فيه ابن لهيعة ضعيف ومنهم من حسن رواية العبادلة عنه وهذه منها وإرسال ابن شهاب له.

(٢) ضعيف الإسناد: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٨) وفيه ابن حميد ضعيف وعنعنة ابن إسحاق.

(٣) رجاله ثقات: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٨) وعبد الرزاق (١٧٥١) تفسير.

(٤) صحيح موقوفًا: «تاريخ دمشق». ورواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٥٨) من طريق ابن إسحاق عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب عنه ابن عمرو مرفوعًا ورواه ابن أبي شيبة من الطريق المذكور أعلاه طريق أبي خالد الأحمر عن يحيى عن سعيد عن ابن عمرو موقوفًا وهو أصح.

(٥) إسحاق بن بشر متهم بالكذب.

(٦) ضعيف: رواه الحاكم (٣/ ١٦٧) قال البيهقي: فيه الحكم لين.

(٧) معضل: «الحلية» (٩/ ٢٦٨) أبو سليمان الداراني من تابعي التابعين ولعله أخذه من الإسرائيليات، كما قال الحافظ عليه رحمة الله.

لك أبدًا. قال: وما هي يا بن خالة؟ قال: امرأةٌ صدمتها. والله ما شعرت بها. قال: سبحان الله! بدنك معي، فأين روحك؟ قال: معلقٌ بالعرش، ولو أنَّ قلبي اطمأنَّ إلىٰ جبريل، لظننت أنِّي ما عرفت الله طرفة عين. فيه غرابةٌ، وهو من الإسرائيليات. وقال إسرائيل[1] عن أبي حصين، عن خيثمة قال: كان عيسىٰ ابن مريم ويحيىٰ بن زكريا ابني خالةٍ، وكان عيسىٰ يلبس الصوف، وكان يحيىٰ يلبس الوبر، ولم يكن لواحد منهما دينارٌ ولا درهمٌ، ولا عبدٌ ولا أمةٌ، ولا ما يأويان إليه، أينما جَنَّهُما الليل أويا، فلما أرادا أن يتفرقا، قال له يحيىٰ: أوصني. قال: لا تغضب. قال: لا أستطيع إلا أن أغضب. قال: فلا تقتنِ مالاً. قال: أما هذه فعسىٰ.

وقد اختلفت الرواية عن وهب بن منبه، هل مات زكريا عليه السلام موتًا، أو قتل قتلاً؟ علىٰ روايتين؛ فروىٰ عبد المنعم بن إدريس بن سنانٍ، عن أبيه، عن وهب بن منبه، أنه قال: هرب من قومه، فدخل شجرةً فجاءوا فوضعوا المنشار عليها، فلما وصل المنشار إلىٰ أضلاعه أنَّ، فأوحىٰ الله إليه: لئن لم يسكن أنينك، لأقلبنَّ الأرض ومَن عليها. فسكن أنينه حتىٰ قُطِعَ باثنتين.

وقد روي هذا في حديث مرفوع، سنورده بعد إن شاء الله. وروىٰ إسحاق بن بشر، عن إدريس ابن سنانٍ، عن وهب أنه قال: الذي انصدعت له الشجرة هو أشعيا، فأما زكريا فمات موتًا. فالله أعلم.

وقال الإمام أحمد[2]: حدَّثنا عفان، ثنا أبو خلفٍ موسىٰ بن خلفٍ وكان يُعَدُّ من البدلاء، حدثنا يحيىٰ بن أبي كثير، عن زيد بن سلام، عن جده ممطور، عن الحارث الأشعريِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات، أن يعمل بهنَّ، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ، وكاد أن يبطئ، فقال له عيسى، عليه السلام: إنك قد أمرت بخمس كلمات، أن تعمل بهنَّ وتأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ؛ فإما أن تُبلِّغهنَّ، وإما أن أبلغهنَّ. فقال: يا أخي، إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بني إسرائيلَ في بيت المقدس، حتى امتلأ المسجد، فقعد على الشَّرَف، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الله، عز وجل، أمرني بخمس كلمات، أن أعمل بهنَّ وآمركم أن تعملوا بهنَّ؛ أولهنَّ أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئًا، فإن مثل ذلك مثل من اشترى عبدًا من خالص ماله بورِق أو ذهب، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وإن الله خلقكم ورزقكم، فاعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وآمركم بالصلاة، فإنَّ الله ينصب وجهه قبل عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلا تلتفتوا. وآمركم بالصيام، فإن مثَلَ ذلك كمثَلِ رجل معه صرَّةٌ من مسك في عصابة، كلهم يجد ريح المسك، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك. وآمركم بالصدقة، فإن مثَل ذلك كمثَل رجل أسره العدوُّ، فشدُّوا يده إلى عنقه، وقدموه ليضربوا عنقه، فقال: هل**

---

(١) **معضل**: رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١١٧) وسنده صحيح إلى خيثمة ولكنه شبيه بالإسرائيليات.

(٢) **صحيح**: المسند (٤/ ١٣٠)، وأبو يعلى (١٥٧١)، والترمذي (٢٨٦٧).

لكم أن أفتدي نفسي منكم؟ فجعل يفتدي نفسه منهم بالقليل والكثير حتى فك نفسه. وآمركم بذكر الله، عز وجل، كثيراً، فإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعًا في إثره، فأتى حصنًا حصينًا، فتحصن فيه، وإنّ العبد أحصن ما يكون من الشيطان، إذا كان في ذكر الله، عز وجل». قال: وقال رسول الله ﷺ: **«وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهنّ؛ بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنّ من خرج عن الجماعة قيد شبر، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يرجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية، فهو من جثاء جهنم»**. قالوا: يا رسول الله، وإن صام وصلىٰ؟ قال: **«وإن صام وصلى، وزعم أنه مسلمٌ، ادعوا المسلمين بأسمائهم، بما سماهم الله، عز وجل، المسلمين المؤمنين عباد الله، عز وجل»**.

وهكذا رواه أبو يعلىٰ عن هدبة بن خالد، عن أبان بن يزيد، عن يحيىٰ بن أبي كثير به.

وكذلك رواه الترمذي من حديث أبي داود الطيالسي، وموسىٰ بن إسماعيل، كلاهما عن أبان بن يزيد العطار به. ورواه ابن ماجه[1] عن هشام بن عمار، عن محمد بن شعيب بن سابور، عن معاوية ابن سلام، عن أخيه زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعريِّ به. ورواه الحاكم[2] من طريق مروان بن محمد الطاطريِّ، عن معاوية بن سلام، عن أخيه به. ثم قال: تفرد به مروان الطاطريُّ، عن معاوية بن سلام. قلت: وليس كما قال. ورواه الطبراني[3]، عن محمد بن عبدة، عن أبي توبة الربيع بن نافع، عن معاوية بن سلام، عن أبي سلام، عن الحارث الأشعريِّ، فذكر نحوه، فسقط ذكر زيد بن سلام من هذه الرواية.

ثم روىٰ الحافظ ابن عساكر، من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازيِّ، عن أبيه، عن الربيع بن أنس[4]، قال: ذكر لنا عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما سمعوا من علماء بني إسرائيل، أن يحيىٰ بن زكريا أرسل بخمس كلمات. وذكر نحو ما تقدم. وقد ذكروا أنّ يحيىٰ، عليه السلام، كان كثير الانفراد من الناس، إنما كان يأنس إلىٰ البراريّ، ويأكل من ورق الأشجار، ويرد ماء الأنهار، ويتغذىٰ بالجراد في بعض الأحيان، ويقول: من أنعم منك يا يحيىٰ.

وروىٰ ابن عساكر، أن أبويه خرجا في تطلبه، فوجداه عند بُحَيْرة الأُرْدُنِّ، فلما اجتمعا به، أبكاهما بكاءً شديدًا؛ لما هو فيه من العبادة والخوف من الله، عز وجل.

وقال ابن وهب، عن مالك، عن حميد بن قيس، عن مجاهد، قال: كان طعام يحيىٰ بن زكريا العشب، وإن كان ليَبكي من خشية الله، حتىٰ لو كان القار علىٰ عينيه لحرقه.

وقال محمد بن يحيى الذهلي[5]: حدثنا أبو صالح، حدثنا الليث، حدثني عقيلٌ، عن ابن شهاب، قال: جلست يومًا إلىٰ أبي إدريس الخولانيِّ وهو يقصُّ، فقال: ألا أخبركم بمن كان

---

(١) ابن ماجه يعزوه المزي في الأطراف إليه كذلك وعزاه للنسائي في الكبرى وهو فيها برقم (١١٣٤٩).
(٢) الحاكم (١/١١٧). (٣) الطبراني الكبير (٣٤٢٧).
(٤) ضعيف الإسناد: «تاريخ دمشق» ترجمة يحيى عليه السلام والنسخة مفقودة فيه أبو جعفر الرازي ضعيف في الربيع بن أنس.
(٥) صحيح: تابعه نعيم بن حماد في «زوائد الزهد» لابن المبارك (١٧٨) عن الليث به وسنده صحيح.

أطيب الناس طعامًا؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال: إن يحيى بن زكريا، كان أطيب الناس طعامًا؛ إنما كان يأكل مع الوحش؛ كراهة أن يخالط الناس في معايشهم. وقال ابن المبارك، عن وهيب بن الورد [1]، قال: فَقَدَ زكريا ابنَه يحيى ثلاثة أيام فخرج يلتمسه في البريَّة، فإذا هو قد احتفر قبرًا، وأقام فيه يبكي على نفسه، فقال: يا بنيَّ، أنا أطلبك من ثلاثة أيام، وأنت في قبر قد احتفرته، قائمٌ تبكي فيه؟! فقال: يا أبت، ألست أنت أخبرتني أن بين الجنة والنار مفازة، لا تقطع إلا بدموع البكائين؟ فقال له: ابكِ يا بنيَّ. فبكيا جميعًا. وهكذا حكاه وهب بن منبِّه، ومجاهدٌ بنحوه.

وروى ابن عساكر عنه، أنه قال: إن أهل الجنة لا ينامون للذة ما هم فيه من النعيم، فكذا ينبغي للصِّدِّيقين أن لا يناموا؛ لما في قلوبهم من نعيم المحبَّة لله، عز وجل. ثم قال: كم بين النعيمين وكم بينهما. وذكروا أنه كان كثير البكاء، حتى أثر البكاء في خديه من كثرة دموعه.

بيان سبب قتل يحيى، عليه السلام

وذكروا في قتله أسبابًا كثيرةً؛ من أشهرها أن بعض ملوك ذلك الزمان بدمشق، كان يريد أن يتزوج ببعض محارمه، أو من لا يحل له تزويجها، فنهاه يحيى، عليه السلام، عن ذلك، فبقي في نفسها منه، فلما كان بينها وبين الملك ما يحب منها، استوهبت منه دم يحيى، فوهبه لها فبعثت إليه من قتله، وجاء برأسه ودمه في طستٍ إلى عندها، فيقال: إنها هلكت من فورها وساعتها. وقيل: بل أحبَّته امرأة ذلك الملك وراسلته، فأبى عليها، فلما يئست منه، تحيَّلتْ في أن استوهبته من الملك، فتمنَّع عليها الملك، ثم أجابها إلى ذلك، فبعث من قتله وأحضر إليها رأسه ودمه في طست.

وقد ورد معناه في حديث، رواه إسحاق بن بشر [2] في كتابه «المبتدأ» حيث قال: أنبأنا يعقوب الكوفيُّ، عن عمرو بن ميمون، عن أبيه، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ ليلة أُسْرِي به رأى زكريا في السماء، فسلم عليه وقال له: «يا أبا يحيى، خبرني عن قتلك؛ كيف كان؟ ولم قتلك بنو إسرائيل». قال: يا محمد، أخبرك أن يحيى كان خير أهل زمانه، وكان أجملهم وأصبحهم وجهًا، وكان كما قال الله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ وكان لا يحتاج إلى النساء فهويته امرأة ملك بني إسرائيل، وكانت بغيَّةً، فأرسلت إليه، وعصمه الله، وامتنع يحيى وأبى عليها، وأجمعت على قتل يحيى، ولهم عيدٌ يجتمعون في كل عام، وكانت سنَّةُ الملك أن يوعد ولا يخلف ولا يكذب. قال: فخرج الملك إلى العيد فقامت امرأته فشيعته، وكان بها معجبًا، ولم تكن تفعله فيما مضى، فلما أن شيعته قال الملك: سليني، فما سألتني شيئًا إلا أعطيتك. قالت: أريد دم يحيى بن زكريا. قال لها: سليني غيره. قالت: هو ذاك. قال: هو لك. قال: فبعثت جلاوزَتَهَا إلى يحيى، وهو في محرابه يصلي، وأنا إلى جانبه أصلي. قال: فذبح في طستٍ وحمل رأسه ودمه إليها. قال: فقال رسول الله ﷺ:

---

(1) ضعيف: رواه البيهقي في «الشعب» (809) بسند ضعيف فيه محمد بن يونس متروك.
(2) ضعيف جدًا: رواه ابن عساكر (19/ 55) إسحاق بن بشر متهم بالكذب.

«**فما بلغ من صبرك؟**». قال: ما انفتلت من صلاتي. قال: فلما حمل رأسه إليها فوضع بين يديها، فلما أمسوا، خسف الله بالملك وأهل بيته وحشمه، فلما أصبحوا قالت بنو إسرائيل: قد غضب إله زكريا لزكريا، فتعالوا حتى نغضب لملكنا، فنقتل زكريا. قال: فخرجوا في طلبي ليقتلوني، وجاءني النذير فهربت منهم، وإبليس أمامهم يدلهم عليَّ، فلما أن تخوفت أن لا أعجزهم، عرضت لي شجرةٌ، فنادتني وقالت: إليَّ، إليَّ. وانصدعت لي، فدخلت فيها. قال: وجاء إبليس حتى أخذ بطرف ردائي، والتأمت الشجرةُ، وبقي طرف ردائي خارجًا من الشجرة، وجاءت بنو إسرائيل، فقال إبليس: أما رأيتموه دخل هذه الشجرة؟ هذا طرف ردائه، دخلها بسحره. فقالوا: نحرق هذه الشجرة. فقال إبليس: شقوه بالمنشار شقًا. قال: فشُقِقْتُ مع الشجرة بالمنشار. فقال له النبيُّ ﷺ: «**هل وجدت له مسًا أو وجعًا؟**». قال: لا، إنما وجدتْ ذلك الشجرةُ، جعل الله روحي فيها. هذا سياقٌ غريب، وحديثٌ عجيبٌ، ورفعه منكرٌ، وفيه ما ينكر على كل حال، ولم نر في شيء من أحاديث الإسراء ذكرًا لزكريا، عليه السلام، إلا في هذا الحديث، وإنَّما المحفوظ في بعض ألفاظ «الصحيح»، في حديث الإسراء: «**فمررت بابني الخالة؛ يحيى وعيسى**». وهما ابنا الخالة على قول الجمهور، كما هو ظاهر الحديث؛ فإن أم يحيى أشياع بنت عمران، أخت مريم بنت عمران. وقيل: بل أشياع، وهي امرأة زكريا أم يحيى، هي أخت حنَّة امرأة عمران أم مريم، فيكون يحيى ابن خالة مريم. فالله أعلم.

ثم اختلف في مقتل يحيى بن زكريا، هل كان من المسجد الأقصى، أم بغيره؟ على قولين؛ فقال الثوريُّ، عن الأعمش، عن شِمْر بن عطية، قال: قتل على الصخرة التي ببيت المقدس، سبعون نبيًا، منهم يحيى بن زكريا، عليه السلام. وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب[١]، قال: قدم بُخْتُ نَصَّرَ دمشق، فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي، فسأل عنه، فأخبروه، فقتل على دمه سبعين ألفًا، فسكن. وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى سعيد بن المسيب، وهو يقتضي أنه قتل بدمشق، وأن قصة بُخْتُ نَصَّر كانت بعد المسيح، كما قاله عطاءٌ، والحسن البصريُّ. فالله أعلم.

وروى الحافظ ابن عساكر، من طريق الوليد بن مسلم، عن زيد بن واقد قال[٢]: رأيت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسجد دمشق، أخرج من تحت ركن من أركان القبلة، الذي يلي المحراب، مما يلي الشرق، فكانت البَشْرَةُ والشَّعْرُ على حاله، لم يتغير. وفي رواية: كأنما قتل الساعة. وذكر في بناء مسجد دمشق، أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسكة. فالله أعلم.

وقد روى الحافظ ابن عساكر في «المستقصى في فضائل الأقصى» من طريق العباس بن صبح، عن

---

(١) **قلت**: بل ضعيف فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف.

(٢) **ضعيف**: الوليد بن مسلم مدلس وقد عنعن، وبينه وبين زيد: صدقة بن الفضل.

مروان، عن سعيد بن عبد العزيز، عن قسيم مولى معاوية، قال: كان ملك هذه المدينة - يعني دمشق - هداد بن هداد، وكان قد زوج ابنه بابنة أخيه أريل، ملكة صيدا.

قلت: وقد كان من جملة أملاكها سوق الملوك بدمشق وهو الصاغة العتيقة. قال: وكان قد حلف بطلاقها ثلاثًا، ثم إنه أراد مراجعتها، فاستفتى يحيى بن زكريا، فقال: لا تحلُّ لك حتى تنكح زوجًا غيرك. فحقَدَتْ عليه، وسألتْ من الملك رأس يحيى بن زكريا، وذلك بإشارة أمها، فأبى عليها، ثم أجابها إلى ذلك، وبعث إليه، وهو قائمٌ يصلي بمسجد جيرون، من أتاه برأسه في صينيَّة، فجعل الرأس يقول: لا تحلُّ له، لا تحلُّ له حتى تنكح زوجًا غيره. فأخذت المرأة الطبق، فحملته على رأسها وأتت به أمها، وهو يقول كذلك، فلما تمثلت بين يدي أمها، خسف بها إلى قدميها، ثم إلى حقويها، وجعلت أمها تولول، والجواري يصرخن ويلطمن وجوههن، ثم خسف بها إلى منكبيها، فأمرت أمها السياف أن يضرب عنقها لتتسلى برأسها، ففعل، فلفظت الأرض جثتها عند ذلك، ووقعوا في الذل والفناء، ولم يزل دم يحيى يفور، حتى قدم بُخْتُ نَصَّر فقتل عليه خمسةً وسبعين ألفًا. قال سعيد بن عبد العزيز: وهي دم كل نبيٍّ. ولم يزل يفور، حتى وقف عنده أرميا، عليه السلام، فقال: أيها الدم، أفنيت بني إسرائيل، فاسكن بإذن الله. فسكن، فرفع السيف، وهرب من هرب من أهل دمشق إلى بيت المقدس، فتبعهم إليها، فقتل خلقًا كثيرًا لا يحصون كثرة، وسَبَا منهم، ثم رجَعَ عنهم.

قصة عيسى ابن مريم، عليه من الله أفضل الصلاة والسلام

قال الله تعالى في سورة «آل عمران»، التي أنزل صدرها، وهو ثلاثٌ وثمانون آيةً منها، في الردِّ على النصارى، عليهم لعائن الله، الذين زعموا أنَّ لله ولدًا، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، وكان قد قدم وفد نَجْرَانَ منهم على رسول الله ﷺ، فجعلوا يذكرون ما هم عليه من الباطل، من التثليث في الأقانيم، ويدعون - بزعمهم - أن الله ثالث ثلاثة؛ وهم الذات المقدسة، وعيسى، ومريم، على اختلاف فرقهم، فأنزل الله، عز وجل، صدر هذه السورة، بيَّنَ فيها أن عيسى عبدٌ من عباد الله، خلقه وصوره في الرحم، كما صور غيره من المخلوقات، وأنه خلقه من غير أب، كما خلق آدم من غير أب، ولا أم وقال له: كن. فكان، وبيَّنَ تعالى أصل ميلاد أمه مريم، وكيف كان من أمرها، وكيف حملت بولدها عيسى، وكذلك بسط ذلك في سورة «مريم»، كما سنتكلم على ذلك كله بعون الله وحسن توفيقه وهدايته، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٧].

يذكر تعالىٰ أنه اصطفىٰ آدم، عليه السلام، والخُلَّصَ من ذريته، المتبعين شرعه، الملازمين طاعته، ثم خصص فقال: ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾، فدخل فيهم بنو إسماعيل وبنو إسحاق. ثم ذكر فضل هذا البيت الطاهر الطيب، وهم آل عمران، والمراد بعمران هذا: والد مريم عليهما السلام.

قال محمد بن إسحاق: وهو عمران بن باشم بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحزيق بن موثم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن أحزيهو بن يارم بن يهفاشاط بن أيش بن أبان بن رحبعام بن سليمان بن داود.

وقال أبو القاسم بن عساكر: مريم بنت عمران بن ماتان بن اليعازر ابن اليود بن أجبن بن صادوق بن عيازور بن الياقيم بن أيبود بن زربائيل بن شالتان بن يوحنيا بن برستيا بن آمون بن ميشا بن حزقيل بن أجاز بن يوثام بن عزريا بن بورام بن بوسافاط بن أسا بن أبيا بن رخيعم بن سليمان بن داود، عليه السلام. وفيه مخالفةٌ لما ذكره محمد بن إسحاق، ولا خلاف أنها من سلالة داود، عليه السلام، وكان أبوها عمران صاحب صلاة بني إسرائيل في زمانه، وكانت أمها، وهي حنَّةُ بنت فاقود بن قبيل، من العابدات، وكان زكريا نبيُّ ذلك الزمان، زوجَ أُخْتِ مريم أشياعَ، في قول الجمهور، وقيل: زوج خالتها أشياع. فالله أعلم. وقد ذكر محمد بن إسحاق[1] وغيره، أن أم مريم كانت لا تحبل، فرأت يومًا طائرًا يزقُّ فرخًا له، فاشتهت الولد فنذرت لله إن حملت لتجعلنَّ ولدها محررًا؛ أي حبيسًا في خدمة بيت المقدس. قالوا: فحاضت من فورها، فلما طهرت واقعها بعلها، فحملت بمريم، عليها السلام ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ وقرئ بضم التاء ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾ أي؛ في خدمة بيت المقدس، وكانوا في ذلك الزمان ينذرون لبيت المقدس خدامًا من أولادهم.

وقولها: ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ استدل به على تسمية المولود يوم يولد، وكما ثبت في «الصحيحين»[2] عن أنس، في ذهابه بأخيه إلى رسول الله ﷺ، فحنَّك أخاه وسماه عبد الله. وجاء في حديث[3] الحسن، عن سمرة مرفوعًا: «**كل غُلام رهينةٌ بعقيقته، تذبح عنه يوم سابعه، ويسمى ويحلق رأسه**». رواه أحمد، وأهل السنن، وصححه الترمذي، وجاء في بعض ألفاظه: و «يُدَمَّىٰ»[4] بدل: «ويُسمَّىٰ». وصححه بعضهم. والله أعلم.

وقولها: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ قد استجيب لها في هذا، كما تقبل منها نذرها.

---

(١) **ضعيف الإسناد:** رواه عنه ابن جرير (٣/ الجزء ٣/ ٢٣٠) وفيه ابن حميد ضعيف.

(٢) **متفق عليه:** البخاري (٥٤٧٠)، مسلم (٥٥٧٨).

(٣) **صحيح:** رواه في المسند (٥/ ٨)، أبو داود (٢٨٣٨)، النسائي (٧/ ١٦٦)، الترمذي (١٥٢٢) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (٣١٦٥). ورواه البخاري في «صحيحه» (٥٤٧٢).

(٤) رواها أبو داود (٢٨٣٧) من رواية همام عن قتادة قال أبو داود: وهذا وهم من همام «ويدمي» ثم قال: خولف همام في هذا الكلام، ثم قال: وليس يؤخذ بهذا.

فقال الإمام أحمد[١] : حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمرٌ، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ، قال : «**ما من مولود إلا الشيطان يمسه حين يولد، فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها**». ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾ أخرجاه من حديث عبد الرزاق. ورواه ابن جرير[٢] عن أحمد بن الفرج، عن بقيَّة، عن الزبيدي، عن الزهريِّ، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، بنحوه.

وقال أحمد[٣] **أيضًا**: حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن عجلان مولى المُشْمَعِلِّ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان بأصبعه، إلا مريم ابنة عمران، وابنها عيسى**». تفرد به من هذا الوجه. ورواه مسلمٌ، عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، بنحوه.

وقال أحمد[٤] : حدثنا هيثمٌ، حدثنا حفص بن ميسرة، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن النبيَّ ﷺ، قال: «**كل إنسان تلده أمه يلكزه الشيطان بحضنيه، إلا مَا كان منْ مريم وابنها، ألم تر إلى الصبيِّ حين يسقط كيف يصرِّخ؟**». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**فذلك حين يلكزه الشيطان بحضنيه**». وهذا على شرط مسلم، ولم يخرجه من هذا الوجه.

ورواه قيسٌ، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرةً أو عصرتين؛ إلا عيسى ابن مريم، ومريم**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ **وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ** ﴾. وكذا رواه محمد بن إسحاق[٥] ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، بأصل الحديث.

وقال الإمام أحمد[٦] : حدثنا عبد الملك، حدثنا المغيرة، هو ابن عبد الرحمن الحزاميُّ، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**كل بني آدم يطعن الشيطان في جنبه حين يولد، إلا عيسى ابن مريم، ذَهَبَ يطعَنُ فَطَعَنَ في الحجاب**». وهذا على شرط «الصحيحين»، ولم يخرجاه من هذا الوجه.

وقوله: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** ﴾ ذكر كثيرٌ من المفسِّرين أنَّ أمها حين وضعتها، لفتها في خروقها، ثم خرجت بها إلى المسجد، فسلمتها إلى العباد الذين هم مقيمون به، وكانت ابنة إمامهم وصاحب صلاتهم، فتنازعوا فيها. والظاهر أنها إنما سلمتها إليهم بعد رضاعها وكفالة مثلها في صغرها، ثم لما دفعتها إليهم، تنازعوا في أيهم يكفلها، وكان زكريا نبيهم

---

(١) **متفق عليه**: المسند (٢/ ٢٧٤)، البخاري (٤٥٤٨) مسلم (٦٠٨٦).
(٢) **صحيح لغيره**: ابن جرير (٣/ الجزء ٣/ ٢٤٠) فيه أحمد بن الفرج متكلم فيه.
(٣) **صحيح**: المسند (٢/ ٢٨٨)، مسلم (٣٢٦٦).
(٤) **صحيح**: المسند (٢/ ٣٦٨)، ابن جرير (٣/ الجزء٣/ ٢٣٨).
(٥) ابن جرير (٣/ الجزء ٣/ ٢٣٨).
(٦) **صحيح**: المسند (٢/ ٥٢٣).

في ذلك الزمان، قد أراد أن يستبدَّ بها دونهم؛ من أجل أنَّ زوجته أختها أو خالتها، على القولين، فشاحوه في ذلك، وطلبوا أن يقترع معهم، فساعدته المقادير، فخرجت قرعته غالبةً لهم، وذلك أن الخالة بمنزلة الأم.

قال الله تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أي؛ بسبب غلبه لهم في القرعة، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، قالوا: وذلك أن كلا منهم ألقى قلمه معروفًا به، ثم حملوها ووضعوها في موضع، وأمروا غلامًا لم يبلغ الحنث، فأخرج واحدًا منها، فظهر قلم زكريا، عليه السلام، فطلبوا أن يقترعوا مرةً ثانيةً، وأن يكون ذلك بأن يلقوا أقلامهم في النهر، فأيهم جرى قلمه على خلاف جرية الماء فهو الغالب، ففعلوا، فكان قلم زكريا هو الذي جرى على خلاف جرية الماء، وسارت أقلامهم مع الماء، ثم طلبوا منه أن يقترعوا ثالثةً فأيهم جرى قلمه مع الماء، وتكون بقيَّة الأقلام قد انعكس سيرها صُعُدًا؛ فهو الغالب، ففعلوا، فكان زكريا هو الغالب لهم، فكفلها إذ كان أحق بها شرعًا وقدرًا؛ لوجوه عديدة.

قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال المفسرون: اتخذ لها زكريا مكانًا شريفًا من المسجد، لا يدخله سواها، فكانت تعبد الله فيه، وتقوم بما يجب عليها من سدانة البيت إذا جاءت نوبتها، وتقوم بالعبادة ليلها ونهارها، حتى صارت يضرب المثل بعبادتها في بني إسرائيل، واشتهرت بما ظهر عليها من الأحوال الكريمة، والصفات الشريفة، حتى إنه كان نبيُّ الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها، يجد عندها رزقًا غريبًا في غير أوانه، فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، فيسألها: ﴿أَنَّى لَكِ هَذَا﴾ فتقول: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ أي؛ رزقٌ رزقنيه الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. فعند ذلك وهنالك، طمع زكريا في وجود ولد من صلبه، وإن كان قد أسنَّ وكبر.

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، قال بعضهم. قال: يا من يرزق مريم الثمر في غير أوانه، هب لي ولدًا، وإن كان في غير أوانه. فكان من خَبَرِه وقَضِيَّتِه، ما قدمنا ذكره في قصته.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣) ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ

يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [آل عمران: ٤٢-٥١].

يذكر تعالىٰ أنَّ الملائكة بَشَّرت مريم باصطفاء الله لها، من بين سائر نساء عالمي زمانها، بأن اختارها لإيجاد ولدٍ منها، من غير أبٍ، وبشرت بأن يكون نبيًا شريفًا ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي؛ في صغره، يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وكذلك في حال كهولته، فدل علىٰ أنه يبلغ الكهولة، ويدعو إلىٰ الله فيها، وأمرت بكثرة العبادة والقنوت والسجود والركوع؛ لتكون أهلاً لهذه الكرامة، ولتقوم بشكر هذه النعمة، فيقال: إنها كانت تقوم في الصلاة حتىٰ تفطرت قدماها، رضي الله عنها ورحمها، ورحم أمها وأباها.

فقول الملائكة: ﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ أي؛ اختارك واجتباك.

﴿وَطَهَّرَكِ﴾ أي؛ من الأخلاق الرذيلة، وأعطاك الصفات الجميلة.

﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، يحتمل أن يكون المراد عالَمي زمانها، كقوله لموسىٰ: ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾، وكقوله عن بني إسرائيل: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]. ومعلومٌ أن إبراهيم، عليه السلام، أفضل من موسىٰ، وأن محمدًا ﷺ، أفضل منهما، وكذلك هذه الأمة أفضل من سائر الأمم قبلها، وأكثر عددًا، وأفضل علمًا، وأزكىٰ عملاً، من بني إسرائيل وغيرهم.

ويحتمل أن يكون قوله: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ محفوظ العموم؛ فتكون أفضل نساء الدنيا، ممن كان قبلها، ووجد بعدها؛ لأنها إن كانت نبيَّةً، علىٰ قول من يقول بنبوتها، ونبوة سارَّة أم إسحاق، ونبوة أم موسىٰ، محتجًا بكلام الملائكة، والوحي إلىٰ أم موسىٰ، كما يزعم ذلك ابن حزمٍ وغيره، فلا يمتنع علىٰ هذا، أن تكون مريم أفضل من سارة وأم موسىٰ؛ لعموم قوله: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾، إذ لم يعارضه غيره. والله أعلم.

وأما علىٰ قول الجمهور، كما قد حكاه أبو الحسن الأشعريُّ وغيره عن أهل السنَّة والجماعة، من أنَّ النبوة مختصةٌ بالرجال، وليس في النساء نبيَّةٌ، فيكون أعلىٰ مقامات مريم، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، فعلىٰ هذا لا يمتنع أن تكون أفضل الصديقات المشهورات، ممن كان قبلها، وممن يكون بعدها. والله أعلم. وقد جاء ذكرها مقرونًا مع آسية بنت مزاحمٍ، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمدٍ، رضي الله عنهنَّ وأرضاهنَّ.

وقد روى الإمام أحمد، والبخاريُّ، ومسلمٌ، والترمذيُّ، والنسائيُّ[١] ، من طرق عديدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفرٍ عن عليٍّ بن أبي طالبٍ، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد**».

وقال الإمام أحمد[٢] :حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا معمرٌ، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**حسبك من نساء العالمين بأربع؛ مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد**».

ورواه الترمذي عن أبي بكر بن زنجويه عن عبد الرزاق به، وصححه.

ورواه ابن مردويه، من طريق عبد الله بن أبي جعفر الرازيِّ، وابن عساكر، من طريق تميم بن زياد، كلاهما عن أبي جعفر الرازيِّ، عن ثابتٍ، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**خير نساء العالمين أربعٌ: مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمدٍ رسول الله**».

وقال الإمام أحمد[٣] :حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمرٌ، عن الزهريِّ عن ابن المسيب، قال: كان أبو هريرة يحدث أنَّ النبيَّ ﷺ، قال: «**خير نساءٍ ركبن الإبل، صالح نساء قريشٍ، أحناه على ولد في صغره، وأرعاه لزوج في ذات يده**».

قال أبو هريرة: ولم تركب مريم بعيرًا قطُّ. وقد رواه مسلمٌ في «صحيحه»، عن محمد بن رافع وعبد بن حميد، كلاهما عن عبد الرزاق به.

وقال أحمد[٤] :حدثنا زيد بن الحباب، حدثني موسىٰ بن عليٍّ، سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره، وأرأفه بزوج على قلَّة ذات يده**» قال أبو هريرة: وقد علم رسول الله ﷺ، أن ابنة عمران لم تركب الإبل. تفرد به، وهو علىٰ شرط «الصحيح». ولهذا الحديث طرقٌ أخر عن أبي هريرة.

وقال أبو يعلى الموصليُّ[٥] :حدثنا زهيرٌ، حدثنا يونس بن محمدٍ، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ قال: خط رسول الله ﷺ، في الأرض أربع خطوطٍ، فقال: «**أتدرون ما هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله ﷺ: «**أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمدٍ ﷺ ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة**

---

(١) **متفق عليه**: أحمد «المسند» (١/ ٨٤)، البخاري (٣٤٣٢)، مسلم (٦٢٢١)، الترمذي (٣٨٧٧)، النسائي «الكبرى» (٨٣٥٤).

(٢) **رجاله ثقات**: «المسند» (٣/ ١٣٥)، الترمذي (٣٨٧٨)، ورواية معمر عن قتادة متكلم فيها؛ لأن قتادة بصري ورواية معمر عن البصريين متكلم فيها.

(٣) **صحيح**: «المسند» (٢/ ٢٩٦)، مسلم (٦٤٠٥).

(٤) **صحيح**: «المسند» (٢/ ٥٣٦) ولكن سقط كثير من المتن في الطباعة وذكر الحافظ في أطراف مسند أحمد المتن كاملاً.

(٥) **صحيح لغيره**: مسند أبي يعلى (٢٧٢٢) وسنده حسن، النسائي «الكبرى» (٨٣٥٧).

فرعون». ورواه النسائيُّ من طرقٍ عن داود بن أبي الفرات.

وقد رواه ابن عساكر من طريق أبي بكر عبد الله بن أبي داود سليمان بن الأشعث، حدثنا يحيى ابن حاتم العسكري، حدثنا بشر بن مهران بن حمدان، حدثنا محمد بن دينار، عن داود بن أبي هندٍ، عن الشعبيِّ، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«حسبك منهنَّ أربع سيدات، نساء العالمين؛ فاطمة بنت محمد، وخديجة بنت خويلد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران»**.

وقال أبو القاسم البغوي[1]: حدثنا وهب بن بقيَّة، حدثنا خالد بن عبد الله الواسطيُّ، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن عائشة أنها قالت لفاطمة: أرأيت حين أكببت على رسول الله ﷺ، فبكيت، ثمَّ ضحكت؟ قالت: أخبرني أنه ميتٌ من وجعه هذا فبكيت، ثم أكببت عليه، فأخبرني أني أسرع أهله لحوقًا به، وأنِّي سيدة نساء أهل الجنة، إلا مريم بنت عمران، فَضَحِكْتُ.

وأصل هذا الحديث في «الصحيح». وهذا إسنادٌ على شرط مسلم، وفيه أنَّهما أفضل الأربع المذكورات.

وهكذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد[2]، حدثنا عثمان بن محمدٍ، حدثنا جريرٌ، عن يزيد، هو ابن أبي زيادٍ عن عبد الرحمن بن أبي نُعْمٍ، عن أبي سعيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«فاطمةُ سيدةُ نساء أهل الجنة، إلا ما كان من مريم بنت عمران»**. إسنادٌ حسنٌ، وصححه الترمذيُّ، ولم يخرجوه، وقد روي نحوه من حديث عليٍّ بن أبي طالبٍ، ولكن في إسناده ضعفٌ.

والمقصود أنَّ هذا يدلُّ على أنَّ مريم وفاطمة أفضل هذه الأربع، ثمَّ يحتملُ الاستثناءُ أن تكون مريم أفضل من فاطمة، ويحتمل أن يكونا على السواء في الفضيلة؛ لكن ورد حديثٌ، إن صح عين الاحتمال الأول.

فقال الحافظ أبو القاسم ابن عساكر[3]: أخبرنا أبو الحسين بن الفراء، وأبو غالب، وأبو عبدالله، ابنا البَنَّا، قالوا: أنبأنا أبو جعفر بن المسلمة، أنبأنا أبو طاهر المخلص، حدثنا أحمد بن سليمان، حدثنا الزبير، هو ابن بكارٍ، حدثنا محمد بن الحسن، عن عبد العزيز بن محمد، عن موسى بن عقبةَ، عن كريبٍ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيدة نساء أهل الجنة مريم بنت عمران، ثم فاطمة، ثم خديجة، ثم آسية امرأة فرعون»**. فإن كان هذا اللفظ محفوظًا بـ«ثم» التي للترتيب، فهو مبينٌ لأحد الاحتمالين اللذين دلَّ عليهما الاستثناءُ، ويقدم على ما تقدم من الألفاظ التي وردت بواو العطف، التي لا تقتضي الترتيب ولا تنفيه. والله أعلم.

---

(١) «شرح السنة». أصله في البخاري (٣٦٢٣)، مسلم (٦٢٦٣) إلا قوله: إلا ما كان من مريم.

(٢) حسن لغيره: المسند (٣/ ٨٠) فيه يزيد بن أبي زياد ضعيف لكن يشهد له ما رواه الترمذي (٣٨٧٣) وفيه موسى بن يعقوب سيئ الحفظ ومحمد بن عثمة يخطئ. قال الترمذي: حسن غريب. والشاهد الآخر الذي عزاه الحافظ للبغوي فيه محمد بن عمرو بن علقمة له أوهام.

(٣) موضوع: ابن عساكر لم أقف عليه فيه، وقد رواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٢) وفيه محمد بن الحسن بن زبالة متهم بالكذب.

وقد روى هذا الحديث أبو حاتم الرازي[1] ، عن داود الجعفري، عن عبد العزيز بن محمد، وهو الدراوردي، عن إبراهيم بن عقبة، عن كريب عن ابن عباس مرفوعًا، فذكره بواو العطف لا بـ «ثم» الترتيبيَّة، فخالفه إسنادًا ومتنًا. فالله أعلم.

فأما الحديث الذي رواه ابن مردويه، من حديث شعبة، عن معاوية بن قرة، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمل من النساء إلا ثلاثٌ، مريم بنت عمران، وآسية امرأةُ فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفضلُ عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام**».

وهكذا الحديث الذي رواه الجماعة[2] ، إلا أبا داود، من طرق، عن شعبة، عن عمرو بن مرَّة، عن مرة الهمداني، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كمل من الرجال كثيرٌ ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأةُ فرعون، ومريم بنت عمران، وإنَّ فَضْلَ عائشة على النساء، كفضل الثَّريد على سائر الطعام**». فإنه حديثٌ صحيحٌ كما ترى، اتفق الشيخان على إخراجه، ولفظه يقتضي حصر الكمال في النساء في مريم وآسية، ولعل المراد بذلك، في زمانهما، فإن كلا منهما كفلت نبيًا في حال صغره، فآسية كفلت موسى الكليم، ومريم كفلت ولدها عبد الله ورسوله، فلا ينفي كمال غيرهما في هذه الأمة، كخديجة وفاطمة؛ فخديجة خدمت رسول الله ﷺ، قبل البعثة خمس عشرة سنةً، وبعدها أزيد من عشر سنين، وكانت له وزير صدق بنفسها ومالها، رضي الله عنها وأرضاها، وأمَّا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فإنها خصَّتْ بمزيد فضيلة على أخواتها؛ لأنها أصيبت برسول الله ﷺ، وبقيَّةُ أخواتها متْنَ في حياة النبيِّ ﷺ، وأما عائشة، فإنها كانت أحبَّ أزواج رسول الله ﷺ، إليه، ولم يتزوج بكرًا غيرها، ولا يعرف في سائر النساء في هذه الأمة، بل ولا في غيرها، أعلم منها ولا أفهم، وقد غار الله لها حين قال لها أهلُ الإفك ما قالوا، فأنزل براءتها من فوق سبع سماوات، وقد عُمِّرَتْ بعد رسول الله ﷺ، قريبًا من خمسين سنةً، تبلغ عنه القرآن والسنَّة، وتفتي المسلمين، وتصلح بين المختلفين، وهي أشرف أمهات المؤمنين، حتى خديجة بنت خويلد أم البنات والبنين، في قول طائفة من العلماء السابقين، واللاحقين، والأحسن الوقف فيهما، رضي الله عنهما، وما ذاك إلا لأنَّ قوله ﷺ: «**وفضل عائشة على النساء،كفضل الثريد على سائر الطعام**» يحتمل أن يكون عامًّا بالنسبة إلى المذكورات وغيرهنَّ، ويحتمل أن يكون عامًّا بالنسبة إلى ما عدا المذكورات. و الله أعلم.

والمقصود ههنا، ذكر ما يتعلق بمريم بنت عمران، عليها السلام، فإنَّ الله طهرها واصطفاها على نساء عالمي زمانها، ويجوز أن يكون تفضيلها على النساء مطلقًا، كما قدمنا. وقد ورد في حديث أنها تكون من أزواج النبيِّ ﷺ، في الجنة، هي وآسية بنت مزاحم. وقد ذكرنا في

---

(١) **إسناده حسن**: رواه أيضًا الطبراني في «الكبير» (١٢١٧٩) من رواية النفيلي عن الدراوردي.

(٢) **متفق عليه**: البخاري (٣٤١١) مسلم (٦٢٢٢) الترمذي (١٨٣٤) النسائي (٧/ ٦٨) وابن ماجه (٣٢٨٠).

«التفسير» عن بعض السلف، أنه قال ذلك، واستأنس بقوله: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] قال: فالثيب آسية، ومن الأبكار مريم بنت عمران. وقد ذكرناه في آخر سورة «التحريم». فالله أعلم.

قال الطبراني[١]: حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا محمد بن سعدٍ العوفيُّ، حدثنا أبي، حدثنا عمِّي الحسين، حدثنا يونس بن نفيع عن سعد بن جنادة هو العوفيُّ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله زوجني في الجنَّة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وأخت موسى»**.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إبراهيم بن عرعرة، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يونس بن شعيبٍ عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أشعرت أن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحمٍ، وكَلْثَمَ أخت موسى»**. رواه أبو جعفر العقيليُّ[٢] من حديث عبد النور به، وزاد: فقلت: هنيئًا لك يا رسول الله. ثم قال العقيليُّ: وليس بمحفوظ.

وقال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن، عن يعلىٰ بن المغيرة، عن ابن أبي روادٍ، قال: دخل رسول الله ﷺ، علىٰ خديجة وهي في مرضها الذي توفيت فيه، فقال لها: **«بالكره منِّي ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيرًا كثيرًا، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وكَلْثَمَ أخت موسى، وآسية امرأة فرعون؟»** قالت: وقد فعل الله بك ذلك يا رسول الله؟ قال: **«نعم»**. قالت: بالرفاء والبنين[٣].

وروىٰ ابن عساكر[٤]، من حديث محمد بن زكريا الغلابيُّ، حدثنا العباس بن بكارٍ، حدثنا أبو بكر الهذليُّ، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنَّ رسول الله ﷺ، دخل علىٰ خديجة، وهي في الموت، فقال: **«يا خديجة، إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهنَّ منِّي السلام»**. قالت: يا رسول الله، وهل تزوجت قبلي؟ قال: **«لا، ولكنَّ الله زوجني مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وكلثم أخت موسى»**.

وروىٰ ابن عساكر[٥]، من طريق سويد بن سعيد، حدثنا محمد بن صالح بن عمر، عن الضحاك ومجاهد، عن ابن عمر قال: نزل جبريل إلىٰ رسول الله ﷺ؛ بما أرسل به، وجلس يحدث رسول الله ﷺ، إذ مرتْ خديجة، فقال جبريل: من هذه يا محمد؟ قال: **«هذه صِدِّيقة أُمَّتي»**. قال جبريل: معي إليها رسالةٌ من الربِّ، عز و جل، يقرئها السلام، ويبشرها ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ، بعيدٍ من اللهب، لا نصب فيه ولا صخب. قالت: الله السلام، ومنه السلام، والسلام عليكما ورحمة الله، وبركاته علىٰ رسول الله، ما ذلك البيت الذي من قَصَبٍ؟ قال: **«لؤلؤةٌ جوفاء بين بيت مريم بنت عمران، وبيت آسية بنت مزاحمٍ، وهما من أزواجي يوم**

(١) ضعيف جدًا: رواه الطبراني في «الكبير» (٥٤٨٥) مسلسل بضعفاء وهم عائلة العوفي. له شاهد فيه كذاب وهو الطريق الآتي.
(٢) ضعيف جدًا: رواه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٥٩) وفيه: عبد النور المسمعي كذبوه.
(٣) موضوع: رواه أيضًا الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١١٠٠) وفيه محمد بن الحسن كذبوه والحديث معضل، ابن أبي رواد من تابعي التابعين.
(٤) موضوع: فيه متهم بالكذب وهو محمد بن زكريا الغلابي ومتروك وهو أبو بكر الهذلي.
(٥) منكر: فيه سويد بن سعيد منكر الحديث.

القيامة». وأصل السلام على خديجة من الله، وبشارتها ببيتٍ في الجنَّة، من قصبٍ، لا صخب فيه ولا نصب، في «الصحيح»، ولكنَّ هذا السياق بهذه الزيادات، غريبٌ جدًا.

وكلٌّ هذه الأحاديث، في أسانيدها نظرٌ.

وروى ابن عساكر(١)، من حديث أبي زرعة الدمشقيِّ، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية، عن صفوان بن عمرو، عن خالد بن معدان، عن كعب الأحبار، أن معاوية سأله عن الصخرة؛ يعني صخرة بيت المقدس، فقال: الصخرة على نخلة، والنخلةُ على نهر من أنهار الجنَّة، وتحت النخلة مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، يَنْظِمَانِ سُمُوطَ أهل الجنة، حتى تقوم الساعة. ثم رواه من طريق إسماعيل بن عيَّاش، عن ثعلبة بن مسلم، عن مسعود بن عبد الرحمن، عن خالد ابن معدان، عن عبادة بن الصامت، عن النبيِّ ﷺ، بمثله. وهذا منكرٌ من هذا الوجه، بل هو موضوعٌ.

ثم قد رواه أبو زرعة، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية، عن مسعود بن عبد الرحمن، عن ابن عائذٍ، أنَّ معاوية سأل كعبًا عن صخرة بيت المقدس، فذكره.

قال الحافظ ابن عساكر: وكونه من كلام كعب الأحبار، أشبه.

قلت: وكلام كعب الأحبار هذا، إنما تلقاه من الإسرائيليات، التي منها ما هو مكذوبٌ مفتعلٌ، وضعه بعض زنادقتهم أو جهالهم، وهذا منه. والله أعلم.

ذكر ميلاد العبد الرسول عيسى ابن مريم البتول

قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ

(١) **موضوع:** تهذيب «تاريخ دمشق» (٣٨٥ ترجم النسائي)، وحكم عليه الألباني في «الضعيفة» (١٢٥٢) بالوضع فقال: موضوع.

عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٣٦) فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ [مريم: ١٦-٣٧].

ذكر تعالى هذه القصة بعد قصة زكريا، التي هي كالمقدمة لها والتوطئة قبلها، كما ذكر في سورة «آل عمران»، قرن بينهما في سياق واحد، وكما قال في سورة «الأنبياء»: ﴿وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين (٩٠) والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩١].

وقد تقدم أن مريم، لما جعلتها أمها محررةً، تخدم بيت المقدس، وأنه كفلها زوج أختها أو خالتها، نبيُّ ذلك الزمان، زكريا، عليه السلام، وأنَّه اتخذ لها محرابًا، وهو المكان الشريف من المسجد، لا يدخله أحدٌ عليها سواه، وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة، فلم يكن في ذلك الزمان نظيرها في فنون العبادات، وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا، عليه السلام، وأنها خاطبتها الملائكة بالبشارة لها باصطفاء الله لها، وبأنَّه سيهب لها ولدًا زكيًا، يكون نبيًّا كريمًا طاهرًا مكرَّمًا، مؤيدًا بالمعجزات، فتعجبت من وجود ولد من غير والد؛ لأنها لا زوج لها، ولا هي ممن تتزوج، فأخبرتها الملائكة بأنَّ الله قادرٌ على ما يشاء، إذا قضى أمرًا فإنما يقول له: كن. فيكون؛ فاستكانت لذلك وأنابت، وسلمت لأمر الله، وعلمت أن هذا فيه محنةٌ عظيمةٌ لها، ؛ فإنَّ الناس يتكلمون فيها بسببه، لأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر، وإنما ينظرون إلى ظاهر الحال، من غير تدبر ولا تعقل، وكانت إنما تخرج من المسجد في زمن حيضها، أو لحاجة ضرورية لابد منها؛ من استقاء ماء أو تحصيل غذاء، فبينما هي يومًا قد خرجت لبعض شئونها و ﴿انتبذت﴾ أي؛ انفردت وحدها شرقيَّ المسجد الأقصى، إذ بعث الله إليها الروح الأمين، جبريل، عليه السلام ﴿فتمثل لها بشرا سويا﴾، فلما رأته ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾.

قال أبو العالية:(١) علمت أن التقيَّ ذو نهية. وهذا يرد قول من زعم أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ فاسق مشهورٌ بالفسق، اسمه تقيٌّ، فإنَّ هذا قولٌ باطلٌ بلا دليل، وهو من أسخف الأقوال. ﴿قال إنما أنا رسول ربك﴾ أي؛ خاطبها الملك قائلاً: إنما أنا رسول ربك، أي؛ لست ببشر، ولكني ملكٌ بعثني الله إليك ﴿لأهب لك غلاما زكيا﴾ أي؛ ولدًا زكيا. ﴿قالت أنى يكون لي غلام﴾ أي؛ كيف يكون لي غلامٌ، أو يوجد لي ولدٌ، ﴿ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا﴾ أي؛ ولست ذات زوج، وما أنا ممن يفعل الفاحشة. ﴿قال كذلك قال ربك هو علي هين﴾ أي؛ فأجابها الملك عن تعجبها من وجود ولد منها، والحالة هذه قائلاً: ﴿كذلك قال ربك﴾ أي؛ وعد أنه سيخلق منك غلامًا ولست

(١) رواه ابن أبي حاتم، عزاه إليه ابن كثير في «التفسير».

بذات بعل، ولا تكونين ممن يبغين. ﴿**هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ**﴾ أي؛ وهذا سهل عليه، ويسيرٌ لديه، فإنه على ما يشاء قديرٌ. وقوله: ﴿**وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ**﴾ أي؛ ولنجعل خلقه، والحالة هذه، دليلاً على كمال قدرتنا على أنواع الخلق؛ فإنه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقيَّة الخلق من ذكر وأنثى. وقوله: ﴿**وَرَحْمَةً مِّنَّا**﴾ أي؛ نرحم به العباد، بأن يدعوهم إلى الله في صغره وكبره، في طفولته وكهولته، بأن يُفرِدوا الله بالعبادة وحده لا شريك له، وينزهوه عن اتخاذ الصاحبة والأولاد، والشركاء والنظراء، والأضداد والأنداد. وقوله: ﴿**وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**﴾ يحتمل أن يكون هذا من تمام كلام جبريل معها، يعني أن هذا أمرٌ قد قضاه الله وحتمه وقدره وقرره. وهذا معنى قول محمد بن إسحاق، واختاره ابن جرير[1]، ولم يحك سواه. والله أعلم. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿**وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا**﴾ كناية عن نفخ جبريل فيها، كما قال تعالى: ﴿**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا**﴾ [التحريم: ١٢]. فذكر غير واحد من السلف، أن جبريل نفخ في جيب درعها، فنزلت النفخة إلى فرجها، فحملت من فورها، كما تحمل المرأة عند جماع بعلها. ومن قال أنه نفخ في فمها، أو أن الذي كان يخاطبها هو الروح الذي ولج فيها من فمها، فقوله خلاف ما يفهم من سياقات هذه القصة في محالها من القرآن؛ فإنَّ هذا السياق يدلُّ على أنَّ الذي أُرسل إليها، ملكٌ من الملائكة، وهو جبريل، عليه السلام، وأنه إنما نفخ فيها، ولم يواجه الملك الفرج، بل نفخ في جيبها فنزلت النفخة إلى فرجها، فانسلكتْ فيه، كما قال تعالى: ﴿**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا**﴾ فدل على أن النفخة ولجت فيه، لا في فمها كما روي عن أُبي بن كعب ولا في صدرها كما رواه السُّدِّيُّ[2] بإسناده عن بعض الصحابة ولهذا قال تعالى: ﴿**فَحَمَلَتْهُ**﴾ أي؛ فحملت ولدها، ﴿**فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**﴾ وذلك لأن مريم، عليها السلام، لما حملت ضاقت به ذرعًا، وعلمت أن كثيرًا من الناس سيكون منهم كلامٌ في حقها، فذكر غير واحد من السلف، منهم وهب بن منبِّه[3]، أنها لما ظهرتْ عليها مخايل الحمل، كان أول من فطن لذلك رجلٌ من عباد بني إسرائيل، يقال له: يوسف بن يعقوب النجارُ. وكان ابن خالها، فجعل يتعجب من ذلك عجبًا شديدًا، وذلك لما يعلم من ديانتها، ونزاهتها وعبادتها، وهو مع ذلك يراها حبلى وليس لها زوجٌ، فعرض لها ذات يوم في الكلام، فقال: يا مريم، هل يكون زرعٌ من غير بذر؟ قالت: نعم، فمن خلق الزرع الأول؟! ثم قال: فهل يكون شجرٌ من غير ماءٍ ولا مطر؟! قالت: نعم، فمن خلق الشجر الأول؟! ثم قال: فهل يكون ولدٌ من غير ذكر؟! قالت: نعم، إن الله خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى. قال لها: فأخبريني خبرك. فقالت: إن الله بشرني ﴿**بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ**

---

(١) **ضعيف إليه**: «تفسير» (٩/ الجزء ١٦/ ٦٢) رواه عنه بسند ضعيف فيه ابن حميد وابن إسحاق يرويه عن وهب.

(٢) **حسن الإسناد**: رواه ابن جرير في «التاريخ» (١/ ٣٥٢) وقد سبق الكلام على هذا الإسناد وتصحيح الشيخ أحمد شاكر له.

(٣) **حسن الإسناد**: رواه ابن جرير «تاريخ» (١/ ٣٤٩).

الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦]. ويروى مثل هذا عن زكريا، عليه السلام، أنه سألها فأجابته بمثل هذا. والله أعلم.

وذكر السُّدِّيُّ[١] بإسناده عن الصحابة، أنَّ مريم دخلت يومًا على أختها، فقالت لها أختها: أشعرت أني حبلى؟ فقالت مريم: وشعرت أيضًا أنِّي حبلى؟ فاعتنقتها، وقالت لها أمُّ يحيى: إنِّي أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. وذلك قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]. ومعنى السجود ههنا، الخضوع والتعظيم، كالسجود عند المواجهة للسلام، كما كان في شرع من قبلنا، وكما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم. وقال ابن القاسم: قال مالكٌ: بلغني أن عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا، ابنا خالةٍ، وكان حملهما جميعًا معًا، فبلغني أن أم يحيى قالت لمريم: إني أرى ما في بطني يسجد لما في بطنك. قال مالك: أرى ذلك لتفضيل عيسى، عليه السلام؛ لأن الله تعالى جعله يحيي الموتى ويبرئُ الأكمه والأبرص. رواه ابن أبي حاتم[٢]. وروى عن مجاهد، قال: قالت مريم: كنت إذا خلوت حدثني وكلمني، وإذا كنت بين الناس سبح في بطني. ثم الظاهر، أنها حملت به تسعة أشهر، كما تحمل النساء ويضعن لميقات حملهنَّ ووضعهنَّ، إذ لو كان خلاف ذلك لذكر. وعن ابن عباسٍ وعكرمة، أنها حملت به ثمانية أشهر. وعن ابن عباس[٣]: ما هو إلا أن حملت به فوضعته. قال بعضهم: حملت به تسع ساعاتٍ. واستأنسوا لذلك بقوله: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ۝ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾. والصحيح، أن تعقيب كل شيء بحسبه؛ كقوله: ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ [الحج: ٦٣]، وكقوله: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ومعلومٌ أن بين كل حالين أربعين يومًا، كما ثبت في الحديث المتفق عليه[٤].

قال محمد بن إسحاق: ثم شاع أمرها، واشتهر في بني إسرائيل أنها حاملٌ، فما دخل على أهل بيتٍ ما دخل على آل زكريا. قال: واتهمها بعض الزنادقة بيوسف، الذي كان يتعبد معها في المسجد، وتوارت عنهم مريم، واعتزلتهم وانتبذت مكانًا قصيًا. وقوله: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ أي؛ فألجأها واضطرها الطلق إلى جذع النخلة، وهو - بنصِّ الحديث الذي رواه النسائيُّ بإسنادٍ لا بأس به، عن أنس مرفوعًا، والبيهقيُّ[٥] بإسنادٍ صححه، عن شداد بن أوس مرفوعًا أيضًا - ببيت لحم، الذي بنى عليه بعض ملوك الروم فيما بعد - على ما سنذكره - هذا البناء المشاهد الهائل. ﴿قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ فيه دليلٌ على جواز تمنِّي الموت عند الفتن، وذلك أنها

---

(١) حسن: رواه ابن جرير في «التاريخ» (١/ ٣٥٢).

(٢) صحيح إليه: رواه ابن أبي شيبة «المصنف» (٧/ ٤٦٠) من رواية ابن أبي نجيح عنه وعزاه ابن كثير لابن أبي حاتم.

(٣) متفق عليه: البخاري (٣٢٠٨)، مسلم (٦٦٦٥).

(٤) ضعيف الإسناد: النسائي (١/ ٢٢١) فيه مخلد بن يزيد صدوق له أوهام.

(٥) في سنده ضعف: البيهقي «دلائل» (٢/ ٣٥٥) وفيه إسحاق بن إبراهيم. صدوق يهم كثيراً.

علمت أن الناس يتهمونها ولا يصدقونها، بل يكذبونها حين تأتيهم بغلام على يدها، مع أنها قد كانت عندهم من العابدات الناسكات، المجاورات في المسجد، المنقطعات إليه، المعتكفات فيه، ومن بيت النبوة والديانة، فحملت بسبب ذلك من الهمِّ، ما تمنت أن لو كانت ماتت قبل هذا الحال، أو كانت ﴿نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ أي؛ لم تخلق بالكلية. وقوله: (فَنَادَاها مَنْ تَحْتَها)، وقرئ: ﴿مِن تَحْتِهَا﴾ على الخفض، وفي المضمر قولان؛ أحدهما، أنه جبريل. قاله العوفيُّ عن ابن عباس[١] قال: ولم يتكلم عيسى إلا بحضرة القوم. وهكذا قال سعيد بن جبير[٢]، وعمرو بن ميمون[٣]، والضحاك[٤]، والسديُّ[٥]، وقتادة[٦]. وقال مجاهدٌ[٧]، والحسن[٨]، وابن زيد[٩]، وسعيد ابن جبير[١٠] في رواية: هو ابنها عيسى. واختاره ابن جرير. وقوله: ﴿أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ قيل: النهرُ. وإليه ذهب الجمهور وجاء فيه حديثٌ رواه الطبرانيُّ[١١]، لكنه ضعيف، واختاره ابن جرير وهو الصحيح. وعن الحسن[١٢]، والربيع بن أنس، وابن أسلم، وغيرهم، أنه ابنها. والصحيح الأول؛ لقوله: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾، فذكر الطعام والشراب، ولهذا قال: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾. ثم قيل: كان جذع النخلة يابسا وقيل كانت نخلةً مثمرة فالله أعلم. ويحتمل أنها كانت نخلة، لكنها لم تكن مثمرة إذ ذاك؛ لأن ميلاده كان في زمن الشتاء، وليس ذاك وقت ثمر، وقد يفهم ذلك من قوله تعالى، على سبيل الامتنان: ﴿تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾. قال عمرو بن ميمون[١٣]: ليس شيءٌ خيراً للنفساء من التمر والرطب. ثم تلا هذه الآية.

وقال ابن أبي حاتم[١٤]: حدثنا عليُّ بن الحسين، حدثنا شيبان، حدثنا مسرور بن سعيدٍ التميميُّ، حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعيُّ عن عروة بن رويم، عن علي بن أبي طالب، قال:

---

(١) **ضعيف إليه**: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) فيه العوفي ضعيف.
(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٣٠٩٥) بدون إسناد.
(٣) **صحيح إليه**: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) بسند صحيح عنه.
(٤) **ضعيف إليه**: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) من طريقين عنه من طريق جويبر وهو ضعيف ومن طريق آخر فيه مبهم وهو شيخ الطبري، قال: حدثت عن الحسين.
(٥) **حسن إليه**: ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) سنيد في من رواية أسباط عنه.
(٦) **صحيح إليه**: ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٦٩) بسند صحيح من رواية معمر عنه ومن رواية سعيد عنه.
(٧) **صحيح إليه**: ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) من رواية ابن أبي نجيح عنه.
(٨) **صحيح إليه**: (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) بسند صحيح من رواية قتادة عنه.
(٩) **حسن إليه**: (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) بسند حسن من رواية ابن وهب عنه.
(١٠) **ضعيف إليه**: (٩/ الجزء ١٦/ ٦٨) بسند ضعيف فيه محمد بن المهاجر لين الحديث.
(١١) **ضعيف**: الطبراني في «الكبير» (١٣٣٠٣) فيه يحيى البابلتي ضعيف وأيوب بن نهيك: متروك.
(١٢) **صحيح الإسناد**: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٧٠) بسند صحيح عنه.
(١٣) **صحيح الإسناد**: رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٧٢) بسند صحيح عنه.
(١٤) **منكر**: ابن أبي حاتم (١٣١١٣) وأبو يعلى (٤٥٥) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٣١) فيه مسرور بن سعيد: قال ابن عدي: منكر الحديث منقطع بين عروة بن رويم وعلي رضي الله عنه.

قال رسول الله ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة، فإنها خلقت من الطين الذي خُلق منه آدمُ، وليس شيءٌ من الشجر يلقح غيرها». وقال رسول الله ﷺ: «أطعموا نساءكم الولَّد الرطب، فإن لم يكن رُطبٌ، فتمرٌ، وليس من الشجر شجرةٌ أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران». وكذا رواه أبو يعلى في «مسنده»، عن شيبان بن فروخ، عن مسروق بن سعيد. وفي رواية: مسرور بن سعدٍ. والصحيح: مسرور بن سعيد التميميُّ، أورد له ابن عديٍّ هذا الحديث، عن الأوزاعي به، ثم قال: وهو منكر الحديث، ولم أسمع بذكره إلا في هذا الحديث، وقال ابن حبّان: يروي عن الأوزاعيِّ المناكير الكثيرة التي لا يجوز الاحتجاج بمن يرويها. وقوله: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾. وهذا من تمام كلام الذي ناداها من تحتها. قال: ﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ أي؛ فإن رأيت أحدًا من الناس ﴿فَقُولِي﴾ له، أي؛ بلسان الحال والإشارة: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي؛ صمتًا. وكان من صومهم في شريعتهم، ترك الكلام والطعام. قاله قتادة[1] والسديُّ[2]، وابن أسلم[3]. ويدلُّ على ذلك قوله: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ فأما في شريعتنا، فيكره للصائم صمت يوم إلى الليل. وقوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾، ذكر كثيرٌ من السلف، ممن ينقل عن أهل الكتاب، أنهم لما افتقدوها من بين أظهرهم، ذهبوا في طلبها، فمروا على محلتها والأنوار حولها، فلما واجهوها وجدوا معها ولدها، فقالوا لها: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ أي؛ أمرًا عظيمًا منكرًا. وفي هذا الذي قالوه نظرٌ، مع أنه كلامٌ ينقض أوله آخره؛ وذلك لأن ظاهر سياق القرآن العظيم، يدلُّ على أنها حملت بنفسها، وأتت به قومها وهي تحمله، قال ابن عباس: وذلك بعد ما تعالت من نفاسها بعد أربعين يومًا.

والمقصود أنهم لما رأوها تحمل معها ولدها ﴿قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾، والفرية هي الفعلة المنكرة العظيمة من الفعال والمقال. ثم قالوا لها: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ قيل: شبهوها بعابد من عباد زمانهم، كانت تساميه في العبادة، وكان اسمه هارون. وقيل: شبهوها برجلٍ فاجر في زمانهم، اسمه هارون. قاله سعيد بن جبير[4]. وقيل: أرادوا بهارون أخا موسى، شبهوها به في العبادة. وأخطأ محمد بن كعب القرظيُّ في زعمه أنها أخت موسى وهارون نسبًا؛ فإنَّ بينهما من الدهور الطويلة، ما لا يخفى على أدنى من عنده من العلم ما يرده عن هذا القول الفظيع، وكأنه غره أن في التوراة أن مريم أخت موسى وهارون، ضربت بالدفِّ يوم نجَّى الله موسى وقومه، وأغرق فرعون وملأه، فاعتقد أن هذه هي هذه، وهذا في غاية البطلان والمخالفة للحديث الصحيح مع نص القرآن

---

(١) **رجاله ثقات:** رواه ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٧٤) بسند صحيح من رواية معمر عنه.
(٢) **حسن الإسناد:** ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٧٤) بسند حسن من رواية أسباط عنه.
(٣) **صحيح الإسناد:** (٩/ الجزء ١٦/ ٧٤) بسند صحيح عنه.
(٤) عزاه لابن أبي حاتم (١٣١٢٠).

كما قررناه في «التفسير» مطولاً، ولله الحمد والمنَّة. وقد ورد الحديث الصحيح الدال على أنه قد كان لها أخٌ اسمه هارون، وليس في ذكر قصة ولادتها وتحرير أمها لها، ما يدلُّ على أنها ليس لها أخٌ سواها. والله أعلم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن سماك، عن علقمة بن وائل، عن المغيرة بن شعبة، قال: بعثني رسول الله ﷺ، إلى نجران، فقالوا: أرأيت ما تقرءون: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ**﴾ وموسى قبل عيسى بكذا وكذا. قال: فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالأنبياء والصالحين قبلهم**»(1). وكذا رواه مسلمٌ، والنسائيُّ، والترمذيُّ، من حديث عبد الله بن إدريس، وقال الترمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، لا نعرفه إلا من حديثه. وفي رواية: «**ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء صالحيهم وأنبيائهم**». وذكر قتادة(2) وغيره أنهم كانوا يكثرون من التسمية بهارون، حتى قيل: إنه حضر بعض جنائزهم بشرٌ كثيرٌ منهم، ممن يسمى بهارون، أربعون ألفًا. فالله أعلم.

والمقصود أنهم قالوا: ﴿**يَا أُخْتَ هَارُونَ**﴾. ودل الحديث على أنها قد كان لها أخٌ نسبيٌّ اسمه هارون، وكان مشهوراً بالدين والصلاح والخير؛ ولهذا قالوا: ﴿**مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾ أي؛ لست من بيت هذا شيمتهم ولا سجيتهم؛ لا أخوك ولا أمك ولا أبوك، فاتهموها بالفاحشة العظمى، ورموها بالداهية الدهياء، فذكر ابن جرير في «تاريخه»(3) أنهم اتهموا بها زكريا، وأرادوا قتله، ففرَّ منهم، فلحقوه وقد انشقت له الشجرةُ، فدخلها، وأمسك إبليس بطرف ردائه فنشروه فيها، كما قدمنا. ومن المنافقين من اتهمها بابن خالها يوسف بن يعقوب النجار، فلما ضاق الحال، وانحصر المجال وامتنع المقال، عظم التوكل على ذي الجلال، ولم يبق إلا الإخلاص والاتكال ﴿**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ**﴾ أي؛ خاطبوه وكلموه؛ فإن جوابكم عليه، وما تبغون من الكلام لديه. فعندها قال من كان منهم جباراً شقيًا: ﴿**كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا**﴾ أي؛ كيف تحيليننا في الجواب على صبيٍّ صغير لا يعقل الخطاب، وهو مع ذلك رضيعٌ في مهده، ولا يميز بين محضٍ وزبده، وما هذا منك إلا على سبيل التهكم بنا والاستهزاء، والتنقص لنا والازدراء؛ إذ لا تردين علينا قولاً نطقيًا، بل تحيلين في الجواب على من كان في المهد صبيًّا، فعندها ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**﴾. هذا أول كلام تفوه به عيسى ابن مريم، فكان أول ما تكلم به أن ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**﴾؛ اعترف لربه تعالى بالعبودية، وأن الله ربه، فنزه جناب الله عن قول الظالمين، في زعمهم أنه ابن الله، بل هو

---

(1) **صحيح**: أحمد (٤/ ٢٥٢)، مسلم (٥٥٦٣) النسائي في «الكبرى» (١١٣١٥) الترمذي (٣١٥٥).

(2) **حسن الإسناد**: ابن جرير (٩/ الجزء ١٦/ ٧٧) بسند حسن من رواية سعيد عنه.

(3) **حسن الإسناد**: «التاريخ» (١/ ٣٥٢) من رواية أسباط عن السدي عن جماعة من الصحابة.

عبده ورسوله وابن أمته، ثم برأ أمه مما نسبها إليه الجاهلون، وقذفوها به ورموها بسببه، بقوله: ﴿آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. فإن الله لا يعطي النبوة من هو كما زعموا، لعنهم الله وقبحهم، كما قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦]، وذلك أن طائفةً من اليهود في ذلك الزمان، قالوا: إنها حملت به من زنًا في زمن الحيض، لعنهم الله. فبرأها الله من ذلك، وأخبر عنها أنها صديقةٌ، واتخذ ولدها نبيًا مرسلاً، أحد أولي العزم الخمسة الكبار، ولهذا قال: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ وذلك أنه حيث كان، دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونزَّه جنابه عن النقص والعيب؛ من اتخاذ الصاحبة والولد، تعالى وتقدس. ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ وهذه وظيفة العبيد في القيام بحقِّ العزيز الحميد؛ بالصلاة، والإحسان إلى الخليقة بالزكاة، وهي تشتمل على طهارة النفوس من الأخلاق الرذيلة، وتطهير الأموال الجزيلة، بالعطيَّة للمحاويج، على اختلاف الأصناف، وقِرَىٰ الأضياف، والنفقات على الزوجات، والأرقاء، والقرابات، وسائر وجوه الطاعات، وأنواع القربات، ثم قال: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي؛ وجعلني برًا بوالدتي، وذلك أنه تأكد حقها عليه لتمحُّض جهتها، إذ لا والد له سواها، فسبحان من خَلَقَ الخليقةَ وبرَأها، وأعطى كلَّ نفسٍ هُداها.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ أي: لست بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا يصدر مني قولٌ ولا فعلٌ ينافي أمر الله وطاعته.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾، وهذه المواطن الثلاثة التي تقدم الكلام عليها في قصة يحيى بن زكريا، عليهما السلام، ثم لمَّا ذكر تعالى قصته على الجليَّة، وبين أمره ووضحه وشرحه، قال: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ كما قال تعالى بعد ذكر قصته، وما كان من أمره في آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٨-٦٣].

ولهذا لما قدم وفد نجران، وكانوا ستين راكبًا، يرجع أمرهم إلى أربعة عشر منهم، ويؤول أمر الجميع إلى ثلاثة، هم أشرافهم وساداتهم، وهم؛ العاقب، والسيد، وأبو حارثة بن علقمة، فجعلوا يناظرون في أمر المسيح، فأنزل الله صدر سورة «آل عمران» في ذلك، وبيَّن أمر المسيح، وابتداء خلقه وخلق أمه من قبله، وأمر رسوله بأن يباهلهم إن لم يستجيبوا له ويتبعوه، فلما رأوا عينيها، وأذنيها، نكلوا ونكصوا، وامتنعوا عن المباهلة، وعدلوا إلى

المسالمة والموادعة، وقال قائلهم، وهو العاقب عبد المسيح: يا معشر النصارىٰ، لقد علمتم أن محمدًا لنبيٌّ مرسلٌ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعَنَ قومٌ نبيًا قطُّ، فبقي كبيرهم، ولا نبت صغيرهم، وإنها للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم، والإقامة علىٰ ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعوا الرجل وانصرفوا إلىٰ بلادكم. فطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ، وسألوه أن يضرب عليهم جزية، وأن يبعث معهم رجلاً أمينًا، فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح، وقد بينَّا ذلك في تفسير «آل عمران»، وسيأتي بسط هذه القضية في السيرة النبوية من كتابنا هذا، إن شاء الله تعالىٰ، وبه الثقة.

والمقصود، أن الله تعالىٰ لَمَّا بين أمر المسيح، قال لرسوله: ﴿ **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ** ﴾ يعني من أنه عبدٌ مخلوقٌ من امرأةٍ من عباد الله، ولهذا قال: ﴿ **مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ أي؛ لا يعجزه شيءٌ، ولا يكرثه ولا يؤوده، بل هو القدير الفعال لما يشاء. ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [يس: ٨٢].

وقوله: ﴿ **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا** ﴾. هو من تمام كلام عيسىٰ لهم في المهد، أخبرهم أن الله ربه وربهم وإلهه وإلههم، وأن هذا هو الصراط المستقيم.

قال الله تعالى: ﴿ **فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾ أي؛ فاختلف أهل ذلك الزمان، ومن بعدهم فيه، فمن قائلٍ من اليهود: إنه ولد زنيةٍ. واستمرُّوا علىٰ كفرهم وعنادهم، وقابلهم آخرون في الكفر، فقالوا: هو الله. وقال آخرون: هو ابن الله. وقال المؤمنون: هو عبد الله ورسوله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلىٰ مريم، وروحٌ منه. وهؤلاء هم الناجون المثابون، المؤيدون المنصورون، ومن خالفهم في شيءٍ من هذه القيود، فهم الكافرون الظالمون الضالون الجاهلون، وقد توعدهم العليُّ العظيم الحكيم العليم، بقوله: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴾.

قال البخاري[(١)]: حدثنا صدقةُ بن الفضل، أنبأنا الوليد، حدثنا الأوزاعيُّ، حدثني عمير بن هانئ، حدثني جنادة بن أبي أميَّة، عن عبادة بن الصامت، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**من شهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنَّة حقٌّ، والنار حقٌّ؛ أدخله الله الجنَّة على ما كان من العمل**».

قال الوليد: فحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن عمير، عن جنادة، وزاد: «**من أبواب الجنَّة الثمانية أيِّها شاء**». وقد رواه مسلمٌ عن داود بن رشيدٍ، عن الوليد، عن ابن جابر به، ومن طريقٍ أخرىٰ عن الأوزاعيِّ به.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٤٣٥) مسلم (١٣٩).

باب بيان أن الله تعالى منزه عن الولد

قال تعالى في آخر هذه السورة: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٨-٨٩]. أي؛ شيئًا عظيمًا، ومنكرًا من القول وزورًا. ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم: ٩٠-٩٥]. فبيَّن أنه تعالى لا ينبغي له الولد؛ لأنَّه خالق كل شيء ومالكه، وكلُّ شيء فقيرٌ إليه، خاضعٌ ذليلٌ لديه، وجميع سكان السموات والأرض عبيده، وهو ربهم، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام: ١٠٠-١٠٣]. فبيَّن أنه خالق كل شيء، فكيف يكون له ولدٌ، والولد لا يكون إلا بين شيئين متناسبين! والله تعالى لا نظير له، ولا شبيه له، ولا عديل له، ولا صاحبة له، فلا يكون له ولدٌ، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١-٤]. فتقرر أنه «الأحد» الذي لا نظير له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله ﴿ الصَّمَدُ ﴾ وهو السيِّدُ الذي كمل في علمه وحكمته ورحمته، وجميع صفاته. ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ أي؛ لم يوجد منه ولدٌ. ﴿ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ أي؛ ولم يتولد عن شيء قبله. ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ أي؛ وليس له عدلٌ ولا مكافئٌ ولا مساوٍ، فقطع النظير المداني والأعلى والمساوي؛ فانتفى أن يكون له ولدٌ، إذ لا يكون الولد إلا متولدًا بين شيئين متعادلين أو متقاربين، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وقال تبارك وتعالى وتقدَّس: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً (١٧١) لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٧١-١٧٣]. ينهى تعالى أهل الكتاب ومن شابههم، عن الغلوِّ والإطراء في الدين، وهو مجاوزة الحدِّ؛ فالنصارى - لعنهم الله - غلوا وأطروا في المسيح حتى جاوزوا الحدَّ، فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنَّه عبد الله ورسوله، وابن أمته العذراء البتول، التي أحصنت فرجها، فبعث الله الملك جبريل إليها، فنفخ فيها عن أمر الله نفخةً حملت منها بولدها عيسى، عليه السلام،

والذي اتصل بها من الملك هي الروح المضافة إلى الله إضافة تشريف وتكريم، وهي مخلوقةٌ من مخلوقات الله تعالى، كما يقال: بيت الله، وناقة الله، وعبد الله. وكذا: روح الله، أضيفت إليه تشريفًا لها وتكريمًا، وسمِّيَ عيسى بها؛ لأنَّه كان بها من غير أب، وهي الكلمةُ أيضًا التي عنها خلق، وبسببها وجد، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٦-١١٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]. فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى، عليهم لعائن الله، كلٌّ من الفريقين ادعوا على الله شططًا، وزعموا أنَّ له ولدًا، تعالى الله عمَّا يقولون علوًا كبيرًا، وأخبر أنهم ليس لهم مستندٌ فيما زعموه، ولا فيما ائتفكوه، إلا مجرد القول ومشابهةُ من سبقهم إلى هذه المقالة الضالة، تشابهت قلوبهم، وذلك أنَّ الفلاسفة - عليهم لعنة الله - زعموا أن العقل الأول صدر عن واجب الوجود، الذي يعبرون عنه بعلة العلل، والمبدأ الأول، وأنه صدر عن العقل الأول عقلٌ ثانٍ، ونفسٌ وفلكٌ، ثم صدر عن الثاني كذلك، حتى تناهت العقول إلى عشرة، والنفوس إلى تسعة، والأفلاك إلى تسعة، باعتبارات فاسدة ذكروها، واختيارات باردة أوردوها، ولبسط الكلام معهم، وبيان جهلهم وقلة عقلهم، موضعٌ آخر.

وهكذا طوائف من مشركي العرب؛ زعموا لجهلهم، أنَّ الملائكة بنات الله، وأنه صاهر سَرَوَات الجنِّ، فتولد منهما الملائكة، تعالى الله عمَّا يقولون، وتنزه عما يشركون، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]. وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٩].

وقال تعالى في أول سورة «الكهف»، وهي مكيَّةٌ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١-٥]. وقال تعالىٰ: ﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٦٨) قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ [يونس: ٦٨-٧٠].

فهذه الآيات المكيَّات الكريمات تشمل الردَّ علىٰ سائر فرق الكفرة؛ من الفلاسفة ومشركي العرب واليهود والنصارىٰ، الذين ادعوا وزعموا بلا علمٍ، أن لله ولداً، سبحانه وتعالىٰ عما يقول الظالمون المعتدون علوًّا كبيراً.

ولما كانت النصارىٰ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلىٰ يوم القيامة، من أشهر من قال بهذه المقالة، ذكروا في القرآن كثيراً؛ للردِّ عليهم وبيان تناقضهم، وقلَّة علمهم، وكثرة جهلهم، وقد تنوَّعت أقوالهم في كفرهم؛ وذلك أنَّ الباطل كثير التشعُّب والاختلاف والتناقض، وأمَّا الحقُّ فلا يختلف ولا يضطرب، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]. فدلَّ علىٰ أنَّ الحق يتحد ويتفق، والباطل يختلف ويضطرب. فطائفةٌ من ضلالهم وجهالهم زعموا أنَّ المسيح هو الله - تعالىٰ الله - وطائفةٌ قالوا: هو ابن الله - عزَّ الله - وطائفةٌ قالوا: هو ثالث ثلاثةٍ - جلَّ الله -.

قال الله تعالى في أول سورة «المائدة»: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧]. فأخبر تعالىٰ عن كفرهم وجهلهم، وبيَّن أنَّه الخالق القادر علىٰ كلِّ شيءٍ، المتصرِّفُ في كلِّ شيءٍ، وأنه ربُّ كل شيءٍ ومليكه وإلهه. وقال في أواخرها: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٥]. حكم تعالىٰ بكفرهم شرعًا وقدراً، وأخبر أن هذا صدر منهم، مع أنَّ الرسول إليهم، وهو عيسىٰ ابن مريم، قد بيَّن لهم أنَّه عبدٌ مربوبٌ مخلوقٌ، مصوَّرٌ في الرحم، داعٍ إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، وتوعدهم علىٰ خلاف ذلك بالنَّار، وعدم الفوز بدار القرار، والخزي في الدار الآخرة، والهوان والعار، ولهذا قال: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ ثم قال: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾.

قال ابن جرير، وغيره: المراد بذلك قولهم بالأقانيم الثلاثة؛ أقنوم الأب، وأقنوم الابن، وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن، على اختلافهم في ذلك ما بين الملكيَّة واليعقوبيَّة والنسطوريَّة، عليهم لعائن الله، كما سنبيِّنُ كيفيَّة اختلافهم في ذلك، ومجامعهم الثلاثة في زمن قسطنطين بن قسطس، وذلك بعد المسيح بثلثمائة سنة، وقبل البعثة المحمَّدية بثَلْثمائة سنة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي؛ وما من إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نظير له، ولا كفء له، ولا صاحبة له ولا ولد، ثم توعدهم وتهددهم، فقال: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. ثم دعاهم برحمته ولطفه إلى التوبة والاستغفار، من هذه الأمور الكبار والعظائم التي توجب النار، فقال: ﴿أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ثم بيَّن حال المسيح وأمِّه، وأنه عبدٌ رسولٌ، وأمَّه صديقةٌ؛ أي ليست بفاجرة، كما يقوله اليهود، لعنهم الله. وفيه دليلٌ على أنَّها ليست بنبيَّةٍ، كما زعمه طائفةٌ من علمائنا.

وقوله: ﴿كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ﴾ كنايةٌ عن خروجه منهما، كما يخرج من غيرهما، أي؛ ومن كان بهذه المثابة، كيف يكون إلهًا؟! تعالى الله عن قولهم وجهلهم علوًّا كبيرًا.

وقال السديُّ[1] **وغيره:** المراد بقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾ زعمهم في عيسى وأمِّه أنهما إلهان مع الله؛ يعني كما بيَّن تعالى كفرهم في ذلك، بقوله في آخر هذه السورة الكريمة: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٨]. يخبر تعالى أنَّه يسأل عيسى ابن مريم يوم القيامة، على سبيل الإكرام له، والتقريع والتوبيخ لعابديه، ممن كذب عليه وافترى، وزعم أنَّه ابن الله، أو أنَّه الله، أو أنه شريكه، تعالى الله عمَّا يقولون، فيسأله وهو يعلم أنَّه لم يقع منه ما يسأله عنه، ولكن لتوبيخ من كذب عليه، فيقول له: ﴿أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أي؛ تعاليت أن يكون معك شريكٌ. ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ أي؛ ليس هذا يستحقه أحدٌ سواك. ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾. وهذا تأدُّبٌ عظيمٌ في الخطاب والجواب. ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ حين أرسلتني إليهم، وأنزلت عليَّ الكتاب الذي كان يتلى عليهم، ثم فسَّر ما قال لهم بقوله: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي؛ خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم. ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا

---

(١) حسن إليه: رواه ابن جرير (٤/ الجزء ٦/ ٣١٤) بسند لا بأس به من رواية أسباط عنه.

تَوَفَّيْتَنِي﴾ أي؛ رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي، فرحمتني وخلصتني منهم، وألقيت شبهي على أحدهم، حتى انتقموا منه، فلمَّا كان ذلك. ﴿كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ثم قال على وجه التفويض إلى الربِّ، عزَّ وجل، والتبرِّي من أهل النصرانية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ أي؛ وهم يستحقُّون ذلك. ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وهذا التفويض والإسناد إلى المشيئة بالشرط، لا يقتضي وقوع ذلك، ولهذا قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ولم يقل: الغفور الرحيم.

وقد ذكرنا في «التفسير»، ما رواه الإمام أحمد[1]، عن أبي ذرٍّ، أنَّ رسول الله ﷺ، قام بهذه الآية الكريمة ليلةً حتى أصبح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. وقال: «إني سألت ربي عز وجل الشفاعة لأمتي فأعطانيها، وهي نائلةٌ، إن شاء الله، لمن لا يشرك بالله شيئًا».

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٨) وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦ـ٢٠]. وقال تعالى: ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٤) خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ [الزمر: ٤ـ٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الزخرف: ٨١ـ٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ـ٤].

وثبت في «الصحيح»[2] عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يقول الله تعالى: شتمني ابن آدم، ولم يكن له ذلك؛ يزعم أن لي ولدًا، وأنا الأحد الصمد، الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحدٌ**». وفي «الصحيح»[3] أيضًا عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**لا أحد أصبر على أذًى سمعه من الله؛ إنهم يجعلون له ولدًا، وهو يرزقهم ويعافيهم**». ولكن ثبت في «الصحيح»[4] أيضًا، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته**»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]. وهكذا قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ

---

(١) **ضعيف**: رواه النسائي (٢/ ١٧٧)، رواه أحمد «المسند» (٥/ ١٥٦) فيه جسرة بنت دجاجة قال البخاري: عندها عجائب، وحسنه الشيخ ناصر الألباني رحمه الله في «سنن الترمذي».

(٢) **صحيح**: البخاري (٣١٩٣).

(٣) **متفق عليه**: البخاري (٦٠٩٩) مسلم (٧٠١١).

(٤) **متفق عليه**: البخاري (٤٦٨٦) مسلم (٦٥٢٤).

ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨]. وقال تعالىٰ: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ (٦٩) مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩-٧٠]. وقال تعالىٰ: ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ [الطارق: ١٧].

ذكر منشأ عيسى ابن مريم، عليهما السلام، وبيان بدء الوحي إليه من الله تعالى

قد تقدم أنه ولد ببيت لحم، قريبًا من بيت المقدس، وزعم وهب بن منبِّه أنه ولد بمصر، وأن مريم سافرت هي ويوسف بن يعقوب النجار، وهي راكبةٌ على حمارٍ. ليس بينها وبين الإكاف شيءٌ. وهذا لا يصحُّ، والحديث الذي تقدَّم ذكره دليلٌ على أن مولده كان ببيت لحم، كما ذكرنا ، ومهما عارضه فباطلٌ.

وذكر وهب بن منبِّه[1] ، أنه لما ولد خرَّت الأصنام يومئذٍ في مشارق الأرض ومغاربها، وأنَّ الشياطين حارت في سبب ذلك، حتىٰ كشف لهم إبليس الكبير أمر عيسىٰ، فوجده في حجر أمه، والملائكة محدقةٌ به، وأنه ظهر نجمٌ عظيمٌ في السماء، وأن ملك الفرس أشفق من ظهوره، فسأل الكهنة عن ذلك فقالوا: هذا المولد عظيمٍ في الأرض: فبعث رسله ومعهم ذهبٌ ومرٌّ ولبانٌ، هديةً إلىٰ عيسىٰ، فلمَّا قدموا الشام سألهم ملكها عما أقدمهم، فذكروا له ذلك، فسأل عن ذلك الوقت، فإذا قد ولد فيه عيسىٰ ابن مريم ببيت المقدس، واشتهر أمره بسبب كلامه في المهد، فأرسلهم إليه بما معهم، وأرسل معهم من يعرفه له؛ ليتوصل إلىٰ قتله إذا انصرفوا عنه، فلمَّا وصلوا إلىٰ مريم بالهدايا ورجعوا، قيل لها: إن رسل ملك الشام إنما جاءوا ليقتلوا ولدك. فاحتملته، فذهبت به إلىٰ مصر، فأقامت بها حتىٰ بلغ عمره ثنتي عشرة سنةً، وظهرت عليه كراماتٌ ومعجزاتٌ في حال صغره.

فذكر منها: أن الدهقان الذي نزلوا عنده افْتَقَدَ مالاً من داره، وكانت داره لا يسكنها إلا الفقراء والضعفاء والمحاويج، فلم يدر من أخذه، وعز ذلك علىٰ مريم، عليها السلام، وشقَّ علىٰ الناس وعلىٰ ربِّ المنزل، وأعياهم أمرها، فلمَّا رأىٰ عيسىٰ، عليه السلام، ذلك، عمد إلىٰ رجلٍ أعمىٰ، وآخر مقعدٍ من جملة من هو منقطعٌ إليه، فقال للأعمىٰ: احمل هذا المقعد وانهض به. فقال: إني لا أستطيع ذلك. فقال: بلىٰ، كما فعلت أنت وهو حين أخذتما هذا المال من تلك الكوَّة من الدّار. فلمّا قال ذلك، صدَّقاه فيما قال، وأتيا بالمال، فعظم عيسىٰ في أعين النّاس وهو صغيرٌ جدًا.

ومن ذلك: أن ابن الدهقان عمل ضيافةً للناس؛ بسبب طهور أولاده، فلمَّا اجتمع الناس وأطعمهم، ثُمَّ أراد أن يسقيهم شرابًا، يعني خمرًا، كما كانوا يصنعون في ذلك الزمان، لم يجد في

(١) حسن الإسناد: رواه ابن جرير تاريخ (١/ ٣٥٠) بسند حسن.

جراره شيئًا، فشقَّ ذلك عليه، فلمّا رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمرُّ على تلك الجرار ويمرُّ يده على أفواهها، فلا يفعل بجرةٍ منها ذلك إلا امتلأت شرابًا من خيار الشراب، فتعجب الناس من ذلك جدًّا، وعظموه وعرضوا عليه وعلى أُمِّه مالاً عظيمًا جزيلاً، فلم يقبلاه، وارتحلا قاصدين بلاد بيت المقدس. والله أعلم.

وقال إسحاق بن بشر[1] : أنبأنا عثمان بن الساج وغيره، عن موسى بن وردان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيدٍ، وعن مكحول، عن أبي هريرة قال: إنَّ عيسى ابن مريم أول ما أطلق الله لسانه، بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفلٌ، فمجد الله تمجيدًا لم تسمع الآذان بمثله، لم يدع شمسًا ولا قمرًا ولا جبلاً ولا نهرًا ولا عينًا إلا ذكره في تمجيده، فقال: اللهمّ أنت القريب في علوِّك، المتعالي في دنوك، الرفيع على كلِّ شيءٍ من خلقك، أنت الذي خلقت سبعًا في الهواء بكلماتك، مستويات طباقًا، أَجَبْنَ وهنَّ دخانٌ من فَرَقِك، فأتين طائعات لأمرك، فيهنَّ ملائكتك يسبِّحون قُدْسَكَ لتقديسك، وجعلت فيهنَّ نورًا على سواد الظلام، وضياءً من ضوء الشمس بالنهار، وجعلت فيهنَّ الرعد المسبِّح بالحمد، فبعزَّتك تجلو ضوء ظلمتك، وجعلت فيهنَّ مصابيح يهتدي بهنَّ في الظلمات الحيرانُ، فتباركت اللهمَّ في مفطور سماواتك، وفيما دحوت من أرضك، دحوتها على الماء، فسمكتها على تيار الموج المتغامر فأذللتها إذلال الماء المتظاهر، فذلَّ لطاعتك صعبها، واستحيا لأمرك أمرُها، وخضعت لعزتك أمواجها، ففجرتَ فيها بعد البحور الأنهارَ، ومن بعد الأنهارِ الجداول الصغار، ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار، ثم أخرجت منها الأنهار والأشجار والثمار، ثم جعلتَ على ظهرها الجبال فوتدتها أوتادًا على ظهر الماء، فأطاعت أطوادها وجُلْمودها، فتباركت اللهم، فمَن يبلغ بنعته نعتَك؟ أمن يبلغ بصفته صفتك؟ تنشر السحاب، وتفكُّ الرقاب، وتقضي الحقَّ، وأنت خير الفاصلين، لا إله إلا أنت سبحانك، أمرت أن نستغفرك من كل ذنبٍ، لا إله إلا أنت سبحانك، سترت السموات عن الناس، لا إله إلا أنت سبحانك، إنما يخشاك من عبادك الأكياس، نشهد أنك لست بإلهٍ استحدثناك، ولا ربٌّ يبيد ذكْرُه، ولا كان معك شركاء يقضون معك فندعوهم ونذرَك، ولا أعانك على خلقنا أحدٌ فنشكَّ فيك، نشهد أنك أحدٌ صمدٌ، لم تلد ولم تولد، ولم يكن لك كفوًا أحدٌ.

وقال إسحاق بن بشر[2] ، **عن جويبر ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس**: إنَّ عيسى ابن مريم أمسك عن الكلام بعد إذ كلمهم طفلاً، حتى بلغ ما يبلغ الغلمان، ثمَّ أنطقه الله بعد ذلك بالحكمة والبيان، فأكثر اليهود فيه وفي أمه من القول، كانوا يسمُّونه ابن البغيَّة، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٦]. قال: فلمَّا بلغ سبع سنين أسلمته أمُّه في الكتاب، فجعل لا يعلمه المعلم شيئًا إلا بدره إليه، فعلَّمه أبا جادٍ، فقال عيسى: ما أبو جادٍ؟ فقال

---

(١) موضوع: هذا السند فيه متهم وهو إسحاق بن بشر.
(٢) سنده موضوع: فيه إسحاق بن بشر متهم. والانقطاع بين الضحاك وابن عباس.

المعلِّمُ: لا أدري. فقال عيسى: كيف تعلمني ما لا تدري؟ فقال المعلم: إذًا فعلمني. فقال له عيسى: فقم من مجلسك. فقام فجلس عيسى مجلسه، فقال: سلني. فقال المعلم: فما أبو جاد؟ فقال عيسى: الألف آلاء الله، الباء بهاء الله، الجيم بهجةُ الله وجماله. فعجب المعلم من ذلك، فكان أول من فسَّر أبا جادٍ.

ثم ذكر أن عثمان سأل رسول الله ﷺ، عن ذلك، فأجابه على كلِّ كلمةٍ كلمه بحديثٍ طويلٍ موضوع، لا يشكُّ فيه ولا يتمارى.

وهكذا روى ابن عديٍّ[1] من حديث إسماعيل بن عياشٍ، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مليكة، عمَّن حدَّثه عن ابن مسعود، وعن مسعر بن كدام عن عطيَّة، عن أبي سعيدٍ، رفع الحديث في دخول عيسى إلى الكتَّاب وتعليمه المعلم معنى حروف أبي جادٍ، وهو مطوَّلٌ لا يفرح به. ثم قال ابن عديٍّ: وهذا الحديث باطلٌ بهذا الإسناد، لا يرويه غير إسماعيل.

وروى ابن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة، قال: كان عبد الله بن عمرو يقول: كان عيسى ابن مريم وهو غلامٌ يلعب مع الصبيان، فكان يقول لأحدهم: تريد أن أخبرك ما خبَّأت لك أمك؟ فيقول: نعم. فيقول: خبَّأت لك كذا وكذا. فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها: أطعميني ما خبَّأت لي. فتقول: وأيُّ شيءٍ خبّأتُ لك؟ فيقول: كذا وكذا. فتقول له: من أخبرك؟ فيقول: عيسى ابن مريم. فقالوا: والله لئن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنَّهم. فجمعوهم في بيتٍ وأغلقوا عليهم، فخرج عيسى يلتمسهم، فلم يجدهم، فسمع ضوضاءهم في بيتٍ، فسأل عنهم، فقالوا: إنما هؤلاء قردةٌ وخنازيرُ. فقال: اللهمَّ كذلك. فكانوا كذلك. رواه ابنُ عساكر[2].

وقال إسحاق بن بشر، عن جويبر ومقاتل، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: وكان عيسى يرى العجائب في صِبَاه إلهامًا من الله، ففشا ذلك في اليهود، وترعرع عيسى، فهمَّتْ به بنو إسرائيل، فخافت أمُّه عليه، فأوحى الله إلى أمِّه أن تنطلق به إلى أرض مصر؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ** ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

وقد اختلف السلف والمفسِّرون في المراد بهذه الربوة التي ذكر الله من صفتها أنها ذات قرارٍ ومعين، وهذه صفةٌ غريبة الشكل؛ وهي أنَّها ربوةٌ، وهو المكان المرتفع من الأرض، الذي أعلاه مستوٍ يقرُّ عليه، فمع ارتفاعه، متسعٌ، ومع علوه، فيه عينٌ من الماء معينٌ؛ وهو الجاري السارحُ على وجه الأرض، فقيل: المراد المكان الذي ولدت فيه المسيح، وهو محلةُ بيت المقدس، ولهذا ﴿ **فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا** ﴾. وهو النهر الصغير، في قول جمهور السلف.

وعن ابن عباس بإسنادٍ جيِّدٍ أنها أنهار دمشق. فلعله أراد تشبيه ذلك المكان بأنهار دمشق. وقيل:

---

(١) موضوع: ابن عدي في «الكامل» (١/٣٠٣) في ترجمة إسماعيل بن يحيى التيمي وهو وضاع.

(٢) قصة عيسى عليه السلام في الجزء الغير مطبوع من «تاريخ دمشق» وفيه هذه الآثار التي رواها ابن عساكر وإسحاق بن بشر متهم بالكذب.

ذلك بمصر. كما زعمه من زعمه من أهل الكتاب ومن تلقاه عنهم. والله أعلم. وقيل: هي الرملة.

وقال إسحاق بن بشر: قال لنا إدريس، عن جده وهب بن منبه[1]، قال: إن عيسى لما بلغ ثلاث عشرة سنة، أمره الله أن يرجع من بلاد مصر إلى بيت إيليا. قال: فقدم عليه يوسف ابن خال أمه، فحملهما على حمار، حتى جاء بهما إلى إيليا، وأقام بها حتى أحدث الله له الإنجيل، وعلمه التوراة، وأعطاه إحياء الموتى، وإبراء الأسقام، والعلم بالغيوب مما يدخرون في بيوتهم، وتحدث الناس بقدومه، وفزعوا لما كان يأتي من العجائب، فجعلوا يعجبون منه، فدعاهم إلى الله ففشا فيهم أمره.

بيان نزول الكتب الأربعة ومواقيتها

قال أبو زرعة الدمشقي[2]: حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عمن حدثه قال: أنزلت التوراة على موسى في ست ليال خلون من شهر رمضان، ونزل الزبور على داود في اثنتي عشرة خلت من شهر رمضان، وذلك بعد التوراة بأربعمائة سنة واثنتين وثمانين سنة، وأنزل الإنجيل على عيسى ابن مريم في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، بعد الزبور بألف عام وخمسين عامًا وأنزل الفرقان على محمد ﷺ، في أربع وعشرين من شهر رمضان.

وقد ذكرنا في «التفسير» عند قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ الأحاديث الواردة في ذلك، وفيها أن الإنجيل أنزل على عيسى ابن مريم، عليه السلام، في ثماني عشرة ليلة خلت من شهر رمضان.

وذكر ابن جرير في «تاريخه» أنه أنزل عليه وهو ابن ثلاثين سنة، ومكث حتى رفع إلى السماء، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. كما سيأتي بيانه، إن شاء الله تعالى.

وقال إسحاق بن بشر: وأنبأنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، ومقاتل عن قتادة، عن عبدالرحمن بن آدم، عن أبي هريرة قال: أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم: يا عيسى، جد في أمري ولا تهن، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول، إنك من غير فحل، وأنا خلقتك آية للعالمين، إياي فاعبد، وعلي فتوكل، خذ الكتاب بقوة، فسر لأهل السريانية، بلغ من بين يديك أني أنا الحي القائم الذي لا أزول، صدقوا النبي الأمي العربي، صاحب الجمل والتاج - وهي العمامة - والمدرعة والنعلين والهراوة - وهي القضيب - الأنجل العينين، الصلت الجبين، الواضح الخدين، الجعد الرأس، الكث اللحية، المقرون الحاجبين، الأقنى الأنف، المفلج الثنايا، البادي العنفقة، الذي كأن عنقه إبريق فضة، وكأن الذهب يجري في تراقيه، له شعرات من لبته إلى سرته تجري كالقضيب، ليس على بطنه ولا على صدره شعر غيره، شثن الكف والقدم، إذا التفت، التفت جميعًا، وإذا

---

(١) **حسن الإسناد:** روى ابن جرير نحوه عن وهب في «التاريخ» (١/ ٣٥٢) بسند حسن.

(٢) **ضعيف:** هذا الإسناد فيه عبد الله بن صالح كاتب الليث ضعيف وجهالة القائل. وروى نحوه ابن أبي حاتم (١٦٤٩) عن أبيه عن عبدالله بن رجاء عن عمران القطان عن قتادة عن أبي المليح عن واثلة مرفوعًا. وعلته عمران له أوهام. ورواه أحمد أيضًا (٤/ ١٠٧).

مشي كأنما يتقلع من صخر وينحدر من صبب، عرقه في وجهه كاللؤلؤ، وريح المسك ينفح منه، لم ير قبله ولا بعده مثله، الحسن القامة، الطيب الريح، نكَّاحَ النساء، ذا النَّسْلِ القليل، إنما نسله من مباركةٍ لها بيتٌ - يعني في الجنة - من قَصَبٍ، لا نصب فيه ولا صخب، تُكَفِّلُهُ - يا عيسى - في آخر الزمان كما كفَّل زكريا أمَّك، له منها فرخان مستشهدان، وله عندي منزلةٌ ليست لأحدٍ من البشر، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، وأنا السلام، طوبى لمن أدرك زمانه، وشهد أيامه، وسمع كلامه.

بيان شجرة طوبى ما هي

قال عيسى: يا ربِّ، وما طوبى؟ قال: غرس شجرةٍ أنا غرستها بيديَّ فهي للجنان كلِّها، أصلها من رضوان، وماؤها من تسنيم، وبردها برد الكافور، وطعمها طعم الزنجبيل، وريحها ريح المسك، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا. قال عيسى: يا ربِّ، اسقني منها. قال: حرامٌ على النبيين أن يشربوا منها، حتى يشرب ذلك النبيُّ، وحرامٌ على الأمم أن يشربوا منها، حتى تشرب منها أمةُ ذلك النبيِّ: قال: يا عيسى، أرفعك إليَّ. قال: يا ربِّ، ولم ترفعني؟ قال: أرفعك ثم أهبطك في آخر الزمان؛ لترى من أمة ذلك النبيِّ العجائب، ولتعينهم على قتال اللعين الدجال. أهبطك في وقت صلاة، ثم لا تصلي بهم؛ لأنها أمةٌ مرحومةٌ، ولا نبيَّ بعد نبيِّهم.

وقال هشام بن عمار[1] **، عن الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن زيد، عن أبيه، أن عيسى قـال:** يا ربِّ أنبئني عن هذه الأمة المرحومة. قال: أمةُ أحمد، هم علماء حكماءُ، كأنَّهم أنبياءُ، يرضون منِّي بالقليل من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العمل، وأدخلهم الجنَّة بـ «لا إله إلا الله» يا عيسى، هم أكثر سُكان الجنَّة؛ لأنه لم تذلَّ ألسنُ قوم قطُّ بـ «لا إله إلا الله» كما ذلتْ ألسنتهم، ولم تذلَّ رقاب قومٍ قطُّ بالسُّجود كما ذلت به رقابُهم. رواه ابن عساكر.

ورُوِيَ من طريق عبد بن بديلٍ العقيليِّ، عن عبد الله بن عوسجة، قال: أوحى الله إلى عيسى ابن مريم: أنزلني من نفسك كهمِّك، واجعلني ذخرًا لك في معادك، وتقرب إليَّ بالنوافل أحبَّك، ولا تولَّ غيري فأخذلك، اصبر على البلاء، وارض بالقضاء، وكن لمسرَّتي فيك، فإنَّ مسرَّتي أن أطاع فلا أعصى، وكن منِّي قريبًا، وأحْيِ ذكري بلسانك، ولتكنْ مودَّتي في صدرك تيقظ من ساعات الغفلة، واحكمْ لي لطيف الفطنة، وكن لي راغبًا راهبًا، وأمتْ قلبك من الخشية لي، وراع الليلَ لحقِّ مسرَّتي، وأظْمِ نهارك ليوم الرَّيِّ عندي، نافسْ في الخيرات جهدك، وأعرف بالخير حيث توجهت، وقم في الخلائق بنصيحتي، واحكم في عبادي بعدلي، فقد أنزلت عليك شفاء وساوس الصدور من مرض النسيان، وجلاء الأبصار من غشاء الكلال، ولا تكن حَلِسًا كأنك مقبوضٌ وأنت حيٌّ تنفس، يا عيسى ابن مريم، ما آمنَتْ بي خليقةٌ إلا خشعت، ولا خشعتْ لي إلا رجت ثوابي، فأشهدك أنها

---

(١) ضعيف الإسناد: فيه عنعنة الوليد بن مسلم وعبد الرحمن بن زيد ضعيف.

آمنةٌ من عقابي، ما لم تغيرْ أو تبدلْ سنَّتي، يا عيسى ابن مريم - البكر البتول - ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل، وقلا الدنيا، وترك اللذات لأهلها، وارتفعت رغبته فيما عند إلٰهه، وكن في ذلك تُلَيِّنُ الكلام، وتفشي السلام، وكن يقظان إذا نامت عيون الأبرار، حذار ما هو آتٍ من أمر المعاد، وزلازل شدائد الأهوال، قبل أن لا ينفع أهلٌ ولا مالٌ، واكْحَل عينك بمُلْمُول الحزن إذا ضحك البطالون، وكن في ذلك صابرًا محتسبًا، فطوبى لك إن نالك ما وعدت الصابرين، رجٍّ من الدنيا بالله يومٌ بيوم، وذق مذاقةَ ما قد هَرَبَ منك أين طَعْمُهُ، وما لم يأتك كيف لذته، فرجٍّ من الدنيا بالبلغة، وليكفك منها الخشنُ الجشيبُ، قد رأيت إلى ما تصير، اعمل على حساب فإنَّك مسئولٌ، لو رأتْ عينك ما أعددت لأوليائي الصالحين، ذاب قلبك، وزهقت نفسك.

وقال أبو داود[١] **في كتاب «القدر»**: حدثنا محمد بن يحيى بن فارس، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمرٌ، عن الزهريِّ، وعن ابن طاوسٍ، عن أبيه، قال: لقيَ عيسى ابن مريم إبليس، فقال: أما علمت أنه لن يصيبك إلا ما كتب لك؟ قال: إبليس: فارق بذروة هذا الجبل، فتَرَدَّ منه، فانظر تعيش أم لا؟ فقال ابن طاوسٍ، عن أبيه: فقال عيسى: أما علمت أن الله قال: لا يجرِّبني عبدي، فإنِّي أفعل ما شئتُ. وقال الزهريُّ: إن العبد لا يبتلي ربَّهُ، ولكنَّ الله يبتلي عبده.

قال أبو داود[٢]: حدثنا أحمد بن عبدة، أنبأنا سفيان، عن عمرو، عن طاوسٍ قال: أتى الشيطانُ عيسى ابن مريم، فقال: أليس تزعم أنَّك صادقٌ؟ فأت هذه فألق نفسك. قال: ويلك! أليس قال: يا آدمي، لا تسألني هلاك نفسك، فإني أفعل ما أشاء.

وحدثنا أبو توبة الربيع بن نافع[٣]، حدثنا حسين بن طلحة، سمعت خالد بن يزيد، قال: تعبد الشيطان مع عيسى عشر سنين أو سنتين، أقام يومًا على شفير جبلٍ، فقال الشيطان: أرأيت إن ألقيت نفسي، هل يصيبُني إلا ما كتب لي؟ قال: إنِّي لستُ بالذي أبتلي ربِّي ولكنَّ ربِّي إذا شاء ابتلاني. وعرف أنه الشيطان، ففارقه.

وقال أبو بكر ابن أبي الدُّنيا[٤]: حدثنا سُرَيج بن يونس، حدثنا عليُّ بن ثابتٍ، عن الخطَّاب بن القاسم، عن أبي عثمان، قال: كان عيسى، عليه السلام، يصلي على رأس جبلٍ، فأتاه إبليسُ، فقال: أنت الذي تزعم أن كل شيءٍ بقضاءٍ وقدرٍ؟ قال: نعم. قال: ألق نفسك من هذا الجبل وقل: قدرٌ عليَّ. فقال: يا لعين، الله يختبر العباد، وليس العباد يختبرون الله، عزَّ وجلَّ.

وقال أيضًا:[٥] حدثنا الفضل بن موسى البصريُّ، حدثنا إبراهيم بن بشارٍ، سمعت سفيان

---

(١) **صحيح**: الإسناد إلى طاوس رواه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٢) من طريق إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق.

(٢) **إسناده صحيح**: ورواه أيضًا ابن أبي الدنيا «مكائد الشيطان» (٥٥).

(٣) **في إسناده مجهول**: وهو حسين بن طلحة.

(٤) **صحيح الإسناد**: مكائد الشيطان (٥٦) وسنده صحيح إلى أبي عثمان وهو النهدي.

(٥) **حسن الإسناد**: مكائد الشيطان (٥٤) وسنده حسن.

ابن عيينة يقول: لقي عيسىٰ ابن مريم إبليسُ، فقال له إبليس: يا عيسىٰ ابن مريم، أنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنك تكلمت في المهد صبيًا، ولم يتكلم فيه أحدٌ قبلك. قال: بل الربوبيَّة للإله الذي أنطقني، ثم يميتني، ثم يحييني. فقال: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيَّتك أنَّك تحيي الموتىٰ. قال: بل الربوبيَّةُ لله الذي يحيي ويميت من أحييت ثمَّ يحييه. قال: والله إنَّك لإلهٌ في السماء وإلهٌ في الأرض. قال: فصكَّه جبريل صكَّةً بجناحه، فما تناهى دون قرون الشمس، ثم صكَّه أخرىٰ بجناحه، فما تناهى دون العين الحامية، ثم صكه أخرىٰ، فأدخله بحار السابعة، فأساخه - وفي رواية: فأسلكه - فيها حتىٰ وجد طعم الحمأة، فخرج منها وهو يقول: ما لقي أحدٌ من أحدٍ ما لقيت منك يا ابن مريم.

وقد روي نحو هذا بأبسط منه من وجه آخر؛ فقال الحافظ أبو بكر الخطيب:[(١)] أخبرني أبو الحسن بن رزقويه، أنبأنا أبو بكر أحمد بن سِّنديٍّ، حدثنا أبو محمد الحَسن بن عليٍّ القطَّانُ، حدثنا إسماعيل بن عيسىٰ العطَّارُ، أنبأنا عليُّ بن عاصمٍ، حدثني أبو سلمة سويدٌ عن بعض أصحابه، قال: صلىٰ عيسىٰ ببيت المقدس فانصرف، فلما كان ببعض العقبة، عرض له إبليس فاحتبسه، فجعل يعرض عليه ويكلمه ويقول له: إنه لا ينبغي لك أن تكون عبدًا. فأكثر عليه، وجعل عيسىٰ يحرص علىٰ أن يتخلص منه، فجعل لا يتخلص منه، فقال له فيما يقول: لا ينبغي لك يا عيسىٰ أن تكون عبدًا. قال: فاستغاث عيسىٰ ربَّه، فأقبل جبريل وميكائيل، فلمّا رآهما إبليس، كفَّ، فلمَّا استقرَّا معه علىٰ العقبة، اكتنفا عيسىٰ، وضرب جبريل إبليس بجناحه، فقذفه في بطن الوادي. قال: فعاد إبليس معه، وعلم أنهما لم يؤمرا بغير ذلك، فقال لعيسىٰ: قد أخبرتك أنه لا ينبغي أن تكون عبدًا، إنَّ غضبك ليس بغضب عبدٍ، وقد رأيت ما لقيت منك حين غضبت، ولكن أدعوك إلىٰ أمر هو لك؛ آمُرُ الشياطين فليطيعوك، فإذا رأىٰ البشر أن الشياطين قد أطاعوك، عبدوك، أما إني لا أقول أن تكون إلهًا ليس معه إلهٌ، ولكنَّ الله يكون إلهًا في السماء وتكون أنت إلهًا في الأرض. فلمّا سمع عيسىٰ ذلك منه، استغاث بربِّه، وصرخ صرخةً شديدةً، فإذا إسرافيل قد هبط، فنظر إليه جبريل وميكائيل، فكفَّ إبليس، فلمَّا استقرَّ معهم، ضرب إسرافيلُ إبليسَ بجناحه، فصكَّ به عين الشمس، ثم ضربه ضربةً أخرىٰ، فأقبل إبليس يهوي، ومرَّ بعيسىٰ وهو بمكانه، فقال: يا عيسىٰ، لقد لقيت فيك اليوم تعبًا شديدًا. فرمىٰ به في عين الشمس، فوجد سبعة أملاك عند العين الحامية. قال: فغطُّوه، فجعل كلما خرج غطُّوه في تلك الحمأة. قال: والله ما عاد إليه بعد.

قال: وحدثنا إسماعيل العطار، حدثنا أبو حذيفة، قال: واجتمع إليه شياطينه، فقالوا: سيِّدنا، قد لقيت تعبًا. قال: إنَّ هذا عبدٌ معصومٌ، ليس لي عليه من سبيلٍ، وسأضلُّ به بشرًا كثيرًا، وأبثُّ فيهم أهواءً مختلفةً، وأجعلهم شيعًا، ويجعلونه وأمه إلهين من دون الله. قال: وأنزل الله فيما أيَّد به

---

(١) **ضعيف جدًّا**: لم أقف عليه في «تاريخ بغداد»، فيه علي بن عاصم متهم وكذلك سويد ضعيف.

عيسى وعصمه من إبليس قرآنًا ناطقًا بذكر نعمته على عيسى، فقال: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾. يعني: إذ قويتك بروح القدس، يعني جبريل ﴿ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ ﴾، يعني، الإنجيل والتوراة والحكمة، ﴿ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ ﴾ [المائدة: ١١٠]. وإذ جعلت المساكين لك بطانةً وصحابةً وأعوانًا ترضى بهم، وصحابةً وأعوانًا يرضون بك هاديًا وقائدًا إلى الجنَّة، فذلك، فاعلم، خلقان عظيمان، من لقيني بهما، فقد لقيني بأزكى الخلائق وأرضاها عندي، وسيقول لك بنو إسرائيل: صمنا فلم يَتَقبَّل صيامَنا، وصلينا فلم يَقْبَل صلاتَنا، وتصدقنا فلم يَقبل صدقتنا، وبكينا بمثل حنين الجمال فلم يرحم بكاءنا. فقل لهم: ولم ذلك؟ وما الذي يمنعني؟ أن ذات يدي قلت؟! أولَيس خزائن السموات والأرض بيدي أنفق منها كيف أشاء، أو أن البخل يعتريني؟ أولَست أجود من سئل، وأوسع من أعطى، أو أن رحمتي ضاقت؟ وإنما يتراحم المتراحمون بفضل رحمتي، ولولا أن هؤلاء القوم، يا عيسى ابن مريم، عدُّوا أنفسهم بالحكمة التي تورث في قلوبهم ما استأثروا به الدنيا أثرةً على الآخرة، لعرفوا من أين أُتوا، وإذًا لأيقنوا أن أنفسهم هي أعدى الأعداء لهم، وكيف أقبل صيامهم وهم يتقوون عليه بالأطعمة الحرام؟! وكيف أقبل صلاتهم وقلوبهم تركن إلى الذين يحاربوني ويستحلُّون محارمي؟! وكيف أقبل صدقاتهم وهم يغصبون الناسَ عليها فيأخذونها من غير حلِّها؟! يا عيسى، إنما أجزي عليها أهلها، وكيف أرحم بكاءهم وأيديهم تقطر من دماء الأنبياء، ازددت عليهم غضبًا، يا عيسى، وقضيت يوم خلقت السموات والأرض، أنَّه من عبدني وقال فيكما بقولي، أن أجعلهم جيرانك في الدار، ورفقاءك في المنازل، وشركاءك في الكرامة، وقضيت يوم خلقت السموات والأرض، أنه من اتخذك وأمك إلهين من دون الله أن أجعلهم في الدرك الأسفل من النار، وقضيت يوم خلقت السموات والأرض، أنِّي مثبتٌ هذا الأمر على يدي عبدي محمدٍ، وأختم به الأنبياء والرسل، ومولده بمكة، ومُهَاجَرُهُ بطَيْبَةَ، ومُلْكُهُ بالشام، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا سخابٍ في الأسواق، ولا متزيِّنٍ بالفحش، ولا قوَّال بالخنا، أسدده لكلِّ أمرٍ جميلٍ، وأهب له كل خلقٍ كريم، أجعل التقوى ضميره، والحكمة معقوله، والوفاء طبيعته، والعدل سيرته، والحقَّ شريعته، والإسلام ملَّته، واسمه أحمد، أهدي به بعد الضلالة، وأعلِّم به بعد الجهالة، وأغني به بعد العائلة، وأرفع به بعد الضِّعة، أهدي به، وأفتح به بين آذان صمٍّ وقلوب وأهواءٍ مختلفةٍ متفرِّقةٍ، أجعل أمَّته خير أمةٍ أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؛ إخلاصًا لاسْمي، وتصديقًا لما جاءت به الرسل، ألهمهم التسبيح والتهليل والتقديس في مساجدهم ومجالسهم، وبيوتهم ومنقلبهم ومثواهم، يصلون لي قيامًا وقعودًا، وركعًا وسجدًا، ويقاتلون في سبيلي صفوفًا وزحوفًا، قربانهم دماؤهم، وأناجيلهم في صدورهم، وقربانهم في بطونهم، رهبانٌ بالليل، ليوثٌ بالنهار، ذلك فضلي أوتيه من أشاء، وأنا ذو الفضل العظيم.

وسنذكر ما يصدق كثيراً من هذا السياق، بما سنورده من سورتي «المائدة» و«الصف»، إن شاء الله تعالى، وبه الثقة.

وقد روى أبو حذيفة إسحاق بن بشر بأسانيده عن كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وابن عباس وسلمان الفارسي- دخل حديث بعضهم في بعض- قالوا: لما بعث عيسى ابن مريم وجاءهم بالبينات، جعل الكافرون والمنافقون من بني إسرائيل يعجبون منه ويستهزئون به فيقولون: ما أكل فلانٌ البارحة، وما ادخر في بيته؟ فيخبرهم، فيزداد المؤمنون إيمانًا، والكافرون والمنافقون شكًّا وكفرانًا، وكان عيسى، مع ذلك، ليس له منزلٌ يأوي إليه، إنما يسيح في الأرض، ليس له قرارٌ ولا موضعٌ يعرف به، فكان أول ما أحيا من الموتى، أنه مرَّ ذات يوم على امرأة قاعدة عند قبر وهي تبكي فقال لها: ما لك أيتها المرأة؟ فقالت: ماتت ابنةٌ لي، لم يكن لي ولدٌ غيرها، وإنِّي عاهدت ربِّي أن لا أبرح من موضعي هذا، حتى أذوق ما ذاقت من الموت، أو يحييها الله لي فأنظر إليها. فقال لها عيسى: أرأيت إن نظرت إليها أراجعةٌ أنت؟ قالت: نعم. قالوا: فصلَّى ركعتين، ثمَّ جاء فجلس عند القبر، فنادى: يا فلانة، قومي بإذن الرحمن فاخرجي. قال: فتحرَّك القبر، ثم نادى الثانية، فانصدع القبر بإذن الله، ثمَّ نادى الثالثة، فخرجت وهي تنفض رأسها من التراب، فقال لها عيسى: ما بطأ بك عنِّي؟ فقالت: لمَّا جاءتني الصيحة الأولى بعث الله لي ملكًا فركب خلقي، ثم جاءتني الصيحة الثانية، فرجع إليَّ روحي، ثم جاءتني الصيحة الثالثة، فخفتُ أنها صيحة القيامة، فشاب رأسي وحاجباي وأشفار عيني؛ من مخافة القيامة. ثم أقبلتْ على أمِّها فقالت: يا أمَّتاه، ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين؟ يا أمتاه، اصبري واحتسبي، فلا حاجة لي في الدنيا، يا روح الله وكلمته، سل ربي أن يردني إلى الآخرة، وأن يهوِّن عليَّ كرب الموت. فدعا ربَّه فقبضها إليه، واستوت عليها الأرض، فبلغ ذلك اليهود، فازدادوا عليه غضبًا.

وقدمنا في قصة نوح، أنَّ بني إسرائيل سألوه أن يحيي لهم سام بن نوح، فدعا الله، عزَّ وجل، وصلَّى له، فأحياه الله لهم، فحدثهم عن السفينة وأمرها، ثم دعا فعاد ترابًا.

وقد روى السُّدِّيُّ[1]، عن أبي صالح وأبي مالك، عن ابن عباس، في خبر ذكره، وفيه أنَّ ملكًا من ملوك بني إسرائيل مات وحمل على سريره، فجاء عيسى، عليه السلام، فدعا الله، عزَّ وجل، فأحياه الله عزَّ وجلَّ، فرأى الناس أمراً هائلاً ومنظرًا عجيبًا.

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ

(١) حسن: هذا السند صححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله كما سبق مراراً.

سِحْرٌ مُّبِينٌ (١١٠) وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١٠-١١١]. يذكِّره تعالىٰ بنعمته عليه، وإحسانه إليه في خلقه إياه من غير أب، بل من أمٍّ بلا ذَكَر، وجعله له آيةً للناس، ودلالةً علىٰ كمال قدرته تعالىٰ ثم إرساله بعد هذا كلّه ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾ في اصطفائها واختيارها لهذه النعمة العظيمة، وإقامة البرهان علىٰ براءتها مما نسبها إليه الجاهلون؛ ولهذا قال: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ وهو جبريل، بإلقاء روحه إلىٰ أمِّه، وقرنه معه في حال رسالته، ومدافعته عنه لمن كفر به ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً﴾ أي؛ تدعو الناس إلىٰ الله في حال صغرك في مهدك، وفي كهولتك ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ أي؛ الخطَّ والفهم. نصَّ عليه بعض السلف ﴿وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾.

وقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ أي؛ تصوره وتشكله من الطين علىٰ هيئته، عن أمر الله له بذلك ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي﴾ أي؛ بأمري. يؤكد تعالىٰ بذكر الإذن له في ذلك؛ لرفع التوهم.

وقوله: ﴿وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ﴾ قال بعض السلف: وهو الذي يولد أعمىٰ، ولا سبيل لأحدٍ من الحكماء إلىٰ مداواته ﴿وَالأَبْرَصَ﴾ وهو الذي لا طبَّ فيه، بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالاً ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ﴾ أي؛ من قبورهم أحياءً بإذني. وقد تقدم ما فيه دلالةٌ علىٰ وقوع ذلك مراراً متعددةً مما فيه كفايةٌ.

وقوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وذلك حين أرادوا صلبه فرفعه الله إليه، وأنقذه من بين أظهرهم؛ صيانةً لجنابه الكريم عن الأذىٰ، وسلامةً له من الردىٰ.

وقوله: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾ قيل: المراد بهذا الوحي وحي إلهام. أي أرشدهم الله إليه، ودلهم عليه، كما قال: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]. ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [القصص: ٧]. وقيل: المراد وحيٌ بواسطة الرسول، وتوفيقٌ في قلوبهم لقبول الحقِّ؛ ولهذا استجابوا قائلين: ﴿آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ﴾.

وهذا من جملة نعم الله علىٰ عبده ورسوله عيسىٰ ابن مريم؛ أن جعل له أنصاراً وأعواناً وحواريين ينصرونه ويدعون معه إلىٰ عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالىٰ لعبده محمد ﷺ: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢-٦٣]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ

وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٥١) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٥٤].

كانت معجزة كل نبيٍّ في زمانه بما يناسب أهل ذلك الزمان؛ فذكروا أنَّ موسى، عليه السلام، كانت معجزته مما يناسب أهل زمانه، فكانوا سحرةً أذكياء، فبُعث بآياتٍ بهرت الأبصار، وخضعت لها الرقاب، ولَمَّا كان السحرة خبيرين بفنون السحر وما يُنتهى إليه، وعاينوا ما عاينوا من الأمر الباهر الهائل، الذي لا يمكن صدوره إلا ممن أيده الله وأجرى الخارق على يديه تصديقًا له، أسلموا سراعًا، ولم يتلعثموا، وهكذا عيسى ابن مريم بُعث في زمن الطبائعيَّة الحكماء، فأُرسل بمعجزاتٍ لا يستطيعونها ولا يهتدون إليها، وأنَّى لحكيم إبراءُ الأكمه، الذي هو أسوأ حالاً من الأعمى والأبرص، والمجذوم، ومن به مرضٌ مزمنٌ، وكيف يتوصل أحدٌ من الخلق إلى أن يقيم الميت من قبره، هذا مما يعلم كلُّ أحدٍ أنه معجزةٌ دالةٌ على صدق من قامت به، وعلى قدرة من أرسله، وهكذا محمدٌ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين، بُعث في زمن الفصحاء البلغاء، فأنزل الله عليه القرآن العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حميد، فلفظه معجزٌ، تحدَّى به الإنس والجنَّ أن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ من مثله أو بسورةٍ، وقطع عليهم بأنَّهم لا يقدرون، لا في الحال ولا في الاستقبال، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا، وما ذاك إلا لأنه كلام الخالق، عزَّ وجلَّ، والله تعالى لا يشبهه شيءٌ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

والمقصود أنَّ عيسى، عليه السلام، لما أقام عليهم الحجج والبراهين، استمرَّ أكثرهم على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم، فانتدب له من بينهم طائفةٌ صالحةٌ، فكانوا له أنصارًا وأعوانًا، قاموا بمتابعته ونصرته ومناصحته، وذلك حين همَّ به بنو إسرائيل، ووشوْا به إلى بعض ملوك ذلك الزمان، فعزموا على قتله وصلبه، فأنقذه الله منهم، ورفعه إليه من بين أظهرهم، وألقى شبهه على أحد أصحابه، فأخذوه فقتلوه وصلبوه، وهم يعتقدون عيسى، وهم في ذلك غالطون، وللحقِّ مكابرون، وسلَّم لهم كثيرٌ من النصارى ما ادعوه، وكلا الفريقين في ذلك مخطئون، كما قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ (٦) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٧) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

[الصف: ٦-٩]. إلى أن قال بعد ذلك: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ** ﴾ [الصف: ١٤]. فعيسى، عليه السلام، هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وقد قام فيهم خطيبًا فبشرهم بخاتم الأنبياء الآتي بعده، ونوَّه باسمه، وذكر لهم صفته ليعرفوه ويتابعوه إذا شاهدوه؛ إقامةً للحجَّة عليهم، وإحسانًا من الله إليهم، كما قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال محمد بن إسحاق[١] : حدثني ثور بن يزيد عن خالد بن معدان، عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك. قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمِّي حين حملت بي كأنَّه خرج منها نورٌ أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام**». وقد روي عن العرباض بن سارية، وأبي أمامة، عن النبيِّ ﷺ نحو هذا، وفيه: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى**». وذلك أنّ إبراهيم لما بنى الكعبة قال: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ** ﴾ الآية [البقرة: ١٢٩]. ولما انتهت النبوة في بني إسرائيل إلى عيسى، قام فيهم خطيبًا، فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم، وأنها بعده في النبي العربي الأميِّ، خاتم الأنبياء على الإطلاق، أحمدَ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن هاشم، الذي هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل، عليهم السلام. قال الله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** ﴾. يُحتمل عود الضمير إلى عيسى، عليه السلام، ويحتمل عوده إلى محمدٍ ﷺ، ثم حرض تعالى عباده المؤمنين على نصرة الإسلام وأهله، ونصرة نبيِّه ومؤازرته ومعاونته على إقامة الدِّين ونشر الدعوة، فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ أي؛ من يساعدني في الدعوة إلى الله ﴿ **قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ** ﴾ وكان ذلك في قرية يقال لها: الناصرة. فسمُّوا النصارى بذلك.

قال الله تعالى: ﴿ **فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ** ﴾ يعني، لما دعا عيسى بني إسرائيل وغيرَهم إلى الله تعالى، منهم من آمن ومنهم من كفر، فكان ممن آمن به أهل أنطاكية بكمالهم، فيما ذكره غير واحدٍ من أهل السير والتواريخ والتفسير، بعث إليهم رسلاً، ثلاثةً، أحدهم شمعون الصفا، فآمنوا واستجابوا، وليس هؤلاء هم المذكورين في سورة «يس»؛ لما تقدَّم تقريره في قصَّة أصحاب القرية، وكفر آخرون من بني إسرائيل، وهم جمهور اليهود، فأيَّد الله من آمن به على من

---

(١) **حسن**: رواه ابن جرير (١/ الجزء الأول/ ٥٥٦) والحاكم (٢/ ٦٠٠) والبيهقي «دلائل» (١/ ٨٣) من طريق الحاكم. وطريق العرباض ابن سارية رواه ابن جرير المصدر السابق. رواه أحمد (٤/ ١٢٧، ١٢٨) من طريق سعيد بن سويد مجهول. طريق أبي أمامة رواه أحمد (٥/ ٢٦٢) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٨٤) من طريق الفرج بن فضالة وهو ضعيف. صححه الشيخ ناصر عليه رحمة الله في «الصحيحة» (١٥٤٥).

كفر فيما بعد، وأصبحوا ظاهرين عليهم قاهرين لهم.

كما قال الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ٥٥]. فكلُّ من كان إليه أقرب، كان غالبًا لمن دونه، ولما كان قول المسلمين فيه هو الحقَّ الذي لا شكَّ فيه، من أنه عبد الله ورسوله، كانوا ظاهرين على النصارى الذين غلوا فيه وأطروه، وأنزلوه فوق ما أنزله الله به، ولما كان النصارى أقرب في الجملة مما ذهب إليه اليهود فيه، عليهم لعائن الله، كان النصارى قاهرين لليهود في أزمان الفترة إلى زمن الإسلام وأهله. والله تعالى أعلم.

ذكر خبر المائدة

قال الله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: ١١٢-١١٥]. قد ذكرنا في التفسير الآثار الواردة في نزول المائدة، عن ابن عباس[١]، وسلمان الفارسيِّ[٢]، وعمَّار بن ياسر[٣]، وغيرهم من السلف، ومضمون ذلك، أنَّ عيسى، عليه السلام، أمر الحواريين بصيام ثلاثين يومًا، فلمّا أتمُّوها، سألوا من عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها، وتطمئنَّ بذلك قلوبهم، أن الله قد تقبَّل صيامهم وأجابهم إلى طلبتهم، وتكون لهم عيدًا يفطرون عليها يوم فطرهم، وتكون كافيةً لأولهم وآخرهم، لغنيِّهم وفقيرهم، فوعظهم عيسى، عليه السلام، في ذلك، وخاف عليهم أن لا يقوموا بشكرها، ولا يؤدُّوا حق شروطها، فأبوا عليه إلا أن يسأل لهم ذلك من ربه، عزَّ وجل، فلمَّا لم يقلعوا عن ذلك، قام إلى مصلاه ولبس مسحًا من شعر، وصفَّ بين قدميه وأطرق رأسه، وأسبل عينيه بالبكاء، وتضرَّع إلى الله في الدعاء والسؤال، أن يجابوا إلى ما طلبوا، فأنزل الله تعالى المائدة من السماء، والناس ينظرون إليها تنحدر بين غمامتين، وجعلت تدنو قليلاً قليلاً، وكلّما دنت سأل عيسى، عليه السلام، ربَّه، عز وجل، أن يجعلها رحمةً لا نقمةً، وأن يجعلها بركةً وسلامةً، فلم تزل تدنو حتى استقرت بين يدي عيسى، عليه السلام، وهي مغطاةٌ بمنديل، فقام عيسى يكشف عنها، وهو يقول:

(١) **منقطع**: رواه ابن أبي حاتم (٧٠١٦) وابن جرير (٥/ الجزء ٧/ ١٣٠) من رواية ابن شهاب عن ابن عباس ورجاله ثقات إلا ما يُخشى من الانقطاع بين ابن شهاب وابن عباس.

(٢) **سنده لا بأس به**: رواه ابن أبي حاتم (٧٠١٧) وسنده حسن إلا عبد القدوس بن إبراهيم ذكره ابن حبان في «الثقات»، وابن أبي حاتم في «الجرح» ولم يذكر فيه جرحًا.

(٣) **الصواب موقوف**: رواه ابن أبي حاتم (٧٠٢٣) وابن جرير (٥/ الجزء ٧/ ١٣٤) وسنده حسن ورواه الترمذي (٣٠٦١) موقوفًا وقال: هو أصح.

بسم الله خير الرازقين. فإذا عليها سبعةٌ من الحيتان، وسبعةُ أرغفةٍ، ويقال: وخلٌ. ويقال: ورُمَّانٌ وثمارٌ. ولها رائحةٌ عظيمةٌ جداً. قال الله لها: كوني. فكانت، ثمَّ أمرهم بالأكل منها، فقالوا: لا نأكل حتى تأكل. فقال: إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها. فأبوا أن يأكلوا منها ابتداءً، فأمر الفقراء والمحاويج والمرضى والزمنى، وكانوا قريبًا من ألفٍ وثلثمائةٍ فأكلوا منها فبرأ كل من به عاهةٌ، أو آفةٌ، أو مرضٌ مزمنٌ، فندم الناس على ترك الأكل منها؛ لما رأوا من إصلاح حال أولئك، ثم قيل: إنها كانت تنزل كل يومٍ مرَّةً، فيأكل الناس منها، يأكل آخرهم كما يأكل أولهم، حتى قيل: إنها كان يأكل منها نحو سبعة آلاف. ثم كانت تنزل يومًا بعد يومٍ، كما كانت ناقة صالحٍ يشربون لبنها يومًا بعد يوم. ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على الفقراء أو المحاويج، دون الأغنياء، فشقَّ ذلك على كثيرٍ من الناس، وتكلم منافقوهم في ذلك، فرفعت بالكليَّة، ومسخ الذين تكلموا في ذلك خنازير.

وقد روى ابن أبي حاتم، وابن جرير جميعًا[1]، حدثنا الحسن بن قزعة الباهليُّ، حدثنا سفيان ابن حبيبٍ حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن خلاسٍ، عن عمّار بن ياسرٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**نزلت المائدة من السماء، خبزٌ ولحمٌ، وأمروا أن لا يخونوا، ولا يدخروا، ولا يرفعوا لغدٍ فخانوا، وادخروا، ورفعوا، فمسخوا قردةً وخنازير**». ثم رواه ابن جريرٍ عن بندارٍ، عن ابن أبي عديٍّ، عن سعيد، عن قتادة عن خلاس، عن عمَّار، موقوفًا، وهذا أصحُّ، وكذا رواه من طريق سماكٍ عن رجلٍ من بني عجلٍ عن عمار، موقوفًا، وهو الصواب. والله أعلم.

وخلاسٌ عن عمارٍ منقطعٌ، فلو صحَّ هذا الحديث مرفوعًا، لكان فيصلاً في هذه القصة؛ فإنَّ العلماء اختلفوا في المائدة، هل نزلت أم لا؟ فالجمهور، أنَّها نزلت، كما دلتْ عليه هذه الآثار، وكما هو المفهومُ من ظاهر سياق القرآن، ولا سيما قوله: ﴿**إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ**﴾ كما قرره ابن جرير. والله أعلم.

وقد روى ابن جرير[2] **بإسناد صحيح إلى مجاهد، وإلى الحسن بن أبي الحسن البصريِّ، أنهما قالا:** لم تنزل وإنهمّ أبوا نزولهَا، حين قال: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ**﴾. ولهذا قيل: إن النصارى لا يعرفون خبر المائدة، وليس مذكورًا في كتابهم مع أن خبرها مما تتوفر الدواعي على نقله. والله أعلم. وقد تقصينا الكلام على ذلك في «التفسير»، فليكتب من هناك، ومن أراد مراجعته فلينظره من ثمَّ. ولله الحمد والمنّة.

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (٧٠٢٢) وابن جرير (٥/ الجزء ٧/ ١٣٤) كلاهما من رواية الحسن بن قزعة عن سفيان بن حبيب عن سعيد بن أبي عروبة فرفعه وهذا وهم من الحسن. وقد خالفه من الثقات حميد بن مسعدة عن سفيان ولم يرفعه. ورواه أبو عاصم النبيل وابن عدي عن سعيد بن أبي عروبة ولم يرفعوه كذلك كما في الأثر السابق.

(٢) **صحيح إليهما:** التفسير (٥/ الجزء ٧/ ١٣٥) من طريقين عنه الأول من رواية ليث بن أبي سليم عنه، وليث ضعيف والآخر من طريق ابن جريج عنه. أثر الحسن رواه من طريقين صحيحين عنه من طريق قتادة عنه ومن طريق منصور عنه.

فصل

قال أبو بكر ابن أبي الدنيا[١] :حدثنا رجلٌ سقط اسمه، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا أبو هلال محمد بن سليمان، عن بكر بن عبد الله المزنيِّ، قال: فَقَدَ الحواريُّون نبيَّهم عيسىٰ، فقيل لهم: توجَّه نحو البحر. فانطلقوا يطلبونه، فلمَّا انتهوا إلىٰ البحر، إذا هو يمشي علىٰ الماء، يرفعه الموج مرَّةً ويضعه أخرىٰ وعليه كساءٌ مرتدٍ بنصفه، ومؤتزرٌ بنصفه حتىٰ انتهىٰ إليهم، فقال له بعضهم ـ قال أبو هلال: ظننت أنه من أفاضلهم ـ: ألا أجيء إليك يا نبيَّ الله؟ قال: بلىٰ. قال: فوضع إحدىٰ رجليه علىٰ الماء، ثم ذهب ليضع الأخرىٰ، فقال: أوه، غرقتُ يا نبيَّ الله. فقال: أرني يدك يا قصير الإيمان، لو أن لابن آدم من اليقين قدر شعيرة، مشي علىٰ الماء. ورواه أبو سعيد بن الأعرابيِّ، عن إبراهيم بن أبي الجحيم، عن سليمان بن حربٍ، عن أبي هلالٍ، عن بكر، بنحوه.

ثم قال ابن أبي الدنيا[٢] :حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا إبراهيم بن الأشعث، عن الفضيل بن عياض قال: قيل لعيسىٰ ابن مريم: يا عيسىٰ، بأيِّ شيءٍ تمشي علىٰ الماء؟ قال: بالإيمان واليقين. قالوا: فإنا آمنا كما آمنت وأيقنا كما أيقنت. قال: فامشوا إذًا. قال: فمشوا معه في الموج فغرقوا. فقال لهم عيسىٰ: ما لكم؟ فقالوا: خفنا الموج. قال: ألا خفتم ربَّ الموج. قال: فأخرجهم ثم ضرب بيده إلىٰ الأرض، فقبض بها ثمَّ بسطها، فإذا في إحدىٰ يديه ذهبٌ، وفي الأخرىٰ مدرٌ أو حصًىٰ، فقال: أيهما أحلىٰ في قلوبكم؟ قالوا: هذا الذهب. قال: فإنَّهما عندي سواءٌ. وقد قدمنا في قصَّة يحيىٰ بن زكريا عن بعض السلف أنَّ عيسىٰ، عليه السلام، كان يلبس الشَّعْرَ، ويأكل من ورق الشجر، ولا يأوي إلىٰ منزلٍ ولا أهلٍ ولا مالٍ، ولا يدَّخر شيئًا لغدٍ. وقال بعضهم: كان يأكل من غزل أمه، صلوات الله وسلامه عليه.

وروى ابن عساكر عن ا الشعبيِّ[٣] **، أنه قال**:كان عيسىٰ، عليه السلام، إذا ذُكر عنده الساعة صاح، ويقول: لا ينبغي لابن مريم أن تذكر عنده الساعة ويسكت. وعن عبد الملك بن سعيد بن أبجر، أن عيسىٰ كان إذا سمع الموعظة صرخ صراخ الثكلىٰ.

وقال عبد الرزَّاق:أنبأنا معمرٌ، حدثنا جعفر بن برقان: أنَّ عيسىٰ كان يقول: اللهمَّ إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره، ولا أملك نفع ما أرجو، وأصبح الأمر بيد غيري، وأصبحت مرتهنًا بعملي، فلا فقير أفقر مني، اللهمَّ لا تشمت بي عدوِّي، ولا تسؤ بي صديقي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تسلط عليَّ من لا يرحمني [٤] .

وقال الفضيل بن عياض، عن يونس بن عبيد:كان عيسىٰ يقول: لا يصيب أحدٌ حقيقة الإيمان

---

(١) **ضعيف الإسناد**: ابن أبي الدنيا في اليقين (١١) شيخ ابن أبي الدنيا مجهول ومحمد بن سليم فيه لين.

(٢) **منكر**: رواه في «اليقين» (٤٠) وفيه إبراهيم بن الأشعث يأتي ببواطل.

(٣) **حسن الإسناد**: رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٢٩) وسنده حسن إلى الشعبي ورواه أيضًا ابن أبي شيبة (٨/ ١١٤).

(٤) **صحيح الإسناد**: المصنف (١٩٨٣٦) وسنده صحيح إلى جعفر.

حتى لا يبالي من أكل الدنيا. قال الفضيل: وكان عيسى يقول: فكرت في الخلق، فوجدت من لم يُخلَق أغبط عندي ممن خُلِقَ.

وقال إسحاق بن بشر[١]، **عن هشام بن حسّانَ، عن الحسن، قال:** إنَّ عيسى رأس الزاهدين يوم القيامة. قال: وإنَّ الفرَّارين بذنوبهم يحشرون يوم القيامة مع عيسى. قال: وبينما عيسى يومًا نائمٌ على حجرٍ قد توسده، وقد وجد لذة النوم، إذ مرَّ به إبليسُ، فقال: يا عيسى، ألست تزعم أنك لا تريد شيئًا من عرض الدنيا؟ فهذا الحجر من عرض الدنيا. فقام عيسى فأخذ الحجر فرمى به إليه، وقال: هذا لك مع الدنيا.

وقال معتمر بن سليمان: خرج عيسى على أصحابه، وعليه جبَّةٌ صوفٌ، وكساءٌ وتبَّانٌ، حافيًا باكيًا شعثًا، مصفرَّ اللون من الجوع، يابس الشفتين من العطش، فقال: السلام عليكم يا بني إسرائيل، أنا الذي أنزلتُ الدنيا منزلتها بإذن الله، ولا عجب ولا فخر، أتدرون أين بيتي؟ قالوا: أين بيتك يا روح الله؟ قال: بيتي المساجد، وطيبي الماء، وإدامي الجوع، وسراجيَ القمر بالليل، وصلاتي في الشتاء مشارق الشمس، وريحاني بُقُولُ الأرض، ولباسي الصوف، وشعاري خوف ربِّ العزة، وجلسائي الزمنى والمساكين، أُصبح وليس لي شيءٌ، وأمسي وليس لي شيءٌ، وأنا طيب النفس، غنيٌّ مكثرٌ، فمن أغنى منِّي، وأربح؟ رواه ابن عساكر.

وروي في ترجمة[٢] محمد بن الوليد بن أبان بن حبَّان أبي الحسن العقيليِّ المصريِّ، حدثنا هانئ ابن المتوكل الإسكندرانيُّ، عن حيوة بن شريح حدثني الوليد بن أبي الوليد، عن شُفيٍّ بن ماتعٍ، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**أوحى الله تعالى إلى عيسى، أن يا عيسى، انتقل من مكان إلى مكان، لئلا تعرف فتؤذى، فوعزَّتي وجلالي لأزوجنَّك ألف حوراء، ولأولمنَّ عليك أربعمائة عام**». وهذا حديثٌ غريبٌ رفعه، وقد يكون موقوفًا من رواية شُفيٍّ بن ماتع، عن كعب الأحبار أو غيره من الإسرائيليين. والله أعلم.

وقال عبد الله بن المبارك، عن سفيان بن عيينة، عن خلف بن حوشب[٣] **قال:** قال عيسى للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة، فكذلك فاتركوا لهم الدنيا.

وقال قتادة[٤]: قال عيسى، عليه السلام: سلوني فإنِّي لين القلب، وإني صغيرٌ عند نفسي.

وقال إسماعيل بن عياشٍ عن عبد الله بن دينار[٥]، **عن ابن عمر، قال:** قال عيسى، عليه

---

(١) **إسناد موضوع:** إسحاق متهم بالكذب.

(٢) **منكر:** رواه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٣٢) في ترجمة ابن الوليد. فيه هانئ بن المتوكل منكر الحديث يروي المناكير. قال ابن حبان في «المجروحين» (٣/ ٩٧) لا يجوز الاحتجاج به بحال.

(٣) **صحيح الإسناد:** رواه أحمد في «الزهد» (١٧٢) وسنده صحيح إليه.

(٤) **ضعيف الإسناد:** رواه أحمد في «الزهد» (١٦٦) الجزء الأول بسند ضعيف إلى قتادة فيه أبو هلال الراسبي لين.

(٥) **ضعيف الإسناد:** رواه أحمد في «الزهد» (١٧٣) الجزء الأول عن عبد اللَّه بن دينار وإسماعيل بن عياش ضعيف في غير الشاميين.

السلام، للحواريين: كلوا خبز الشعير، واشربوا الماء القَرَاحَ، واخرجوا من الدنيا سالمين آمنين، لحقٌّ ما أقول لكم: إنَّ حلاوة الدنيا مرارة الآخرة، وإنَّ مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعمين، لحقٌّ ما أقول لكم: إن شرَّكم عالمٌ يؤثر هواه على علمه، يودُّ أنَّ الناس كلهم مثله. وروي نحوه عن أبي هريرة.

وقال أبو مصعب، عن مالك[١] : أنه بلغه أن عيسى كان يقول: يا بني إسرائيل، عليكم بالماء القَرَاحَ، والبَقْلِ البَرِّيِّ، والخبز الشعير، وإياكم وخبز البرِّ، فإنكم لن تقوموا بشكره.

وقال ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، قال: كان عيسى يقول: اعبروا الدنيا ولا تعمروها. وكان يقول: حبُّ الدُّنيا رأس كلِّ خطيئةٍ، والنظر يزرع في القلب الشهوة. وحكى وهيب بن الورد[٢] مثله، وزاد: وربَّ شهوةٍ أورثت أهلها حزنًا طويلاً وعن عيسى، عليه السلام: يا بن آدم الضعيف، اتق الله حيث ما كنت، وكن في الدنيا ضيفًا، واتخذ المساجد بيتًا، وعلم عينك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك التفكر، ولا تهتمَّ برزق غدٍ، فإنها خطيئةٌ. وعنه[٣] ، عليه السلام، أنه قال: كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر دارًا، فلا يتخذ الدنيا قرارًا. وفي هذا يقول سابقٌ البربريُّ:

لكم بيوتٌ بمستنِّ السُّيولِ وهلْ ... يبقى على الماء بيتٌ أُسُّه مَدرُ

وقال سفيان الثوريُّ[٤] : قال عيسى ابن مريم: لا يستقيم حبُّ الدنيا وحبُّ الآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء.

وقال إبراهيم الحربيُّ، عن داود بن رشيد، عن أبي عبد الله الصُّوفيِّ[٥] **، قال:** قال عيسى: طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شربًا ازداد عطشًا، حتى يقتله. وعن عيسى، عليه السلام[٦] ، أن الشيطان مع الدنيا، ومكره مع المال، وتزيينه مع الهوى، واستمكانه عند الشهوات.

وقال الأعمش، عن خيثمة[٧] : كان عيسى يصنع الطعام لأصحابه، ويقوم عليهم، ويقول: هكذا فاصنعوا بالقرى. وبه قالت امرأةٌ لعيسى، عليه السلام: طوبى لِحِجرٍ حملك، ولثديٍ أرضعك. فقال: طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه. وعنه[٨] : طوبى لمن بكى من ذكر خطيئته، وحفظ لسانه، ووسعه بيته. وعنه: طوبى لعين نامتْ ولم تحدِّثْ نفسها بالمعصية، وانتبهتْ إلى غير إثم.

---

(١) رواه مالك في الموطأ كتاب صفة النبي ﷺ باب (١٠) ص٧١٠.

(٢) **سند لا بأس به:** رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٥).

(٣) **صحيح الإسناد إلى مكحول:** رواه أحمد في «الزهد» (١٦٥) من قول مكحول قال عيسى: وسنده صحيح.

(٤) لم أقف عليه.

(٥) لم أقف عليه.

(٦) **صحيح الإسناد:** رواه عبد الله بن أحمد في زيادات «الزهد» (١٧٤) من رواية أبي حليس يزيد بن ميسرة، بسند صحيح عنه.

(٧) **صحيح الإسناد:** رواه أحمد في «الزهد» (١٦٧) بسند صحيح عنه. وكذلك (ص١٦٤).

(٨) **صحيح الإسناد:** رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٤) عن سالم بن أبي الجعد بسند صحيح إليه.

وعن مالك بن دينار[1] **، قال:** مرَّ عيسى وأصحابه بجيفةٍ، فقالوا: ما أنتنَ ريحها. فقال: ما أبيض أسنانها. لينهاهم عن الغيبة.

وقال أبو بكر ابن أبي الدنيا[2] : **حدثنا الحسين بن عبد الرحمن، عن زكريا بن عديٍّ، قال:** قال عيسى ابن مريم: يا معشر الحواريين، ارْضَوْا بِدَنِيٍّ الدنيا مع سلامة الدين، كما رضي أهل الدنيا بدنيٍّ الدين مع سلامة الدنيا.

قال زكريا: وفي ذلك يقول الشاعر:

أرى رجـالاً بأدنى الـدين قـد قنعـوا ... ولا أراهم رضـوا في العـيش بـالدّون
فـاستـغن بالدِّين عن دنيـا الملوك كـمـا ... استـغنى الملـوك بـدنيـاهـم عن الدين

وقال أبو مصعب، عن مالك[3] : قال عيسى ابن مريم، عليه السلام: لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله، فتقسو قلوبكم، فإنّ القلب القاسي بعيدٌ من الله ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أربابٌ، وانظروا فيها كأنكم عبيدٌ، فإنما الناس رجلان معافًى ومبتلًى، فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية.

وقال الثوري[4] : سمعت أبي يقول، عن إبراهيم التيميِّ، قال: قال عيسى لأصحابه: بحقٍّ أقول لكم: من طلب الفردوس، فخبز الشعير له، والنوم في المزابل مع الكلاب كثيرٌ.

وقال مالك بن دينار[5] : قال عيسى إن أكل الشعير مع الرماد، والنوم على المزابل مع الكلاب لقليلٌ في طلب الفردوس.

وقال عبد الله بن المبارك[6] : أنبأنا سفيان، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، قال: قال عيسى: اعملوا لله، ولا تعملوا لبطونكم، انظروا إلى هذه الطير، تغدو وتروح، لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها، فإن قلتم: نحن أعظم بطونًا من الطير. فانظروا إلى هذه الأباقر من الوحوش والحُمُر، فإنها تغدو وتروح لا تحرث ولا تحصد، والله يرزقها.

وقال صفوان بن عمرو، عن شريح بن عبيد، عن يزيد بن ميسرة قال[7] : قال الحواريون للمسيح: يا مسيح الله، انظر إلى مسجد الله ما أحسنه. قال: آمين آمين، بحقٍّ أقول لكم: لا يترك الله من هذا المسجد حجراً قائمًا إلا أهلكه بذنوب أهله، إن الله لا يصنع بالذهب ولا بالفضة، ولا بهذه الأحجار التي تعجبكم شيئًا، إن أحبَّ إلى الله منها القلوب الصالحةُ، وبها يعمر الله الأرض، وبها يخرِّبُ الله الأرض إذا كانت على غير ذلك.

---

(١) **ضعيف الإسناد**: رواه ابن أبي الدنيا في الغيبة (١٥٨) وفيه الحكم بن سنان ضعيف.
(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤٤٩). (٣) رواه مالك «الموطأ» كتاب الكلام باب (٣/ ٧٥٣).
(٤) **معضل**: سنده صحيح إلى إبراهيم، وهو معضل. (٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٦٩).
(٦) **صحيح الإسناد**: رواه في «الزهد» له (٨٤٨) وسنده صحيح إلى سالم.
(٧) **صحيح الإسناد**: رواه أحمد في «الزهد» (١٧٤) وسنده صحيح إلى يزيد.

وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر في «تاريخه»(١) : أخبرنا أبو منصور أحمد بن محمد الصوفيُّ ، أخبرتنا عائشة بنت الحسن بن إبراهيم الوركانية ، قالت : حدثنا أبو محمد عبد الله بن عمر ابن عبد الله بن الهيثم إملاءً ، حدثنا الوليد بن أبانَ إملاء ، حدثنا أحمد بن جعفر الرازيُّ ، حدثنا سهل بن إبراهيم الحنظليُّ ، حدثنا عبد الوهاب بن عبد العزيز ، عن المعتمر ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابن عباس ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : مرَّ عيسى ، عليه السلام ، على مدينةٍ خربةٍ فأعجبه البنيان ، فقال : أيْ ربِّ ، مرْ هذه المدينة أن تجيبني . فأوحى الله إلى المدينة : أيتها المدينة الخربة ، جاوبي عيسى . قال : فنادت المدينة عيسى : حبيبي ، وما تريد منِّي؟ قال : ما فعل أشجارك ، وما فعل أنهارك ، وما فعل قصورك ، وأين سكانك؟ قالت : حبيبي ، جَاء وعد ربك الحقُّ ، فيبستْ أشجاري ، ونشفتْ أنهاري ، وخربت قصوري ، ومات سكَّاني . قال : فأين أموالهم؟ قالت : جمعوها من الحلال والحرام ، موضوعةٌ في بطني ، لله ميراثُ السموات والأرض . قال : فنادى عيسى ، عليه السلام : فعجبت من ثلاث أناس ؛ طالب الدنيا والموت يطلبه ، وباني القصور والقبر منزله ، ومن يضحك ملءَ فيه والنار أمامه ، ابن آدم ، لا بالكثير تشبع ، ولا بالقليل تقنع ، تجمع مالك لمن لا يحمدك ، وتقدم على ربٍّ لا يعذرك ، إنما أنت عبد بطنك وشهوتك ، وإنما تملأ بطنك إذا دخلت قبرك ، وأنت يا بن آدم ترى حشد مالك في ميزان غيرك . هذا حديثٌ غريبٌ جدًا ، وفيه موعظةٌ حسنةٌ ، فكتبناه لذلك .

وقال سفيان الثوريُّ ، عن أبيه ، عن إبراهيم التيميِّ(٢) ، **قال:** قال عيسى ، عليه السلام : يا معشر الحواريِّين ، اجعلوا كنوزكم في السماء ، فإنَّ قلب الرجل حيث كنزه .

وقال ثور بن يزيد ، عن عبد العزيز بن ظبيان(٣) ، **قال:** قال عيسى ابن مريم ، عليه السلام : من تعلم وعلَّم وعمل ، دُعي عظيمًا في ملكوت السماء .

وقال أبو كريب: روي أنَّ عيسى ، عليه السلام ، قال : لا خير في علمٍ لا يعبر معك الوادي ، ولا يعمر بك النادي .

وروى ابن عساكر ، بإسناد غريب عن ابن عبَّاس مرفوعًا ، أنَّ عيسى ، عليه السلام ، قام في بني إسرائيل فقال : يا معشر الحوارِّيين ، لا تحدثوا بالحكمة غير أهلها ، فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها ، فتظلموهم ، والأمور ثلاثةٌ ؛ أمرٌ تبيَّن رشده فاتَّبعوه ، وأمرٌ تبيَّن غيُّه فاجتنبوه ، وأمرٌ اختُلف عليكم فيه فردوا علمه إلى الله ، عزَّ وجلَّ(٤) .

---

(١) **ضعيف الإسناد:** الجزء غير مطبوع ...والسند ضعيف فيه ليث بن أبي سليم ضعيف.

(٢) **صحيح الإسناد:** رواه أحمد في «الزهد» (١٦٣) وسنده صحيح إلى إبراهيم.

(٣) رواه أحمد في «الزهد» (١٦٦) من قول ثور ورواه البيهقي في «الشعب» (١٧٩٩) عن عبد العزيز بن ظبيان ولم يقل قال عيسى بل قال: قال الشيخ ولعله تصحيف من المسيح إلى الشيخ.

(٤) **ضعيف جدًا:** رواه أيضًا الحاكم (٤/ ٢٧٠) والطبراني (١٠٧٧٤) «الكبير» والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٤٠) وقال: وليس لهذا الحديث طريق يثبت. فيه هشام بن زياد متروك.

وقال عبد الرزَّاق[١] : أنبأنا معمرٌ، عن رجل، عن عكرمة، قال: قال عيسى: لا تطرحوا اللؤلؤ إلى الخنزير؛ فإنَّ الخنزير لا يصنع باللؤلؤ شيئًا، ولا تعطوا الحكمة من لا يريدها؛ فإنَّ الحكمة خيرٌ من اللؤلؤ، ومن لا يريدها؛ شرٌّ من الخنزير. وكذا حكى وهبٌ وغيره عنه[٢] . وعنه، أنَّه قال لأصحابه: أنتم ملح الأرض، فإذا فسدتم، فلا دواء لكم، وإنَّ فيكم خصلتين من الجهل؛ الضحكُ من غير عجب، والصبحةُ من غير سهر. وعنه، أنَّه قيل له: من أشدُّ الناس فتنةً؟ قال: زلَّةُ العالم، فإنَّ العالم إذا زلَّ زلَّ بزلته عالَمٌ كثيرٌ. وعنه، أنه قال: يا علماء السُّوء، جعلتم الدنيا على رءوسكم، والآخرة تحت أقدامكم، قولكم شفاءٌ، وعملكم داءٌ، مثلكم مثل شجرة الدِّفلى، تعجب من رآها، وتقتل من أكلها.

وقال وهبٌ: قال عيسى يا علماء السُّوء، جلستم على أبواب الجنَّة، فلا أنتم تدخلونها، ولا تدعون المساكين يدخلونها، إن شرَّ الناس عند الله عالمٌ يطلب الدنيا بعلمه.

وقال مكحولٌ: التقى يحيى، وعيسى فصافحه عيسى، وهو يضحك، فقال له يحيى: يا بن خالة، ما لي أراك ضاحكًا كأنَّك قد أمنت. فقال له عيسى: ما لي أراك عابسًا كأنَّك قد يئستَ. فأوحى الله إليهما: إنَّ أحبَّكما إليَّ أبشُّكما بصاحبه.

وقال وهب بن منبِّه: وقف عيسى هو وأصحابه على قبر، وصاحبه يدلى فيه، فجعلوا يذكرون القبر وضيقه، فقال: قد كنتم فيما هو أضيق منه في أرحام أمهاتكم، فإذا أحبَّ الله أن يوسِّعَ وسَّعَ.

وقال أبو عمر الضرير: بلغني أنَّ عيسى كان إذا ذكر الموت يقطرُ جلده دمًا.

والآثارُ في مثل هذا كثيرةٌ جدًّا، وقد أورد الحافظ ابن عساكر منها طرفًا صالحًا، اقتصرنا منه على هذا القدْر، والله تعالى الموفِّقُ للصَّواب.

ذكر رفع عيسى، عليه السَّلام، إلى السَّماء في حفظ الربِّ، وبيانُ كذب اليهود والنصارى، عليهم لعائنُ الله، في دعوى الصَّلب

قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[آل عمران: ٥٤، ٥٥]. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ

---

(١) ضعيف الإسناد: المصنف (٢٠٤٨٢) فيه مبهم. وقد بينه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (١٧٢) وهو عمر بن عبد الله.

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٢٨٣) عن عمران الكوفي. ورواه ابن أبي شيبة (٨/ ١١٣) عن خلف بن حوشب ورواه أحمد في «الزهد» (١٧٢) من رواية سفيان.

وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٩] فأخبرَ تعالى أنَّه رفَعَه إلى السَّماء بعدَ ما توفَّاه بالنَّوم على الصَّحيح المقطوع به، وخلَّصَه ممَّنْ كان أرادَ أذيَّتَه من اليهود الذين وَشَوْا به إلى بعض الملوك الكَفَرة في ذلك الزَّمان.

قال الحسنُ البَصْريُّ، ومحمدُ بنُ إسحاق[1]: كان اسمُه داودَ بنَ يورا فأمَرَ بقتله وصَلْبه، فحصروه في دارٍ ببلد ببيت المَقْدس، وذلك عَشيَّةَ الجُمُعة لَيْلَةَ السَّبْت، فَلَمَّا حانَ وقتُ دخولهم أُلْقيَ شَبَهُه على بَعْض أصْحابه الحاضرينَ عنْدَه، ورُفعَ عيسى من رَوْزَنَة من ذلك البَيْت إلى السَّماء، وأَهْلُ البيْت يَنظرون، ودَخَلَ الشُّرَطُ فوجدوا ذلك الشَّابَّ الذي أُلْقيَ عليه شَبَهُه، فأخذوه ظَانِّينَ أنَّه عيسى، فَصَلَبوه ووضعوا الشَّوكَ على رأسه إهانةً له، وسَلَّم لليهود عامةُ النَّصارَىٰ الذينَ لم يُشاهدوا ما كان من أمْر عيسى أنَّه صُلبَ، وضَلُّوا بسبب ذلك ضلالاً مبينًا كثيرًا فاحشًا بعيدًا، وأخْبَرَ تعالى بقوله: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي؛ بعْدَ نزوله إلى الأرض في آخر الزَّمان، قبلَ قيام السَّاعة، فإنَّه ينْزلُ ويقتُلُ الخنزيرَ، ويَكْسرُ الصَّليبَ، ويَضَعُ الجزْيَةَ، ولا يَقْبَلُ إلا الإسْلامَ، كما بيَّنا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عندَ تفسير هذه الآية الكريمة من سورة «النساء»، وكما سنُوردُ ذلك مُسْتَقْصًى في كتاب «الفتن والملاحم» عندَ أخْبَار المَسيح الدَّجَّال، فنذكرُ ما وردَ في نُزول المسيح المَهْديِّ، عليه السَّلامُ، من ذي الجلال؛ لقَتْل المسيح الدَّجال الكَذَّاب الدَّاعي إلى الضَّلال. وهذا ذكْرُ ما وَرَدَ من الآثار في صفَة رَفْعه إلى السَّماء.

قال ابنُ أبي حاتم[2]: حَدَّثنا أحمدُ بنُ سنان، حدَّثنا أبو مُعاويةَ، عن الأعْمش، عن المنْهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس، قال: لَمَّا أرادَ اللهُ أنْ يرفعَ عيسى إلى السماء، خرجَ عَلَى أصْحابه، وفي البيْت اثنا عَشَر رجلاً منهم -من الحواريِّين يعني- فخرجَ عليهم من عَيْنٍ في البيت، ورَأْسُهُ يَقْطُرُ ماءً، فقالَ: إنَّ منكم من يَكْفُرُ بي اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مرَّةً بعدَ أنْ آمنَ بي. ثُم قال: أيُّكم يُلْقَىٰ عليه شَبَهي فَيُقْتَلَ مكاني، ويكونَ معي في دَرَجتي؟ فقام شابٌّ من أَحْدَثهم سنًّا، فقالَ له: اجْلسْ. ثم أعَاد عليهم، فقام الشَّابُّ، فقال: اجْلسْ. ثم أعادَ عليهم، فقامَ الشَّابُّ، فقال: أنا. فقال: أنتَ هو ذاك. فأُلْقيَ عليه شَبَه عيسى، ورُفعَ عيسى من رَوْزَنَة في البيت إلى السَّماء. قال: وجاء الطَّلَبُ من اليهود فأخذوا الشَّبَهَ فقتلوه ثُم صَلَبُوه، فَكَفَرَ به بَعْضُهم اثْنَتَيْ عشْرَةَ مرَّةً بَعْدَ أن آمنَ به، وافترقوا ثلاث فرَقٍ، فقالت طائفةٌ: كان اللهُ فينا ما شاءَ، ثُم صَعَدَ إلى السَّماء. وهؤلاء اليَعْقُوبيَّةُ، وقالت فرْقَةٌ: كان فينا ابنُ الله ما شاءَ، ثُم رَفَعَه اللهُ إليه. وهؤلاء النَّسْطُوريَّةُ، وقالت فرْقَةٌ: كان فينا عبدُ الله ورسولُه ما شاء اللهُ، ثمَّ رفعه اللهُ إليه، وهؤلاء المسلمون، فتظاهرَت

---

(١) **ضعيف الإسناد**: رواه ابن جرير (٤/ الجزء السادس/ ١٤) بسند ضعيف من رواية ابن حميد.

(٢) **صحيح الإسناد**: ابن أبي حاتم (٦٢٣٣) بسند صحيح إلى ابن عباس النسائي «الكبرى» (١١٥٩١).

الكافرتان على المسْلِمَةِ فقتلوها، فلم يَزَلِ الإسلامُ طامسًا حتى بعثَ اللهُ محمداً ﷺ. قال ابنُ عباسٍ: وذلك قولُه تعالى: ﴿**فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**﴾ [الصف: ١٤]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ -إلى ابنِ عبَّاسٍ- على شَرْطِ مسلمٍ، ورواه النَّسَائِيُّ، عن أبي كُرَيْبٍ، عن أبي مُعَاويةَ به نَحْوَه، ورواه ابنُ جريرٍ عن سَلْمِ بنِ جُنادَةَ، عن أبي معاويةَ، وهكذا ذَكَرَ غَيرُ واحدٍ من السَّلَفِ، ومِمَّن ذكَر ذلك مُطوَّلاً محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ[1]، قال: وجَعَلَ عيسى، عليه السلامُ، يدعو اللهَ، عزَّ وجلَّ، أَنْ يُؤَخِّرَ أَجَلَه، يعني ليُبَلِّغَ الرِّسالةَ، ويُكْمِلَ الدَّعوةَ، ويُكْثِرَ النَّاسُ الدُّخولَ في دينِ اللهِ، عزَّ وجلَّ. قيل: وكان عندَه من الحواريِّين اثْنَا عشرَ رجلاً؛ بُطْرسُ، ويَعْقُوبُ ابنُ زَبْدِي، ويُحَنَّسُ أخو يَعْقُوبَ، وأَنْدَرَاوُسُ، وفِيلِبُّسُ، وأَبْرَثَلْما، ومَتَّى، وتُوماس، ويَعْقُوبُ بنُ حَلْقيا، وتُدَّاوُسُ، وفتاتيا، يُودُسُ زكريا يُوطا، وهذا هو الذي دَلَّ اليهودَ على عيسى.

قال ابنُ إسحاقَ: وكان فيه رجلٌ آخَرُ اسمُه سرجسُ، كَتَمَتْه النَّصارَى، وهو الذي أُلْقِي شَبَهُ المسيحِ عليه، فَصُلِبَ عنه. قال: وبعضُ النَّصارَى يَزْعُمُ أنَّ الذي صُلِبَ عن المسيحِ، وأُلْقِي عليه شَبَهُه، يُودُسَ زكريا يوطا. واللهُ أعلمُ.

وقال الضَّحاكُ، عن ابنِ عباسٍ[2]: استَخْلَفَ عيسى شَمعونَ، وقتلتِ اليهودُ يُودُسَ زكريا يوطا الذي أُلْقِيَ عليه الشَّبَهُ.

وقال أَحمدُ بنُ مروانُ: حدَّثنا محمدُ بنُ الجَهْمِ. قال: سمعتُ الفَرَّاءَ يقولُ في قولِه: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ قال: إنَّ عيسى غاب عن خالتِه زمانًا، فأتَاها فقام رأسُ الجالوت اليهوديُّ، فضَرَبَ على عيسى، حتى اجتمعوا على بابِ دارِه، فكَسَرُوا البابَ، ودخل رأسُ الجالوتِ ليأخُذ عيسى، فطَمَسَ اللهُ عَيْنَيْه عن عيسى ثم خَرَجَ إلى أصحابِه، ، فقال: لم أَرَهُ. ومعه سيفٌ مسلولٌ، فقالوا: أنتَ عيسى. وأَلْقَى اللهُ شَبَهَ عيسى عليه، فأَخذُوه، فقتلوه، وصَلَبوه، فقالَ جلَّ ذِكْرُه: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ**﴾.

وقال ابنُ جريرٍ[3]: حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ، حدّثنا يَعْقُوبُ القُمِّيُّ، عن هارونَ بنِ عَنْتَرَةَ، عن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ، قال: أَتَى عيسى ومعه سبْعةَ عَشَرَ من الحوارِيِّين في بيتٍ، فأحاطوا بهم، فَلَمَّا دخلوا عليهم، صَوَّرَهُم اللهُ كُلَّهُم عَلَى صورةِ عيسى، فقالوا لهم: سَحَرْتمونا، لَتُبْرِزُنَّ لنا عيسى، أَوْ لَنَقْتُلَنَّكُم جميعًا، فقال عيسى لأصحابِه: مَن يَشْتَرِي منكم نَفْسَه اليومَ بالجنَّةِ؟ فقال رجلٌ: أنا. فخرج إليهم، فقال: أنا عيسى. وقد صَوَّرَه اللهُ على صُورةِ عيسى فأخذوه فقتلوه وصَلَبُوه، فمِنْ ثَمَّ شُبِّه لهم، وظَنُّوا أنَّهم قد قَتَلُوا عيسى، وظَنَّتِ النَّصارَى مِثْلَ ذلك، أنَّه عيسى، ورَفَعَ اللهُ عيسى مِن يومِه ذلك.

---

(١) **ضعيف الإسناد:** رواه ابن جرير (٤/ ٦/ ١٤، ١٥) وفيه ابن حميد ضعيف.

(٢) **ضعيف:** الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٣) **ضعيف الإسناد:** رواه ابن جرير (٤/ ٦/ ١٤، ١٥) فيه ابن حميد ضعيف ويعقوب القمي يهم.

قال ابنُ جرير[1] : وحدَّثنا المثنَّى، حدَّثنا إسحاقُ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ، حدَّثني عبدُالصَّمد بنُ مَعْقِلٍ أنه سَمِعَ وَهْبًا يقول: إن عيسىٰ ابنَ مريمَ لَمَّا أَعْلَمَه اللهُ أنَّه خارجٌ من الدُّنيا جَزِعَ من الموْت، وشَقَّ عليه، فدعا الحواريِّين وصَنَعَ لهم طَعامًا، فقال: احْضُرُوني الليلةَ؛ فإنَّ لي إليكم حاجةً. فلمَّا اجتمعوا إليه من الليلِ عَشَّاهم، وقام يَخْدُمُهم، فلمَّا فَرَغُوا من الطَّعام، أَخَذَ يَغْسِلُ أيديَهمْ ويُوَضِّئُهُم بيده، ويَمْسَحُ أيديَهم بثِيَابِه، فتعاظَمُوا ذلك وتَكَارَهُوه، فقال: ألاَ مَنْ رَدَّ عَلَيَّ شيْئًا الليلةَ ممّا أَصْنَعُ فليسَ منِّي، ولا أنا منه. فأَقَرُّوه حتىٰ إذا فَرَغَ من ذلك قال: أمَّا ما صَنَعْتُ بكم اللَّيْلَةَ ممَّا خَدَمْتُكُم على الطعام، وغَسَلْتُ أيْدِيكم بيدِي، فلْيَكُنْ لكم بي أُسْوَةٌ، فإنَّكم تَرَوْنَ أنِّي خَيْرُكم، فلا يَتَعَظَّم بَعْضُكم علىٰ بَعْضٍ، ولْيَبْذُلْ بعضُكم لبعضٍ نَفْسَه، كما بَذَلْتُ نفْسي لكم، وأمَّا حاجتي التي اسْتَعَنْتُكم عليها، فتدْعُون ليَ اللهَ وتجتَهِدُونَ في الدُّعاء أنْ يُؤَخِّرَ أَجَلِي. فَلَمَّا نَصَبُوا أنْفُسَهم للدُّعاء وأرادُوا أن يَجتَهِدُوا، أخذَهم النَّوْمُ حتىٰ لم يَسْتَطِيعُوا دُعاءً، فجعل يُوقِظُهم، ويقولُ: سبحانَ الله، أما تَصْبِرون لي ليلةً واحدةً، تُعِينُوني فيها؟ فقالوا: والله ما نَدْري مَا لنا، والله لقد كُنَّا نَسْمُرُ فَنُكْثِرُ السَّمَرَ، وما نطيقُ الليلةَ سَمَرًا، وما نُريدُ دُعَاءً إلا حِيلَ بيْنَنَا وبيْنَه. فقال: يُذْهَبُ بالراعي وتَتَفَرَّقُ الغَنَمُ، وجعلَ يأتي بكلام نحوِ هذا، يَنْعي به نَفْسَه. ثم قال: الحقُّ لَيَكْفُرَنَّ بي أَحَدُكم قبلَ أَنْ يَصيحَ الدِّيكُ ثلاثَ مَرَّاتٍ، ولَيَبِيعَنِّي أحدُكم بدراهمَ يَسيرةٍ، ولَيَأْكُلَنَّ ثَمَنِي. فخرجوا وتفرَّقوا، وكانت اليهودُ تَطْلُبُه فَأخذوا شمعونَ ـ أحدَ الحواريِّين ـ فقالوا: هذا منْ أصحَابِه. فَجَحَدَ، وقال: مَا أَنَا بصاحبِه. فتركوه، ثم أَخَذَه آخرونَ، فَجَحَد كذلك، ثُمَّ سَمِعَ صوتَ ديكٍ، فبكىٰ وأَحْزَنَه. فَلَمَّا أَصْبَحَ أتىٰ أَحَدُ الحواريِّين إلى اليهودِ، فقال: ما تجْعَلُون لي إنْ دَلَلْتُكم على المسيحِ. فجعلوا له ثلاثينَ درْهمًا فأخذَها ودَلَّهُم عليه. وكان شُبِّه عليهم قبلَ ذلك فأخذوه، واسْتوثَقُوا منه، وربَطُوه بالحبلِ وجعلوا يقودُونَه، ويقولون: أنت كُنْتَ تُحْيِي الموتىٰ، وتَنْتَهِرُ الشَّيطانَ، وتُبْرِئُ المجْنونَ، أفَلا تُنَجِّي نفْسَك من هذا الحبلِ؟ ويَبْصُقون عليه، ويُلْقُون عليه الشَّوْكَ، حتىٰ أَتَوْا به الخَشَبَةَ التي أرادُوا أَن يَصْلُبُوه عليها، فرفَعه اللهُ إليه، وصَلَبوا ما شُبِّه لهم، فَمَكَثَ سَبْعًا. ثُم إنَّ أُمَّه والمرأةَ التي كان يداويها عيسىٰ فأبرأها اللهُ من الجنونِ، جاءَتا تَبْكيان حيثُ كان المصلوبُ، فجاءهما عيسىٰ، فقال: علام تَبْكيان. قالتا: عليك. فقال: إنِّي قَدْ رَفَعَني اللهُ إليه، ولم يُصِبْني إلاَّ خيرٌ، وإنَّ هذا شيءٌ شُبِّهَ لهم، فَأْمُرَا الحواريِّين أنْ يَلْقَوْني إلى مكانِ كذا وكذا. فَلَقُوه إلىٰ ذلك المكان أَحَدَ عَشَرَ، وفَقَدَ الذي كان باعَه ودلَّ عليه اليهودَ، فسألَ عنه أَصحابَه، فقالوا: إنَّه نَدِمَ علىٰ ما صَنَعَ، فاخْتَنَقَ وقَتَلَ نفْسَه. فقال: لو تاب لتابَ اللهُ عليه. ثم سَأَلَهم عن غلامٍ يتبعُهم يقال له: يُحَنَّا. فقال: هو معكم. فانْطَلِقُوا فإنَّه سَيُصْبِحُ كُلُّ إنسانٍ منكم يحدِّثُ بلغةِ قومٍ فلْيُنْذِرْهم ولْيَدْعُهم. وهذا إسنادٌ غريبٌ عجيبٌ، وهو

---

(١) ضعيف الإسناد: ابن جرير المصدر (٤/٦/٣١، ١٤) وسنده فيه إسحاق بن الحجاج مجهول الحال ذكره ابن أبي حاتم ولم يذكر فيه جرحًا. والمثنى شيخ الطبري لم أقف له على ترجمة.

أَصحُّ مِمّا ذَكَرَه النَّصارَىٰ، لَعَنَهم اللهُ، مِن أَنَّ المسيحَ جاء إلىٰ مَرْيَمَ، وهي جالسةٌ تَبْكِي عندَ جِذْعِه، فأراها مكانَ المساميرِ من جَسَدِه، وأخبرها أن رُوحَه رُفِعَتْ، وأَنَّ جسدَه صُلِبَ، وهذا بَهْتٌ وكَذِبٌ واختلاقٌ وتَحْرِيفٌ وتبديلٌ وزيادةٌ باطلةٌ في الإنْجيلِ علىٰ خِلافِ الحَقِّ ومقتضىٰ النَّقْلِ.

وحكىٰ الحافظُ ابنُ عساكرَ، مِن طريقِ يَحْيَىٰ بنِ حبيبٍ، فيما بَلَغَه أَنَّ مريمَ سألتْ مِن بيتِ المَلِك - بعدَ ما صُلِبَ المصْلوبُ بسبعةِ أيامٍ، وهي تَحْسَبُ أَنَّه ابنُها - أَنْ يُنْزِلَ جَسَدَه، فأجابهم إلىٰ ذلك، ودُفِنَ هنالك، فقالت مريمُ لأُمِّ يحيىٰ: ألا تَذْهَبِين بِنَا نزورُ قَبْرَ المسيحِ. فذَهَبَتَا فلمَّا دَنَتَا مِن القبرِ، قالت مريمُ لأمِّ يَحْيىٰ: أَلاَ تَسْتَتِرِين. فقالت: ومِمَّنْ أَسْتَتِرُ. فقالت: من هذا الرَّجلِ الذي هو عندَ القبرِ. فقالت أُمُّ يحيىٰ: إِنِّي لا أَرَىٰ أَحَدًا. فَرجَتْ مريمُ أن يكونَ جبريلَ، وكانت قَدْ بَعُدَ عَهْدُها به، فاسْتَوْقَفَتْ أُمَّ يحيىٰ وذهبتْ نحوَ القَبْرِ، فلمَّا دَنَتْ من القبْرِ، قال لها جبريلُ، وعَرَفَتْه: يا مريمُ، أين تُريدينَ؟ فقالت: أزورُ قَبْرَ المسيحِ وأُسَلِّم عليه وأُحْدِثُ عهدًا به. فقال: يا مريمُ، إنَّ هذا ليس المسيحَ، إنَّ اللهَ قد رفعَ المسيحَ، وطَهَّره من الذين كفروا، ولكنَّ هذا الفَتَىٰ الذي أُلْقِيَ شَبَهُه عليه وصُلِبَ وقُتِلَ مكانَه، وعَلامةُ ذلك أَنَّ أَهْلَه قد فقدوه، فلا يَدْرون ما فُعِلَ به، فهم يَبْكُونَ عليه، فإذا كان يومُ كذا وكذا، فَأْتِي غَيْضةَ كذا وكذا، فإنَّك تَلْقِينَ المسيحَ. قال: فَرَجَعَتْ إلىٰ أُخْتِها، وصَعِدَ جبريلُ، فأَخْبَرَتْها عن جبريل، وما قال لها من أَمْرِ الغَيْضَةَ. فلمَّا كان ذلك اليومُ، ذهبت فوجدَتْ عيسىٰ في الغَيْضَةَ، فلمّا رآها أسْرَعَ إليها، فأَكَبَّ عليها، فَقَبَّلَ رَأْسها، وجعلَ يدْعُو لها كما كان يفعَلُ، وقال: يا أُمَّه، إِنَّ القومَ لم يقْتُلوني، ولكنَّ اللهَ رَفَعَني إليه، وأذنَ لي في لقائك، والموتُ يأتيك قريبًا، فاصْبري واذْكُري اللهَ. ثُمَّ صَعَدَ عيسىٰ فلم تَلْقَه إلاَّ تلك المرَّةَ حتىٰ ماتتْ. قال: وبلغني أَنَّ مريمَ بَقِيَتْ بعدَ عيسىٰ خَمْسَ سنينَ، وماتَتْ ولها ثلاثٌ وخمسون سَنَةً، رضي اللهُ عنها وأَرْضَاها.

وقال الحَسَنُ البَصْريُّ: كان عُمْرُ عيسىٰ، عليه السَّلامُ، يومَ رُفِعَ، أربعًا وثلاثين سَنةً. وفي الحديثِ: **«إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَدْخُلُونها جُرْدًا مُرْدًا مُكحَّلِينَ، أبناءَ ثلاث وثلاثين سَنَةً»**[1]. وفي الحديثِ الآخرِ: **«على ميلاد عيسى، وحُسْنِ يوسفَ»**[2]، وكذا قال حمادُ بنُ سَلَمَةَ، عَنْ عليِّ بنِ زيدٍ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، أَنَّه قال: رُفِعَ عيسىٰ وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً.

فأمَّا الحديثُ الذي رواه الحاكمُ في «مُستَدْرَكه»، ويعقوبُ بنُ سُفْيانَ الفَسَوِيُّ في «تاريخِه»، عن سعيدِ بنِ أبي مريمَ، عنْ نافعِ بنِ يزيدَ، عن عُمارَةَ بنِ غَزِيَّةَ، عن محمدِ بنِ عبدِ الله بنِ عمرِو بنِ عثمانَ، أَنَّ أُمَّه فاطمةَ بنت الحُسَيْنِ، حدَّثَتْه أنَّ عائشةَ كانت تقولُ: أَخْبَرَتْني فاطمةُ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ

---

(١) **حسن بمجموع طرقه**: رواه أحمد (المسند ٢/ ١٩٥) وابن أبي شيبة (٨/ ٧٥) من رواية علي بن زيد ابن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة وعلته علي متكلم فيه وله شاهد رواه الترمذي (٢٥٣٩) وفيه شهر بن حوشب يصلح في المتابعات وهذا منها فيحسن الحديث من طريق أبي هريرة. قال الترمذي: حسن غريب. وقد ورد من طرق عن عدة من الصحابة وكل طريق لا يخلو من مقال منهم معاذ ابن جبل عند أحمد (٥/ ٢٤٣) والترمذي (٢٥٤٥). ومنهم المقدام، وأنس عند الطبراني.

(٢) **في إسناده ضعف**: ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٢١٥).

أَخْبَرَهَا أَنَّه : «لم يكنْ نبيٌّ كان بعدَه نبيٌّ إلاَّ عاش الذي بعده نصف عُمرِ الذي كان قبله، وأنه أخبرني: أن عيسى ابن مريم عاش عشرين ومائةَ سنة، فلا أراني إلا ذاهبٌ على رأسِ ستِّين» [1] . هذا لفظُ الفَسَوِيِّ؛ فهو حديثٌ غريبٌ .

قال الحافظُ ابنُ عساكرَ: والصَّحيحُ أنَّ عيسىٰ لم يبلغْ هذا العُمْرَ، وإنَّما أرادَ به مُدَّةَ مُقامِه في أُمَّتِه، كما رَوَىٰ سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عن عَمْرِو بنِ دينارٍ، عن يَحْيَىٰ بنِ جَعْدَةَ، قال: قالت فَاطمةُ: قال لي رسولُ الله ﷺ: «إنّ عيسى ابنَ مريمَ مكثَ في بني إسرائيل أربعينَ سَنَةً» [2] . وهذا مُنْقَطعٌ. وقال جريرٌ، والثَّوْرِيُّ، عن الأَعْمَشِ عن إبراهيمَ: مَكَثَ عيسىٰ في قومه أربعينَ عامًا. ويُرْوَىٰ عن أميرِ المؤمنين عَليٍّ، أنَّ عيسىٰ، عليه السلامُ، رُفعَ ليلةَ الثاني والعشرين من رمضانَ، وتلك الليلةُ في مثلها تُوُفِّيَ عليٌّ بعد طَعْنِه بخَمْسَةِ أيَّام. وقد رَوَىٰ الضَّحَّاكُ [3] ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ عيسىٰ لَمَّا رُفعَ إلىٰ السماء جاءتْه سَحَابَةٌ فَدنَتْ منه حتىٰ جلسَ عليها، وجاءتْه مريمُ فودَّعَتْه وبَكَتْ، ثم رُفعَ وهي تنظرُ إليه وأَلْقَىٰ إليها عيسىٰ بُرْدًا له، وقالَ: هذا عَلاَمَةُ ما بَيْني وبينَكِ يومَ القيامة. وأَلْقَىٰ عِمامَتَه إلىٰ شَمْعونَ، وجعلتْ أُمُّه تُوَدِّعُه بأُصْبُعها، تُشيرُ بها إليه حتىٰ غابَ عنها. وكانت تُحبُّه حُبًّا شديدًا؛ لأَنَّه توفَّرَ عليها حُبُّه من جِهَتَي الوالدَيْنِ إذْ لا أَبَ له، وكانت لا تُفارِقُه سَفَرًا ولا حَضَرًا. قال بعضُ الشُّعَراء:

وكنتُ أرى كالموت من بين ساعةٍ فكيف ببَيْنٍ كانَ مَوعدَه الحشْرُ

وذكر إسحاقُ بنُ بِشْرٍ [4] ، عن مُجاهدِ بن جَبْرٍ، أنَّ اليهودَ لَمَّا صَلَبُوا ذلك الرَّجُلَ الذي شُبِّهَ لهم، وهم يَحْسَبونه المسيحَ، وَسَلَّم لهم أكثرُ النَّصارَىٰ؛ بجهلهمْ ذلك، تَسَلَّطُوا علىٰ أصحابِه بالقَتْلِ والضَّرْبِ والحَبْسِ فبلغَ أمْرهم إلىٰ صاحبِ الرُّومِ، وهو مَلِكُ دِمَشْقَ في ذلك الزَّمانِ، فقيل له: إنَّ اليَهُودَ قد تَسَلَّطوا علىٰ أصحابِ رَجُلٍ كانَ يَذْكُر لهم أنَّه رسولُ الله، وكان يُحْيِي الموتىٰ، ويُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ، ويفعلُ العجائبَ، فَعَدَوْا عليه فقتلُوهُ، وأهانُوا أَصْحَابَه وحبسُوهم. فبعثَ فَجِيءَ بهم، وفيهمْ يحيَىٰ بنُ زكريَّا، وشَمْعُونُ، وجماعةٌ، فسألهم عن أَمْرِ المسيحِ، فأَخْبَرُوه عنه، فتابَعَهُم في دينهم، وأَعْلَىٰ كلمتَهم، وظَهَرَ الحقُّ علىٰ اليهود، وَعَلَتْ كلمةُ النَّصارَىٰ عليهم، وبَعَثَ إلىٰ المصْلوبِ فَوُضعَ عن جِذْعِه، وجِيءَ بالجِذْعِ الذي صُلِبَ عليه ذلكَ الرَّجلُ، فعظَّمَه، فَمِن ثَمَّ عَظَّمَت النَّصارَىٰ الصَّليبَ، ومن ههنا دَخَلَ دينُ النَّصْرانيَّةِ في الرُّومِ. وفي هذا نَظَرٌ من وجوهٍ؛ أَحَدُها: أنَّ يَحْيَىٰ بنَ زكريّا نبيٌّ، لا يُقِرُّ علىٰ أَنَّ المصلوبَ عيسىٰ؛ فإنَّه مَعصُومٌ يعلمُ ما وَقَعَ علىٰ جِهَةِ الحَقِّ.

---

(١) ضعيف: رواه الطبراني في «الكبير» من نفس الطريق (٢٢ح/ ١٠٣١) ومن طريق آخر (١٠٣٠) فيه متهم وهو عبد الكريم بن يعفور وضعفاء وهم جابر الجعفي وغيره محمد بن عثمان. والسند أعلاه فيه عمارة بن غزية ضعيف، وجهالة فاطمة بنت الحسين.

(٢) ضعيف: رواه أبو يعلى (٦٧٤٢) وفيه الحسين بن الأسود شيخ أبي يعلى ضعيف والانقطاع بين يحيى بن جعدة وفاطمة رضي الله عنها فالحديث ضعيف.

(٣) ضعيف: هذا منقطع الضحاك لم يسمع من ابن عباس.

(٤) موضوع: إسحاق بن بشر متهم بالكذب.

الثاني: أنَّ الرُّومَ لم يدخلُوا في دينِ المسيحِ إلاَّ بعدَ ثَلثمائة سنةٍ، وذلك في زمانِ قسطنطينَ بنِ قسطسَ باني المدينة المنسوبة إليه على ما سَنَذْكُرُه.

الثالثُ: أنَّ اليهودَ لَمَّا صَلَبوا ذلك الرَّجُلَ، ثُم ألقَوْه بخَشَبَتِه جعَلُوا مكانَه مَطْرَحًا للقُمامَةِ والنَّجاسَةِ وَجِيَفِ المَيْتاتِ والقاذوراتِ، فلم يزَلْ كذلكَ حتىٰ كان في زمانِ قسطنطينَ المذكورِ، فَعَمَدَتْ أُمُّه هيلانةُ الحرَّانيَّةُ الفندقانيةُ فاستَخْرَجَتْه من هُنالك معتقدةً أنَّه المسيحُ، ووجدوا الخشَبَةَ التي صُلِبَ عليها المصْلوبُ، فذكرُوا أنَّه ما مَسَّها ذُو عاهَةٍ إلا عُوفِي. فاللهُ أعلمُ أكَانَ هذا أمْ لا؟ وهَلْ كان هذا؛ لأنَّ ذلك الرجلَ الذي بذلَ نَفْسَه كان رجلاً صالحًا، أو كان هذا محْنَةً وفتنةً لأُمَّةِ النَّصارَىٰ في ذلك اليوم؟ حتىٰ عَظَّموا تلك الخشَبَةَ، وغَشَّوْها بالذَّهبِ واللآلئ، ومن ثَمَّ اتخذُوا الصُّلْبانات، وتَبرَّكوا بشَكْلِها وقَبَّلُوها لَعَنَهم اللهُ، وأَمَرَتْ أُمُّ الملكِ هيلانةُ فَأُزِيلَتْ تلك القُمامةُ، وبُني مكانَها كنيسةٌ هائلةٌ مزخرَفَةٌ بأنواعِ الزِّينة. فهي هذه المشهورةُ اليومَ ببلدِ بَيْتِ المقْدسِ، التي يُقَالُ لها: القُمامةُ. باعتبارِ ما كان عندَها، ويُسَمُّونها القيامةَ، يعنون التي يقومُ جَسَدُ المسيحِ منها، ثم أَمَرَتْ هيلانةُ بأَنْ تُوضَعَ قُمامَةُ البَلَدِ، وكُناسَتُه وقاذوراتُه علىٰ الصَّخْرةِ التي هي قِبْلةُ اليهودِ، فلم تَزَلْ كذلك حتىٰ فتحَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ، رَضِيَ اللهُ عنه، بيْتَ المَقْدسِ، فكَنَسَ عنها القُمامَةَ بِرِدائه، وطَهَّرها من الأَخْبَاثِ والأَنْجاسِ، ولم يضعِ المسجدَ وراءَها، ولكن أمامَها، حيثُ صَلَّىٰ رسولُ اللهِ ﷺ، ليلةَ الإسراءِ بالأنبياءِ، وهو الأَقْصَىٰ.

صفة عيسى، عليه السَّلامُ، وشمائله وفضائله

قال اللهُ تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ قيل: سُمِّيَ المسيحَ؛ لِمَسْحِه الأَرْضَ، وهو سياحتُه فيها، وفِرَارِه بدينِه من الفِتَنِ في ذلك الزَّمانِ؛ لشدَّةِ تَكْذيبِ اليهودِ له، وافترائهم عليه وعلىٰ أُمِّه، عليهما السَّلامُ. وقيل: لأنَّه كان مَمْسوحَ القَدَمَيْنِ.

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]. والآياتُ في ذلك كثيرةٌ جدًا. وقد تَقَدَّمَ ما ثَبَتَ في «الصَّحيحَيْن»[(١)]: «مَا مِنْ مُولُودٍ إلاَّ والشَّيْطَانُ يَطعَنُ في خَاصِرَتِه حِينَ يُولدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا إلاَّ مَرْيَمَ وابْنَهَا، ذهبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ في الحِجابِ». وَتَقَدَّمَ حديثُ عُميرِ بنِ هانئٍ، عن جُنادةَ، عن عُبادةَ، عن رسولِ اللهِ ﷺ، أنَّه قال: «مَن شَهِدَ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحْدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه، وكلمتُه التي ألْقَاها إلى مريمَ، وروحٌ منه، والجنَّةَ حَقٌّ، والنَّارَ حقٌّ، أدْخَلَه اللهُ الجنَّةَ على ما كان من العَمَلِ». رواه البُخاريُّ، وهذا لفظُه، ومُسْلمٌ[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه في قصة ميلاد مريم عليها السلام.

(٢) سبق تخريجه في قصة عيسى باب نفي الولد عن الله سبحانه.

وروى البُخاريُّ، ومسلمٌ[١]، من حديث الشَّعْبيِّ، عن أبي بُرْدَةَ بن أبي موسى، عن أبيه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا أدَّبَ الرَّجلُ أمَتَه، فأحْسَنَ تأديبَها، وعلَّمَها فأحْسَنَ تعليمَها، ثُم أعتَقَها، فتزوَّجَها كان له أجْران، وإذا آمنَ بعيسى ابنِ مريمَ ثُم آمَنَ بي، فلَه أجْران، والعبدُ إذا اتَّقى ربَّه وأطاعَ مواليه، فله أجْران**». هذا لفظُ البُخاريِّ.

وقال البُخاريُّ[٢]: حدَّثنا إبراهيمُ بنُ موسى، أنبأنا هشامٌ، عن مَعْمَر (ح) وحدَّثني محمودٌ، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاق، أنبأنا مَعْمَرٌ، عن الزُّهْريِّ، أخبرني سعيدُ بنُ المسيَّب، عن أبي هريرةَ، قال: قال النَّبيُّ ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ به: «**لَقيتُ موسى**». قال: فنَعَتَه فإذا رجلٌ حسبتُه قال: «**مُضْطَرِبٌ رَجِلُ الرأسِ، كأنَّه من رجال شَنُوءَةَ**». قال: «**ولَقيتُ عيسى**». فنَعَتَه النبيُّ ﷺ، فقال: «**رَبْعَةٌ أحْمَرُ، كأنَّما خرجَ من ديماس - يَعْني الحمَّامَ - ورأيتُ إبراهيمَ وأنا أشْبَهُ وَلَده به**». الحديث. وقد تقدَّمَ في قِصَّتَيْ إبراهيمَ وموسى. ثُمَّ قال: حدَّثنا محمدُ بنُ كثير، أنبأنا إسرائيلُ، عن عثمانَ بنِ المُغيرة، عن مُجاهد، عن ابنِ عُمَرَ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «**رأيتُ عيسى، وموسى، وإبراهيمَ؛ فأمَّا عيسى فأحْمرُ جَعْدٌ عريضُ الصَّدْر، وأمَّا موسى فآدَمُ جَسيمٌ سَبْطٌ كأنَّهُ من رجال الزُّطِّ**». تفرَّدَ به البخاريُّ.

وحدَّثنا إبراهيمُ بنُ المُنْذر، حدَّثنا أبو ضَمْرَةَ، حدثنا موسى بنُ عُقْبة، عن نافع، قال: قال عبدُ الله ابن عُمَرَ: ذَكَرَ النبيُّ ﷺ، يومًا بينَ ظَهْرَانَي النَّاسِ المسيحَ الدَّجَّالَ، فقال: «**إن اللهَ ليس بأعْوَرَ، ألا إنَّ المسيحَ الدَّجالَ أعْورُ العينِ اليُمْنَى، كأنَّ عينَه عِنَبَةٌ طافيةٌ، وأراني الليلةَ عندَ الكَعْبة في المنام، فإذا رجلٌ آدَمُ كأحسنِ ما يُرَى من أُدْمِ الرِّجال، تَضْرِبُ لِمَّتُه بينَ مَنْكِبَيْه، رَجِلُ الشَّعْر، يَقْطُرُ رأسُهُ ماءً، واضعًا يَدَيْه على مَنْكِبَيْ رَجُلَيْن، وهو يطوفُ بالبيت، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: المسيحُ ابنُ مريمَ. ثم رأيتُ رَجُلاً وراءَه جَعْدًا قَطَطًا أعْورَ عينِ اليُمْنَى كأشْبَهِ مَنْ رأيتُ بابن قَطَن، واضعًا يدَيه على مَنْكِبَي رَجُل يطوفُ بالبيت، فقلتُ: مَنْ هذا؟ فقالوا: المسيحُ الدَّجَّالُ**» ورواه مسلمٌ[٣] من حديثِ موسى بنِ عُقْبَةَ. ثم قال البُخاريُّ تابعه عُبَيْدُ الله بنُ نافع. ثُمَّ ساقَهُ من طريق الزُّهريِّ، عن سالم، عن ابنِ عُمَرَ. قال الزُّهريُّ: وابنُ قَطَن رجلٌ من خُزَاعةَ، هَلَكَ في الجاهلية. فَبَيَّنَ، صلواتُ الله وسلامُه عليه، صِفَةَ المسيحَيْن؛ مَسيحِ الهُدَى ومسيحِ الضَّلالة لِيُعْرَفَ هذا إذا نزلَ، فيؤمنَ به المؤمنون، ويُعْرَفَ الآخرُ فيحذَرَه الموحِّدون.

وقال البخاريُّ[٤]: حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمد، حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاق، أنبأنا مَعْمَرٌ، عن هَمَّام بنِ مُنَبِّه، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال «**رأى عيسى ابن مريم رجلاً يَسْرِقُ، فقال له: أسَرَقْتَ؟ قال: كَلاَّ، والذي لا إلهَ إلاَّ هُو. فقال عيسى: آمنتُ بالله وكذَّبْتُ عَيْنَيَّ**». وكذا رواه مسلمٌ عن محمدِ بنِ رافع، عن عبدِ الرَّزَّاق.

---

(١) متفق عليه: البخاري (٩٧) ومسلم (٣٨٥).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) متفق عليه: البخاري (٣٤٤٤) ومسلم (٦٠٨٩).

وقال أحمد[١] : حدَّثنا عفَّانُ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن حُمَيْدٍ الطَّويلِ، عن الحسنِ وغيرِه، عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: ولا أعلمُه إلاَّ عن النبيِّ ﷺ، قال: «رأى عيسى رجلاً يَسْرِقُ، فقال: يا فلانُ، أسَرَقْتَ؟ فقال: لا، والله ما سَرَقْتُ. قال: آمنتُ بالله وكذَّبتُ بَصَري». وهذا يدلُّ على سَجيَّةٍ طاهرةٍ؛ حيثُ قَدَّمَ حَلفَ ذلك الرَّجُلِ - وظَنَّ أنَّ أحداً لا يَحْلفُ بعظمةِ الله كاذباً - على ما شاهدَه منه عياناً، فقَبِلَ عُذْرَه، ورَجَعَ على نفسِه، فقال: آمنتُ بالله. أيْ، صدَّقْتُكَ. وكَذَّبْتُ بَصَري؛ لأجْلِ حَلفِك.

وقال البخاري[٢] : حدَّثنا محمدُ بنُ يوسفَ، حدَّثنا سفيانُ، عن المُغيرةِ بنِ النُّعْمانِ، عن سعيدِ ابنِ جُبَيْرٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تُحْشَرونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً». ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ فأولُ الخَلْقِ يُكْسَى إبراهيمُ، ثم يُؤْخَذُ برجالٍ من أصْحابي ذاتَ اليمينِ وذاتَ الشِّمالِ، فأقولُ: أصحابي. فيُقَالُ: إنَّهم لم يَزالُوا مُرْتدِّينَ على أعقَابِهم منذُ فارَقْتَهم. فأقولُ كما قال العبدُ الصالحُ عيسى ابنُ مريمَ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾». تَفَرَّدَ به دونَ مسلمٍ من هذا الوَجْهِ.

وقال أيضاً[٣] : حدَّثنا عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ الحُمَيْديُّ، حدَّثنا سُفيانُ، سمعتُ الزُّهْرِيَّ، يقولُ: أخبرني عُبَيْدُ الله بنُ عبد الله، عن ابنِ عباسٍ، سَمِعَ عُمَرَ يقولُ على المِنْبَرِ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لا تُطْرُوني كما أَطْرَت النَّصارَى عيسى ابنَ مريمَ، فإنَّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه».

وقال البُخاري[٤] : حدَّثنا مُسْلِمُ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا جريرُ بنُ حازمٍ، عن محمدِ بنِ سيرينَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لم يَتَكَلَّمْ في المَهْدِ إلاَّ ثلاثةٌ؛ عيسى، وكان في بني إسرائيلَ رجلٌ يُقَالُ له: جُرَيْجٌ. يُصَلِّي، إذ جاءتْه أُمُّه فَدَعَتْه، فقال: أُجيبُها أَوْ أُصَلِّي؟ فقالت: اللهمَّ لا تُمِتْه حتى تُريَه وُجُوهَ المُومِسَاتِ. وكان جُرَيْجٌ في صومعته، فتَعَرَّضَتْ له امرأةٌ وكَلَّمَتْه، فأَبَى، فأَتَتْ راعياً فأَمْكَنَتْه من نفسِها، فَوَلَدَتْ غُلاماً، فقيلَ لها: ممَّن؟ فقالت: من جُرَيْجٍ. فأَتَوْه وكَسَرُوا صَوْمَعَتَه، فأَنْزَلُوه وسَبُّوه، فتوضَّأَ وصلَّى، ثُم أتى الغلامَ، فقال: مَن أبوكَ يا غُلامُ؟ قال: فلانٌ الرَّاعي. قالوا: أَنَبْني صَوْمَعَتَك من ذَهَبٍ؟ قال: لا، إلاَّ من طين. وكانت امرأةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لها في بني إسرائيلَ، فَمَرَّ بها رَجُلٌ ذُو شَارَةٍ، فقالت: اللَّهمَّ اجْعل ابني مثلَه. فتركَ ثَدْيَها وأَقْبَلَ على الرَّاكبِ، فقال: اللهمَّ لا تجعلني مثْلَه. ثم أقبلَ على ثَدْيِها يَمَصُّه». قال أبو هريرةَ: كأنِّي أنظرُ إلى النبيِّ ﷺ، يَمَصُّ أُصْبُعَه: «ثُم مُرَّ بأَمَةٍ، فقالَتْ: اللهمَّ لا تجعلِ ابني مثْلَ هذه. فتركَ ثَدْيَهَا، فقالَ: اللَّهمَّ اجْعلني مثْلَها. فقالت: لمَ ذلك؟ فقال: الرَّاكبُ جبَّارٌ من الجبابرةِ، وهذه الأَمَةُ يقولون: سَرَقْتِ وزَنَيْتِ. ولم تَفْعلْ».

---

(١) صحيح لغيره: المسند (٣/ ٣٨٣) في سنده الحسن لم يسمع من أبي هريرة والمتابع له مبهم لكن يشهد له السابق.
(٢) صحيح: البخاري (٣٤٤٧).
(٣) صحيح: البخاري (٣٤٤٥).
(٤) صحيح: البخاري (٣٤٣٦).

وقال البُخاري(١) : حدَّثنا أبو اليمان، حدَّثنا شُعَيبٌ، عن الزُّهْرِيُّ، أخبرني أبو سَلَمَةَ، أنَّ أبا هُرَيرةَ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: **«أنا أولَى النَّاس بابنِ مريمَ والأنبياءُ أولادُ علاَّت، ليس بَيْني وبيْنَه نبيٌّ»**. تفرَّدَ به البُخاريُّ من هذا الوَجْه. ورواهُ ابنُ حِبَّانَ في «صحيحه»، من حديث أبي داودَ الحَفَري، عن الثَّوْرِيِّ عن أبي الزِّنادِ عن الأعْرجِ، عن أبي سَلَمةَ، عن أبي هريرةَ.

وقال أحمدُ(٢) : حدَّثنا وكيعٌ، حدَّثنا سفيانُ، هو الثَّوْرِيُّ، عن أبي الزِّناد، عن الأعْرجِ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أنا أولَى النَّاس بعيسى، عليه السلامُ، والأنبياءُ إخوةٌ أولادُ علاَّت، وليس بيني وبينَ عيسى نبيٌّ»**. وهذا إسْنادٌ صحيحٌ علىٰ شرْطِهما، ولم يُخرِجُوه من هذا الوجه.

وأخرَجَه أحمدُ، عن عبدِ الرَّزَّاق، عن مَعْمَر، عن هَمَّام، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، بنحْوِه. وأخرجه ابن حبان من حديث عبد الرزاق به بنحوه.

وقالَ أحمدُ(٣) : حدَّثنا يَحْيَىٰ، عن ابنِ أبي عَرُوبَةَ، حَدَّثنا قَتادةُ، عن عبدِ الرَّحْمنِ بنِ آدمَ، عن أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: **«الأنبياءُ إخوةٌ لعلاَّت، دينُهم واحدٌ وأمهاتُهم شتَّى، وأنا أولَى الناس بعيسى ابن مريمَ؛ لأنَّه لم يكنْ بيْني وبيْنَه نبيٌّ، وإنَّه نازلٌ، فإذا رأيْتموه فاعْرفوه، فإنَّه رجلٌ مَرْبوعٌ إلى الحُمْرَة والبياض، سَبْطٌ، كأنَّ رأسَهُ يَقْطُرُ، وإنْ لم يُصبْه بَلَلٌ، بين مُمَصَّرَتَيْنِ فَيَكْسرُ الصَّليبَ، ويَقْتلُ الخنْزيرَ، ويَضَعُ الجزْيَةَ، ويُعَطِّلُ المِلَلَ، حتى تَهْلكَ في زمانه المللُ كلُّها غيرَ الإسلام، ويُهْلكُ اللهُ في زمانه المسيحَ الدَّجَّالَ الكذَّابَ، وتقعُ الأمَنَةُ في الأرْضِ حتى تَرْتَعَ الإبلُ مع الأُسْدِ جميعًا، والنُّمورُ مع البَقَرِ، والذِّئابُ مع الغنَم، ويلعبُ الصِّبْيانُ والغلْمانُ بالحيَّات، لا يَضُرُّ بعضُهم بعضًا، فَيَمْكُثُ ما شاء اللهُ أنْ يمكُثَ، ثُمَّ يُتَوفَّى، فَيُصلِّي عليه المسلمون، ويَدْفنُونَه»**. ثم رَواه أحْمَدُ عن عَفَّانَ، عن همَّام، عن قَتادَةَ، عن عبدِ الرَّحْمنِ، عن أبي هُرَيْرَةَ، فذكر نَحْوَه. وقالَ: **«فيمكُثُ أرْبعينَ سنةً، ثم يُتَوفَّى ويُصلِّي عليه المسلمون»**. ورَواه أبو داودَ، عن هُدْبَةَ بنِ خالد، عن همَّام بن يَحْيَىٰ به نَحْوَه. وروىٰ هشامُ بنُ عُروةَ، عن صالحِ مَوْلىٰ أبي هُرَيْرَةَ، عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: **«فيمكُثُ في الأرض أربعين سنةً»**(٤) . وسيأتي بيانُ نزوله، عليه السَّلامُ، في آخرِ الزَّمان في كتاب «الملاحم»، كما بَسَطْنا ذلك أيضًا في «التفسير» عندَ قوله تعالَىٰ في سورة «النِّساء»: ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾. وقوله: ﴿ **وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** ﴾ الآية [الزخرف: ٦١]. وإنَّه يَنْزِلُ علىٰ المَنارة البَيضاء بدِمَشقَ، وقد أقيمتْ صلاةُ الصُّبْح، فيقولُ له إمامُ المسْلمين: تَقَدم يا رُوحَ الله فَصَلِّ. فيقول: لا، بعضكم علىٰ بعض أمراء تكرمةَ الله هذه الأمة. وفي رواية: فيقولُ له عيسىٰ: إنَّما أُقيمتِ الصَّلاةُ لَكَ. فَيُصلِّي خَلْفَه، ثُم يَرْكبُ ومعه المسلمون في طَلَبِ المسيح الدَّجَّال، فيلْحَقُه عندَ

---

(١) صحيح: البخاري (٣٤٤٢)، ابن حبان (٦١٩٥) بترتيب ابن بلبان.
(٢) صحيح: احمد (٢/٤٦٣)، (٢/٣١٩).
(٣) صحيح: المسند (٢/٤٣٧)، (٢/٤٠٦)، أبو داود (٤٣٢٤).
(٤) اللفظة صحيحة كما في الحديث السابق ولم أقف عليه على هذا الإسناد.

باب لُدٍّ، فيقتُلُه بيدِه الكريمةِ[1] . وذكرنا أنَّه قَوِيَ الرَّجاءُ حينَ بُنِيَتْ هذه المنارةُ الشَّرْقيَّةُ بدمَشقَ التي هي مِن حِجارةٍ بيضٍ، وقد بُنِيَتْ أيضًا من أموالِ النَّصارىٰ حينَ حَرَقوا التي هُدِمَتْ وما حَوْلَها، فينزِلُ عليها عيسىٰ ابنُ مريمَ، عليه السلامُ، فيقتُلُ الخنزيرَ، ويَكْسِرُ الصَّليبَ، ولا يَقْبَلُ من أحَدٍ إلاَّ الإسلامَ، وأنه يَحُجُّ مِن فَجِّ الرَّوْحَاءِ، حاجًّا أو مُعْتَمِرًا، أو لِثْنَتَيْهِمَا، ويُقيمُ أربعينَ سنةً ثُم يموتُ فيُدْفَنُ فيما قيلَ في الحُجْرَةِ النبويَّةِ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ، وصاحِبَيْهِ. وقد وَرَدَ في ذلك حديثٌ ذَكَرَه ابنُ عساكرَ في آخرِ ترجمةِ المسيحِ، عليه السلامُ، في كتابِه، عن عائشةَ مرفوعًا، أنَّه يُدْفَنُ مع رسولِ اللهِ ﷺ، وأبي بكرٍ وعُمَرَ في الحُجْرَةِ النَّبويَّةِ، ولكن لا يصحُّ إسنادُهُ.

وقال أبو عيسى التِّرْمذيُّ[2] : حدَّثنا زيدُ بنُ أَخْزمَ الطائيُّ حدَّثنا أبو قُتَيْبَةَ سَلْمُ بنُ قُتَيْبَةَ، حدَّثني أبو مَوْدُودٍ المَدَنيُّ، حدَّثنا عثمانُ بنُ الضَّحَّاكِ، عن محمدِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: مكتوبٌ في التَّوْرَاةِ صِفَةُ محمدٍ، وعيسىٰ ابنُ مريمَ، عليهما السَّلامُ، يُدْفَنُ معه. قال أبو مَوْدُودٍ: وقد بَقِيَ في البيْتِ موضعُ قبرٍ. ثم قال التِّرْمذيُّ: هذا حديثٌ حَسَنٌ. كذا قال. والصَّوابُ الضَّحَّاكُ بنُ عثمانَ المَدَنيُّ. وقال البُخاريُّ: هذا الحديثُ لا يصحُّ عِنْدِي، ولا يُتَابَعُ عليه.

وروى البُخاريُّ[3] عن يَحْيىٰ بنِ حمادٍ، عن أبي عَوَانَةَ، عن عاصمٍ الأَحْولِ، عن أبي عثمانَ النَّهْدِيِّ، عن سَلْمانَ، قال: الفترةُ ما بينَ عيسىٰ ومحمّدٍ ﷺ، ستُّمائة سنةٍ. وعن قَتادةَ: خَمْسُمائةٍ وستونَ سنةً وقيلَ: خَمْسُمائةٍ وأربعونَ سَنَةً. وعن الضَّحَّاكِ: أَرْبَعُمائةٍ وبِضْعٌ وثلاثونَ سنةً. والمشهورُ ستُّمائةِ سنةٍ. ومنهم من يقولُ: سِتُّمائةٍ وعشرونَ سنةً بالقَمَريَّةِ فَتَكونُ سِتَّمائةٍ بالشَّمْسِيَّةِ. واللهُ أعلمُ.

وقال ابنُ حبَّانَ في «صحيحه»[4] : ذِكْرُ المدَّةِ التي بقيتْ فيها أُمَّةُ عيسىٰ علىٰ هَدْيِه. حدَّثنا أبو يَعْلىٰ، حدَّثنا أبو همَّامٍ، حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، عن الهَيْثَمِ بنِ حُمَيْدٍ، عن الوَضِينِ بنِ عَطَاءٍ، عن نصرِ بنِ عَلْقَمَةَ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ، عن أبي الدَّرْدَاءِ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: **«لَقَدْ قبضَ اللهُ داودَ مِن بينِ أصحابِه، فَما فُتِنُوا ولا بَدَّلوا، ولقد مَكَثَ أصْحابُ المسيحِ على سُنَّتِه وهَدْيِه مائتَيْ سنة»**. وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا، وإن صحَّحه ابنُ حِبَّانَ. وذكر ابنُ جريرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، أنَّ عيسىٰ، عليه السلامُ، قبْلَ أن يُرْفَعَ وَصَّىٰ الحواريِّين بأن يَدعُوا النَّاسَ إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، وعَيَّن كُلَّ واحدٍ منهم إلىٰ طائفةٍ من النَّاسِ في إقليمٍ من الأقاليمِ مِن الشَّامِ، والمشْرقِ، وبلادِ المغْرِبِ، فذكَرُوا أنَّه أصبحَ كُلُّ إنسانٍ منهم يَتَكَلَّمُ بلغةِ الذين أرْسَلَه المسيحُ إليهم. وذَكَرَ غيرُ واحدٍ أن الإنجيلَ نقلَه عنه أربعةٌ؛ لُوقَا، ومَتَّىٰ، ومُرْقُسُ، ويُوحَنَّا. وبينَ هذه الأناجيلِ الأربعةِ تفاوُتٌ كثيرٌ بالنسبةِ إلىٰ

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٧٢٩٩) من حديث النواس بن سمعان مطولاً: أبو داود (٤٣٢١) الترمذي (٢٢٤١) وابن ماجه (٤٠٧٥).

(٢) **ضعيف**: الترمذي (٣٦١٧) وانظر كلام البخاري أعلاه وكفى به. علته محمد بن يوسف، لين الحديث.

(٣) **صحيح**: البخاري (٣٩٤٨).

(٤) **ضعيف**: سبق تخريجه في قصة داود .

كُلِّ نسخةٍ ونسخةٍ، وزياداتٌ كثيرةٌ ونقصٌ بالنسبةِ إلىٰ الأُخرَىٰ، وهؤلاء الأربعةُ منهم اثنان أدْركَ المسيحَ ورآهُ، وهُما متّىٰ ويوحنّا ومنهم اثْنان مِن أصْحابِ أصحابِه. واللهُ أعلمُ. وهما مُرْقسُ ولُوقا.

وكانَ ممّن آمنَ بالمسيحِ وصَدَّقَه من أهْلِ دمَشْقَ رجلٌ يقالُ له: ضينا، وكان مُخْتَفيًا في مَغَارَةٍ داخلَ البابِ الشَّرْقيِّ قريبًا مِن الكنيسةِ المُصلَّبةِ؛ خوفًا مِن بولصَ اليهوديِّ، وكان ظالمًا غاشمًا مُبْغِضًا للمسيحِ، ولمَا جاءَ به. وكان قد حَلَقَ رأسَ ابنِ أخيه حين آمنَ بالمسيحِ، وطافَ به في البلدِ، ثم رَجَمَه حتىٰ ماتَ، رحمَهُ اللهُ. ولمَّا سمعَ بولصُ أنَّ المسيحَ، عليه السلامُ، قد توجَّهَ نحوَ دمَشْقَ جَهَّزَ بغَالَه وخرجَ ليَقْتُلَه فتلقَّاه عندَ كوكبا، فلمّا واجهَ أصحابَ المسيحِ جاءَ إليه مَلَكٌ فضربَ وجْهَه بطَرَفِ جَناحِه فأعْماهُ، فلمّا رأىٰ ذلك وقع في نفْسِه تصديقُ المسيحِ، فجاء إليه واعْتذَرَ ممَّا صَنَع، وآمن به فَقَبِلَ منه، وسأَلَهُ أنْ يَمسحَ عينَيْه؛ ليَرُدَّ اللهُ عليه بصرَه، فقال: اذْهبْ إلىٰ ضِينا عندك بدمَشْقَ في طَرَفِ السُّوقِ المسْتطيلِ من المشْرقِ، فهو يَدعُو لك. فجاء إليه فدَعَا، فردَّ عليه بَصَرُه، وحَسُنَ إيمانُ بولصَ بالمسيحِ، عليه السلامُ، أنَّه عبدُ الله ورسولُه، وبُنِيتْ له كنيسةٌ باسْمِه، فهي كنيسةُ بولصَ المشهورةُ بدمَشْقَ، مِن زَمَنِ فتحِها الصَّحابةُ، رَضِيَ اللهُ عنهم، حتىٰ خَرِبَتْ في الزَّمانِ الذي سنُورِدُه. إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

فصل

اختلف أصحابُ المسيحِ، عليه السَّلامُ - بعدَ رَفْعه إلىٰ السماءِ - فيه علىٰ أقوالٍ، كما قالَه ابنُ عباسٍ وغيرُه من أئمَّةِ السَّلَفِ، كما أوْرَدْناه عندَ قوله: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾، قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه: قالَ قائلونَ منهم: كان فينا عبدُ الله ورسولُه، فَرُفعَ إلىٰ السماءِ. وقال آخرونَ: هو اللهُ. وقال آخرون: هو ابنُ الله. فالأوَّلُ هو الحقُّ، والقَوْلان الآخَرَان كُفْرٌ عظيمٌ، كما قال: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [مريم: ٣٧]، وقد اختلفوا في نَقْلِ الأناجيلِ علىٰ أَرْبَعةِ أقاويلَ، ما بينَ زيادةٍ ونُقْصانٍ وتَحْريفٍ وتبديلٍ، ثم بعدَ المَسيحِ بثُلثِمائة سنةٍ حدَثَتْ فيه الطَّامَّةُ العُظْمىٰ، والبَلِيَّةُ الكبرىٰ اخْتلفَ البَطارقةُ الأَربعةُ وجميعُ الأساقفَةِ، والقساوسَةِ، والشَّمامِسةِ، والرَّهَابينِ في المسيحِ علىٰ أَقوالٍ مُتعدِّدَةٍ، لا تَنْحَصِرُ ولا تنضَبِطُ، واجْتمَعوا وتحاكَموا إلىٰ المَلِكِ قُسْطنطينَ، باني القُسْطَنْطِينةِ، ، وهم المَجْمَعُ الأوَّلُ، فصارَ المَلِكُ إلىٰ قَوْلِ أكْثَرِ فِرْقَةٍ اتَّفقتْ علىٰ قولٍ من تلك المقالاتِ، فَسُمُّوا الملائكةَ، ودَحَضَ مَن عَداهُم، وأبْعَدَهُمْ، وتَفَرَّدَت الفِرْقَةُ التَّابعةُ لعبدِ الله بنِ أديوسَ، الذي ثبت علىٰ أنَّ عيسىٰ عبدٌ من عبادِ الله، ورسولٌ من رُسله، فسَكَنُوا البَرَارِيَ والبَوادِيَ، وبَنَوُا الصَّوامعَ والدِّيَاراتِ والقَلاَّيَاتِ، وقَنَعُوا بالعَيْشِ الزَّهيدِ، ولم يُخَالطوا أولئكَ المِلَلَ والنِّحَلَ، وبنَت الملائكةُ الكنائسَ الهائلةَ، عمَدوا إلىٰ ما كان من بناءِ اليونانِ، فحوَّلوا محاريبَها إلىٰ الشَّرقِ، وقد كانت إلىٰ الشَّمالِ إلىٰ الجَدْيِ.

بيان بناء بيت لحم والقمامة

وبنىٰ الملكُ قُسطَنْطينُ بيتَ لحم علىٰ مَحَلِّ مَوْلِدِ المسيح، وبَنَتْ أُمُّهُ هيلانةُ القُمامَةَ، يعني علىٰ قبرِ المصْلوبِ، وهم يُسَلِّمونَ لليهودِ أنَّه المسيحُ، وقد كَفَرتْ هؤلاء وهؤلاء، ووضَعُوا القوانينَ والأحْكامَ، ومنها مُخالفٌ للعتيقةِ التي هي التوراةُ، وأَحَلُّوا أشياءَ هي حرامٌ بنصِّ التوراة، ومن ذلك الخنزيرُ، وصلَّوْا إلىٰ الشرقِ ولم يكنِ المسيحُ صَلَّىٰ إلاَّ إلىٰ صَخْرَةِ بيْتِ المقدسِ، وكذلك جميعُ الأنبياءِ بعدَ موسىٰ، ومحمدٌ خاتمُ النبيِّينَ صلَّىٰ إليها بعد هجْرَتِه إلىٰ المدينة، ستَّةَ عشَرَ أو سبعةَ عشَرَ شهراً، ثم حُوِّلَ إلىٰ الكعبة التي بناها إبراهيمُ الخليلُ، وصوَّروا الكنائس ولم تكن مُصوَّرةً قبلَ ذلك، ووضَعُوا العقيدةَ التي يحفَظُها أطفالُهم ونساؤُهم ورجالُهم التي يسمُّونها بالأمانةِ، وهي في الحقيقةِ أكبرُ الكفرِ والخيانة، وجميعُ الملَكيَّةِ والنَّسطوريّةِ أصحابِ نَسْطُورسَ أهلِ المجمعِ الثاني، واليعقوبيةِ أصحابِ يعقوبَ البراذعيِّ، أصحابِ المجمعِ الثالث، يعتقدون هذه العقيدةَ، ويختلفون في تفسيرِها، وها أنا أحْكيها، وحاكي الكفرِ ليس بكافرٍ، لأُبَيِّنَ، علىٰ ما فيها، ركةَ الألفاظِ وكثرةَ الكفرِ والخَبَالِ المُفْضي بصاحبِه إلىٰ النَّارِ ذاتِ الشُّواظِ؛ فيقولون، عليهم لعائنُ الله المتتابعةُ إلىٰ يومِ القيامة: نؤمنُ بإلهٍ واحدٍ ضَابطِ الكُلِّ خالقِ السَّماواتِ والأرضِ؛ كلِّ ما يُرىٰ، وكلِّ ما لا يُرىٰ، وبربٍّ واحدٍ يسوعَ المسيحِ ابنِ اللهِ، الوحيدِ المولودِ من الآبِ قبلَ الدُّهورِ، نورٍ من نورٍ إلهٍ حقٍّ، من إلهٍ حقٍّ، مولودٍ غيرِ مَخْلُوقٍ، مساوٍ للأَبِ في الجَوْهرِ الذي كان به كلُّ شيءٍ من أجْلنا، نحن البشَرَ، ومن أجلِ خَلاصِنا نَزَلَ من السَّماءِ، وتَجَسَّدَ من رُوحِ القُدُسِ، ومن مَرْيَمَ العَذْراءِ وتأنسَ، وصُلِبَ علىٰ عهدِ ملاطسَ النبطيِّ، وتألَّم وقُبِرَ، وقام في اليومِ الثالثِ، كما في الكتبِ، وصَعَدَ إلىٰ السَّماءِ، وجلس عن يمينِ الآبِ. وأيضًا فسيأتي بجسده؛ ليدينَ الأحياءَ والأمواتَ، الذي لا فناءَ لمُلْكه، ورُوحُ القُدُسِ الرَّبُّ المُحْيي المُنْبَثِقُ من الآبِ مع الابنِ، والابنُ مسجودٌ له، وبمجدِ الناطقِ في الأنبياءِ، كَنِسْبَةٍ واحدةٍ جامعةٍ مقدسةٍ يهوليَّةٍ، واعترفَ بمعموديَّةٍ واحدةٍ لمغفرةِ الخطايا، وأنه حيٌّ قيامةَ الموتىٰ وحياةَ الدهرِ العتيدِ كَوْنُه. آمين.

كتاب أخبار الماضين

من بني إسرائيلَ وغيرِهم إلىٰ آخرِ زَمنِ الفَتْرَةِ سوىٰ أيامِ العربِ وجاهليَّتِهم، فإنَّا سنُورِدُ ذلك بعدَ فراغِنا من هذا الفصْلِ إن شاءَ اللهُ تعالىٰ.

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴾ [طه: ٩٩].

وقال: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

خبر ذي القرنين

قال اللهُ تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا (٨٧) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٨٩) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا (٩٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ [الكهف: ٨٣-٩٨].

ذكرَ اللهُ تعالىٰ ذا القَرْنَيْن هذا، وأَثْنَىٰ عليه بالعَدْل، وأنَّه بلغَ المشارقَ والمغاربَ، وملَكَ الأقاليمَ وقَهَرَ أهْلَها، وسارَ فيهم بالمَعْدَلَة التَّامَّة، والسُّلْطان المؤيَّد المظفَّر المنْصور القاهر المُقْسط. والصَّحيحُ، أنَّه كان مَلكًا من الملوك العادلين، وقيل: كان نبيًّا، وقيل: كان رسولاً. وأغربَ مَن قال: كان ملكًا من الملائكة. وقد حُكِيَ هذا عن أمير المؤمنين عمرَ بن الخطَّاب، فإنَّه سَمع رجلاً يقولُ لآخرَ: يا ذا القَرْنَيْن، فقال: مَهْ، ما كفاكم أن تَتَسَمَّوْا بأسماء الأنبياء حتى تَسَمَّيْتُم بأسماء الملائكة. ذكره السُّهَيْلِيُّ.

وقد رَوَىٰ وكيعٌ، عن إسرائيلَ، عن جابرٍ، عن مجاهدٍ، عن عبد الله بن عمْرو، قال: كان ذو القَرْنَيْن نبيًّا. ورَوَىٰ الحافظُ ابنُ عساكرَ، من حديث أبي محمد بن أبي نَصْر، عن أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن محمد بن أحْمدَ بن أبي ثابت، حدَّثنا محمدُ بنُ حمَّاد، أنبأنا عبدُالرَّزَّاق، عن مَعْمَر، عن ابن أبي ذئب عن المَقْبُريِّ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا أدْري أتُبَّعٌ كان لَعينًا أمْ لا، ولا أدْري الحُدُودُ كفَّاراتٌ لأهلها أمْ لا، ولا أدْري ذو القَرْنين كان نبيًّا أمْ لا**». وهذا غريبٌ من هذا الوجه.

وقال إسحاقُ بنُ بشْر، عن عثمانَ بن السَّاج، عن خُصَيْف، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباس قال: كان ذو القَرْنَيْن مَلكًا صالحًا، رَضِيَ اللهُ عَمَلَه، وأثْنَىٰ عليه في كتابه، وكان مَنْصورًا، وكان الخَضرُ وزيرَه. وذكَر أنَّ الخَضرَ، عليه السلامُ، كان علىٰ مُقَدِّمَة جيشه، وكان عندَه بمَنْزِلَة المُشَاوِر، الذي هو من المَلك بمَنزلة الوزير في اصْطلاح النَّاس اليومَ. وقد ذَكَرَ الأزْرَقيُّ وغيرُه، أنَّ ذَا القرنَيْن أَسْلَمَ علىٰ يَدَيْ إبراهيمَ الخليل، وطاف معه بالكعْبَة المُكرَّمَة هو وإسماعيلُ، عليه السلامُ. ورُوِيَ عن عُبَيْد بن

عُمَيْرٍ، وابنه عبدِ الله وغيرِهما، أَنَّ ذا القَرْنَيْن حَجَّ ماشيًا، وأنَّ إبراهيمَ لما سَمع بقُدُومِهِ، تلقّاه ودَعَا له ورضَّاه، وأنَّ اللهَ سَخَّرَ لذي القَرْنَيْن السَّحابَ يحمِلُه حيثُ أرادَ. واللهُ أعلمُ.

واختلفُوا في السببِ الذي سُمِّيَ به ذا القرنَيْن؛ فقيل: لأنَّه كان له في رأسِه شِبْهُ القَرْنَيْن.

وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّه: كان له قرنان مِن نُحاسٍ في رأسِه. وهذا ضعيفٌ.

وقال بعضُ أهْلِ الكتابِ: لأنّه مَلَكَ فارسَ والرُّومَ. وقيل: لأَنَّه بلَغ قَرْنَيِ الشَّمسِ غَرْبًا وشَرْقًا، ومَلَكَ ما بينَهُما مِن الأرضِ. وهذا أَشْبَهُ مِن غيرِه، وهو قولُ الزُّهْرِيِّ.

وقال الحَسَنُ البَصْرِيُّ: كانت له غَدِيرتان مِن شَعْرٍ يطَأُ فيهما؛ فَسُمِّيَ ذا القَرْنَين. وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن عبدِ الله بنِ زيادِ بنِ سَمْعانَ، عن عَمْرِو بنِ شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، أنه قال: دعا مَلِكًا جبَّارًا إلى الله فضَرَبَه على قَرْنِه فكَسَرَه ورَضَّه، ثُم دعاه فَدَقَّ قرنَهُ الثانِيَ، فكسَرَه، فسُمِّيَ ذا القَرْنَيْن. ورَوَى الثَّوْرِيُّ عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ، عن أبي الطُّفَيْلِ، عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ، أنه سُئِلَ عن ذي القَرْنَيْنِ فقال: كان عبدًا ناصَحَ اللهَ فَنَاصَحَه، دعا قَوْمَه إلى الله فَضَرَبُوه على قَرْنه فماتَ، فَأَحْياه اللهُ فدعا قَوْمَه إلى اللهِ فضربوه على قَرْنِه الآخرِ فمات، فَسُمِّيَ ذا القَرْنَيْن. وهكذا رواه شعبةُ، عن القاسمِ بن أبي بَزَّةَ، عن أبي الطُّفَيْلِ، عن عليٍّ به. وفي بعضِ الرواياتِ، عن أبي الطُّفَيْلِ عن عليٍّ، قال: لم يكنْ نبيًّا ولا رسولاً ولا مَلَكًا، ولكن كان عبدًا صالحًا.

وقد اختُلِفَ في اسْمِه؛ فرَوَى الزُّبَيْرُ بنُ بكَّارٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ: كان اسمُه عبدَ اللهِ بنَ الضَّحّاكِ بنِ معدٍ. وقيل: مَصْعَبُ بنُ عبدِ الله بنِ قِنانَ بنِ منصورِ بنِ عبدِ اللهِ الأزدِ بنِ غَوْثِ بنِ نبتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كَهْلانَ بنِ سبأِ بنِ قحْطانَ.

وقد جاءَ في حديثٍ أنَّه كان مِن حِميَرٍ، وأُمُّه روميّةٌ، وأنّه كان يُقالُ له: ابنُ الفيْلسوفِ؛ لِعَقْلِه. وقد أَنْشدَ بعضُ الحِمْيَرِيِّين في ذلك شِعْرًا يفْخَرُ بكونِه أحَدَ أجْدَادِه فقال:

قَد كانَ ذُو القَرنَيْنِ جَدِّيَ مُسْلِمًا ... مَلِكًا تَدينُ له الملوكُ وتُحشَدُ

بلَغَ المشارِقَ والمغارِبَ يَبْتَغي ... أَسْبابَ أَمْرٍ مِن حَكيمٍ مُرْشِدِ

فَرأَى مَغيبَ الشَّمْسِ عندَ غُرُوبِهَا ... في عَيْنِ ذي خُلُبٍ وثَأْطٍ حَرْمَدِ

مِن بَعْدِه بَلْقيسُ كانَتْ عَمَّتي ... مَلَكَتْهُمُ حتَّى أتاها الهُدهُدُ

قال السُّهَيْلِيُّ: وقيل: كان اسمُه مَرْزَبَى بنَ مَرْذَبَةَ، ذَكَرَه ابنُ هشامٍ، وذكَر في موضعٍ آخَرَ أَنَّ اسمَهُ الصَّعْبُ بنُ ذِي مَرَاثِدَ. وهو أَوَّلُ التَّبابِعَةِ، وهو الذي حَكَم لإبراهيمَ في بئرِ السَّبعِ. وقيلَ: إنه أفريدون بنُ أَسْفيانَ، الذي قَتَل الضَّحّاكَ. وفي خطبةِ قُسٍّ: يا مَعْشَرَ إيادٍ، أين الصعبُ ذو القَرْنَيْنِ، مَلَكَ الخافِقَيْن، وأَذَلَّ الثَّقَلَيْن، وعُمِّرَ أَلْفَيْن، ثُمَّ كان كلَحْظَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ أَنْشَدَ ابنُ هشامٍ للأعْشَى:

والصَّعْبُ ذو القَرنَيْنِ أصبحَ ثاوِيًا ... بالحِنْوِ في جَدَثٍ أُمَيْمَ مُقِيم

وذَكَرَ الدَّارَقُطْنِيُّ، وابنُ ماكُولا أنَّ اسمَه هرمسُ. ويقالُ: هرديسُ بنُ قَيْطونَ بنِ رُومي بنِ لِنْطي ابنِ كِسلوجينَ بنِ يونانَ بنِ يافثَ بنِ نوحٍ. فاللهُ أعلمُ.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن سعيدِ بنِ بشيرٍ، عن قَتادةَ قال: إسكندرُ هو ذو القَرْنَيْنِ، وأبوه أوَّلُ القياصرَةِ، وكان مِنْ وَلَدِ سامِ بنِ نُوحٍ، عليه السَّلامُ. فأمّا ذو القَرْنَيْنِ الثاني فهو إسكندرُ بنُ فيليبسَ ابنِ مضريمَ بنِ هرمسَ بنِ هردسَ بنِ ميطونَ بنِ رُومي بنِ لِنْطي بنِ يونان بنِ يافثَ بنِ نونةَ بنِ سرحونَ ابنِ رومةَ بنِ ثرنطَ بنِ توفيلَ بنِ رومي بنِ الأصفرِ بنِ اليفزِ بنِ العيصِ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ. كذا نَسَبَه الحافظُ ابنُ عساكرَ في «تاريخه»، المَقْدُونيُّ اليونانيُّ المصريُّ، باني إسْكَنْدَرِيَّةَ، الذي يُؤَرِّخُ بأيّامِه الرُّومُ، وكان متأخرًا عن الأوَّلِ بدَهْرٍ طويلٍ، كان هذا قبلَ المسيحِ بنحوٍ من ثلاثمائة سنة، وكان أرسطاطاليسُ الفيلسوفُ وزيرَه، وهو الذي قَتلَ دارا بنَ دارا، وأذَلَّ ملوكَ الفُرْسِ وأوْطَأَ أرْضَهم. وإنَّما نَبَّهْنا عليه؛ لأنَّ كثيرًا من النّاسِ يَعْتقدُ، أنَّهما واحدٌ، وأنَّ المذكورَ في القرآنِ هو الذي كان أرسطاطاليسُ وزيرَه، فيقعُ بسببِ ذلك خطأٌ كبيرٌ وفسادٌ عريضٌ طويلٌ كثيرٌ، فإنَّ الأوَّلَ كان عبدًا مُؤْمِنًا صالحًا، ومَلِكًا عادلاً، وكان وزيرُه الخَضِرَ، وقد كان نبيًّا على ما قَرَّرْناه قبلَ هذا. وأمَّا الثاني، فكان مُشْرِكًا، وكان وزيرُه فَيلسوفًا، وقد كان بَيْنَ زَمَانَيْهما أزْيدُ من ألْفَيْ سنةٍ. فأينَ هذا من هذا، لا يَسْتَوِيانِ، ولا يَشْتَبِهانِ، إلاَّ على غَبِيٍّ لا يعرفُ حقائقَ الأمورِ.

قولُه تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ**﴾ [الكهف: ٨٣]. كان سَبَبُه أنَّ قريشًا سألُوا اليهودَ عن شيءٍ يَمْتَحِنُون به عِلْمَ رسولِ الله ﷺ، فقالوا لهم: سَلُوه عن رجلٍ طَوَّافٍ في الأرضِ، وعن فِتْيَةٍ خَرَجُوا، لا يُدْرَىٰ ما فعلُوا. فأنزلَ اللهُ تعالى قصَّةَ أصحابِ الكَهْفِ وقصَّةَ ذي القَرْنَيْنِ. ولهذا قال: ﴿**قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**﴾ أي؛ من خَبَرِه وشَأْنِه ﴿**ذِكْرًا**﴾ أي؛ خبرًا نافعًا كافيًا في تعريفِ أمْرِه وشَرْحِ حالِه فقال: ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا**﴾ أي؛ وَسَّعْنا مَمْلَكَتَه في البلادِ وأعْطَيْناه مِن آلاتِ المَمْلَكَةِ ما يستعينُ به على تحصيلِ ما يحاولُه من المُهِمَّاتِ العظيمةِ والمقاصدِ الجَسيمةِ.

قال قُتَيْبَةُ، عن أبي عَوَانَةَ، عن سِمَاكٍ، عن حبيبِ بنِ حِمَازٍ، قال: كنتُ عندَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وسأله رجلٌ عن ذي القَرْنَيْنِ، كيف بلَغَ المَشْرِقَ والمَغْربَ؟ فقال: سُخِّرَ له السَّحابُ، ومُدَّتْ له الأسبابُ، وبُسِطَ له في النُّورِ. وقال: أزيدُك؟ فسكت الرَّجلُ، وسكتَ عليٌّ، رَضِيَ اللهُ عنه.

وعن أبي إسحاقَ السَّبِيعيِّ، عن عمرِو بنِ عبدِ الله الوادعيِّ، سَمِعْتُ معاويةَ يقولُ: مَلَكَ الأرضَ أربعةٌ؛ سليمانُ بنُ داودَ النبيُّ، عليهما السلامُ، وذو القَرْنَيْنِ، ورجلٌ من أهلِ حُلْوَانَ، ورجلٌ آخرُ. فقيل له: الخَضِرُ؟ قال: لا.

وقال الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ: حدَّثني إبراهيمُ بنُ المُنْذِرِ، عن محمدِ بنِ الضَّحَّاكِ، عن أبيه، عن سفيانَ الثَّوْرِيِّ، قال: بلَغَني أنَّه مَلَكَ الأرضَ كُلَّها أربعةٌ: مؤمنان وكافران؛ سليمانُ النبيُّ، وذو القَرْنَيْنِ،

ونَمْرُودُ، وبُخْتُ نُصَّرَ. وهكذا قال سعيدُ بنُ بَشِيرٍ، سواءً.

وقال إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن سعيدِ بنِ أبي عَرُوبَةَ، عن قتادةَ، عن الحسنِ قال: كان ذو القَرْنَيْنِ، مَلَكَ بعدَ النُّمرودِ، وكان مِن قصتِه أَنَّه كان رَجُلاً مُسلمًا صالحًا أتىٰ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ، مدَّ اللهُ له في الأَجلِ ونَصَرَه، حتىٰ قهرَ البلادَ واحْتَوَىٰ علىٰ الأموالِ، وفتحَ المدائنَ وقَتَلَ الرِّجالَ وجالَ في البلادِ والقلاعِ، فسار حتىٰ أتىٰ المَشْرِقَ والمَغْرِبَ، فذلك قولُ الله: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا** ﴾ أي؛ خبرًا ﴿ **إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ أي؛ علمًا بطَلَبِ أَسْبابِ المنازلِ.

قال إسحاقُ: وزعم مُقاتلٌ أَنَّه كان يَفْتَحُ المدائنَ ويَجْمَعُ الكُنُوزَ، فَمَنِ اتَّبَعَه علىٰ دِينِه وتابعَه عليه، وإلاَّ قَتَلَه. وقال ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ، وعِكْرِمَةُ، وعُبَيْدُ بنُ يَعْلَىٰ، والسُّدِّيُّ، وقتادةُ، والضحَّاكُ ﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ يَعْني علْمًا. وقال قتادة، ومَطَرٌ الوَرَّاقُ: معالمَ الأرضِ ومنازلَها وأعلامَها وآثارَها. وقال عبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أَسْلَمَ: يَعْني تعليمَ الأَلْسِنَةِ، كان لا يَغْزُو قومًا إلا حدَّثهم بلُغَتِهم.

والصحيحُ أَنَّه يَعُمُّ كلَّ سَبَبٍ يَتَوَصَّلُ به إلىٰ نَيْلِ مَقْصُودِه في المَمْلَكَةِ وغيرِها؛ فإنه كان يَأْخُذُ مِن كلِّ إقليمٍ مِن الأَمْتِعَةِ والمطاعمِ والزَّادِ ما يكفيه، ويُعِينُه علىٰ أهلِ الإقليمِ الآخَرِ.

وذكر بعضُ أَهْلِ الكتابِ أنه مكَثَ ألفًا وستَّمائة سنةٍ يَجُوبُ الأرضَ، ويَدْعُو أَهْلَها إلىٰ عبادةِ اللهِ وحدَه لا شريكَ له، وفي كُلِّ هذه المدَّة نظرٌ. واللهُ أعلمُ.

وقد روَىٰ البَيْهَقِيُّ، وابنُ عساكرَ حديثًا متعلِّقًا بقوله: ﴿ **وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا** ﴾ مُطَوَّلاً جدًا، وهو مُنْكَرٌ جدًا. وفي إسنادِه محمدُ بنُ يونُسَ الكُدَيْمِيُّ وهو مُتَّهَمٌ، فلهذا لم نَكْتُبْه لسقوطِه عندَنا. واللهُ أعلمُ.

وقولُه: ﴿ **فَأَتْبَعَ سَبَبًا** ﴾ أي؛ طريقًا ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ** ﴾ يعني مِن الأرضِ، انتهىٰ إلىٰ حيثُ لا يمكنُ أَحَدًا أن يُجاوِزَه، ووَقَفَ علىٰ حافَّةِ البَحْرِ المُحيطِ الغربيِّ الذي يُقالُ له: أوقيانوسُ الذي فيه الجزائرُ المُسَمَّاةُ بالخالداتِ، التي هي مبدأُ الأطوالِ، علىٰ أَحدِ قَوْلَيْ أَرْبابِ الهيْئَةِ، والثاني مِن ساحلِ هذا البحرِ كما قدمنا. وعنده شاهد مغيب الشمس - فيما رآه بالنسبة إلىٰ مُشاهدته ﴿ **تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ** ﴾ والمرادُ بها البَحْرُ في نظرِه، فإنَّ مَن كان في البحرِ أو علىٰ ساحلِه يَرَىٰ الشَّمسَ كأَنَّها تَطْلُعُ مِن البحرِ، وتَغْرُبُ فيه؛ ولهذا قال: ﴿ **وَجَدَهَا** ﴾ أي؛ في نَظَرِه، ولم يَقُلْ: فإذا هي.

﴿ **تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ** ﴾ أي؛ ذات حَمْأَةٍ. قال كعْبُ الأَحْبارِ: وهو الطِّينُ الأَسْوَدُ وقرأه بعضُهم (حاميَة). فقيل: يَرجعُ إلىٰ الأول. وقيل: من الحرارةِ. وذلك مِن شدَّةِ المقابلةِ لوَهَجِ ضَوْءِ الشَّمْسِ وشُعاعِها.

وقد رَوَىٰ الإمامُ أحمدُ عن يزيدَ بنِ هارونَ، عن العَوَّامِ بنِ حَوْشَبٍ، حدَّثني مولىٰ لعبدِ اللهِ بنِ

عَمْرو، عن عبدِ الله قال: نَظَر رسولُ الله ﷺ إلى الشمس حينَ غابتْ فقالَ: «**في نار الله الحامية، لولا ما يَزَعُها من أمرِ الله لأحْرَقَتْ ما على الأرْض**» فيه غرابةٌ، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ لم يُسَمَّ، ورَفْعُه فيه نَظَرٌ، وقد يكونُ مَوْقُوفًا من كلامِ عبدِ الله بنِ عَمْرو، فإنّه أصاب يومَ اليَرْموكِ زامِلَتَيْن من كُتُبِ المتقدِّمين، فكان يُحَدِّثُ منها. واللهُ أعلمُ.

ومَن زَعَم من القُصَّاصِ، أنَّ ذا القَرْنَيْن جاوزَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ، وصار يَمْشي بجيوشِه في ظُلُماتٍ مُدَدًا طَويلةً، فقد أخطأَ، وأَبْعَدَ النُّجْعَةَ، وقال ما يُخالفُ العَقْلَ والنَّقْلَ.

بَيانُ طلبِ ذي القرنَيْن عَيْنَ الحياة

وقد ذَكَرَ ابنُ عساكرَ من طريقِ وكيعٍ، عن أبيه، عن مُعْتَمِرِ بنِ سليمانَ، عن أبي جَعْفَرٍ الباقرِ، عن أبيه زينِ العابدين خبرًا مُطَوَّلًا جدًّا، فيه أنَّ ذا القَرْنَيْن كان له صاحبٌ من الملائكةِ يُقالُ له: رناقيلُ. فسأله ذو القرنَيْن: هل تَعْلَمُ في الأرضِ عَيْنًا يقالُ لها: عينُ الحياة؟ فذَكَرَ له صفةَ مكانِها، فذهبَ ذو القرنَيْن في طَلَبِها وجَعل الخضرَ على مُقَدِّمَتِه، فانتهى الخَضِرُ إليها في وادٍ في أرضِ الظُّلُمَات، فشَرِبَ منها ولم يَهْتَدِ ذو القرنَيْن إليها. وذَكَرَ اجتماعَ ذي القَرْنَيْن ببعضِ الملائكةِ في قَصْرٍ هناك، وأنَّه أعطاه حَجَرًا، فلمَّا رَجَعَ إلى جيشِه سأل العلماءَ عنه، فوضعوه في كِفَّةِ ميزانٍ، وجعلوا في مقابَلَتِه أَلْفَ حَجَرٍ مثله، فوزَنَها، حتى سأل الخَضِرَ فوَضَعَ قُبالَه حَجَرًا، وجعلَ عليه حَفْنَةً من ترابٍ فرَجَحَ به، وقال: هذا مَثَلُ ابنِ آدمَ لا يَشْبَعُ حتى يوارَى بالتُّراب. فسَجَدَ له العلماءُ تكريمًا له وإعْظامًا. واللهُ أعلمُ.

ثم ذَكَر تعالى أنَّه حكَّمه في أهلِ تلك الناحية ﴿**قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا** ﴿٨٦﴾ **قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا**﴾ أي؛ فيجتمعُ عليه عذابُ الدُّنيا والآخرةِ، وبدأ بعذابِ الدُّنيا؛ لأنَّه أزْجَرُ عندَ الكافرِ ﴿**وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا**﴾ فبَدَأَ بالأَهَمِّ وهو ثوابُ الآخرةِ، وعطَف عليه الإحسانَ منه إليه، وهذا هو العَدْلُ والعلمُ والإيمانُ.

قال اللهُ تعالى: ﴿**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا**﴾ أي؛ سَلَكَ طريقًا راجعًا من المَغْرِبِ إلى المَشْرِق، فيُقالُ: إنّه رَجَعَ في ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً. ﴿**حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا**﴾ أي؛ ليس لهم بُيوتٌ ولا أَكْنانٌ يَسْتَتِرُون بها من حَرِّ الشَّمْسِ. قال كثيرٌ من العلماء: ولكنْ كانوا يَأْوُون، إذا اشتدَّ عليهم الحرُّ، إلى أسْرابٍ قد اتَّخَذُوها في الأرْضِ، شِبْهِ القبور.

قال اللهُ تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا**﴾أي؛ ونحنُ نعلمُ ما هو عليه ونَحْفَظُه ونَكْلَؤُه بحراستِنا في مسيرِه ذلك كلِّه من مغاربِ الأَرْضِ إلى مشارقِها.

وقد رُوِيَ عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، وابنِه عبدِ الله، وغيرِهما من السَّلَف، أنَّ ذا القَرْنَيْنِ حَجَّ ماشيًا، فلما سَمِعَ إبراهيمُ الخليلُ بقدُومِه، تَلَقَّاه، فلمَّا اجْتَمَعا، دعا له الخليلُ ووصَّاه بوصايا، ويُقالُ: إنه

جيءَ بفَرَسٍ ليَرْكَبَها فقال: لا أركبُ في بَلَدٍ فيه الخليلُ. فسَخَّرَ اللهُ له السَّحابَ، وبَشَّرَه إبراهيمُ بذلك، فكانت تَحْمِلُه إذا أرادَ.

قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا**﴾ يَعْني غُتْمًا. فيُقالُ: إنَّهم هم التُّرْكُ، أبناءُ عمٍّ يأجوجَ ومأجوجَ، فذَكَروا له أنَّ هاتَيْنِ القَبيلَتَيْنِ قد تَعَدَّوْا عليهم وأفسَدُوا في بلادهم، وقَطَعُوا السُّبُلَ عليهم، وبذلُوا له حِمْلاً، وهو الخَراجُ على أن يُقيمَ بينَهم وبينَهم حاجزًا يمنعُهم من الوصول إليهم، فامتنع من أخْذِ الخَراجِ؛ اكْتفاءً بما أعطاه اللهُ من الأموالِ الجزيلة ﴿**قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ**﴾ ثُم طلَب منهم أن يَجْمَعُوا له رِجالاً وآلاتٍ، ليبنيَ بينَهم وبينَهم سَدًّا، وهو الرَّدْمُ بينَ الجَبَلَيْنِ، وكانوا لا يستطيعون الخروجَ إليهم إلا من بينهما، وبَقيَّةُ ذلك بحارٌ مُغْرِقَةٌ، وجبالٌ شاهقةٌ، فبناه، كما قال تعالى، من الحديدِ والقِطْرِ، وهو النُّحاسُ المذَابُ. وقيل: الرَّصاصُ. والصَّحيحُ الأوَّلُ، فجعَل بَدَلَ اللَّبِنِ حديدًا وبَدَلَ الطِّينِ نُحاسًا، ولهذا قال تعالى: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ**﴾ أي؛ يَعْلُوا عليه بسلالمَ ولا غيرِها ﴿**وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ أي؛ بمعاولَ، ولا فؤوسٍ ولا غيرِها، فقابلَ الأسْهَلَ بالأسْهَلِ، والأشدَّ بالأشدِّ ﴿**قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي**﴾ أي؛ قَدَّرَ اللهُ وجودَه، ليكونَ رَحْمَةً منه بعباده أن يَمْنَعَ بسببه عُدْوانَ هؤلاء القوم على مَن جاوَرَهم في تلك المَحلَّةِ ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي**﴾ أي؛ الوقْتُ الذي قَدَّرَ اللهُ خروجَهم على النَّاسِ في آخرِ الزمانِ ﴿**جَعَلَهُ دَكَّاءَ**﴾ أي؛ مساويًا للأرْضِ ولابُدَّ من كَوْنِ هذا، ولهذا قال: ﴿**وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا**﴾ كما قال تعالى: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ**﴾ الآية [الأنبياء: ٩٦، ٩٧]. ولذا قال ههنا: ﴿**وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ**﴾ يَعْني يومَ فَتْحِ السَّدِّ، على الصحيح، ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا**﴾ وقد أَوْرَدْنا الأحاديثَ المَرْوِيَّةَ، في خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ في «التفسير»، وسنُورِدُها إن شاءَ اللهُ في كتاب «الفتَنِ والملاحمِ» من كتابنا هذا، إذا انتهَيْنا إليه، بحَوْلِ الله وقوته، وحُسْنِ توفيقه، ومعونَته، وهدايته.

قال أبو داودَ الطَّيالسيُّ، عن الثَّوْريِّ: بلَغَنا أنَّ أوَّلَ مَن صافحَ: ذو القَرْنَيْنِ. ورُوِيَ عن كعبِ الأحْبارِ أنَّه قال لمعاويةَ: إنَّ ذا القَرْنَيْنِ لمَّا حَضَرَتْه الوفاةُ أوْصَى أُمَّه؛ إذا هو ماتَ أن تَصْنَعَ طعامًا، وتَجْمَعَ نساءَ أهلِ المدينة، وتَضَعَه بينَ أيديهِنَّ، وتَأْذَنَ لهنَّ فيه، إلاَّ مَن كانت ثَكْلَى، فلا تأْكُلْ منه شيئًا، فلمَّا فَعَلَتْ ذلك، لم تَضَعْ واحدةٌ منهنَّ يَدَها فيه، فقالتْ لهنَّ: سُبْحانَ الله! كُلُّكُنَّ ثَكْلَى! فقُلْنَ: إي والله ما منَّا إلاَّ مَن أُثْكِلَتْ. فكان ذلك تَسْلِيةً لأُمِّه.

وذكَر إسحاقُ بنُ بِشْرٍ، عن عبدِ الله بنِ زيادٍ، عن بَعضِ أهْلِ الكتابِ، وصيَّةَ ذي القَرنَيْنِ، ومَوْعِظَتَه أُمَّه مَوْعِظةً بَليغَةً طويلةً، فيها حِكَمٌ وأمورٌ نافعةٌ، وأنَّه ماتَ وعمْرُه ثلاثةُ آلافِ سنةٍ، وهذا غريبٌ.

قال ابنُ عساكرَ: وبلغني من وجهٍ آخرَ أنه عاش سِتًّا وثَلاثينَ سنةً، وقيل: كان عُمْرُه ثِنْتَيْنِ وثلاثين

سنةً، وكان بعدَ داودَ بسَبْعمائة سنةٍ وأربعين سنةً، وكان بعدَ آدمَ بخمسة آلافٍ ومائةٍ وإحْدىٰ وثمانينَ سنةً، وكان مُلْكُه ستَّ عَشْرَةَ سنةً. وهذا الذي ذَكَره إنَّما يَنطبقُ على إسكندرَ الثاني لا الأوَّل، وقد خلَط في أوَّلِ الترجمةِ وآخرِها بينَهما، والصَّوابُ التَّفْرقةُ كما ذَكَرْنا، اقتداءً بجماعةٍ من الحُفَّاظ. واللهُ أعلمُ.

وممَّن جعَلهما واحدًا الإمامُ عبدُ الملكِ بنُ هشامٍ، راوي السيرة، وقد أنْكَرَ ذلك عليه الحافظُ أبو القاسم السُّهَيْليُّ، رَحمه اللهُ، إنكارًا بليغًا، وردَّ قولَه ردًّا شنيعًا، وفرَّقَ بينَهما تفريقًا جيدًا، كما قَدَّمْنا. قال: ولعلَّ جماعةً من الملوكِ المتقدِّمين، تَسَمَّوا بذي القرنَيْنِ تشبُّهًا بالأوَّلِ. واللهُ أعلمُ.

ذِكرُ أُمَّتي يأجوجَ ومأجوجَ وصفاتِهم، وما ورَد من أخبارِهم، وصفةِ السَّدِّ

هم مِن ذُرِّيَّةِ آدمَ بلا خلافٍ نعلمُه، ثُم الدَّليلُ على ذلك، ما ثبَت في «الصَّحيحَيْن» من طريقِ الأعْمَشِ، عن أبي صالحٍ، عن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**يقولُ اللهُ تَعَالى يومَ القيامَةِ: يا آدَمُ، قُمْ فابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ من ذُرِّيَّتِكَ. فيقُولُ: يا ربِّ، وما بَعْثُ النَّارِ؟ فيقُولُ: من كُلِّ أَلْفٍ تسْعُمائةٍ وتسْعةٌ وتسعون إلى النَّارِ، وواحدٌ إلى الجنَّة. فحينَئذٍ يَشيبُ الصَّغيرُ، وتَضعُ كُلُّ ذاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وما همْ بسُكارَى، ولكنَّ عَذابَ اللَّهِ شَديدٌ**». قالوا: يا رسولَ اللهِ، أيُّنا ذلكَ الواحدُ؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أبْشرُوا؛ فإنَّ منكُم واحدًا، ومَن يأجوجَ ومَأجُوجَ ألْفًا**». وفي روايةٍ: فقال: «**أبْشرُوا؛ فإنَّ فيكم أُمَّتَيْنِ؛ ما كَانتَا في شيءٍ إلاَّ كثَّرتاه - أي غَلَبَتَاه - كثْرةً**». وهذا يَدُلُّ على كَثْرتِهم، وأنَّهم أضْعافُ النَّاسِ مِرارًا عَديدةً. ثم همْ من ذرِّيَّةِ نوحٍ؛ لأنَّ اللهَ تَعالى أخْبَرَ أنَّه استجابَ لعبدِه نوحٍ في دعائه على أَهْلِ الأرضِ بقوله: ﴿**رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾ [نوح: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿**فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ**﴾ [العنكبوت: ١٥]. وقال: ﴿**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**﴾ [الصافات: ٧٧]. وتَقَدَّمَ في الحديثِ المَرْويِّ في «المسند» و«السُّنن»: أنَّ نُوحًا وُلِدَ له ثلاثةٌ؛ وهم سامٌ، وحامٌ، ويافثُ، فسامٌ أبو العَرَبِ، وحامٌ أبو السُّودانِ، ويافثُ أبو التُّرْكِ، فيأجوجُ ومأجوجُ طائفةٌ من التُّرْكِ، وهم مَغْلُ المَغُولِ، وهم أشدُّ بأسًا وأكثرُ فسادًا من هؤلاء، ونسْبتُهم إليهم كنسبةِ هؤلاءِ إلى غيرِهم. وقد قيلَ: إنَّ التُّرْكَ، إنَّما سُمُّوا بذلك، حينَ بنَى ذو القرنَيْنِ السَّدَّ، وألْجَأَ يأجوجَ ومأجوجَ إلى ما وراءَه، فبقِيَتْ منهم طائفةٌ لم يكنْ عندَهم كفسادهم فتُرِكُوا من ورائه. فلهذا قيل لهم: التُّرْكُ.

ومَن زَعَمَ أنَّ يأجوجَ ومأجوجَ خُلِقُوا من نُطْفَةِ آدمَ حينَ احتلمَ، فاختلطَتْ بترابٍ، فخُلِقُوا من ذلك، وأنَّهم ليسوا من حَوَّاءَ، فهو قولٌ حكاه الشيخُ أبو زكريَّا النواويُّ، في «شرح مسلم» وغيرِه، وضَعَّفوه، وهو جديرٌ بذلك؛ إذ لا دليلَ عليه، بل هو مخالفٌ لمَا ذَكَرْناه؛ من أنَّ جميعَ النَّاسِ اليومَ مِن ذُرِّيَّةِ نوحٍ، بنصِّ القرآنِ. وهكذا مَن زعم أنَّهم على أشْكالٍ مختلفةٍ وأطوالٍ مُتَبَايِنَةٍ جدًّا؛ فمنهم مَن هو كالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ، ومنهم مَن هو غايةٌ في القِصَرِ، ومنهم مَن يَفْتَرِشُ أُذُنًا من أُذُنَيْه ويتَغَطَّى

بالأُخرَىٰ، فكلٌّ هذه أقوالٌ بلا دليلٍ، ورَجْمٌ بالغيبِ بغيرِ بُرْهانٍ.

والصحيحُ: أنَّهم من بني آدمَ وعلىٰ أشْكالِهم وصفاتِهم. وقد قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ وطُولُه ستُّونَ ذِرَاعًا، ثُم لم يَزَلِ الخلقُ يَنْقُصُ حتى الآن». وهذا فَيْصلٌ في هذا البابِ وغيرِه. وما قيل مِن أنَّ أحَدَهم لا يموتُ حتىٰ يرَىٰ مِن ذُرِّيَّته ألفًا، فإن صَحَّ في خَبَرٍ قُلْنا به، وإلاَّ فلا نَرُدُّه، إذ يحْتَمِلُه العقلُ، والنَّقْلُ أيضًا قد يُرشِدُ إليه. واللهُ أعلمُ.

بل قد ورَدَ حديثٌ مُصَرِّحٌ بذلك، إن صَحَّ؛ قال الطبرانيُّ: حَدَّثنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ العبَّاسِ الأَصْبَهَانيُّ، حدَّثنا أبو مسعودٍ أحمدُ بنُ الفُراتِ، حدَّثنا أبو داودَ الطيالسيُّ، حدثنا المُغيرةُ عن مُسلمٍ، عن أبي إسحاقَ، عن وَهْبِ بنِ جابرٍ، عن عبدِ اللهِ بنِ عمرٍو، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ يَأجُوجَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، ولو أُرْسِلُوا لأَفْسَدُوا على النَّاسِ معائشَهُم، ولَن يَمُوتَ منهم رَجُلٌ إلاَّ تركَ من ذُرِّيَّته ألفًا فَصَاعدًا. وإنَّ من ورائهم ثلاثَ أُمَمٍ، تاويلَ، وتاريسَ، ومنسكَ». وهو حديثٌ غريبٌ جدًّا، وإسنادُه ضعيفٌ. وفيه نَكَارةٌ شديدةٌ.

وأمَّا الحديثُ الذي ذَكَره ابنُ جريرٍ في «تاريخه»، أنَّ رسولَ الله ﷺ ذَهَب إليهم لَيْلَةَ الإسْراءِ، فدعاهُم إلىٰ اللهِ فامْتنعُوا من إجابتِه ومُتابَعَتِه، وأنَّه دعا تلكَ الأممَ التي هناك؛ تاريسَ، وتاويلَ، ومنسكَ، فأجابوه، فهو حديثٌ مَوْضوعٌ اختلَقَه أبو نُعيمٍ عمرُ بنُ الصُّبْحِ، أحدُ الكذَّابين الكبارِ، الذين اعترفوا بوَضْعِ الحديثِ. واللهُ أعلمُ.

فإن قيلَ: فكيفَ دَلَّ الحديثُ المتفقُ عليه أنَّهم فداءُ المؤمنين يومَ القيامةِ، وأنَّهم في النَّارِ، ولم يُبْعَثْ إليهم رُسُلٌ، وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء: ١٥]؟

فالجوابُ: أنَّهم لا يُعَذَّبون إلا بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليهم، والإِعْذارِ إليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾. فإن كانوا في الزَّمَنِ الذي قبلَ بَعْثَةِ محمدٍ ﷺ قدْ أتَتْهم رُسُلٌ منهم، فقد قامتْ علىٰ أولئك الحُجَّةُ، وإنْ لم يكنْ قد بَعَثَ اللهُ إليهم رُسُلاً، فهم في حُكمِ أهْلِ الفَتْرةِ، ومَن لم تَبْلُغْه الدَّعوةُ. وقد دَلَّ الحديثُ المرويُّ من طُرُقٍ، عن جماعةٍ من الصحابةِ، عن رسولِ الله ﷺ، أنَّ مَنْ كانَ كذلك يُمتَحَنُ في عَرَصاتِ القيامةِ، فَمَن أجابَ الدَّاعيَ، دَخَلَ الجَنَّةَ، ومَنْ أبىٰ، دَخَلَ النَّارَ. وقد أوْرَدْنا الحديثَ بطُرقِه وألفاظِه، وكلامِ الأئمةِ عليه في تَفْسيرِنا عندَ قولِه تعالىٰ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

وقد حَكاه الشيخُ أبو الحسنِ الأشْعَريُّ إجماعًا عن أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وامْتحانُهم لا يَقْتَضي نجاتَهم، ولا يُنَافي الإخْبَارَ عنهم بأنَّهم من أهلِ النَّارِ؛ لأنَّ اللهَ يُطْلِعُ رسولَه ﷺ، علىٰ ما يشاءُ من أمْرِ الغَيْبِ، وقد أطْلَعَه علىٰ أنَّ هؤلاء من أهلِ الشَّقَاءِ، وأنَّ سجاياهم تأبَىٰ قَبُولَ الحقِّ والانقيادَ له، فهُم لا يُجِيبُون الدَّاعيَ يومَ القيامةِ، فَيُعْلَمُ من هذا أنَّهم كانوا أشَدَّ تكْذيبًا للحقِ في الدُّنيا لو بَلَغَهم فيها؛ لأنَّ في عَرَصَاتِ القيامةِ يَنقادُ خَلْقٌ مِمَّن كان مُكَذِّبًا في الدُّنيا، فإيقاعُ الإيمانِ هناكَ؛ لمَا يشاهَدُ من

الأهوال، أولىٰ وأحرىٰ منه في الدُّنيا. واللهُ أعلمُ. كما قال تعالىٰ: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ١٢]. وقال تعالىٰ: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [مريم: ٣٨].

وأمَّا الحديثُ الذي فيه أنَّ رسولَ الله ﷺ دَعاهم ليلةَ الإسراءِ فلم يُجيبُوا، فإنَّه حديثٌ مُنْكَرٌ، بل موضوعٌ، وَضَعَه عمرُ بنُ الصُّبح.

وأمَّا السَّدُّ فقد تَقَدَّمَ أنَّ ذا القَرْنَيْنِ بناه من الحديدِ والنُّحاسِ، وساوىٰ به الجبالَ الصُّمَّ الشامخاتِ الطِّوالَ، فلا يُعْرَفُ علىٰ وَجْهِ الأرضِ بناءٌ أجلُّ منه، ولا أنْفَعُ للخلقِ منه، في أَمْرِ دنياهُم.

قال البخاريُّ: وقال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: رأيتُ السَّدَّ. قال: «**وكيفَ رأيْتَه؟**» قال: مثْلَ البُرْدِ المُحبَّرِ. فقالَ: «**رأيْتَهُ**». هَكَذَا ذَكَرَه البخاريُّ مُعَلَّقًا بصيغة الجَزْمِ، ولم أرَه مُسْنَدًا من وجهٍ مُتَّصِلٍ أرْتَضيه، غيرَ أنَّ ابنَ جريرٍ رَواه في «تفسيره» مُرْسَلاً فقال: حَدَّثَنا بشْرٌ، حَدَّثَنا يزيدُ، حَدَّثَنا سعيدٌ، عن قتادَةَ قال: ذُكِرَ لنا أنَّ رَجُلاً قال: يا رسولَ الله، قد رأيتُ سَدَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ. قال: «**انْعَتْهُ لي**». قال: كالبُرْدِ المُحَبَّرِ، طريقَةٌ سوداءُ وطريقةٌ حمراءُ. قال: «**قَدْ رأيْتَهُ**».

وقد ذُكِرَ أنَّ الخليفةَ الواثِقَ بَعَثَ رُسُلاً من جهَتِه، وكَتَبَ لهم كُتُبًا إلىٰ الملوكِ يُوصِلُونهم من بلادٍ إلىٰ بلادٍ حتىٰ يَنْتَهُوا إلىٰ السَّدِّ، فيَكْشِفُوا عن خَبَرِه، ويَنْظُرُوا كيفَ بناه ذو القَرْنَيْنِ، وعلىٰ أيِّ صِفَةٍ، فلمَّا رَجَعُوا أخْبَرُوا عن صِفَتِه، وأنَّ فيه بابًا عظيمًا وعليه أقْفَالٌ، وأنَّه بناءٌ مُحْكَمٌ شاهقٌ مُنِيفٌ جدًّا، وأنَّ بَقِيَّةَ اللَّبِنِ الحديدِ والآلاتِ في بُرْجٍ هناك، وذَكَرُوا أنَّه لا يزالُ هناك حَرَسٌ لتلك الملوكِ المُتاخمَةِ لتلك البلادِ، ومَحَلَّتُه في شَرْقِيِّ الأرْضِ في جِهَةِ الشَّمالِ، في زاويةِ الأرضِ الشَّرقيَّةِ الشَّماليَّةِ. ويُقالُ: إنَّ بلادَهم متَّسعَةٌ جدًّا، وإنهم يَقْتاتُون بأصنافٍ من المعايشِ، من حراثَةٍ، وزراعةٍ، واصطيادٍ من البَرِّ ومن البحرِ، وهم أُمَمٌ وخَلْقٌ لا يَعْلَمُ عددَهم إلاَّ الذي خَلَقَهم.

فإنْ قيلَ: فما الجَمْعُ بينَ قوله تعالىٰ: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾ [الكهف: ٩٧]. وبينَ الحديثِ الذي رواه البخاريُّ ومسلمٌ عن زينبَ بنتِ جَحْشٍ أُمِّ المؤمنين، رَضِي اللهُ عنها، قالت: اسْتَيْقَظَ رسولُ الله ﷺ من نومٍ، مُحْمَرًّا وَجْهُهُ، وهو يقولُ: «**لا إلهَ إلا اللهُ، ويْلٌ للعَرَبِ من شرٍّ قد اقْتَرَبَ! فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مثْلُ هذه**». وحَلَّقَ تِسْعِينَ. قلتُ: يا رسولَ الله، أنَهْلِكُ وفينا الصالحون؟! قال: «**نَعَمْ، إذا كَثُرَ الخَبَثُ**». وأخرجاه في «الصَّحيحَيْن»، من حديثِ وُهَيْبٍ، عن ابنِ طاوسٍ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ، مثْلُ هذه**». وَعَقَدَ تِسْعِينَ؟

فالجوابُ؛ أمَّا علىٰ قولِ مَن ذَهَبَ إلىٰ أنَّ هذا إشارةٌ إلىٰ فَتْحِ أبوابِ الشرِّ والفِتَنِ، وأنَّ هذا استعارةٌ مَحْضَةٌ وضَرْبُ مَثَلٍ، فلا إشكالَ. وأمَّا علىٰ قَوْلِ مَن جَعَلَ ذلك إخْبارًا عن أمْرٍ محسوسٍ، كما هو الظَّاهرُ المُتَبادَرُ، فلا إشكالَ أيضًا؛ لأنَّ قَوْلَه: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴾

أي؛ في ذلك الزمان، لأن هذه صيغةُ خبر ماضٍ، فلا ينفي وقوعَه فيما يُستقبَل بإذن الله لهم في ذلك قدرًا، وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً، حتى يتمَّ الأجلُ وينقضيَ الأمدُ المقدورُ، فيخرجون، كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الانبياء: ٩٦]. ولكنَّ الحديثَ الآخرَ أشكلُ من هذا، وهو ما رواه الإمامُ أحمدُ في «مسنده» قائلاً: حدثنا روحٌ، حدثنا سعيدُ بنُ أبي عَروبةَ، عن قتادةَ، حدثنا أبو رافع، عن أبي هريرةَ، عن رسول الله ﷺ، قال: «إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ ليحفرونَ السدَّ كلَّ يومٍ، حتى إذا كادوا يرونَ شعاعَ الشمس قالَ الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونَهُ غدًا. فيعودونَ إليه كأشدِّ ما كانَ، حتى إذا بلغتْ مدَّتُهم، وأرادَ اللهُ أنْ يبعثَهمْ على الناسِ، حفروا حتى إذا كادوا يرونَ شعاعَ الشمسِ قالَ الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونَهُ غدًا، إنْ شاءَ اللهُ. ويستثني، فيعودونَ إليه وهوَ كهيئتِه حينَ تركوهُ، فيحفرونَهُ ويخرجونَ على الناسِ فينشفونَ المياهَ، ويتحصنُ الناسُ منهم في حصونِهم، فيرمونَ بسهامهمْ إلى السماءِ فترجعُ وعليها كهيئةِ الدمِ، فيقولونَ: قهرنَا أهلَ الأرضِ، وعلونا أهلَ السماءِ. فيبعثُ اللهُ عليهم نغفًا في أقفائهمْ، فيقتلُهمْ بها».

قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نفسُ محمدٍ بيده، إنَّ دوابَّ الأرضِ لتسمَنُ شكرًا من لحومِهم ودمائهم». ورواه أحمدُ أيضًا عن حسنِ بن موسى، عن شيبانَ، عن قتادةَ به.

وهكذا رواه ابنُ ماجهْ من حديث سعيدٍ، عن قتادةَ، إلا أنَّه قال: حدَّثَ أبو رافعٍ، ورواه الترمذيُّ من حديث أبي عَوانةَ، عن قتادةَ به. ثم قال: غريبٌ لا نعرفُه إلا من هذا الوجه. فقد أخبرَ في هذا الحديث، أنَّهم كلَّ يوم يلحسونَه، حتى كادوا ينظرون شعاعَ الشمس من ورائه؛ لرقَّته، فإنْ لم يكنْ رفعُ هذا الحديث محفوظًا، وإنَّما هو مأخوذٌ عن كعب الأحبار، كما قاله بعضُهم، فقد استرَحْنا من المؤونة، وإنْ كان محفوظًا فيكونُ محمولاً على أنَّ صنيعَهم هذا يكونُ في آخر الزمان عندَ اقتراب خروجهم، كما هو المرويُّ عن كعب الأحبار، أو يكونُ المرادُ بقوله: ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ أي؛ نافذًا منه، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفُذوه. واللهُ أعلمُ. وعلى هذا فيُمكنُ الجمعُ بينَ هذا وبينَ ما في «الصحيحين» عن أبي هريرةَ، رضيَ اللهُ عنه: «فُتحَ اليومَ من ردْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه» وعقدَ تسعينَ. أي؛ فُتحَ فتحًا نافذًا فيه. واللهُ أعلمُ.

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ۝١٤ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن

رَحْمَتِه وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٩-٢٦].

كان سببُ نزولِ قصَّةِ أَصْحابِ الكَهْفِ، وخبرِ ذي القَرْنَيْنِ، ما ذكره محمدُ بنُ إسحاقَ، في «السيرةِ» وغيرُه، أنّ قريشًا بعَثُوا إلى اليهودِ يسأَلُونهم عن أشياءَ يَمْتَحِنُون بها رسولَ الله ﷺ، ويسألونَه عنها؛ ليَخْتَبِرُوا ما يُجيبُ به فيها، فقالوا: سَلُوه عن أقوامٍ ذَهَبُوا في الدَّهْرِ فلا يُدْرَىٰ ما صَنَعُوا، وعن رجلٍ طَوّافٍ في الأَرْضِ وعن الرُّوحِ. فأنزلَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]. ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ وقال ههنا: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ أي؛ ليسوا بِعَجَبٍ عظيمٍ بالنسبةِ إلىٰ ما أَطْلَعْنَاكَ عليه مِن الأَخبارِ العظيمةِ، والآياتِ الباهرةِ والعجائبِ الغريبةِ. والكَهْفُ هو الغارُ في الجبلِ.

قال شُعَيْبٌ الجَبَائيُّ: واسمُ كَهْفِهِم حيزمُ. وأما الرَّقيمُ، فعن ابنِ عباسٍ، أنه قال: لا أَدْرِي ما المرادُ به. وقيل: هو الكتابُ المرقومُ فيه أسماؤُهم وما جرَىٰ لهم، كُتِبَ مِن بعدِهم. اختارَه ابنُ جريرٍ وغيرُه. وقيل: هو اسمُ الجبلِ الذي فيه كَهْفُهُم. قال ابنُ عباسٍ، وشعيبٌ الجَبَائِيُّ: واسمُه بناجلوسُ. وقيل: هو اسمُ وادٍ عندَ كَهْفِهم. وقيل: اسمُ قريةٍ هنالك. واللهُ أعلمُ.

قال شعيبٌ الجَبَائيُّ: واسمُ كَلْبِهم حُمرانُ. واعتناءُ اليهودِ بأمرِهم ومَعْرِفةِ خبرِهم، يدلُّ علىٰ أَنَّ زمانَهم متقَدِّمٌ علىٰ ما ذَكَرَه بعضُ المفسِّرين أَنَّهم كانوا بعدَ المسيحِ، وأَنَّهم كانوا نصارَىٰ. والظاهرُ مِن السياقِ أنَّ قومَهم كانوا مُشْرِكين يَعْبُدُون الأَصْنامَ. قال كثيرٌ مِن المفسِّرين والمؤرِّخين وغيرِهم: كانوا في زمَنِ مَلِكٍ يُقَالُ له: دقيانوسُ. وكانوا مِن أبناءِ الأَكابِرِ. وقيل: من أبناءِ الملُوكِ. واتَّفَقَ اجتماعُهم في يومٍ

عيدٍ لقومِهم فرَأَوْا ما يتعاطاه قومُهم، مِن السُّجودِ للأصنامِ والتعظيمِ للأَوثانِ، فنظروا بعينِ البصيرةِ، وكَشَفَ اللهُ عن قلوبِهم حِجابَ الغَفْلَةِ، وألْهَمَهُم رُشْدَهُم، فعَلِمُوا أنَّ قَوْمَهم ليسوا على شيء، فخرجوا عن دينِهم، وانتمَوْا إلى عبادةِ اللهِ، وحدَه لا شريكَ له. ويُقال: إنَّ كلَّ واحدٍ منهم لَمّا أَوْقَعَ اللهُ في نفسِهِ ما هداه إليه من التَّوْحيدِ، انحازَ عن الناسِ، واتَّفَقَ اجتماعُ هؤلاءِ الفِتيةِ في مكانٍ واحدٍ، كما صحَّ في البخاريِّ «**الأَرْواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فما تعارفَ منها ائْتَلَفَ، وما تناكَرَ منها اخْتَلَفَ**». فكلٌّ منهم سأل الآخرَ عن أَمْرِهِ وعن شأْنِه، فَأَخْبَرَه بما هو عليه، واتَّفَقُوا على الانحيازِ عن قومِهم، والتَّبرِّي منهم، والخروجِ مِن بينِ أَظْهُرِهم، والفِرارِ بدينِهم منهم، وهو المشْروعُ حالَ الفِتَنِ وظهورِ الشُّرورِ.

قال اللهُ تعالى: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى** ⟨١٣⟩ **وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا** ⟨١٤⟩ **هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾ أي؛ بدليلٍ ظاهرٍ على ما ذَهَبُوا إليه، وصارُوا مِن الأَمْرِ عليه ﴿**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ⟨١٥⟩ **وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾ أي؛ وإذْ قد فَارَقْتُمُوهم في دينِهم وتَبَرَّأْتُم مِمّا يَعْبُدُون مِن دونِ الله وذلك لأَنَّهم كانوا يُشْرِكون مع اللهِ، كما قال الخليلُ: ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ** ⟨٢٦⟩ **إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**﴾ [الزخرف: ٢٦، ٢٧].

وهكذا هؤلاءِ الفتيةُ قال بعضُهم لبعض: إذْ قد فارقْتُم قَوْمَكم في دينِهم، فاعْتَزِلُوهم بأَبْدانكم لِتَسْلَمُوا مِنهم أن يُوَصِّلُوا إليكم شَرًّا ﴿**فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**﴾ أي؛ يُسْبِلْ عليكم سِتْرَه، وتكونوا تحتَ حفْظِه وكَنَفِه، ويجعلْ عاقبةَ أمرِكم إلى خيرٍ، كما جاء في الحديثِ: «**اللَّهُمَّ أَحْسِنْ عاقبَتَنَا في الأُمورِ كُلِّها، وأَجِرْنا من خِزْيِ الدُّنيا، وَمِنْ عذابِ الآخِرَةِ**».
ثُمَّ ذَكَرَ تعالى صِفةَ الغارِ الذي أَوَوْا إليه، وأنَّ بابَه مُوَجَّهٌ إلى نَحْوِ الشَّمالِ، وأَعْماقَه إلى جِهَةِ القِبْلَةِ، وذلك أَنْفَعُ الأماكِنِ؛ أَنْ يكونَ المكانُ قِبْليًّا، وبابُه نَحْوَ الشَّمالِ، فقال تعالى: ﴿**وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ**﴾ وقُرِئَ: (تَزْوَرُّ) ﴿**عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ**﴾ فأَخْبَرَ أنَّ الشَّمسَ، يَعْني في زَمَنِ الصَّيْفِ وأشباهِه، تُشْرِقُ أَوَّلَ طُلُوعِها في الغارِ في جانبِه الغَرْبيِّ، ثُمَّ تَشْرَعُ في الخروجِ منه قليلاً قليلاً، وهو ازْوِرارُها ذاتَ اليمينِ فَتَرْتَفِعُ في جَوِّ السَّماءِ وتَتَقَلَّصُ عن بابِ الغارِ، ثُمَّ إذا تَضَيَّفَتْ للغُروبِ، تَشْرَعُ في الدُّخولِ فيه مِن جهتِه الشَّرْقيَّةِ قليلاً قليلاً إلى حينِ الغُروبِ، كما هو المشاهَدُ في مثْلِ هذا المكانِ، والحِكْمَةُ في دخولِ الشَّمسِ إليه في بعضِ الأَحيانِ أَنْ لا يَفْسُدَ هواؤُه ﴿**وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ**﴾ أي؛ بقاؤُهم على هذه الصِّفَةِ دَهْرًا طويلاً مِن السِّنينَ، لا يأْكُلُون ولا يَشْرَبُونَ، ولا تَتَغَذَّىٰ أجسادُهم في هذه المدَّةِ الطَّويلةِ من آياتِ اللهِ وبُرْهانِ قدرتِه العظيمةِ ﴿**مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ⟨١٧⟩ **وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾ قال بعضُهم: لأَنَّ أعيُنَهم مفتوحةٌ؛ لئلا تَفْسُدَ بطولِ الغَمْضِ ﴿**وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ**﴾ قيل: في كلِّ عامٍ يَتَحَوَّلون مرَّةً مِن جَنْبٍ إلى جَنْبٍ، ويُحْتَمَلُ أكثرُ مِن ذلك. فاللهُ أعلمُ.

﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ قال شُعَيْبٌ الجَبَائيُّ: اسمُ كَلْبِهم حُمرانُ. وقال غيرُه: الوَصِيدُ أُسْكُفَّةُ البابِ. والمرادُ أنَّ كَلْبَهم الذي كان معهم، وصَحِبَهم حالَ انفرادِهم مِن قومِهم، لَزِمَهم ولم يَدْخُلْ معهم في الكَهْفِ، بل رَبَضَ على بابِه ووضَعَ يَدَيْه على الوَصيدِ، وهذا من جُمْلَةِ أدَبِه، ومن جُمْلَةِ ما أُكْرِمُوا به؛ فإنَّ الملائكةَ لا تَدْخُلُ بيْتًا فيه كلبٌ، ولَمَّا كانت التَّبَعِيَّةُ مُؤَثِّرَةً، حتَّى في كلبِ هؤلاء، صار باقيًا معهم ببقائِهم؛ لأنَّ مَنْ أَحبَّ قومًا سَعِد بهم، فإذا كان هذا في حقِّ كلبٍ فما ظَنُّك بِمَنْ تَبِعَ أهلَ الخيرِ وهو أهلٌ للإكرامِ. وقد ذَكَرَ كثيرٌ من القُصَّاصِ والمفسِّرين لهذا الكلْبِ نبأً وخبرًا طويلاً، أكثرُه مُتَلقًّى من الإسْرائيليَّاتِ، وكثيرٌ منها كَذِبٌ، ومِمَّا لا فائدةَ فيه، كاختلافِهم في اسمِه ولَوْنِه.

وأمَّا اختلافُ العلماءِ في مَحلَّةِ هذا الكَهْفِ، فقال كثيرون: هو بأرْضِ أيْلَةَ. وقيل: بأَرْضِ نِينَوَىٰ. وقيل: بالبَلْقاءِ. وقيلَ: ببلادِ الرُّومِ. وهو أَشْبَهُ. واللهُ أعلمُ. ولَمَّا ذَكَرَ اللهُ تعالىٰ ما هو الأنفعُ من خَبَرِهم والأهمُّ من أمرِهم، ووَصَفَ حالَهم، حتىٰ كأنَّ السَّامعَ راءٍ، والمُخْبَرَ مشاهِدٌ لصفَةِ كَهْفِهم، وكيفيَّتِهم في ذلك الكهفِ وتَقَلُّبِهم من جَنْبٍ إلى جَنْبٍ، وأنَّ كلبَهم باسِطٌ ذراعَيْه بالوَصيدِ.

قال: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ أي؛ لما عليهم من المهابةِ والجلالَةِ في أمرِهم الذي صارُوا إليه، ولعلَّ الخطابَ ههنا لِجِنْسِ الإنسانِ المخاطَبِ، لا لخُصُوصيَّةِ الرَّسولِ ﷺ، كقولِه: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ [التين: ٧] أي؛ أيُّها الإنسانُ؛ وذلك لأنَّ طبيعتَه البشريَّةَ تَفِرُّ من رُؤْيَةِ الأشياءِ المَهِيبَةِ غالبًا، ولهذا قال: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾، ودَلَّ على أنَّ الخبرَ ليس كالمعايَنَةِ، كما جاء في الحديثِ؛ لأنَّ الخبرَ قد حَصَلَ ولم يَحْصُلِ الفرارُ ولا الرُّعْبُ.

ثُمَّ ذكر تعالىٰ أنّه بعثَهم من رَقْدَتِهم بعدَ نَوْمِهم بثلاثمائة سنة وتسعِ سنينَ، فلمّا استَيْقَظُوا، قال بعْضُهم لبعضٍ: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أي؛ بدراهمكم هذه، يَعْني التي معهم، إلى المدينة، ويقالُ: كان اسمُها دفسوسَ.

﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ أي؛ أطيبُ مالاً ﴿فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي؛ بطعامٍ تأكُلُونه، وهذا من زُهْدِهم ووَرَعِهم ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي؛ في دُخُولِه إليها ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي؛ إنْ عُدْتُم في مِلَّتِهم بعدَ إذْ أَنقذَكُمُ اللهُ منها؛ وهذا كلُّه لظَنِّهم أنَّهُم إنّما رَقَدُوا يومًا أو بَعْضَ يَوْمٍ أَوْ أَكْثَرَ من ذلك، ولم يَحْسَبُوا أنَّهم قَدْ رَقَدُوا أَزْيَدَ من ثلاثمائةِ سنةٍ وقد تَبَدَّلَتِ الدُّوَلُ أَطْوارًا عديدةً، وتَغَيَّرَتِ البلادُ ومَن عليها، وذهب أولئك القَرْنُ الذين كانوا فيهم، وجاء غيرُهم وذهبُوا، وجاء غيرُهم؛ ولهذا لَمَّا خَرَجَ أَحَدُهم، وهو تيذوسيسُ فيما قيل، وجاء إلى المدينة مُتَنَكِّرًا؛ لئلاَّ يَعْرِفَه أحدٌ من قومِه فيما يَحْسَبُه، تَنَكَّرَتْ له البلادُ واسْتَنْكَرَه مَنْ رآه من أَهْلِها، واسْتَغْرَبوا شَكْلَه وصِفَتَه ودراهمَه. فيقالُ: إنَّهم حَمَلُوه إلى مُتَوَلِّيهم، وخافُوا من أَمْرِه أنْ يكونَ جاسوسًا، أو تكونَ له صَوْلَةٌ يَخْشَوْنَ من مَضَرَّتِها، فيُقَالُ: إنَّه هَرَبَ منهم. ويقالُ: بل أَخْبَرَهم خبرَه ومَنْ معه، وما كان من أمرِهم، فانطلَقُوا معه ليرِيَهُم

مكانَهم، فَلَمَّا قَرُبُوا مِن الكَهْف، دَخَلَ إلىٰ إخْوانِه، فأَخْبَرَهم حقيقَةَ أَمْرِهم، ومقدارَ ما رَقَدُوا، فَعَلِمُوا أنَّ هذا مِن قُدرةِ الله. فيُقَالُ: إنَّهم استَمَرُّوا راقِدين. ويقالُ: بل ماتوا بعدَ ذلك.

وأَمَّا أهلُ البَلْدَةِ، فيقالُ: إنَّهم لم يَهْتَدُوا إلىٰ موضِعِهم مِن الغارِ، وعَمَّىٰ اللهُ عليهم أَمْرَهم. ويقالُ: لم يَسْتَطِيعُوا دخولَه حِسًّا. ويقالُ: مهابةً لهم.

واختلفوا في أمرِهم؛ فقائلون يقولون: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا﴾ أي؛ سُدُّوا عليهم بابَ الكَهْف؛ لئَلاَّ يَخْرُجُوا أَوْ لِئَلاَّ يصلَ إليهم ما يُؤْذِيهم، وآخرون، وهم الغالبون علىٰ أَمْرِهم، قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ أي؛ مَعْبَدًا يكونُ مُباركًا لمجاورتِه هؤلاءِ الصَّالحين. وهذا كان شائعًا فِيمَن كان قَبْلَنا، فأمّا في شَرْعنا، فقد ثَبَتَ في «الصحيحَيْن» عن رسولِ الله ﷺ، أَنَّه قال: «لَعَنَ اللهُ اليهُودَ والنَّصارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنْبيائِهم مَسَاجِدَ». يُحَذِّرُ ما فَعَلوا.

وأمّا قولُه تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لا رَيْبَ فِيهَا﴾ فمعنىٰ أَعْثَرنا أَطْلَعْنا علىٰ أَمْرِهم النَّاسَ. قال كثيرٌ مِن المُفَسِّرين: ليعلمَ النَّاسُ أَنَّ المَعَادَ حقٌّ، وأنّ السّاعةَ لا رَيْبَ فيها، إذا عَلِموا أَنَّ هؤلاءِ القومَ رَقَدُوا أَزْيَدَ من ثلاثمائة سنةٍ، ثُمَّ قاموا، كَمَا كانوا مِن غيرِ تَغَيُّرٍ منهم، فإنَّ مَن أبْقاهم كما هُم قادرٌ علىٰ إعادةِ الأَبْدَانِ وإنْ أَكَلَتْها الدِّيدان، وعلىٰ إِحْياء الأَمْوات وإنْ صارَتْ أجْسامُهم وعِظامُهم رُفَاتًا، وهذا ممّا لا يَشُكُّ فيه المؤمنون ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. هذا ويُحْتَمَلُ عَوْدُ الضَّميرِ في قوله: ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ إلىٰ أصحابِ الكَهْف، إذ عِلْمُهم بذلك مِن أنفسِهم أَبْلَغُ مِن عِلْمِ غيرِهم بهم، ويُحْتَمَلُ أَنْ يعودَ علىٰ الجميعِ. واللهُ أعلمُ.

ثُمَّ قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فذَكَر اختلافَ النَّاسِ في كَمِّيَّتِهم، فحكَىٰ ثلاثةَ أَقوالٍ وضَعَّفَ الأَوَّلَيْن، وقَرَّرَ الثالثَ، فدَلَّ علىٰ أنّه الحقُّ؛ إذ لو قِيلَ غيرُ ذلك لحكاه، ولو لم يكنْ هذا الثالثُ هو الصَّحيحَ لوَهّاه، فدَلَّ علىٰ ما قُلْناه، ولَمّا كان النِّزاعُ في مثْلِ هذا لا طائلَ تحتَه ولا جَدْوَىٰ عندَه، أَرْشَدَ نبيَّه ﷺ، إلىٰ الأَدَبِ في مِثْلِ هذا الحالِ، إذا اختلفَ النَّاسُ فيه، أَنْ يقولَ: اللهُ أعلمُ. ولهذا قال: ﴿قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾.

وقولُه: ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ أي؛ مِن النَّاسِ ﴿فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أي؛ سَهْلاً، ولا تَتَكَلَّفْ إعمالَ الجِدالِ في مِثْلِ هذا الحالِ، ولا تَسْتَفْتِ في أمْرِهم أَحَدًا من الرِّجالِ؛ ولهذا أَبْهَمَ تعالىٰ عِدَّتَهم في أَوَّلِ القِصَّةِ، فقال: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ ولو كان في تَعْيِينِ عِدَّتِهم كبيرُ فائدةٍ لذَكَرَها عالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ.

وقولُه تعالى: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ أدبٌ عظيمٌ أرْشَدَ اللهُ تعالىٰ إليه، وحَثَّ خَلْقَه علَيه، وهو ما إذا قال أحدُهم: إنِّي سأفعلُ في المستقبلِ كذا. فيُشْرَعُ له أن يقولَ: إن شاءَ اللهُ. ليكونَ ذلك تحقيقًا

لعَزْمِه؛ لأنَّ العبدَ لا يعلمُ ما في غَدٍ ولا يَدْرِي أَهَذا الذي عَزَمَ عليه مُقَدَّرٌ أمْ لا، وليس هذا الاستثناءُ تعليقًا، وإنّما هو تَحْقيقيٌّ، ولهذا قال ابنُ عَبَّاسٍ: إنّه يصحُّ إلى سَنَةٍ. ولكن قَدْ يكونُ في بعْضِ المَحالِّ لهذا ولهذا، كما تقدَّمَ في قصّة سليمانَ، عليه السّلامُ، حينَ قال: لأَطُوفَنّ الليلةَ على تسعين امرأةً، تَلِدُ كُلُّ امرأةٍ منهُنَّ غلامًا يُقاتِلُ في سبيلِ الله. فقيل له: قُلْ: إنْ شاء اللهُ. فلم يَقُلْ، فطافَ، فلم تَلِدْ منهُنَّ إلا امرأةٌ واحدةٌ نصفَ إنسانٍ، قال رسولُ الله ﷺ: «والذي نَفْسِي بيَدِه، لَوْ قال: إن شاء اللهُ. لَمْ يَحْنَثْ، وكان دَرْكًا لحاجَته».

وقوله: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾. وذلك لأن النِّسيان قد يكون من الشيطان، فذكر الله يطرده عن القلب، فيذكر ما كان قد نسيه.

وقوله: ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ أي؛ إذا اشتبه أمرٌ وأشكل حالٌ والتبس أقوال الناس في شيء، فارغب إلى الله ييسِّرْه لك، ويسهله عليك، ثم قال: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. لما كان في الإخبار بطول مدَّة لبثهم فائدةٌ عظيمةٌ، ذكرها تعالى، وهذه التسع المزيدة بالقمرية، وهي لتكميل ثلاثمائة شمسيّة، فإنَّ كلَّ مائةٍ قمريَّة تنقص عن الشمسية ثلاث سنين ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ أي؛ إذا سئلت عن مثل هذا، وليس عندك في ذلك نقلٌ، فردَّ الأمر في ذلك إلى الله، عزَّ وجلَّ ﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي؛ هو العالم بالغيب، فلا يطلع عليه إلا من شاء من خلقه ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ يعني، أنه يضع الأشياء في محالِّها؛ لعلمه التَّامِّ بخلقه، وبما يستحقُّونه، ثم قال: ﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ أي؛ بل هو المنفردُ بالملك والمتصرف فيه، وحده لا شريك له.

قصة الرجلين؛ المؤمن والكافر

قال الله تعالى في سورة «الكهف»، بعد قصة أصحاب الكهف: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٣٢-٤٤].

قال بعض الناس: مثلٌ مضروبٌ ولا يلزم أن يكون واقعًا. والجمهور أنَّه قد وقع.

وقوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً﴾ يعني لكفار قريش، في عدم اجتماعهم بالضعفاء والفقراء، وازدرائهم بهم وافتخارهم عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣]. كما قدَّمنا الكلام على قصَّتهم قبل قصة، موسى، عليه السلام، والمشهور أن هذين كانا رجلين مصطحبين، وكان أحدهما مؤمنًا والآخر كافرًا، ويقال: إنه كان لكلٍّ منهما مالٌ، فأنفق المؤمن ماله في طاعة الله ومرضاته ابتغاء وجهه، وأما الكافر فإنه اتخذ له بستانين، وهما الجنتان المذكورتان في الآية، على الصفة والنَّعت المذكور؛ فيهما أعنابٌ، ونخلٌ تحفُّ تلك الأعناب، والزروع في خلال ذلك، والأنهار سارحةٌ ههنا وههنا للسقي والتنزُّه، وقد استوسقت فيهما الثمار، واضطربت فيهما الأنهار، وابتهجت الزروع والثمار، وافتخر مالكهما على صاحبه المؤمن الفقير قائلاً له: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ أي؛ وأمنع جنابًا. ومراده أنه خيرٌ منه، ومعناه، ماذا أغنى عنك إنفاقك ما كنت تملكه في الوجه الذي صرفته فيه؟ كان الأولى بك أن تفعل كما فعلت لتكون مثلي. فافتخر على صاحبه ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ أي؛ وهو على غير طريقةٍ مرضيَّةٍ ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وذلك لما رأى من اتِّساع أرضها، وكثرة مائها وحسن نبات أشجارها؛ ولو قد بادت كلُّ واحدةٍ من هذه الأشجار، لاستخلف مكانها أحسن منها، وزروعها دارَّةٌ لكثرة مياهها.

ثم قال: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ فوثق بزهرة الحياة الدُّنيا الفانية، وكذَّب بوجود الآخرة الباقية الدائمة، ثم قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ أي؛ ولئن كان ثمَّ آخرةٌ ومعادٌ، فلأجدنَّ هنالك خيرًا من هذا. وذلك لأنَّه اغترَّ بدنياه، واعتقد أن الله لم يعطه ذلك فيها إلا لحبِّه له وحظوته عنده، كما قال العاص بن وائل، فيما قصَّ الله من خبره وخبر خبَّاب بن الأرتِّ في قوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾

[مريم: ٧٧-٧٨].

وقال تعالى إخبارًا عن الإنسان إذا أنعم الله عليه: ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]. قال الله تعالى: ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [فصلت: ٥٠]. وقال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ [القصص: ٧٨]. أي؛ لعلم الله فيَّ أنِّي أستحقُّه. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨]. وقد قدَّمنا الكلام على قصته في أثناء قصة موسى.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ

﴿لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧]. وقال تعالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لاَّ يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥-٥٦]. ولما اغترَّ هذا الجاهل بما خوله الله به في الدنيا، فجحد الآخرة، وادَّعىٰ أنها إن وجدت ليجدنَّ عند ربه خيرًا مما هو فيه، وسمعه صاحبه يقول ذلك ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي؛ يجادله ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ أي؛ أجحدت المعاد وأنت تعلم أن الله خلقك من تراب، ثم من نطفة ثمَّ طورك أطوارًا، حتىٰ صرت رجلاً سويًّا سميعًا بصيرًا، تعلم وتبطش وتفهم، فكيف أنكرتَ المَعَاد والله قادرٌ علىٰ البداءة ﴿لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ أي؛ لكنْ أنا أقول بخلاف، ما قلتَ، وأعتقد خلاف معتقدك ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ أي؛ لا أعبد سواه، وأعتقدُ أنه يبعث الأجساد بعد فنائها، ويعيد الأموات ويجمع العظام الرُّفات، وأعلم أنَّ الله لا شريك له في خلقه، ولا في ملكه، ولا إله غيره، ثمَّ أرشده إلىٰ ما كان الأولىٰ به أن يسلكه عند دخول جنَّته، فقال: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾ ولهذا يستحبُّ لكلٍّ من أعجبه شيءٌ من ماله أو أهله أو حاله أن يقول كذلك.

وقد ورد فيه حديثٌ مرفوعٌ، في صحَّته نظرٌ؛ قال أبو يعلىٰ الموصليُّ: حدثنا جرّاحُ بن مخلدٍ، حدثنا عمر بن يونس، حدَّثنا عيسىٰ بن عونٍ، حدَّثنا عبد الملك بن زرارة، عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أنعم الله على عبد نعمةً؛ من أهل أو مال أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. فيرى فيه آفةً دون الموت**». وكان يتأولُ هذه الآية: ﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾. قال الحافظ أبو الفتح الأزديُّ: عيسىٰ بن عونٍ، عن عبد الملك بن زرارة عن أنسٍ، لا يصحُّ.

ثم قال المؤمن للكافر: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾ أي؛ في الدار الآخرة ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾ قال ابن عباسٍ والضحاك وقتادة: أي؛ عذابًا من السماء. والظاهر أنَّه المطر المزعج الباهر، الذي يقتلع زروعها وأشجارها ﴿فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ وهو التراب الأملس الذي لا نبات فيه ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا﴾ وهو ضدُّ المعين السَّارح ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ يعني، فلا تقدرُ علىٰ استرجاعه. قال الله تعالىٰ: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ أي؛ جاءه أمرٌ أحاط بجميع حواصله، وخرَّب جنَّته، ودمرها ﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي؛ خربت بالكليَّة، فلا عودة لها، وذلك ضدُّ ما كان عليه أمَّل، حيث قال: ﴿مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ وندم علىٰ ما كان سلف منه من القول الذي كفر بسببه بالله العظيم، فهو يقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ﴾ أي؛ لم يكن له أحدٌ يتدارك ما فرط من أمره، وما كان له قدرةٌ في نفسه علىٰ شيء من ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ [الطارق: ١٠].

وقوله: ﴿الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ ومنهم من يبتدئ بقوله: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ وهو حسنٌ أيضًا، كقوله: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]. فالحكم الذي لا يردُّ ولا يمانع ولا يغالب - في تلك الحال وفي كلّ حالٍ - لله الحقّ. ومنهم من رفع ﴿الْحَقُّ﴾ جعله صفةً لـ ﴿الْوَلَايَةُ﴾ وهما متلازمان.

وقوله: ﴿هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾أي؛ معاملته خيرٌ لصاحبها ثوابًا، وهو الجزاء، وخيرٌ عقبًا؛ وهو العاقبة في الدنيا والآخرة.

وهذه القصة تضمنت أنه لا ينبغي لأحد أن يركن إلى الحياة الدنيا، ولا يغترَّ بها، ولا يثق بها، بل يجعل طاعة الله والتوكل عليه في كل حال نصب عينيه، وليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده.

وفيها: أن من قدم شيئًا على طاعة الله والإنفاق في سبيله، عذب به، وربما سلب منه؛ معاملةً له بنقيض قصده. وفيها: أنّ الواجب قبول نصيحة الأخ المشفق، وأنّ مخالفته وبالٌ ودمارٌ على من ردَّ النصيحة الصحيحة. وفيها: أنَّ الندامة لا تفع إذا حان القدر، ونفذ الأمر الحتمُ. والله المستعان وعليه التكلان.

قصة أصحاب الجنة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ١٧-٣٣]. وهذا مثلٌ ضربه الله لكفار قريش، فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم، فقابلوه بالتكذيب والمخالفة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩]. قال ابن عباس: هم كفار قريش. فضرب تعالى لهم مثلاً بأصحاب الجنَّة المشتملة على أنواع الزروع والثِّمار التي قد انتهت، واستحقَّت أن تجد؛ وهو الصرامُ، ولهذا قال: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾. فيما بينهم ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ أي؛ ليجدنَّها، وهو الاستغلال ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي؛ وقت الصبح، حيث لا يراهم فقيرٌ ولا محتاجٌ فيعطوه شيئًا، فحلفوا على ذلك ولم يستثنوا في يمينهم، فعجزهم الله، وسلط عليها الآفة التي أحرقتها؛ وهي السفعةُ التي اجتاحتها ولم تبق بها شيئًا ينتفع به؛ ولهذا قال: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ أي؛ كالليل

الأسود المنصرم من الضياء، وهذه معاملةٌ بنقيض المقصود ﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ﴾ أي؛ فاستيقظوا من نومهم، فنادى بعضهم بعضًا قائلين: ﴿اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ﴾ أي؛ باكروا إلى بستانكم فاصرموه قبل أن يرتفع النهار ويكثر السؤال ﴿فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾ أي؛ يتحدَّثون فيما بينهم خفيةً قائلين: ﴿لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ أي؛ اتفقوا على هذا، واشتوروا عليه ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾ أي؛ انطلقوا مجدِّين في ذلك قادرين عليه مصمِّمين مصرِّين على هذه النيَّة الفاسدة.

وقال عكرمة والشَّعْبيُّ: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي؛ غضبٍ على المساكين. وأبعد السُّدِّيُّ في قوله؛ أن اسم حرثهم حردٌ. ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ أي؛ وصلوا إليها، و نظروا إلى ما حلَّ بها، وما قد صارت إليه من الصفة المنكرة بعد تلك النضرة والحسن والبهجة، فانقلبت بسبب النيَّة الفاسدة، فعند ذلك ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ أي؛ قد تُهْنَا عنها وسلكنا غير طريقها. ثم قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي؛ بل عوقبنا بسبب سوء قصدنا، وحرمنا بركة حرثنا ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ قال ابن عباس، ومجاهدٌ، وغير واحد: هو أعدلهم وخيرهم. ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قيل: تستثنون. قاله مجاهدٌ، والسُّدِّيُّ، وابن جريج. وقيل: تقولون خيرًا بدل ما قلتم من الشرِّ ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ فندموا حيث لا ينفع الندم، واعترفوا بالذنب بعد العقوبة، وذلك حيث لا ينجع، وقد قيل: إنَّ هؤلاء كانوا إخوةً، وقد ورثوا هذه الجنَّة عن أبيهم، وكان يتصدَّقُ منها كثيرًا، فلمَّا صار أمرها إليهم استهجنوا أمر أبيهم، وأرادوا استغلالها من غير أن يعطوا الفقراء شيئًا، فعاقبهم الله هذه العقوبة؛ ولهذا أمر الله تعالى بالصدقة من الثمار، وحثَّ على ذلك يوم الجَداد، كما قال تعالى: ﴿كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]. ثمَّ قيل: كانوا من أهل اليمن من قرية يقال لها: ضَرَوَان. وقيل: من أهل الحبشة. والله أعلم.

قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي؛ هكذا نعذب من خالف أمرنا، ولم يعطف على المحاويج من خلقنا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي؛ أعظم وأطمُّ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقصةُ هؤلاء شبيهةٌ بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢-١١٣]. قيل: هذا مثلٌ مضروبٌ لأهل مكة. وقيل: هم أهل مكة أنفسهم، ضربهم مثلاً لأنفسهم. ولا ينافي ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

قصة أصحاب أيلة الذين اعتدوا في سبتهم

قال الله تعالى، في سورة «الأعراف»: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا

كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦].

وقال تعالى في سورة «البقرة»: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥-٦٦].

وقال تعالى في سورة «النساء»: ﴿ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً ﴾ [النساء: ٤٧].

قال ابن عباس، ومجاهدٌ، وعكرمة، وقتادة، والسُّدِّيُّ، وغيرهم: هم أهل أيلةَ. زاد ابن عباس: بين مدين والطُّور. قالوا: وكانوا متمسِّكين بدين التوراة في تحريم السبت في ذلك الزمان، فكانت الحيتان قد ألفت منهم السكينة في مثل هذا اليوم؛ وذلك أنه كان يحرم عليهم الاصطياد فيه، وكذلك جميع الصنائع والتجارات والمكاسب، فكانت الحيتان في مثل يوم السبت، يكثر غشيانها لمحلتهم من البحر؛ فتأتي من ههنا وههنا ظاهرةً آمنةً مسترسلةً، فلا يهيجونها ولا يذعرونها.

﴿ وَيَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ ﴾ وذلك لأنَّهم كانوا يصطادونها فيما عدا السبت.

قال الله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم ﴾ أي؛ نختبرهم بكثرة الحيتان في يوم السبت. ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ أي؛ بسبب فسقهم المتقدِّم، فلمَّا رأوا ذلك، احتالوا على اصطيادها في يوم السبت، بأن نصبوا الحبال والشِّباك والشُّصوص، وحفروا الحفر التي يجري معها الماء إلى مصانع قد أعدُّوها، إذا دخلها السمك لا يستطيع أن يخرج منها، ففعلوا ذلك في يوم الجمعة، فإذا جاءت الحيتان مسترسلةً يوم السبت؛ علقت بهذه المصايد، فإذا خرج سبتهم أخذوها، فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا على خلاف أمره وانتهكوا محارمه بالحيل التي هي ظاهرةٌ للنَّاظر، وهي في الباطن مخالفةٌ محضةٌ، فلمَّا فعل ذلك طائفةٌ منهم، افترق الذين لم يفعلوا ذلك فرقتين؛ فرقةٌ أنكروا عليهم صنيعهم هذا، واحتيالهم على مخالفة الله وشرعه في ذلك الزمان، وفرقةٌ أخرى لم يفعلوا ولم يَنْهَوْا، بل أنكروا على الذين نهوا، وقالوا: ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ يقولون لهم: ما الفائدة في نهيكم هؤلاء وقد إستحقُّوا العقوبة لا محالة؟ فأجابتهم الطائفةُ المنكرة بأن قالوا: ﴿ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ أي؛ فيما أُمِرْنَا به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنقوم به خوفًا من عذابه.

﴿ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ أي؛ ولعلَّ هؤلاء يتركون ما هم عليه من هذا الصنيع، فيقيهم الله عذابه، ويعفو عنهم إذا هم رجعوا واستمعوا. قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ أي؛ لم يلتفتوا إلى من نهاهم عن هذا الصنيع الشنيع الفظيع ﴿ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والنَّاهية عن المنكر ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ وهم المرتكبون الفاحشة ﴿ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ ﴾ وهو الشديد المؤلم الموجع.

﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ثم فسَّر العذاب الذي أصابهم بقوله: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ

كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾. وسنذكر ما ورد من الآثار في ذلك.

والمقصود هنا أنَّ الله تعالىٰ أخبر أنه أهلك الظالمين، ونجَّى المؤمنين المنكرين، وسكت عن الساكتين، وقد اختلف فيهم العلماء علىٰ قولين: فقيل: إنهم من الناجين. وقيل: إنهم من الهالكين. والصحيح الأول عند المحققين، وهو الذي رجع إليه ابن عباسٍ، إمام المفسِّرين، وذلك عند مناظرةِ مولاه عكرمة، فكساه من أجل ذلك حلةً سَنِيَّةً؛ تَكْرِمَةً.

قلت: وإنما لم يذكروا مع الناجين؛ لأنهم وإن كرهوا ببواطنهم تلك الفاحشة، إلا أنهم كان ينبغي لهم أن يحملوا ظواهرهم بالعمل المأمور به من الإنكار القوليِّ، الذي هو أوسط المراتب الثلاث، التي أعلاها الإنكار باليد، ذات البنان، وبعدها الإنكار القوليُّ باللسان، وثالثها الإنكار بالجنان. فلمَّا لم يذكّرُوا، لم يُذْكَرُوا مع الناجين، إذ لم يفعلوا الفاحشة، بل أنكروا.

وقد روىٰ عبد الرزاق، عن ابن جريج، عن رجلٍ، عن عكرمة، عن ابن عباس، وحكىٰ مالكٌ، عن ابن رومان، وشيبانُ، عن قتادة، وعطاءٌ الخراسانيُّ، ما مضمونه أنَّ الذين ارتكبوا هذا الصنع، اعتزلهم بقيَّةُ أهل البلد، ونهاهم من نهاهم منهم، فلم يقبلوا، فكانوا يبيتون وحدهم ويغلقون بينهم وبينهم أبوابًا، حاجزًا لما كانوا يترقبون من هلاكهم، فأصبحوا ذات يوم وأبواب ناحيتهم مغلقةٌ لم يفتحوها وارتفع النهار واشتد الضَّحَاءُ، فأمَرَ بقيَّةُ أهل البلد رجُلاً أن يصعد علىٰ سلالِمَ، ويُشْرِفُ عليهم من فوقهم، فلما أشرف عليهم، إذا هم قردة لها أذنابٌ يتعاوون ويتعادون، ففتحوا عليهم الأبواب فجعلت القردة تعرف قراباتهم، ولا تعرفهم قراباتهم، فجعلوا يلوذون بهم، ويقول لهم الناهون: ألم ننهكم عن صنيعكم؟ فتشير القردة برءوسها أن نعم. ثمَّ بكىٰ عبد الله بن عباسٍ، وقال: إنا لنرىٰ منكراتٍ كثيرةً، ولا ننكرها، ولا نقول فيها شيئًا.

وقال العوفيُّ، عن ابن عباس: صار شباب القرية قردةً، وشيوخها خنازير. وروىٰ ابن أبي حاتم، من طريق مجاهدٍ، عن ابن عباسٍ، أنَّهم لم يعيشوا إلا فواقًا، ثمَّ هلكوا، ما كان لهم نسْلٌ.

وقال الضحاكُ عن ابن عباس: إنَّه لم يعش مسخٌ قطُّ فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل هؤلاء ولم يشربوا ولم ينسلوا. وقد استقصيناً الآثار في ذلك، في تفسير سورتي «البقرة»، و «الأعراف». ولله الحمد والمنَّةُ.

وقد روىٰ ابن أبي حاتم، وابن جرير، من طريق ابن أبي نجيح، عن مجاهدٍ، أنَّه قال: مسختْ قلوبهم، ولم يمسخُوا قردةً وخنازير، وإنما هو مثلٌ ضربه الله، كمثل الحمار يحمل أسفاراً. وهذا صحيحٌ إليه، وغريبٌ منه جداً، ومخالفٌ لظاهر القرآن؛ ولمَا نصَّ عليه غير واحدٍ من السَّلف والخلف. والله أعلم.

قصة لقمان

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٢-١٩]. هو: لُقمانُ بنُ عنقاءَ بنِ سدونَ، ويقالُ: لُقمانُ بنُ ثارانَ. حكاه السُّهَيْلِيُّ عن ابنِ جرير والقُتَيبِيِّ.

قال السُّهَيْلِيُّ: وكان نُوبيًّا من أهلِ أَيْلَةَ. قلتُ: وكان رَجُلاً صالحًا، ذا عبادةٍ وعبارةٍ حكيمةٍ عظيمةٍ. ويُقالُ: كان قاضيًا في زَمَنِ داودَ، عليه السَّلامُ، فَاللَّهُ أعلمُ.

وقال سفيانُ الثَّوريُّ عن الأشعث، عن عكرمةَ، عن ابن عباس، قال: كان لُقمانُ عبدًا حبشيًّا نجَّارًا[1]. وقال قتادةُ: عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبَيرِ، قلتُ: لجابرِ بن عبدِ اللَّهِ: ما انتهى إليكم في شَأنِ لُقمانَ؟ قال: كان قصيرًا أفطسَ، من النُّوبةِ[2].

وقال يحيى بنُ سعيد الأنصاريُّ، عن سعيد بن المُسَيِّبِ، قال: كان لُقمانُ من سُودانِ مصرَ، ذَا مَشافرَ، أعطاهُ اللَّهُ الحكمةَ، ومَنَعَهُ النُّبوَّةَ.

وقال الأوزاعيُّ: حَدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ حَرْمَلَةَ، قال: جاءَ أسودُ إلى سعيدِ بن المُسَيِّبِ يسألُهُ فقال سعيدٌ: لا تَحزنْ من أجْلِ أنَّكَ أسودُ؛ فإنَّهُ كان من أخيرِ النَّاسِ ثلاثةٌ من السُّودانِ؛ بلالٌ، ومِهْجَعٌ مَولَى عُمَرَ، ولُقمانُ الحكيمُ، كان أسودَ نُوبيًّا ذَا مَشافرَ.

وقال الأعمشُ، عن مجاهد: كان لُقمانُ عبدًا أسودَ، عظيمَ الشَّفَتَيْنِ، مشقَّقَ القَدَمَينِ. وفي روايةٍ: مُصَفَّحَ القدمَينِ. وقال عَمرُو بنُ قيسٍ: كان عبدًا أسودَ، غليظَ الشَّفَتَينِ، مُصَفَّحَ القدمَينِ، فأتاه رجلٌ وهو في مجلسِ أُناسٍ يُحَدِّثُهم، فقال له: ألستَ الذي كنتَ تَرعَى معي الغنمَ في مكانِ كذَا وكذَا؟ قال: نعم. قال: فما بَلَغَ بِكَ ما أرَى؟ قال: صِدْقُ الحديثِ، والصَّمْتُ عمَّا لا يَعنيني. رَواه ابنُ جريرٍ، عن ابنِ حُمَيْدٍ، عن الحَكَمِ عنه به.

---

(١) **إسناد ضعيف إلى ابن عباس:** أخرجه الطبري في «التفسير» (٢٨٠٨٥) وفيه الأشعث هو ابن سوار وهو ضعيف انظر «تهذيب الكمال» (٣/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٧٥٢٩) عن ابن عباس عن جابر به. «الدر المنثور» (٥/ ٣١٠).

وقَالَ ابنُ أبي حاتم(١) : حَدَّثنا أبو زُرعَةَ، حَدَّثنا صَفْوانُ، حَدَّثَنا الوليدُ، حَدَّثَنا عبدُ الرحمنِ بنُ يزيدَ ابنِ جابرٍ، قال: إنَّ اللَّهَ رَفَعَ لُقمانَ الحكيمَ بحِكمَتِه، فرآهُ رجلٌ يَعرِفُهُ قبلَ ذلك، فقال: ألستَ عَبْدَ بَنِي فلانٍ، الذي كنتَ تَرْعَىٰ بالأمسِ؟ قال: بلَىٰ. قال: فما بَلَغَ بك ما أرَىٰ؟ قال: تَدَرُ اللَّهِ، وأداءُ الأمانة، وصِدْقُ الحديثِ، وتَرْكُ ما لا يَعنِينِي(٢) .

وَقَالَ ابنُ وَهْب: أخبرَني عبدُ اللَّه بن عَيَّاشٍ القِتْبانِيُّ، عن عُمَرَ مَوْلَىٰ غُفْرَةَ قال: وَقَفَ رجُلٌ علىٰ لقمانَ الحكيمِ فقالَ: أنتَ لقمانُ؟ أنتَ عبدُ بني الحَسْحَاسِ؟ قال: نعم. قال: فأنت راعِي الغَنَمِ الأسودُ! قال: أمَّا سَوادِي فظاهِرٌ، فما الذي يُعجِبُك مِن أمْرِي؟ قال: وَطْءُ الناسِ بِساطَك، وغَشْيُهم بابَك، ورِضاهم بقولِك، قال: يابنَ أخي، إن صَنَعْتَ ما أقولُ لكَ، كُنْتَ كذلكَ. قال لقمانُ: غَضِّي بَصَرِي، وكَفِّي لساني، وعِفَّةُ مَطْعَمِي، وحِفْظِي فَرْجِي، وقِيامِي بعدَّتي، ووفائِي بعَهْدِي، وتَكرِمَتي ضَيْفي، وحفْظِي جارِي، وتَرْكِي مَا لا يَعْنِيني، فَذَاكَ الذي صَيَّرِني كَمَا تَرَىٰ(٣).

وقال ابنُ أبي حاتم: حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا ابنُ نُفَيْلٍ، حَدَّثنا عَمرُو بنُ واقِدٍ، عن عَبْدَةَ بنِ رَبَاحٍ، عن رَبِيعَةَ، عن أبي الدَّرْداء، أنَّه قالَ يومًا، وذَكَرَ لقمانَ الحكيمَ فقال: ما أوتِيَ ما أُوتِيَ عن أهلٍ ولا مالٍ، ولا حَسَبٍ ولا خصَالٍ، ولكنَّه كَانَ رَجُلاً صَمْصَامَةً، سكِّيتًا، طويلَ التَّفكُّرِ، عميقَ النَّظَرِ، لم يَنَمْ نهارًا قَطُّ، ولم يَرَه أحدٌ يَبْزُقُ ولا يَتَنَخَّعُ، ولا يَبُولُ ولا يَتَغوَّطُ، ولا يَغْتَسِلُ، ولا يَعبَثُ ولا يَضْحَكُ، وكان لا يُعِيدُ مَنطقًا نَطَقَه، إلاَّ أن يَقُولَ حكْمَةً يَسْتَعيدُها إيَّاه أحدٌ، وكان قد تَزَوَّجَ، ووُلِدَ له أولادٌ فماتُوا فلم يَبْكِ عليهم، وكان يَغْشَىٰ السُّلطانَ ويَأْتِي الحُكَّامَ؛ لِيَنْظُرَ ويَتفكَّرَ ويَعْتَبِرَ، فبذلك أُوتِيَ ما أُوتِيَ. ومنهم من زَعَمَ أنَّه عُرِضَتْ عليهِ النُّبوَّةُ، فخافَ أن لا يَقُومَ بِأعْبائِها، فاختارَ الحِكْمَةَ؛ لأنَّها أسهَلُ عليه(٤). وفي هذا نظرٌ. واللَّهُ أعلمُ. وهذا مَرْوِيٌّ عن قَتادةَ، كما سَنَذْكُرُه، وروَىٰ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ، وابنُ جريرٍ، مِن طريق وَكيعٍ، عن إسرائيلَ، عن جابرٍ الجُعْفِيِّ، عن عِكرِمَةَ أنَّه قال: كان لقمانُ نَبيًّا(٥) . وهذا ضعيفٌ؛ لحالِ الجُعْفِيِّ.

والمشهورُ عن الجمهورِ، أنَّه كان حكيمًا وَليًّا، ولم يكن نبيًّا. وقدْ ذَكَرَه اللَّهُ تعالىٰ في القرآنِ، فأثْنَىٰ عليه، وحكَىٰ مِن كلامِه فيما وَعَظَ به وَلَدَه الذي هو أحَبُّ الخَلْقِ إليه، وهو أشفَقُ النَّاسِ عليه، فكان مِن أوَّلِ ما وَعظَه به أن قال: ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ فنَهَاه عنه وحذَّرَهُ منه.

وقد قَالَ البُخاريُّ: حَدَّثنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثناجريرٌ، عن الأعْمَشِ، عن إبراهيمَ، عن عَلقَمَةَ، عن عبدِاللَّهِ قال: لَمَّا نَزَلَت: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾ [الانعام: ٨٢]. شَقَّ ذلكَ علىٰ أصحابِ رسولِ اللَّهِ

---

(١) في «التفسير» (٦/ ٣٣٧).

(٢) **منقطع**: رجال الإسناد كلهم ثقات، وعبد الرحمن بن جابر من الطبقة السابعة، وهو يخبر عن أمر غيبي لا يعلم إلا بوحي، وعليه فهو منقطع.

(٣) **إسناده تالف**: عمر مولىٰ غفرة ضعيف كثير الإرسال كما قال الحافظ وهو لم يلق الصحابة.

(٤) **إسناد ضعيف إلى أبي الدرداء**: أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٧٥٣٧) محذوف الإسناد وهذا إسناد ضعيف جداً. فيه عمرو بن واقد وهو متروك واتهم بالكذب ولم أقف علىٰ ربيعة الراوي عن أبي الدرداء. ولا علىٰ عبده بن رباح.

(٥) **إسناد ضعيف إلى عكرمة**: لحال جابر الجعفي كما ذكر المصنف أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٨٠٩٠).

ﷺ، وقالوا: أَيُّنا لم يَلْبِس إيمانَهُ بظُلم؟! فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّهُ لَيْسَ بذَاكَ، أَلَمْ تَسْمَعْ إلى قَولِ لُقمَانَ: ﴿يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟»[1] ورَواه مسلمٌ، مِن حديث سليمانَ ابن مهرانَ الأعمشِ[2] بِهِ. ثُم اعتَرَضَ تعالى بالوصيَّةِ بالوالدَيْنِ، وبيانِ حَقِّهما على الولَدِ، وتأَكُّدِه، وأَمَرَ بالإحسانِ إليهما، حتى ولو كانا مُشْرِكَين، ولكن لا يُطاعانِ علَى الدُّخُولِ في دِينهما، إلى أَن قالَ مُخبِرًا عن لُقمانَ فيما وَعَظ به ولَدَهُ: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ يَنْهاهُ عن ظُلْمِ النَّاسِ ولو بِحَبَّةِ خَرْدَلٍ؛ فإنَّ اللَّهَ يَسألُ عنها ويُحضِرُها حَوزَةَ الحسابِ، ويَضَعُها في الميزانِ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وأَخبَرَهُ أنَّ هذا الظُّلمَ لو كان في الحَقارَةِ كالخَرْدَلَةِ، ولو كَانَ في جَوفِ صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، لا بَابَ لها ولا كُوَّةَ، أَوْ لو كانت ساقِطَةً في شَيءٍ من ظُلُماتِ الأَرَضِينَ أو السَّمواتِ، في اتِّساعِهما، وامتدادِ أَرْجائِهمَا، لَعَلِمَ اللَّهُ مَكانَها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ أي؛ عِلْمُه دَقيقٌ، فلا يَخْفَىٰ عليه الذَّرُّ مِمَّا تَراءَىٰ للنَّوَاظِرِ أو تَوارَىٰ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]. وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]. وقد زَعَم السُّدِّيُّ في خَبَرِه عن الصَّحابةِ، أنَّ المُرادَ بهذه الصَّخرَةِ، الصخرةُ التي تحتَ الأَرَضِينَ السَّبعِ، وهكذا حُكِي عن عطيَّةَ العَوفِيِّ، وأبي مالكٍ، والثَّورِيِّ، والمِنهَالِ بنِ عَمْرٍو، وغيرِهم. وفي صِحَّةِ هذا القَولِ من أَصلِه نَظَرٌ، ثُمَّ في أنَّ هذا هو المرادُ، نَظَرٌ آخرُ؛ فإنَّ هذه الآيَةَ نَكِرَةٌ غيرُ مُعَرَّفَةٍ، فلو كان المرادُ بها ما قالوه، لَقالَ: فَتَكُنْ في الصَّخْرَةِ. وإنَّما المرادُ: فَتَكُنْ في صَخْرَةٍ، أيِّ صخرةٍ كانتْ، كما قال الإمامُ أحمد: حَدَّثنا حسنُ بنُ موسىٰ، حَدَّثنا ابنُ لَهِيعَةَ، حَدَّثنا دَرَّاجٌ، عن أبي الهَيثَمِ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، عن رسولِ الله ﷺ، أنَّه قالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ، لَيْسَ لَهَا بَابٌ ولا كُوَّةٌ، لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ»[3] ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ﴾ أي؛ أَدِّهَا بجميعِ واجباتِها؛ مِن حُدُودِها وأَوْقاتِها ورُكُوعِها وسُجُودِهَا وطُمَأْنِينَتِهَا وخُشُوعِها، وما شُرِعَ فيها، واجتَنِبْ ما نُهِيَ عنه فيها. ثم قال: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ أي: بجُهْدِك وطاقَتِك، إن استَطَعْتَ باليَدِ فباليدِ، وإلاَّ فبلِسَانِكَ، فإن لم تَسْتَطِعْ فبقَلْبِكَ، ثم أَمَرَهُ بالصَّبْرِ فقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ وذلك أنَّ الآمرَ بالمعروفِ والنَّاهِيَ عن المُنْكَرِ، في مَظَنَّةِ أن يُعادَىٰ ويُنالَ منه، ولكن له العاقبَةُ، ولهذا أَمَرَه بالصَّبْرِ على ذلك، ومعلومٌ أنَّ عاقبةَ الصَّبْرِ الفَرَجُ. وقولُه: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ أي؛ إنَّ

---

(١) في البخاري (٤٧٧٦، ٦٩١٨).

(٢) في مسلم (١٢٤).

(٣) **ضعيف**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٨) وفي إسناده ابن لهيعة المصري وهو ضعيف من جهة حفظه وفيه درَّاج ضعيف في أبي الهيثم خاصة كما قال الآجري وانظر «التمهيد» (٣/ ١٨٠).

أمركَ بالمعروف، ونَهْيَكَ عن المنكر، وصَبْرَكَ على الأذى من عزائم الأمور التي لا بُدَّ منها، ولا مَحِيدَ عنها. وقوله: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾. قال ابن عباس: ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وسعيدُ بنُ جُبَيْر، والضَّحاكُ، ويزيدُ بنُ الأصَمِّ، وأبو الجَوْزاء، وغيرُ واحد: معناه لا تَتَكَبَّرْ على النَّاس وتُمِلْ خَدَّكَ حالَ كلامكَ لهم وكلامهم لكَ، على وجه التَّكَبُّر عليهم والازْدراء لهم. قال أهلُ اللغة: وأصلُ الصَّعَر داءٌ يأخُذُ الإبلَ في أعْناقِهَا، فتَلْتَوِي رُءُوسُها، فشُبِّهَ به الرجلُ المُتَكَبِّرُ الذي يُمِيلُ وَجْهَه إذا كَلَّم النَّاسَ أو كَلَّمُوه، على وَجْه التَّعاظُم عليهم.

قال أبو طالب في شعْره:

وكُنَّا قديمًا لا نُقرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثَنَوْا صُعْرَ الخُدُودِ نُقِيمُها

وقال عمرو بن حُنَيٍّ التَّغْلبيّ:

وكُنَّا إذا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ ... أَقَمْنا لَهُ منْ مَيْلِه فَتَقَوَّمَا

وقوله: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ينهاه عن التَّبَخْتُر في المشيَة على وجه العَظَمة والفَخر على النَّاس كَمَا قال تَعَالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾ [الإسراء: ٣٧] يَعْني لستَ بسُرعَة مَشْيكَ، تقْطَعُ البلادَ في مشْيَتكَ هذه، ولستَ بدَقِّك الأرضَ برِجْلك، تَخْسفُ الأرضَ بوَطْئكَ عليها، ولستَ بتَشامُخك وتَعاظُمكَ وتَرَفُّعكَ، تَبْلُغُ الجبالَ طُولاً، فاتَّئدْ على نَفْسكَ، فلستَ تَعْدُو قَدْرَك.

وقد ثَبَت في الحديث: «بَيْنَما رَجُلٌ يَمْشي في بُرْدَيْه، يَتَبَخْتَرُ فيهمَا، إذْ خَسَفَ اللَّهُ به الأرضَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فيها إلى يوم القيَامَة»(١) . وفي الحديث الآخر: «وإيَّاكَ وإسبَالَ الإزار؛ فَإنَّهَا منَ المَخيلَة، والمَخيلَةُ لاَ يُحبُّهَا اللَّهُ»(٢) . كما قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ولَمَّا نَهاه عن الاختيال في المَشْي، أَمَرَهُ بالقَصد فيه؛ فإنَّه لا بُدَّ له أَنْ يَمْشيَ، فنَهاه عن الشَّرِّ وأَمَرهُ بالخير، فقال: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي؛ لا تَتَبَاطَأْ مُفَرِّطًا، ولا تُسْرِعْ إسرَاعًا مُفْرطًا، ولكنْ بَيْنَ ذلكَ قَوَامًا، كما قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. ثمَّ قال: ﴿وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ يَعْني إذا تَكَلَّمْتَ، فلا تَتَكَلَّفْ رَفْعَ صَوتكَ؛ فإنَّ أَرْفَعَ الأَصوات وأَنْكَرَهَا، صوتُ الحمير.

وقد ثَبَتَ في «الصَّحيحَيْن» الأمرُ بالاسْتعاذَة عندَ سماع صوت الحَمير بالليل(٣) ؛ فإنَّها رَأَتْ

---

(١) في مسلم (٢٠٨٨).

(٢) إسناده حسن: أخرجه أبو داود (٤٠٨٤) من طريق يحيى القطان والترمذي (٢٧٢٢) من طريق أبي أسامة كلاهما عن أبي غفار المثنى بن سعيد الطائي عن طريف بن مجالد الهجيمي عن جابر بن سليم: وذكر قصة طويلة وفيها هذا الحديث.

قلت: وإسنادهما حسن فرجاله ثقات المثنى بن سعيد فوثقه البزار وغيره وقال أبو حاتم: «صالح الحديث» وقال ابن معين: مشهور.

(٣) البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩) وفيه النهي عن ذلك مطلقًا دون تخصيصه بالليل.

شيطانًا، ولهذا نُهِيَ عن رفعِ الصَّوتِ حيثُ لا حاجةَ إليهِ، ولا سيَّما عندَ العُطاسِ، فيُستَحَبُّ خَفْضُ الصوتِ، وتَخْمِيرُ الوَجهِ، كما ثَبَتَ به الحديثُ[1] مِن صَنِيعِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأمَّا رَفْعُ الصَّوْتِ بالأذانِ، وعندَ الدعاءِ إلى الفئةِ للقتالِ، وعندَ الإهلالِ، ونحوِ ذلك، فذلك مشروعٌ، فهذا مِمَّا قَصَّه اللَّهُ تعالى عن لُقمانَ عليه السَّلامُ، في القرآنِ من الحِكَمِ والمَواعِظِ، والوَصايا النَّافعَةِ الجامعةِ للخيرِ، المانعةِ مِن الشَّرِّ، وقد وردَتْ آثارٌ كثيرةٌ في أخبارِه ومواعظِه، وقد كان له كتابٌ يُؤْثَرُ عنه، يُسَمَّى بـ «حِكْمَةِ لقمانَ» ونحنُ نذكرُ من ذلك ما تَيَسَّرَ، إن شاءَ اللَّهُ تعالى.

قَالَ الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا عليُّ بن إسحاقَ، أنبأَنا ابنُ المبارَكِ، أنبأَنا سفيانُ، أخبرني نَهْشَلُ بنُ مُجَمِّعٍ الضَّبِّيُّ، عن قَزَعَةَ، عن ابنِ عُمرَ، قال: أخبَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ لُقْمانَ الحَكِيمَ كَانَ يَقُولُ: إِنَّ اللَّه إِذَا استُودِعَ شيئًا حَفِظَهُ**»[2].

وقال ابنُ أبي حاتمٍ: حَدَّثنا أبو سعيدٍ الأشَجُّ، حَدَّثناعيسى بنُ يونسَ، عن الأوزاعيِّ، عن موسى ابنِ سُليمانَ، عن القاسمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ: يا بُنَيَّ، إِيَّاكَ والتَّقَنُّعَ؛ فَإِنَّهُ مَخُوفَةٌ باللَّيْلِ، مَذَلَّةٌ بالنَّهارِ**»[3].

وقال أيضًا[4]: حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا عَمرُو بنُ عثمانَ، حَدَّثنا ضَمْرَةُ، حَدَّثنا السَّرِيُّ بنُ يحيى قال: قال لُقمانُ لابنِه: يا بُنَيَّ، إنَّ الحكمةَ أَجْلَسَتِ المساكينَ مجالسَ المُلُوكِ، وحَدَّثنا أبي، حَدَّثنا عَبْدَةُ بنُ سليمانَ، أنبأَنا ابنُ المُبارَكِ، أنبأَنا عبدُ الرحمنِ المَسْعُودِيُّ، عن عَونِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: قالَ لُقمانُ لابنِه: يا بُنَيَّ، إذَا أَتَيْتَ نادِيَ قومٍ، فارْمِهم بسَهْمِ الإسلامِ - يَعْنِي السَّلامَ - ثُمَّ اجْلِسْ في ناحِيَتِهِمْ، فلا تَنْطِقُ حتى تَرَاهُم قد نَطَقُوا، فإنْ أَفاضُوا في ذِكْرِ اللَّهِ، فَأَجِلْ سَهْمَكَ معهم، وإن أفاضُوا في غيرِ ذلك، فتَحَوَّلْ عنهم إلى غيرِهم، وحَدَّثنا أبي، حَدَّثنا عَمرُو بنُ عثمانَ، حَدَّثنا ضَمْرَةُ، عن حَفصِ بنِ عمرَ قال: وضَعَ لقمانُ جِرابًا مِن خَرْدَلٍ إلى جانبِه، وجَعَلَ يَعِظُ ابْنَه وَعْظَةً، ويُخْرِجُ خَرْدَلَةً، حتى نَفِدَ الخَرْدَلُ، فقال: يا بُنَيَّ، لقد وَعَظْتُك مَوْعِظَةً، لو وُعِظَها جَبَلٌ لتَفَطَّرَ. قال: فتَفَطَّرَ ابنُه.

وقال أبو القاسمِ الطَّبَرَانِيُّ: حَدَّثنا يحيى بنُ عبدِ الباقي المِصِّيصِيُّ، حَدَّثنا أحمدُ بن عبدِ الرحمنِ الحَرَّانِيُّ، حَدَّثنا عثمانُ بنُ عبدِ الرحمنِ الطَّرَائِفِيُّ حَدَّثنا أَيْنُ بنُ سُفْيانَ المَقْدسيُّ، عن خَلِيفَةَ بنِ سَلَّامٍ، عن عطاءِ بنِ أَبِي رَباحٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **اتَّخِذُوا السُّودَانَ، فَإِنَّ ثَلاثَةً**

---

(١) **إسناده صحيح:** الحديث أخرجه الترمذي (٢٧٤٥) عن محمد بن وزير، وأبو داود (٥٠٢٩) عن مسدد، كلاهما عن يحيى القطان عن محمد بن عجلان عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة: قال «كان رسول اللَّه ﷺ إذا عطس وضع يده أو ثوبه على فيه. خفض أو غض بها صوته».

وإسناده صحيح: رجاله ثقات وسمي هو المخزمي المدني: ثقة ومحمد بن عجلان وثقه جماعة من الأئمة انظر «التهذيب» (٧١٥٦).

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (٢/ ٨٧) ورجاله ثقات.

(٣) **هذا السند مرسل:** ولم أقف عليه في تفسير ابن أبي حاتم المجموع.

(٤) في «التفسير» (٦/ ٣٤٣)، ولا يصح؛ إذ فيه انقطاع بين السري ولقمان الحكيم.

منهُمْ منْ سادات أهْل الجنَّة؛ لُقمانُ الحَكيمُ، والنَّجَاشيُّ، وبلالٌ المُؤذِّنُ»(١) . قال الطَّبَرانيُّ: يَعْني الحَبَشَةَ: وهذا حَديثٌ غريبٌ، بل مُنْكَرٌ. وقد ذَكَرَ الإمَامُ أحمدُ ترجمةً في كتابِ «الزُّهْد» ذَكَرَ فيها فوائدَ مُهِمَّةً وفَرائدَ جَمَّةً، فقال: حَدَّثَنا وَكِيعٌ، حَدَّثَنا سُفيانُ، عن رجُلٍ، عن مُجاهِدٍ: ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ** ﴾. قال: الفِقْهُ والإصابةُ في غيرِ نُبوَّةٍ. وكَذا رُوِيَ عَنْ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ. وحَدَّثَنا وكيعٌ، حَدَّثَنا سفيانُ، عن أشْعَثَ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان لُقمانُ عبدًا حَبَشيًّا(٢) . وحَدَّثَنا أَسْوَدُ، حَدَّثَنا حَمَّادٌ، عن عليِّ بنِ زيدٍ، عن سعيدِ بن المُسَيَّبِ، أنَّ لقمانَ كان خَيَّاطًا(٣).

وحَدَّثَنا سَيَّارٌ، حَدَّثَنا جعفرٌ، حَدَّثَنا مالكٌ ـ يَعْني ابنَ دينارٍ ـ قال: قال لقمانُ لابنِهِ: يا بُنَيَّ، اتَّخِذْ طاعةَ اللَّهِ تجارةً؛ تأْتِكَ الأرباحُ مِن غيرِ بِضاعَةٍ(٤) . وحَدَّثَنا يزيدُ، حَدَّثَنا أبو الأَشْهَبِ، عن محمدِ بنِ واسعٍ، قال: كان لقمانُ يقولُ لابنه: يا بُنَيَّ، اتَّقِ اللَّهَ ولا تُرِ النَّاسَ أنَّك تَخْشَى اللَّهَ لِيُكْرِمُوك بذلك وقلبُك فاجِرٌ(٥) . وحَدَّثَنا يزيدُ بن هارونَ ووَكيعٌ، قالا: حَدَّثَنا أبو الأشْهَبِ، عن خالدٍ الرَّبَعِيِّ قال: كان لقمانُ عبدًا حَبَشيًّا نجَّارًا، فقال له سيِّدُه: اذْبَحْ لي شاةً. فذَبَحَ له شاةً، فقال له: ائتني بأطْيَبِ مُضْغَتَيْنِ فيها، فأَتاه باللِّسانِ والقَلْبِ، فقال: أَمَا كان فيها شَيءٌ أطْيَبَ من هَذَيْنِ؟ قال: لا. قال: فسكَتَ عنه ما سكَت، ثُمَّ قال له: اذْبَحْ لي شاةً. فَذَبَحَ له شاةً، فقالَ له: أَلْقِ أَخْبَثَها مُضْغَتَيْنِ. فرَمَىٰ باللِّسانِ والقَلْبِ، فقال: أَمرْتُكَ أَنْ تأتِيَني بأَطْيَبِها مُضْغَتَينْ؛ فأَتَيْتَني باللِّسَانِ والقَلْبِ، وأَمرْتُكَ أن تُلْقِيَ أَخبَثَها مُضْغَتَينِ؛ فأَلْقَيْتَ اللِّسَانَ والقَلْبَ. فقال: إنَّه ليس شَيءٌ أَطْيَبَ منهما إذا طابا، ولا أخْبَثَ منهما إذا خَبُثَا(٦) . وحَدَّثَنا داودُ بنُ رُشَيْدٍ، حَدَّثَنا ابنُ المُبارَك، حَدَّثَنا مَعْمَرٌ، عن أبي عثمانَ؛ رَجُلٍ من أهلِ البَصْرَةِ يُقالُ له: الجَعْدُ أبو عثمانَ. قال: قال لقمانُ لابْنه: لا تَرْغَبْ في وُدِّ الجاهل؛ فيَرَىٰ أنَّك تَرْضَىٰ عَمَلَه، ولا تَهاوَنْ بِمَقْتِ الحكيمِ فيَزْهَدَ فيك(٧). وحَدَّثَنا داودُ بنُ رُشَيدٍ، حَدَّثَنا إسماعيلُ بنُ عَيَّاشٍ، عن ضَمْضَمِ بنِ زُرعَةَ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ الحَضْرَمِيِّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ زَيْدٍ، قال: قال لقمانُ: أَلاَ إنَّ يدَ الله علىٰ أفْواهِ الحُكَماءِ، لا يَتَكَلَّمُ أحَدُهم إلاَّ ما هَيَّأَ اللَّهُ له(٨) .

وحَدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ سَمِعتُ ابنَ جُرَيْجٍ قال: كنتُ أُقَنِّعُ رَأْسِي باللَّيلِ، فقال لي عَمْرٌو: أَمَا عَلِمتَ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه الطبري في «الكبير» (١١٤٨٢)، وفي إسناده أيمن بن سفيان المقدسي. وهو ضعيف ضعفه البخاري والدارقطني وغيرهما والحديث أخرجه ابن حبان في «الضعفاء» (١/ ١٧٠).

(٢) **إسناده ضعيف إلى ابن عباس**: وتقدم الكلام عليه وفيه الأشعث بن سوار. أخرجه أحمد في «الزهد» ص٤٩.

(٣) **إسناده ضعيف إلى سعيد**: فيه علي بن زيد بن جدعان أخرجه أحمد في «الزهد» ص٤٩.

(٤) **منقطع**: أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (ص٦٥)، وفيه انقطاع بني ابن دينار ولقمان الحكيم، وسيورد المصنف بعد ذلك عدة آثار عن لقمان لحكيم أخرجها الإمام أحمد في «الزهد»، وجلها منقطعة، وأكتفي بالإشارة إلى مكانه في «الزهد» وبقولي منقطع خشية الإطالة مما لم يكن راوٍ متكلم فيه فإني أذكره وإلا فلا.

(٥) **منقطع**: أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٦٤).

(٦) **منقطع**: أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٦٥).

(٧) **منقطع**: عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٦) لأحمد في «الزهد».

(٨) **إسناده صحيح إلى عبد الله بن زيد**: ما أبرز من رجاله ثقات ضمضم بن زرعة هو الحضرمي الحمصي. وثقه ابن معين وضعفه أبو حاتم وذكره ابن حبان في الثقات ووثقه ابن نمير وأحمد بن محمد بن عيسى. وإسماعيل بن عياش الحضرمي الحمصي على ضعفه إلا أن روايته عن أهل بلده صحيحة. وأخرج الحديث أحمد في «الزهد» ٤٩.

أنَّ لُقمانَ قال: القِنَاعُ بالنَّهارِ مَذَلَّةٌ، مَعْذِرَةٌ - أو قال: مَعْجزَةٌ - باللّيلِ، فَلِمَ تُقَنِّعُ رَأسَك بالليلِ؟ قالَ: قلتُ له: إنَّ لقمانَ لم يَكُن عليه دَيْنٌ. وحَدَّثني حسنُ بنُ الجُنَيْد، حَدَّثنا سفيانُ، قال: قال لقمانُ لابْنِه: يا بُنَيِّ، ما نَدِمْتُ على الصَّمْتِ قَطُّ، وإن كان الكلامُ مِن فِضَّةٍ، فالسُّكُوتُ من ذَهَبٍ[1].

وحَدَّثنا عبدُ الصَّمَد ووكيعٌ، قالا: حَدَّثنا أبو الأشْهَب، عن قَتادَةَ، أَنَّ لقمانَ قال لابْنِه: يا بُنَيَّ، اعْتَزِلِ الشَّرَّ يعتزِلْك؛ فإنَّ الشَّرَّ للشَّرِّ خُلِقَ[2]. وحَدَّثنا أبو معاوِيَةَ، حَدَّثنا هشامُ بنُ عُرْوَةَ، عن أبيه قال: مكتوبٌ في الحكمة: يا بُنَيَّ، إيَّاكَ والرَّغَبَ؛ فإنَّ الرَّغَبَ كُلَّ الرَّغَبِ يُبْعِدُ القَرِيبَ مِن القريبِ، ويُزِيلُ الحِلْمَ كما يُزِيلُ الطَّرَبَ، يا بُنَيَّ، إيَّاكَ وشِدَّةَ الغَضَبِ؛ فإنَّ شِدَّةَ الغَضَبِ مَمْحَقَةٌ لفؤادِ الحكيمِ[3].

قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا عبدُ الرَّحمنِ بنُ مَهْدِيٍّ، حَدَّثنا نافعُ بنُ عمرَ، عن ابنِ أبي مُلَيْكَةَ، عن عُبَيْدِ بنِ عُمَيْرٍ، قال: قال لقمانُ لابنه وهو يَعظُه: يا بُنَيَّ، اخْتَرِ المجَالسَ على عَيْنِكَ، فإذا رَأَيْتَ المَجْلِس يُذْكَرُ فيه اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ، فاجْلِسْ معهم؛ فإنَّكَ إن تَكُ عَالِمًا يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ، وإن تَكُ غَبِيًّا يُعَلِّموك، وإن يَطَّلعِ اللَّهُ عليهم بِرَحمَةٍ تُصِبْك معهم، يا بُنَيِّ، لا تَجْلِس في المَجْلِسِ الذي لا يُذْكَرُ اللَّهُ فيه؛ فإنَّكَ إن تَكُ عَالِمًا لا يَنْفَعْكَ عِلمُك، وإن تَكُ غَبِيًّا يَزِيدُوكَ غَبَاءً، وإن يَطَّلعِ اللَّهُ إليهم بعد ذلكَ بِسَخَطٍ، يُصِبْكَ معهم، يا بُنَيَّ، لا تَغْبِطَنَّ امْرأً رَحْبَ الذِّراعَيْنِ يَسْفِكُ دِمَاءَ المؤمنين، فإنَّ له عندَ اللَّه قاتلاً لا يَمُوتُ[4].

وحَدَّثنا أبو مُعاويةَ، حَدَّثنا هشامُ بنُ عُروةَ، عن أبيه، قال: مَكْتُوبٌ في الحكمة: بُنَيَّ، لِتَكُنْ كَلِمَتُكَ طَيِّبَةً، ولْيَكُنْ وَجْهُكَ بَسْطًا تَكُنْ أحبَّ إلى النّاسِ مِمَّنْ يُعطِيهم العَطَاءَ. وقال: مَكْتوبٌ في الحِكمةِ أو في التَّوراة: الرِّفْقُ رَأْسُ الحكْمَة. وقال: مكتوبٌ في التَّوارة: كما تَرْحَمونَ تُرحَمُون. وقال: مكتوبٌ في الحِكْمَةِ: كما تَزْرَعُونَ تَحْصُدُونَ. وقال: مكتوبٌ في الحكمة: أحبَّ خَلِيلَكَ وخَلِيلَ أبِيك[5].

وحَدَّثنا عبدُ الرَّزَّاق، عن مَعمَرٍ، عن أيوبَ، عن أبي قِلاَبَةَ قال: قِيل لِلُقمانَ: أيُّ النَّاسِ أَصبَرُ؟ قال: صَبرٌ لا يَتْبَعُه أذَىٰ. قيل: فأيُّ النَّاسِ أعلَمُ؟ قال: من ازْدادَ مِن عِلْمِ النَّاسِ إلى عِلْمه. قيل: فَأَيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قال: الغَنِيُّ. قيل: الغَنِيُّ مِن المالِ؟ قال: لا، ولكن الغَنِيُّ الذي إذا التُمِسَ عندَه خَيْرٌ وُجِدَ، وإلاَّ أَغْنَىٰ نَفْسَه عن النَّاسِ[6].

وحَدَّثنا سفيانُ - هو ابنُ عُيَيْنَةَ - قال: قِيل لِلُقْمانَ: أيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قال: الذي لا يُبالِي أن يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئًا[7]. وحَدَّثنا أبو عبدِ الصَّمَد، عن مالكِ بنِ دِينارٍ قال: وَجَدْتُ في بعضِ الحكْمَة: يُبَدِّدُ اللَّهُ عِظامَ الذينَ يتَكَلَّمُون بأهواءِ النَّاسِ. ووَجَدْتُ فيها: لا خيرَ لك في أَنْ تَعْلَمَ ما لَمْ تَعْلَمْ، ولَمَّا

---

(١) **منقطع:** أخرجه عبد اللَّه بن أحمد في «زوائده» على أبيه، انظر «الزهد» (ص٦٥).

(٢) **منقطع:** وانظر المصدر السابق.

(٣) **منقطع:** عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٦) لأحمد.

(٤) **منقطع:** وانظر المصدر السابق.

(٥) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٦٥)، وأبو معاوية وهو الضرير ثقة في حديث الأعمش يهم في حديث غيره. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧٨) من طريق أبي معاوية به مختصراً.

(٦) **ضعيف:** ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٧) وعزاه لأحمد، وفيه انقطاع بين أبي قلابة ولقمان الحكيم، وفيه رواية معمر عن العراقيين مضطربة.

(٧) **منقطع:** أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٦٥).

تَعْمَلْ بما قد عَلِمْتَ؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك، مَثَلُ رَجُلٍ احْتَطَبَ حَطَبًا، فحزَمَ حُزمَةً، ثُمَّ ذَهَبَ يَحْمِلُها فعَجَزَ عنها، فضَمَّ إليها أُخرَىٰ[١].

وقال عبدُ اللَّه بنُ أحمدَ: حَدَّثنا الحكَمُ بنُ أبي زُهَيرٍ، وهو الحكمُ بنُ موسىٰ، حَدَّثنا الفَرَجُ بنُ فَضَالَةَ، عن أبي سَعيدٍ، قال: قال لُقمانُ لابْنِه: يا بُنَيَّ، لا يَأْكُلْ طَعامَكَ إلاَّ الأتقياءُ، وشاوِرْ في أَمْرِكَ العُلَماءَ[٢].

وهذا مجموعُ ما ذَكَرَهُ الإمامُ أحمدُ في هذا المَوضعِ، وقد قَدَّمنَا من الآثارِ كثيرًا لم يَروِها، كما أنَّهُ ذَكَرَ أشياءَ ليستْ عندَنا. واللَّهُ أعلمُ.

وقال ابنُ أبي حاتم[٣]: حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا العَبَّاسُ بنُ الوليدِ، حَدَّثنا زيدُ بنُ يحيىٰ بنِ عُبَيْدٍ الخُزاعيُّ، حَدَّثنا سعيدُ بنُ بَشيرٍ، عن قتادَةَ قال: خَيَّرَ اللَّهُ لُقمانَ الحكيمَ بينَ النُّبُوَّةِ والحكمَةِ، فاختارَ الحكمةَ علىٰ النُّبُوَّةِ. قال: فأتاه جِبْرِيلُ وهو نائمٌ، فذَرَّ عليه الحكمةَ. قال: فأصْبَحَ يَنْطِقُ بها. قال سعيدٌ: فسَمِعتُ قَتادَةَ يقول: قيل لِلُقمانَ: كيف اخْتَرْتَ الحكمةَ علىٰ النُّبُوَّةِ وقد خَيَّرَكَ ربُّكَ؟ فقال: إنَّهُ لو أُرسِلَ إليَّ بالنُّبُوَّةِ عَزْمَةً، لَرَجَوْتُ فيه الفَوزَ منه، ولَكُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَقُومَ بها، ولَكِنَّه خَيَّرَني، فخِفْتُ أَن أَضْعُفَ عن النُّبُوَّةِ، فكانت الحِكْمَةُ أحَبَّ إِلَيَّ، وهذا فيه نظرٌ؛ لأنَّ سعيدَ بنَ بَشيرٍ عن قَتادَةَ، قد تَكَلَّمُوا فيه.

والذي رَواه سعيدُ بنُ أبي عَرُوبَةَ، عن قَتادَةَ، في قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾ قال: يَعني الفقهَ في الإسلامِ، ولم يَكُن نَبيًّا، ولم يُوحَ إليه. وهكذا نَصَّ علىٰ هذا غيرُ واحدٍ من السَّلَفِ؛ منهم مُجاهِدٌ، وسعيدُ بنُ المُسيَّبِ، وابنُ عباسٍ واللَّهُ أعلمُ.

قصة أصحاب الأخدود

قال اللَّه تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ③ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ⑥ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ⑦ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ⑧ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ⑨ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١-١٠].

قد تَكَلَّمنَا علىٰ ذلكَ مُستَقصًىٰ في تفسيرِ هذه السُّورةِ وللَّهِ الحمدُ. وقد زعَم محمدُ ابنُ إسحاقَ أنَّهم كانوا بعدَ مَبْعَثِ المسيحِ، وخَالَفَه غيرُه، فزَعَمُوا أنَّهم كانوا قَبلَه. وقد ذَكَرَ غيرُ واحدٍ أنَّ هذا الصَّنيعَ تَكَرَّرَ

---

(١) منقطع: أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٦٥)، وفيه الإخبار عن أمر غيبي لا يعلم إلا بوحي.

(٢) ضعيف جدًا: ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٧)، وعزاه لعبد اللَّه في زوائده، وفيه الفرج بن فضالة ضعيف، وبينه وبين أبي سعيد الخدري انقطاع، ويغلب علىٰ ظني أنه ليس الصحابي، إنما هو أبو سعيد صاحب واثلة شيخ الفرج، وقد ذكره الحافظ في «التهذيب».

هذا وثم انقطاع آخر بين أبي سعيد وبين لقمان الحكيم.

(٣) ضعيف: عزاه له السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٥١١)، وضعفه المصنف كما سيأتي في آخره إن شاء اللَّه.

في العالَم مرارًا في حقِّ المؤمنينَ من الجبّارينَ الكافرينَ، ولكنْ هؤلاء المذكورون في القرآن قد وَرَدَ فيهم حديثٌ مرفوعٌ وأثرٌ أوردَه ابنُ إسحاقَ، وهما متعارضان، وها نحن نوردُهما لتقفَ عليهما.

قال الإمام أحمدُ: حَدَّثنا عَفَّانُ، حَدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمَةَ، عن ثابتٍ، عن عبد الرحمن بن أبي لَيلَى، عن صُهَيْبٍ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «كان مَلِكٌ فيمَن كان قبلَكم، وكان له ساحرٌ، فلمَّا كَبِرَ السَّاحرُ قال للمَلِك: إنِّي قد كَبِرَتْ سِنِّي، وحَضَرَ أَجَلي، فادفَعْ إليَّ غلامًا فلأُعلِّمَه السِّحْرَ. فدفَعَ إليه غلامًا، فكان يُعلِّمُه السِّحْرَ، وكان بَيْنَ السَّاحرِ وبينَ الملك راهبٌ، فأَتى الغلامُ على الراهب فسَمِعَ من كلامه، فأعْجَبَه نَحْوُه وكلامُه، وكان إذا أتى السَّاحرَ ضربَه، وقال: ما حبَسَكَ؟ وإذا أتى أهلَهُ ضَرَبُوهُ وقالوا: ما حَبَسَكَ؟ فَشكَى ذَلكَ إلى الراهبِ فقالَ إذا أرادَ السَّاحرُ أن يَضربَكَ فقُل: حَبَسَني أهلي. وإذا أراد أهلُك أن يَضربُوك فقُل: حَبَسَني السَّاحِرُ». قال: «فبَيْنَما هو ذاتَ يوم، إذ أتى على دابَّة فَظيعَة عَظيمة قد حَبَسَت النَّاسَ، فلا يستطيعون أنْ يَجُوزُوا، فقالَ: اليومَ أعلمُ، أمرُ السّاحر أحبُّ إلى اللَّه أم أمرُ الراهب». قال: «فأخَذَ حَجَرًا، فقال: اللهمَّ إن كانَ أمرُ الراهب أحبَّ إليك وأرضَى منْ أمْر السَّاحر، فاقتُلْ هذه الدابَّةَ حتى يَجُوزَ النَّاسُ. ورَمَاها فَقَتَلَهَا، ومَضَى النَّاسُ، فأخْبَرَ الراهبَ بذلك، فقال: أي بُنَيَّ، أنتَ أفضلُ منِّي، وإنَّك ستُبْتَلَى، فإن ابْتُليتَ فلا تَدُلَّ عليَّ. فكان الغُلامُ يُبْرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ وسائرَ الأدْواء ويَشْفيهم، وكان جَليسٌ للمَلِكَ فعَمِيَ، فسَمِعَ به، فأتاهُ بهدايا كثيرة، فقال: اشْفني ولكَ ما هَهُنا أجمعُ. فقال: ما أنا أشْفي أحدًا، إنَّما يَشْفي اللَّهُ عزَّ وجلَّ، فإن آمنتَ به، دَعَوْتُ اللَّه فشفَاكَ، فآمَنَ، فدعَا اللَّهَ فشفَاه، ثُمَّ أتى المَلِكَ، فجلَس منه نَحوَ ما كان يَجْلسُ، فقال له الملكُ: يا فلانُ، مَن ردَّ عليكَ بَصَرَك؟ فقال: ربِّي. قال: أنا؟ قال: لا، ربِّي وربُّك اللَّهُ. قال: ولكَ ربٌّ غَيْري؟ قال: نَعَم، ربِّي وربُّكَ اللَّهُ. فلم يَزَلْ يُعَذِّبُه حتى دَلَّ على الغُلام، فأُتِيَ به، فقال: أيْ بُنَيَّ، بلَغ من سحرِكَ أن تُبرِئَ الأكمَهَ والأبرَصَ وهذه الأدواءَ؟ قال: ما أشْفي أنا أحدًا، إنَّما يَشْفي اللَّهُ عزَّ وجلَّ. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أوَلَكَ ربٌّ غَيْري؟ قال: ربِّي وربُّكَ اللَّهُ». قال: «فأخذَهُ أيضًا بالعذاب، ولم يَزَلْ به حتى دَلَّ على الراهب، فأُتِيَ بالراهب، فقال: ارْجِعْ عن دينكَ، فأبَى، فوَضَعَ المنْشَار في مَفْرِق رأسه حتى وقَع شقَّاه، وقال للأعمَى: ارجعْ عن دينكَ، فأبَى، فوضَعَ المنْشَار في مَفْرِق رأسه حتى وقَع شقَّاه، وقالَ للغلام: ارْجِعْ عن دينك. فأبَى، فبَعَث به مع نَفَر إلى جَبَل كذا وكذا، وقال: إذا بَلَغْتُمْ ذرْوَتَه، فإنْ رَجَع عن دينه، وإلاَّ فدَهْدهُوه. فذهَبُوا به، فلمَّا عَلَوُا الجبَلَ قال: اللهمَّ اكْفنيهمْ بما شئْتَ، فرَجَفَ بهم الجبَلُ، فدُهْدِهُوا أجمعون، وجاءَ الغلامُ يَتَلَمَّسُ، حتى دخَل على المَلِكَ، فقال: ما فَعَل أصحابُك؟ فقال: كَفَانيهمُ اللَّهُ، فبعَث به مع نَفَر في قُرْقُور فقال: إذا لَجَجْتُم البَحْرَ، فإنْ رجَع عن دينه، وإلاَّ فغَرِّقُوه في البَحْر. فلَجَجُوا به البحرَ، فقال الغلامُ: اللهمَّ اكْفنيهم بما شئت، فَغَرِقُوا أجْمَعُون، وجاء الغُلامُ يَتَلَمَّسُ حتى دخَلَ على المَلِك، فقال: ما فَعَل أصحابُك؟ فقال: كَفَانيهمُ اللَّهُ، ثم قال للمَلك: إنَّكَ لستَ بقاتلي حتى تفعلَ ما آمُرُكَ به، فإن أنت فعلتَ ما آمُرُكَ به قتَلْتَني، وإلاَّ فإنَّك لا تَستطيعُ قَتْلي. قال: وما هو؟ قال: تَجْمَعُ النَّاسَ في صَعيد واحد، ثُمَّ تَصلِبُني على جذْعٍ، وتأخُذُ سَهْمًا من كنَانتي، ثُم قُل: بِسْمِ اللَّه رَبِّ الغُلام، فإنَّكَ إذا فعلتَ ذلكَ

قَتَلْتَنِي. ففَعَلَ ووضَعَ السَّهْمَ في كَبِد القَوس، ثُمَّ رَمَاه وقال: بِسْمِ اللّه رَبِّ الغلام. فوقَع السَّهْمُ في صُدغه، فوضَع الغلامُ يدَه على موضِع السَّهمِ ومَاتَ. فقَال النَّاسُ: آمَنَّا بربِّ الغلام، فقيل للمَلك: أرأيتَ ما كُنتَ تَحذَرُ، فقَدْ واللّه نزَل بِكَ، قد آمَنَ النَّاسُ كلُّهم، فأمَر بأفواه السِّكَك، فَخُدِّدَتْ فيها الأخاديدُ، وأُضْرِمَتْ فيها النيرانُ، وقال: مَن رجَع عن دينه فدَعُوه، وإلاَّ فأَقْحمُوه فيها» قال: «فكانوا يتَعادَونَ فيها ويتَدَافَعُون، فجاءت امرأةٌ بابن لها تُرضِعُه، فكأنَّها تقَاعَسَتْ أن تَقَعَ في النَّار، فقال الصَّبيُّ: اصبري يا أُمَّاهُ، فإنَّك على الحقِّ»[1] . كَذَا رَوَاه الإمامُ أحمدُ. ورواه مُسلمٌ، والنَّسَائيُّ من حديث حَمَّاد بن سَلَمَةَ[2] . زادَ النَّسائيُّ، وحَمَّادُ بنُ زَيدٍ. كلاهما عن ثابتٍ به، ورَوَاه التِّرمذيُّ من طريقِ عبدِ الرَّزاق، عن مَعمَرٍ، عن ثابتٍ بإسناده، نَحوَه[3] ، وحَرَّرَ إيرادَه، كما بَسَطنا ذلك في «التفسير».

وقد أَوْرَدَ محمدُ بن إسحاقَ هذه القصَّةَ على وجهٍ آخرَ، فقال: حدَّثني يَزيدُ بنُ زيادٍ، عن محمدِ ابن كعبٍ، وحدَّثني أيضًا بعضُ أهلِ نَجْرانَ عن أهلها، أنَّ أهلَ نَجرانَ كانوا أهلَ شِركٍ يَعْبُدونَ الأوثانَ، وكان في قريةٍ من قُراها قريبًا من نَجْرانَ ـ ونَجرانُ هي القريةُ العُظمىٰ التي إليها جِماعُ أهلِ تلكَ البلادِ ـ ساحرٌ يُعَلِّمُ غلمانَ أهلِ نَجرانَ السِّحرَ، فلَمَّا نَزَلَهَا فَيْميُونُ ـ ولم يُسَمُّوه لي بالاسمِ الذي سَمَّاه لي ابنُ مُنبِّهٍ، قالوا: رَجلٌ نزَلَهَا ـ فابْتَنَىٰ خَيْمَةً بينَ نَجرانَ وبينَ تلك القَرية التي فيها السَّاحرُ، وجعَل أهلُ نَجرانَ يُرسلونَ غلمَانَهم إلىٰ ذلك السَّاحرِ يُعَلِّمُهم السِّحرَ، فبعَث الثَّامرُ ابنَه عبدَ اللّه بنَ الثَّامرِ مع غلمَانِ أهلِ نجْرَانَ، فكان إذا مَرَّ بصاحبِ الخَيمَةِ أعجبَه ما يَرَىٰ من عبادَته وصَلاته، فجَعَلَ يَجلسُ إليه ويَسمَعُ منه حتىٰ أسلَمَ، فَوَحَّدَ اللّهَ وعَبَدَه، وجعَل يَسأَلُه عن شرائعِ الإسلام، حتىٰ إذا فَقُهَ فيه، جعَلَ يَسأَلُه عن الاسم الأعظَم، وكان يَعلَمُه فكتَمَه إيَّاه، وقال له: يا ابنَ أخي، إنَّك لن تَحْمِلَه، أخشَىٰ ضَعفَكَ عنه. والثَّامرُ أبو عبدِ اللّه لا يَظُنُّ إلاَّ أَنَّ ابنَه يَختَلِفُ إلىٰ السَّاحرِ كما يَختَلِفُ الغِلْمانُ، فلَمَّا رأىٰ عبدُ اللّه أنَّ صاحبَهُ قد ضَنَّ به عنه، وتخَوَّفَ ضَعفَه فيه، عَمَدَ إلىٰ قِدَاحٍ فجمَعَهَا ثُم لم يُبقِ للّه اسمًا يَعلَمُه إلاَّ كتَبَه في قِدْحٍ، لكلِّ اسمٍ قِدْحٌ، حتىٰ إذا أحصَاها أَوْقَدَ نَارًا ثم جَعَلَ يقذِفُها فيها قِدْحًا قِدْحًا، حتىٰ إذا مَرَّ بالاسمِ الأعظَم، قَذَفَ فيها بقِدْحه، فوَثَبَ القِدْحُ حتىٰ خرَج منها لم تَضُرَّه شيئًا، فأخذَه، ثُمَّ أتىٰ به صاحبَه، فأخبَرَه أنَّه قد عَلِمَ الاسمَ الأعظمَ الذي قد كَتَمَه، فقال: وما هو؟ قال: كذا وكذا. قال: وكيف عَلِمتَه؟ فأخبَرَه بما صنعَ، قال: أَي ابنَ أخي، قد أَصَبْتَهُ، فأَمسكْ على نَفْسكَ، وما أظنُّ أَنْ تَفعَلَ. فجعَل عبدُ اللّه بنُ الثامرِ إذا دخَل نَجرانَ، لم يَلْقَ أحَدًا به ضُرٌّ إلاَّ قال: يا عبدَ اللّه، أَتُوَحِّدُ اللّه وتَدْخُلُ في ديني، وأَدْعُو اللّهَ لك فيُعافيكَ ممَّا أنتَ فيه من البَلاَءِ؟ فيقولُ: نَعَمْ. فيُوَحِّدُ اللّهَ ويُسلمُ، ويَدعو له فيُشفَىٰ، حتىٰ لم يَبْقَ بنَجرانَ أحدٌ به ضُرٌّ إلاَّ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ١٦، ١٧) ورجاله ثقات وهو في مسلم كما سيأتي.
(٢) مسلم (٣٠٠٥) والنسائي في «الكبرىٰ» (١١٦٦١).
(٣) الترمذي (٣٣٤٠).

أتاه فاتَّبعه على أمره ودَعَا له فعُوفيَ، حتى رُفعَ شأنُه إلى مَلك نَجرانَ، فدَعاه فقال: أفسَدْتَ عليَّ أهلَ قَريَتي، وخَالَفتَ ديني ودينَ آبائي، لأُمثِّلَنّ بك. قال: لا تَقدرُ على ذلك. فجعَل يُرسلُ به إلى الجبل الطَّويل، فيُطرَحُ على رأسه، فيَقعُ إلى الأرض ما به بَأسٌ، وجعل يَبعَثُ به إلى مياهٍ بنَجرانَ؛ بُحُورٍ لا يُلقَى فيها شيءٌ إلا هَلَكَ، فيُلقَى به فيها، فيَخرُجُ ليس به بأسٌ، فلمَّا غلبَه، قال له عبدُ الله ابنُ الثامر: إنك والله لا تَقدرُ على قَتْلي حتى تُوَحِّد اللَّهَ فتُؤمنَ بما آمَنتُ به، فإنَّكَ إن فَعَلتَ، سُلِّطتَ عليَّ فقَتَلتَني. قال: فوَحَّدَ اللَّهَ ذلك المَلكُ، وشَهدَ شَهادةَ عبد اللَّه بن الثامر، ثم ضَرَبَهُ بعَصاً في يَده، فشَجَّه شَجَّةً غيرَ كبيرة فقتَلَه، وهَلَكَ المَلكَ مكانَه، واستَجمَعَ أهلُ نَجرانَ على دين عبد اللَّه بن الثَّامر، وكان على ما جاء به عيسى ابن مريم من الإنجيل وحُكمه، ثم أصابهم ما أصابَ أهلَ دينهم من الأحداث، فَمن هُنَالكَ كان أصلُ دين النَّصرانيَّة بنَجرَانَ[1].

قَالَ ابنُ إسحاقَ: فهذا حديثُ محمد بن كعب وبعض أهل نجرانَ، عن عبد اللَّه بن الثَّامر، فاللَّهُ أعْلَمُ أيُّ ذَلكَ كان. قال: فسارَ إليهم ذُو نُوَاس بجُنْده، فدَعاهُم إلى اليهوديّة، وخيَّرَهم بينَ ذلك أو القتل، فاختاروا القتلَ، فَخَدَّ الأخدودَ، وحرَّق بالنَّار، وقتَل بالسيف، ومَثَّلَ بهم، فَقَتَلَ منهم قريبًا من عشرينَ ألفًا، ففي ذي نُوَاس وجُنْده أنزَلَ اللَّهُ على رسوله ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ**﴾ الآيات، وهذا يَقْتَضي أنَّ هذه القصّةَ غيرُ ما وقَع في سياق مُسلم.

وقد زعَمَ بعضُهم أنَّ الأُخدودَ وقع في العالَم كثيرًا، كما قال ابنُ أبي حاتم[2]: حَدَّثنا أبي، حَدَّثنا أبو اليَمَان، أنبانا صَفْوانُ، عن عبد الرَّحمن بن جُبَيْر، قال: كانت الأُخدودُ في اليَمَن زمانَ تُبَّع، وفي القُسْطَنْطينيَّة زمانَ قُسْطَنْطين، حينَ صرَف النَّصارىٰ قبْلتَهم عن دين المسيح والتَّوحيد، واتَّخَذَ أَتُونًا، وألقَى فيه النَّصارىٰ الذين كانوا على دين المسيح والتَّوْحيد، وفي العراق في أرض بابلَ في زمان بُخْتُ نَصَّرَ، حينَ صنَعَ الصَّنَمَ، وأمَرَ النَّاسَ فَسجدُوا له، فامتَنَعَ دانيالُ وصاحباهُ عَزريا ومشايلُ، فَأَوْقَدَ لهم أَتُونًا وألقى فيها الحَطَبَ والنَّارَ، ثُمَّ ألقاهُم فيها، فجعَلَهَا اللَّهُ عليهم بَردًا وسلامًا، وأنقَذَهُم منها، وألْقَى فيها الذينَ بَغَوْا عليه، وهم تسعةُ رَهْط، فأكَلَتْهم النارُ.

وقال أسْباطٌ، عن السُّديِّ، في قوله: ﴿**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ**﴾ قال: كان الأُخدودُ ثلاثةً، خدٌّ بالشام، وخدٌّ بالعراق، وخَدٌّ باليمن، رَواه ابنُ أبي حاتم[3].

وقد استَقصَيْتُ ذكْرَ الأخدود، والكلامَ على تفسيرها في تفسير سورة «البُرُوج» من كتابنا «التفسير» وللَّه الحمدُ والمنَّةُ.

---

(١) إسناده حسن إلى محمد بن كعب القرظي: رجاله ثقات.

(٢) ضعيف: ذكره المصنف رحمه اللَّه في «التفسير» (٤/ ٤٩٦)، وعزاه له، وفيه انقطاع، إذ في الخبر إخبار عن أمر غيبي لا يدرك إلا بوحي.

(٣) انظر المصدر السابق.

باب بيان الإذن في الرواية والتحديث عن أخبار بني إسرائيل

قَال الإِمَامُ أحمدُ: حَدَّثنا عبدُ الصَّمَد، حَدَّثنا هَمَّامٌ، حَدَّثنا زيدٌ، عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: **«حَدِّثُوا عنِّي ولا تَكْذِبُوا عليَّ، ومَن كذَبَ عليَّ مُتعَمِّدًا فَلْيَتبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّار، وحَدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ»**[١].

وقَالَ أيضًا: حَدَّثناعفّانُ، حَدَّثنا هَمَّامٌ، أنبأنا زيدُ بنُ أسلَمَ، عن عطاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: **«لا تَكْتُبوا عني شيئًا غيرَ القرآن، فمَن كتب عنِّي شيئًا غيرَ القرآن فلْيَمْحُه»** وقال: **«حَدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ، حَدِّثُوا عنِّي ولا تَكْذِبوا عليَّ»**. قال: **«ومَن كذَبَ عليَّ** - قال همّامٌ: أحسَبُه قال: **مُتَعَمِّدًا - فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ منَ النَّار»**[٢]. وهكذا رواهُ مسلمٌ، والنَّسائيُّ، من حديث هَمّامٍ[٣]. ورَوَاهُ أبو عَوَانَةَ الإِسْفِرَايينيُّ، عن أبي داودَ السِّجِسْتانيِّ، عن هُدبَةَ، عن هَمَّامٍ، عن زيدِ بنِ أسلَمَ به، ثُم قال: قال أبو داودَ: أَخْطَأَ فيه هَمَّامٌ، هو من قولِ أبي سعيدٍ: كذا قال. وقد رَواه التِّرْمِذِيُّ، عن سفيانَ بنِ وكيعٍ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، عن زيدِ بنِ أَسلَمَ ببعضه مرفوعًا[٤]. فاللَّهُ أعلمُ.

وقَالَ الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، أنبأنا الأوزاعيُّ، حَدَّثنا حَسّانُ بنُ عطيةَ، حدّثني أبو كَبْشَةَ السَّلُولِيُّ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عَمرِو بنِ العَاصِ، حَدَّثَه أَنَّه سَمِعَ رسولَ اللَّه ﷺ - يعني يقولُ -: **«بَلِّغُوا عنِّي ولوْ آيَةً، وحدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ، ومَن كذَبَ عليَّ مُتَعَمِّدًا، فليَتبَوَّأْ مَقْعَدَه من النَّار»**[٥]. ورواه أحمدُ أيضًا، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ وعبدِ الرَّزَّاق، كلاهما عن الأوزاعِيِّ به[٦].

وهكذا رواه البخاريُّ، عن أبي عاصمٍ النَّبيلِ، عن الأوْزَاعِيِّ به[٧]، وكَذَا رواه التِّرْمِذِيُّ، عن بُندَارٍ، عن أبي عاصمٍ. ثُم رواه عن محمدِ بن يحيَىٰ الذُّهلِيِّ، عن محمد بن يوسُفَ الفِرْيَابِيِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ثابتِ بنِ ثَوْبانَ، عن حسّانَ بنِ عطيةَ[٨] به، وقال: حسَنٌ صحيحٌ.

وقال أبو بكرٍ البزَّارُ: حَدَّثنا بنُ المُثَنَّىٰ أبو موسىٰ، حَدَّثنا مُعاذُ بنُ هشامٍ، حَدَّثنا أبي، عن قتَادَةَ، عن أبي حَسّانَ، عَن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو قال: كان نبيُّ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنا عامَّةَ ليلِه عن بَنِي إسرائيلَ حتىٰ يُصْبِحَ، ما يَقُومُ فيها إلاَّ لعُظَمِ صلاةٍ[٩]، ورواه أبو داودَ، عن محمدِ بنِ المُثَنَّىٰ[١٠]، ثم قال:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٦) ورجاله ثقات رجال الشيخين وأخرجه أبو يعلىٰ (١٢٠٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٥٦) ورجاله ثقات رجال الشيخين وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٧٦٢) وهو في مسلم كما سيأتي.

(٣) في مسلم (٣٠٠٤) والنسائي في «الكبرىٰ» (٨٠٠٨، ٥٨٤٨).

(٤) الترمذي (٢٦٦٥).

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٥٩) بإسناد صحيح وهو في البخاري.

(٦) أحمد في «المسند» (٢/ ٢٠٢).

(٧) البخاري (٣٤٦١).

(٨) الترمذي (٢٦٦٩).

(٩) **إسناده ضعيف**: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢٣٠) وفي إسناده معاذ بن هشام، تكلم فيه العلماء من جهة حفظه انظر «التهذيب» (١٠/ ١٧٨) ولا يحتمل انفراده وفي إسناده عنعنة قتادة والصواب رواية هشام كما ذكر المصنف.

(١٠) أبو داود (٣٦٦٣).

البَزَّارُ: حَدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، حَدَّثنا عفَّانُ، حَدَّثنا أبو هلالٍ، عن قَتادَةَ، عن أبي حَسَّانَ، عن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ، قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُنا عامَّةَ ليلِه عن بني إسرائيلَ لا يقومُ إلاَّ لعُظْمِ صلاةٍ[1]. قال البزَّارُ: وهشامٌ أحفَظُ من أبي هلالٍ - يعني، أنَّ الصَّوابَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو، لا عن عِمرانَ بنِ حُصَينٍ. واللَّهُ أعلمُ.

وقَالَ الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا يحيى، هو القَطَّانُ، عن محمدِ بنِ عَمرٍو، حَدَّثنا أبو سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**حَدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ**»[2] إسنادٌ صحيحٌ ولم يُخَرِّجُوه.

وقَالَ الحافظُ أبو يَعْلَى: حَدَّثنا أبو خَيْثَمَةَ، حَدَّثنا وَكيعٌ، حَدَّثنا رَبيعُ بنُ سعدٍ الجُعْفِيُّ، عن عبدالرحمنِ بنِ سابطٍ، عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**حَدِّثُوا عن بني إسرائيلَ، فإنَّهُ قد كان فيهم الأعاجيبُ**». ثُمَّ أنشأَ يُحدِّثُ ﷺ قال: «**خرَجَتْ طائفةٌ من بني إسرائيلَ، حتى أتَوا مَقبَرةً من مقَابرِهم، فقالوا: لو صلَّينا ركعَتَين ودعَونا اللَّهَ عزَّ وجلَّ، فيُخرجُ لنا رَجُلاً قد ماتَ نُسائلُه، يُحدِّثُنا عن الموتِ، ففعلوا، فبينَما هم كذلك، إذْ أطلَعَ رجلٌ رأسَه من قبرٍ من تلك القبورِ، رجلٌ بينَ عَينَيْه أثرُ السُّجودِ، فقالَ: يا هؤلاء، ما أردتُم إليَّ، فقد متُّ منذُ مائةِ عامٍ، فما سَكَنَتْ عنِّي حرارةُ الموتِ حتى الآنَ، فادْعوا اللَّهَ أن يُعيدَني كما كُنْتُ**»[3] وهذا حديثٌ غريبٌ.

إذا تَقَرَّرَ جوازُ الرِّوايةِ عنهم، فهو محمولٌ على ما يمكنُ أنْ يكونَ صحيحًا، فأمّا ما يُعلَمُ أو يُظَنُّ بُطلانُه؛ لمخالَفَته الحقَّ الذي بأيدينا عن المعصومِ، فذاك متروكٌ مردُودٌ لا يُعَرَّجُ عليه، ثم مع هذا كلِّه، لا يلزمُ من جوازِ روايته أنْ يُعتَقَدَ صحتُه؛ لما رواه البخاري قائلاً: حَدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حَدَّثنا عثمانُ بنُ عُمَرَ، حَدَّثنا عليُّ بنُ المباركِ، عن يحيى بنِ أبي كثيرٍ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ قال: كان أهلُ الكتابِ يَقرَؤُونَ التوراةَ بالعِبْرانيَّةِ ويُفَسِّرُونها بالعَربيَّةِ لأهلِ الإسلامِ، فقَالَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لا تُصَدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبُوهم، وقُولُوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾**»[4] [البقرة:١٣٦]، تَفَرَّدَ به البُخَاريُّ من هذا الوجه.

ورَوىٰ الإمَامُ أحمدُ من طريقِ الزُّهريِّ، عن ابنِ أبي نَمْلَةَ الأنصاريِّ عن أبيه، أنه كان جالسًا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، إذْ جاء رجلٌ من اليهودِ، فقال: يا محمدُ، هل تَتَكَلَّمُ هذه الجنازةُ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُ أعْلَمُ**». فقال اليهوديُّ: أنا أشهَدُ أنَّها تَتَكَلَّمُ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إذا حَدَّثَكُم أهلُ الكتابِ، فلا تُصَدِّقُوهُم ولا تُكَذِّبوهم، وقُولوا: آمَنَّا باللَّهِ وكُتُبِه ورُسُلِه. فإن كان حقًّا، لَمْ تُكَذِّبُوهم، وإن كانَ باطلاً، لَمْ تُصَدِّقُوهم**»[5] تَفَرَّدَ به أحمدُ.

---

(١) كشف الأستار (٢٢٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٧٤) بإسناد صحيح.

(٣) **ما أبرز من إسناده ضعيف**: عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من جابر كما قال ابن معين انظر التهذيب (٦/ ١٦٣) وربيع بن سعد الجعفي قال عنه أبو حاتم: «لا بأس به» انظر «الجرح والتعديل» (٣/ ٤٦٢).

(٤) البخاري (٤٤٨٥، ٧٣٦٢، ٧٥٤٢).

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٦) وفي إسناده ابن أبي نملة لم أقف عليه.

وقَال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا سُرَيْجُ بنُ النُّعْمانِ، حَدَّثنا هُشَيْمٌ، أنْبأنا مُجالِدٌ، عن الشَّعْبِيِّ عن جابرِ ابنِ عبدِ اللَّهِ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخطّاب أتىٰ النبيَّ ﷺ، بكتابٍ أصَابَه من بعضِ أهلِ الكتابِ، فقَرَأَه علىٰ النبيِّ ﷺ. قال: فغَضِبَ وقال: «**أَمُتَهوِّكُون فيها يا بنَ الخطَّاب؟ والذي نَفسي بيَدِه، لقد جئْتُكُم بها بيضاءَ نَقيَّةً، لا تسألُوهم عن شيءٍ، فيُخْبِروكم بحَقٍّ فتُكَذِّبوا به، أو بباطلٍ فتَصَدِّقُوا به، والذي نَفْسي بِيَدِه، لو أَنَّ موسى كان حيًّا، ما وَسِعَه إلاَّ أن يَتَّبِعَني**»[1] . تَفَرَّدَ به أحمدُ، وإِسنادُه علىٰ شَرْطِ مسلمٍ.

فهذه الأحاديثُ دليلٌ علىٰ أنَّهم قد بَدَّلوا ما بأيديهِم مِن الكتبِ السماويةِ وحَرَّفُوها، وأوَّلُوها، ووضَعُوها علىٰ غيرِ مواضعِها، ولا سِيَّما ما يُبْدونه من المُعَرَّبَاتِ، التي لم يُحيطوا بها علمًا وهي بِلُغَتِهم، فكيفَ يُعَبِّرون عنها بغيرِها؛ ولأَجْلِ هذا وقَع في تَعْرِيبِهم خطأٌ كبيرٌ ووَهْمٌ كثيرٌ مع ما لَهم مِن المقاصِدِ الفاسدةِ، والآراءِ البارِدَةِ، وهذا يتَحقَّقُه مَن نظَرَ في كُتُبِهم التي بأيديهِم، وتَأَمَّلَ ما فيها من سُوءِ التَّعبيرِ، وقبيحِ التَّبديلِ والتَّغييرِ، واللَّهُ المستعانُ، وهو نِعْمَ المَولَىٰ ونعمَ النَّصيرُ.

هذه التوراةُ التي يُبدُونَها ويُخْفُون منها كثيرًا فيما ذكَرُوه، فيها تَحريفٌ وتَبْديلٌ وتغييرٌ وسوءُ تَعبيرٍ، يَعلَمُه مَن نظَرَ فيها، وتأَمَّلَ ما قالوه وما أَبدَوه وما أخفَوه، وكيف يَصُوغُون عبارةً فاسدةَ البناءِ والتَّركيبِ، باطلةً من حيثُ معناها وألفاظُها، وهذا كعبُ الأحبارِ، من أَجودِ مَن يَنْقُلُ عنهم، وقد أَسلَمَ في زمنِ عُمَرَ، وكان يَنقُلُ شيئًا عن كُتُبِ أهلِ الكتابِ، فكان عُمَرُ رضِيَ اللَّهُ عنه، يَسْتَحْسِنُ بعضَ ما يَنقُلُه؛ لِمَا يُصَدِّقُه من الحقِّ، وتأليفًا لقلبِه، فتوَسَّعَ كثيرٌ مِن النَّاسِ في أَخْذِ ما عندَه، وبالَغَ أيضًا هو في نَقْلِ تلك الأَشياءِ التي كثيرٌ منها لا يُساوِي مِدادَه، ومنها ما هو باطلٌ لا مَحَالةَ، ومنها ما هو صحيحٌ، لِمَا يَشهَدُ له مِن الحقِّ الذي بأيدينا.

وقد قال البخاريُّ: وقال أبو اليمان: حَدَّثنا شُعَيبٌ، عن الزهريِّ، أخبرَني حميدُ بنُ عبدالرحمنِ، أنّه سَمعَ معاويةَ يُحَدِّثُ رَهطًا من قُرَيْشٍ بالمدينةِ، وذكَرَ كَعْبَ الأحْبَارِ، فقال: إنْ كان مِن أَصْدَقِ هؤلاءِ المُحَدِّثين الذين يُحَدِّثونَ عن أهلِ الكِتابِ، وإنْ كُنَّا ـ مع ذلك ـ لَنَبْلُوا عليه الكَذِبَ. يَعْني مِن غيرِ قَصْدٍ منه[2] .

وروىٰ البخاريُّ مِن حديث الزُّهرِيِّ، عن عُبيد اللَّه بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عَبّاسٍ، أنَّه قال: كيفَ تَسألون أهلَ الكتابِ عن شيءٍ، وكتابُكم الذي أَنْزَلَ اللَّهُ علىٰ رسوله أحدثُ الكُتُبِ باللَّه، تَقْرَؤونَه مَحضًا لم يُشَبْ؟ وقد حَدَّثَكم أنَّ أهلَ الكتاب بَدَّلُوا كتابَ اللَّهِ وغَيَّرُوه، وكَتَبُوا بأيديهِم الكتابَ، وقالوا: هو من عندِ اللَّه، ليَشْتَروا به ثمنًا قليلاً، ألا يَنْهاكم ما جاءَكم مِن العِلْمِ عن مَسألَتِهم، لاَ واللَّهِ، ما رأَينا منهم رجلاً يَسْأَلُكم عن الذي أُنزِلَ عليكم[3] .

وروىٰ ابنُ جَريرٍ[4] ، عن عبدِ اللَّه بنِ مسعودٍ، أنه قال: لا تَسأَلُوا أهلَ الكتابِ عن شيءٍ؛ فإنّهم

---

(١) **هذا إسناد ضعيف:** لضعف مجالد وتقدم.

(٢) البخاري (٧٣٦١).

(٣) البخاري (٢٦٨٥، ٧٣٦٣، ٧٥٢٣).

(٤) **إسناده ضعيف:** أخرجه الطبري في «التفسير» (٢١/ ٣)، وفيه حريث بن ظهير مجهول.

لن يَهدُوكم وقد ضَلُّوا، إمَّا أن تُكَذِّبوا بحقٍّ، أو تُصَدِّقُوا بباطلٍ. واللَّهُ أعلمُ.

قصة جريج، أحد عباد بني إسرائيل

قَالَ الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا وَهْبُ بنُ جَرير، حدّثني أبي، سمعتُ محمدَ بنَ سيرينَ، يُحَدِّثُ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لم يَتكَلَّمْ في المَهْد إلاَّ ثلاثةٌ؛ عيسَى ابنُ مريمَ». قال: «وكان في بني إسرائيلَ رجلٌ عابدٌ يُقالُ له: جُرَيْجٌ. فابْتَنى صَوْمَعَةً وتَعبَّدَ فيها». قال: «فذكر بنو إسرائيلَ عبادةَ جُرَيْجٍ، قالتْ بَغيٌّ منهم: لَئنْ شئتُم لأَفتننَّه. فقالوا: قد شئْنا ذلك». قال: «فأتَتْه فتعَرَّضَتْ له، فلَمْ يَلْتَفتْ إليها، فأَمْكَنَتْ نَفْسَها من راعٍ كان يَأوي غَنَمَه إلى أصلِ صَوْمَعَة جُرَيْج، فحَمَلَتْ، فولَدَتْ غلامًا، فقالوا: ممَّنْ؟ قالتْ: من جُرَيْجٍ، فأتَوْه فاستَنْزَلُوه، فشتَموه وضَربُوه وهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، فقال: ما شأنُكم؟ قالوا: إنَّكَ زَنَيْتَ بهذه البَغيِّ، فوَلَدَتْ غُلامًا. قال: وأينَ هو؟ قالوا: هو ذا». قال: «فقام فصَلَّى ودَعَا، ثُم انصرَفَ إلى الغُلام، فطَعَنَهُ بأُصْبُعه، فقال: باللَّه يا غُلامُ، مَن أبوك؟ فقال: أنا ابنُ الرَّاعي، فوَثَبُوا إلى جُرَيْج فجَعَلُوا يُقبِّلُونَه، وقالوا: نَبْني صَوْمَعَتَك من ذَهَب. قال: لا حاجَةَ لي في ذلكَ، ابْنُوها من طين كما كانتْ». قال: «وبينَما امرَأةٌ في حجرها ابنٌ لها تُرضعُه إذْ مَرَّ بها راكبٌ ذُو شَارَة، فقالتْ: اللهمَّ اجْعَلِ ابني مثلَ هذا». قال: «فتركَ ثَدْيَها وأَقْبَلَ على الراكب، فقال: اللهمَّ لا تجعَلْني مثلَه». قال: «ثُم عادَ إلى ثَدْيها فمَصَّه».

قال أبو هريرةَ: فكَأنِّي أَنظُرُ إلى رسولِ اللَّه ﷺ يَحْكي صَنيعَ الصَّبيِّ، ووَضَعَ أُصبُعَه في فَمه يَمُصُّها. «ثُمَّ مُرَّ بأَمَة تُضرَبُ، فقالت: اللهمَّ لا تجعل ابني مثلَها». قال: «فتركَ ثَدْيَها وأقبلَ على الأَمَة، فقال: اللهمَّ اجعلْني مثْلَها». قال: «فذاك حينَ تَرَاجَعَا الحديثَ، فقالت: حَلْقَى! مَرَّ الرَّاكبُ ذو الشَّارَة فقلتُ: اللهمَّ اجعَلِ ابْني مثلَه، فقلتَ: اللهمَّ لا تَجعلْني مثْلَه. ومُرَّ بهذه الأَمَة، فقلتُ: اللهمَّ لا تَجعلِ ابني مثلَها. فقلتَ: اللهمَّ اجعلْني مثلها؟! فقال: يا أُمَّتَاه، إنَّ الرَّاكبَ ذُو الشَّارة جبَّارٌ من الجبابرة، وإنَّ هذه الأَمَةَ يقولون: زَنَتْ، ولَم تَزْنِ، وسَرَقَتْ، ولَم تَسْرِق، وهي تقول: حَسبيَ اللَّهُ»(١). وهكذا رواهُ البخاريُّ في أحاديثِ الأنبياءِ، وفي المظالمِ عن مسلمِ بنِ إبراهيمَ، ومسلمٌ في كتابِ «الأدبِ»، عن زُهَيرِ بنِ حَربٍ، عن يَزيدَ بنِ هارونَ، كلاهُمَا عن جَريرِ بنِ حازمٍ به(٢).

طريقٌ أُخرىٰ وسياقٌ آخرُ؛ قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا يَحيىٰ بنُ سعيد، حَدَّثنا سليمانُ بنُ المغيرة، حَدَّثنا حُميدُ بن هلال، عن أبي رافع، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «كان جُرَيْجٌ يَتَعبَّدُ في صَوْمَعَته». قال: «فأتَتْه أُمُّه فقالت: يا جُرَيجُ، أنا أُمُّكَ فكَلِّمْني». قال: وكان أبو هريرةَ يَصفُ كما كان رسولُ اللَّه ﷺ يَصفُها، وَضَع يدَه علىٰ حاجبه الأيمن، قال: «فصادفَتْه يُصَلِّي، قال: يا ربِّ، أُمِّي وصَلاتي، فاختارَ صَلاتَه، فرَجَعَتْ ثُم أتَتْه فصادفَتْه يُصلِّي، فقالَتْ: يا جُرَيْجُ، أنا أُمُّك فكَلِّمْني. فقال: يا رَبِّ، أُمِّي وصلاتي، فاختارَ صَلاتَه فقالت: اللهمَّ هذا جُرَيْجٌ، وإنَّه ابني، وإنِّي كَلَّمْتُه فأَبَىٰ أن يُكَلِّمَني،

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٠٧) بإسناد صحيح وهو في البخاري.

(٢) البخاري في المظالم (٢٤٨٢) مختصراً ومسلم (٢٥٥٠).

اللهمَّ فلا تُمته حتَّى تُريَه المُومسات. ولو دَعَتْ عليه أن يُفتَتَنَ، لافتُتِنَ». قال: «وكان راعٍ يأوي إلى دَيره، فخرجَت امرأةٌ فوقَع عليها الراعي، فولَدَت غُلامًا، فقيلَ: ممَّنْ هذا؟ فقالت: هو من صَاحب الدَّيْر، فأقبَلوا بفُئوسهم ومَسَاحيهم، وأقْبَلُوا إلى الدَّيْر فنادَوْه، فلم يُكلِّمهم، فأقبَلُوا يَهدِمُون دَيرَه، فنزَلَ إليهم، فقالُوا: سَلْ هذه المرأةَ» قال: «أُرَاهُ تَبسَّمَ». قال: «ثُم مسَح رأسَ الصَّبيِّ، فقال: مَن أبوك؟ قال: راعي الضَّأن. قالوا: يا جُرَيجُ، نَبْني ما هَدَمْنا من دَيْرك بالذَّهَب والفضَّة، قال: لا، ولكن أعيدُوه كما كان. ففعَلوا»[1] .

ورَواه مُسلمٌ في الاستئذان، عن شيبانَ بنِ فَرُّوخَ، عن سليمانَ بنِ المُغيرة به[2] .

سياقٌ آخَرُ؛ **قالَ الإمامُ أحمدُ:** حدَّثنا عفَّانُ، حدَّثنا حمَّادٌ، أنبأنا ثابتٌ، عن أبي رافعٍ، عن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «كان في بني إسرائيلَ رجلٌ يُقالُ له: جُرَيجٌ. كان يَتعبَّدُ في صَومَعَته، فأتَتْه أُمُّه ذاتَ يوم فنادَتْه، فقالت: أي جُرَيجُ، أي بُنَيَّ، أشْرِفْ علَيَّ أُكلِّمكَ، أنا أُمُّكَ، أشْرِفْ علَيَّ. فقال: أيْ ربِّ، صَلاتي وأُمِّي، فأقبلَ على صَلاته، ثُم عادَت فنادَته مرارًا، فقالت: أيْ جُرَيجُ، أي بُنيَّ، أشرِفْ علَيَّ. فقال: أيْ ربِّ، صَلاتي وأُمِّي، فأقبلَ على صَلاته، فقالت: اللَّهمَّ لا تُمته حتى تُريَه المُومسَةَ، وكانت راعيةٌ ترعَى غَنَمًا لأهلها، ثُم تأوي إلى ظلِّ صَومَعته فأصابت فاحشةً فحمَلَت فأُخذَت، وكان مَن زنَى منهم قُتل، فقالُوا: ممَّنْ؟ قالت: من جُرَيج صَاحب الصَّومَعَة، فجاءُوا بالفُئوس والمُرور فقالوا: أيْ جُرَيجُ، أيْ مُرَاء، انزلْ. فأبَى، وأقبَلَ على صَلاته يُصلِّي، فأخذوا في هَدْم صَومعَته، فلمَّا رأى ذلك نزَل فجعَلُوا في عُنُقه وعُنُقها حبْلاً، فجعلَوا يَطُوفُون بهما في النَّاس، فوضَعَ أُصبُعَه على بَطْنها، فقال: أيْ غُلامُ، مَن أبوكَ؟ فقال: أبي فُلانٌ راعي الضَّأن، فقبَّلُوه، وقالوا: إن شئتَ بَنَيْنا لكَ صَومَعتَكَ من ذَهَب وفضَّة. قال: أعيدُوها كما كانت»[3] . وهذا سِياقٌ غريبٌ، وإسنادُه على شرطِ مسلمٍ، ولم يُخرِّجْه أحدٌ من أصحابِ الكتبِ من هذا الوَجْه.

فهؤلاء ثلاثةٌ تكلَّموا في المَهْد؛ عيسى ابنُ مريمَ- عليه السلامُ- وقد تقدَّمَ الكلامُ على قصَّته، وصاحبُ جُرَيجٍ، ابنُ البَغيِّ منَ الراعي كما سَمِعْتَ، والثالثُ: ابنُ المرأة التي كانت تُرضعُه، فتَمنَّت له أن يكونَ كصاحبِ الشارةِ الحَسنة، فتَمنَّى أن يكونَ كتلكَ الأمَةِ المُتَّهومَة بما هي بريئةٌ منه، وهي تقولُ: حَسْبيَ اللَّهُ ونِعمَ الوكيلُ. كما تَقدَّمَ في رواية محمدِ بنِ سيرينَ، عن أبي هريرةَ مرفوعًا. وقد رواه الإمامُ أحمدُ، عن هَوذَةَ، عن عَوفٍ الأعرابيِّ، عن خِلاسٍ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ بقصَّة هذا الغلامِ الرَّضيعِ، وهو إسنادٌ حسنٌ[4] .

---

(١) **صحيح:** أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٣) وهو في مسلم.

(٢) مسلم (٢٥٥٠) في باب البر والصلة.

(٣) **صحيح:** أخرجه أحمد كما في «المسند» (٢/ ٣٨٥) ورجاله ثقات.

(٤) **إسناده ضعيف:** خلاس لم يسمع من أبي هريرة وللقصة شواهد مرت إلا أن في هذه الرواية ذكر أن الأمة زنجية وكانت ميتة. وهذا لا يصح. أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٩٥).

وقال البخاري: حدَّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، حدَّثنا أبو الزِّناد، عن عبد الرحمن الأعرج، حدَّثه أنَّه سمع أبا هريرة، أنَّه سمع رسولَ اللَّه ﷺ، قال: «بينما امرأةٌ تُرضعُ ابنَها، إذْ مرَّ بها راكبٌ وهي تُرضعُه، فقالت: اللهمَّ لا تُمت ابني حتى يكونَ مثلَ هذا. فقال: اللهمَّ لا تجعلني مثلَه، ثم رجع في الثَّدي، ومُرَّ بامرأة تُجرُّ ويُلعَبُ بها، فقالت: اللهمَّ لا تجعَلْ ابني مثلَ هذه. فقال: اللهمَّ اجعلْني مثلَها، فقال: أمَّا الراكبُ فإنَّه كافرٌ، وأمَّا المرأةُ فإنَّهم يقولونَ لها: تَزْني. وتقولُ: حسبيَ اللَّهُ، ويقولونَ: تَسرقُ. وتقولُ: حسبيَ اللَّهُ»(١) . وقد وردَ في مَن تكلَّمَ في المهدِ شاهدُ يوسفَ كما تقدَّم، وابنُ ماشطةِ آلِ فرعونَ. فاللَّهُ أعلمُ.

قصة برصيصا

وهي عكسُ قصة جُرَيْج، فإنْ جُرَيجًا عُصِمَ، وذلك فُتِنَ.

قال ابنُ جرير: حدَّثني يحيى بنُ إبراهيمَ المسعوديُّ، حدَّثنا أبي، عن أبيه، عن جدِّه، عن الأعمش، عن عُمارةَ، عن عبد الرحمن بن يزيدَ، عن عبد اللَّه بن مسعودٍ في هذه الآية: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧]. قال ابنُ مسعودٍ: كانت امرأةٌ ترعى الغنمَ، وكان لها إخوةٌ أربعةٌ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهبٍ. قال: فنزل الراهبُ ففجرَ بها فحملَتْ، فأتاه الشيطانُ، فقال له: اقتُلها ثم ادفنْها، فإنَّك رجلٌ مُصدَّقٌ يُسمعُ قولُك. فقتلَها ثمَّ دفنَها. قال: فأتى الشيطانُ إخوتَها في المنامِ، فقال لهم: إنَّ الرَّاهبَ صاحبَ الصومعة فجرَ بأُختكم، فلمَّا أحبلَها، قتلَها ثم دفَنها في مكان كذا وكذا، فلمَّا أصبحوا، قال رجلٌ منهم: واللَّه لقدْ رأيتُ البارحةَ رؤيًا ما أدري أقُصُّها عليكم أمْ أتركُ؟ قالوا: لا، بل قُصَّها علينا. قال: فقصَّها، فقال الآخرُ: وأنا واللَّه لقد رأيتُ ذلك. فقال الآخرُ: وأنا واللَّه لقدْ رأيتُ ذلك. قال: فواللَّه ما هذا إلاَّ لشيءٍ. فانطلقوا فاستعدَوْا ملكَهم على ذلك الراهب، فأتَوْه فأنزلُوه، ثُمَّ انطلقُوا به، فأتاه الشَّيطانُ فقالَ: إنِّي أنا الذي أوقعْتُكَ في هذا، ولن يُنجِّيكَ منه غيري، فاسجُدْ لي سجدةً واحدةً وأُنجِّيكَ ممَّا أوقعتُكَ فيه. قال: فسجدَ له، فلمَّا أتوْا به ملكَهُم، تبرَّأَ منه، وأُخذَ فقُتلَ (٢)، وهكذا رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ (٣) وطاوسٍ، ومقاتلِ بنِ حيَّانَ نحوُ ذلك.

وقد رُويَ عن أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ، رضيَ اللَّهُ عنه، بسياقٍ آخرَ، فقال ابنُ جريرٍ: حدَّثنا خلاَّدُ بنُ أسلمَ، حدَّثنا النَّضرُ بنُ شُميلٍ، أنبأنا شُعْبةُ، عن أبي إسحاقَ، سمعتُ عبدَ اللَّه بنَ

---

(١) البخاري (٣٤١٦).

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (٣٣٩٠٣) ويحيى بن إبراهيم المسعودي قال عنه النسائي: صدوق وذكره ابن حبان في الثقات ولم أقف على ترجمة لأبيه وباقي رجال السند ثقات.

(٣) **ضعيف.** أخرجه الطبري في «التفسير» (٣٣٩٠٣) عن ابن عباس بإسناد ضعيف من طريق العوفيين.

نَهيك، سمعتُ عليًّا يقولُ: إنّ راهبًا تَعَبَّدَ ستِّينَ سنةً، وإن الشيطانَ أرادَه فَأعياه، فعَمَدَ إلى امرأةٍ فأجَنَّها، ولها إخوةٌ، فقال لإخوتِها: عليكم بهذا القَسِّ فيُداويها. قال: فجاءُوا بها إليه فداواها، وكانت عنده، فبينَما هو يومًا عندَها، إذ أعجبَتْه، فأتاها فحمَلَتْ، فعمدَ إليها فقتَلَها، فجاءَ إخوتُها، فقال الشيطانُ للراهب: أنا صاحبُك، إنَّك أعيَيْتَني، أنا صنَعْتُ بك هذا فأطِعْني أُنَجِّك ممَّا صنَعْتُ بك، اسجُدْ لي سجدةً، فسَجَد له، فلَمّا سَجَد له، قال: إني بَريءٌ منك، إنِّي أخافُ اللَّهَ ربَّ العَالمينَ، فذلك قولُه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[١]

قصة الثلاثة الذين أووا إلى الغار فانطبق عليهم، فتوسلوا إلى الله تعالى بصالح أعمالهم، ففرج عنهم

قال الإمامُ البخاريُّ: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ خليلٍ، أخبرَنا عليُّ بنُ مُسهِرٍ، عن عبيدِ الله بنِ عُمَرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمَرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «بيْنَما ثلاثةُ نَفَرٍ ممَّن كان قَبْلَكم يَمْشُونَ إذ أصابَهم مطرٌ، فأَوَوْا إلى غارٍ فانطَبَقَ عليهم، فقال بعضُهم لبَعْضٍ: إنَّه واللَّه يا هؤلاء لا يُنجِّيكُم إلاَّ الصِّدْقُ، فليَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ منكم بما يَعْلَمُ أنَّه قدْ صَدَقَ فيه. فقال واحدٌ منهم: اللهُمَّ إنْ كُنْتَ تَعلَمُ أنَّه كان لي أجيرٌ، عَمِلَ لي علَى فَرَقٍ من أرُزٍّ فذهَب وتَرَكَه، وأنِّي عَمَدْتُ إلى ذلك الفَرَقِ، فزرعْتُه فصارَ من أمْرِه أنِّي اشتريتُ منه بَقَرًا، وأنَّه أتاني يَطلُبُ أجْرَه، فقلتُ: اعْمِدْ إلى تلكَ البَقَرِ فَسُقْها. فقالَ لي: إنَّما لي عندكَ فَرَقٌ من أرُزٍّ. فقلتُ له: اعْمِدْ إلى تلك البقرِ فإنَّها من ذلكَ الفَرَقِ. فسَاقَها، فإن كُنتَ تَعلَمُ أنِّي فَعَلْتُ ذلك من خشيَتِكَ ففَرِّجْ عنَّا، فانساخَتْ عنهم الصَّخْرَةُ، فقال الآخَرُ: اللهُمَّ إن كنتَ تَعلَمُ أنّه كان لي أبَوانِ شَيخَانِ كَبيرانِ، وكُنتُ آتِيهما كلَّ ليلةٍ بلبَنِ غَنَمٍ لي فأبطَأْتُ عنهما ليلةً، فجئتُ وقد رَقَدا، وأهْلي وعيَالي يتَضاغَوْنَ من الجوعِ، وكنتُ لا أسقيهم حتى يَشْرَبَ أبَوايَ، فكَرِهْتُ أن أُوقظَهما، وكَرِهتُ أن أدَعَهما فيَستكنَّا لشَرْبَتِهما، فلَم أزَلْ أنتَظِرُ حتى طَلَعَ الفجرُ، فإن كنتَ تَعلَمُ أنِّي فعلتُ ذلك من خَشْيَتِكَ ففَرِّجْ عنا. فانسَاخَتْ عنهم الصخرةُ حتى نَظَرُوا إلى السَّماء، فقال الآخَرُ: اللهُمَّ إن كنتَ تَعلَمُ أنَّه كان لي ابنةُ عَمٍّ من أحَبِّ الناسِ إليَّ، وأنِّي راودَتُها عن نَفسها، فأبَتْ إلاَّ أن آتيَها بمائةِ دينارٍ، فطَلَبْتُها حتى قَدَرْتُ، فأتيتُها بها فدفَعتُها إليها، فأمكنَتْني من نفسها، فلمَّا قَعدتُ بينَ رجلَيْها فقالَت: اتَّقِ اللَّهَ ولا تَفُضَّ الخاتَمَ إلاَّ بحقِّه. فقُمتُ وتركتُ المائةَ دينارٍ، فإن كُنتَ تَعلَمُ أنِّي فعلتُ ذلكَ من خَشْيَتِكَ، ففَرِّجْ عنا. ففرَّجَ اللَّهُ عنهم فخَرَجُوا»[٢] ورواه مسلمٌ، عن سُويدِ بنِ سعيدٍ، عن عليِّ بنِ مُسهِرٍ به[٣] . وقد رواه الإمامُ أحمدُ منفردًا به، عن مَروانَ بنِ معاويةَ، عن عُمَرَ بنِ حمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، عن سالمٍ، عن أبيه، عن

---

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (٣٣٩٠٣) وفيه عبد اللَّه بن نهيك روى عنه أبو إسحاق السبيعي وذكره ابن حبان في «الثقات» وبقية رجاله ثقات.

(٢) البخاري (٣٤٦٥).

(٣) مسلم (٢٧٤٣).

النبيِّ ﷺ بنحوِه[١] .

ورواه الإمامُ أحمدُ، من حديثِ وهبِ بنِ مُنبِّهٍ، عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، عن النَّبيِّ ﷺ، بنحوٍ من هذا السياقِ، وفيه زياداتٌ[٢] ، ورواه البزَّارُ من طريقِ أبي إسحاقَ، عن رجلٍ من بَجِيلَةَ، عن النُّعمانِ بنِ بشيرٍ، مرفوعًا مثلَه[٣] ، ورواهُ البزَّارُ في «مُسنَدِه» من حديثِ أبي حَنَشٍ، عن عليِّ بنِ أبي طالب، عن النبيِّ ﷺ، بنحوِه[٤] .

خبرُ الثلاثة: الأعمى والأبرص والأقرع

رَوَىٰ البخاريُّ ومسلمٌ من غيرِ وجهٍ، عن همّام بنِ يَحْيىٰ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّه بنِ أبي طلحةَ، حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ أبي عَمْرَةَ، أنَّ أبا هريرةَ حدَّثَه، أنَّه سَمعَ رسولَ اللَّه ﷺ، يقولُ: **«إنَّ ثلاثَةً في بَنِي إسْرائيلَ؛ أبْرَصَ وأقْرَعَ وأعْمَى، بَدَا للَّه أن يَبْتَلِيَهُم، فبعثَ إليهم مَلَكًا، فَأَتَى الأبْرَصَ، فقال: أيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ فقال: لونٌ حَسَنٌ وجِلْدٌ حسنٌ، قد قَذِرَنِي الناسُ»**. قال: **«فمَسَحَه فذهَب عنه، فأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وجلدًا حَسَنًا، فقال: أيُّ المالِ أحَبُّ إليك؟ قال: الإبلُ»** - أو قال: **«البَقَرُ»**. هو شَكَّ في ذلكَ، أنّ الأبرَصَ والأقرعَ قال أحدُهما: الإبلُ. وقال الآخرُ: البَقَرُ - **«فأُعْطِيَ ناقةً عُشَرَاءَ، فقال: يُبارَكُ لك فيها»**. قال: **«وأتى الأقرعَ فقال: أيُّ شيءٍ أحَبُّ إليك؟ قال: شَعرٌ حسنٌ ويَذهَبُ عني هذا، قد قَذِرَني الناسُ. فمَسَحَه فذهبَ، وأُعطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، قال: فأيُّ المال أحَبُّ إليك؟ قال: البقرُ. فأعطاه بقرةً حاملاً، وقال: يُبارَكُ لك فيها. وأتى الأعمَى فقال: أيُّ شَيءٍ أحَبُّ إليك؟ قال: يرُدُّ اللَّهُ إليَّ بَصَرِي فأُبْصِرُ به الناسَ»**. قال: **«فَمَسَحَه فردَّ اللَّهُ إليه بَصرَه، قال: فأيُّ المالِ أحَبُّ إليكَ. قال: الغَنَمُ فأعطاه شاةً والدًا، فأُنْتِجَ هذان وَوَلَّدَ هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبلِ، ولهذا وادٍ من البقرِ، ولهذا وادٍ من الغَنَمِ، ثُم إنَّه أتى الأبرصَ في صورته وهيْئَتِه، فقال: رجلٌ مسكينٌ تَقَطَّعَتْ بيَ الحِبَالُ في سَفَري، فلا بَلاغَ اليومَ إلاَّ باللَّه، ثُم بك، أسألُك بالذي أعطَاكَ اللَّونَ الحسنَ والجلْدَ الحسَنَ والمالَ، بعيرًا أتَبَلَّغُ عليه في سفَري، فقال له: إنَّ الحقوقَ كثيرةٌ، فقال له: كأنِّي أعرِفُكَ، ألَمْ تكُنْ أبْرَصَ يَقذرُك الناسُ؟ فقيرًا فأعْطَاكَ اللَّهُ؟ فقال لقد وَرِثْتُ لكَابرٍ عن كَابرٍ. فقال: إن كنتَ كاذبًا، فصيَّركَ اللَّهُ إلى ما كنتَ. وأتى الأقْرَعَ في صورته وهيْئَته، فقال له مثلَ ما قال لهذا، فَرَدَّ عليه مثلَ ما رَدَّ عليه هذا، فقال: إن كنتَ كاذبًا، فصيَّركَ اللَّهُ إلى ما كنتَ، وأتى الأعْمَى في صورتَه، فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ، وتَقَطَّعَتْ بي الحِبَالُ في سَفَري، فلا بَلاغَ اليومَ إلاَّ باللَّهِ، ثُم بك، أسألُكَ بالذي رَدَّ عليك بَصرَكَ، شاةً أتَبَلَّغُ بها في سَفَرِي. فقال: قد كُنتُ أعمى فَرَدَّ اللَّهُ**

---

(١) «المسند» (٢/ ١١٦) وهذا سند ضعيف لضعف عمر بن حمزة العمري.

(٢) احمد في «المسند» (٤/ ٢٧٤) بإسناد حسن قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل بن منبه حدثني عبد الصمد قال: سمعت وهبًا به.

(٣) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣١٧٨).

(٤) «كشف الأستار» (١٨٦٧).

بَصَري، وفقيراً فقد أغْنَاني، فَخُذْ ما شئتَ، فواللَّه لا أجْهَدُكَ اليومَ بشيء أَخَذْتَه للَّه، فقال: أَمْسِكْ مالَكَ، فإنَّمـا ابتُلِيتُم، فقـد رَضِيَ اللَّهُ عنك، وَسَخِطَ على صاحبَيْك»، هذا لَفظُ البخاريِّ في أحاديث بني إسرائيل[١] .

حديثُ الذي استسلفَ مِن صاحبِه ألفَ دينارٍ فأدَّاها

قَال الإمَامُ أحمدُ: حَدَّثَنا يونسُ بنُ محمدٍ، حَدَّثنا لَيْثٌ، عن جعفرِ بن ربيعةَ، عن عبدِ الرحمنِ ابن هُرمُزَ، عن أبي هريرةَ، عن رسول اللَّه ﷺ.

«أَنَّهُ ذكَر أنَّ رجـلاً من بني إسرائيلَ سأل بعضَ بني إسرائيـلَ أن يُسْلِفَه ألْفَ دينار، فقال: ائتني بشُهَدَاءَ أُشهِدُهم. قال: كَفَى باللَّه شهيدًا. قال ائتني بكفيل. قال: كَفَى باللَّه كَفِيلاً، قال: صَدَقْتَ. فدفَعَها إليه إلى أجلٍ مُسَمّى، فخرجَ في البحرِ فقضَى حاجَتَه، ثُمَّ التَمَس مَركبًا يَقْدَمُ عليه؛ للأجَلِ الذي كان أجَّلَه، فلَم يَجدْ مَرْكبًا، فأخَذَ خَشَبةً فنقرَها، وأدْخَلَ فيها ألْفَ دينار وصَحيفةً معها إلى صاحبها، ثُم زَجَّجَ مَوضِعَها، ثُم أتَى بها البحرَ، ثم قال: اللهمَّ إنَّكَ قد عَلِمْتَ أنِّي استَلَفْتُ من فلان ألفَ دينارٍ فسألني كَفيلاً، قلتُ: كَفَى باللَّه كفيلاً، فرَضيَ بذلك، وسألني شهيدًا فقلتُ: كَفَى باللَّه شهيدًا، فرَضيَ بذلك، وإنِّي قد جَهَدتُ أن أجدَ مَرْكبًا أبعَثُ إليه بالذي له، فلَمْ أجدْ مَرْكبًا، وإنِّي استَوْدَعْتُكَهَا، فرمَى بها في البَحرِ حتَّى ولَجَتْ فيه، ثُمَّ انصرَفَ يَنْظُرُ، وهو في ذلك يَطْلُبُ مَرْكبًا إلى بَلَدِه، فخرَجَ الرجلُ الذي كان أسْلَفَه يَنظُرُ لعلَّ مَركبًا يَجيءُ بماله، فإذا بالخشَبة التي فيها المالُ، فأخَذَها لأهلِه حَطبًا، فلمَّا كسرَها وجَد المالَ والصحيفةَ، ثُم قَدمَ الرجلُ الذي كان تَسَلَّفَ منه، فأتَاهُ بألف دينار وقال: واللَّه ما زلتُ جاهدًا في طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتيَكَ بمالك، فما وجَدْتُ مَرْكبًا قبل الذي أتيتُ فيه. قالَ: هل كنتَ بعَثْتَ إليَّ بشيء؟ قال: ألَمْ أُخْبِرْكَ أنِّي لم أجِدْ مَرْكبًا قبل هذا الذي جئتُ فيه؟ قال: فإنَّ اللَّهَ أدَّى عنك الذي بعَثْتَ به في الخَشَبَةِ، فانْصَرِفْ بألْفِكَ راشدًا»[٢] .

هكذا رواه الإمامُ أحمدُ مُسنَدًا، وقد علَّقَه البخاريُّ في غيرِ موضعٍ من «صحيحه» بصيغةِ الجَزْمِ عن اللَّيْثِ بنِ سعدٍ[٣] ، وأسنَدَه في بعضِها عن عبدِ اللَّه بنِ صالحٍ كاتبِ اللَّيثِ[٤] ، عنه. والعَجَبُ مِن الحافظِ أبي بكرٍ البَزَّارِ كيف رواهُ في «مُسنده» عن الحَسَنِ بنِ مُدْرِكٍ، عن يَحْيَى بنِ حَمَّادٍ، عن أبي عَوَانَةَ، عن عُمَرَ بنِ أبي سَلَمَةَ، عن أبيه، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، بنحوِه، ثُم قال: لا يُرْوَى إلاَّ مِن هذا الوَجهِ بهذا الإسنادِ.

---

(١) البخاري (٣٤٦٤، ٦٦٥٣)، ومسلم (٢٩٦٤).
(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٨) ورجاله ثقات.
(٣) البخاري (١٤٩٨، ٢٢٩١).
(٤) البخاري (٢٠٦٣).

قصة أخرى شبيهة
بهذه القصة في الصدق في الأمانة

قال البخاري: حَدَّثَنا إسحاقُ بنُ نَصْرٍ، أخبَرَنا عبدُ الرَّزَّاقِ، عن مَعمَرٍ، عن همّامِ بنِ مُنَبِّهٍ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«اشترى رجلٌ من رجلٍ عَقارًا له، فوجَدَ الرَّجلُ الذي اشتَرَى العَقارَ في عَقارِه جَرَّةً فيها ذَهَبٌ، فقال له الذي اشتَرَى العَقارَ: خُذْ ذَهَبَك منّي، إنّما اشتَريْتُ منك الأرضَ، ولم أَبْتَعْ منك الذَّهَبَ، وقال الذي له الأرضُ إنّما بعتُكَ الأرضَ وما فيها. فتحاكَما إلى رجلٍ، فقال الذي تَحاكَما إليه: ألَكُما وَلَدٌ؟ قال أحدُهما: لي غُلامٌ. وقال الآخرُ: لي جاريةٌ. قال: أنكحُوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفقُوا على أنفُسِهما منه، وتَصَدَّقا»**[1] . هكذا روَى البخاريُّ هذا الحديثَ في أخبارِ بني إسرائيلَ، وأخْرَجَه مسلمٌ عن محمدِ بنِ رافعٍ، عن عبدِ الرَّزّاقِ به[2] .

وقد رُوِيَ أنَّ هذه القصةَ وَقَعَتْ في زمنِ ذي القرنَينِ، وقد كان قبلَ بني إسرائيلَ بدُهُورٍ مُتطاوِلَةٍ. فاللَّهُ أعلمُ.

قال إسحاقُ بنُ بشرٍ في كتابه «المبتدأ»: عن سعيدِ بن أبي عَرُوبَةَ، عن قَتادةَ، عن الحَسَنِ: «إنَّ ذَا القَرنَيْنِ كان يتَفَقَّدُ أُمُورَ مُلوكِه وعُمّالِه بنفسِه، وكان لا يَطَّلعُ على أحدٍ منهم خيانةً إلاّ أنْكَرَ ذلك عليه، وكان لا يَقْبَلُ ذلك حتى يَطَّلعَ هو بنفسِه، قال: فبَيْنَما هو يَسيرُ مُتَنَكِّرًا في بعضِ المدائنِ، فجلَس إلى قاضٍ من قُضاتِهم أيامًا لا يَختلِفُ إليه أحدٌ في خُصومةٍ، فلَمّا أن طالَ ذلك بذي القرنَينِ، ولم يَطَّلعْ على شيءٍ من أمرِ ذلك القاضي وهَمَّ بالانصرافِ، إذا هو برجُلَينِ قد اختصَما إليه، فادَّعَى أحدُهما فقال: أيُّها القاضي، إنِّي اشتَريْتُ من هذا دارًا عَمَّرْتُها، ووجَدْتُ فيها كَنْزًا، وإنِّي دَعَوْتُه إلى أخْذِه فأَبَى عَلَيَّ، فقال له القاضي: ما تقولُ؟ قال: ما دفَنْتُ ولا عَلِمْتُ به، فليس هو لي، ولا أَقْبِضُه منه. قال المُدَّعِي: أيُّها القاضي، مُرْ مَن يَقْبِضُه فيَضَعُه حيثُ أَحْبَبْتَ. فقال القاضي: تَفِرُّ من الشَّرِّ وتُدْخِلُني فيه! ما أنصفْتَني، وما أظُنُّ هذا في قضاءِ الملكِ. فقال القاضي: هل لكما في أمرٍ أنصَفَ ممّا دَعَوْتُماني إليه؟ قالا: نعم. قال للمُدَّعِي: أَلَكَ ابنٌ؟ قال: نَعَمْ. وقال للآخَرِ: أَلَكَ ابنةٌ؟ قال: نَعَمْ. قال: اذْهَبَا فزَوِّجِ ابنَتَك من ابنِ هذا، وجَهِّزُوهما من هذا المالِ، وادفَعُوا فَضْلَ ما بَقِيَ إليهما يَعيشَانِ به فتكُونَا قد صَلَيْتُما بخيرِه وشرِّه، فعَجِب ذُو القَرْنَيْنِ حينَ سَمِعَ ذلك، ثُم قال للقاضي: ما ظننتُ أنَّ في الأرضِ أحَدًا يَفعَلُ مِثْلَ هذا، أوَ قاضٍ يَقضِي بمِثْلِ هذا؟ فقال القاضي وهو لا يَعْرِفُه: وهل أحدٌ يَفْعَلُ غيرَ هذا؟ قال ذُو القَرْنَيْنِ: نَعَمْ. قال القاضي: فهل يُمْطَرُونَ في بلادِهم؟ فعَجِبَ ذُو القَرْنَيْنِ من ذلك، وقال: بمِثْلِ هذا قامت السمواتُ والأرضُ.

---

(١) البخاري (٣٤٧٢).
(٢) مسلم (١٧٢١).

قصة أخرى

قَالَ البخاريُّ: حَدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حَدَّثنا محمدُ بنُ أبي عَدِيٍّ، عن شُعْبَةَ، عن قَتادةَ، عن أبي الصِّدِّيقِ النَّاجي، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ عن النبيِّ ﷺ، قال: «كان في بني إسرائيلَ رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعينَ إنسانًا، ثُم خرجَ يَسألُ، فأتَى راهبًا فسألَه فقال له: هل من تَوْبَةٍ؟ قال: لا. فقتَلَه، فجعلَ يَسألُ، فقال له رجلٌ: ائت قريةَ كذا وكذا. فأدْرَكَه الموتُ، فَنَاءَ بصَدرِه نَحوَها، فاختَصَمَتْ فيه ملائكةُ الرحمة وملائكةُ العذابِ، فأوحَى اللَّهُ إلى هذه أن تَقَرَّبي، وأوْحَى اللَّهُ إلى هذه أنْ تَبَاعَدي، وقال: قيسُوا ما بينَهما، فوُجِدَ إلى هذه أقْرَبَ بشبرٍ، فغُفِرَ له»(١). هكذا رواه ههُنا مُختَصَرًا، وقد رواه مسلمٌ عن بُنْدَارٍ به، ومن حديثِ شعبةَ من وجهٍ آخرَ عن قَتادةَ به مُطَوَّلًا(٢).

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عليُّ بن عبد اللَّه، حَدَّثنا سفيانُ، حَدَّثنا أبو الزِّنادِ، عن الأعْرَجِ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ، قال: صَلَّى رسولُ اللَّه ﷺ، صلاةَ الصبحِ، ثُم أقْبَلَ على الناس فقال: «بيْنَا رجلٌ يَسُوقُ بقَرةً، إذ رَكِبَها فضرَبَها، فقالت: إنّا لَم نُخْلَقْ لهذا إنَّما خُلقْنا للحَرثِ». فقال الناسُ: سبحان اللَّه، بقَرةٌ تَكَلَّمُ! فقال: «فإنِّي أُومنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعُمَرُ - وما هما ثَمَّ - وبيْنَما رجلٌ في غَنَمِه إذ عَدَا الذئبُ فذهَب منها بشاة، فطلَبَ، حتى كأنَّه استَنقَذَها منه، فقال له الذئبُ: هذا، استَنْقَذْتَها منِّي! فمَن لها يومَ السَّبُعِ، يومَ لا راعيَ لها غيري؟» فقال النَّاسُ: سُبْحانَ اللَّه، ذئبٌ يَتَكلَّمُ! قال: «فإنِّي أُومنُ بهذا أنا وأبو بكرٍ وعُمَرُ» - وما هُما ثَمَّ(٣).

قال: وحَدَّثنا عليٌّ قال: حَدَّثنا سفيانُ، عن مِسْعَرٍ، عن سَعْدِ بنِ إبراهيمَ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، بمثله.

وقد أسْنَدَ البخاريُّ في المُزارَعَة عن محمدِ بنِ بشَّارٍ، ومسلمٌ، عن محمد بن عبَّادٍ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ، وأخرجاه من طريقِ شعبةَ كلاهُما عن سَعْدٍ به.

وقال التِّرْمذيُّ: حَسَنٌ صحيحٌ. وأخرجَ مسلمٌ الطريقَ الأولَ من حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ وسفيانَ الثَّوريِّ، كلاهما عن أبي الزِّنادِ به.

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عبدُ العزيز بنُ عبد اللَّه، حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إنَّه قد كان فيما مضَى قبْلَكُم من الأمَمِ مُحَدَّثُونَ، وإنه إن كان في أُمَّتي هذه منهم، فإنَّه عُمَرُ بنُ الخطَّابِ»(٤). لَم يُخْرِجه مسلمٌ من هذا الوجهِ، وقد رَوَىٰ عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن أبيه سعد بن إبراهيمَ، عن أبي سَلَمَةَ، عن عائشةَ، رَضيَ اللَّهُ عنها(٥).

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عبدُ اللَّه بنُ مَسْلَمَةَ، عن مالكٍ، عن ابنِ شِهابٍ، عن حُمَيْدِ

---

(١) البخاري (٣٤٧٠).
(٢) مسلم (٢٧٦٦).
(٣) البخاري (٣٤٧١).
(٤) البخاري (٣٤٦٩).
(٥) مسلم (٢٣٩٨).

ابنِ عبدِ الرحمنِ، أنَّه سَمِعَ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ، عامَ حَجَّ، على المِنْبَرِ، فتناولَ قُصَّةً من شَعْرٍ، وكانتْ في يَدَيْ حَرَسِيٍّ، فقال: يا أهلَ المدينةِ، أينَ علماؤُكم؟ سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، يَنْهَى عن مثلِ هذه ويقول: «إنَّما هَلَكَتْ بنو إسرائيلَ حينَ اتَّخَذَهَا نساؤُهم»(١) .

وهكذا رواهُ مسلمٌ، وأبو داودَ من حديثِ مالكٍ(٢) . وكذا رواه مَعْمَرٌ، ويونُسُ، وسفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ، عن الزُّهْرِيِّ بنحوِه، وقال التِّرْمِذِيُّ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ(٣) .

وقالَ البخاريُّ: حَدَّثنا آدمُ، حَدَّثنا شُعْبَةُ، حَدَّثنا عَمْرُو بنُ مُرَّةَ قال: سَمِعْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ قال: قَدِمَ معاويةُ بنُ أبي سفيانَ المدينةَ آخرَ قَدْمَةٍ قدِمَها، فَخَطَبَنا، فأخرجَ كُبَّةَ شَعرٍ فقال: ما كنتُ أرَىٰ أنَّ أحدًا يفعلُ هذا غيرَ اليهودِ؛ إنَّ النبيَّ ﷺ، سَمَّاهُ الزُّورَ، يعني الوِصَالَ في الشَّعْرِ(٤) ، تابعَهُ غُنْدرٌ عن شُعْبَةَ. والعجبُ أنَّ مُسلمًا رواه من غيرِ وجهٍ عن غُنْدرٍ عن شُعبَةَ به، ومن حديثِ قتادةَ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ.

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا سعيدُ بنُ تَلِيدٍ، حَدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، قال: أخبرَنِي جريرُ بنُ حازمٍ، عن أيوبَ، عن محمدِ بنِ سيرينَ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كاد يَقتُلُه العَطَشُ، إذ رأَتْه بَغِيٌّ من بَغَايَا بني إسرائيلَ، فنَزَعَتْ مُوقَها فسَقَتْه، فَغُفِرَ لها به»(٥). ورواهُ مسلمٌ، عن أبي الطَّاهرِ بنِ السَّرْحِ، عن ابنِ وَهْبٍ به(٦) .

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أسماءَ، حَدَّثنا جُوَيْرِيَةُ، عن نافعٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «عُذِّبَت امرأةٌ في هرَّةٍ سَجَنَتْها حتى ماتَتْ، فدَخَلَتْ فيها النَّارَ، لا هي أطعَمَتْها ولا سَقَتْها إذْ حَبَسَتْها، ولا هي تَرَكَتْها تَأْكُلُ من خَشَاشِ الأرضِ»(٧) . وكذا رواه مسلمٌ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أسماءَ به(٨) .

حديثٌ آخرُ: قال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا عثمانُ بنُ عُمَرَ، حَدَّثنا المُسْتَمِرُّ بنُ الرَّيَّانِ، حَدَّثنا أبو نَضْرَةَ، عن أبي سعيدٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «كان في بني إسرائيلَ امرأةٌ قَصيرةٌ، فصَنَعَتْ رِجْلَيْنِ من خَشَبٍ، فكانت تَمشي بينَ امرأتَيْنِ قَصيرتَيْنِ، واتَّخذَتْ خَاتَمًا من ذَهَبٍ، وحَشَتْ تحتَ فَصِّه أطيَبَ الطِّيبِ، المِسْكَ، فكانت إذا مَرَّتْ بالمجلِسِ، حرَّكَتْه، فنَفَحَ ريحُه»(٩) . ورواه مسلمٌ من حديثِ المُسْتَمِرِّ وخُلَيدِ بنِ جعفرٍ، كلاهما عن أبي نَضْرَةَ، عن أبي سعيدٍ مرفوعًا قريبًا منه.

وقال التِّرمذِيُّ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ(١٠)

---

(١) البخاري (٣٤٦٨).
(٢) مسلم (٢١٢٧) وأبو داود (٤١٦٧).
(٣) الترمذي (٢٧٨١).
(٤) البخاري (٣٤٨٨، ٥٩٣٨).
(٥) البخاري (٣٤٦٧).
(٦) مسلم (٢٢٤٥).
(٧) البخاري (٣٤٨٢).
(٨) مسلم (٢٢٤٢).
(٩) **صحيح**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠) بسند صحيح.
(١٠) في مسلم (٢٢٥٢) والترمذي (٩٩١).

حَديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا آدمُ، حَدَّثنا شعبةُ، عن منصورٍ سمعتُ رِبْعِيَّ بنَ حِرَاشٍ، يُحَدِّثُ عن أبي مسعودٍ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنَّ مِمَّا أدْرَكَ الناسُ مِن كلامِ النُّبُوَّةِ: إذا لم تَستَحِي فاصنَعْ ما شئتَ»**[١] .

تَفَرَّدَ به البخاريُّ دُونَ مسلمٍ، وقد رَوَاهُ بعضُهم عن رِبْعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، عن حُذَيفَةَ مرفوعًا ومَوْقوفًا أيضًا. واللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخرُ: قال الإمَامُ أحمدُ: حَدَّثنا هاشمُ بنُ القاسِمِ، حَدَّثنا عبدُ الحميدِ - يَعْنِي ابنُ بَهرَامٍ - حَدَّثنا شهرُ بنُ حَوْشَبٍ قال: قال أبو هريرةَ: «بينما رجلٌ وامرأةٌ له، في السَّلَفِ الخالي، لا يَقْدِرَان علىٰ شيءٍ، فجاء الرجلُ مِن سَفَرِهِ، فدخَلَ علىٰ امرأته جائعًا، قد أَصَابَتْه مَسْغَبَةٌ شديدةٌ، فقال لامرأتِه: أَعندكِ شيءٌ؟ قالت: نَعَمْ أَبْشِرْ، أَتَاكَ رزقُ اللَّهِ، فاستَحَثَّها فقال: وَيْحَكِ، ابتَغِي إن كان عندكِ شيءٌ، قالت: نَعَمْ، هُنَيَّةً نَرجُو رحمةَ اللَّهِ. حتىٰ إذا طالَ عليه الطَّوَىٰ، قال: وَيْحَكِ، قُومي، فابتَغِي إن كان عندَكِ خُبْزٌ فائتِيني به، فإنِّي قد بَلَغْتُ وجَهَدتُ. فقالتْ: نَعَمْ، الآنَ يُنْضِجُ التَّنُّورُ فلا تَعْجَلْ، فلَمَّا أَنْ سكَتَ عنها ساعةً، وتَحَيَّنَتْ أيضًا أَنْ يقولَ لها، قالت هي مِن عند نَفسِها: لو قُمْتُ فنَظَرْتُ إلىٰ تَنُّورِي، فقامت فوجَدَت تَنُّورَها مَلآنَ مِن جُنُوبِ الغَنَمِ، ورَحَيَيْهَا تَطْحَنَانِ، فقامتْ إلىٰ الرَّحَىٰ فنَفَضَتها، وأخرَجَتْ ما في تَنُّورِها مِن جُنُوبِ الغَنَمِ».

قال أبو هريرةَ: فوالذي نَفْسُ أبي القاسِمِ بيدِه، عن قولِ محمدٍ ﷺ: **«لو أَخَذَتْ ما في رَحَيَيْها ولم تَنْفُضْها، لَطَحَنَتْها إلى يومِ القيامة»**[٢].

وقال أحمدُ: حَدَّثنا ابنُ عامرٍ، حَدَّثنا أبو بكرٍ، عن هشامٍ، عن محمدٍ، عن أبي هريرةَ، قال: دخَلَ رجلٌ علىٰ أهلِه، فلَمَّا رأىٰ ما بهم من الحاجةِ خَرَجَ إلىٰ البَرِّيَّةِ، فَلَمَّا رأَت امرأَتُه قَامَتْ إلىٰ الرَّحَىٰ فوَضَعَتْها، وإلىٰ التَّنُّورِ فسَجَرَتْه، ثُم قالت: اللهمَّ ارزُقْنا، فَنَظَرَتْ، فإذا الجَفْنَةُ قد امتلأَتْ. قال: وذَهَبت إلىٰ التَّنُّورِ فوجَدَتْه مُمْتَلِئًا. قال: فرجَعَ الزوجُ، قال: أَصَبْتُم بَعْدِي شيئًا؟ قالت امرأتُه: نعمْ مِن ربِّنا. قامَ إلىٰ الرَّحَىٰ فرفَعَها، فذُكِرَ للنبيِّ ﷺ، فقال: **«أمَا إنه لو لم يَرْفَعْها، لَم تَزَلْ تَدُورُ إلى يومِ القيامة»**. شَهِدْتُ النَّبيَّ ﷺ، وهو يقولُ: **«واللَّهِ لأَنْ يأتيَ أحدُكُم صَبِيراً ثُمَّ يَحْمِلَه فيَبيعَه فيَسْتَعِفَّ منه، خَيْرٌ له مِن أن يأتِيَ رجلاً فيسأَلَه»**[٣] .

---

(١) البخاري (٣٤٨٣، ٣٤٨٤، ٦١٢٠).

(٢) إسناده ضعيف: لضعف شهر بن حوشب أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢١) وله شاهد في الحديث الذي بعده.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٥١٣) وهذا إسناد ضعيف من أجل أبي بكر بن عياش. وأخرجه البزار (٣٦٨٧) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ١٠٥) من طريق أبي بكر. وأبو بكر بن عياش لا يحتمل تفرده.

قصة الملكين التائبين

قَال الإمامُ أحمدُ: حَدَّثنا يزيدُ بنُ هارونَ، حَدَّثنا المسعوديُّ، عن سِمَاكِ بنِ حَرْبٍ، عن عبدالرحمنِ بنِ عبدِ اللَّه بنِ مسعودٍ، عن أبيهِ قال: بينَما رجلٌ، فيمَن كان قَبْلَكم، كان في مَمْلَكتِه، فتفكَّرَ، فعَلِمَ أنَّ ذلك مُنْقَطِعٌ عنه، وأنَّ ما هو فيه قد شَغَلَه عن عبادةِ ربِّه، فتَسَرَّب، فانسابَ ذاتَ ليلةٍ من قَصْرِه، فأَصبَحَ في مَملَكَةِ غيرِه، وأتَىٰ ساحلَ البحرِ، وكان به يَضْرِبُ اللَّبِنَ بالأَجْرِ، فيأْكُلُ ويَتَصدَّقُ بالفَضْلِ، فلم يَزَلْ كذلك حتىٰ رَقِيَ أَمْرُه إلىٰ مَلِكِهم وعبادتُه وفضلُهُ، فأَرْسَلَ مَلِكُهم إليه أن يَأْتِيَه، فأَبَىٰ أَنْ يأْتِيَه، فأَعاد، ثُم أَعاد إليه، فأَبَىٰ أن يأْتِيَه، وقال: ما له وما لي؟! قال: فركِبَ إليه المَلِكُ، فلَمّا رآه الرجلُ ولَّىٰ هارِبًا، فلَمّا رأىٰ ذلك المَلِكُ رَكَضَ في أَثَرِه فلم يُدْرِكْه. قال: فناداه: يا عبدَ اللَّه، إنَّه ليس عليك منِّي بَأْسٌ، فأَقام حتىٰ أدرَكَه، فقال له: مَن أنتَ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ فقال: أنا فلانُ بنُ فلانٍ، صاحبُ مُلْكِ كذا وكذا، تفكَّرْتُ في أَمْرِي، فعَلِمْتُ أنَّ ما أنَا فيه مُنْقَطِعٌ، فإنه قد شَغَلَني عن عبادةِ ربِّي، فتَرَكْتُه وجِئْتُ هاهنا أَعْبُدُ ربِّي، عزَّ وجلَّ. فقال له: ما أنت بأَحْوَجَ إلىٰ ما صَنَعْتَ منِّي. قال: ثُم نَزَل عن دابَّتِهِ فسَيَّبَها، ثُمَّ تَبِعَه، فكانا جميعًا يَعبُدَانِ اللَّه، عزَّ وجلَّ، فدَعَوا اللَّهَ أن يُمِيتَهما جميعًا، قال: فماتا. قال عبدُ اللَّهِ: فلو كُنتُ برُمَيْلَةِ مصرَ، لأَرَيْتُكم قبورَهُما، بالنَّعتِ الذي نَعَت لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ[1].

حديثٌ آخرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا أبو الوليدِ، حَدَّثنا أبو عَوَانَةَ، عن قتادةَ، عن عُقْبَةَ بنِ عبدالغافرِ، عن أبي سعيدٍ، عن النبيِّ ﷺ: «**إنَّ رجلاً كان قبْلَكُم رَغَسَه اللَّهُ مالاً، فقال لبَنِيه لَمَّا حُضِرَ: أيَّ أَبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خَيْرَ أَبٍ، قال: فإنِّي لَمْ أَعْمَلْ خيراً قطُّ، فإذا متُّ فأحْرِقُوني، ثُم اسْحَقُوني، ثُم اذْرُوني في يومٍ عاصفٍ. ففعلوا. فجمعَه اللَّهُ، عزَّ وجلَّ، فقال: ما حَمَلَكَ؟ قال: مَخَافَتُك، فتَلَقَّاه بَرَحمَتِه**»[2]. ورَوَاه في مواضعَ أُخَرَ ومسلمٌ مِن طُرُقٍ، عن قتادةَ به[3]. ثم رَوَاه البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ رِبْعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، عن حُذَيفَةَ، عن النبيِّ ﷺ، بنحوِه[4]. ومِن حديثِ الزُّهْرِيِّ، عن حُمَيْدِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، بنحوِه[5].

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ سَعْدٍ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُبَيدِ اللَّه بنِ عبدِ اللَّه بنِ عُتْبَةَ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**كان رجلٌ يُدَاينُ الناسَ، فكان يقولُ لفَتَاهُ: إذا أَتَيْتَ مُعْسِراً فتجاوزْ عنه، لَعَلَّ اللَّهَ أنْ يَتَجَاوَزَ عنا**» قال: «**فلَقِيَ اللَّهَ فتَجَاوَزَ عنه**»[6]. وقد رواه في مواضعَ أُخَرَ، ومسلمٌ مِن طريقِ الزُّهْرِيِّ به[7].

---

(١) **إسناده ضعيف:** أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٥١) في إسناده المسعودي وهو ممن اختلط وسمع منه يزيد بن هارون بعد الاختلاط وعبد الرحمن بن عبد اللَّه بن مسعود لم يسمع من أبيه إلا أحرف يسيرة انظر «التهذيب» (٦/ ١٩٥).

(٢) البخاري (٣٤٧٨).

(٣) البخاري (٩٤٨١، ٧٥٠٨) ومسلم (٢٧٥٧).

(٤) البخاري (٣٤٥٢، ٣٤٧٩، ٦٤٨٠).

(٥) البخاري (٣٤٨١) ومسلم (٢٧٥٦).

(٦) البخاري (٣٤٨٠).

(٧) البخاري (٢٠٧٨) ومسلم (١٥٦٢).

حديثٌ آخرُ: قال البخاري: حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثني مالكٌ، عن محمدِ بنِ المُنْكَدِرِ، وعن أبي النَّضرِ مولَىٰ عُمَرَ بنِ عُبَيدِ اللَّهِ، عن عامرِ بنِ سعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ، عن أبيه، أنَّه سَمِعَه يَسأَلُ أسامةَ بنَ زيدٍ: ماذا سَمِعْتَ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، في الطاعُونِ؟ فقال أسامةُ: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**الطاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ على طائفةٍ من بني إسرائيلَ - أو على من كان قَبلَكم - فإذا سَمِعتُم به بأرضٍ، فلا تَقْدَمُوا عليه، وإذا وقَعَ بأرضٍ وأنتم بها، فلا تَخرُجُوا فراراً منه**»[١] . قال أبو النَّضْرِ: «**لا يُخرِجُكُم إلاَّ فِراراً منه**» ورَوَاه مسلمٌ مِن حديثِ مالكٍ، ومِن طُرُقٍ أُخَرَ عن عامرِ بن سعدٍ به[٢] .

حَدَّثنا موسىٰ بن إسماعيلَ، حَدَّثنا داودُ بنُ أبي الفُرَاتِ، حَدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيدَةَ، عن يَحيَىٰ بنِ يَعمُرَ، عن عائشةَ قالت: «سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، عن الطاعونِ فأخبَرَني أنَّه عذابٌ يَبعَثُه اللَّهُ علىٰ مَن يَشاءُ من عِبادِه، وأنَّ اللَّهَ جعَلَه رحمةً للمؤمنين، ليس مِن أحدٍ يَقَعُ الطاعونُ، فيَمكُثُ في بَلَدِه صابراً مُحْتَسِبًا، يَعلَمُ أنَّه لا يُصيبُه إلاَّ ما كتَبَ اللَّهُ له، إلاَّ كان له مِثْلُ أَجْرِ شهيدٍ»[٣] . تَفَرَّدَ به البخاريُّ عن مسلمٍ مِن هذا الوجهِ.

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثنا ليثٌ، عن ابنِ شِهَابٍ، عن عُروَةَ، عن عائشةَ، أنَّ قريشًا أَهَمَّهم شأْنُ المرأةِ المَخزُوميَّةِ التي سرَقَتْ، فقالوا: مَن يُكَلِّم فيها رسولَ اللَّه ﷺ فقالوا: ومَن يَجْتَرِئُ عليه إلاَّ أسامةُ بنُ زيدٍ حِبٌّ رسولِ اللَّه ﷺ؟ فكَلَّمَه أسامةُ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**أَتَشْفَعُ في حَدٍّ من حُدُود اللَّه؟**» . ثم قامَ فاخْتَطَبَ. ثم قال: «**إنَّما أَهْلَكَ الذينَ من قَبلكُم أنَّهم كانوا إذا سرق فيهم الشَّريفُ تَرَكُوه، وإذا سَرَق فيهم الضعيفُ أقامُوا عليه الحَدَّ، وايْمُ اللَّه، لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمد سَرَقَتْ، لَقَطَعتُ يَدَها**»[٤] . وأَخْرَجَه بَقِيَّةُ الجماعةِ مِن طُرُقٍ، عن اللَّيْثِ بن سعدٍ به[٥] .

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا آدمُ، حَدَّثنا شُعبَةُ، حَدَّثنا عبدُ الملكِ بنُ ميسرةَ، سَمِعْتُ النَّزَّالَ ابنَ سَبْرَةَ الهِلاَلِيَّ، عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّه عنه، قال: سَمِعتُ رجلاً قرأ آيةً، وسَمِعتُ النبيَّ ﷺ، يَقْرَأُ خلافَها، فجِئتُ به النبيَّ ﷺ، فأَخْبَرتُه، فعَرَفتُ في وَجْهِه الكَرَاهِيَةَ، وقال: «**كلاكُما مُحْسِنٌ، ولا تَختَلِفُوا، فإنَّ مَنْ كان قَبْلَكم اختَلَفُوا فهلَكُوا**»[٦] . تَفَرَّدَ به البخاريُّ دُونَ مسلمٍ.

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حَدَّثنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ، عن صالحٍ، عن ابنِ شهابٍ قال: قال أبو سَلَمَةَ بنُ عبدِ الرحمنِ: إنَّ أبا هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، قال: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**إنَّ اليَهودَ والنَّصارَى لا يَصْبُغُونَ، فخَالِفُوهم**»[٧] . تفرَّدَ به دونَ مسلمٍ، وفي «سُنَنِ أبي داودَ»: «**صلُّوا في نِعالِكم، خالِفوا اليهودَ**»[٨] .

---

(١) البخاري (٣٤٧٣). (٢) مسلم (٢٢١٨).
(٣) البخاري (٣٤٧٤). (٤) البخاري (٣٤٧٥).
(٥) مسلم (١٦٨٨) وأبو داود (٤٣٧٣) والترمذي (١٤٣٠) والنسائي (٤٩١٤) وابن ماجه (٢٥٤٧).
(٦) البخاري (٣٤٧٦). (٧) البخاري (٣٤٦٢).
(٨) أخرجه أبو داود (٦٥٢) بلفظ: «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم» بإسناد حسن.

حديث آخر: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، حَدَّثنا سفيانُ، عن عَمرٍو، عن طاوُسٍ، عن ابنِ عباسٍ، سَمِعتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عنه، يقولُ: قاتَلَ اللَّهُ فلانًا، أَلَمْ يَعْلَمْ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«لَعَنَ اللَّهُ اليهودَ، حُرِّمَتْ عليهم الشُّحُومُ، فجَمَلُوها، فباعُوها»**[(١)]. ورواه مسلمٌ من حديثِ ابنِ عُيَيْنَةَ، ومِن حديثِ عَمْرِو بنِ دينارٍ به[(٢)]. ثم قال البخاريُّ: تابَعَه جابرٌ، وأبو هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ. ولهذا الحديثِ طُرُقٌ كثيرةٌ، ستأتي في بابِ الحِيَلِ، من كتابِ «الأحكام» إن شاء اللَّهُ، وبه الثِّقَةُ.

حديث آخر: قال البخاريُّ: حَدَّثنا عِمْرانُ بنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثنا عبدُ الوارثِ، حَدَّثنا خالدٌ، عن أبي قِلابَةَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: ذَكَرُوا النارَ والناقُوسَ، فذَكَرُوا اليهودَ والنَّصارَىٰ، فأُمِرَ بلالٌ أنْ يَشْفَعَ الأذانَ، وأنْ يُوتِرَ الإقامةَ[(٣)]. وأَخْرَجَه بَقِيَّةُ الجماعةِ من حديثِ أبي قِلابةَ عبدِ اللَّهِ بنِ زيدٍ الجَرْمِيِّ به[(٤)].

والمقصودُ من هذا مُخَالَفَةُ أهلِ الكتابِ في جميعِ شِعَارِهِم، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، لمَّا قَدِمَ المدينةَ، كان المسلمون يَتَحَيَّنُونَ وقتَ الصلاةِ بغيرِ دعوةٍ إليها، ثم أَمَرَ مَن يُنادِي فيهم وقتَ الصلاةِ: الصلاةُ جامعةٌ، ثُم أرادوا أنْ يَدْعُوا إليها بشيءٍ يَعْرِفُه الناسُ، فقال قائلون: نَضْرِبُ بالناقُوسِ. وقال آخرُون: نُورِي نارًا. فكرِهُوا ذلك؛ لمُشابَهَتِه أهلَ الكتابَيْنِ، فأُرِيَ عبدُ اللَّهِ بنُ زيدِ بنِ عبدِ ربِّه الأنصاريُّ في مَنامِه الأذانَ فقَصَّها على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأَمَرَ بلالًا فنادىٰ به، كما هو مَبْسُوطٌ في مَوضعِه من بابِ الأذانِ من كتابِ «الأحكام».

حديث آخر: قال البخاريُّ: حَدَّثنا بِشْرُ بنُ محمدٍ، أخبَرَنا عبدُ اللَّهِ، أخبَرَني مَعمَرٌ ويونُسُ، عن الزُّهْرِيِّ قال: أَخبَرَني عُبَيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ، أنَّ عائشةَ وابنَ عباسٍ قالا: لمَّا نُزِلَ برسولِ اللَّهِ ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خَمِيصَةً على وجهِه، فإذا اغتَمَّ كَشَفَهَا عن وجهِه، فقال وهو كذلك: **«لَعْنَةُ اللَّهِ على اليهودِ والنَّصارَىٰ، اتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائهم مساجدَ»**. يُحَذِّرُ ما صَنَعُوا[(٥)]. وهكذا رَوَاه في غيرِ مَوضعٍ، ومسلمٌ من طُرُقٍ عن الزُّهْرِيِّ به[(٦)].

حديث آخر: قال البخاريُّ: حَدَّثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ، حَدَّثنا أبو غَسَّانَ قال: حَدَّثني زيدُ بنُ أَسْلَمَ، عن عَطَاءِ بنِ يَسَارٍ، عن أبي سعيدٍ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَن قَبْلَكم شِبْرًا بشِبْرٍ، وذِرَاعًا بذِرَاعٍ، حتى لو سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُموه»**. قلنا: يا رسولَ اللَّهِ: اليهودَ والنَّصارَىٰ؟ قال النبيُّ ﷺ: «فَمَن؟!»[(٧)] وهكذا رواه مسلمٌ من حديثِ زيدِ بنِ أسلَمَ به[(٨)].

والمقصودُ من هذا، الإخبارُ عَمَّا يَقَعُ من الأقوالِ والأفعالِ المَنْهِيِّ عنها شَرْعًا، مِمَّا يُشابِهُ أهلَ الكتابِ قَبْلَنا، فإنَّ اللَّهَ ورسولَه يَنْهَيَانِ عن مُشَابَهَتِهم في أقوالِهِم وأفعالِهِم، حتىٰ ولو كان قَصْدُ المؤمنِ

---

(١) البخاري (٣٤٦٠). (٢) مسلم (١٥٨٢). (٣) البخاري (٦٠٣، ٣٤٥٧).
(٤) مسلم (٣٧٨) وأبو داود (٥٠٨، ٥٠٩) والترمذي (١٩٣)، والنسائي (٦٢٦)، وابن ماجه (٧٢٩، ٧٣٠).
(٥) البخاري (٣٤٥٣، ٣٤٥٤). (٦) مسلم (٥٣١).
(٧) البخاري (٣٤٥٦). (٨) مسلم (٢٦٦٩).

خيرًا، لكنّه تَشبُّهٌ بفعله في الظاهر مِن فعلهم. كما نُهِيَ عن الصلاة عندَ طُلُوع الشمس وعندَ غروبها؛ لئَلاَّ يُشَابِهَ الْمُشْرِكِينَ الذين يَسْجُدُونَ للشمسِ حينَئذٍ، وإن كان المؤمنُ لا يَخطُرُ بِبَاله شيءٌ من ذلك بالكُلِّيَّة. وهكذا قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤] فكان الكفارُ يقولون للنبيِّ ﷺ في كلامهم معه: راعِنَا. أيْ؛ انظُرْ إلينا بَبَصَرِك واسْمَعْ كلامَنا. ويَقْصِدُونَ بقولِهم: راعِنَا. من الرُّعُونَة، فنُهِيَ المؤمنون أن يقولوا ذلك، وإنْ كان لا يَخْطُرُ ببالِ أحد منهم هذا أبدًا.

وقد روىٰ الإمامُ أحمدُ والتِّرْمِذِيُّ من حديث عبد اللَّه بن عُمَرَ، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «**بُعِثْتُ بالسيف بينَ يَدَي الساعة حتى يُعْبَدَ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وجُعِلَ رِزْقِي تحتَ ظِلِّ رُمْحِي، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَارُ على مَن خالَفَ أَمْرِي، ومَن تَشبَّهَ بقومٍ فهو منهم**»[1] فليس للمُسْلِمِ أنْ يَتَشَبَّهَ بهم؛ لا في عباداتهم، ولا في مَواسمِهم، ولا في أعيادهم؛ لأنَّ اللَّه تعالىٰ شَرَّفَ هذه الأمَّةَ بخاتَمِ الأنبياء، الذي شرعَ له الدينَ العظيمَ القَويمَ، الشَّاملَ الكاملَ، الذي لو كان موسىٰ بنُ عمرانَ الذي أُنزِلَتْ عليه التوراةُ، وعيسىٰ ابن مريمَ الذي أُنزلَ عليه الإنجيلُ حَيَّيْنِ، لم يَكُنْ لهما شَرْعٌ مُتَّبَعٌ، بل لو كانا مَوْجُودَيْن، بل وكُلُّ الأنبياء، لَمَا سَاغَ لواحدٍ منهم أن يَكُونَ على غيرِ هذه الشريعةِ الْمُطَهَّرَة، الْمُشَرَّفَة، الْمُكَرَّمَة، الْمُعَظَّمَة، فإذا كان اللَّهُ تعالىٰ قد مَنَّ علينا بأَنْ جَعَلَنا من أتْبَاعِ محمدٍ ﷺ، فكيف يَلِيقُ بنا أنْ نَتَشَبَّهَ بقومٍ قد ضَلُّوا مِن قبلُ، وأَضَلُّوا كثيرًا، وضَلُّوا عن سَوَاءِ السبيلِ، قد بَدَّلُوا دينهم، وحَرَّفُوه، وأَوَّلُوه، حتىٰ صارَ كأنَّه غيرُ ما شُرِعَ لهم أوَّلاً، ثُمَّ هو بعدَ ذلك كلِّه مَنْسُوخٌ، والتَّمَسُّكُ بالمنسوخِ حرامٌ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ منه قليلاً ولا كثيرًا، ولا فَرْقَ بينَه وبينَ ما لم يُشْرَعْ بالكُلِّيَّة. واللَّهُ يَهدِي مَن يشاءُ إلىٰ صراطٍ مُستقيمٍ.

حديثٌ آخَرُ: قال البخاريُّ: حَدَّثنا قُتَيْبَةُ، حَدَّثنا اللَّيْثُ، عن نافعٍ، عن ابنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عنهما، عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّما أَجَلُكم في أَجَلِ مَن خَلاَ من الأُمَمِ ما بينَ صلاة العصرِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ، وإنما مَثَلُكم ومَثَلُ اليهودِ والنصارَى، كرجُلٍ استَعْمَلَ عُمّالاً فقال: مَن يَعْمَلُ لي إلى نِصْفِ النهارِ على قِيرَاطٍ قِيراطٍ؟ فعَمِلَتِ اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ، ثم قال: مَن يَعْمَلُ لي**

---

(١) **حسن بمجموع طرقه**: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (٢١٦) وغيرهما من طرق عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر به وفي هذا السند ثوبان وهو مختلف فيه والراجح ضعفه وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣١) من طريق الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية به ولا يصلح هذا متابعًا لاحتمال سماع الأوزاعي من ابن ثابت وخاصة أن الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية ولم يصرح بسماع الأوزاعي من حسان وأخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٣٢٢)، عن عيسىٰ بن يونس عن الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن طاووس مرسلاً وقال أبو حاتم في «العلل» عن دحيم وهو الأصح.
والمرفوع ليس بشيء انظر «العلل» (١/ ٣١٩). وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٢٩) عن أنس مرفوعًا بسند ضعيف فيه بشر بن الحسين وروي عن الحسن مرسلاً عند سعيد بن منصور (٢٣٧٠).

من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعَمِلَت النصارَى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قـال: مَن يَعْمَلُ لي من صلاة العصرِ إلى مَغْرب الشمسِ علـى قيراطَيْن قيراطَيْن؟ ألاَ فأنتم الذينَ تعـمَلُون من صلاة العصر إلـى مَغْربِ الشمسِ على قـيراطَين قيراطَين، ألاَ لكم الأجـرُ مرَّتَين، فغضبَت اليهودُ والنصارَى، فقالوا: نحنُ أكثرُ عَمَلاً وأقلُّ عطاءً! قال اللَّهُ: هل ظلَمتُكم من حقِّكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فإنَّه فَضلي أُوتيه مَن شئتُ»[1] .

وهذا الحديثُ فيه دليلٌ علىٰ أنَّ مُدَّةَ هذه الأُمَّة قصيرةٌ، بالنسبة إلىٰ ما مضَىٰ من مُدَد الأُمَم قَبْلَها؛ لقوله: **إنَّما أجَلُكم في أجَلِ مَن خَلاَ من الأُمَم ما بينَ صلاة العصر إلى مَغْرب الشمس»** فالماضي لا يعلَمُه إلاَّ اللَّهُ، كما أنَّ الآتيَ لا يَعْلَمُه إلاَّ هو، ولكنَّه قصيرٌ بالنسبة إلىٰ ما سبَق، ولا اطِّلاعَ لأحدٍ علىٰ تحديد ما بَقِيَ إلاَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، كما قال تعالىٰ: ﴿ **لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ** ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا** ﴾ [النازعات: ٤٢-٤٤]. وما يَذْكُرُه بعضُ الناسِ من الحديث المشهورِ عندَ العامَّة من أنَّه، عليه السلامُ لا يؤلِّفُ تحتَ الأرض، فليس له أصلٌ في كُتُبِ الحديث، ووَرَدَ فيه حديثٌ: «أنَّ الدنيا جُمُعَةٌ من جُمَعِ الآخرَة»[2] ، وفي صحته نَظَرٌ.

والمرادُ من هذا التَّشْبيه بالعُمَّال، تفاوتُ أجورهم، وأن ذلك ليس مَنُوطًا بكثرة العملِ ولا قلَّته، بل بأمورٍ أُخَرَ مُعتبَرَةٍ عندَ اللَّه تعالىٰ، وكم من عملٍ قليلٍ أجْدَىٰ ما لا يُجديه العملُ الكثيرُ؛ هذه ليلةُ القدرِ، العملُ فيها أفضلُ من عبادة ألف شَهرٍ سواها، وهؤلاء أصحابُ محمدٍ ﷺ، أنفقُوا في أوقاتٍ، لو أنفقَ غيرُهم من الذهب مثلَ أُحُدٍ، ما بلَغ مُدَّ أحدهم، ولا نَصيفَه من تَمرٍ، وهذا رسولُ اللَّه ﷺ، بعثَه اللَّهُ علىٰ رأسِ أربعين سنةً من عُمره، وقبَضَه وهو ابنُ ثلاث وستين سنةً علىٰ المشهور، وقد برَز في هذه المدَّة - التي هي ثلاثٌ وعشرون سنةً - في العلوم النافعة، والأعمال الصَّالحة، علىٰ سائر الأنبياء قَبْلَه؛ حتىٰ علىٰ نوحٍ، الذي لَبِثَ في قومه ألفَ سنة إلاَّ خمسين عامًا، يَدْعُوهم إلىٰ عبادة اللَّه وحدَه لا شريكَ له، ويَعمَلُ بطاعة اللَّه ليلاً ونهارًا، وصباحًا ومَساءً، صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه وعلىٰ سائر الأنبياء أجمَعينَ.

فهذه الأُمَّةُ إنَّما شُرِّفَتْ وتَضَاعَفَ ثَوابُها، ببركَة سيادة نبيِّها وشرَفه وعظَمَته، كما قال اللَّه تعالىٰ: **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلاَّ يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ**

---

(١) البخاري (٣٤٥٩).

(٢) ضعيف: أخرجه الطبري في «التاريخ» (١/ ١٥) من طريق يحيىٰ بن يعقوب عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به موقوفًا عليه. وفيه شيخ الطبري محمد بن حميد الرازي ضعيف، ويحيىٰ بن يعقوب قال أبو حاتم: محله الصدق، وقال البخاري: منكر الحديث. ذكره الذهبي في «الميزان»، وبقية رجاله ثقات. وضعفه المصنف كما سيأتي.

﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨، ٢٩].

فصل

وأخبارُ بني إسرائيلَ كثيرةٌ جداً في الكتاب وفي السُّنَّة النبوية ولو ذهبْنا نَتَقَصَّىٰ ذلك لَطَالَ الكتابُ، ولكن ذكَرنا ما ذكَرَه الإمامُ أبو عبد اللَّه البخاريُّ في هذا الباب، ففيه مَقْنَعٌ وكفايةٌ، و هو تَذْكِرَةٌ وأُنموذَجٌ لهذا الباب، واللَّهُ أعلمُ.

وأمّا الأخبارُ الإسرائيليةُ، ممّا يَذكُرُه كثيرٌ من المُفسِّرين والمُؤرِّخين، فكثيرةٌ جداً، ومنها ما هو صحيحٌ مُوافقٌ لما وقع، وكثيرٌ منها ـ بل أكثرُها ـ ممّا يَذكُرُه القُصَّاصُ مكذُوبٌ مُفترًى، وضَعَه زَنَادقَتُهم وضُلّالُهم، وهي ثلاثةُ أقسام؛ منها: ما هو صحيحٌ؛ لمُوَافقَتِه ما قَصَّ الله في كتابه أو أخبَرَ به رسولُ اللَّه ﷺ، ومنها: ما هو معلومُ البُطلان؛ لمخالفته كتابَ اللَّه وسُنَّةَ رسوله، ومنها: ما يَحتَمِلُ الصدقَ والكَذِبَ، فهذا الذي أُمرنا بالتَّوَقُّف فيه، فلا نُصَدِّقُه ولا نُكَذِّبُه؛ لمَا ثبَت في «الصّحيح»: «إذا حَدَّثَكم أهلُ الكتاب، فلا تُصَدِّقُوهم ولاتُكَذِّبُوهم، وقُولوا: آمَنّا بالذي أُنزلَ إلينا وأُنزلَ إليكم». وتَجُوزُ روايتُه مع هذا الحديث المتقدِّم: «وحدِّثُوا عن بني إسرائيلَ ولا حَرَجَ».

ذِكْرُ تحريفِ أهلِ الكتابِ، وتَبْديلِهم أدْيانَهم

أما اليهودُ فقد أَنْزَلَ اللَّهُ عليهم التوراةَ على يَدَي موسى بن عمرانَ، عليه السلامُ، وكانت كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٤]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الصافات: ١١٧، ١١٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. فكانوا يَحكُمون بها وهم مُتَمَسِّكُون بها، بُرهَةً من الزمان، ثُم شَرَعوا في تَحريفها، وتَبْديلها، وتَغْييرها، وتَأويلها، وإبداءِ ما ليس منها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]. فأَخبَرَ تعالى أنَّهُم يُفَسِّرُونَها ويُؤَوِّلُونَها ويَضَعُونَها على غيرِ مَواضعها، وهذا ما لا خلافَ فيه بينَ العلماء؛ وهو أنَّهم يَتَصَرَّفُونَ في مَعَانيها، ويَحملُونها على غيرِ المراد، كما بَدَّلُوا حُكمَ الرجْم والتَّحميم، مع بقاءِ لفظ الرَّجم فيها، وكما أنَّهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريفُ تَرَكُوه، وإذا سرَق فيهم الضعيفُ أقَامُوا عليه الحدَّ، مع أنَّهم مَأمُورون بإقامة الحدِّ والقطع على الشريفِ والوَضِيع.

فأمّا تبديلُ ألفاظها، فقال قائلونَ بأنَّها جميعَها بُدِّلَتْ. وقال آخرون: لَمْ تُبَدَّلْ واحتَجُّوا بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٣]. وقوله: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وبقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. وبقصَّةِ الرَّجمِ، فإنَّهم ـ كما ثَبَت في «الصحيحَينِ»، عن ابنِ عُمَر[١] وفي «صحيحِ مسلمٍ»، عن البَراءِ بنِ عازبٍ وجابرِ بنِ عبدِ اللَّه، وفي «السُّنَنِ» عن أبي هريرةَ وغيرِه[٢]: ـ لَمّا تحاكَموا إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، في قِصَّةِ اليهوديِّ واليهوديَّةِ الَّذين زَنَيا، فقال لهم: «ما تَجِدُونَ في التوراة في شأنِ الرَّجْمِ؟» فقالوا: نَفْضَحُهم، ويُجلَدُونَ فأَمَرهم رسولُ اللَّه ﷺ، بإحضَارِ التوراةِ، فلَمَّا جاءُوا بها، وجَعَلوا يَقْرؤونَها ويَكتُمون آيةَ الرَّجمِ التي فيها، ووضَع عبدُ اللَّه بنُ صُوريا يَدَه علىٰ آيةِ الرَّجمِ، وقرأ ما قَبْلَها وما بعدَها، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «ارفَعْ يَدَكَ يا أعوَرُ». فرفَع يدَه، فإذا فيها آيةُ الرَّجمِ، فأمَرَ رسولُ اللَّه ﷺ برَجمِهما، وقال: «اللّهُمَّ إنِّي أوَّلُ من أَحيا أمرَكَ إذ أَماتُوهُ»، وعندَ أبي داودَ: أنَّهم لما جاءُوا بها، نزَع الوِسَادَةَ مِن تَحتِه، فوضَعَها تَحتَها، وقال: «آمَنتُ بك وبِمَن أنزَلَك». وذكَر بعضُهم أنّه قام لها، ولَم أقِف علىٰ إسناده. واللَّهُ أعلمُ.

وهذا كلُّه يُشكِلُ علىٰ ما يقولُه كثيرٌ من المتكلِّمين وغيرِهم: إنَّ التوراةَ انقَطَعَ تَواتُرُها في زمنِ بُختُ نَصَّرَ، ولَم يَبقَ مَن يحفَظُها إلاّ العُزَيرُ، ثُم إنَّ العُزَيرَ إن كان نبيًّا فهو معصومٌ، والتواتُرُ إلىٰ المعصومِ يَكفِي، اللهُمَّ إلاّ أن يُقَالَ: إنّها لم تَتَواتَر إليه. لكن بعدَه زكريا ويَحيَىٰ وعيسىٰ، وكُلُّهم كانوا مُتَمَسِّكين بالتَّوراةِ، فلو لَم تكُن صحيحةً معمولاً بها، لَمَا اعتَمَدُوا عليها، وهم أنبياءُ مَعصُومون، ثم قد قال الله تعالىٰ، فيما أَنزَلَ علىٰ رسولِه محمدٍ، خاتَمِ الأنبياءِ، صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه وعلىٰ جَميعِ الأنبياءِ، مُنكِرًا علىٰ اليهودِ في قَصدِهم الفاسدِ، إذْ عَدَلُوا عَمّا يَعتَقِدُونَ صحتَه عندَهم ـ وأنَّهم مَأمُورون به حَتْمًا ـ إلىٰ التَّحاكُم إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، وهم يُعَانِدون ما جاءَ به، لكن لَمَّا كان ـ في زَعمِهم ـ قد يُوافِقُهم علىٰ ما ابْتَدَعُوه؛ من الجَلْدِ والتَّحميمِ، المُصادِمِ لمَا أمَر اللَّهُ به حَتمًا، قالوا: إن حَكَم لكم بالجلدِ والتحميمِ فاقبَلُوه، وتكُونون قد اعْتَذَرتُم بحُكمِ نبيٍّ لكم عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ، وإن لم يَحكُم لكم بهذا، بل بالرَّجْمِ، فاحذَرُوا أن تَقبَلُوا منه، فأنكرَ اللَّهُ تعالىٰ عليهم في هذا القَصدِ الفاسدِ، الذي إنَّما حَمَلَهم عليه الغَرَضُ الفاسدُ، وموافقةُ الهَوَىٰ، لا الدينُ الحقُّ، فقال: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٣) إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾ الآية [المائدة: ٤٣، ٤٤] ولهذا لَمّا حكَم بالرَّجمِ، قال: «اللهُمَّ إنِّي أوَّلُ مَن أحيا أمرَكَ إذ أماتُوه» وسَألَهم؛ ما حمَلَهم علىٰ هذا؟ ولِمَ تَرَكُوا أمْرَ اللَّهِ الذي بأيديهِم؟ فقالوا: إنّ الزِّنا قد كَثُرَ في

(١) البخاري (١٣٢٩، ٣٦٣٥، ٤٥٥٦، ٦٨١٩) ومسلم (١٦٩٩).
(٢) في سنن أبي داود (٤٤٥٠، ٤٤٥١).

أشرافنا، ولم يُمكنّا أن نُقيمه عليهم، وكنا نَرجُمُ مَن زنَىٰ من ضعفائنا، فقُلنا: تَعالوا إلىٰ أمْرٍ نصْفٍ، نَفعلُه مع الشريفِ والوضيعِ، فاصطلَحنا على الجَلْدِ والتَّحميم. فهذا مِن جُملةِ تَحريفِهم، وتَبْديلِهم، وتغييرِهم، وتأويلِهم الباطلِ، وهذا إنما فعلَوه في المعاني، مع بَقاءِ لفظِ الرَّجمِ في كتابِهم، كما دَلَّ عليه الحديثُ المتَّفَقُ عليه، فلهذا قال مَن قال هذا من الناسِ: إنَّه لم يَقَعْ تبديلُهم إلاَّ في المعاني، وإنَّ الألفاظَ باقيةٌ، وهي حُجَّةٌ عليهم؛ إذ لو أقاموا ما في كتابهم جميعَه، لقادَهم ذلك إلى اتِّباعِ الحقِّ، ومتَابَعَةِ الرسولِ محمدٍ ﷺ، كما قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٥٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ الآية [المائدة: ٦٦]. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية [المائدة: ٦٨]. وهذا المذهبُ ـ وهو القولُ بأنَّ التبديلَ إنَّما وقع في معانيها لا في ألفاظِها ـ حكاه البخاريُّ عن ابنِ عباسٍ، في آخرِ كتابه «الصحيح»[1] وقَرَّر عليه، ولم يَرُدَّه، وحكاه العلاَّمةُ الإمامُ فخرُ الدينِ الرَّازيُّ في «تَفسيرِه» عن أكثرِ المُتَكَلِّمين.

وذهَب فقهاءُ الحَنَفيَّةِ إلى أنَّه لا يجوزُ للجُنُبِ مَسُّ التوراةِ، وهو مُحدثٌ، وحَكاه الحَنَّاطيُّ في «فتاويه» عن بعضِ أصحابِ الشافعيِّ، وهو غريبٌ جداً.

وذهَب آخرون من العلماءِ إلى التَّوسُّطِ في هذين القولين؛ منهم شيخُنا الإمامُ العلاَّمةُ أبو العباسِ ابنُ تَيْميةَ رَحمه الله، فقال: أمَّا مَن ذَهَب إلى أنَّها كلَّها مُبدَّلَةٌ من أوَّلِها إلى آخرِها، ولم يَبْقَ منها حَرفٌ إلاَّ بَدَّلُوه، فهذا بعيدٌ، وكذا مَن قال: لم يُبَدَّل شيءٌ منها بالكُلِّيَّةِ، بعيدٌ أيضاً. والحقُّ أنَّه دخَلَها تَبْديلٌ وتغييرٌ، وتَصرَّفُوا في بعضِ ألفاظِها بالزيادةِ والنقصِ، كما تَصرَّفُوا في معانيها، وهذا معلومٌ عندَ التَّأمُّلِ، ولبسطه موضعٌ آخرُ. واللَّهُ أعلمُ. كما في قولِهم في قصةِ الذبيح: اذْبح ابنَكَ وحيدَك. وفي نسخةٍ: بِكرَكَ إسحاقَ. فلَفظَةُ «إسحاقَ» مُقْحَمَةٌ مَزيدَةٌ بلا مريةٍ؛ لأنَّ الوحيدَ ـ وهو البِكرُ ـ إسماعيلُ؛ لأنَّه وُلِدَ قَبْلَ إسحاقَ بأربعَ عشرةَ سنةً، فكيف يَكُونُ الوحيدُ البِكرُ إسحاقَ؟! وإنما حَمَلَهم على ذلك حَسَدُ العَرَبِ؛ أن يكونَ أبوهم هو الذبيحَ، فأرادُوا أن يَذهَبوا بهذه الفضيلةِ لهم، فزادوا ذلك في كتابِ اللَّه، افتراءً على اللَّهِ وعلى رسوله، وقد اغترَّ بهذه الزيادة خَلقٌ كثيرٌ من السَّلَفِ والخَلَفِ، ووافقهم على أنَّ الذبيحَ إسحاقُ، والصحيحُ أنَّ الذبيحَ إسماعيلُ، كما قدَّمْنا. واللَّهُ أعلمُ.

وهكذا في تَوراةِ السَّامرةِ، في العَشرِ الكلمات زيادةُ الأمرِ بالتَّوجُّهِ إلى الطُّورِ في الصلاة، وليس ذلك في سائرِ نُسَخِ اليهودِ والنصارَىٰ. وهكذا يُوجَدُ الزَّبُورُ المأثورُ عن داودَ، عليه السَّلامُ، مختلفاً كثيراً، وفيه أشياءُ مَزيدَةٌ مُلحَقَةٌ فيه وليست منه. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) البخاري (٧٥٤١).

قلتُ: وأمَّا ما بأيديهم من التوراة المُعَرَّبَة، فلا يَشُكُّ عاقلٌ في تَبْديلها وتحريف كثير من ألفاظها، وتغيير القَصَص والألفاظ، والزيادات، والنقص البَيِّن الواضح، وفيها من الكذب البَيِّن، والخطأ الفاحش شيءٌ كثيرٌ جداً، فأمّا ما يَتْلُونَه بلسانهم، ويكتُبُونَه بأقلامهم، فلا اطِّلاعَ لنا عليه، والمَظْنُونُ بهم أنَّهم كَذَبةٌ خَوَنَةٌ، يُكثِرُون الفِريةَ على اللّه ورُسُله وكتبه.

وأمَّا النصارىٰ، فأناجيلُهم الأربعةُ من طُرُق؛ مُرقُسَ، ولُوقَا، ومتَّىٰ، ويُوحَنَّا، أشدُّ اختلافًا، وأكثرُ زيادةً ونقصًا، وأفحَشُ تَفَاوُتًا من التوراة، وقد خالَفُوا أحكامَ التوراة والإنجيل، في غير ما شيءٍ قد شرَّعُوه لأنفسهم؛ فَمن ذلك، صلاتُهم إلى الشرق ليست مَنصوصًا عليها، ولا مأمورًا بها في شيءٍ من الأناجيل الأربعة، وهكذا تصويرُهم كنائسَهم، وتَرْكُهم الختانَ، ونَقْلُهم صيامَهم إلى زمن الربيع، وزيادتُهم فيه إلى خمسين يومًا، وأكلُهم الخنزيرَ، ووضعُهم الأمانةَ الكبيرة، وإنّما هي الخيانةُ الصغيرةُ الحقيرةُ، والرهبانيةُ؛ وهي تركُ التَّزويج لمن أراد التَّعَبُّدَ، وتحريمُه عليه، وكَتْبُهم القوانين التي وضَعَتها لهم الأساقفةُ الثلاثُمائة والثمانية عشَرَ. فكلُّ هذه الأشياء ابتدعوها، ووضَعُوها في أيام قُسْطَنْطينَ بن قسطس بَاني القُسْطَنْطينيَّة، وكان زمنُه بعدَ المسيح بثلاثمائة سنةٍ، وكان أبوه أحدَ مُلُوك الروم، وتَزَوَّجَ أُمَّه هيلانَةَ في بعض أسفاره للصَّيد من بلاد حَرَّان، وكانت نَصرانيَّةً على دين الرَّهَابين المُتقدِّمين، فلما وُلِدَ لها منه قُسطَنطينُ المذكورُ، تَعلَّمَ الفلسفة ومَهَرَ فيها، وصار فيه مَيلٌ بعضُ الشيءِ إلى النصرانية، التي أُمُّه عليها، فعظَّمَ القائمين بها بعضَ الشيء، وهو على اعتقاد الفلاسفة، فلمّا مات أبوه واستقلَّ هو في المملَكَة، سار في رَعِيَّته سيرةً عادلةً؛ فأَحَبَّه الناسُ، وسادَ فيهم، وغلَب على مُلك الشّام بأسره مع الجَزيرة، وعَظُمَ شأنُه، وكان أولَ القياصرة، ثُم اتَّفَقَ اختلافٌ في زمانه بينَ النَّصارىٰ، ومُنَازَعةٌ وَقَعَتْ بينَ بطريق الإسكندرية إكصَندَرُوسَ، وبين رَجلٍ من علمائهم يُقالُ له: عبدُ اللّه بنُ أريُوسَ. فذهَب إكْصَنْدَرُوسَ إلى أنَّ عيسى ابنُ اللّه، تعالى اللّه عن قوله، وذهَب ابنُ أريوسَ إلى أنَّ عيسى عبدُاللّه ورسولُه، واتَّبعه على هذا طائفةٌ من النصارىٰ، وأصفَقَ الأكثرون الاخسرون على قول بَطريقهم، ومُنِعَ ابنُ أريُوسَ من دخول الكنيسة هو وأصحابُه، فذهَب يَستَعدي على إكْصَنْدَرُوسَ وأصحابه إلى الملك قُسْطَنْطينَ، فسألَه الملكُ عن مَقَالَته، فَعَرض عليه عبدُاللّه بنُ أرْيُوسَ ما يقولُ في المسيح؛ من أنَّه عبدُ اللّه ورسولُه، واحتجَّ على ذلك، فمال إليه، وجنَح إلى قوله، فقال له قائلون: فيَنبَغي أن تَبعَثَ إلى خَصمه فتَسمعَ كلامَه، فأَمَرَ الملكُ بإحضاره، وطلَب من سائر الأقاليم كلَّ أُسقُفٍ، وكلَّ مَن عنده علمٌ في دين النصرانية، وجمَع البَطَارِقَةَ الأربعةَ، من القُدس وأنْطَاكيَةَ ورُوميَةَ والإسكندرية، فيُقالُ: إنَّهم اجتَمَعُوا في مُدَّة سنةٍ وشهرَين ما يَزيدُ على ألفَي أُسقُفٍ، فجَمَعهم في مجلسٍ واحدٍ، وهو المَجمَعُ الأوَّلُ من مَجَامِعهم الثلاثة المشهورة، وهم مختلفون اختلافًا مُتَبَاينًا منتشرًا جدًا؛ فمنهم الشِّرذمَةُ على المقالة التي لا يُوافقُهم أحدٌ من الباقين

عليها، فهؤلاء خمسون على مقالةٍ، وهؤلاء ثمانون على مقالةٍ أُخرىٰ، وهؤلاء عشرةٌ على مقالةٍ، وأربعون على أُخرىٰ، ومائةٌ على مقالةٍ، ومائتان على مقالةٍ، وطائفةٌ على مقالة ابنِ أَريوسَ، وجماعةٌ على مقالةٍ أُخرىٰ، فلَمّا تفاقَمَ أمرُهم وانتَشَرَ اختلافُهم، حارَ فيهم الملكُ قُسطَنطِينُ، مع أنَّه سَيِّئُ الظنِّ بما عَدَا دينَ الصَّابِئِينَ من أسلافه اليونانيين فعمَدَ إلى أكثرِ جماعةٍ منهم على مقالةٍ من مقالاتهم، فوجَدَهم ثلاثمائةٍ وثمانيةَ عَشَرَ أُسقُفًا، قد اجتَمَعوا على مقالةِ إكصَندَروسَ، ولم يَجِدْ طائفةً بلَغَت عِدَّتَهم، فقال: هؤلاء أولَىٰ بنَصرِ قولهم؛ لأنَّهم أكثرُ الفِرَقِ. فاجتَمَعَ بهم خصوصًا، ووضَعَ سيفَه وخاتَمَه إليهم، وقال: إنِّي رأَيتُكم أكثرَ الفرقِ، قد اجتمعتم على مقالَتِكم هذه، فأنا أنصُرُها وأذهَبُ إليها، فسَجَدُوا له، وطلب منهم أن يَضَعُوا له كتابًا في الأحكام، وأن تكونَ الصلاةُ إلى الشرقِ؛ لأنَّها مَطلعُ الكواكبِ النَّيِّرَةِ، وأن يُصَوِّرُوا في كنائسهم صُورًا لها جُثَثٌ، فصالَحُوه على أن تكون في الحيطان، فلَمّا تَوَافَقُوا على ذلك، أخَذَ في نَصرِهم، وإظهارِ كلمتِهم، وإقامةِ مقالَتِهم، وإبعادِ مَن خالَفَهم، وتَضعيفِ رأيِه وقولِه، فظهَرَ أصحابُه بجَاهِه على مُخالفِهم، وانتصروا عليهم، وأمَرَ ببناءِ الكنائسِ على دِينِهم، وهم المَلَكِيَّةُ؛ نسبَةً إلى دينِ المَلِكِ، فبُنِيَ في أيامِ قُسطَنطِينَ بالشامِ وغيرِها في المدائنِ والقُرىٰ، أزيَدُ من ثِنتَي عَشْرَةَ ألفَ كَنيسةٍ، واعتَنَىٰ الملكُ ببناءِ بيتِ لَحْمٍ، يَعْنِي على مكانِ مَولدِ المسيحِ، وبَنَتْ أُمُّه هِيلانَةُ قُمَامَةَ بيتِ المَقدسِ على مكانِ المصلوبِ، الذي زَعَمَت اليهودُ والنصارَىٰ بجهلِهم وقِلَّةِ عَقلِهم أنَّه المسيحُ عليه الصلاةُ والسلامُ، ويقالُ: إنَّه قَتَلَ مَن عَدَا أولئكَ، وخدَّ لهم الأخاديدَ في الأرضِ، وأجَّجَ فيها النارَ، وأحرَقَهم بها، كما ذكرناه في تَفسيرِ سورةِ «البروج»، وعَظُمَ دينُ النصرانيةِ، وظَهَرَ أمرُه جدًّا؛ بسببِ الملكِ قُسْطَنطِينَ، وقد أفسَدَه عليهم فسادًا لا صَلاحَ له، ولا نجاحَ معه، ولا فلاحَ عندَه، وكَثُرَت أعيادُهم بسببِ عُظَمائهم، وكَثُرَت كنائسُهم على أسماءِ عُبّادِهم، وتَفَاقَمَ كفرُهم، وغَلُظَت مُصيبتُهم، وتخلَّدَ ضلالُهم وعَظُمَ وَبَالُهم، ولم يَهدِ اللَّهُ قلوبَهم، ولا أصلَحَ بالَهم، بل صرَفَ قلوبَهم عن الحقِّ، وأمَالَ عن الاستقامةِ حالَهم، ثُم اجتَمَعُوا بعدَ ذلك مَجمَعَينِ في قضيةِ النُّسطُورِيَّةِ واليَعقوبِيَّةِ، وكلُّ فِرقَةٍ من هؤلاء تُكَفِّرُ الأُخرىٰ، وتَعتَقِدُ تَخليدَهم في نارِ جهنمَ، ولا ترَىٰ مُجَامعتَهم في المعابدِ والكنائسِ، وكلُّهم يقولُ بالأقانيمِ الثلاثةِ؛ أُقنُومِ الأبِ، وأُقنومِ الابنِ، وأُقنومِ الكلمةِ، ولكن بينهما اختلافٌ في الحُلولِ والاتِّحادِ، فيما بينَ اللاهوتِ والنَّاسُوتِ؛ هل تَدَرَّعه، أو حَلَّ فيه، أو اتَّحَدَ به، واختلافُهم في ذلك شديدٌ، وكفرُهم بسببِه غليظٌ، وكلُّهم على الباطلِ، إلاَّ مَن قال من الأريُوسِيَّةِ، أصحابِ عبدِ اللَّهِ بنِ أَريُوسَ: إنَّ المسيحَ عبدُ اللَّهِ ورسولُه، وابنُ أَمَتِه، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه. كما يقولُه المسلمون فيه سواءً، ولكنْ لَمّا استقرَّ أمرُ الأريُوسيَّةِ على هذه المقالةِ، تَسَلَّطَ عليهم الفِرَقُ الثلاثةُ بالإبعادِ والطَّردِ حتى قَلُّوا فلا يُعرَفُ اليومَ منهم أحدٌ فيما نَعلَمُ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

كتاب الجامع لأخبار الأنبياء المتقدمين

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣-١٦٥]. وقد روى ابنُ حِبّانَ في «صحيحه» وابنُ مَرْدَوَيْهِ في «تفسيره» وغيرُهما، من طريقِ إبراهيمَ بن هشامِ بنِ يحيىٰ بن يحيىٰ الغَسّانيِّ الشّاميِّ - وقد تكلَّموا فيه - حدَّثني أبي، عن جدِّي، عن أبي إدريسَ، عن أبي ذرٍّ قال: قلتُ: يا رسولَ اللّهِ، كم الأنبياءُ؟ قال: «**مائةُ ألف وأربعةٌ وعشرون ألفًا**». قلتُ: يا رسولَ اللّهِ، كمِ الرسلُ منهم؟ قال: «**ثلاثُمائة وثلاثةَ عشَرَ، جَمٌّ غفيرٌ**». قلتُ: يا رسولَ اللّهِ، مَن كان أوَّلُهم؟ قال: «**آدمُ**». قلتُ: يا رسولَ اللّهِ، نبيٌّ مُرسَلٌ؟ قال: «**نَعَمْ، خلقَه اللّهُ بيدِه، ونفخ فيه من رُوحه، ثُم سوّاه قبَلاً**». ثم قال: «**يا أبا ذرٍّ، أربعةٌ سُرْيانيُّونَ؛ آدمُ، وشيثٌ، ونوحٌ، وخَنُوخُ، وهو إدريسُ، وهو أوَّلُ من خَطَّ بالقلمِ، وأربعةٌ من العربِ؛ هودٌ، وصالحٌ، وشعيبٌ، ونبيُّك يا أبا ذرٍّ، وأوَّلُ نبيٍّ من بني إسرائيلَ موسى، وآخرُهم عيسى، وأوَّلُ النّبيِّين آدمُ، وآخرُهم نبيُّك**»(١).

وقد أوردَ هذا الحديثَ أبو الفَرَجِ ابنُ الجَوْزيِّ في «المَوْضُوعات». وقد رواه ابنُ أبي حاتمٍ من وجهٍ آخرَ، فقال: حدَّثنا محمدُ بنُ عوفٍ، حدَّثنا أبو المغيرة، حدَّثنا مُعَانُ بنُ رفاعةَ، عن عليِّ بنِ يزيدَ، عن القاسمِ، عن أبي أُمامةَ، قال: قلت: يا رسولَ اللّهِ، كم الأنبياءُ؟ قال: «**مائةُ ألف وأربعةٌ وعشرون ألفًا، الرسلُ من ذلك ثلاثُمائة وخمسةَ عشَرَ، جمًّا غفيرًا**»(٢). وهذا أيضًا من هذا الوجهِ ضعيفٌ، فيه ثلاثةٌ من الضعفاءِ؛ مُعَانٌ، وشيخُه، وشيخُ شيخِه.

وقد قال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوصليُّ: حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ أبو عبدِ اللّهِ الجَوْهَرِيُّ البَصرِيُّ، حدَّثنا مكيُّ بنُ إبراهيمَ، حدَّثنا موسىٰ بنُ عُبيدةَ الرَّبَذي، عن يَزيدَ الرَّقَاشيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**بعثَ اللّهُ ثمانيةَ آلافِ نبيٍّ؛ أربعةَ آلافٍ إلى بني إسرائيلَ، وأربعةَ آلافٍ إلى سائرِ الناسِ**»(٣) موسىٰ وشيخُه ضعيفان.

وقال أبو يَعْلَى أيضًا: حدَّثنا أبو الربيعِ، حدَّثنا محمدُ بنُ ثابتٍ العَبْدِيُّ، حدَّثنا مَعبَدُ بنُ خالدٍ

---

(١) **إسناده تالف:** أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) مطولاً وفيه إبراهيم بن يحيى بن يحيى الغساني قال أبو حاتم: كذاب انظر «الجرح والتعديل» (٢/ ١٤٢) وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦-١٦٨).

(٢) **ضعيف:** كما ذكر المصنف فيه معان وشيخه، ومعان لين الحديث وعلي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف.

(٣) **إسناده ضعيف جدًا:** أخرجه أبو يعلى (٤١٣٢). وفيه موسى بن عبيدة الربذي وشيخه يزيد الرقاشي وهما ضعيفان وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٥٣).

الأنصاريُّ، عن يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«كان فيمَن خَلاَ من إخواني مِن الأنبياء ثمانيةُ آلافِ نبيٍّ، ثُم كان عيسى ابنُ مريمَ، ثُم كُنْتُ أنا»** (١) . يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ ضعيفٌ، وقد رَواه الحافظُ أَبو بكرٍ الإسماعيليُّ، عن محمدِ بنِ عثمانَ بنِ أبي شَيْبَةَ، حدَّثَنَا أحمدُ بنُ طارقٍ، حدَّثنا مسلمُ بنُ خالدٍ، حدَّثَنا زيادُ بنُ سعدٍ، عن محمد بنِ المُنكَدِرِ، عن صفوانَ بنِ سُلَيمٍ، عن أنسِ ابنِ مالكٍ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«بُعِثْتُ على إِثْرِ ثمانيةِ آلافِ نبيٍّ، منهم أربعةُ آلافٍ من بني إسرائيلَ»** (٢) . وهذا إسنادٌ لا بأسَ به، لكنِّي لَا أعرفُ حالَ أحمدَ بنِ طارقٍ هذا، فاللَّهُ أعلمُ.

حديثٌ آخَرُ: قال عبدُ اللَّه بنُ الإمامِ أحمدَ: وجدتُ في كتابِ أبي بِخَطِّه: حدَّثني عبدُ المُتَعَالِ بنُ عبدِ الوَهَّابِ، حدَّثنا يَحيَى بنُ سعيدٍ الأُمَوِيُّ، حدَّثَنا مُجَالِدٌ، عن أبي الوَدَّاكِ، قال: قال أبو سعيدٍ: هل تُقِرُّ الخوارجُ بالدَّجَّال؟ قال: قلتُ: لا. فقال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إنِّي خاتَمُ ألفِ نبيٍّ، أو أكثَرَ، ما بُعِثَ نبيٌّ يُتَّبَعُ إلاَّ وحَذَّرَ أُمَّتَه الدَّجَّال، وإنِّي قد بُيِّنَ لي من أمرِه ما لم يُبَيَّن لأحد، وإنَّه أعوَرُ، وإنَّ رَبَّكُم ليسَ بأعوَرَ، وعَينُه اليُمنَى عوراءُ جاحظَةٌ لا تَخفَى، كأنَّها نُخَامَةٌ في حائط مُجَصَّصٍ، وعَينُه اليُسرَى كأنَّها كوكبٌ دُرِّيٌّ، معه مِن كلِّ لسَانٍ، ومعه صورةُ الجنةِ خضَراءُ، يَجرِي فيها الماءُ، وصورةُ النارِ سوداءُ تَدخَنُ»** (٣) . وهذا حديثٌ غريبٌ.

وقد رُوِيَ عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّه، فقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ: حدَّثَنا عَمرُو بنُ عليٍّ، حدَّثنا يَحيَى ابنُ سعيدٍ، حدَّثنا مُجالِدٌ، عن الشَّعبِيِّ، عن جابرٍ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إنِّي لخَاتَمُ ألفِ نبيٍّ أو أكثَرَ، وإنَّه ليس منهم نبيٌّ إلاَّ وقد أنذَرَ قومَه الدَّجَّالَ، وإنه قد تَبَيَّنَ لي فيه ما لم يَتَبَيَّن لأحد منهم، وإنَّه أَعوَرُ، وإن ربَّكم ليس بأعوَرَ»** (٤) . وهذا إسنادٌ حَسَنٌ، وهو محمولٌ على ذكرِ عددِ مَن أنذَرَ قومَه الدَّجَّالَ مِن الأنبياءِ، لكن في الحديثِ الآخَرِ: **«ما من نبيٍّ إلاَّ وقد أنذَرَ أُمَّتَه الدَّجَّالَ»** (٥) . فاللَّهُ أعلمُ.

وقال البخاريُّ: حدَّثَنا محمدُ بنُ بشَّارٍ، حدَّثَنا محمدُ بنُ جعفرٍ، حدَّثَنا شُعبةُ، عن فُرَاتٍ قال: سَمِعتُ أبا حازمٍ قال: قاعَدتُ أبا هريرةَ خمسَ سنينَ، فسَمِعتُه يُحَدِّثُ عن النبيِّ ﷺ، قال: **«كانت بنو إسرائيلَ تَسُوسُهم الأنبياءُ، كلَّمَا هلَكَ نبيٌّ خَلَفَه نبيٌّ، وإنَّه لا نبيَّ بعدي، وسيكونُ خُلَفاءُ فيكثُرُون»**. قالوا: فما تَأمُرُنا يا رسولَ اللَّه؟ قال: **«فُوا ببَيعَة الأوَّلِ فالأوَّل، أعطُوهم حَقَّهم، فإنَّ اللَّهَ سائلُهم عما استَرعَاهُم»** (٦) وكذا رواه مسلمٌ عن بُندَارٍ (٧) ، ومِن وجهٍ آخرَ عن فراتٍ به نحوَه.

---

(١) **إسناده ضعيف جداً:** أخرجه أبو يعلى (٤٠٩٢) وفيه يزيد الرقاشي. هو ضعيف كما تقدم، ومعبد بن خالد مجهول ومحمد بن ثابت العبدي لين الحديث.

(٢) **إسناده ضعيف:** ما ابرزه المصنف من الرجال ثقات إلا مسلم بن خالد وهو الزنجي والراوي عنه أحمد بن طارق لا يعرف حاله كما ذكره المصنف والحديث أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٦٢) في ترجمة صفوان بن سليم. قال: من غرائبه هذا الحديث.

(٣) **إسناده ضعيف:** فيه مجالد هو ابن سعيد وهو ضعيف أخرجه أحمد (٣/ ٧٩).

(٤) **إسناده ضعيف:** لضعف مجالد كما تقدم أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٣٣٨٠).

(٥) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٩٣٣) والترمذي (٢٢٤٥) من حديث أنس بلفظ الأعور بدل الدجال وأخرجه ابن حبان (٦٧٨٠) من حديث ابن عمر.

(٦) البخاري (٣٤٥٥).

(٧) مسلم (١٨٤٢).

وقال البخاريُّ: حدَّثَنا عُمَرُ بنُ حفصٍ، حدَّثَنا أبِي، حدَّثَني الأعمشُ، حدَّثَني شقِيقٌ قال: قال عبدُ اللَّهِ ـ هو ابنُ مسعودٍ ـ: كأنِّي أنظُرُ إلىٰ رسولِ اللَّهِ ﷺ، يَحْكِي نبيًّا من الأنبياءِ، ضَرَبَه قومُه فأدمَوه، وهو يمسَحُ الدَّمَ عن وجهِهِ، ويقولُ: **«اللهُمَّ اغفرْ لقومِي، فإنَّهم لا يعلَمون»**(١) وكذا رواه مسلمٌ من حديثِ الأعمَشِ به نحوه(٢) .

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا عبدُ الرَّزَّاقِ، أنبأَنا مَعمَرٌ، عن زيدِ بن أسلَمَ، عن رجلٍ، عن أبي سَعيدٍ الخُدريِّ: وَضَع رجُلٌ يدَه، علىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال: واللَّه ما أُطيقُ أن أضَعَ يَدِي عليك من شدَّةِ حُمّاكَ، فقال النبيُّ ﷺ: **«إنّا مَعشرَ الأنبياءِ يُضاعَفُ لنا البَلاءُ، كما يُضاعَفُ لنا الأجرُ، إن كان النبيٌّ من الأنبياءِ يُبتَلَى بالقَملِ حتى يَقتُلَه، وإن كان النَّبيُّ من الأنبياءِ لَيُبتَلَى بالفقرِ حتى يأخُذَ العَباءَةَ فيُحَوِيهَا، وإن كانوا لَيَفرَحُونَ بالبَلاءِ كما تَفرَحُونَ بالرَّخَاءِ»**. هكذا رواه الإمامُ أحمدُ من طريقِ زَيدِ بن أسلَمَ، عن رَجُلٍ، عن أبي سعيدٍ(٣) . وقد رواه ابنُ ماجَه، عن دُحَيمٍ، عن ابنِ فُدَيكٍ، عن هشامِ ابن سعدٍ، عن زيدِ بن أسلَمَ، عن عطاءِ بن يَسَارٍ، عن أبي سعيدٍ، فذَكَرَهُ(٤) .

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا وَكِيعٌ، حدَّثَنا سفيانُ عن عاصمِ بنِ أبي النَّجُودِ، عن مُصعَبِ بنِ سعدٍ، عن أبيه قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أيُّ الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: **«الأنبياءُ، ثُمَّ الصالحون، ثُمَّ الأمثَلُ فالأمثَلُ من الناسِ، يُبتَلى الرَّجُلُ على حَسَبِ دينِه، فإن كان في دينه صَلابَةٌ، زِيدَ في بَلائه، وإن كان في دينه رِقَّةٌ، خُفِّفَ عنه، وما يَزالُ البلاءُ بالعَبدِ حتى يَمشِيَ على ظَهرِ الأرضِ وما عليه خَطِيئَةٌ»**(٥) . ورواه التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَه، من حديثِ عاصمِ بن أبي النَّجُودِ به. وقال التِّرمذيُّ: حسَنٌ صحيحٌ(٦) . وتَقَدَّمَ في الحديث: **«نَحنُ مَعشَرَ الأنبياءِ أولادُ عَلّاتٍ، دينُنا واحدٌ، وأُمَّهاتُنا شتَّى»**(٧) . والمَعنَىٰ، أنَّ شرائِعَهم وإن اختَلَفت في الفروعِ، ونَسَخ بعضُها بعضًا، حتىٰ انتَهَىٰ الجميعُ إلىٰ ما شرَعَ اللَّهُ لمحمدٍ، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه وعليهم أجمَعين، إلاَّ أنَّ كلَّ نبيٍّ بعثَه اللَّهُ، فإنَّما دينُه الإسلامُ، وهو التَّوحيدُ، أن يُعبَدَ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، كما قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا من قَبْلك من رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي إِلَيْه أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُون**﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقال تعالىٰ: ﴿**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا من قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**﴾ [الزخرف: ٤٥]. وقال تعالىٰ: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ**

---

(١) البخاري (٣٤٧٧، ٦٩٢٩). (٢) مسلم (١٧٩٢).

(٣) **إسناده ضعيف ولبعضه شواهد:** لإبهام الراوي عن أبي سعيد أخرجه أحمد (٣/ ٩٤) وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٦٢٦) وأخرجه ابن ماجه وغيره من طريق هشام بن سعد. كما ذكره المصنف وهشام بن سعد ضعيف من جهة حفظه والحديث لبعضه شواهد صحيحة. كقوله عليه السلام: «إني أوعك كما يوعك رجلان منكم» وباقي الحديث ضعيف لم يتابع هشام بن سعد عليه.

(٤) ابن ماجه (٤٠٢٤) وتقدم الكلام علىٰ إسناده في الحديث السابق.

(٥) **حسن:** أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢) بإسناد حسن.

(٦) الترمذي (٢٣٩٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٤٨١) ابن ماجه (٤٠٢٣).

(٧) تقدم.

أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ ﴾ الآية: [النحل: ٣٦]. فأولادُ العَلاَّت أن يكونَ الأبُ واحداً، والأُمَّهاتُ مُتَفَرِّقات، فالأبُ بمنزلة الدِّين، وهو التوحيدُ، والأُمَّهاتُ بمنزلة الشرائع في اختلاف أحكامها، كما قال تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال: ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ** ﴾ [الحج: ٦٧]. وقال: ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا** ﴾ [البقرة: ١٤٨] على أحد القولَين في تفسيرها.

والمقصودُ أنَّ الشرائعَ وإن تَنَوَّعَتْ في أوقاتِها، إلاَّ أنَّ الجميعَ آمِرةٌ بعبادة اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وهو دينُ الإسلام، الذي شَرَعَهُ اللَّهُ لجميع الأنبياء وهو الدِّينُ الذين لا يَقبَلُ اللَّهُ غيرَه يومَ القيامة، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٠، ١٣١]. وقال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا** ﴾ الآية [المائدة: ٤٤]. فدينُ الإسلام هو عبادةُ اللَّه وحدَه لا شريكَ له، وهو الإخلاصُ له وحدَه دونَ ما سواه، والإحسانُ أن يكونَ على الوجه المشروع في ذلك الوقت المأمور به؛ ولهذا لا يَقبَلُ اللَّهُ من أحدٍ عَمَلاً بعدَ أن بَعَث محمداً ﷺ، إلاَّ على ما شَرَعَه له، كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا** ﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿ **وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَنْ بَلَغَ** ﴾ [الأنعام: ١٩]. وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ** ﴾ [هود: ١٧]. وقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**بُعثتُ إلى الأحمرِ والأسود**»[1]. قيل: أرادَ العربَ والعَجَمَ. وقيل: الإنسَ والجنَّ. وقال ﷺ: «**والذي نَفسي بيَدِه لَوْ أصبحَ فيكُم موسَى، ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وتَرَكتُمُوني لَضَلَلْتُم**»[2]. والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ جدًا.

والمقصودُ أنَّ إخوةَ العَلاَّت، أن يَكُونوا من أبٍ واحدٍ وأُمَّهَاتُهم شتَّى، مأخوذٌ من شُربِ العَلَلِ بعد النَّهَلِ. وأمّا إخوةُ الأخيافِ، فعَكسُ هذا؛ أن تَكُونَ أُمُّهُم واحدةً من آباءٍ شتَّى، وإخوةُ الأعيانِ، فهم الأشقَّاءُ مِن أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ. واللَّهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

وفي الحديثِ الآخرِ: «**نحنُ مَعشَرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما تَرَكنَا هو صَدَقَةٌ**»[3]. وهذا مِن خصائصِ

---

(١) مسلم (٥٢١).

(٢) **ضعيف جداً**: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» برقم (١٠١٦٤)، ومن طريقه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧٠)، عن الثوري عن جابر عن الشعبي عن عبد اللَّه بن ثابت به، وفيه قصة.
قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧٣): رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن فيه جابر الجعفي وهو ضعيف».
قلت: وللحديث متابعات وشواهد ذكرها الهيثمي وأشار بضعفها.

(٣) أخرجه البخاري (٦٧٣٠) عن عائشة بلفظ: «لا نورث ما تركنا صدقة».

الأنبياء؛ أنَّهم لا يُورِّثون، وما ذاك إلاَّ لأنَّ الدُّنيا أحقرُ عندهم من أن تكونَ مُخلَّفةً عنهم، ولأنَّ تَوكُّلَهم على اللَّه، عزَّ وجلَّ، في ذَراريِّهم أعظمُ وأشدُّ، وآكَدُ من أن يَحتاجُوا معه إلى أن يَترُكُوا لورَثَتِهم - من بعدهم - مالاً يَستأثِرون به عن النّاس، بل يكونُ جميعُ ما تَركُوه صدقةً لفقراء النَّاسِ ومَحاويجهم وذَوي خَلَّتهم، وسنَذكُرُ جميعَ ما يَختَصّ بالأنبياء، عليهم السلامُ، مع خصائصِ نبيِّنا محمدٍ صلى اللَّه عليهم وسلم أجمَعين، في أوَّل كتاب النِّكاح، من كتاب «الأحكام الكبير»، حيثُ ذكَره الأئمةُ من المُصنِّفين؛ اقتداءً بالإمام أبي عبد اللَّه الشافعيِّ رحمةُ اللَّه عليه وعليهم أجمعين.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو معاويةَ، عن الأعمَشِ، عن زَيدِ بنِ وَهبٍ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ عبدِ ربِّ الكعبَةِ قال: انتَهيتُ إلى عبدِ اللَّه بنِ عَمرٍو وهو جالسٌ في ظلِّ الكعبة، فسَمعتُه يقولُ: بينَا نحن مع رسولِ اللَّه ﷺ، في سَفَرٍ، إذ نزلَ منزلاً، فمنّا مَن يَضربُ خِباءَه، ومنّا مَن هو في جَشَره، ومنّا من يَنتَضِل، إذ نادَىٰ مُناديه: الصلاةُ جامعةٌ. قال: فاجتَمَعنا. قال: فقامَ رسولُ اللَّه ﷺ، فخَطبَنا، فقال: **«إنَّه لَم يكُن نَبيٌّ قَبلِي إلاَّ دَلَّ أُمَّتَه على ما يعلَمُه خيرًا لهم، ويُحَذِّرهم ما يَعْلَمُه شرًّا لهم، وإن أُمَّتَكم هذه جُعلَت عافيتُها في أوَّلِها، وإنَّ آخرَها سيُصيبُهم بلاءٌ شديدٌ وأمورٌ تُنكرُونها، تَجيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بعضُها لبعض، تَجيءُ الفتنَةُ، فيقولُ المؤمنُ: هذه مُهلكتي. ثم تَنكَشفُ، ثُم تَجيءُ الفتنَةُ، فيقولُ المؤمنُ: هذه. ثُم تَنكَشفُ، فمَن سرَّه منكم أن يُزَحزَحَ عن النَّار وأن يُدخَلَ الجنَّةَ، فلتُدركه موتَتُه وهو مؤمنٌ باللَّه واليوم الآخر، وليَأتِ إلى النَّاس الذي يُحبُّ أن يُؤتَى إليه، ومَن بايَعَ إمامًا فأعطاه صَفقَةَ يَده وثَمرَةَ قلبه، فليُطعه ما استطاع، فإن جاءَ آخَرُ يُنازعُه، فاضربُوا عُنُقَ الآخَر»**. قال: فادخَلتُ رأسِي من بينِ النَّاس، فقلتُ: أنشُدُكَ باللَّه أنتَ سَمعتَ هذا من رسولِ اللَّه ﷺ؟ قال: فأشارَ بيَده إلى أُذُنَيه وقال: سَمعَتْه أُذُنَايَ، ووَعَاهُ قَلبي. قال: فقلتُ: هذا ابنُ عَمِّك - يَعني معاويةَ - يَأمُرُنا بأكلِ أموالنا بَينَنا بالباطلِ، وأنْ نَقتُلَ أنفُسَنَا، وقد قال اللَّهُ تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ** ﴾ [النساء: ٢٩]. قال: فجمَع يَدَيه فوَضَعَهما على جَبهَتِه، ثُمَّ نَكَسَ هُنيَّةً، ثُمَّ رفَع رأسَه فقال: أَطعه في طاعة اللَّه، واعصِه في مَعصيَةِ اللَّه عزَّ وجلَّ»[١].

ورواه أحمدُ أيضًا، عن وكيعٍ، عن الأعمَشِ به، وقال فيه: **«أيُّها النَّاسُ، إنَّه لَم يَكُن نبيٌّ قَبلِي إلاَّ كان حقًّا عليه أن يَدُلَّ أُمَّتَه على ما يَعلَمُه خيرًا لهم، ويُنذرَهم ما يَعلَمُه شرًّا لهم»**[٢].

وذكَرَ تَمامَه بنحوه، وهكذا رواه مسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَه، من طُرُقٍ عن الأعمَشِ[٣] به. ورواه مسلمٌ أيضًا من حديث الشَّعبيِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ ربِّ الكعبةِ، عن عبدِ اللَّه بنِ عَمرٍو، عن النبيِّ ﷺ، بنحوِه[٤].

---

(١) **صحيح**: اخرجه احمد كما في «المسند» (٢/ ١٦١) ورجاله ثقات وهو في مسلم كما سيأتي.
(٢) في «المسند» (١/ ١٩١).
(٣) مسلم (١٨٤٤) وأبو داود (٤٢٤٨) والنسائي (٤٢٠٢).
(٤) مسلم (١٨٤٤).

ذكر أخبار العرب

قيل: إنَّ جميعَ العربِ يَنتَسِبُونَ إلى إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، عليهما السلامُ والتَّحيةُ والإكرامُ، والصَّحيحُ المشهورُ، أنَّ العربَ العاربةَ قبلَ إسماعيلَ، وقد قدَّمنا أنَّ العربَ العاربةَ منهم؛ عادٌ وثمودُ وطَسْمٌ وجَديسٌ وأُميمٌ وجُرهُمٌ والعماليقُ، وأُممٌ آخرونَ، لا يعلمُهم إلاَّ اللَّهُ، وكُلٌّ هؤلاء كانوا قبلَ الخليلِ، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، وفي زمانه أيضًا، فأمَّا العربُ المُستعربةُ، وهم عربُ الحجازِ فمِن ذُرِّيَّةِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، عليهما السلامُ، وأمَّا عربُ اليمنِ، وهم حِميَرُ، فالمشهورُ أنَّهم مِن قَحطانَ، واسمُه مُهَزَّمٌ، قاله ابنُ ماكولا. وذكَروا أنَّهم كانوا أربعةَ إخوةٍ؛ قحطانُ وقاحطٌ ومقحَطٌ وفالغٌ، وقحطانُ بنُ هودٍ، وقيل: هو هودٌ، وقيل: هودٌ أخوه، وقيل: من ذُرِّيَّته، وقيل: إنَّ قَحطانَ من سُلالةِ إسماعيلَ، عليه الصَّلاةُ والسَّلام، حكاه ابنُ إسحاقَ، وغيرُه، فقال بعضُهم: هو قحطانُ بنُ الهَمَيْسَعِ بنِ تَيمَنَ بنِ قَيذَرَ بنِ نَبْتِ بنِ إسماعيلَ. وقيل: غيرُ ذلك في نَسَبِه إلى إسماعيلَ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد ترجَمَ البخاريُّ في «صحيحه» على ذلك فقال: بابُ نسبةِ اليمنِ إلى إسماعيلَ، عليه السلامُ؛ حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا يحيَى، عن يَزيدَ بنِ أبي عُبيدٍ، حدَّثنا سلَمَةُ رضيَ اللَّهُ عنه، قال: خرجَ رسولُ اللَّه ﷺ، على قومٍ مِن أسلَمَ يَتَنَاضلون بالسُّوقِ، فقال: «**ارْمُوا بَني إسماعيلَ، وأنا مع بني فُلان**» لأحدِ الفريقَينِ، فأمسكوا بأيديهم. فقال: «**ما لكم؟**». قالوا: وكَيفَ نَرمي، وأنتَ مع بني فلانٍ؟! فقال: «**ارْمُوا وأنا معكم كُلِّكُم**»[١]. انفردَ به البخاريُّ، وفي بعضِ ألفاظه: «**ارْمُوا بني إسماعيلَ، فإنَّ أباكُم كان راميًا، ارمُوا وأنا مع ابنِ الأدْرَعِ**». فأمسَكَ القومُ، فقال: «**ارمُوا وأنا معكم كلِّكم**»[٢]. قال البخاريُّ: وأسلمُ بنُ أفصَى بنِ حارثةَ بنِ عَمرِو بنِ عامرٍ مِن خُزَاعةَ، يعني؛ وخُزاعةُ فِرقَةٌ ممن كان تَمَزَّقَ مِن قبائلِ سبأ، حينَ أرسَلَ اللَّهُ عليهم سَيْلَ العَرِمِ، كما سيأتي بيانُه، وكانت الأوسُ والخزرجُ منهم، وقد قال لهم عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «**ارمُوا بني إسماعيلَ**» فدَلَّ على أنَّهم مِن سُلالَته، وتأوَّله آخرون على أنَّ المرادَ بذلك جنسُ العربِ، لكنَّه تأويلٌ بعيدٌ؛ إذ هو خلافُ الظَّاهرِ بلا دليلٍ، لكنَّ الجمهورَ على أنَّ العربَ القحطانيَّةَ مِن عربِ اليمنِ وغيرِهم، ليسوا من سُلالةِ إسماعيلَ، وعندَهم أنَّ جميعَ العربِ يَنقَسِمون إلى قسمَين؛ قحطانيَّةٌ، وعَدنانيَّةٌ، فالقحطانيَّةُ شَعبَانِ؛ سَبَأ، وحَضرَموتُ، والعَدنانيَّةُ شَعبَانِ أيضًا؛ ربيعةُ ومُضَرُ ابنا نزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ، والشَّعبُ الخامسُ؛ وهم قُضَاعَةُ، مُختَلَفٌ فيهم، فقيل: إنَّهم عَدنانيُّون. قال ابنُ عبدِالبَرِّ: وعليه الأكثرون، ويُروَى هذا عن ابنِ عبَّاسٍ وابنِ عُمَرَ وجُبيرِ بن مُطعِمٍ، وهو اختيارُ الزُّبيرِ بنِ بَكَّارٍ وعَمِّه

---

(١) البخاري (٣٥٠٧).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن حبان كما في «الإحسان» (٤٦٩٥) والحاكم (٢/ ٩٤) والبزار (١٧٠٢) من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة. عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.

مُصعبٍ الزُّبيريُّ، وابنِ هشامٍ، وقد وَرَد في حديثٍ: «قُضَاعةُ بنُ مَعَدٍّ». ولكن لا يَصِحُّ. قاله ابنُ عبدِ البَرِّ، وغيرُه. ويُقالُ: إنَّهم لم يزالوا في جاهليَّتِهم وصَدرٍ مِن الإسلامِ يَنتَسِبون إلىٰ عَدنانَ، فلمَّا كان في زمنِ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ، وكانوا أخوالَه انتسبوا إلىٰ قَحطانَ، فقال في ذلك أعشَىٰ بنُ ثعلبةَ في قصيدةٍ له:

أبلِغْ قُضاعةَ في القِرطاسِ أنَّهمُ ... لولا خلائفُ آلِ اللَّهِ ما عُتِقوا
قالت قُضاعةُ إنا مِن ذوي يَمَنٍ ... واللَّهُ يَعلمُ ما بَرُّوا وما صَدَقوا
قد ادَّعَوا والدًا ما نالَ أُمَّهُمُ ... قد يَعلمونَ ولكنْ ذلكَ الفَرَقُ

وقد ذَكَرَ أبو عَمرٍو السُّهَيليُّ أيضًا مِن شعرِ العربِ ما فيه إبداعٌ، في تفسيرِ قُضَاعةَ في انتسابِهم إلىٰ اليمنِ. واللَّهُ أعلمُ.

والقولُ الثاني: أنَّهم مِن قَحطانَ. وهو قولُ ابنِ إسحاقَ والكَلْبيِّ وطائفةٍ مِن أهلِ النَّسَبِ. قال ابنُ إسحاقَ: وهو قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حِميرَ بنِ سَبَأَ بنِ يَشجُبَ بنِ يَعرُبَ بنِ قَحطانَ. وقد قال بعضُ شعرائِهم، وهو عمرُو بنُ مُرَّةَ -صحابيٌّ له حديثانِ-:

يا أيُّها الداعي ادعُنا وأبشِرِ ... وكنْ قُضاعيًّا ولا تنزَّرِ
نحنُ بنو الشيخِ الهِجانِ الأزهرِ ... قُضاعةَ بنِ مالكِ بنِ حِميَرِ
النسبُ المعروفُ غيرُ المنكَرِ ... في الحجرِ المنقوشِ تحتَ المنبرِ

قال بعضُ أهلِ النَّسَبِ: هو قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ عَمرِو بنِ مُرَّةَ بنِ زَيدِ بنِ حِميَرَ. وقال ابنُ لهيعةَ: عن معروفِ بنِ سُوَيدٍ، عن أبي عُشَّانةَ حَيِّ بنِ يُؤمِنَ، عن عُقبَةَ بنِ عامرٍ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، أما نحن مِن مَعَدٍّ؟ قال: «لا». قلتُ: فممَّن نحن؟ قال: «أنتم قُضاعةُ بنُ مالكِ بنِ حميرَ»[1]. قال أبو عُمَرَ ابنُ عبدِ البَرِّ: ولا يَختلفُونَ أنَّ جُهينَةَ بنَ زَيدِ بنِ سَودِ بنِ أسلَمَ بنِ عَمرانَ بنِ إلحافِ بنِ قُضاعةَ، قبيلةُ عُقبَةَ بنِ عامرٍ الجُهَنيِّ. فعلىٰ هذا قُضاعةُ في اليمنِ في حِميَرَ بنِ سَبَأ. وقد جَمَعَ بعضُهم بين هذين القولَين بما ذكَره الزُّبَيرُ بنُ بكَّارٍ وغيرُه، من أنَّ قُضَاعةَ امرأةٌ مِن جُرهُمٍ تزوَّجَها مالكُ ابنُ حِميَرَ، فولَدت له قَضاعةُ، ثُم خلَف عليها مَعَدُّ بنُ عَدنانَ، وابنُها صغيرٌ. وزعَم بعضُهم أنَّه كان حَملاً فَنُسِبَ إلىٰ زَوجِ أُمِّه، كما كانت عادةُ كثيرٍ منهم؛ يَنسبون الرجلَ إلىٰ زوجِ أُمِّه. واللَّهُ أعلمُ.

وقال محمدُ بنُ سلامٍ البصريُّ النَّسَّابةُ: العربُ ثلاثةُ جَراثيمَ؛ العَدْنانيَّةُ، والقَحطانيَّةُ، وقُضاعةُ، قيل له: فأيُّهما أكثرُ، العدنانيَّةُ أو القحطانيَّةُ؟ فقال: ما شاءت قُضاعةُ، إن تيامَنَت، فالقحطانيَّةُ أكثرُ، وإن تَمعدَدَت، فالعدنانيَّةُ أكثرُ، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّهم يتلوَّمونَ في نسبِهم، فإن صَحَّ حديثُ ابنِ لهيعةَ المقدَّمُ، فهو دليلٌ علىٰ أنَّهم مِن القَحطانيَّةِ. واللَّهُ أعلمُ. وقد قال اللَّهُ تعالىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. قال

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٠٤) وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٩٥) فيه ابن لهيعة وهو ضعيف وشيخه معروف ابن سويد لم أر من ترجمه.

علماءُ النَّسَبِ: يقالُ: شعوبٌ، ثم قبائلُ، ثم عمائرُ، ثم بطونٌ، ثم أفخاذٌ، ثم فصائلُ، ثم عشائرُ، والعشيرةُ أقربُ النَّاسِ إلى الرَّجُلِ، وليس بعدَها شيءٌ، ولنبدأ أوَّلاً بذكرِ القَحطانيَّةِ، ثمَّ نَذكُرُ بعدَهم عربَ الحجازِ، وهم العدنانيَّةُ، وما كان من أمرِ الجاهليةِ، ليكونَ ذلك متَّصِلاً بسيرةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، إن شاء اللَّهُ تعالى، وبه الثقةُ.

وقد قال البخاريُّ: بابُ ذِكرِ قَحطانَ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ، حدَّثنا سليمانُ بنُ بلالٍ، عن ثَورِ بنِ زيدٍ، عن أبي الغَيثِ، عن أبي هُريرةَ عن النبيِّ ﷺ، قال: «**لا تقومُ السَّاعةُ حتى يَخرُجَ رَجُلٌ مِن قَحطانَ يسوقُ النَّاسَ بعصاه**»[1] . وكذا رواه مُسلِمٌ، عن قُتَيبَةَ، عن الدَّراوَردِيِّ، عن ثَورِ ابنِ زيدٍ به[2] .

قال السُّهَيليُّ: وقحطانُ أوَّلُ مَن قِيلَ له: أَبيتَ اللَّعنَ، وأوَّلُ مَن قيل له: أَنْعِم صباحًا.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو المُغيرةِ، عن حَرِيزٍ، حَدَّثني راشدُ بنُ سعدٍ المَقرائيُّ، عن أبي حَيٍّ، عن ذِي مِخبَرٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**كان هذا الأمرُ في حِميرَ، فنزَعه اللَّهُ منهم، فجعله في قُرَيشٍ (و س ي ع و د إ ل ي هـــ م)**»[3] قال عبدُ اللَّهِ: وكذا كان في كتابِ أبي مُقَطَّعٌ، وحيث حدَّثنا به تكَلَّم به على الاستواء. يعني: «وسيعود إليهم».

قصة سبأ

قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ۝١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سبأ: ١٥-١٩].

قال علماءُ النَّسَبِ؛ منهم محمدُ بنُ إسحاقَ: اسمُ سَبَأ عبدُ شَمسِ بنُ يَشجُبَ بنِ يَعرُبَ بنِ قَحطانَ، قالوا: وكان أوَّلَ مَن سَبَى في العربِ، فسُمِّيَ سَبَأً لذلك، وكان يقالُ له: الرَّائِشُ. لأنَّه كان يُعطِي النَّاسَ الأموالَ مِن متاعه.

قال السُّهَيليُّ: ويقالُ: إنَّه أوَّلُ مَن تَتوَّجَ. وذكرَ بعضُهم أنَّه كان مُسلِمًا، وكان له شِعرٌ بَشَّرَ فيه بوجودِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فمِن ذلك قولُه:

---

(١) البخاري (٣٥١٧).

(٢) مسلم (٢٩١٠).

(٣) إسناده حسن: اخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٩١) وأبو حي هو شداد بن حي المؤذن روىٰ عنه جمع ووثقه العجلي وذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجاله ثقات وجوَّد إسناده الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١١٦).

سَيَمْلكُ بعدَنا مُلكًا عظيمًا — نبيٌّ لا يُرخِّصُ في الحَرام
ويَملكُ بَعدَه منهم مُلُوكٌ — يَدينون العبادَ بغيرِ ذام
ويَمْلكُ بعدَهم منَّا مُلُوكٌ — يَصيرُ المُلكُ فينا باقتسام
ويَمْلكُ بعدَ قحطان نبيٌّ — تقيٌّ خَبتَةٌ خيرُ الأنام
يُسمَّى أحمدًا يا لَيتَ أنّي — أُعَمَّرُ بعدَ مبعثِه بعام
فأعضُدَه وأحبُوَه بنَصري — بكُلِّ مُدجَّجٍ وبكلِّ رام
متى يَظهرْ فكونوا ناصريه — ومَنْ يلقاهُ يُبلغه سَلامي

حكاه ابنُ دحيةَ في كتابِه: «التَّنويرُ في مَولدِ البَشيرِ النَّذيرِ».

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا ابنُ لَهيعَةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ هُبَيرَةَ السَّبائيِّ، عن عبدِ الرَّحمنِ بنِ وَعلَةَ، سَمعتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عبَّاسٍ يقولُ: إنَّ رَجُلاً سأَل النبيَّ ﷺ، عن سَبَأ، ما هو؟ أرَجُلٌ أم امرأةٌ أم أرضٌ؟ قال: «**بل هو رجلٌ، وَلَدَ عشرَةً، فَسَكَن اليمنَ منهم ستَّةٌ، وبالشَّامِ منهم أربعةٌ، فأمَّا اليمانيُّونَ؛ فمَذحِجٌ وكِنْدَةُ والأَزْدُ والأشعَريُّونَ وأنمارٌ وحميرُ، وأمَّا الشَّامِيَّةُ، فلخمٌ وجُذامٌ وعاملةُ وغَسَّانُ**»[1] وقد ذكرنا في «التفسير» أنَّ فروةَ بنَ مُسَيكٍ الغُطَيفيَّ هو السَّائلُ عن ذلك، كما استقصَينا طُرُقَ هذا الحديثِ وألفاظَهن هناك. وللَّه الحمدُ.

والمقصودُ أنَّ سَبَأ يَجمَعُ هذه القبائلَ كُلَّها، وقد كان فيهم التَّبابعةُ بأرضِ اليمنِ، واحدُهم تُبَّعٌ، وكان لمُلوكِهم تيجانٌ يَلبَسُونَها وقتَ الحُكمِ، كما كانت الأكاسرةُ مُلوكُ الفُرسِ يفعَلُونَ ذلك، وكانت العربُ تُسَمِّي كُلَّ مَن ملَكَ اليمنَ مع الشِّحْرِ وحَضرَمَوت تُبَّعًا، كما يُسمُّونَ من مَلَكَ الشَّامَ مع الجزيرةِ قَيصرَ، ومن مَلَكَ الفُرسَ كِسرىٰ، ومَن مَلَكَ مصرَ فرعَونَ، ومَن مَلَكَ الحَبَشَةَ النَّجاشِيَّ، ومَن مَلَكَ الهندَ بَطلَيْمُوسَ، وقد كان مِن جُملةِ مُلوكِ حِميرَ بأرضِ اليَمَنِ بِلقيسُ، وقد قدَّمنا قصَّتَها مع سُلَيمانَ، عليه السَّلامُ، وقد كانوا في غِبطَةٍ عظيمةٍ، وأرزاقٍ دارَّةٍ وثمارٍ وزروعٍ كثيرةٍ، وكانوا مع ذلك على الاستقامةِ والسَّدادِ وطريقِ الرَّشادِ، فلمَّا بدَّلوا نعمَةَ اللَّهِ كُفرًا، أحلوا قومَهم دارَ البَوارِ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ، عن وَهبِ بنِ مُنبِّه: أرسَلَ اللَّهُ إليهم ثلاثةَ عشَرَ نَبيًّا. وزَعَم السُّدِّيُّ أنَّه أرسلَ إليهم اثنَي عشرَ ألفَ نبيٍّ. فاللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّهم لمَّا عَدَلوا عن الهُدَىٰ إلى الضَّلالِ، وسجَدوا للشَّمسِ مِن دونِ اللَّهِ، وكان ذلك في زمانِ بِلقيسَ وقبلَها أيضًا، واستمر ذلك فيهم حتى أرسَلَ اللَّهُ عليهم سَيْلَ العَرِمِ، كما قال تعالى: ﴿**فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ⑯ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ**﴾ [سبأ: ١٦، ١٧]. ذكَر غيرُ واحدٍ من علماءِ السَّلفِ

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣١٦) وعبد اللَّه بن لهيعة وإن كان ضعيفًا إلا أن رواية العبادلة عنه صحيحة وقد روىٰ عنه عبد اللَّه بن وهب بهذا السند كما أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٧٠).

والخَلَف من المفسِّرينَ وغيرهم أنَّ سَدَّ مَأربَ كان صنعتَه أنَّ المياهَ تجري من بين جَبَلَين، فعَمَدوا في قديم الزَّمان فَسَدُّوا ما بينَهما ببناء مُحكَم جدًّا، حتَّىٰ ارتفَع الماءُ فحكم علىٰ أعالي الجَبَلَين، وغَرَسُوا فيهما البَساتينَ والأشجارَ المُثمِرَةَ الأنيقةَ، وزرَعوا الزُّروعَ الكثيرةَ، ويقالُ: كان أوَّلَ من بَناه سَبَأُ بنُ يَعرُبَ، وسلَّطَ إليه سبعينَ واديًا يَفِدُ إليه، وجعَل له ثلاثين فُرضَةً يخرجُ منها الماءُ، ومات ولم يَكمُل بناؤُه، فكَمَّلَته حميَرُ بعدَه، وكان اتِّساعُه فَرسَخًا في فَرسَخ، وكانوا في غبطةٍ عظيمةٍ وعَيشٍ رَغيدٍ، وأيامٍ طيبةٍ، حتىٰ ذكَر قتادةُ وغيرُه أنَّ المرأةَ كانت تَمُرُّ بالمكتَلِ علىٰ رأسِها فيَمتلئُ من الثِّمارِ مِمَّا يتساقطُ فيه من نُضجِه وكثرته، وذكَروا أنَّه لم يكُن في بلادهم شيءٌ من البَراغيث، ولا الدَّوابِّ المُؤذِيَةِ لصحَّةِ هوائهم وطيبِ فنائهم. كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥]. وكما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧]. فلمَّا عبَدوا غيرَ اللَّه، وبطَروا نعمَتَه، وسألوا، بَعدَ تقارُبِ ما بينَ قُراهم، وطيبِ ما بينَها من البَساتين، وأمْنِ الطُّرُقات، سألوا أن يُباعَدَ بينَ أسفارِهم، وأن يكونَ سَفَرُهم في مشاقٍ وتعبٍ، وطلَبوا أن يُبَدَّلوا بالخيرِ شَرًّا، كما سأل بنو إسرائيلَ بَدَلَ المَنِّ والسَّلْوىٰ البُقولَ والقثَّاءَ والفُومَ والعَدسَ والبَصَلَ، فسُلِبوا تلك النعمةَ العظيمةَ والحسَنَةَ العميمةَ بتخريبِ البلادِ والشَّتاتِ علىٰ وجوهِ العبادِ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٦]. قال غيرُ واحدٍ: أرسلَ اللَّهُ علىٰ أصلِ السَّدِّ الفارَ، وهو الجُرذُ. ويقالُ: الخُلدُ فلما فطنوا لذلك أرْصَدُوا عندها السَّنَانيرَ فلم تُغنِ شيئًا إذا قد حُمَّ القَدَرُ ولم يَنفَعِ الحذَرُ، كلاَّ لا وزَرَ، فلمَّا تَحكَّم في أصله الفسادُ سقَطَ وانهارَ، فسلَكَ الماءُ القَرارَ، فقُطِّعت تلك الجداولُ والأنهارُ، وانقطَعت تلك الثمارُ، وبادَت تلك الزُّروعُ والأشجارُ، وتَبَدَّلوا بعدَها برَديءِ الأشجارِ والأثمارِ، كما قال العزيزُ الجبَّارُ: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:١٦]. قال ابنُ عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وغيرُ واحدٍ: هو الأراكُ وثمرُه البَريرُ، وأثلٌ وهو الطَّرفاءُ. وقيل: يُشبِهُه، وهو حَطَبٌ لا ثَمَرَ له ﴿وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:١٦] وذلك لأنَّه لمَّا كان يُثمرُ النَّبِقُ كان قليلاً مع أنَّه ذو شوكٍ كثيرٍ، وثمرُه بالنسبةِ إليه كما يقالُ في المَثَلِ: لحمُ جَمَلٍ غثٌّ علىٰ رأسِ جَبَلٍ وَعرٍ، لا سَهلٍ فَيُرتَقَىٰ، ولا سَمينٍ فَيُنتَقَىٰ. ولهذا قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧]. أي؛ إنَّما نعاقبُ هذه العقوبةَ الشديدةَ مَن كَفَرَ بنا وكَذَّبَ رُسُلَنا وخالفَ أمرَنا، وانتَهكَ محارمَنا. وقال تعالىٰ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ:١٩]. وذلك أنَّهم لمَّا هلَكَت أموالُهم وخُرِّبَتْ بلادُهم احتاجُوا أن يرتَحِلُوا منها وينتَقِلُوا عنها فتفَرَّقُوا في غورِ البلادِ ونَجدِها؛ أيديَ سَبَا، شَذَرَ مَذَرَ. فنزلت طوائفُ منهم الحجازَ وهم خزاعةُ، نَزَلُوا ظاهرَ مكَّةَ، وكان من أمرِهم ما سنذكُرُه، ومنهم المدينةَ النَّبَويَّةَ اليومَ، فكانوا أوَّلَ من سكَنَها، ثم نزلَت عندَهم ثلاثُ قبائلَ من اليهودِ؛ بنو قَينُقاعَ، وبنو قُرَيظَةَ، وبنو النَّضيرِ، فحالفوا الأوسَ والخَزرَجَ، وأقاموا عندَهم، وكان من أمرِهم ما سنذكُرُه، ونزَلَت طائفةٌ أخرىٰ منهم الشَّامَ،

وهم الذين تنصَّروا فيما بعدُ، وهم: غسَّانُ وعاملةُ وبهراءُ ولَخمٌ وجُذامٌ وتنوخُ وتَغلِبُ وغيرُهم، وسنذكُرُهم عندَ ذِكرِ فُتوحِ الشَّامِ في زَمَنِ الشَّيخَينِ رضي اللَّهُ عنهما.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ: حدَّثني أبو عُبَيدَةَ قال: قال الأعشَى بنُ قيسِ بنِ ثعلبةَ، وهو ميمونُ بنُ قيسٍ:

وفي ذاكَ للمؤتَسي أُسوةٌ ... ومأرِبُ عفَّى عليها العَرِمْ
رُخامٌ بَنَتْه لهم حِميَرُ ... إذا جاءَ مَوّارُه لم يَرِمْ
فأَرْوَى الزُّروعَ وأعنابَها ... على سَعَةٍ ماؤُهم إذ قُسِمْ
فصاروا أياديَ لا يَقدِرو ... نَ منه على شُربِ طفلٍ فُطِمْ

وقد ذَكَرَ محمدُ بنُ إسحاقَ في كتابِ «السِّيرَة» أنَّ أوَّلَ مَن خَرَجَ مِن اليمنِ قبلَ سيلِ العَرِمِ عمرُو ابنُ عامرٍ اللَّخميُّ. ولَخمٌ هو ابنُ عَديِّ بنِ الحارثِ بنِ مرَّةَ بنِ أُدَدَ بنِ زيدِ بنِ هَمَيسَعَ بنِ عَمرِو بنِ عَريبِ بنِ يَشجُبَ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سَبَأ. ويقالُ: لَخمُ بنُ عَديِّ بنِ عَمرِو بنِ سبأ. قاله ابنُ هشامٍ. قال ابنُ إسحاقَ: وكان سببُ خروجِه مِن اليمنِ، فيما حدَّثني أبو زيدٍ الأنصاريُّ، أنَّه رأىٰ جُرَذًا يَحفرُ في سَدِّ مَأرِبٍ؛ الذي كان يحبِسُ عليهم الماءَ، فيَصرِفُونه حيثُ شاءُوا من أرضِهم، فعَلِمَ أنَّه لا بقاءَ للسَّدِّ علىٰ ذلك، فاعتَزَمَ علىٰ النُّقلةِ عن اليمنِ فكادَ قومَه فأمَرَ أصغرَ وَلَدِه إذا أغلَظَ له ولَطَمَه أن يقومَ إليه فيَلطِمَه، ففعلَ ابنُه ما أمَرَه به، فقال عمرو: لا أُقيمُ ببلدٍ لَطَم وَجهي فيه أصغرُ وَلَدِي، وعَرَضَ أموالَه، فقال أشرافٌ مِن أشرافِ اليمنِ: اغتَنِمُوا غَضبَةَ عَمرٍو. فاشتَرَوا منه أموالَه، وانتقَل في ولده وولَدِ ولَدِه. وقالتِ الأزدُ: لا نتخلَّفُ عن عَمرِو بن عامرٍ. فباعوا أموالَهم وخَرَجُوا معه فساروا حتىٰ نَزَلُوا بلادَ عَكٍّ مجتازين يرتادون البُلدانَ، فحاربَتْهُم عَكٌّ، فكانت حَربُهم سِجَالاً، ففي ذلك قال عباسُ بنُ مِرداسٍ:

وعكُّ بنُ عدنانَ الذين تلعَّبوا ... بغَسَّانَ حتىٰ طُرِّدوا كلَّ مَطرَدِ

قال: فارتَحَلُوا عنهم فتَفَرَّقُوا في البلادِ، فنزل آلُ جَفنةَ بنِ عَمرِو بنِ عامرٍ الشَّامَ، ونزل الأوسُ والخَزرَجُ يَثربَ، ونزلت خُزاعةُ مَرًّا، ونزلَت أزدُ السَّراةِ السَّراةَ، ونزلت أزدُ عُمانَ عُمانَ، ثُم أرسلَ اللَّهُ تعالىٰ علىٰ السَّدِّ السَّيْلَ، فهدَمَه، وفي ذلك أنزلَ اللَّهُ هذه الآياتِ، وقد رُوِي عن السُّدِّيِّ قريبٌ من هذا، وعن محمدِ بنِ إسحاقَ في روايةٍ أنَّ عَمرَو بنَ عامرٍ كان كاهنًا.

وقال غيرُه: كانت امرأتُه طريفةُ بنتُ الخَيرِ الحِمْيَرِيَّةُ كاهنةً، فأُخبِرَت بقُربِ هَلَاكِ بلادِهم، وكأنَّهم رأَوْا شاهدَ ذلك في الفَأرِ الذي سُلِّطَ علىٰ سَدِّهم، ففعلوا ما فعلوا. واللَّهُ أعلمُ.

وقد ذكرتُ قصتَّه مُطَوَّلةً عن عِكرِمَةَ فيما رواه ابنُ أبي حاتمٍ في «التَّفسيرِ».

فصلٌ

وليس جميعُ سَبَأ خَرجوا مِن اليمنِ لَمَّا أُصيبوا بسيلِ العَرِمِ، بل أقام أكثرُهم بها، وذهبَ أهلُ مأربِ الذين كان لهم السَّدُّ، فتَفرَّقُوا في البلادِ، وهو مُقتَضَى الحديثِ المتقدِّمِ عن ابنِ عباسٍ، أنَّ جميعَ قبائلِ سَبَأ لم يَخرُجوا مِن اليمنِ بل إنَّما تَشَاءمَ مِنهم أربعَةٌ، وبَقِيَ باليمنِ ستّةٌ وهم؛ مَذحجٌ وكِندةُ وأَنمارٌ والأشعَرِيُّون ـ وأنمارٌ هو أبو خَثعَم ـ وبَجِيلةَ وحِميَرُ، فهؤلاء ستُّ قبائلَ مِن سَبَأ أقاموا باليمنِ واستمرَّ فيهم المُلكُ والتبابعةُ حتى سَلَبَهُم ذلك مَلكُ الحبشةِ بالجيشِ الذي بَعثَه صُحبَةَ أميرَيه أبرَهَةَ وأرياطٍ، نحواً من سبعين سنةً، ثُمَّ استرجَعَه سيفُ بن ذي يَزَنَ الحِميريُّ، وكان ذلك قبلَ مولدِ رسولِ اللَّه ﷺ بقليلٍ، كما سنذكُرُه مفصَّلاً قريبًا إن شاء الله تعالىٰ، وبه الثقةُ، وعليه التُّكلانُ، ثُم أرسلَ رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ أهل اليمنِ عليًّا، وخالدَ بن الوليد، ثُمَّ أبا موسىٰ الأشعري، ومعاذَ بن جبلٍ، وكانوا يدعُون إلىٰ الله تعالىٰ، ويُبيِّنُونَ لهم الحُجَجَ، ثُمَّ تغلب علىٰ اليمنِ الأسودُ العَنسيُّ، وأخرَجَ نُوّابَ رسولِ اللَّه ﷺ منها، فلمَّا قُتِل الأسودُ استقرَّتِ اليَدُ الإسلاميةُ عليها في أيامِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضي الله عنه، كما سنُبيِّنُ ذلك بعد البِعْثَةِ، إن شاء الله تعالىٰ.

قصّة ربيعة بن نصر بن أبي حارثة بن عمرو بن عامرٍ المتقدّم ذكرُه، اللَّخميّ

كذا ذَكَره ابنُ إسحاقُ. وقال السُّهَيْليُّ: ونُسّابُ اليمنِ تقولُ: نصرُ بنُ ربيعةَ. وهو ربيعةُ بنُ نصرِ ابنِ الحارثِ بنِ نُمارةَ بنِ لَخمٍ. وقال الزُّبيرُ بنُ بكّارٍ: ربيعةُ بنُ نصرِ بنِ مالكِ بنِ شَعوذَ بنِ مالكِ بنِ عَجمِ بنِ عَمرِو بنِ نُمارةَ بنِ لَخمٍ، ولَخمٌ أخو جُذامٍ، وسُمِّيَ لَخمًا؛ لأنَّه لَخَمَ أخاه أي: لَطَمَه؛ فعضّه الآخرُ في يدِه فجذَمَها؛ فسُمِّي جُذامًا. وكان ربيعةُ أحدَ ملوكِ حِميَرَ التبابعةِ، وخبرُه مع شِقٍّ وسطيحٍ الكاهنَين، وإنذارهما بوجودِ رسولِ اللَّه ﷺ؛ أما سَطِيحٌ، فاسمُه ربيعُ بن ربيعةَ بنِ مسعودِ ابنِ مازنِ بنِ ذئبِ بنِ عَديٍّ بن مازنِ بنِ غسّانَ، وأما شِقٌّ فهو ابنُ صَعْبِ بنِ يَشكُرَ بنِ رُهمِ بنِ أفرَكَ ابن قَسرِ بنِ عَبقَرَ بنِ أنمارِ بن نزارٍ. ومنهم مَن يقول: أنمارُ بنُ إراشِ بنِ لَحيانَ بنِ عمرِو بنِ الغوثِ بنِ نَبْتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سَبَأ. ويقالُ: إنَّ سَطيحًا كان لا أعضاءَ له، وإنَّما كان مثلَ السَّطيحةِ، ووجهُه في صَدرِه، وكان إذا غضبَ انتفخَ وجَلَسَ، وكان شِقٌّ نصفَ إنسانٍ، ويُقالُ: إنَّ خالد بن عبد اللَّه القسريَّ كان من سُلالَته. وذكر السُّهَيليُّ أنَّهما وُلِدَا في يومٍ واحدٍ، وكان يومَ ماتت طريفَةُ بنتُ الخَيرِ الحِميَرِيّةُ. ويقالُ: إنَّها تَفَلَت في فَمِ كلٍّ منهما، فَوَرِثَ الكهانةَ عنها. وهي امرأةُ عَمرِو بنِ عامرٍ المتقدِّمِ ذكرُه. واللَّهُ أعلمُ.

قال محمدُ بن إسحاقَ: وكان ربيعةٌ بن نَصرٍ ملكَ اليمنِ بينَ أضعَافِ ملوكِ التَّبابعةِ، فرأىٰ رؤيا هالَته وفَظع بها، فلم يَدع كاهِنًا ولا ساحِراً ولا عائفًا ولا مُنجِّمًا مِن أهلِ مملكته إلا جمَعه إليه، فقال لهم: إنِّي قد رأيتُ رؤيا هالَتني وفَظعتُ بها، فأخبِرُوني بها وبتأويلِها. فقالُوا: اقصُصها علينا، نُخبِرْكَ بتأويلِها. فقال: إنِّي إن أخبَرْتُكم بها، لم أطمَئنَّ إلىٰ خَبَرِكم بتأويلِها؛ لأنَّه لا يعرفُ تأويلَها

إلاَّ مَن عَرَفَها قبل أن أُخبِرَه بها. فقال له رَجلٌ منهم: فإن كان الملكُ يريدُ هذا فَليبعَث إلىٰ شِقٍّ وسَطِيحٍ؛ فإنَّه ليس أحدٌ أعلمَ منهما، فهما يُخبِرانه بما سَألَ عنه، فبعثَ إليهما، فقَدِمَ إليه سَطِيحٌ قبلَ شِقٍّ، فقال له: إنِّي قد رأيتُ رُؤيا هالَتني وفَظعتُ بها، فأخبِرني بها، فإنَّك إن أصبتَها أصبْتَ تأويلَها. فقال: أفعلُ: رأيتَ حُمَمَةً خَرَجتْ مِن ظُلمَةٍ، فوقَعَتْ بأَرضٍ تَهَمَةٍ، فأكلَتْ منها كلُّ ذاتِ جُمجُمَةٍ. فقال له الملك: ما أخطأتَ منها شيئًا يا سَطِيحُ، فما عندَك في تأويلِها؟ قال: أحلفُ بما بينَ الحرَّتَينِ مِن حَنَشٍ، لتَهبِطَنَّ أرضَكم الحَبَشُ، فَلَيَملكُنَّ مَا بينَ أَبينَ إلىٰ جُرَشَ، فقال له الملكُ: وأبيكَ يا سَطِيحُ، إنَّ هذا لنا لَغائظٌ مُوجعٌ، فمتىٰ هو كائنٌ؟ أفي زماني أم بعدَه؟ فقال: لا، بل بعدَه بحينٍ، أكثَرَ مِن ستِّينَ أو سَبعينَ يَمضينَ مِن السنينَ. قال: أَفيَدُومُ ذلك مِن سُلطانِهم أم ينقطعُ؟ قال: بل يَنقطعُ لبِضعٍ وسبعينَ مِن السنينَ، ثُم يُقتلون، ويَخرجون منها هاربِين. قال: ومن يَلي ذلك مِن قتلهم وإخراجِهم؟ قال: يليه إرَمُ ذي يَزَنَ، يَخرجُ عليهم مِن عَدَنٍ، فلا يَتركُ منهم أحدًا باليمنِ، قال: أفيدومُ ذلك مِن سلطانِه أم ينقطعُ؟ قال: بل ينقطعُ. قال: ومن يقطَعُه؟ قال: نَبِيٌّ زَكِيٌّ، يأتيه الوحيُ من قِبَلِ العَلِيِّ. قال: ومِمَّن هذا النبيُّ؟ قال: رَجلٌ مِن وَلَدِ غالبِ بنِ فِهرِ بنِ مالكِ بنِ النَّضْرِ، يكونُ المُلكُ في قومِه إلىٰ آخرِ الدَّهرِ. قال: وهل للدَّهرِ مِن آخرٍ؟ قال: نَعَمْ، يومٌ يُجمَعُ فيه الأوَّلون والآخرون، يَسعَدُ فيه المحسنُونَ، ويَشقَىٰ فيه المُسيئُون. قال: أحقٌّ ما تُخبرُني؟ قال: نعم، والشَّفَقِ والغَسَقِ، والفَلَقِ إذا اتَّسَقَ، إنَّ ما أنبأتُك به لَحَقٌّ، قال: ثُمَّ قَدِمَ عليه شِقٌّ، فقال له كقولِه لسَطِيح، وكَتَمَه ما قال سَطِيحٌ؛ لِيَنْظُرَ أيَتَّفِقان أم يَختَلِفَان، قال: نعم، رأيتُ حُمَمَةً خرجَت من ظُلْمَةٍ، فوقعت بين رَوضَةٍ وأكَمَةٍ، فأكلَت منها كُلَّ ذاتِ نَسمةٍ. فلمّا قال له ذلك عَرَفَ أنَّهُما قد اتَّفَقَا، وأنَّ قَولَهما واحدٌ، إلاَّ أن سَطِيحًا، قال: وقعت بأرضٍ تَهَمةٍ، فأكَلَت منها كلُّ ذاتِ جُمجُمَةٍ، وقال شِقٌّ: وقعت بينَ روضَةٍ وأكَمَةٍ، فأكلت منها كلُّ ذاتِ نَسمَةٍ، فقال له الملكُ: ما أخطأتَ يا شِقُّ منها شيئًا، فما عندَكَ في تأويلِها؟ فقال: أحلفُ بما بيَن الحرَّتين مِن إنسانٍ، لَيَنزِلَنَّ أرضَكم السُّودانُ، فليَغلِبُنَّ علىٰ كلِّ طَفلَةِ البنانِ، وليَملكُنَّ ما بينَ أبيَنَ إلىٰ نَجرانَ، فقال له الملكُ: وأبيك يا شِقُّ، إنَّ هذا لنا لغائظٌ مُوجعٌ، فمتىٰ هو كائنٌ؟ أفي زماني أم بعده؟ قال: لا، بل بعدَه بزمانٍ، ثم يستنقذُكم منهم عظيمٌ ذو شانٍ، ويُذيقُهم أشدَّ الهوانِ. قال: ومَنْ هذا العظيمُ الشان؟ قال: غلامٌ ليس بِدَنِيٍّ ولا مُدَنٍّ، يخرُجُ عليهم من بيتِ ذي يَزَنَ. قال: أفيَدُومُ سُلطانُه أم ينقطعُ؟ قال: بل ينقطعُ برسولٍ مُرسلٍ، يأتي بالحقِّ والعَدل، من أهل الدِّينِ والفَضلِ، يكونُ المُلكُ في قَومِه إلىٰ يومِ الفَصلِ. قال: وما يومُ الفَصلِ، قال: يومٌ تُجزَىٰ فيه الوُلاة، يُدعَىٰ فيه من السماء بدعواتٍ يسمعُ منها الأحياءُ والأمواتُ، ويُجمعُ الناسُ فيه للميقاتِ، يكونُ فيه لمن اتَّقَىٰ الفوزُ والخيراتُ. قال: أَحَقٌّ ما تقولُ؟ قال: إي وربِّ السَّماءِ والأرضِ، وما بينَهما مِن رَفعٍ وخفضٍ، إنَّ ما أنبأتُك به لَحَقٌّ، ما فيه أمضٌ.

قال ابنُ إسحاقَ: فوقَعَ في نفسِ ربيعةَ بنِ نصرٍ ما قالا، فجهَّزَ بَنيه وأهلَ بَيتِه إلىٰ العراقِ، وكتبَ لهم

إلى مَلِك من ملوك فارسَ، يقالُ له: سابورُ بنُ خُرَّزاذَ. فأسكنَهُم الحيرَةَ. قال ابنُ إسحاقَ: فمن بقيَّة وَلَدِ ربيعةَ بنِ نَصرٍ، النُّعمانُ بنُ المنذرِ بنِ النُّعمانِ بنِ المنذرِ بنِ عمرو بن عَديٍّ بنِ ربيعةَ بنِ نَصرٍ، يَعني الذي كان نائبًا على الحيرةِ لملوكِ الأكاسرَةِ، وكانت العربُ تفدُ إليه وتمتدحُه. وهذا الذي قاله محمدُ ابن إسحاقَ من أنَّ النُّعمانَ بنَ المنذرِ من سُلالَةِ ربيعةَ بنِ نصرٍ، قاله أكثرُ النَّاسِ.

وقد رَوى ابنُ إسحاقَ أنَّ أميرَ المؤمنينَ عُمَرَ بن الخطَّابِ، لَمّا جيءَ بسيف النُّعمانِ بنِ المنذرِ، سأل جُبيرَ بنَ مُطعمٍ عنه: ممَّن كان؟ فقال: مِن أشلاءِ قُنُصِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدنانَ، قال ابنُ إسحاقَ: فاللَّهُ أعلمُ أيَّ ذلك كان.

قصة تبَّع أبي كرب تبَّان أسعد ملك اليمن مع أهل المدينة وكيف أراد غزو البيت الحرام، ثمَّ شرَّفه وعظَّمه وكساه الحُلل، فكان أوَّل من كساه

قال ابن إسحاقَ: فلمَّا هلكَ ربيعةُ بنُ نصرٍ رجع مُلكُ اليمنِ كله إلى حسَّان بنِ تُبَّان أسعد أبي كربٍ وتُبَّانُ أسعد تُبَّعٌ الآخرُ، ابنُ كُلكِيكَرِبَ بن زيدٍ، وزيدٌ تُبَّعٌ الأولُ ابنُ عمرو ذي الأذعارِ بنِ أبرهةَ ذي المنارِ بنِ الرَّائشِ بن عديٍّ بن صيفيٍّ بن سبأ الأصغر بن كعبٍ - كهف الظُّلم - بن زيد بن سهلِ ابن عَمرو بنِ قيسِ بن معاويةَ بنِ جُشَمَ بن عبدِ شمسِ بنِ وائلِ بنِ الغوثِ بن قطنِ بنِ عريبِ بن زهيرِ ابن أنسِ بن الهَميسَعِ بنِ العَرَنْجَجِ، والعَرَنْجَجُ هو حِميَرُ بنُ سبأ الأكبرِ بنِ يعرُبَ بنِ يَشجُبَ بن قحطَانَ. قال عبدُ الملكِ بن هشام: سبأُ بن يَشجُبَ بن يعرُبَ بنِ قحطَانَ.

قال ابنُ إسحاقَ: وتُبَّانُ أسعدَ أبو كربٍ، هو الذي قدمَ المدينةَ وساق الحَبرينِ من اليهودِ إلى اليمنِ، وعمَّرَ البيتَ الحرامَ، وكساه، وكان مُلكُه قبل مُلكِ ربيعةَ بن نصرٍ، وكان قد جعل طريقه حينَ رَجَع من غزوةِ بلادِ المشرقِ على المدينة، وكان قد مرَّ بها في بَدأته فلم يهج أهلَها، وخلَّفَ بين أظهرهم ابنًا له، فقُتِلَ غيلةً، فقدمَها وهو مُجمعٌ لإخرابها واستئصَالِ أهلها وقطعِ نخلها، فجُمعَ له هذا الحيُّ من الأنصارِ، ورئيسُهم عمرُو بن طلَّةَ أخو بني النَّجارِ، ثم أحَدُ بني عَمرو بن مَبذولٍ، واسمُ مبذولٍ، عامر بن مالكِ بن النَّجارِ، واسمُ النَّجارِ، تَيمُ اللَّهِ بن ثعلبةَ بن عمرو بن الخزرج بن حارثةَ بن ثعلبةَ بن عمرو بنِ عامرٍ.

وقال ابن هشام: عمرُو بن طلَّةَ، هو عمرُو بن معاويةَ بن عمرو بنِ عامرِ بن مالكِ بن النَّجَّارِ، وطلَّةُ أمُّه، وهي بنتُ عامر بن زريقٍ الخزرجيَّةُ.

قال ابن إسحاقَ: وقد كان رجُلٌ من بني عديٍّ بنِ النَّجَّار، يُقالُ له: أحمرُ، عَدَا على رجلٍ من أصحابِ تُبَّعٍ، وَجَدَه يَجُدُّ عذقًا له فضرَبَه بمنجله فقتَلَه، وقال: إنما التَّمرُ لمن أبَّرَه، فزاد ذلك تُبَّعًا حنقًا عليهم، فاقتتلُوا، فتَزعُمُ الأنصارُ أنَّهم كانوا يُقاتِلونه بالنهار، ويقرونه بالليل، فيُعجبُه ذلك منهم،

ويقول: واللّه، إنّ قومَنا لَكِرامٌ، وحكىٰ ابنُ إسحاق عن الأنصار أنّ تُبّعًا، إنّما كان حنَقُه على اليهود، أنّهم منَعُوهم منه.

قال السُّهَيْلي: ويُقالُ: إنّه إنّما جاء لنُصرةِ الأنصار - أبناءِ عمِّه - على اليهود، الذين نَزلوا عندهم في المدينة على شروطٍ، فَلَم يَفوا بها واستطَالوا عليهم، واللّهُ أعلمُ.

قال ابن إسحاق: فَبَينا تُبّعٌ على ذلك من قِتالهم، إذ جاءَه حَبرَان من أحبارِ اليهودِ من بني قُرَيظَةَ، عَالمانِ رَاسِخَانِ، حين سَمِعا بما يُريدُ من إهلاك المدينة وأهلها، فقال له: أيُّها الملكُ، لا تفعل، فإنّكَ إن أبيتَ إلاّ ما تريدُ، حِيلَ بينَكَ وبينَها، ولم نأمَن عليك عاجلَ العقوبةِ، فقال لهما: ولِمَ ذلك؟ قالا: هي مُهَاجَرُ نبيٍّ، يخرجُ من هذا الحَرَمِ؛ من قُريشٍ، في آخرِ الزمانِ، تكونُ داره وقراره، فتناهىٰ، ورأىٰ أنّ لهما علمًا، وأعجبَه ما سَمِعَ منهُما، فانصرَفَ عن المدينة، واتّبَعَهما على دينهما.

قال ابنُ إسحاقَ: وكان تُبّعٌ وقومُه أصحابَ أوثَانٍ يَعبُدُونها، فتوجَّه إلى مكّةَ، وهي طريقُه إلى اليمنِ، حتى إذا كان بينَ عُسفانَ وأمَجٍ، أتاه نَفَرٌ من هُذيلِ بنِ مُدركةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نزارِ بن معَدِّ بن عدنانَ، فقالوا له: أيُّها الملكُ، ألا ندُلُّك على بيت مالٍ داثرٍ أغفلَته الملُوكُ قبلَكَ، فيه اللؤلؤُ والزَّبَرجَدُ والياقوتُ والذَّهَبُ والفضَّةُ؟ قال: بَلىٰ، قالوا: بيتٌ بمكّةَ يعبُدُه أهلُه ويُصلُّون عندَه، وإنّما أراد الهُذليّون هلاكه بذلك؛ لما عَرفوا من هلاكِ من أراده من الملوكِ وبغىٰ عندَه، فلمّا أجمَعَ لما قالوا أرسلَ إلى الحبرَينِ فسألهما عن ذلك. فقالا له: ما أراد القوم إلاّ هلاكك وهلاك جُندك، ما نعلمُ بيتًا للّه، عزَّ وجلَّ، اتخذَه في الأرضِ لنفسه غيرَه، ولئن فَعَلتَ ما دَعَوك إليه، لَتَهلِكَنَّ وليَهلِكنَّ من معك جميعًا. قال: فماذا تأمُرانني أن أصنعَ إذا أنا قَدمتُ عليه؟ قالا: تصنَعُ عندَه ما يصنعُ أهله؛ تطوفُ به وتُعظِّمُه وتُكرِّمُه، وتحلِقُ رأسَكَ عندَه، وتذلُّ له حتى تخرجَ من عنده. قال: فما يَمنعُكما أنتما من ذلك؟ قالا: أما والله إنّه لبيتُ أبينا إبراهيم عليه السلامُ وإنه لَكَمَا أخبرناك ولكنَّ أهله حالُوا بيَنَنا وبينه بالأوثانِ التي نصبُوها حولَه، وبالدِّماء التي يُهرِيقُونَ عندَه، وهم نَجسٌ، أهلُ شركٍ، أو كما قالا له، فعرَفَ نُصحهما، وصدَّقَ حديثهما، وقرَّبَ النَّفَرَ من هُذيلٍ، فقطَعَ أيديَهم وأرجُلَهُم، ثُمَّ مضىٰ حتى قَدِمَ مكّةَ، فطاف بالبيت ونَحرَ عنده، وحَلَقَ رأسَه وأقام بمكّة ستّةَ أيامٍ، فيما يذكُرونَ، ينحرُ بها للنّاسِ، ويُطعمُ أهلها، ويسقيهم العسَلَ، وأُرِيَ في المنام أن يكسُو البيتَ، فكساه الخصَفَ، ثم أُرِيَ في المنام أن يكسُوه أحسَنَ من ذلك، فكساه المعَافِرَ، ثُمّ أُرِيَ أن يكسُوه أحسن من ذلك فكساه المُلاءَ والوصائلَ، فكان تُبّعٌ - فيما يزعمون - أوّلَ من كسا البيت، وأوصىٰ به ولاتَهُ من جُرهُمٍ، وأمَرَهُم بتطهيره، وأن لا يُقَرِّبوه دمًا ولا ميتةً ولا مِئلاةً، وهي المحايضُ، وجَعَلَ له بابًا ومفتاحًا، ففي ذلك قالت سُبَيعةُ بنتُ الأحبِّ - تُذَكِّرُ ابنها خالد بن عبد مناف بن كعب بن سعدِ بن تَيمِ بن مُرَّةَ بن كعبِ بن لُؤَيِّ بن غالبٍ، وتنهاه عن البغيِ بمكّةَ، وتذكُرُ له ما كان من أمرِ تُبَّعٍ فيها:

أُبَنَيَّ لا تظلِمْ بِمَكَّـ ـــةَ لا الصغيرَ ولاَ الكَبيرْ
واحفَظْ محارِمَها بُنَـ ـــيَّ ولا يَغُرَّنْكَ الغَرورْ
أُبَنَيَّ مَنْ يَظلِمْ بمَكَّـ ـــة يَلقَ أطرافَ الشُّرورْ
أُبَنَيَّ يُضْرَبْ وَجهُهُ ويَلُحْ بخدّيه السَّعيرْ
أُبَنَيَّ قد جَرَّبْتُها فوجدتُ ظالِمَها يَبُورْ
اللَّهُ أمَّنَها وما بُنِيَتْ بِعَرْصَتِها قُصورْ
واللَّهُ أمَّنَ طَيرَها والعُصْمُ تأمَنُ في ثَبيرْ
ولقدْ غزَاها تُبَّعٌ فكَسا بَنِيَّتَها الحَبيرْ
وأَذَلَّ ربِّي مُلكَه فيها فأوْفى بالنُّذُورْ
يَمْشي إلَيها حافِيًا بفنائها ألفا بَعيرْ
ويَظَلُّ يُطعِمُ أهلَها لحمَ المَهاري والجَزُورْ
يَسْقِيهمُ العَسَلَ المُصَفَّـ ـــى والرَّحيضَ مِن الشَّعيرْ
والفيلُ أُهلكَ جَيْشُهُ يُرْمَون فيها بالصُّخورْ
والمُلكُ في أقصَى البلادِ وفي الأعاجِمِ والخَزيرْ
فاسْمَعْ إذا حُدِّثْتَ وافْـ ـــهَمْ كيفَ عاقبةُ الأُمورْ

قال ابن إسحاق: ثمَّ خرجَ تُبَّعٌ مُتَوَجِّهًا إلى اليمنِ بمَنْ معه من جنوده وبالحَبرَينِ، حتى إذا دخل اليمن دعا قومه إلى الدُّخولِ فيما دَخَل فيه، فأبَوا عليه حتى يُحاكموه إلى النَّار التي كانت باليمن.

قال ابن إسحاق: حدَّثني أبو مالك بن ثعلبةَ بن أبي مالكٍ القُرظيُّ، قال: سمعتُ إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدِ الله يحدِّث أنَّ تُبَّعًا لَمَّا دنا من اليمنِ ليدخُلها حالت حِميرُ بينه وبين ذلك، وقالوا: لا تدخُلها علينا وقد فارَقتَ دينَنا، فدعَاهم إلى دينِه، وقال: إنَّه خيرٌ من دينكم. قالوا: فحاكِمنا إلى النَّار؟ قال: نعم. قال: وكانت باليمن، فيما يزعمُ أهلُ اليمنِ، نارٌ تحكُمُ بينَهم فيما يختلفون فيه، تأكُلُ الظالمَ ولا تضُرُّ المظلومَ، فخرَج قومُه بأوثانِهم وما يتقرَّبون به في دينِهم، وخرج الحَبرانِ بمصاحِفِهما في أعناقِهما مُتقلِّدَيها، حتى قعدُوا للنَّارِ عندَ مَخرَجِها الذي تخرُجُ منه، فخرجَتِ النّارُ إليهم، فلمّا أقبلَت نحوهم حادُوا عنها وهابُوها فذَمَرهم من حضَرَهم مِن الناس، وأمروهم بالصبرِ لها فصبَرُوا حتى غشَيتهم، فأكلَتِ الأوثانَ وما قرَّبُوا معها، ومن حَمَل ذلك من رجالِ حِميَرَ، وخرج الحَبرَانِ بمصاحِفهما في أعناقِهما تعرَقُ جباهُهما، ولم تَضُرَّهما، فأصفَقَت عند ذلك حِميرُ على دِينه، فمن هُنالكَ وعن ذلك كان أصلُ اليهوديَّةِ باليمنِ.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني محدِّثٌ أنَّ الحَبرَين ومَن خَرَج مِن حميرَ إنَّما اتَّبَعُوا النَّارَ ليرُدُّوها، وقالوا: من ردَّها فهو أولَى بالحقِّ. فدنا منها رجالٌ حِميرَ بأوثانِهم ليَرُدُّوها، فدَنَت منهم لتَأكلهم، فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردَّها، ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلُوَانِ التَّوراة، وتنكُصُ عنهما،

حتى ردَّاها إلى مخرجها الذي خرجت منه، فأصفقت عند ذلك حميرُ على دينهما، واللَّهُ أعلمُ أيُّ ذلك كان.

قال ابن إسحاق: وكان رئامٌ بيتًا لهم يُعظِّمونه، وينحَرونَ عندَه ويُكلَّمون منه؛ إذ كانوا على شركهم، فقال الحَبران لتُبَّع: إنَّما هو شيطانٌ يَفتنُهم بذلك، فَخَلِّ بيننا وبينه. قال: فشأنَكُما به، فاستخرجا منه، فيما يزعمُ أهلُ اليمنِ، كلبًا أسودَ، فذبحاه، ثمَّ هدما ذلك البيتَ، فبقاياه اليومَ، كما ذُكر لي، بها آثارُ الدِّماء التي كانت تُهرَاقُ عليه، وقد ذكرنا في «التفسير» الحديثَ الذي وَردَ عن النبي ﷺ: **«لا تَسبُّوا تُبَّعًا، فإنَّه قد كان أسلمَ»**(۱).

قال السهيلي: وروَىٰ معمرٌ، عن همَّام بن مُنَبِّهٍ، عن أبي هريرةَ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: **«لا تَسبُّوا أسعَدَ الحميَريَّ؛ فإنَّه أوَّلُ مَن كَسا الكعبَةَ»**(۲).

قال السهيلي: وقد قال تُبَّعٌ حينَ أخبَره الحَبرَانِ عن رسولِ اللَّه ﷺ شِعرًا:

شَهِدْتُ على أحمدَ أنَّه ... نَبِيٌّ مِنَ اللَّهِ باري النَّسَمْ
فلو مُدَّ عُمْرِي إلى عُمْرِهِ ... لكُنْتُ وزيرًا له وابنَ عَمّ
وجاهَدْتُ بالسَّيفِ أعداءَهَ ... وفَرَّجْتُ عن صَدْرِه كلَّ هَمّ

قال: ولم يَزَلْ هذا الشِّعر تتوارَثه الأنصارُ ويحفظونَه بينهم، وكان عندَ أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وأرضاه. قال السُّهيليُّ: وذكر ابن أبي الدّنيا في كتاب «القُبور» أن قَبرًا حُفِرَ بصنعاءَ، فوُجِدَ فيه امرأتانِ معهما لوحٌ من فِضَّةٍ، مكتوبٌ بالذَّهبِ، وفيه: هذا قبرُ لَميسٍ وحُبَّىٰ، ابنَتَي تُبَّعٍ، ماتا وهما تشهدان أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وعلىٰ ذلك مات الصالحون قبلهما.

ثُم صار المُلْكُ فيما بعدُ إلى حسانَ بن تُبَّانَ أسعدَ، وهو أخو اليمامةِ الزَّرقاء التي صُلِبَت على باب مدينة جَوٍّ، فسُمِّيَت من يومئذ اليمامةَ، قال ابن إسحاق: فلمّا مَلَكَ ابنُه حسَّانُ بنُ أبي كرب تُبَّانَ أسعدَ، سار بأهلِ اليمنِ يُريدُ أن يَطأَ بهم أرض العربِ وأرضَ الأعاجمِ، حتىٰ إذا كانوا ببعضِ أرضِ العراقِ، كَرِهَت حميرُ وقبائلُ اليمنِ السَّيْرَ معه، وأرادوا الرَّجعَةَ إلى بلادهم وأهليهم، فكَلَّموا أخًا له يُقالُ له: عمرٌو. وكان معه في جيشه، فقالوا له: اقتُل أخاك حسّانَ، ونُملِّكُكَ علينا، وتَرجعُ بِنا إلى بلادِنا، فأجابَهم فاجتَمَعوا على ذلك إلاَّ ذا رُعَينٍ الحميريَّ، فإنَّه نهَىٰ عَمرًا عن ذلك، فلم يَقبَلْ منه، فكتَبَ ذو رُعَينٍ رُقعةً فيها هذانِ البيتانِ:

---

(۱) الحديث بهذا اللفظ ضعيف أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠) والطبراني في «الكبير» (٦٠١٣) من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف من جهة حفظه لكن ثبت معناه من حديث عائشة موقوفًا عند الحاكم (٢/ ٤٥٠) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «كان تبع رجلاً صالحًا ألا ترىٰ أن اللَّه عز وجل ذم قومه ولم يذمه» قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(۲) ما أبرز من رجال إسناده ثقات.

أَلا مَن يَشْتَرِي سَهَرًا بنومٍ ... سعيدٌ مَن يَبِيتُ قَريرَ عَيْنِ

فأمَّا حِمْيَرٌ غَدَرَتْ وخانَتْ ... فَمَعْذِرَةُ الإلهِ لذي رُعَيْنِ

ثم استودَعَها عَمرًا، فلمّا قَتَلَ عمروٌ أخاه حسانَ ورجَعَ إلىٰ اليمنِ، مُنِعَ منه النوم، وسُلِّطَ عليه السَّهرُ فسأل الأطباء والحُزاةَ مِن الكهان والعرَّافينَ عمّا به فقيل له: إنَّه واللَّه ما قتل رجلٌ أخاه قطُّ أو ذا رَحِمِه، بَغيًا، إلاَّ ذهب نَومُه وسُلِّطَ عليه السَّهرُ، فعند ذلك جعل يَقتُلُ كلَّ من أمره بقتلِ أخيه، فلما خلص إلىٰ ذي رُعينٍ قال له: إنَّ لي عندَك براءةً. قال: وما هي؟ قال: الكتابُ الذي دفعتُه إليكَ. فأخرَجَه فإذا فيه البيتانِ، فتركَه ورأىٰ أنَّه قد نصَحه وهلَكَ عمروٌ. فمَرَجَ أمرُ حِميرَ عند ذلك، وتفرَّقُوا.

وُثوبُ لخَنيعةَ ذِي شَنَاتِرَ على مُلكِ اليَمَن

وقد ملكها سَبعًا وعشرين سنةً. قال ابنُ إسحاق: فوثَبَ عليهم رجلٌ من حِميَرَ لم يَكُن من بُيُوتِ المِلكِ، يُقالُ له: لَخنيعَةُ يَنُوفُ ذُو شَنَاتِرَ، فقتَلَ خِيارَهم، وعبِثَ ببُيُوتِ أهلِ المملكة منهم، وكان مع ذلك امرأً فاسقًا يعمَلُ عمَلَ قوم لوطٍ؛ فكان يُرسلُ إلىٰ الغلامِ من أبناء الملوكِ، فيقَعُ عليه في مشربةٍ له، قد صنَعَها لذلك؛ لئلاَّ يملكَ بعد ذلك، ثُمَّ يَطَّلعُ مِن مشربَتِه تلك إلىٰ حَرَسِه ومَن حضَر من جُنده، قد أخذ مِسْواكًا فجعلَه في فيه؛ أي لِيُعلمَهم أنَّه قد فرغَ منه، حتىٰ بَعث إلىٰ زرعةَ ذي نُواسٍ ابن تُبَّانِ أسعَدَ، أخي حسَّانَ، وكان صبيًّا صغيرًا حين قُتِلَ أخوه حسان، ثمَّ شَبَّ غلامًا جميلاً وسيمًا ذا هيئةٍ وعقلٍ، فلمَّا أتاه رسولُه عرف ما يُرِيدُ منه، فأخَذَ سكِّينًا حديدًا لطيفًا فخبَّأه بين قدميه ونعله ثُمَّ أتاه، فلمَّا خلا معه وثب إليه فواثبه ذو نُواسٍ، فوجأهُ حتىٰ قتله، ثُم حزَّ رأسه، فوضعه في الكُوَّة التي كان يُشرفُ منها، ووضع مِسواكه في فيه، ثم خرج علىٰ الناس فقالوا له: ذا نواسٍ، أرطبٌ أم يباسٌ، فقال: سل نَخماسَ استُرطُبان ذُو نواسٍ استُرطُبان لا باس. فنظروا إلىٰ الكُوَّةِ، فإذا رأسُ لخنيعةَ مقطوعٌ، فخرَجُوا في أثرِ ذي نُواسٍ حتىٰ أدرَكُوه، فقالوا: ما يَنبغِي أن يَملكَنا غيرُك؛ إذ أرَحتَنا من هذا الخبيثِ، فَملَّكُوه عليهم، واجتَمَعت عليه حِميرُ وقبائلُ اليمن، فكان آخرَ ملوكِ حِميرَ، وتَسَمَّىٰ يُوسُفَ، فأقامَ في مُلكِه زمانًا، وبنجرانَ بقايا من أهلِ دين عيسىٰ ابن مريم، عليه السلام، علىٰ الإنجيلِ، أهلُ فضلٍ واستقامةٍ من أهل دينهم، لهم رأسٌ يُقالُ له: عبد اللَّهِ بنُ الثَّامرِ، ثم ذَكَر ابنُ إسحاقَ سببَ دُخُولِ أهلِ نجرانَ في دينِ النَّصارىٰ، وأنَّ ذلك كان علىٰ يدي رجلٍ يُقالُ له: فَيْمُيُونُ. كان من عُبَّادِ النَّصارىٰ بأطراف الشَّامِ، وكان مُجابَ الدَّعوةِ، وصحِبَه رجُلٌ يقالُ له: صالحٌ. فكانا يتعبَّدان يوم الأحَدِ، ويعمَلُ فَيْمُيُونُ بقيَّةَ الجُمُعةِ في البناء، وكان يَدعُو للمَرضَىٰ والزَّمنَىٰ وأهلِ العاهاتِ، فيُشفَونَ، ثُمَّ استأسَرَه وصاحِبَه بعضُ الأعرابِ، فباعُوهما بنَجرانَ، فكان الذي اشتَرَىٰ فيْمُيونَ، يراه إذا قام في مُصلاَّه بالبيتِ الذي هو فيه - في الليل - يمتلئُ عليه البيتُ نورًا، فأعجبَهَ ذلك من أمرِه، وكان أهلُ نجرانَ يعبدُونَ نخلةً طويلةً، يُعلِّقُونَ عليها حُليَّ نِسائهم، ويعكفُون عندَها، فقال

فَيَمْيُونُ لسيِّده: أرأيتَ إن دَعوتُ اللَّه على هذه الشجرة فهلَكت، أتعلمون أنَّ الذي أنتم عليه باطلٌ؟ قال: نعم. فجَمَع له أهلَ نجرانَ، وقام فَيمْيُونُ إلى مُصلاَّه، فدعا الله عليها، فأرسلَ الله عليها قاصفًا، فجَعَفَها من أصلِها ورماها إلى الأرض، فاتَّبعَه أهلُ نجرانَ على دينِ النَّصرانية، وحمَلهم على شريعة الإنجيلِ، حتى حدثَت فيهم الأحداثُ التي دخلَت على أهلِ دينهم بكلِّ أرضٍ، فمن هُنالكَ كانت النَصرانيَّةُ بنجرانَ، من أرض العرب، ثُمَّ ذكر ابن إسحاق قصَّةَ عبد الله بن الثَّامرِ حين تنَصَّرَ على يَدَي فَيْمْيُونَ، وكيف قتله وأصحابه ذُو نواسٍ، وخدَّ لهم الأخدُودَ. وقال ابن هشام: وهو الحَفرُ المُستطيلُ في الأرضِ مثلُ الخَندقِ. وأجَّجَ فيه النَّارَ وحرَّقهم بها، وقتَلَ آخَرينَ، حتى قَتَل قريبًا من عشرين ألفًا، كما قدَّمنا ذلك مَبسُوطًا في أخبارِ بني إسرائيل، وكما هو مُستَقصًى في تفسير سورة ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] من كتابنا «التَّفسير»، وللَّه الحمدُ.

ذِكرُ خُروج الملكِ باليمن مِن حِميَر، وصَيرُورتِه إلى الحَبَشة السُّودان

كما أخبَرَ بذلك شقٌّ وسَطِيحٌ الكاهنان؛ وذلك أنَّه لم ينجُ من أهلِ نجرانَ إلاَّ رجلٌ واحدٌ، يقال له: دوسٌ ذو ثُعلُبان. على فرسٍ له، فسلَكَ الرَّمْلَ فاعجزَهم، فمَضَى على وجهه ذلك حتى أتى قيصرَ مَلكَ الرُّومِ، فاستنصرَه على ذي نُواسٍ وجُنُوده، وأخبَرَه بما بلغ منهم؛ وذلك لأنَّه نصرانيٌّ على دينهم، فقال له: بعُدَت بلادُك منَّا، ولكن سأكتُبُ لك إلى ملكِ الحبشة، فإنَّه على هذا الدِّينِ، وهو أقربُ إلى بلادك، فكتَبَ إليه يأمُرُه بنصرِه والطَّلَب بثأرِه، فقَدِمَ دَوسٌ على النَّجاشيِّ بكتابِ قيصرَ، فبعث معه سبعين ألفًا من الحبشة، وأمَّر عليهم رَجُلاً منهم، يُقالُ له: أرياطُ. ومعه في جنده أبرهَةُ الأشرمُ، فركِبَ أرياطُ البحرَ حتى نزل بساحلِ اليمنِ ومعه دَوسٌ، وسار إليه ذُو نُواسٍ في حميرَ ومن أطاعَه من قبائلِ اليمنِ، فلمَّا التقَوا انهزَمَ ذُو نُواسٍ وأصحابه، فلمَّا رأى ذُو نُواسٍ ما نَزَل به، وبقَومِه، وَجَّه فَرسَه في البحرِ ثُمَّ ضربه، فدَخل فيه فخاضَ به ضَحضاحَ البحرِ، حتى أفضَى به إلى غَمرَةٍ، فأدخلَه فيها، فكان آخرَ العهد به، ودَخلَ أرياطُ اليمنَ فمَلكَها.

وقد ذكر ابن إسحاق ههنا أشعارًا للعربِ فيما وَقَع من هذه الكائنة الغريبة، وفيها فَصاحَةٌ وحلاوةٌ وبلاغَةٌ وطلاوةٌ، ولكن تركنا إيرادَها خشيَةَ الإطالة وخوفَ الملالَة، وباللَّه المستعانُ.

ذِكرُ خُروج أبرهَة الأشرَم على أرياطَ، واختلافهما

قال ابن إسحاق: فأقام أرياطُ بأرضِ اليمن سنين في سُلطانه ذلك، ثُمَّ نازَعه أبرهةُ، حتى تفرَّقَت الحبشةُ عليهما، فانحاز إلى كلٍّ منهما طائفةٌ، ثمَّ سار أحدُهما إلى الآخرِ، فلمَّا تقارَبَ النَّاسُ، أرسَلَ أبرَهةُ إلى أرياطَ: إنَّك لا تصنَعُ بأن تُلقِيَ الحَبَشَةَ بعضَها ببعضٍ، حتى تُفنِيَها، شيئًا، فابرُز لي وأبرُزُ لك، فأيُّنا أصاب صاحبَه، انصرَفَ إليه جندُه، فأرسل إليه أرياطُ: أنصفتَ. فخَرَجَ إليه أبرهةُ، وكان

رَجُلاً قصيرًا لَحِيمًا، وكان ذا دِينٍ في النَّصرانيَّة، وخرَجَ إليه أرياطُ، وكان رَجُلاً جميلاً عظيمًا طويلاً، وفي يَدِه حَرْبَةٌ له، وخلفَ أبرَهَةَ غلامٌ، يقال له: عَتودَةُ، يمنعُ ظهرَه، فرفَعَ أرياطُ الحربةَ فضَرَبَ أبرهَةَ يُريدُ يافُوخَه، فوقَعت الحربةُ على جبهة أبرهةَ، فشَرَمَت حاجِبَه وعَينَه وأنفَه وشفَتَه؛ فبذلك سُمِّيَ أبرَهَةَ الأشرَمَ، وحَمَلَ عتودَةُ على أرياطَ من خلف أبرهةَ فقتَلَه. وانصرَفَ جُندُ أرياطَ إلى أبرهَةَ، فاجتَمَعت عليه الحبشةُ باليمن، ووَدَىٰ أبرهةُ أرياطَ، فلمَّا بلغ ذلك النَّجاشيَّ ـ ملكَ الحبشة الذي بعَثَهم إلى اليمن ـ غَضِبَ غضبًا شديدًا على أبرهَةَ، وقال: عدا على أميري، فقتَلَه بغير أمري ثم حَلَف لا يدَعُ أبرهَةَ حتى يطأ بلادَه، ويَجُزَّ ناصيتَه، فحلقَ أبرهةُ رأسه، وملأ جرابًا من تُراب اليمن، ثمَّ بعث به إلى النَّجاشيِّ، ثمَّ كتب إليه: أيُّها الملكُ، إنَّما كان أرياطُ عبدَك، وأنا عبدُك، فاختلفنا في أمرِك، وكلٌّ طاعَتُه لك، إلاَّ أنِّي كنتُ أقوىٰ على أمرِ الحبشة، وأضبَطَ لها، وأسوَسَ منه، وقد حَلَقتُ رأسي كُلَّه، حين بلَغني قسَمُ الملكِ، وبعثتُ إليه بجراب تراب من أرضي ليَضَعَه تحت قدَمَيه، فيَبَرَّ قسَمَه فيَّ، فلمّا انتهى ذلك إلى النَّجاشيِّ، رَضِيَ عنه، وكَتَب إليه؛ أن اثبُت بأرض اليمن حتى يَأتيَك أمري، فأقامَ أبرَهَةُ باليمن.

ذكر سَبَب قصد أبرَهَة بالفيل مَكَّة؛ ليُخرِبَ الكعبَة

كما قال اللَّه تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

قيل: أوَّلَ من ذلَّل الفيلَةَ أفريدُونُ بنُ أثفيان، الذي قَتَل الضَّحَّاكَ، قاله الطَّبَريُّ. وهو أولُ من اتخذَ للخيلِ السُّرُوج، وأمَّا أولُ من سخَّر الخيلَ وركبَها فطهمورثُ، وهو المَلِكُ الثالثُ من مُلُوك الدّنيا، ويقالُ: إن أوَّل من ركِبَها، إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام، ويحتملُ أنَّه أولُ من ركِبَها من العرَب، واللَّه تعالى أعلم. ويُقالُ: إنَّ الفيلَ مع عِظَم خلقَته يَفرَقُ من الهِرِّ، وقد احتَال بعضُ أمراء الحُروب في قتال الهُنُود، بإحضار سنَانيرَ إلى حَومة الوَغَىٰ فنَفَرت الفيَلَةُ.

قال ابن إسحاق: ثُمَّ إنَّ أبرهَةَ بَنَىٰ القُلَّيس بصنعاءَ، فبَنَىٰ كَنيسَةً لم يُرَ مثلها ـ في زمانها ـ بشيءٍ من الأرض، ثُمَّ كَتَب إلى النَّجاشيِّ: إنِّي قد بَنَيتُ لك كنيسةً، لم يُبنَ مثلُها لَملكٍ كان قبلَك، ولستُ بمُنتَهٍ حتى أصرِفَ إليها حَجَّ العرَب.

فذكَرَ السُّهَيليُّ، أنَّ أبرهَةَ استذلَّ أهل اليمن في بناء هذه الكنيسة الخَسيسة، وسخَّرَهم فيها أنواعًا من السُّخَرِ، وكان من تأخَّر عن العَمَلِ حتى تطْلُعَ الشمسُ، يَقطَعُ يَدَه لا محالَةَ، وجَعَل يَنقُلُ إليها من قصر بلقيس رُخامًا وأحجارًا وأمتعةً عظيمةً، وركَّب فيها صُلبانًا من ذهب وفضَّة، وجعل فيها منابرَ من عاجٍ وأبنُوسَ، وجَعلَ ارتفاعها عظيمًا جدًا، واتِّساعها باهرًا، فلمَّا هلَك بعد ذلك أبرَهَةُ، وتَفرَّقَت الحَبَشةُ، كان من تَعرَّضَ لأخذ شيءٍ من بنائها وأمتعَتها، أصابَته الجنُّ بسُوءٍ، وذلك لأنها كانت مبنيةً على اسم صَنَمين؛ كُعيبٍ وامرأته، وكان طُولُ كلٍّ منهما ستِّين ذراعًا، فترَكها أهلُ اليمن

على حالها، فلم تزل كذلك إلى زمن السفّاح، أول خلفاء بني العباس، فبعث إليها جماعةً من أهل العزم والحزم والعلم، فنقضوها حجرًا حجرًا، ودرست آثارها إلى يومنا هذا.

قال ابن إسحاق: فلمَّا تحدَّثت العربُ بكتاب أبرهة إلى النجاشي، غضب رجلٌ من النَّسَأة من كنانة، الذين ينسئون الشهر الحرام إلى الحلِّ، بمكة أيامَ الموسم، كما قررنا ذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧].

قال ابن إسحاق: فخرج الكنانيُّ حتى أتى القُلَّيس. فقعد فيه؛ أي أحدث حيث لا يراه أحدٌ، ثم خرج فلحق بأرضه، فأُخبِر أبرهةُ بذلك، فقال: من صنع هذا؟ فقيل له: صنعه رجلٌ من أهل هذا البيت الذي تحجُّه العربُ بمكة؛ لمَّا سمع بقولك أنك تريدُ أن تصرف حجَّ العرب إلى بيتك هذا، فغضب، فجاء فقعد فيه؛ أي أنه ليس لذلك بأهل. فغضب أبرهةُ عند ذلك، وحلف ليسيرنَّ إلى البيت حتى يهدمه، ثم أمر الحبشة فتهيَّأت وتجهَّزت، ثم سار وخرج معه بالفيل، وسمعت بذلك العربُ، فأعظموه وفظعوا به، ورأوا جهاده حقًّا عليهم حين سمعوا بأنه يريد هدم الكعبة؛ بيت الله الحرام، فخرج إليه رجلٌ كان من أشراف أهل اليمن وملوكهم، يقال له: ذو نفر. فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب، إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريده من هدمه وإخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله، فهُزم ذو نفر وأصحابه، وأُخذ له ذو نفر، فأُتي به أسيرًا، فلمَّا أراد قتله، قال له ذو نفر: يا أيها الملك، لا تقتلني؛ فإنَّه عسى أن يكون بقائي معك خيرًا لك من القتل، فتركه من القتل، وحبسه عنده في وثاق، وكان أبرهة رجلاً حليمًا، ثم مضى أبرهةُ على وجهه ذلك، يريدُ ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خثعم، عرض له نُفيلُ بنُ حبيب الخثعميُّ في قبيلتَيْ خثعم؛ وهما: شهرانُ وناهسٌ، ومن تبعه من قبائل العرب، فقاتله، فهزمه أبرهةُ وأُخذ له نُفيلٌ أسيرًا، فأُتي به، فلمَّا همَّ بقتله، قال له نُفيلٌ: أيها الملكُ، لا تقتلني؛ فإني دليلُك بأرض العرب، وهاتان يدايَ لك على قبيلتي خثعم - شهرانَ وناهس - بالسَّمع والطاعة. فخلَّى سبيله، وخرج معه يدلُّه، حتى إذا مرَّ بالطائف خرج إليه مسعود بن مُعتِّب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف، في رجال ثقيف، فقالوا له: أيُّها الملك، إنَّما نحنُ عبيدُك، سامعُون لك، مُطيعُون، ليس عندنا لك خلافٌ، وليس بيتنا هذا البيت الذي تُريدُ - يعنُون اللاَّت - إنَّما تُريدُ البيتَ الذي بمكة، ونحن نبعثُ معك من يدُلُّك عليه، فتجاوز عنهم.

قال ابن إسحاق: واللاَّتُ بيتٌ لهم بالطائف، كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة. قال: فبعثوا معه أبا رغال يدلُّه على الطريق إلى مكة، فخرج أبرهةُ ومعه أبو رغال، حتى أنزله بالمُغَمِّس، فلمَّا أنزله به مات أبو رغال هُنالك، فرجمت قبره العربُ، فهو القبرُ الذي يرجُمُ الناس بالمُغَمِّس، وقد تقدَّم في قصة ثمود، أنَّ أبا رغال كان رجلاً منهم، وكان يمتنعُ بالحرم، فلمَّا خرج منه، أصابه حجرٌ فقتله، وأنَّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «وآيةُ ذلك أنَّه دُفن معهُ غُصنان من ذهب» فحفرُوا فوجدُوهما،

قال: وهو أبو ثقيف.

قلتُ: والجمعُ بين هذا وبينَ ما ذكر ابن إسحاق، أنَّ أبا رغالٍ هذا المُتأخِّرَ، وافَقَ اسمُه اسم جدِّه الأعلىٰ، ورجَمَه النَّاسُ كما رَجَمُوا قبرَ الأولِ أيضًا. واللَّهُ أعلمُ، وقد قال جَرِيرٌ:

إذا ماتَ الفَرَزْدَقُ فارْجُموهُ كَرَجْمِكُمُ لِقَبْرِ أبي رِغالِ

الظاهر أنَّه الثَّاني.

قال ابن إسحاق: فلمَّا نزَل أبرَهَةُ بالمُغَمَّسِ، بَعَث رجُلاً من الحبشة، يُقالُ له: الأسوَدُ بن مقصودٍ، علىٰ خيلٍ له، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ مكَّةَ، فساقَ إليه أموالَ أهلِ تِهامَةَ، من قُريشٍ وغيرِهم، وأصاب فيها مائتي بعيرٍ لعبدِ المُطَّلبِ بنِ هاشمٍ، وهو يومئذٍ كبيرُ قريشٍ وسيِّدها، فهمَّت قريشٌ وكنانَةُ وهُذَيلٌ ومن كان بذلك الحَرَمِ بقتاله، ثُمَّ عرَفُوا أنَّه لا طاقَةَ لهم به. فترَكُوا ذلك، وبَعَث أبرَهَةُ حُنَاطَةَ الحميَرِيَّ إلىٰ مكَّة، وقال له: سَلْ عن سَيِّد أهلِ هذا البلد وشريفِهم، ثُمَّ قُل له: إنَّ المَلِكَ يَقُولُ: إنِّي لم آتِ لحَربكم، إنَّما جئتُ لهَدمِ هذا البيت، فإن لم تَعرِضُوا لنا دُونه بحربٍ، فلا حاجةَ لي بدمائكم، فإن هو لم يُرِد حربِي فأتِني به، فلمَّا دخَل حُناطةُ مكَّةَ سأل عن سَيِّد قُريشٍ وشريفها، فقيلَ له: عبدُ المُطَّلبِ بن هاشم. فجاءَه فقال له ما أمرَه به أبرَهةُ، فقال له عبدُ المطلب: واللَّه ما نُريدُ حربَه، وما لنا بذلك من طاقةٍ، هذا بيتُ اللَّه الحرامُ، وبيتُ خليله إبراهيم عليه السلام - أو كما قال - فإن يمنَعه منه فهو حَرَمُه وبيتُه، وإن يُخَلِّ بينه وبينه، فواللَّه ما عندَنا دفعٌ عنه. فقال له حُناطَةُ: فانطلق معي إليه، فإنَّه قد أمرَني أن آتيَه بك، فانطَلَق معه عبدُ المُطَّلب، ومعه بعض بَنِيه، حتىٰ أتىٰ العَسكَرَ، فسأَل عن ذي نَفَرٍ، وكان له صديقًا حتىٰ دخَلَ عليه وهو في محبِسه، فقال له: يا ذا نفرٍ، هل عندَك من غناءٍ فيما نَزَل بنا؟ فقال له ذُو نفرٍ: وما غناءُ رجُلٍ أسيرٍ بيَدَي ملكٍ، يَنتَظِرُ أن يقتُلَه غُدوًّا أو عشيًّا؟ ما عندي غناءٌ في شيءٍ ممَّا نزل بك، إلاَّ أنَّ أُنيسًا سائسَ الفيل صديقٌ لي، فسأُرسِلُ إليه وأُوصيه بك، وأُعظِمُ عليه حقَّك، وأسأله أن يستأذنَ لك علىٰ المَلِكَ، فتُكلِّمَه بما بدَا لك، ويشفَعَ لك عنده بخيرٍ، إن قَدَر علىٰ ذلك. فقال: حَسبي. فبعَثَ ذو نَفرٍ إلىٰ أُنيسٍ فقال له: إنَّ عبدَ المُطَّلب سيِّدُ قريشٍ، وصاحبُ عير مكَّةَ، يُطعِمُ النَّاسَ بالسَّهلِ، والوُحُوشَ في رُءُوسِ الجبال، وقد أصابَ له المَلكُ مائتَي بعيرٍ، فاستأذن له عليه، وانفعه عندَه بما استطعتَ. قال: أفعَلُ. فكلَّمَ أُنيسٌ أبرَهَةَ، فقال له: أيُّها المَلِكُ، هذا سيدُ قُريشٍ ببابِك يستأذنُ عليك، وهو صاحبُ عيرِ مكَّة، وهو الذي يُطعِمُ النَّاسَ بالسَّهلِ، والوُحُوشَ في رُءُوسِ الجبال، فأذَن له عليك، فليُكلِّمك في حاجته، فأذِنَ له أبرهةُ. قال: وكان عبدُ المُطَّلبِ أوسَمَ النَّاسِ وأعظَمَهم وأجملَهم، فلمَّا رآه أبرهةُ، أجلَّه وأكرَمَه عن أن يُجلِسَه تحتَه، وكَرِه أن تَراه الحبشَةُ يُجلِسُه معه علىٰ سريرِ مُلكه، فنَزَلَ أبرهةُ عن سريره، فجَلَس علىٰ بساطه وأجلَسَه معه عليه إلىٰ جانبه، ثُمَّ قال لتُرجُمانه: قُل له: حاجتَك. فقال له ذلك التُّرجُمانُ، فقال: حاجتِي أن يَرُدَّ عليَّ الملِكُ مائتَي بعيرٍ أصابَها لي. فلمَّا قال له ذلك، قال أبرهة لتُرجُمانه: قُل له: لقد

كُنت أعجبتني حينَ رأيتُكَ، ثُمَّ قد زَهدتُ فيك حين كلَّمتني، أتكلّمني في مائتي بعيرٍ أصبتُها لك، وتتركُ بيتًا هو دينُك ودينُ آبائك، قد جئتُ لاهدمَه، لا تُكلِّمني فيه؟ فقال له عبدُ المُطلب: إنِّي أنا ربُّ الإبلِ، وإنَّ للبيت ربًّا سيمنعُه. فقال: ما كان ليَمتَنعَ منِّي. قال: أنت وذاك. فردَّ على عبدِالمُطَّلب إبلَه.

قال ابن إسحاق: ويُقالُ: إنه قد كان قد دَخَل مع عبدِ المُطَّلب على أبرَهَةَ يعمَرُ بنُ نُفاثَةَ بن عديٍّ ابن الدُّئلِ بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانَةَ، سيِّدُ بني بكرٍ، وخُويلدُ بنُ واثلَةَ، سيِّدُ هُذَيلٍ، فعرَضُوا على أبرهةَ ثُلُثَ أموالِ تهامةَ، على أن يرجعَ عنهم ولا يهدِمَ البيتَ، فأبَى عليهم ذلك. فاللَّهُ أعلم أكان ذلك أم لا. فلمَّا انصرَفُوا عنه انصرَف عبدُ المُطَّلب إلى قُريشٍ فأخبَرَهم الخبَرَ، وأمَرَهم بالخُروجِ من مكة والتحرُّزِ في رُءُوسِ الجبال، ثُمَّ قام عبدُ المُطَّلب فأخَذَ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفرٌ من قريشٍ، يدعُون اللَّهَ ويستنصرُونه على أبرهةَ وجُنده وقال عبدُ المُطلب وهو آخذٌ بحَلقةِ باب الكعبة:

لاهُمَّ إنَّ العَبْدَ يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلالَكْ
لا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... ومِحَالُهُمْ غَدْوًا مِحَالَكْ
إن كُنْتَ تارِكَهُمْ وقِبْـ ... ـلَتَنا فأَمْرٌ ما بَدَا لَكْ

قال ابن هشام: هذا ما صَحَّ له منها. قال ابن إسحاق: ثُمَّ أرسلَ عبدُ المُطَّلب حلقَةَ باب الكعبة، وانطلَقَ هو ومن معه من قريشٍ إلى شعف الجبال، يتحرَّزون فيها، ينتظرون ما أبرَهَةُ فاعلٌ. فلمَّا أصبَحَ أبرهةُ، تهيَّأ لدُخُولِ مكَّةَ، وهيَّأ فيلَه، وعَبَّى جيشَه، وكان اسمُ الفيلِ محمودًا، فلمَّا وجَّهُوا الفيلَ إلى مكَّةَ، أقبَلَ نُفَيْلُ بنُ حَبيبٍ حتى قام إلى جَنْبِ الفيلِ، ثُمَّ أخَذ بأُذُنه فقال: ابرُك محمودُ، وارجع راشدًا من حيثُ أتيتَ، فإنَّكَ في بلد اللَّه الحرام، وأرسَلَ أُذُنَه، فبَرَكَ الفيلُ.

قال السُّهَيلي: أي سَقَط إلى الأرضِ، وليس من شأنِ الفِيَلَةِ أن تَبرُكَ، وقد قيل: إنَّ منها ما يَبرُكَ كالبعيرِ. فاللَّهُ أعلمُ.

وخَرَجَ نُفَيلُ بنُ حبيبٍ يشتَدُّ حتى أصعَدَ في الجبلِ، وضَرَبُوا الفيلَ ليَقُومَ، فأبَى، فضرَبوا في رأسه بالطَّبَرْزِين ليَقُومَ، فأبَى، فأدخَلُوا مَحَاجِنَ لهم في مَرَاقِّه، فبَزغُوه بها ليَقُومَ، فأبَى، فوَجَّهُوه راجعًا إلى اليمنِ، فقام يُهَرولُ، ووجَّهُوه إلى الشَّام، ففَعَلَ مثل ذلك، ووجَّهُوه إلى المشرق، ففعل مثل ذلك، ووجَّهُوه إلى مكة فبَرَكَ، وأرسلَ الله عليهم طيرًا من البَحر أمثَالَ الخَطَاطِيفِ والبَلَسانِ، مع كلِّ طائرٍ منها ثلاثةُ أحجارٍ يحملُها، حَجَرٌ في منقاره، وحَجَران في رِجلَيه، أمثالُ الحِمَّصِ والعَدَسِ، لا تُصيبُ منهم أحدًا إلاَّ هَلَكَ، وليس كُلُّهم أصابَتْ، وخَرَجُوا هاربين، يَبْتَدرُون الطَّريقَ التي منها جاءوا، ويسألون عن نُفَيلِ بن حَبِيبٍ؛ ليَدُلَّهم على الطريق إلى اليمنِ، فقال نُفَيلٌ في ذلك:

ألاَ حُيِّيتِ عَنَّا يا رُدَيْنَا	نَعِمْناكُم مَعَ الإصْباحِ عَيْنَا
رُدَيْنَةُ لو رأيْتِ ولا تَرَيْه	لَدَى جَنْبِ المُحَصَّبِ ما رأيْنا
إذَنْ لَعَذَرْتِني وحَمِدْتِ أمْرِي	ولم تَأسَيْ على ما فاتَ بَيْنَا
حَمِدْتُ اللَّهَ إذْ أبْصَرْتُ طَيْرًا	وخِفْتُ حِجارَةً تُلقَى عَلَيْنا
وكُلُّ القَومِ يَسْألُ عن نُفَيْلٍ	كَأنَّ عَلَيَّ للحُبْشانِ دَيْنَا

قال ابنُ إسحاقَ: فخَرَجُوا يَتَساقَطُون بكلِّ طريقٍ، ويَهلكُونَ بكلِّ مَهلكٍ، على كلِّ مَنهَلٍ، وأُصيبَ أبرَهَةُ في جسَدِهِ، وخَرَجُوا به معهم، تسقُطُ أناملُه أُنملَةً أُنملَةً، كُلَّما سقَطَت أُنمُلَةٌ، أتبعَتها منه مِدَّةٌ تَمِثُّ قيحًا ودَمًا، حتى قدِمُوا به صنعاءَ، وهو مِثلُ فرخِ الطَّائرِ، فما مات حتى انصدَعَ صدره عن قلبِهِ، فيما يزعُمون.

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوبُ بن عتُبة أنَّه حُدِّث أن أوَّلَ ما رُئيت الحصبةُ والجُدَريُّ بأرض العربِ، ذلك العامُ، وأنَّه أوَّلُ ما رُئِيَ بها مَرَائِرُ الشَّجرِ الحَرمَلِ والحَنظَلِ والعُشَرِ، ذلك العامُ.

قال ابن إسحاق: فلمَّا بَعثَ اللَّهُ محمدًا ﷺ، كان مِمَّا يَعُدُّ اللهُ على قُريشٍ من نعمَته عليهم وفضلِه، ما ردَّ عنهم مِن أمرِ الحَبَشَة، لبقَاء أمرِهم ومُدَّتهم، فقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ**﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

ثم شَرَعَ ابنُ إسحاقَ وابنُ هشامٍ يتكلَّمان على تفسير هذه السُّورةِ والتي بعدَها، وقد بَسَطنا القولَ في ذلك في كتابِنا «التفسير» بما فيه كفايةٌ، إن شاء الله تعالى، وله الحمدُ والمِنَّةُ.

قال ابن هشام: الأبابِيلُ: الجماعات ولم تتكَلَّم لها العرب بواحدٍ علِمناه. قال: وأمَّا السِّجِّيل، فأخبَرَني يونسُ النَّحويُّ وأبو عُبيدَةَ، أنَّه عندَ العربِ: الشَّديدُ الصُّلبُ. قال: وزَعَم بعضُ المُفسِّرين أنَّهما كَلِمَتان بالفارسيَّةِ، وجعلتهما العرب كلمة واحدةً، وأنها «سِنْجٌ» و«جِلٌّ»؛ فالسِّنجُ: الحَجَرُ، والجِلُّ: الطِّينُ. يقولُ: الحجارةُ من هذَين الجِنسين؛ الحَجَرِ والطِّينِ. قال: والعصفُ: وَرَقُ الزَّرعِ الذي لم يُقصَبْ. وقال الكسائي: سمعتُ بعض النَّحويِّين يقولُ: واحدُ الأبابيلِ: إبِّيلٌ. وقال كثيرٌ مِن السَّلَفِ: الأبابِيلُ: الفِرَقُ من الطَّيرِ التي يَتبَعُ بعضُها بَعضًا من ههنا وههنا. وعن ابن عباس: كان لها خراطيمُ كخراطيمِ الطَّيرِ، وأكُفٌّ كأكُفِّ الكلاب، وعن عكرِمَةَ: كانت رُءُوسُها كرُءُوسِ السِّباعِ، خَرَجَتْ عليهم مِن البحرِ، وكانت خُضرًا، وقال عُبيدُ بنُ عُمَيرٍ: كانت سُودًا بَحريَّةً، في مناقيرِها وأكُفِّها الحجارةُ. وعن ابن عباسٍ: كانت أشكالُها كعَنقَاءِ مُغْرِبٍ. وعن ابن عباسٍ: كان أصغَرُ حَجَرٍ منها كرأسِ الإنسانِ. ومنها ما هو كالإبِلِ، وهكذا ذكرَهُ يونسُ بن بُكيرٍ، عن ابن إسحاقَ. وقيل: كانت صِغَارًا. واللَّهُ أعلمُ.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زُرعةَ، حدثنا عبد الله بن محمدِ بن أبي شيبةَ، حدثنا أبو معاويةَ،

عن الأعمشِ، عن أبي سفيانَ، عن عُبيدِ بن عُمَيرٍ قال: لَمَّا أراد اللَّهُ أن يُهلِكَ أصحابَ الفيل، بعَث عليهم طيرًا أُنشِئَتْ من البحرِ، أمثالَ الخطاطِيفِ، كلُّ طيرٍ منها يحمِلُ ثلاثةَ أحجارٍ مُجزَّعةً، حَجَرين في رِجلَيه، وحَجَرًا في مِنقارِه. قال: فجاءت حتىٰ صفَّت علىٰ رءُوسِهم، ثُمَّ صاحَت وألقَتْ ما في رِجلَيها ومَناقِيرِها، فما يقعُ حجرٌ علىٰ رأسِ رَجُلٍ، إلاَّ خَرَجَ من دُبُرِه، ولا يقَعُ علىٰ شيءٍ مِن جَسَدِه، إلاَّ خَرَج مِن الجانبِ الآخَرِ، وبَعَث اللَّهُ رِيحًا شديدةً فضَرَبَت الحجارَةَ فزادَتها شِدَّةً؛ فأُهلِكُوا جميعًا[1].

وقد تقدَّم أنَّ ابن إسحاقَ قال: وليس كُلُّهم أصابَته الحِجارةُ. يعني: بل رَجَع منهم راجِعُون إلىٰ اليمنِ، وحتىٰ أخبَرُوا أهلَهم بما حلَّ بقومِهم مِن النَّكالِ، وذكَرُوا أنَّ أبرَهَةَ رجَعَ وهو يَتسَاقَطُ أُنمُلةً أُنمُلةً، فلمَّا وَصَلَ إلىٰ اليمنِ، انصَدَعَ صدرُه فمات، لعَنَه اللَّهُ، ورَوَىٰ ابنُ إسحاقَ قال: حدَّثني عبدُاللَّهِ بنُ أبي بكرٍ، عن عَمرَةَ، عن عائشةَ قالت: لقد رأيتُ قائدَ الفيلِ وسائسَه بمكَّةَ أعمَيَين مُقعدَين يستطعمان، وتقدَّم أنَّ سائِسَ الفيلِ كان اسمُه أُنيسًا، فأمَّا قائِدُه فلم يُسَمَّ[2]. واللَّهُ أعلمُ.

وذَكَر النَّقَّاشُ في «تفسيره» أنَّ السَّيلَ احتَمَلَ جُثَثَهم، فألقاها في البحر.

قال السُّهَيلِيُّ: وكانت قصَّةُ الفيلِ أوَّل المُحَرَّمِ مِن سنَةِ سِتٍّ وثمانين وثمانمائةٍ مِن تاريخ ذي القرنَين.

قلتُ: وفي عامِها وُلِد رسولُ اللَّه ﷺ، علىٰ المَشهُورِ. وقيل: كان قبلَ مَولِدِه بِسِنين، كما سنَذكُرُ، إن شاءَ اللَّه تعالىٰ، وبه الثِّقَةُ.

ثُمَّ ذَكَر ابنُ إسحاقَ ما قالته العربُ مِن الأشعارِ في هذه الكائنَةِ العظيمةِ، التي نَصَر اللَّه فيها بيته الحرام، الذي يُريدُ أن يُشرِّفَه ويُعظِّمه ويُطَهِّرَه ويُوَقِّره ببعثَةِ محمَّدٍ ﷺ، وما يَشرَعُ له مِن الدين القويمِ، الذي أحدُ أركانه الصلاةُ، بل عمادُ دينِه، وسيجعلُ قِبلَتَه إلىٰ هذه الكعبةِ المُطهَّرةِ، ولم يكُن ما فعلَه بأصحابِ الفيلِ نُصرةً لقُرَيشٍ إذ ذاك علىٰ النَّصارَىٰ، الذين هم الحبشَةُ؛ فإنَّ الحبشةَ إذ ذاك كانوا أقربَ لها من مُشرِكي قُريشٍ، وإنَّما كان النَّصرُ للبيتِ الحرامِ، وإرهاصًا وتوطِئَةً لبعثَةِ محمدٍ ﷺ، فمن ذلك ما قاله عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبعرَي السَّهمِيُّ:

فَتَنَكَّلُوا عن بَطنِ مَكَّةَ إنَّها ... كانتْ قديمًا لا يُرامُ حَريمُها
لم تُخلَقِ الشِّعرَى لَيالِيَ حُرِّمَتْ ... إذْ لا عَزيزَ مِن الأنامِ يَرُومُها
سَائلْ أميرَ الجَيْشِ عنها ما رَأى ... فَلَسوْفَ يُنْبِي الجاهِلِينَ عَلِيمُها
سِتُّونَ ألفًا لم يَئُوبُوا أرْضَهُمْ ... بل لم يَعِشْ بعدَ الإيابِ سَقِيمُها
كانتْ بها عادٌ وجُرْهُمُ قَبْلَهُمْ ... واللَّهُ مِن فَوقِ العِبادِ يُقِيمُها

---

(١) **صحيح إلى عبيد بن عمير:** وإسناده علىٰ شرط مسلم.

(٢) **صحيح إلى عائشة:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٢٥) من طريق ابن إسحاق به ورجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالسماع وعمرة هي بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية. وهي ثقة.

ومن ذلك قولُ أبي قيسِ بنِ الأسلَتِ الأنصارِيِّ المدَنِيِّ:

وَمنْ صُنْعِه يومَ فيلِ الحُبُو   شِ إذْ كُلَّما بَعَثُوهُ رَزَمْ
مَحَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرابِه   وقد شَرَّمُوا أنفَهُ فانخَرَمْ
وقد جَعَلُوا سَوطَه مِغْوَلاً   إذا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِمْ
فَوَلَّى وأَدْبَرَ أدْراجَهُ   وقد باءَ بالظُّلْمِ من كانَ ثَمّ
فأَرْسَلَ مِنْ فَوقِهِم حاصِبًا   فَلَفَّهُمُ مِثْلَ لَفِّ القُزُمْ
تَحُضُّ على الصَّبْرِ أحْبارُهُمْ   وقد ثَأَجُوا كثُؤَاجِ الغَنَمْ

ومن ذلك قولُ أبي الصَّلتِ رَبيعةَ بنِ أبي رَبيعةَ وهبِ بنِ علاجٍ الثَّقفيِّ - قال ابن هشامٍ: ويُروى لأُميَّةَ بن أبي الصَّلتِ -:

إنَّ آياتِ ربِّنا ثاقباتٌ   ما يُماري فيهنَّ إلاَّ الكَفُورُ
خَلَقَ الليلَ والنَّهارَ فكُلٌّ   مُستَبِينٌ حِسابُهُ مَقْدُورُ
ثُمَّ يَجْلُو النَّهارَ رَبٌّ رَحيمٌ   بِمَهاةٍ شُعاعُها مَنْشُورُ
حَبَسَ الفيلَ بالمُغَمِّسِ حتى   صارَ يَحْبُو كأنَّهُ مَعْقُورُ
لازِمًا حَلْقَةَ الجِرانِ كما قُطِّـ   ـرَ من صَخْرِ كَبْكَبٍ مَحْدُورُ
حَولَه من مُلُوكِ كِنْدَةَ أبطالٌ   مَلاوِيثُ في الحُروبِ صُقُورُ
خَلَّفُوهُ ثُمَّ ابْذَعَرُّوا جَميعًا   كُلُّهُمْ عَظْمُ ساقِهِ مَكْسُورُ
كلُّ دِينٍ يومَ القِيامةِ عِندَ اللَّـ   ـهِ دونَ الحَنيفَةِ بُورُ

ومِن ذلك قولُ أبي قيسِ بنِ الأسلَتِ أيضًا:

فقُومُوا فَصَلُّوا ربَّكم وتَمَسَّحُوا   بأركانِ هذا البيتِ بَينَ الأخاشِبِ
فعِندكُمُ منه بَلاءٌ مُصَدَّقٌ   غداةَ أبي يَكْسُومَ هادي الكَتائِبِ
كَتيبَتُهُ بالسَّهْلِ تُمْسي ورَجْلُهُ   على القاذِفاتِ في رُؤُوسِ المَناقِبِ
فلمَّا أتاكُمْ نَصْرُ ذي العَرْشِ رَدَّهُمْ   جُنُودُ المَليكِ بينَ سافٍ وحاصِبِ
فَوَلَّوْا سِراعًا هارِبينَ ولم يَؤُبْ   إلى أهْلِه مِلحَبْشِ غيرُ عَصائِبِ

ومن ذلك قولُ عُبيد اللَّهِ بن قيسِ الرُّقيَّاتِ في عظمَةِ البيتِ، وحِمايتِه بهلاكِ من أرادَه بسُوءٍ:

كادَهُ الأشرَمُ الذي جاءَ بالفيـ   ـلِ فوَلَّى وجَيْشُهُ مَهزُومُ
واستَهَلَّتْ عليهمُ الطَّيْرُ بالجَنْـ   ـدَلِ حتى كأنَّهُ مَرجُومُ
ذاك مَن يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجِعْ   وَهْوَ فَلٌّ مِنَ الجُيُوشِ ذَمِيمُ

قال ابن إسحاقَ وغيرُه: فلمَّا هَلَك أبرَهَةُ، ملَك الحبشةَ بعدَه ابنُه يكسُومُ، ثُمَّ من بعده أخوه مسروقُ بن أبرَهَةَ، وهو آخرُ ملُوكهم، وهو الذي انتزَع سيفُ بنُ ذي يَزَنَ الحِميَريُّ المُلكَ من يده، بالجيش الذي قَدِمَ بهم من عند كسرَىٰ أنُوشِروانَ، كما سيأتي بيانُه.

وكانت قصَّةُ الفيل في المُحَرَّم سنةَ ستٍّ وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذي القَرنَين، وهو الثَّاني إسكندرُ بنُ فليبسَ المَقدُونيُّ، الذي يُؤرِّخُ له الرُّومُ، ولَمَّا هَلَك أبرَهَةُ وابناه، وزال مُلكُ الحبَشَة عن اليمن، هُجِرَ القُلَّيسُ الذي كان بناه أبرهَةُ وأراد صرف حجِّ العرب إليه، لجهله وقلَّة عقله، وأصبح يَبابًا، لا أنيسَ به، وكان قد بناه علىٰ صنَمَين؛ وهما كُعَيبٌ وامرأتُه، وكان من خَشَب، طُولُ كل منهما ستُّون ذراعًا في السَّماء، وكانا مَصحُوبَين من الجانِّ، ولهذا كان لا يَتعرَّضُ أحدٌ إلىٰ أخذ شيء من بناء القُلَّيس وأمتعَته، إلَّا أصابُوه بسُوء، فلم يَزَل كذلك إلىٰ أيام السَّفَّاح، أوَّل خلفاء بني العبَّاس، فذُكِرَ له أمرُه وما فيه من الأمتعة، والرُّخام الذي كان أبرهةُ نقَلَه إليه من صَرح بِلقيسَ الذي كان باليمن، فبَعثَ إليه من خَرَّبَه حَجرًا حجرًا، وأخذ جميعَ ما فيه من الأمتعة والحواصل، هكذا ذكرَه السُّهيليُّ. واللَّهُ أعلمُ.

ذكر خروج الملك عن الحبشة ورجوعه إلى سيف بن ذي يزن

قال محمدُ بن إسحاقَ، رحمه اللَّه: فلمَّا هَلَك أبرَهَةُ، ملَكَ الحبشةَ يكسُومُ بنُ أبرهَةَ، وبه كان يُكنىٰ، فلمَّا هلَك يكسومُ، ملَكَ اليمنَ في الحبشة أخوه مسرُوقُ بنُ أبرهةَ. قال: فلمَّا طال البلاءُ علىٰ أهل اليمن، خَرَجَ سيفُ بنُ ذي يزَنَ الحِميَريُّ. وهو سيف بنُ ذي يزَنَ بن ذي أصبحَ بنِ مالك بن زيد ابن سهل بن عمرو بن قيس بن مُعاويةَ بن جُشَمَ بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَريب ابن زُهير بن أيمَنَ بن الهَمَيسَع بن العرَنجَج، وهو حِميَرُ بنُ سَبَإ، وكان سيفٌ يُكنىٰ أبا مُرَّةَ حتىٰ قَدِمَ علىٰ قيصرَ مَلك الرُّوم، فشكَا إليه ما هم فيه، وسَأَله أن يُخرِجَهم عنه، ويَلِيَهم هو، ويُخرجَ إليهم من شاءَ من الرُّوم، فيَكُونَ له مُلكُ اليمن، فلم يُشكه، فخَرَجَ حتىٰ أتَى النُّعمانَ بنَ المُنذر، وهو عاملُ كسرَىٰ علىٰ الحيرَة وما يَليها من أرض العراق، فشكَا إليه أمر الحَبَشَة، فقال له النعمانُ: إنَّ لي علىٰ كسرَىٰ وِفادَةً في كلِّ عام، فأقِم عندي حتىٰ يكُونَ ذلك. ففعَلَ، ثُمَّ خَرَج معه، فأدخَلَه علىٰ كسرَىٰ، وكان كسرَىٰ يَجلسُ في إيوان مَجلسه الذي فيه تاجُه، وكان تاجُه مثلَ القَنقَل العظيم، فيما يَزعُمُون، يُضربُ فيه الياقُوتُ والزَّبَرجدُ واللُّؤلُؤُ بالذهب والفضَّة، مُعلَّقًا بسلسلة من ذهب في رأس طاقة، في مجلسه ذلك، وكانت عُنقُه لا تحملُ تاجَه، إنَّما يستَرُ بالثياب حتىٰ يَجلسَ في مجلسه ذلك، ثُمَّ يُدخلَ رأسَه في تاجه، فإذا استوَىٰ في مجلسه، كُشفَ عنه الثِّيابُ، فلا يراه أحدٌ لم يرَهُ قبل ذلك إلاَّ بَرَكَ هيبَةً له، فلمَّا دخل عليه طأطأ رأسه، فقال الملكُ: إنَّ هذا الأحمقَ يدخُلُ عليَّ من هذا الباب الطَّويل، ثُمَّ يُطأطِئُ رأسَه! فقيلَ ذلك لسيف، فقال: إنَّما فعلتُ هذا لهمِّي؛ لأنه يضيقُ عنه كلُّ شيء. ثُمَّ قال: أيُّها الملكُ: غَلَبَتنا علىٰ بلادنا الأغربَةُ. قال كسرىٰ: أيُّ الأغربَة؛ الحبشَةُ أم السِّندُ؟

قال: بل الحبشةُ، فجئتُك لتَنصُرَني، ويكُونُ مُلكُ بِلادِي لك. فقال له كِسرَىٰ: بعُدَت بلادُكَ مع قِلَّةِ خَيرِها، فلم أكُن لأُورِّطَ جيشًا من فارسَ بأرض العربِ، لا حاجَةَ لي بذلك، ثُمَّ أجازَه بعشرَةِ آلافِ دِرهَمٍ وافٍ، وكسَاه كُسوَةً حسنَةً، فلمَّا قَبَض ذلك منه سيفٌ، خَرَج فَجعَلَ ينثُرُ ذلك الورق للناس، فبَلَغَ ذلك المَلِكَ، فقال: إنَّ لهذا لشأنًا، ثمَّ بعث إليه فقال: عَمدتَ إلىٰ حباءِ الملك تنثره للنَّاسِ! قال: وما أصنَعُ بهذا؟ ما جبالُ أرضي التي جئتُ منها إلاَّ ذهبٌ وفضَّةٌ. يُرغِّبُه فيها. فجَمَعَ كِسرَىٰ مَرازِبَتَه، فقال لهم: ما ترونَ في أمرِ هذا الرَّجلِ، وما جاء له؟ فقال قائلٌ: أيُّها الملكُ، إنَّ في سُجُونكَ رجالاً قد حَبستَهم للقَتلِ، فلو أنَّك بعثتَهم معه، فإن يهلِكُوا كان ذلك الذي أردت بهم، وإن ظَفِرُوا كان مُلكًا ازددتَه، فبَعثَ معه كِسرَىٰ من كان في سُجُونه، وكانوا ثمانمائة رجلٍ، واستعمَلَ عليهم وَهرِزَ، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وأفضلَهم حَسَبًا وبيتًا، فخَرَجُوا في ثـ .انِ سَفائِنَ، فغَرقَت سَفينتانِ، ووصل إلىٰ ساحلِ عَدَن ستُّ سفائِنَ، فجَمَعَ سيفٌ إلىٰ وَهرِزَ من استطاع مِن قومه، وقال له: رِجلي ورِجلُك حتىٰ نَمُوت جميعًا، أو نَظفَر جميعًا. فقال له وَهرِزُ: أنصفتَ. وخَرَج إليه مسروقُ بن أبرهَةَ، مَلِكُ اليمنِ، وجَمَع إليه جُندَه، فأرسَلَ إليهم وَهرِزُ ابنًا له؛ ليُقاتِلَهم فيَختبِرَ قتالَهم، فقُتِلَ ابنُ وهرِزَ، فزادَه ذلك حنقًا عليهم، فلمَّا تواقَفَ النَّاسُ علىٰ مصافِّهم، قال وَهرِزُ: أرُونِي مَلِكهم، فقالوا له: أترَىٰ رَجُلاً علىٰ الفيلِ عاقِدًا تاجَه علىٰ رأسه، بينَ عينَيه ياقوتةٌ حمراءُ؟ قال: نَعَم، قالوا: ذلك مَلِكُهم. فقال: اترُكُوه. قال: فوَقَفُوا طويلاً، ثمَّ قال: عَلامَ هو؟ قالوا: قد تحَوَّل علىٰ الفرسِ. قال: اترُكُوه. فتركُوه طويلاً، ثُمَّ قال: عَلامَ هو؟ قالوا: علىٰ البَغلة. قال وَهرِزُ: بِنتُ الحِمارِ، ذلَّ وذَلَّ مُلكُه، إنِّي سَأرمِيه، فإن رأيتم أصحابَه لم يتحرَّكُوا؛ فاثبُتُوا حتىٰ أُوذِنَكم، فإنِّي قد أخطَأتُ الرَّجُلَ، وإن رأيتُم القومَ قد استَدارُوا به ولاثُوا، فقد أصبتُ الرجُلَ؛ فاحمِلُوا عليهم، ثُمَّ وَتَرَ قوسَه، وكانت فيما يَزعُمُون - لا يُوتِرُها غيره؛ من شدَّتها، وأمَر بحَاجبَيْه فعُصِّبا له، ثُمَّ رماه فصكَّ الياقوتَةَ التي بين عينَيْه، وتغَلغَلَتِ النُّشَّابَةُ في رأسه حتىٰ خَرَجَت مِن قفاه، ونُكِسَ عن دابَّته، واستَدارتِ الحبشةُ ولاثت به، وحَمَلَت عليهم الفُرسُ، وانهزَمُوا؛ فقُتِلُوا وهَرَبُوا في كلِّ وجهٍ، وأقبَلَ وَهرِزُ ليَدخُلَ صنعاءَ حتىٰ إذ أتَىٰ بابها قال: لا تدخُلُ رايَتِي مُنكَّسَةً أبدًا اهدموا هذا الباب فَهُدِم ثم دخلها ناصبًا رايته، فقال سيفُ بنُ ذي يَزَنَ الحِميَرِيُّ:

يَظُنُّ النَّاسُ بالمَلِكَيْـ	ـنِ أنَّهما قد التَأَمَا
ومَنْ يَسْمَعْ بِلأمِهِما	فإنَّ الخَطبَ قد فَقُمَا
قَتَلْنا القَيْلَ مَسْرُوقًا	ورَوَّينا الكَثيبَ دَمَا
وإنَّ القَيْلَ قَيْلَ النَّا	سِ وَهْرِزَ مُقْسِمٌ قَسَمَا
يَذُوقُ مُشَعْشَعًا حتى	نُفِيءَ السَّبْيَ والنَّعَمَا

ووَفدتِ العربُ من الحجازِ وغيرِها علىٰ سيفٍ يُهَنِّئُونَه بعودِ الملكِ إليه وامتدحوه، فكان من جُملةِ

من وفدَ عليه قُريشٌ، وفيهم عبدُ المطَّلبِ بن هاشمٍ، فَبشَّرَه سيفٌ برسولِ اللَّه ﷺ، وأخبَرَه بما يَعلَمُ مِن أمرِه، وسيأتي ذلك مفصَّلاً في بابِ البشاراتِ به، عليه الصلاة والسلام.

قال ابن إسحاق: وقال أبو الصَّلت بن أبي ربيعةَ الثَّقفِيُّ - قال ابنُ هشامٍ: وتُروَىٰ لأميَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ:

لِيَطلُبِ الوِترَ أمثالُ ابنِ ذي يَزَنَ ... ريَّمَ في البحرِ للأعداءِ أحوالاَ
يَمَّمَ قَيصَرَ لَمَّا حانَ رِحلَتَهُ ... فلم يَجِدْ عندَهُ بعضَ الذي سالا
ثُمَّ انثَنَى نَحوَ كِسرَى بعدَ عاشرَةَ ... مِنَ السِّنينَ يُهينُ النَّفسَ والمالا
حتى أتَى بِبَني الأحرارِ يَحمِلُهُمْ ... إنَّكَ عَمْرِي لقد أسرَعْتَ قلقالا
للَّهِ درُّهُمُ مِنْ عُصبَةٍ خَرَجُوا ... ما إن أرَى لهم في النَّاسِ أمثَالا
غُلْبًا مَرَازِبَةً بيضًا أساوِرَةً ... أُسْدًا تُرَبِّبُ في الغَيضاتِ أشبالا
يَرْمُون عن شُدُفٍ كأنَّها غُبُطٌ ... بِزَمْخَرٍ يُعجِلُ المَرْمِيَّ إعجَالا
أرْسَلتَ أُسدًا على سُودِ الكلابِ فقد ... أضْحَى شَرِيدُهُمُ في الأرضِ فُلَّالا
فاشْرَبْ هَنيئًا عليكَ التَّاجُ مُرتَفِقًا ... في رأسِ غُمْدانَ دارًا منكَ مِحْلالا
واشْرَبْ هنيئًا فقد شَالتْ نَعَامَتُهُمْ ... وأسْبِلِ اليومَ في بُرْدَيْكَ إسْبالا
تلكَ المَكارِمُ لا قَعْبانِ مِن لَبَنٍ ... شِيبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبْوَالا

يُقالُ: إنَّ غُمدانَ قصرٌ باليمن، بناه يعرُبُ بنُ قحطَانَ، وأكمَلَه بعده واحتلَّه واثِلَةُ بن حِميَرَ بن سبأٍ. ويقالُ: كان ارتفاعه عِشرِين طبقَةً. فاللَّهُ أعلمُ.

قال ابن إسحاق: وقال عديٌّ بن زيدٍ الحِيرِيُّ، وكان أحَدَ بني تميمٍ:

ما بَعْدَ صنعاءَ كان يَعمُرُها ... وُلاةُ مُلْكٍ جَزْلٍ مَواهِبُها
رَفَّعَها مَنْ بَنَى لذي قَزَعِ الـ ... ـمُزنِ وتَنْدَى مِسْكًا مَحَارِبُها
مَحفُوفَةٌ بالجبالِ دُونَ عُرَى الـ ... ـكائدِ ما يُرْتَقَى غَوارِبُها
يَأنَسُ فيها صَوتُ النُّهامِ إذا ... جَاوَبَها بالعَشيِّ قَاصِبُها
ساقَتْ إليها الأسبابُ جُنْدَ بَني الـ ... أحْرارِ فُرْسانُها مَواكِبُها
وفُوِّزَتْ بالبِغالِ تُوسَقُ بالـ ... ـحَتْفِ وتَسْعَى بها تَوالِبُها
حتى رآها الأقوالُ مِنْ طَرَفِ الـ ... ـمَنْقَلِ مُخْضَرَّةً كَتائِبُها
يومَ يُنادُون آلَ بَرْبَرَ والـ ... ـيَكْسُومَ لا يُفْلِحَنَّ هارِبُها
فكان يومًا باقي الحديثِ وزا ... لَتْ إمَّةٌ ثابتٌ مَراتِبُها
وبُدِّلَ الفَيْجُ بالزَّرَافَةِ والأيَّا ... مُ خُونٌ جَمٌّ عَجائِبُها
بَعْدَ بَنِي تُبَّعٍ نَخاوِرَةٌ ... قد اطْمَأنَّتْ بها مَرازِبُها

قال ابن هشام: وهذا الذي عنَى سطيحٌ بقوله: يليه إرَمُ ذي يَزَن يخرجُ عليهم من عدن، فلا يترُكُ أحدًا منهم باليمن، والذي عَنَى شقٌّ بقوله: غلامٌ ليس بِدَنيٍّ ولا مُدَنّ، يخرُجُ من بيت ذي يَزَن.

قال ابن إسحاق: وأقام وَهرزُ والفُرسُ باليمن، فَمِن بقيَّةِ ذلك الجيش من الفُرس، الأبناءُ الذين باليمنِ اليومَ، وكان مُلكُ الحبشة باليمن، فيما بينَ أن دخَلَها أرياطُ، إلى أن قَتَلَت الفُرسُ مسروقَ بن أبرهَةَ وأخرجت الحبشةَ، اثنتَين وسبعينَ سنةً، توارثَ ذلك منهم أربعةٌ؛ أرياطُ، ثم أبرهَةُ، ثُمَّ يكسُومُ ابنُ أبرهةَ، ثمَّ مسروقُ بن أبرهةَ.

ذكرُ ما آلَ إليه أمرُ الفُرس باليمن

قال ابن هشام: ثُمَّ مات وهرزُ، فأمَّرَ كسرىٰ ابنه المرزُبانَ بن وهرزَ على اليمن، ثُمَّ مات المرزبانُ، فأمَّرَ كسرىٰ ابنَه التَّيْنُجانَ، ثُمَّ مات فأمَّر ابنَ التَّيْنُجان ثُمَّ عزلَه عن اليمن، وأمَّرَ عليها باذانَ، وفي زَمَنه بُعِثَ رسولُ اللَّه ﷺ، قال ابن هشام: فبَلَغني عن الزّهريِّ أنَّه قال: كَتَبَ كسرَىٰ إلى باذانَ: إنَّه بَلَغَني أنَّ رجُلاً من قُريشٍ خرَجَ بمكَّةَ، يزعمُ أنَّه نبيٌّ، فَسِرْ إليه فاستَتِبْه، فإن تاب، وإلاَّ فابعث إليَّ برأسه، فبَعثَ باذانُ بكتابِ كسرىٰ إلى رسولِ اللَّه ﷺ، فكتَبَ إليه رسولُ اللَّه ﷺ: «**إنَّ الله قد وَعدَني أن يُقتَلَ كسرَى في يوم كذا وكَذَا، من شهر كَذَا**»[1] . فلمَّا أتىٰ باذان الكتابُ، وقف لينتظرَ، وقال: إن كان نبيًّا فسيكُونُ ما قال. فقتَلَ اللَّهُ كسرَىٰ في اليومِ الذي قال رسول اللَّه ﷺ. قال ابنُ هشام: على يدَي ابنه شيرَوَيْه. قلت: وقال بعضهم: بنُوه تمَالئوا على قتله. وكسرىٰ هذا هو أبرَويزُ بنُ هُرمُزَ بن أنُوشِروَانَ بنِ قُباذَ، وهو الذي غلبَ الرُّوم، في قوله تعالىٰ: ﴿**الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الأَرْضِ**﴾ [الروم: ١-٣] كما سيأتي بيانه.

قال السُّهَيليُّ: وكان قتلُه ليلةَ الثُّلاثاء لعشرِ خَلوَنَ من جُمَادَىٰ الأولىٰ سنةَ تسعٍ من الهجرة، وكان واللَّهُ أعلم، لَمَّا كتَبَ إليه رسُولُ اللَّه ﷺ يدعُوه إلى الإسلام، فغَضبَ ومزَّق كتابَه، كَتَبَ إلى نائبه باليمنِ يقُولُ له ما قال. وفي بعض الرِّوايات أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، قال لرسول باذانَ: «**إنَّ ربِّي قد قتَلَ الليلةَ ربَّكَ**»[2] . فكان كما قال رسولُ اللَّه ﷺ، قُتِلَ تلك الليلةَ بعَينها، قَتَلَه بنُوه لظُلمه بعد عدله، بعدَما خلَعُوه وولَّوُا ابنه شيرَوَيهِ، فلم يَعِشْ بعد قتله أباه إلا ستَّةَ أشهُرٍ أو دُونها، وفي هذا يقول خالدُ ابن حقٍّ الشَّيبَانيُّ:

وكسرَىٰ إذ تقَسَّمَهُ بَنُوه ... بأسيافٍ كما اقتُسِمَ اللَّحَامُ
تَمَخَّضَتِ المَنُونُ له بيَومٍ ... أنَىٰ ولكُلِّ حَامِلَةٍ تَمَامُ

---

(١) منقطع: أخرجه ابن هشام هكذا منقطعًا.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣) والبزار (٣٦٤٧) والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٣٩٠) كلهم من طريق أسود بن عامر قال: حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن عن أبي بكرة به.

قال الزُّهري: فلمَّا بلغ ذلك باذانَ، بعث بإسلامه وإسلام مَن معه من الفُرسِ إلىٰ رسول اللَّه ﷺ، فقالت الرُّسُلُ: إلىٰ مَن نحنُ يا رسول اللَّهِ؟ قال: «**أنتُم منَّا وإلينا أهلَ البيتِ**»[1] . قلتُ: والظَّاهرُ أنَّ هذا كان بعدَما هاجرَ رسولُ اللَّه ﷺ إلىٰ المدينةِ، ولهذا بعثَ الأُمَراءَ إلىٰ اليمنِ لتعليمِ النَّاسِ الخيرَ ودعوتِهم إلىٰ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، فبَعثَ أولاً خالدَ بن الوليدِ، وعليَّ بن أبي طالبٍ، ثُمَّ أتبَعَهما أبا موسىٰ الأشعريَّ، ومُعاذَ بن جبلٍ، ودانَت اليمنُ وأهلُها للإسلامِ، ومات باذانُ، فقام بعدَه ولدُه شهرُ بنُ باذانَ، وهو الذي قتلَه الأسودُ العَنْسيُّ، حين تنبَّأَ، وأخذَ زَوجَتَه ـ كما سيأتي بيانُه ـ وأجلىٰ عن اليمنِ نُوَّابَ رسولِ اللَّهِ، فلمَّا قُتل الأسودُ عادَت اليدُ الإسلاميَّةُ عليها. وقال ابنُ هشامٍ: وهذا هو الذي عنَىٰ به سَطيحٌ بقولِه: نبيٌّ زَكيّ، يأتيهِ الوَحيُ مِن قِبَلِ العَليّ، والذي عَنَىٰ شِقٌّ بقولِه: بل ينقطعُ برسولٍ مُرسل، يأتِي بالحقِّ والعدل، بينَ أهلِ الدِّينِ والفضل، يكونُ المُلكُ في قومِه إلىٰ يوم الفصل.

قال ابنُ إسحاقَ: وكان في حَجَرٍ باليمنِ، فيما يزعُمون، كتابٌ بالزَّبور، كُتب في الزَّمانِ الأوَّلِ: لَمن مُلكُ ذمار؟ لحميَرَ الأخيار، لمن مُلكُ ذِمْار؟ للحبشَةَ الأشرَار، لمن مُلكُ ذِمارْ؟ لفارسَ الأحرار، لَمن مُلكُ ذِمار؟ لقُرَيشٍ التُّجَّار، وقد نظم بعض الشُّعراءِ هذا المعنىٰ، فيما ذَكَره المَسعُودِيُّ:

حينَ شُيِّدَتْ ذمارُ قيلَ: لمَنْ أنت؟ ... فقالتْ لحمْيَرَ الأخْيارِ
ثُمَّ سِيلَتْ: مَنْ بَعْدَ ذَاك؟ فقالتْ: ... أنا للحُبْشِ أخْبَثِ الأشْرارِ
ثُمَّ قَالوا: منْ بعد ذاك لمَنْ أنْـ ... ـتِ؟ فقالتْ: لفارسَ الأحْرارِ
ثُم قالوا: مِنْ بعدَ ذاك لَمنْ أنْـ ... ـتِ؟ فقالتْ: إلى قُرَيْش التّجارِ

ويُقالُ: إن هذا الكلامَ الذي ذكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ، وُجِدَ مكتوبًا عند قبرِ هُودٍ عليه السَّلامُ، حينَ كَشَفَت الرِّيحُ عن قبرِه بأرضِ اليمنِ، وذلك قبلَ زمنِ بِلقيسَ بيسيرٍ، في أيَّام مالكِ بن ذي المنارِ، أخي عمرٍو ذي الأذعارِ بنِ ذي المنارِ، ويُقالُ: كان مكتوبًا علىٰ منبرِ هودٍ أيضًا، وهو من كلامه عليه السلام. حكاه السُّهَيلِيُّ، واللَّهُ أعلم.

قِصَّة السَّاطِرُون صَاحِبِ الحَضْر

وقد ذَكَر قصَّته ههنا عبدُ الملكِ بن هشامٍ لأجل ما قاله بعضُ علماءِ النَّسَب؛ أنَّ النُّعمانَ بن المُنذرِ، الذي تقدَّم ذكرُه في وُرُودِ سيفِ بن ذي يَزَنَ عليه، وسُؤالِهِ في مُساعَدَتِه في ردِّ ملك اليمنِ إليه، أنَّه من سُلالةِ السَّاطِرُونِ صاحبِ الحَضرِ، وقد قدَّمنا عن ابنِ إسحاق، أنَّ النعمانَ بن المُنذرِ من ذُرِّيَّةِ ربيعةَ ابن نصرٍ، وأنَّه روىٰ عن جُبيرِ بن مطعمٍ، أنَّه من أشلاءِ قُنُصِ بن مَعَدِّ بن عدنان، فهذه ثلاثةُ أقوالٍ في نسَبِه، فاستطرَد ابن هشامٍ في ذِكرِ صاحبِ الحضرِ، والحضرُ حصنٌ عظيمٌ، بناه هذا الملكُ، وهو

---

(١) ضعيف: ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٦٢) (٧/ ٢٣١) والطبراني في «الكبير» (٦٠٤٠) والحاكم (٣/ ٥٩٨) والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤١٨) كلهم من طريق كثير بن عبد الله المزني عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ.
وكثير ضعيف متروك الحديث قال ابن حبان له عن أبيه عن جده نسخة موضوعة.

السَّاطِرُونُ على حافَّةِ الفُراتِ، وهو مُنيفٌ مرتفعُ البِناء، واسعُ الرَّحَبَةِ والفناء، دَوْرُه بقدرِ مدينة عظيمة، وهو في غايةِ الإحكامِ والبهاء، والحسنِ والسَّناء، وإليه يُجبَى ما حولَه من الأقطارِ والأرجاء، واسم السَّاطِرُون: الضَّيْزَنُ بنُ مُعاويةَ بنِ عَبيدِ بنِ أجرَمَ من بَني سَليحِ بن حُلوانَ بن الحافِ ابن قُضاعةَ. كذا نَسَبَه ابنُ الكَلبيِّ. وقال غيره: كان من الجرامِقة، وكان أحدَ مُلوكِ الطَّوائفِ، وكان يقدُمُهم إذا اجتمَعُوا الحربِ عدوٍّ من غيرهم، وكان حِصنُه بينَ دجلَةَ والفُراتِ.

قال ابنُ هشام: وكان كِسرَىٰ سابورُ ذو الأكتاف، غَزا السَّاطِرُونَ مَلِكَ الحَضرِ. وقال غيرُ ابنِ هشام: إنَّما الذي غَزا صاحِبَ الحَضرِ، سابُورُ بنُ أزدَشِيرَ بنِ بابكَ، أوَّلُ مُلُوكِ بني ساسانَ، أذَلَّ مُلُوكَ الطَّوائفِ، وردَّ المُلكَ إلى الأكاسِرةِ، وأمَّا سابورُ ذُو الأكتافِ بنُ هُرمزَ، فبَعدَ ذلك بدهرٍ طويلٍ. واللَّهُ أعلمُ، ذَكَرَه السُّهيليُّ.

قال ابنُ هشام: فحَصَرَه سنَتَين. وقال غيرُه: أربعَ سنين. وذلك لأنَّه كان أغارَ على بلادِ سابُورَ في غَيبتِه بأرضِ العِراقِ، فأشرَفَت بنتُ السَّاطِرُون، وكان اسمُها النَّضِيرةَ، فنَظَرَت إلى سابُور وعليه ثيابُ ديباجٍ، وعلى رأسِه تاجٌ من ذهبٍ، مُكَلَّلٌ بالزَّبَرجَدِ والياقُوتِ واللُّؤلُؤِ، وكان جميلاً، فدَسَّت إليه: أتَتزَوَّجُني إن فتَحتُ لك بابَ الحَضْرِ؟ فقالَ: نعم. فلمَّا أمسَىٰ ساطرونُ، شَرِب حتى سَكِر، وكان لا يَبيتُ إلاَّ سكرانَ، فأخَذَت مَفاتيحَ بابِ الحَضرِ من تحتِ رأسِه، وبَعَثَت بها مع مَولًى لها، فَفَتَحَ البابَ، ويُقالُ: بل دَلَّتهُم على نهرٍ يَدخُلُ منه الماءُ، مُتَّسِعٍ، فولَجُوا منه إلى الحضرِ، ويقالُ: بل دَلَّتهم على طِلَّسمٍ كان في الحضرِ، وكان في علمِهم أنَّه لا يُفتَحُ حتى تُؤخَذَ حَمامةٌ ورقاءُ، وتُخَضَّبَ رِجلاها بحيضِ جاريةٍ بكرٍ زرقاءَ، ثُمَّ تُرسَلَ، فإذا وقَعَت على سُورِ الحَضرِ، سقَطَ ذلك الطِّلَّسمُ، فيُفتَحُ البابُ، ففَعَلَ ذلك، فانفتحَ البابُ، فدَخَلَ سابُورُ فقَتَلَ ساطِرُونَ، واستباحَ الحَضرَ وخرَّبَه، وسار بها معه فتزوَّجها، فبينَا هي نائمةٌ على فراشِها ليلاً، إذ جعلَت تَملمَلُ لا تنامُ، فدَعا لها بالشَّمعِ، ففتَّشَ فراشَها، فوَجَدَ عليه ورَقَةَ آسٍ، فقال لها سابُورُ: أهذا الذي أسهَرَكِ؟ قالت: نعم. قال: فما كان أبُوكِ يَصنَعُ بكِ؟ قالت: كانَ يَفرِشُ لي الدِّيباجَ، ويُلبِسُني الحَريرَ، ويُطعِمُني المخَّ، ويسقيني الخَمرَ. قال: أفكان جَزاءُ أبيكِ ما صنعتِ به؟ أنتِ إليَّ بذلك أسرعُ. ثُمَّ أمَرَ بها، فرُبِطَت قُرُونُ رأسِها بِذَنَبِ فَرَسٍ، ثُمَّ ركضَ الفَرَسَ، حتى قتلها، ففيه يقولُ أعشَىٰ بنُ قيسِ بنِ ثعلبَةَ:

ألم تَرَ للحَضرِ إذ أهلُه ... بنُعمَى وهل خالدٌ مَن نَعِمْ
أقامَ به شاهبُورُ الجُنُو ... دَ حَولَينِ تَضرِبُ فيه القُدُمْ
فلمَّا دعا ربَّهُ دَعوةً ... أنابَ إليه فلم يَنتَقِمْ
فهل زادَه ربُّهُ قُوَّةً ... ومِثلُ مُجاوِرِه لم يُقِمْ
وكانَ دَعا قومَهُ دَعوَةً ... هَلُمُّوا إلى أمرِكُم قد صُرِمْ
فمُوتُوا كِرامًا بأسيافِكُمْ ... أرَى المَوْتَ يَجشَمُهُ مَن جَشِمْ

وقال عَدِيُّ بنُ زيدٍ في ذلك:

والحَضْرُ صَابَتْ عليه داهِيَةٌ ... من فَوقِه أَيِّدٌ مَناكِبُها
رَبِيَّةٌ لم تُوَقِّ والِدَها ... لحَيْنِها إذ أَضاعَ راقِبُها
إذا غَبَقَتْه صَهْبَاءَ صَافِيَةً ... والخَمْرُ وَهْلٌ يَهِيمُ شارِبُها
فأسْلَمَتْ أهْلَها بلَيْلَتِها ... تظُنُّ أنَّ الرَّئِيسَ خاطِبُها
فكانَ حَظُّ العَرُوسِ إذ جَشَرَ الـ ... صُّبْحُ دِماءً تَجْرِي سَبائِبُها
وخُرِّبَ الحَضْرُ واستُبِيحَ وقد ... أُحرِقَ في خِدْرِها مَشاجِبُها

وقال عَدِيُّ بنُ زَيدٍ أيضًا:

أيُّها الشَّامتُ المُعَيِّرُ بالدَّهـ ... ـرِ أأنتَ المُبَرَّأُ المَوْفُورُ
أم لَدَيكَ العَهْدُ الوَثِيقُ منَ الأيَّـ ... ـامِ بل أنتَ جاهِلٌ مَغْرُورُ
مَن رأَيتَ المَنُونُ خَلَّدْنَ أم مَنْ ... ذا عليه من أن يُضامَ خَفِيرُ
أين كِسْرَى كِسْرَى الملوكِ أنُو شَرْ ... وانَ أمْ أين قَبْلَه سابُورُ
وبَنُو الأصْفَرِ الكرامُ مُلُوكُ الرُّ ... ومِ لم يَبْقَ منهم مَذْكُورُ
وأخُو الحَضْرِ إذ بَناهُ وإذا دِجْـ ... ـلَةُ تُجْبَى إليه والخابُورُ
شادَهُ مَرْمَرًا وجَلَّلَهُ كِلْـ ... ـسًا فَلِلطَّيْرِ في ذُراه وُكُورُ
لم يَهَبْهُ المَنُون فبَانَ المُلْـ ... ـكُ عنه فبَابُهُ مَهْجُورُ
وتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ... ـرَفَ يَوْمًا وللهُدَى تَفْكِيرُ
سَرَّهُ مالُه وكَثْرَةُ ما يَمْـ ... ـلِكُ والبَحْرُ مُعْرِضًا والسَّدِيرُ
فارْعَوَى قَلبُهُ وقالَ وما غِبْـ ... ـطَةُ حَيٍّ إلى المَماتِ يَصِيرُ
ثُمَّ أضْحَوا كأنَّهُمْ وَرَقٌ جَـ ... ـفَّ فألْوَتْ به الصَّبَا والدَّبُورُ

قُلتُ: وربُّ الخَوَرنَقِ الذي ذَكَرَه في شِعرِه، رَجُلٌ مِن الملوكِ المُتَقَدِّمِين، وَعَظَه بعضُ علماءِ زَمانِه في أمرِه الذي كان قد أسرَفَ فيه وعَتَا، وتَمَرَّدَ فيه، وأتبَع نفسه هواها، ولم يُراقِب فيها مولاها، فوعَظَه بمن سلَفَ قبلَه من الملوكِ والدُّوَلِ، وكيف بادُوا ولم يبقَ منهم أحدٌ، وأنَّه ما صارَ إليه عن غيرِه إلاَّ وهو مُنتقِلٌ عنه إلى من بعدَه، فأخذَته موعظَتُه، وبَلَغت منه كُلَّ مبلغٍ، فارعَوَى لنفسِه، وفكَّر في يومِه وأمسِه، وخافَ من ضيقِ رمسِه، فتابَ وأنابَ، ونزَعَ عمَّا كان فيه، وتَرَكَ الملكَ ولَبِسَ زِيَّ الفُقَراءِ، وساحَ في الفَلَواتِ، وحَظِيَ بالخلَوات، وخَرَج عمَّا كان النَّاسُ فيه مِن اتِّباعِ الشَّهَواتِ، وعِصيانِ ربِّ السَّمواتِ، وقد ذَكَرَ قِصَّته مبسُوطةً الشَّيخُ الإمامُ مُوفَّقُ ابنُ قُدامةَ المقدسِيُّ رحمه اللَّهُ، في كتابِ «التَّوَّابين»، وكذلك أورَدَها بإسنادٍ مَتِينِ الحافظُ أبو القاسِمِ السُّهَيليُّ في كِتابِ «الرَّوضِ الأُنفِ»، المُرتَّبِ أحسَنَ تَرتِيبٍ وأوضَحَ تَبْيِينٍ.

خبرُ مُلوكِ الطَّوائِفِ

وأمَّا صاحبُ الحَضرِ، وهو ساطِرُونُ، فقد تقدَّم أنَّه كان مُقدَّمًا على سائرِ مُلُوكِ الطَّوائفِ، وكان من زَمَنِ إسكندرَ بن فيلبسَ المَقدُونيِّ اليُونانيِّ، وذلك لأنَّه لما غلب على مَلِكِ الفُرسِ دَارَا بنِ دَارَا، وأذلَّ مَملَكتَه وخرَّبَ بلادَه، واستَباحَ بيضَةَ قومِه ونَهَبَ حواصلَه، ومزَّقَ شَملَ الفُرسِ شَذَرَ مَذَرَ، عَزَمَ أن لا يَجتَمِعَ لهم بعد ذلك شَملٌ، ولا يَلتَئِمَ لهم أمرٌ، فجَعَلَ يُقرُّ كلَّ ملكٍ على طائفةٍ من النَّاسِ في إقليمٍ من أقاليمِ الأرضِ، ما بين عَرَبِها وأعاجمِها، فاستَمَرَّ كلُّ ملكٍ منهم يَحمِي حَوزَتَه، ويحفَظُ حصَّتَه، ويستَغِلُّ مَحلَّته، فإذا هَلَكَ، قام ولَدُه من بعده، أو أحَدُ قومِه، فاستَمَرَّ الأمرُ كذلك قريبًا من خمسمائةِ سنةٍ، حتى كان أزدَشيرُ بنُ بابَكَ من بني ساسانَ بن بهمَنَ بن إسفنديارَ بنِ يشتاسبَ بنِ لهراسبَ، فأعادَ مُلكَهم إلى ما كان عليه، ورجَعَت المَمالكُ برُمَّتِها إليه، وأزالَ ممالكَ مُلُوكِ الطَّوائفِ، ولم يبقَ منهم تالدٌ، ولا طارفٌ، وكان تأخَّرَ عليه حصارُ صاحبِ الحضرِ، الذي كان أكبرَهم وأشدَّهم وأعظمَهم، إذ كان رئيسهم ومُقدَّمهم، فلمَّا مات أزدشيرُ، تصدَّى له ولدُه سابورُ، فحاصَرَه حتى أخذَه، كما تقدَّمَ، واللَّهُ سبحانه وتعالى أعلمُ.

بابُ ذِكرِ بني إسماعيلَ وما كانَ مِن أُمورِ الجاهِلِيَّةِ إلى زمانِ البِعثةِ

تقدَّم ذِكرُ إسماعيلَ نَفسِه، عليه السلام، مع ذِكرِ الأنبياء، وكيف كان من أمرِه حين احتمَلَه أبوه إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، مع أُمِّه هاجَرَ فأسكنَهما بوادي مكَّة بين جبال فارَانَ، حيثُ لا أنيسَ به ولا حَسيسَ، وكان إسماعيلُ رَضيعًا، ثُم ذَهَبَ وتركَهما هُنالكَ عن أمرِ اللَّه له بذلك، ليس عندَ أُمِّه سوى جرابٍ فيه تَمرٌ، ووكَاءٍ فيه ماءٌ، فلمَّا نَفِدَ ذلك، أنبعَ اللَّه لهاجرَ زمزَمَ، التي هي طعامُ طُعمٍ وشفاءُ سُقمٍ، كما تقدَّم بيانُه في حديثِ ابنِ عباسٍ الطَّويلِ الذي رَواه البُخاري رحمه اللَّهُ. ثُمَّ نزلت جُرهُمٌ، وهم طائفةٌ من العَربِ العاربة من أُمم العربِ الأقدمين، عند هاجَرَ بمكَّةَ، على أن ليس لهم في الماء شيءٌ، إلاَّ ما يشربُون منه وينتَفعُون به، فاستأنَسَتْ هَاجَرُ بهم، وجَعَل الخليلُ عليه السَّلامُ، يُطالعُ أمرَهم في كلِّ حينٍ؛ يُقالُ: إنَّه كان يَركَبُ البُراقَ من بلادِ بيتِ المقدسِ في ذهابِه وإيابِه، ثُمَّ لمَّا ترَعرَعَ الغُلامُ وشبَّ، وبلَغ مع أبيه السَّعيَ، كانت قصَّةُ الذَّبحِ.

كما تقَدَّمَ بيانُ أنَّ الذَّبيحَ هو إسماعيلُ، على الصَّحيح، ثُم لمَّا كَبِرَ، تزوجَ من جُرهُمٍ امرأةً، ثُمَّ فارقها وتزوَّجَ غيرها، وتزوَّجَ بالسيدة بنت مُضاضِ بن عمرو الجُرهُميِّ، وجاءته بالبَنِينَ الاثني عشَرَ، كما تقدَّمَ ذِكرُهم، وهم: نابتٌ، وقَيذَرُ، ومِيشا، ومِسْمَعٌ، وماشي، ودُما، وأُذرُ، ويَطُورُ، ونَبَشٌ، وطيما، وقَيذُما، هكذا ذكَرَهُ محمدُ بن إسحاق وغيره عن كُتُبِ أهل الكتاب، وله ابنةٌ واحدةٌ اسمها نسمةٌ وهي التي زوَّجها من ابن أخيه العيصِ بن إسحاق بن إبراهيمَ، فوُلدَ له منها الرُّومُ واليُونانُ،

والأشبانُ أيضًا: في أحَدِ القولين. ثُمَّ جميعُ عَرَبِ الحجازِ على اختلافِ قبائلهم، يرجِعُون في أنسابِهم إلى وَلَدِيه نابتٍ وقَيدَرَ، وكان الرئيسُ بعدَه والقائمُ بالأمُورِ الحاكِمُ في مكَّةَ، والنّاظِرُ في أمرِ البيتِ وزمزَمَ، نابتَ بنَ إسماعيلَ، وهو ابنُ أُختِ الجُرهُميِّينَ، ثم تَغَلَّبت جُرهُمٌ على البيتِ؛ طَمَعًا في بني أُختِهم، فحَكَمُوا بمكَّةَ وما والاها، عِوَضًا عن بني إسماعيل، مُدَّةً طويلةً، فكان أوَّلُ من صارَ إليه أمرُ البيتِ بعد نابتٍ مُضاضَ بن عمرِو بنِ سعدِ بن الرَّقيبِ بنِ هينِ بنِ نبتِ بنِ جُرهُمٍ. وجُرهُمُ بن قَحطَانَ، ويقُال: جُرهُمُ بنُ يقطنَ بنِ عيبرِ بن شالخِ بن أرفخشَذَ بن سامِ بن نوحٍ الجُرهُميُّ. وكان نازِلاً بأعلى مكَّةَ بقُعَيقِعانَ، وكان السَّمَيدَعُ، سيِّدُ قَطوراءَ، نازِلاً بقومِه في أسفَلِ مكَّةَ، وكلٌّ منهما يعشُرُ مَن مَرَّ به مُجتازًا إلى مكَّةَ، ثُمَّ وَقَع بين جُرهُمٍ وقَطُوراءَ، فاقتَتَلُوا، فقُتِلَ السَّميدعُ، واستوثَق الأمرُ لُمضاضٍ، وهو الحاكمُ بمكَّةَ والبيتِ، لا يُنازِعُه في ذلك ولدُ إسماعيَل، مع كثرَتِهم وشَرَفِهم وانتِشَارِهم بمكَّةَ وبغيرِها؛ وذلك لخُئولَتِهم له، ولعظَمَةِ البيتِ الحرامِ، ثُمَّ صَارَ المُلكُ بعدَه إلى ابنه الحارِثِ، ثُمَّ إلى عمرِو بنِ الحارِثِ. ثُمَّ بَغَتْ جُرهُمٌ بِمكَّةَ، وأكثَرَت فيها الفسادَ، وألحَدُوا بالمسجدِ الحرامِ، حتى ذُكِرَ أنَّ رَجُلاً منهم، يُقالُ له: إسافُ بنُ بغيٍ. وامرَأةً يُقالُ لها: نائِلةُ بنتُ وائِلٍ. اجتَمَعَا في الكعبةِ، فكانَ منه إليها الفاحشةُ؛ فمسَخَهما اللَّهُ حَجَرَين فنصَبهما النَّاسُ قريبًا من البيتِ؛ لِيَعتَبِرُوا بِهِمَا، فلمَّا طال المطَالُ بعد ذلك بِمُدَدٍ، عُبِدا مِن دُونِ اللَّه، في زَمَنِ خُزَاعَةَ، كما سيَأتِي بيانُه في مَوضِعِه، فكانا صَنَمَيْنِ مَنصُوبَين، يقالُ لهما: إسَافٌ ونَائِلَةُ. فلمَّا أكثَرَت جُرهُمٌ البَغيَ بالبلدِ الحرامِ، تمالأت عليهم خُزاعَةُ الذين كانوا نَزَلُوا حَولَ الحَرَمِ، وكانوا مِن ذُرِّيَّةِ عَمرِو بنِ عامِرٍ، الذي خَرَج مِن اليَمَنِ لأجلِ ما تَوَقَّعَ مِن سَيلِ العَرِمِ، كما تقدَّمَ. وقِيل: إنَّ خُزاعَةَ مِن بني إسماعيلَ، فاللَّهُ أعلمُ.

والمقصودُ أنَّهم اجتَمَعُوا لحَربهم، وآذَنُوهم بالحَربِ واقتتَلُوا، واعتَزَل بنو إسماعيلَ كِلاَ الفَرِيقَينِ، فغَلَبَتْ خُزاعَةُ، وهم بنو بكرِ بن عبدِ مَناةَ وغُبشَانُ، وأجلَوهم عن البيتِ، فعَمَدَ عمرُو بنُ الحارثِ بن مُضاضٍ الجُرْهُميُّ - وهو سيِّدُهُم - إلى غَزَالَيِ الكعبةِ، وهُما مِن ذَهَبٍ، وحَجَرِ الركنِ - وهو الحَجَرُ الأسودُ - وإلى سُيُوفٍ مُحَلاَّةٍ وأشياءَ أُخَرَ، فدَفَنَها في زَمزَمَ وعَلَّمَ زَمزَمَ وارتَحَلَ بقومِهِ فَرَجَعُوا إلى اليَمَنِ. وفي ذلك يقولُ عمرُو بن الحارِثِ بنِ مُضاضٍ:

وَقَائِلَة والدَّمْعُ سَكْبٌ مُبادِرٌ ... وقد شَرِقَتْ بالدَّمعِ مِنهَا المَحَاجِرُ
كأنْ لم يكُنْ بيَنَ الحَجُونِ إلى الصَّفا ... أَنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكَّةَ سَامِرُ
فقُلتُ لها وَالقَلبُ مِنِّي كأنَّما ... يُلَجْلِجُهُ بيَنَ الجَنَاحَيْنِ طَائِرُ
بلى نحنُ كُنَّا أهلَها فأزالَنا ... صُرُوفُ اللَّيالي وَالجُدُودُ العَواثِرُ
وكُنَّا وُلاَةَ البيتِ مِن بعدِ نابت ... نَطُوفُ بذاكَ البَيْتِ والخَيْرُ ظاهِرُ
ونحنُ وَلِينا البَيْتَ مِن بعدِ نابتٍ ... بِعِزٍّ فما يَحظَى لَدَينا المُكاثِرُ

مَلَكْنا فعَزَّزْنَا فأعظِمْ بِمُلْكِنا ... فليس لحيٍّ غَيْرِنا ثَمَّ فاخِرُ

ألم تُنْكِحُوا من خَيْرِ شَخْصٍ عَلِمْتُهُ ... فأبْناؤُهُ منَّا ونحنُ الأصاهِرُ

فَإنْ تَنْثَنِ الدُّنْيا علينا بِحالِها ... فإنَّ لها حالاً وفيها التَّشاجُرُ

فَأخْرَجَنَا منها المَلِيكُ بقُدْرَة ... كذلك يا لَلنّاس تَجْرِي المَقادِرُ

أقُولُ إذا نامَ الخَلِيُّ ولم أنَمْ ... أذَا العَرْشِ لا يَبْعُدْ سُهَيْلٌ وعامِرُ

وبُدِّلْتُ منها أوْجُهًا لا أُحِبُّها ... قَبائِلُ منها حِمْيَرٌ ويَحابِرُ

وصِرْنا أحادِيثًا وكُنَّا بِغِبْطَةٍ ... بذلك عَضَّتْنا السِّنُونَ الغَوابِرُ

فَسَحَّت دُمُوعُ العَيْنِ تَبْكِي لِبَلْدَةٍ ... بِهَا حَرَمٌ أمْنٌ وفيها المَشَاعِرُ

وتَبْكِي لِبيتٍ ليس يُؤذَى حَمامُهُ ... يَظَلُّ به أمْنًا وفيه العَصافِرُ

وَفِيهِ وُحُوشٌ لا تُرامُ أنِيسَةٌ ... إذا خَرَجَتْ منه فَلَيْسَتْ تُغادِرُ

قال ابن إسحاقَ: وقال عَمرُو بن الحارثِ بنِ مضاضٍ - أيضًا - يذكُرُ بني بكرٍ وغُبشانَ، الذي خَلَفُوا بعدَهم بمكةَ:

يأيُّها النَّاسُ سِيرُوا إنَّ قَصْرَكُمُ ... أن تُصْبِحُوا ذاتَ يَوْمٍ لا تَسِيرُونا

حُثُّوا المَطِيَّ وأرخُوا من أزِمَّتِها ... قَبْلَ المَماتِ وقَضُّوا ما تقَضُّونا

كُنَّا أُناسًا كما كُنْتُم فغَيَّرَنا ... دَهْرٌ فأنْتُمْ كما صِرْنا تَصِيرُونا

قال ابنُ هشام: هذا ما صَحَّ له منها، وحدَّثني بعض أهلِ العلمِ بالشِّعرِ، أنَّ هذه الأبياتَ أوَّلُ شعرٍ قِيل في العَرَبِ، وأنَّها وُجِدَت مكتوبةً في حَجَرٍ باليمنِ، ولم يُسَمَّ قائلها.

وذَكَرَ السُّهَيليُّ لهذه الأبياتِ إخوةً، وحَكَىٰ عندها حِكايةً مُعجبَةً وإنشاداتٍ مُعربةً. قال: وزادَ أبو الوليدِ الأزرَقيُّ، في كتابه «فضائل مكَّة» علىٰ هذه الأبياتِ المذكورةِ المنسوبةِ إلىٰ عمرِو بنِ الحارثِ ابنِ مُضاضٍ:

قد مالَ دَهْرٌ علينا ثُمَّ أهلَكَنا ... بالبَغْيِ فينا وبَزَّ النَّاسَ ناسُونا

إنَّ التَّفَكُّرَ لا يُجدِي بِصاحِبِه ... عندَ البَدِيهَةِ في علمٍ له دُونا

قَضُّوا أُمُورَكُمُ بالحزمِ إنَّ لها ... أُمُورَ رُشْدٍ رَشَدْتُمْ ثمَّ مسنونا

واستَخبِرُوا في صَنِيعِ النَّاسِ قَبْلَكُمُ ... كما استَبانَ طَرِيقٌ عِندَهُ الهُونا

كُنَّا زَمانًا مُلُوكَ النَّاسِ قَبْلَكُمُ ... بِمَسْكَنٍ في حَرامِ اللَّهِ مَسْكُونا

قصة خزاعة وعمرو بن لحيّ، وعبادة العرب للأصنام

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ غُبشانَ من خُزاعَةَ، وَليت البيتَ دون بني بكرِ بن عبد مناةَ، وكان الذي يليهِ منهم عَمرو بن الحارث الغُبْشانيُّ، وقُريشٌ إذ ذاكَ حُلُولٌ وصِرمٌ، وبُيوتاتٌ مُتَفَرِّقُون في قومهم من بني كنانَةَ. قالوا: وإنَّما سُمِّيَت خُزاعَةُ خُزاعَةَ؛ لأنَّهم تَخَزَّعُوا من ولَدِ عَمرو بنِ عامرٍ، حينَ أقبَلُوا من اليمنِ يُريدُون الشَّامَ، فنزَلُوا بمَرِّ الظَّهرانِ، فأقامُوا به، قال عونُ بنُ أيُّوبَ الأنصاريُّ، ثُمَّ الخزرَجيُّ في ذلك:

فلمَّا هَبَطنا بَطنَ مَرٍّ تَخَزَّعَتْ ... خُزاعَةُ منَّا في حُلُول كَراكِرِ
حَمَتْ كُلَّ وادٍ مِن تِهامَةَ واحتَمَتْ ... بِصُمِّ القَنا والمُرْهَفاتِ البَواتِرِ

وقال أبو المُطَهِّر إسماعيلُ بنُ رافعٍ الأنصاريُّ الأوسيُّ:

فلمَّا هَبَطنا بَطنَ مَكَّةَ أحمَدَتْ ... خُزاعَةُ دارَ الآكِلِ المُتَحامِلِ
فَحَلَّتْ أكاريسًا وَشَتَّتْ قَنابِلاً ... عَلى كُلِّ حَيٍّ بَيْنَ نَجْدٍ وسَاحِلِ
نَفَوا جُرْهُمًا عَن بَطنِ مَكَّةَ واحتَبَوْا ... بِعِزِّ خُزاعيٍّ شَديدِ الكَواهِلِ

فوَلِيَت خُزاعَةُ البيتَ، يَتَوارثُون ذلكَ كابرًا عن كابرٍ، حتى كان آخِرَهم حُلَيلُ بن حُبشِيَّةَ بن سلُول ابنِ كعبِ بن عمرِو بنِ رَبيعةَ الخُزاعيُّ، الذي تَزَوَّجَ قُصَيُّ بن كلابٍ ابنتَه حُبَّى، فولَدَت له بَنيه الأربعةَ؛ عبدَ الدّارِ، وعبدَ منافٍ، وعبدَ العُزَّى، وعَبدًا، ثُمَّ صار أمرُ البيت إليه، كما سيأتي بيانُه وتفصيلُه في موضعه، إن شاء اللَّهُ تعالى، وبه الثِّقَةُ، واستمرَّت خُزاعَةُ على ولاية البيت نحوًا من ثلاثمائة سنة، وقيل: خمسمائة سنة. واللَّهُ أعلمُ. وكانوا مَشْئُومين في ولايتهم، وذلك لأنَّ في زَمانهم كان أوَّلُ عبادة الأوثان بالحجاز، وذلك بسبب رئيسهم عَمرو بن لُحَيٍّ، لعَنَهُ اللَّهُ؛ فإنَّهُ أوَّلُ مَن دَعاهم إلى ذلك، وكان ذا مالٍ جَزِيلٍ جدًّا؛ يُقالُ: إنَّه فَقَأ أعيُنَ عشرينَ بعيرًا، وذلك عبارةٌ عن أنَّه مَلَك عشرين ألفَ بعيرٍ، وكان من عادة العربِ أنَّ مَن مَلَك ألف بعيرٍ، فَقَأَ عينَ واحدٍ منها؛ لأنَّه يَدفَعُ بذلك العينَ عنها. ومِمَّن ذَكَر ذلك الأزرَقيُّ. وذَكَر السُّهَيليُّ أنَّه رُبَّما ذَبَح أيَّامَ الحَجيجِ عشَرةَ آلافِ بَدَنَةٍ وكَسا عشَرَةَ آلافِ حُلَّةٍ، في كلِّ سنَةٍ يُطعِمُ العَرَبَ، ويحيسُ لهم الحَيسَ بالسَّمنِ والعَسَلِ، ويلُتُّ لهم السَّويقَ. قالوا: وكان قوله وفعلُه فيهم كالشَّرعِ المُتَّبعِ، لشرَفِه فيهم، ومَحلِّته عندَهم وكرَمِه عليهم.

قال ابنُ هشام: حدثني بعض أهلِ العلم، أنَّ عمرَو بن لُحيٍّ خرَج من مكَّةَ إلى الشَّام في بعضِ أُموره، فلمَّا قَدمَ مَآبَ من أرضِ البلقاء، وبها يومئذٍ العماليقُ؛ وهم وَلَدُ عِملاقٍ، ويقالُ: ولدُ عِمليقِ بن لاوَذَ بن سامِ بن نُوحٍ، رآهم يعبُدونَ الأصنامَ، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التي أراكم

تعبدُون؟ قالوا له: هذه أصنامٌ نعبدُها؛ فنَستَمْطِرُها فتُمطِرُنا، ونَستَنْصِرُها فتَنْصُرُنا. فقال لهم: ألا تُعطُونني منها صَنَمًا، فأَسيرَ به إلىٰ أرضِ العربِ، فيَعبُدُوه؟ فأعطَوه صنمًا يُقالُ له: هُبَلُ، فقَدِم به مكَّةَ فنصَبَه، وأمَرَ النَّاسَ بعبادَتِه وتعظِيمِه.

قال ابن إسحاق: ويزعُمُونَ أنَّ أوَّلَ ما كانت عبادةُ الحجارَةِ في بني إسماعيل عليه السلام؛ أنَّه كان لا يظْعنُ من مكَّةَ ظاعنٌ منهم، حينَ ضاقَت عليهم والتَمسوا الفُسَحَ في البِلادِ، إلاَّ حَمَلَ معه حَجَرًا من حِجارَةِ الحَرَمِ؛ تعظيمًا للحرمِ، فحيثُما نزَلُوا وضعُوه، فطافُوا به كطَوافِهم بالكعبة، حتىٰ سلَخ ذلك بهم إلىٰ أن كانوا يعبدُون ما استحسَنُوا من الحجَارَةِ وأعجَبَهم، حتىٰ خلَفَتِ الخُلُوفُ ونسُوا ما كانوا عليه.

وفي «صحيح البخاريِّ» عن أبي رَجاءٍ العُطارِديِّ، قال: كُنَّا في الجاهليَّة إذا لم نَجِد حَجَرًا، جَمعنا حثيَةً من التراب، وجئنا بالشَّاة فحَلَبْناها عليه، ثُمَّ طُفنا بها[1].

قال ابنُ إسحاقَ: واستَبدلُوا بدينِ إبراهيمَ وإسماعيل عليهما السَّلامُ، غيرَه، فعبَدُوا الأوثانَ، وصارُوا إلىٰ ما كانت عليه الأممُ قبلَهم من الضَّلالات، وفيهم علىٰ ذلك بقايا من عهدِ إبراهيمَ عليه السَّلامُ، يتمَسَّكُونَ بها؛ من تعظيم البيت والطوَّافِ به، والحجِّ والعُمرة، والوُقُوفِ علىٰ عرفاتٍ والمُزدلفة، وهدي البُدنِ، والإهلال بالحجِّ والعُمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كنانةُ وقُريشٌ، إذا أهلُّوا قالوا: لَبَّيكَ اللَّهُمَّ لَبَّيكَ، لبَّيكَ لا شريك لك، إلا شريكًا هو لك، تَملكُه وما مَلَكَ، فيوحِّدُونه بالتَّلبية، ثُمَّ يُدخلون معه أصنامهم، ويجعلُون ملكَها بيَدِه؛ يقول الله تعالىٰ لمحمدٍ ﷺ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. أي؛ ما يُوحِّدُونني لمعرفة حقِّي، إلاَّ جعَلُوا معي شَرِيكًا من خلْقي.

وقد ذَكَر السُّهَيليُّ وغيرُه؛ أنَّ أوَّلَ مَن لَبَّىٰ هذه التَّلبيةَ، عمرُو بن لُحَيٍّ، وأنَّ إبليس تبدَّىٰ له في صورةِ شَيخٍ، فجعَلَ يُلقِّنُه ذلك، فيسمَعُ منه، ويقولُ كما يقولُ، واتَّبعَه العربُ في ذلك. وثبت في «الصحيح» أنَّ رسول اللَّه ﷺ كان إذا سَمِعَهم يقُولُون: لَبَّيكَ لا شريكَ لك، يقولُ: «قَدْ قَدْ» أي: حسبُ حَسبُ[2].

وقد قال البخاري: ثنا إسحاقُ بن إبراهيمَ، حدثنا يحيىٰ بن آدمَ، ثنا إسرائيلُ، عن أبي حصينٍ، عن أبي صالحٍ، عن أبي هُريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**عَمرُو بن لُحَيِّ بنِ قَمَعَةَ بن خندفَ أبُو خُزاعةَ**»[3] تفرَّدَ به البخاريُّ من هذا الوجه.

وقال عبدُ اللَّه بن أحمدَ: قرأتُ علىٰ أبي؛ حدَّثك عمرُو بنُ مجمِّعٍ، حدثنا إبراهيمُ الهَجَريُّ، عن أبي الأحوصِ، عن عبد الله بن مسعودٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «**إنَّ أوَّلَ مَن سَيَّبَ السَّوائبَ وعَبَدَ**

(١) البخاري (٤٣٧٦).
(٢) مسلم (١١٨٥).
(٣) البخاري (٣٥٢٠).

الأصنَامَ، أبو خُزَاعَةَ عَمرُو بنُ عَامر، وإنِّي رَأيْتُهُ يَجُرُّ أمعَاءَهُ في النَّار» [١] تفرَّد به أحمدُ من هذا الوجه، وهذا يقتضي أنَّ عمرَو بن لُحَيٍّ، هو أبو خُزاعةَ الذي تُنسَبُ إليه القبيلةُ بكمالها، كما زعَمَه بعضُهم من أهلِ النَّسَب، فيما حكاه ابنُ إسحاقَ وغيرُه، ولو تركَنَا مُجرَّدَ هذا، لكان ظاهرًا في ذلك، بل كالنَّصِّ، ولكن قد جاءَ ما يُخالفُه من بعضِ الوجوه، فقال البخاريُّ: حدثنا أبو اليمَان: أخبرنا شُعيبٌ، عن الزهري، قال: سَمعتُ سعيد بن المسيب قال: البَحيرَةُ؛ التي يُمنعُ دَرُّها للطَّواغيت، فلا يحلُبُها أحدٌ من النَّاس، والسَّائبَةُ؛ التي كانوا يُسيِّبُونَها لآلهتهم، لا يُحمَلُ عليها شيءٌ. قال: وقال أبو هريرة: قال النبيُّ ﷺ: **«رأيتُ عَمرَو بنَ عامر بن لُحَيٍّ الخُزَاعيَّ، يجرُّ قُصبَهُ في النَّار؛ كَانَ أولَ مَن سَيَّبَ السَّوائبَ»** [٢] وهكذا رواه البخاريُّ أيضًا ومسلم [٣]، من حديث صالح بنِ كيسانَ، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرةَ به. ثم قال البخاريُّ: ورواه ابن الهاد، عن الزهريِّ. قال الحاكم: أراد البخاريُّ: ورواه ابن الهاد، عن عبد الوهاب بن بُختٍ، عن الزهريِّ. كذا قال.

وقد رواه أحمد، عن عمرو بن سلمَةَ الخُزاعيِّ، عن اللَّيث بن سعد، عن يزيدَ بن الهاد، عن الزُّهري، عن سعيد، عن أبي هريرة: سَمعتُ رسولَ الله ﷺ، يقولُ: **«رأيتُ عَمْرَو بن عَامرٍ يَجُرُّ قُصبَهُ في النَّار، وكَانَ أوَّلَ مَن سَيَّبَ السَّوائبَ، وبَحَرَ البَحيرَةَ»** [٤]. ولم يَذكُر بينهُمَا عبدَ الوهَّاب بن بُختٍ، كما قال الحاكمُ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال أحمدُ أيضًا: حدَّثنا عبد الرزاق، حدثنا معمرٌ، عن الزهريِّ، عن أبي هريرةَ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«رأيتُ عَمرَو بنَ عَامر الخُزاعيَّ يَجُرُّ قُصبَهُ في النَّار، وهو أوَّلُ مَن سَيَّبَ السَّوائبَ»** [٥]. وهذا منقطعٌ من هذا الوجه، والصَّحيحُ: الزهريُّ، عن سعيدٍ عنه، كما تقدَّم، وقوله في هذا الحديث، والذي قبله: «الخُزاعيَّ» يدلُّ على أنه ليس والدَ القبيلة، بل مُنتسبٌ إليها، فلعلَّ ما وقع في الرِّواية من قوله: «أبو خُزاعة» تصحيفٌ من الرَّاوي من: أخي خزاعة، أو أنَّه كان يُكنَى بأبي خزاعةَ، ولا يكونُ ذلك من باب الإخبار بأنَّه أبو خُزاعةَ كلِّهم. واللَّه أعلم.

وقال محمدُ بن إسحاقَ: حدثني محمدُ بنُ إبراهيمَ بن الحارث التَّيميُّ، أنَّ أبا صالح، السَّمَّانَ حدثه أنه سمع أبا هريرةَ يقولُ: سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقولُ لأكثَمَ بن الجَون الخُزاعيِّ: **«يا أكثَمُ، رأيتُ عَمرَو بنَ لُحَيِّ بن قَمَعَةَ بن خندف يَجُرُّ قُصبَه في النَّار، فما رأيتُ رَجُلاً أشبَهَ برَجُلٍ منكَ به، ولا بكَ منهُ»** فقال أكثمُ: عسى أن يضُرَّني شبَهُه يا رسولَ اللَّه؟ قال: **«لا، إنَّك مؤمنٌ، وهُو كَافرٌ، إنَّه كَانَ**

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه أحمد (١/ ٤٤٦) وفيه إبراهيم الهجري وعمرو بن مجمع السكوني وهما ضعيفان والحديث لبعضه شواهد تصححه دون قوله: أبو خزاعة عمرو بن عامر.

(٢) البخاري (٣٥٢١). (٣) البخاري (٤٦٢٣) ومسلم (٢٨٥٦).

(٤) **صحيح**: على شرط الشيخين أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٦).

(٥) **إسناده منقطع**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٥). ورجاله ثقات إلا أن الزهري لم يسمع من أبي هريرة والمحفوظ أنه رواه عن سعيد عن أبي هريرة.

أولَ مَنْ غيَّرَ دينَ إسماعيلَ، فنَصَبَ الأوثانَ، وبَحَرَ البحيرةَ، وسيَّبَ السَّائبةَ، ووَصَلَ الوَصِيلةَ، وحَمَى الحَامي»(١) . ليس في الكُتُبِ من هذا الوجه، وقد رواه ابنُ جرير، عن هنَّاد، عن عبدَةَ، عن محمد ابنِ عمرو، عن أبي سلَمَةَ، عن أبي هُرَيرةَ، عن النَّبيِّ ﷺ بنحوه(٢) ، أو مثله، وليس في الكُتُبِ أيضًا.

وقال البخاري: حدثني محمدُ بنُ أبي يعقوبَ أبو عبد اللَّه الكرْمانيُّ، حدَّثنا حسانُ بن إبراهيمَ، حدثنا يونسُ، عن الزهريِّ، عن عروةَ، عن عائشةَ قالت: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«رأيتُ جهنَّمَ يحطمُ بعضُها بعضًا، ورأيتُ عمْرًا يجرُّ قُصبَهُ، وهوَ أوَّلُ مَن سيَّبَ السَّوائبَ»**(٣) . تفرَّدَ به البخاري، ورَوَىٰ الطَّبرانيُّ، من طريق صالح، عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا، في ذلك.

والمقصودُ أن عمرَو بن لحيٍّ، لعنَه اللَّه، كان قد ابتدَعَ لهم أشياءَ في الدِّينِ، غيَّرَ بها دينَ الخليلِ فاتَّبَعَهُ العَرَبُ في ذلك، فضلُّوا بذلك ضلالاً بعيدًا، بيِّنًا فظيعًا شنيعًا، وقد أنكرَ الله تعالىٰ عليهم في كتابه العزيز، في غيرما آية منه، قال تعالىٰ: ﴿ **وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ** ﴾ الآية [النحل:١١٦]. وقال تعالىٰ: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ وَلا وَصِيلَةٍ وَلا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ [المائدة:١٠٣]. وقد تكلمنَا علىٰ هذا كلِّه مبسوطًا، وبيَّنَّا اختلاف السَّلَف في تفسير ذلك، فمن أرادَه فليأخُذْهُ من ثَمَّ، وللَّه الحمد والمنَّةُ، وقال تعالىٰ: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ** ﴾ [النحل:٥٦]. وقال تعالىٰ: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦) وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧) وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لاَّ يَطْعَمُهَا إِلاَّ مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨) وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ** ﴾ [الأنعام:١٣٦-١٤٠].

قال البخاريُّ في «صحيحه»: بابُ جهلِ العرب: حدَّثنا أبو النعمان، حدَّثنا أبو عوانة، عن أبي بشرٍ، عن سعيد بن جبيرٍ، عن ابن عباسٍ قال: إذا سرَّكَ أن تعلمَ جهلَ العربِ، فاقرأ ما فوقَ الثَّلاثين ومائةٍ، في سورة «الأنعام»: ﴿ **قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا**

---

(١) **إسناده حسن**: رجاله ثقات إلا ابن إسحاق وصرح بالسماع.
(٢) **إسناده حسن**: محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص حسن الحديث.
(٣) البخاري (٤٦٢٤).

رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١) [الأنعام: ١٤٠]. وقد ذكرنا تفسيرَ هذه الآيةِ، وما كانوا ابتدعُوه من الشَّرائعِ الباطلةِ الفاسدةِ، التي ظنَّها كبيرُهم عمرُو بن لُحَيٍّ، قبَّحه اللَّه، مصلحةً ورحمةً بالدَّوابِّ والبهائمِ، وهو كاذبٌ مُفترٍ في ذلك، ومع هذا الجهلِ والضَّلالِ، اتَّبعَه هؤلاء الجهلَةُ الطَّغامُ فيه، بل قد تابعُوه فيما هو أطمُّ من ذلك وأعظمُ بكثيرٍ، وهو عبادةُ الأوثانِ مع اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وبدَّلُوا ما كان اللَّهُ بعثَ به إبراهيمَ خليلَه من الدِّينِ القويمِ والصِّراطِ المُستقيمِ؛ من توحيدِ عبادةِ اللَّهِ وحدَه لا شريكَ له، وتحريمِ الشِّركِ، وغيَّرُوا شعائرَ الحجِّ ومَعالِمَ الدِّينِ، بغيرِ علمٍ ولا بُرهانٍ، ولا دليلٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ، واتَّبَعُوا في ذلك ما كان قبلَهم من الأُممِ المُشركين، وشابَهوا قومَ نُوحٍ، وكانوا أوَّلَ من أشركَ باللَّهِ وعبَدَ الأصنامَ، ولهذا بَعَثَ اللَّهُ إليهم نُوحًا، وكان أوَّلَ رسولٍ بُعِثَ يَنهَى عن عبادةِ الأصنامِ، كما تقدَّمَ بيانُه في قصَّةِ نُوحٍ: ﴿وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ الآية [نوح: ٢٣، ٢٤]. قال ابن عباسٍ: كان هؤلاء قومًا صالحينَ في قومِ نوحٍ، فلمَّا ماتُوا عكَفُوا على قُبُورِهم، فلمَّا طال عليهم الأمدُ عبدُوهُم، وقد بيَّنَّا كَيْفِيَّةَ ما كان من أمرِهم في عبادتِهم بما أغنَى عن إعادتِه هاهنا.

قال ابنُ إسحاقَ وغيرُه: ثُمَّ صارت هذه الأصنامُ في العربِ، بعدَ تبديلِهم دينَ إسماعيلَ، فكان وَدٌّ لبَنِي كلبِ بنِ وبرةَ بنِ تَغلِبَ بنِ حُلوانَ بنِ عمرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ، وكان منصوبًا بدومةِ الجندَلِ، وكان سُواعٌ لبني هُذَيلِ بنِ مُدركةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ، وكان منصوبًا بمكانٍ يقالُ له: رُهاطٌ. وكان يَغُوثُ لبَنِي أنعُمٍ من طيِّئٍ ولأهلِ جُرَشَ من مَذحِجٍ، وكان منصوبًا بجُرشَ، وكان يعُوقُ منصوبًا بأرضِ هَمَدانَ منَ اليمَنِ، لبني خَيوانَ؛ بطنٍ من هَمدانَ، وكان نَسرٌ منصوبًا بأرضِ حميرَ لقبيلةٍ يُقالُ لهم: ذو الكُلاعِ.

قال ابنُ إسحاقَ: وكان لخَولانَ بأرضِهم صنَمٌ يُقالُ له: عُميانِسُ. يَقسِمُون له من أنعامِهم وحُرُوثِهم قِسمًا بينَه وبين اللَّهِ، فيما يَزعُمُون، فما دَخَلَ في حقِّ عُميانِسَ من حقِّ اللَّهِ الذي قسمُوه له، تَرَكُوه له، وما دَخَلَ في حقِّ اللَّهِ من حقِّ عُميانِسَ، ردُّوه عليه، وفيهم أنزل اللَّه: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]. قال: وكان لبني ملكانَ بنِ كنانةَ بنِ خُزيمةَ بنِ مُدركةَ صنمٌ، يُقالُ له: سعدٌ. صخرةٌ بفلاةٍ من أرضِهم طويلةٌ، فأقبَلَ رجلٌ منهم بإبلٍ له مُؤبَّلةٍ ليَقِفَها عليه، التماسَ بركتِه، فيما يزعمُ، فلمَّا رأتْه الإبلُ، وكانت مَرعيَّةً لا تُركَبُ وكان الصَّنَمُ يُهَرَاقُ عليه الدِّماءُ، نَفَرت منه فذَهَبت في كُلِّ وَجهٍ، وغَضِبَ ربُّها وأخذ حجرًا فرماه به، ثُمَّ قال: لا باركَ اللَّهُ فيك، نَفَّرتَ عليَّ إبلِي، ثُمَّ خرَجَ في طَلَبِها، فلمَّا اجتمَعت له قال:

أتَيْنَا إلى سَعْدٍ لِيَجْمَعَ شَمْلَنَا ... فشَتَّتَنَا سَعْدٌ فلا نحنُ من سَعْدِ
وهل سَعْدُ إلاَّ صَخْرَةٌ بتَنُوفَةٍ ... منَ الأرضِ لا يَدْعُو لِغَيٍّ ولا رُشْدِ

---

(١) البخاري (٣٥٢٣).

قال ابنُ إسحاقَ: وكان في دَوسٍ صنمٌ لعَمْرو بن حُمَمَة الدَّوسيِّ. قال: وكانت قُريشٌ قد اتَّخَذَتْ صَنَمًا على بئرٍ في جوفِ الكعبة يُقالُ له: هُبَلُ. وقد تقدَّمَ فيما ذكَره ابنُ هشام، أنَّه أوَّلُ صنمٍ نَصَبَه عمرُو بنُ لحيٍّ، لعنَه اللَّهُ.

قال ابن إسحاقَ: واتَّخذوا إسافًا ونائلَة على موضعِ زمزَمَ، يَنحرُون عندَهما. ثُمَّ ذَكَر أنَّهما كانا رجُلاً وامرأةً، فوقَعَ عليها في الكعبة، فَمَسَخَهما اللَّهُ حَجَرَين، ثُمَّ قال: حدَّثني عبدُ اللَّه بنُ أبي بكرِ ابن محمد بن عمرِو بن حَزمٍ، عن عَمرةَ أنَّها قالت: سَمعتُ عائشةَ تقولُ: ما زلنا نسمَعُ أنَّ إسافًا ونائلَةَ كانا رجُلاً وامرأةً من جُرهُم، أحدثَا في الكعبة، فمسَخَهما اللَّهُ عزَّ وجلَّ، حَجَرَين[1]. واللَّهُ أعلمُ. وقد قيلَ: إنَّ اللَّهَ لم يُمهلهما حتى فَجَرا فيها، بل مَسَخَهما قبلَ ذلك؛ فعندَ ذلك نُصبا عند الصَّفا والمروة، فلمَّا كان عَمرُو بنُ لحيٍّ، نَقَلَهُما فوضَعهما على زمزمَ، وطافَ النَّاسُ بهما، وفي ذلك يقولُ أبو طالب:

وحيثُ يُنيخُ الأشعَرُونَ ركابَهُمْ   بمُفْضي السُّيُولِ منْ إسَافٍ ونائلِ

وقد ذَكَر الواقديُّ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لَمَّا أمَر بكَسرِ نائلَةَ يومَ الفتحِ، خَرَجَتْ منها سَوداءُ شَمطاءُ، تَخمشُ وجهَها وتدعُو بالوَيلِ والثُّبُورِ، وقد ذكَر السُّهيليُّ: أنَّ أجَأً وسَلمَىٰ، وهما جَبَلان بأرضِ الحجازِ، إنَّما سُمِّيا باسم رجُلٍ، اسمُه أجأُ بنُ عبدِ الحيِّ، فَجَر بسَلمَىٰ بنتِ حامٍ، فصُلِبا في هذين الجَبَلين، فعُرِفا بهما. وكان بين أجَأٍ وسَلمَىٰ صنمٌ لطَيِّئٍ يُقالُ له: فلسٌ.

قال ابن إسحاق: واتَّخَذ أهلُ كلِّ دارٍ في دارِهم صنمًا يَعبُدُونه، فإذا أرادَ الرَّجُلُ منهم سفرًا، تَمَسَّح به حينَ يَركَبُ، فكان ذلك آخرَ ما يصنَعُ حينَ يتوجَّهُ إلى سفرِه، وإذا قَدِمَ من سفرِه تَمَسَّحَ به، فكان ذلك أوَّلَ ما يبدأُ به قَبْلَ أن يدخُلَ على أهله، قال: فلمَّا بَعَثَ اللَّه محمَّدًا ﷺ، بالتَّوحيدِ، قالت قُرَيشٌ: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

قال ابن إسحاقَ: وقد كانت العربُ اتَّخَذَت مع الكعبة طَواغيتَ، وهي بيوتٌ تُعظِّمُها كتعظيمِ الكعبة، لها سَدَنَةٌ وحُجَّابٌ، وتُهدي لها كما تُهدي للكعبة، وتطُوفُ بها كطوافِها بها، وتَنحَرُ عندَها، وهي مع ذلك تَعرِفُ فضلَ الكعبة عليها؛ لأنَّها بناءُ إبراهيمَ الخليلِ عليه السلام، ومسجدُه، فكانت لقُريشٍ وبني كِنانَةَ العُزَّىٰ بنخلَةَ، وكانت سَدَنَتُها وحُجَّابُها بني شَيبَانَ، من سُلَيم حُلفاءِ بني هاشم، وقد خرَّبها خالدُ بن الوليد زَمَنَ الفتحِ، كما سيأتي.

قال: وكانت اللاَّتُ لثَقيفٍ بالطَّائف، وكانت سَدَنَتُها وحُجَّابُها بني مُعَتِّبٍ، من ثقيفٍ، وخَرَّبَها أبو سُفيانَ والمُغيرةُ بن شعبةَ، بعدَ مَجيءِ أهلِ الطَّائف كما سيأتي.

قال: وكانت مناةُ للأوسِ والخَزرَجِ، ومن دانَ بدينِهم من أهلِ المدينة، على ساحلِ البحرِ من ناحيةِ المُشلَّلِ، بقُدَيدٍ. وقد خرَّبها أبو سُفيانَ أيضًا، وقيل: عليُّ بنُ أبي طالبٍ. كما سيأتي.

---

(١) تقدم وهذا إسناد حسن.

قال: وكان ذو الخَلَصة لدوسٍ وخثعم وبَجيلَةَ، ومن كان ببلادهم من العرب بتَبَالَةَ، وكان يُقالُ له: الكعبةُ اليَمانيَّةُ. ولبيتِ مكَّةَ: الكعبةُ الشَّاميَّةُ. وقد خربَّه جريرُ بنُ عبدِ اللَّه البَجَليُّ، كما سيأتي.

قال: وكان فِلسٌ لطَيِّءٍ ومَن يليها بجَبَلي طيِّءٍ، بين أجإٍ وسَلمَىٰ. وهما جبلانِ مشهورانِ كما تقدَّم.

قال: وكان رِئامٌ بيْتًا لحميَرَ وأهلِ اليمنِ، كما تقدَّمَ ذِكرُه في قصَّةِ تُبَّعٍ أحَدِ مُلوكِ حميَرَ، وقصَّةِ الحَبْرينِ حين خرَّباه، وقَتلا منه كلبًا أسودَ. قال: وكانت رُضَاءُ بيْتًا لبني ربيعةَ بن كعبِ بن سعدِ بن زيدِ مناةَ بن تميمٍ، ولها يقولُ المُستوغِرُ، واسمُه كعبُ بنُ ربيعةَ بنِ كعبٍ:

ولقــد شَــدَدْتُ عَلى رُضَــاءِ شَــدَّةً ... فَتَـرَكْتُـهـا قَـفْـرًا بقـاعٍ أسْحَـمَـا
وأعــانَ عَــبْــدُ اللَّـهِ في مَكْرُوهِهـا ... وبِمِـثْلِ عَـبـدِ اللَّهِ أغْـشَىٰ المَحْـرَمَـا

ويُقالُ: إنَّ المُسْتَوغِرَ هذا عاشَ ثلاثمائة سنةٍ وثلاثينَ سنةً، وكان أطولَ مُضَرَ كُلِّها عُمرًا، وهو الذي يقولُ:

ولقــد سَئِــمتُ منَ الحَـيَـاةِ وَطُولِها ... وَعُـمِـرْتُ من عَـدَدِ السِّنِينَ مِـئِـينا
مــائةٌ حَــدَتْها بَعْــدَها مــائَتَــانِ لي ... وازْدَدْتُ من عَــدد الشُّــهُـورِ سِنِينا
هل مــا بَقِي إلاَّ كَــمــا قَــد فَــاتَـنا ... يَـوْمٌ يَـمُــــرُّ ولَـيلـةٌ تَـحْــدُونَـا

قال ابن هشام: ويُروىٰ لزهير بن جَناب بن هُبَل.

قال السُّهَيْلِيُّ: ومنَ المُعَمَّرين الَّذينَ جاوَزُوا المائتين والثلاثمائة، زُهيرٌ هذا، وعُبيدُ بن شَرِيَّةَ، ودَغفلُ بن حنظَلَةَ النَّسابَةُ، والرَّبيعُ بن ضَبُعَ الفَزارِيُّ، وذُو الأصبُعِ العَدوانيُّ، ونصرُ بنُ دُهمانَ بنِ أشجع بنِ ريثِ بنِ غطفانَ، وكان قد اسودَّ شعرُه بعد ابيضاضه، وتقوَّمَ ظهرُه بعدَ انحنائه. قال: وكان ذو الكعبات لبكرٍ وتغلبَ ابنَي وائلٍ وإيادٍ بسندادَ، وله يقولُ أعشَىٰ بني قيسِ بن ثعلبَةَ:

بَيْــنَ الخَــوَرْنَــقِ والسَّــدِيرِ وبـارِقٍ ... والبــيتِ ذي الشُّــرُفــاتِ من سَنْدَادِ

وأَوَّلُ هٰذه القَصيدة:

ولقــد عَـلِمْتُ وإن تَـطاوَلَ بـي المَـدَىٰ ... أنَّ السَّــبِـيلَ سَــبِـيلُ ذي الأعْــوادِ
مَــاذا أُؤَمِّلُ بعــدَ آلِ مُحَــرِّقٍ ... تَـرَكُــوا مَنـازِلَهُمْ وبعــدَ إيادِ
نَـزَلُوا بـأنقِــرَةَ يَسِــيلُ عليــهِـمُ ... مَــاءُ الفُــرَاتِ يَـجِيءُ من أطْـوادِ
أرضُ الخَــوَرْنَقِ والسَّــدِيرِ وبـارقٍ ... والبــيتِ ذي الكَعَــبَـاتِ من سَنْدادِ
جَــرَتِ الرياحُ عـلى مَحَـلِّ ديارِهِمْ ... فكـأنَّمَــا كَــانُوا علـى مِـيعَــادِ
وأرَى النَّعِـــيمَ وكُلَّ مــا يُلْهَى بـه ... يَوْمًــا يَصِــيــرُ إلى بِـلًى ونَفَــادِ

قال السُّهَيلِيُّ: الخَوَرْنَقُ قصرٌ بناه النُّعمانُ الأكبرُ لسابُورَ، ليكُونَ ولَدُهُ فيه عندَه، وبناه رجُلٌ يقالُ له: سِنمَّارُ. في عشرين سنة، ولم يُرَ بناءٌ أعجبُ منه، فخشِيَ النُّعمانُ أن يبني لغيره مثله، فألقاه من أعلاه، فقتَلَه، ففي ذلك يقولُ الشَّاعرُ:

جَزاني جَزاهُ اللَّهُ شَرَّ جَزائه ... جَزاءَ سنمَّار وما كانَ ذَا ذَنْبِ
سوَى رَصفِه البُنيانَ عشرينَ حِجَّةً ... يَعُدُّ عليه بالقَرامِد والسَّكْبِ
فلمَّا انتهَى البُنيانُ يَومًا تَمَامُهُ ... وآضَ كَمثْلِ الطَّود والبَاذِخِ الصَّعْبِ
رَمَى بسنمَّار عَلَى حُقِّ رَأسِه ... وذاكَ لَعَمْرُ اللَّهِ من أقبَحِ الخَطبِ

قال السُّهَيلِيُّ: أنشَدَهُ الجاحظُ في كتابِ «الحَيَوان» والسنمَّارُ من أسماء القَمَرِ.

والمقصودُ أنَّ هذه البُيُوتَ كلَّهَا هُدمَت، لَمَّا جاء الإسلامُ، جهَّز رسولُ اللَّه ﷺ إلى كُلِّ بيتٍ من هذه سَرَايا تُخرِّبُه، وإلى تلك الأصنام من كسَّرَها، حتى لم يَبقَ للكعبَة ما يُضَاهيها، وعُبِدَ اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، كما سيأتي بيانُه وتفصيلُه في مواضعه، إن شاء اللَّهُ تعالى، وبه الثِّقَةُ.

خَبَرُ عَدْنَانَ جَدِّ عَرَبِ الحِجَاز

لا خلافَ أنَّ عدنانَ من سُلالة إسماعيلَ بن إبراهيمَ الخليلِ عليهما السَّلامُ، واختلفُوا في عدَّة الآباءِ بينَه وبين إسماعيلَ على أقوالٍ كثيرةٍ، فأكثَرُ ما قيلَ، أربعونَ أبًا، وهو الموجودُ عندَ أهلِ الكتابِ، أخذُوه من كتابِ رخيا، كاتبِ أرميا بنِ حلْقيا، على ما سنَذكُرُه، وقيل: بينَهما ثلاثونَ. وقيلَ: عشرونَ. وقيل: خمسةَ عشَرَ. وقيل: عشَرَةٌ. وقيل: تسعةٌ. وقيل: سبعةٌ. وقيل: إنَّ أقلَّ ما قيلَ في ذلك أربعةٌ؛ لما رواه موسى بنُ يعقوبَ، عن عبد اللَّه بن وهب بن زمعةَ الزَّمعيِّ، عن عمَّته، عن أُمِّ سلمَةَ، عن النَّبيِّ ﷺ، أنَّه قال: «**مَعَدُّ بنُ عدنانَ بن أُدَدَ بن زَنْد بن يَرَى بن أعراق الثَّرَى**»[1].

قالت أمُّ سلمة: فَزندٌ هو الهَمَيسَعُ، واليَرَى هو نبتٌ، وأعراقُ الثَّرَى هو إسماعيلُ؛ لأنَّه ابنُ إبراهيمَ، وإبراهيمُ لم تأكُله النَّارُ، كما أنَّ النَّارَ لا تأكُلُ الثَّرَى. قال الدَّارَقطني: لا نعرفُ زَندًا إلاَّ من هذا الحديث، وزَندَ بنَ الجَون، وهو أبو دُلامَةَ الشَّاعرُ.

قال الحافظُ أبو القاسم السُّهَيلِيُّ، وغيره من الأئمَّة: مُدَّةُ ما بينَ عدنانَ إلى زمنِ إسماعيلَ، أكثرُ من أن يكونَ بينهما أربعةُ آباءٍ، أو عشَرةٌ، أو عشرونَ وذلك أنَّ معدَّ بن عدنانَ كان عمرُه زَمَن بُختُ نَصَّرَ، ثنتَي عشرَةَ سنةً، وقد ذكر أبو جعفرٍ الطَّبَريُّ، وغيرُه، أنَّ اللَّه تعالى أوحَى في ذلك الزَّمان إلى أرمياءَ بنِ حلقيا: أن اذهَب إلى بُختُ نصَّرَ، فأعلِمهُ أنِّي قد سلَّطتُه على العَرَب. وأمَرَ اللَّهُ أرميا أن يحملَ معه معدَّ بن عدنانَ على البُراقِ؛ كي لا تُصيبَه النِّقمَةُ فيهم، فإنِّي مستخرجٌ من صُلبه

---

(١) **إسناده ضعيف:** لإبهام الراوي عن أم سلمة. أخرجه الحاكم (٢/ ٤٦٥) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٧٧ - ١٧٨).

نَبيًّا كريمًا أختمُ به الرُّسُلَ. ففعلَ أرميا ذلك، واحتملَ مَعدًّا على البُراق إلى أرضِ الشَّام، فنشأَ مع بني إسرائيل، ممَّن بَقِيَ منهم بعد خراب بيتِ المقدس، وتزوَّجَ هناك امرأةً اسمُها مُعانَةُ بنتُ جوشَنَ، من بني دُبِّ بنِ جُرهُم، قبل أن يرجعَ إلى بلاده، ثُمَّ عادَ بعدَ أن هَدَأت الفتنُ وتمحَّضَت جزيرةُ العربِ، وكان رخيا كاتبُ أرمياءَ، قد كَتَب نسَبَه في كتابٍ عندَه، ليكون في خزَانة أرمياءَ، فيحفَظَ نسَبَ مَعدٍّ كذلك. واللَّه أعلمُ. ولهذا كَرِه مالكٌ رحمه اللَّه، رفعَ النَّسَبِ إلى ما بعدَ عَدنانَ.

قال السُّهَيليُّ: وإنَّما تكلَّمنا في رفع هذه الأنساب، على مذهبِ مَن يَرَى ذلك ولم يكرَهه، كابنِ إسحاقَ والبخاريِّ والزُّبير بن بكَّارٍ والطبريِّ، وغيرهم من العُلماء، وأمَّا مالك رحمه اللَّهُ، فقد سُئِلَ عن الرَّجلِ يرفَعُ نسبَه إلى آدمَ، فكرِهَ ذلك، وقال له: من أينَ له علمُ ذلك؟ فقيل له: فإلى إسماعيلَ. فأنكرَ ذلك أيضًا، وقال: ومَن يُخبِرُه به؟ وكَرِه أيضًا أن يُرفَعَ في نسبِ الأنبياء، مثلَ أن يُقالَ: إبراهيمُ ابن فلانِ بن فلانٍ. هكذا ذَكَره المُعيطيُّ في كتابه. قال: وقولُ مالكٍ هذا نحوٌ ممّا رُوِيَ عن عُروةَ بن الزبيرِ، أنَّه قال: ما وَجَدنا أحدًا يَعرِفُ ما بينَ عَدنانَ وإسماعيلَ. وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّه قال: بينَ عدنانَ وإسماعيلَ ثلاثون أبًا، لا يُعرَفون، ورُوِي عن ابنِ عباسٍ أيضًا، أنَّه كان إذا بَلَغ عدنانَ يقولُ: كَذَب النَّسَّابُون، مرَّتَين أو ثلاثًا. والأصحُّ عن ابنِ مسعودٍ مثلُه. وقال عمرُ بن الخطاب: إنَّما نَنْتَسِبُ إلى عدنانَ. وقال أبو عُمَرَ ابنُ عبد البرِّ، في كتابه «الإنباهُ في معرفةِ قبائلِ الرُّواة»: رَوَى ابنُ لَهيعَةَ، عن أبي الأسوَد، أنَّه سَمعَ عُروةَ بنَ الزُّبيرِ يقولُ: ما وجَدنا أحدًا يَعرِفُ ما وراءَ عدنانَ، ولا ما وراءَ قحطانَ إلا تَخَرُّصًا. وقال أبو الأسود: سمعتُ أبا بكرِ بن سُليمانَ بن أبي حثمَةَ - وكان من أعلَمِ قُرَيشٍ بأشعارهم وأنسابهم - يَقولُ: ما وجَدنا أحدًا يَعرِفُ ما وراءَ مَعَدِّ بنِ عَدنانَ في شعرِ شاعرٍ، ولا علمِ عالمٍ. قال أبو عُمَرَ: وكان قومٌ من السَّلَف، منهم عبدُ اللَّه بنُ مسعودٍ، وعمرُو بن مَيمُونٍ الأوديُّ، ومحمدُ بنُ كعبٍ القُرظيُّ إذا تَلَوا: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]. قالوا: كَذَب النَّسَّابُون.

قال أبو عُمَرَ رحمَه الله: والمعنَى عندَنا في هذا، غيرُ ما ذَهَبُوا، والمرادُ أنَّ مَن ادَّعَى إحصاءَ بني آدمَ، فإنَّهم لا يَعلَمُهم إلاَّ اللَّهُ الذي خلَقَهم، وأمَّا أنسابُ العرب؛ فإنَّ أهلَ العلم بأيامها وأنسابها وقد وَعَوا وحَفِظُوا جماهيرَها وأُمَّهاتِ قبائلِها، واختلَفُوا في بعضِ فُرُوعِ ذلك.

قال أبو عُمَرَ: والذي عليه أئمَّةُ هذا الشَّأن في نسب عَدنانَ، قالوا: عدنانُ بنُ أُدَدَ بنِ مُقَوِّمِ بنِ ناحورِ بنِ تَيرَحَ بنِ يعرُبَ بنِ يَشجُبَ بنِ نابتِ بنِ إسماعيلَ بن إبراهيمَ الخليلِ، عليهما السَّلامُ، وهكذا ذَكَرَه محمدُ بنُ إسحاقَ بن يسارٍ في «السيرة».

قال ابن هشام: ويُقالُ عَدنانُ بنُ أُدٍّ يعني: عَدنانَ بنَ أُدِّ بنِ أُدَدَ. ثُمَّ ساقَ أبو عُمرَ بقيَّةَ النَّسَبِ إلى آدمَ، كما قدَّمناه في قصَّةِ الخليلِ عليه السَّلام، وأمَّا الأنسابُ إلى عدنانَ من سائرِ قبائلِ العرب، فمحفوظةٌ شهيرةٌ جدًا، لا يتمارَى فيها اثنان، والنَّسَبُ النَّبَويُّ إليه أظهرُ وأوضحُ من فَلَقِ الصُّبحِ،

وقد وَرَد حديثٌ مرفوعٌ بالنَّصِّ عليه، كما سنُورِدُه في موضعِه بعد الكلام على قبائلِ العرب، وذِكرِ أنسابِها وانتظامِها في سلكِ النسب الشَّريفِ والأصلِ المُنيفِ، إن شاء اللَّهُ تعالى وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكلانُ، ولا حولَ ولا قوة إلا باللَّهِ العزيزِ الحكيمِ. وما أحسَنَ ما نظَمَ النَّسَبَ النَّبويَّ، الإمامُ أبو العبَّاسِ عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ النَّاشِئُ، في قصيدَتِه المشهورةِ المنسوبةِ إليه، وهي قولُهُ:

مدَحْتُ رَسولَ اللَّهِ أَبْغي بمدحِه ... وُفُورَ حُظُوظي مِن كريمِ المآرِبِ
مدَحْتُ امرءاً فاقَ المَديحَ مُوَحَّداً ... بأوصافِه عن مُبعِدٍ ومُقارِبِ
نبيّاً تَسامَى في المَشارِقِ نورُهُ ... فَلاحَتْ هَوادِيهِ لأهلِ المغارِبِ
أَتَتْنا به الأنباءُ قبلَ مَجيئِه ... وشاعتْ به الأخبارُ في كلِّ جانبِ
وأصبَحت الكُهَّانُ تَهْتِفُ باسمِه ... وتَنْفي به رَجْمَ الظُّنُونِ الكواذبِ
وأُنطِقَت الأَصنامُ نُطقاً تَبَرَّأَتْ ... إلى اللَّهِ فيه من مَقالِ الأكاذبِ
وقالتْ لأهلِ الكفرِ قولاً مُبَيِّناً ... أتاكم نبيٌّ من لُؤَيِّ بنِ غالبِ
ورامَ اسْتِراقَ السَّمْعِ جِنٌّ فزُيِّلَتْ ... مقاعدَهم منها رُجومُ الكواكبِ
هَدانا إلى ما لم نَكُنْ نَهْتَدي له ... لطُولِ العَمَى من واضحاتِ المذاهبِ
وجاءَ بآياتٍ تُبَيِّنُ أَنَّها ... دلائلُ جَبَّارٍ مُثيبٍ مُعاقبِ
فمنها انشقاقُ البدرِ حينَ تَعَمَّمَتْ ... شُعُوبُ الضِّيا منه رُءُوسَ الأخاشبِ
ومنها نُبُوعُ الماءِ بينَ بَنانِه ... وقد عَدِمَ الوُرَّادُ قُرْبَ المشاربِ
فرَوَّى به جَمّاً غَفيراً وأَسْهَلَتْ ... بأعناقِه طَوْعاً أَكُفُّ المَذانبِ
وبئرٌ طغتْ بالماءِ من مسِّ سَهْمِه ... ومن قبلُ لم تسمحْ بمَذْقَةِ شاربِ
وضَرْعٌ مَراهُ فاسْتَدَرَّ ولم يَكُنْ ... به دَرَّةٌ تُصغي إلى كفِّ حالبِ
ونُطقٌ فَصيحٌ مِن ذراعٍ مُبِينةٍ ... لكَيْدِ عَدُوٍّ للعَداوةِ ناصبِ
وإخبارُه بالأمرِ من قبلِ كَوْنِه ... وعندَ بَواديه بما في العَواقبِ
ومن تِلْكُمُ الآياتِ وَحْيٌ أَتَى به ... قريبُ المآتي مُسْتَجِمُّ العجائبِ
تَقاصَرَت الأفكارُ عنه فلم يُطِعْ ... بليغاً ولم يَخْطُرْ على قلبِ خاطبِ
حوَى كلَّ علمٍ واحْتَوَى كلَّ حكمةٍ ... وفاتَ مَرامَ المُستَمِرِّ المُواربِ
أتانا به لا عن رَوِيَّةِ مُرْتَئٍ ... ولا صُحُفِ مُسْتَمِلٍ ولا وَصْفِ كاتبِ
يُواتيه طَوْراً في إجابةِ سائلٍ ... وإفتاءِ مُسْتَفْتٍ ووَعْظِ مخاطبِ
وإتيانِ بُرْهانٍ وفَرْضِ شَرائعٍ ... وقَصِّ أحاديثٍ ونَصِّ مآربِ
وتصريفِ أمثالٍ وتَثْبيتِ حُجَّةٍ ... وتعريفِ ذي جَحْدٍ وتَوقيفِ كاذبِ
وفي مَجْمَعِ النَّادي وفي حَوْمَةِ الوَغَى ... وعندَ حُدُوثِ المُعْضِلاتِ الغَرائبِ
فيأتي على ما شئتَ من طُرُقاته ... قَويمَ المعاني مُسْتَدَرَّ الضَّرائبِ
يُصدِّقُ منه البعضُ بعضاً كأنَّما ... يُلاحَظُ معناه بعَيْنِ المُراقبِ

وعجزُ الورَى عن أن يَجيئُوا بمثلِ ما … وَصفْناهُ معلومٌ بطُولِ التَّجارِبِ
تأبَّى بعبدِ اللَّه أكْرَمِ والدٍ … تَبَلَّجَ منه عن كَريمِ المناسبِ
وشَيْبَةَ ذي الحَمْد الذي فخَرَتْ بهِ … قُريشٌ على أهلِ العُلا والمناصبِ
ومَن كان يُسْتَسْقَى الغَمامُ بوجهِه … ويُصْدَرُ عن آرائه في النَّوائبِ
وهاشمٍ الباني مَشيدَ افتخارِه … بغُرِّ المَساعي وامْتنانِ المواهبِ
وعبدِ مَناف وَهوَ عَلَّمَ قومَه أشـ … ـتطاعَ الأماني واحتكَامَ الرَّغائبِ
وإنَّ قُصَيّاً من كريمٍ غِراسه … لَفي مَنْهلٍ لم يَدْنُ من كَفِّ قاضبِ
به جَمعَ اللَّهُ القَبائلَ بعدَما … تَقَسَّمَها نَهَبُ الأكُفِّ السَّوالبِ
وحَلَّ كلابٌ من ذُرَى المجد مَعْقلاً … تَقاصَرَ عنه كلُّ دانٍ وغائبِ
ومُرَّةُ لم يَحْلُلْ مَريرةَ عَزْمِه … سفاهُ سفيهٍ أو مَحُوبةُ حائبِ
وكَعبٌ عَلا عن طالبِ المجد كَعْبُهُ … فَنال بأدْنَى السَّعْيِ أعلَى المراتبِ
وألْوَى لُؤَىٌّ بالعُداة فطُوِّعَتْ … له هِمَمُ الشُّمِّ الأُنوف الأغالبِ
وفي غالبٍ بَأسٌ أبَى البأسُ دُونَهمْ … يُدافِعُ عنهم كلَّ قِرْنٍ مُغالِبِ
وكانتْ لفِهْرٍ في قُريشٍ خَطابَةٌ … يَعُوذُ بها عندَ اشتجارِ المَخاطبِ
وما زالَ منهم مالكٌ خيرَ مالك … وأكْرَمَ مَصْحُوبٍ وأكرمَ صاحبِ
وللنَّضْرِ طَوْلٌ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دونَهُ … بحيثُ الْتَقَى ضَوءُ النُّجومِ الثَّواقبِ
لَعَمْرِي ،لقد أبْدَى كنانةُ قَبْلَه … مَحاسنَ تأبَى أن تَطُوعَ لغالبِ
ومن قبلهِ أبقى خُزَيْمةُ حَمْدَهُ … تَليدَ تُراث عن حَميدِ الأقاربِ
ومُدْرِكَةٌ لم يُدْرِك النَّاسُ مِثْلَه … أعَفَّ وأعْلَى عن دَنِيِّ المَكاسبِ
وإلياسُ كان اليأسُ منه مُقارنًا … لأعدائه قَبْلَ اعتدادِ الكتائبِ
وفي مُضَرٍ يَسْتَجْمِعُ الفخرَ كلَّه … إذا اعْتَرَكَتْ يومًا زُحُوفُ المقانبِ
وحَلَّ نزارٌ من رياسةِ أهلِه … مَحَلاً تَسامَى عن عُيُونِ الرَّواقبِ
وكانَ مَعَدٌّ عُدَّةً لوَليِّهِ … إذا خافَ من كيدِ العدوِّ المُحارِبِ
وما زالَ عَدْنانٌ إذا عُدَّ فَضْلُهُ … تَوَحَّدَ فيه عن قَرينٍ وصاحبِ
وأُدٌّ تَأَدَّى الفضلُ منه بغايةٍ … وإرْث حَواهُ عن قُرُومٍ أشايِبِ
وفي أُدَد حِلمٌ تَزَيَّنَ بالحِجا … إذا الحِلْمُ أزْهاهُ قُطوبُ الحَواجبِ
ومن زال يَسْتَعْلي هَمَيْسَعُ بالعُلى … ويَتْبَعُ آمالَ البعيدِ المراغبِ
ونَبتٌ بَنَتْهُ دَوحَةُ العِزِّ وابتنى … مَعاقلَه في مُشْمَخِرِّ الأهاضبِ
وحيزَتْ لقيدار سَماحةُ حاتمٍ … وحكمةُ لُقمانٍ وهمَّةُ حاجبِ
هُمُو نَسْلُ إسماعيلَ صادقِ وَعدِه … فَما بَعدَهُ في الفخرِ مَسعًى لذاهبِ
وكان خليلُ اللَّه أكْرَمَ مَن عَنَتْ … له الأرضُ من ماشٍ عليها وراكبِ
وتارِحُ ما زالتْ له أرْيَحِيَّةٌ … تُبَيِّنُ منه عن حَميدِ المَضاربِ

وناحُورُ نَحَّارُ العدَى حُفظَتْ له ... مآثرُ لَمَّا يُحصِها عَدُّ حاسب
وأَشرَعُ في الهَيْجاء ضَيْغمُ غابة ... يَقُدُّ الطُّلَى بالمُرْهَفات القواضب
وأرغَوُ نابٌ في الحروب مُحكَّمٌ ... ضَنينٌ على نَفس المُشحِّ المُغالب
وما فالغٌ في فَضْله تلْوَ قَومه ... ولا عَابرٌ من دُونهمْ في المراتب
وشالخ وأَرْفَخْشَذْ وسَامٌ سَمتْ بهمْ ... سَجايا حَمَتْهمْ كلَّ زار وعائب
وما زال نوحٌ عندَ ذي العرشِ فاضلاً ... يُعَدِّدُه في المُصْطَفَينَ الأطايب
ولَمْكٌ أبوه كان في الرَّوْعِ رائعًا ... جريئًا على نفس الكَميِّ المُضارب
ومن قَبْلِ لمك لم يَزَلْ مُتَوَشْلخٌ ... يَذُودُ العدَى بالذَّائدات الشَّوازب
وكانتْ لإدريسَ النَّبيِّ منازلٌ ... من اللَّه لَم تُقْرَنْ بهَمَّة راغب
ويارَدُ بحرٌ عندَ آل سَراته ... أَبيٌّ الخَزايا مُسْتَدقٌّ المآرب
وكانتْ لمهلاييلَ فَهْمُ فضائلٍ ... مُهَذَّبة من فاحشات المَثالب
وقَيْنانُ من قَبْلُ اقْتَنَى مَجْدَ قومه ... وفاتَ بشَأو الفضلِ وَخْدَ الرَّكائب
وكان أَنُوشٌ ناشَ للمَجد نَفْسَهُ ... ونَزَّهَها عن مُرديات المَطالب
وما زال شيثٌ بالفضائلِ فاضلاً ... شريفًا بريئًا من ذميم المعائب
وكلُّهمْ مِن نورِ آدمَ أُقْبِسُوا ... وعن عُوده أجْنَوْا ثمارَ المناقب
وكان رسولُ اللَّه أكرمَ مُنْجَب ... جَرَى في ظُهُورِ الطَّيِّبين المَناجب
مُقابَلَةً آباؤهُ أُمَّهاتهَ ... مُبَرَّأَةٌ من فاضحات المَثالب
عليه سَلامُ اللَّهِ في كلِّ شارِقٍ ... ألاحَ لنَا ضَوْءاً وفي كُلِّ غارِبِ

هكذا أورَدَ القصيدةَ الشيخُ أبو عُمرَ بنُ عبدِ البرِّ، وشيخُنا الحافظُ أبو الحَجَّاج المِزِّيُّ في «تهذيبه» من شِعرِ الأُستاذِ أبي العبَّاسِ عبدِ اللّهِ بن محمدِ النَّاشِئِ، المعروفِ بابنِ شِرشِيرٍ، أصلُه مِن الأنبارِ، وَرَدَ بَغدادَ، ثُم ارتحلَ إلىٰ مِصرَ، فأقام بها حتىٰ مات سنةَ ثلاثٍ وتسعين ومائتين، وكان مُتَكلِّمًا مُعتَزليًا، يحكي عنه الشيخُ أبو الحسنِ الأشعريُّ في كتابِهِ «المقالات» فيما يَحكي عن المُعتزلَة، وكان شاعراً مُطبِّقًا، حتىٰ إنَّ من جملةِ اقتدارِه علىٰ الشِّعرِ، كان يُعاكِسُ الشُّعراءَ في المعاني، فيَنظمُ في مُخالفَتِهم، ويَبتكِرُ ما لا يُطيقُونَه مِن المعاني البديعةِ والألفاظِ البَليغةِ، حتىٰ نَسَبَه بعضُهم إلىٰ التَّهَوُّسِ والاختلاطِ، وذَكَر الخطيبُ البغداديُّ أنَّ له قصيدةً علىٰ قافيةٍ واحدةٍ قريبًا من أربعةِ آلافِ بيتٍ، ذكرَها النَّاجِمُ وأرَّخ وفاته كما ذكرنا.

قلتُ: وهذه القصيدةُ تدلُّ علىٰ فضيلَته وبَراعَته، وفَصاحَته وبَلاغَته، وعلمه وفهَمه، وحفظه وحُسنِ لَفظه، واطِّلاعه واضطِلاعه، واقتدارِه علىٰ نَظمِ هذا النَّسَبِ الشَّريف في سلك شعرِه، وغَوصِه علىٰ هذه المعاني، التي هي جواهِرُ نَفيسةٌ مِن قاموسِ بحرِه، فرَحِمَه اللَّهُ وأثابَه، وأحسَنَ مصيرَه وإيابَه.

ذكر أصول أنساب عرب الحجاز إلى عدنان

وذلك لأنَّ عَدنانَ وُلِدَ له وَلَدان؛ مَعَدٌّ وَعَكٌّ. قال السُّهيليُّ: ولعَدنانَ أيضًا ابنٌ اسمُه الحارثُ، وآخَرُ يُقالُ له: المُذْهَبُ. قال: وقد ذُكر أيضًا في بنيه الضَّحَّاكُ، وقيل: إنَّ الضَّحَّاكَ ابنٌ لمَعدٍّ، لا ابنُ عدنانَ. قال: وقيل: إنَّ عَدَنَ، الذي تُعرَفُ به مدينةُ عَدَنَ، وكذلك أبيَنُ، كانا ابنَيْن لعَدنانَ، حكاه الطبريُّ. فتزوَّج عَكٌّ في الأشعَريِّين، وسَكَن في بلادهم من اليمنِ، فصارَتْ لُغَتُهم واحدةً، فزَعَمَ بعضُ أهلِ اليمنِ أنَّهم منهم، فيقولون: عَكُّ بنُ عدنانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الأزدِ بنِ يغوثَ. ويُقالُ: عَكُّ بنُ عَدنانَ بنِ الذِّيبِ بن عبدِ اللَّهِ بنِ الأسدِ. ويُقالُ: «الرِّيثُ» بَدَلَ «الذِّيبِ» والصحيحُ ما ذَكَرنا مِن أنَّهم من عَدنانَ. قال عبَّاسُ بنُ مرداسٍ:

وعَكُّ بنُ عَدنانَ الذين تَلَقَّبُوا ... بغَسَّانَ حتَّى طُرِّدُوا كُلَّ مَطرَدِ

وأمَّا مَعَدٌّ، فوُلِدَ له أربعةٌ؛ نزارٌ، وقُضاعةُ، وقَنَصٌ، وإيادٌ، وكان قُضاعةُ بكْرَه، وبه كان يُكنَى. وقد قدَّمنا الخلافَ في قُضاعةَ، ولكنَّ هذا هو الصحيحُ عندَ ابنِ إسحاقَ وغيرِه. واللَّهُ أعلمُ.

وأمَّا قَنَصٌ، فيُقالُ: إنَّهم هَلَكُوا، ولم يبقَ لهم بقيَّةٌ، إلاَّ أنَّ النُّعمانَ بنَ المُنذرِ الذي كان نائبًا لكسرَىٰ على الحيرةِ، كان مِن سُلالتِه، على قولِ طائفةٍ من السَّلَفِ، وقيل: بل كان مِن حِمْيَرَ، كما تقدَّم. واللَّهُ أعلمُ.

وأمَّا نِزارٌ، فوُلِدَ له رَبيعةُ ومُضَرُ وأنمارٌ. قال ابنُ هشامٍ: وإيادُ بنُ نزارٍ، كما قال الشاعرُ:

وفُتُوٌّ حَسَنٌ أوجُهُهُمْ ... مِنْ إيادِ بنِ نزارِ بنِ مَعَدّ

قال: وإيادٌ ومُضَرُ شَقيقان؛ أمُّهُما سَودَةُ بنتُ عكِّ بنِ عدنانَ، وأمُّ رَبيعةَ وأنمارٍ شُقَيقةُ بنتُ عَكِّ بنِ عدنانَ، ويُقالُ: جُمعَةُ بنتُ عَكِّ بنِ عدنانَ.

قال ابنُ إسحاق: فأمَّا أنمارٌ، فهو والدُ خثعَمٍ وبَجيلَةَ، قبيلةِ جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَليِّ. قال: وقد تَيامَنَتْ فَلحِقَت باليمنِ.

قال ابن هشام: وأهلُ اليمنِ يَقولون: أنمارُ بنُ إراشِ بنِ لحيانَ بنِ عمرِو بنِ الغَوثِ بنِ نَبْتِ بنِ مالكِ بنِ زيدِ بنِ كَهلانَ بنِ سبإٍ. قلتُ: والحديثُ المُتَقَدِّمُ في ذكرِ سَبَإٍ يَدُلُّ على هذا. واللَّهُ أعلم.

قالوا: وكان مُضَرُ أولَ من حَدَا؛ وذلك لأنَّه كان حَسَنَ الصَّوتِ، فسَقَطَ يومًا عن بعيرِه، فوَثَبَت يدُه، فجَعَلَ يقولُ: وايَدَيَاهُ، وايَدَيَاه، فأعنقَت الإبلُ لذلك. قال ابنُ إسحاقَ: فولَدَ مُضَرُ بنُ نزارٍ رَجُلَين؛ إليَاسَ وعَيلانَ، ووُلِدَ لإليَاسَ مُدرِكَةُ وطَابِخةُ وقَمَعَةُ، وأُمُّهُم خندفُ بنتُ عمرانَ بنِ الحافِ ابنِ قُضَاعَةَ. قال ابنُ إسحاقَ: وكان اسمُ مُدرِكَةَ عامرًا، واسمُ طابِخَةَ عَمرًا، ولكن اصطادَ صَيدًا، فبَيْنا هما يَطبُخانه إذ نَفَرَت الإبلُ، فذَهَبَ عامرٌ في طَلَبِها حتى أدرَكَها، وجلَس الآخَرُ يَطبُخُ، فلمَّا راحا على أبيهما ذَكَرا له ذلك، فقال لعامرٍ: أنت مُدرِكَةُ. وقال لعَمرٍو: أنت طابِخَةُ. قال: وأمَّا قَمعَةُ، فيَزعُمُ نُسَّابُ مُضَرَ، أنَّ خُزاعةَ مِن وَلَدِ عَمرِو بنِ لُحَيِّ بنِ قَمَعَةَ بنِ إلياسَ. قلتُ: والأظهَرُ أنَّهُ

منهم. لا والدُهم، وأنَّهم من حِميَرَ، كما تقدَّمَ، واللَّهُ أعلم.

قال ابنُ إسحاقَ: فولَدَ مُدركةُ خُزيمةَ وهُذَيلاً، وأُمُّهما امرأةٌ من قُضاعَةَ، وولَدَ خزيمةُ كنانَةَ وأسَدًا وأسَدَةَ والهُونَ قال: وولَدَ كنانَةُ النَّضرَ ومالكًا وعبدَ مناةَ وملكَانَ. وزاد أبو جعفرٍ الطبريُّ في أبناءِ كنانةَ على هؤلاء الأربعةِ، عامرًا والحارثَ والنُّضَيرَ وغَنمًا وسَعدًا وعَوفًا وجَرولاً والحُدَالَ وغَزوانَ.

الكلامُ على قريشٍ نسبًا واشتقاقًا وفضلاً، وهم بنو النَّضرِ بن كنانة

قال ابنُ إسحاقَ: وأُمُّ النَّضرِ بَرَّةُ بنت مُرِّ بن أدِّ بنِ طابِخَةَ، وسائرُ بَنيه لامرأةٍ أخرى. وخالفَه ابنُ هشامٍ. فجعَل بَرَّةَ بنتَ مُرٍّ أُمَّ النَّضرِ ومالكٍ وملكانَ، وأمَّ عبد مَنَاةَ هالةَ بنتَ سُويد بنِ الغطريفِ، مِن أزدِ شَنُوءَةَ. قال ابنُ هشامٍ: النَّضرُ هو قريشٌ، فمَن كان مِن ولَدِه، فهو قرشيٌّ، ومَن لم يكن من ولدِه فليس بقرشيٍّ. وقال: ويُقالُ: فِهرُ بنُ مالكٍ هو قريشٌ، فمَن كان من ولده فهو قرشيٌّ، ومَن لم يكنْ من ولده فليس بقرشيٍّ. وهذان القولان قد حكاهما غيرُ واحدٍ من أئمَّة علماء النَّسَبِ؛ كالشيخِ أبي عُمَرَ ابن عبدِ البَرِّ، والزبيرِ بن بَكّارٍ، ومُصْعَبٍ، وغيرِ واحدٍ. قال أبوعبيدٍ وابنُ عبدِ البَرِّ: والذي عليه الأكثرونَ أنه النَّضرُ بنُ كِنَانَةَ؛ لحديث الأشعَثِ بنِ قيسٍ. قلتُ: وهو الذي نَصَّ عليه هشامُ بنُ محمد بنِ السَّائبِ الكَلبيُّ، وأبو عبيدةَ مَعمَرُ بن المُثَنّى، وهو جادَّةُ مذهبِ الشافعيِّ رضي اللَّه عنه، ثُم اختارَ أبو عُمَرَ أنَّه فِهرُ بنُ مالكٍ، واحتجَّ بأنَّه ليس أحدٌ اليومَ مِمّن يَنتَسبُ إلى قريشٍ، إلاَّ وهو يَرجِعُ في نَسَبِه إلى فِهرِ بنِ مالكٍ، ثُمَّ حكَى اختيارَ هذا القولِ عن الزبيرِ بنِ بَكّارٍ، ومُصعَبٍ الزُّبيرِيِّ، وعليِّ ابن كيسانَ. قال: وإليهم المرجعُ في هذا الشأنِ، وقد قال الزبيرُ بنُ بكارٍ: وقد أجمَعَ نُسّابُ قريشٍ وغيرُهم، أنَّ قريشًا إنَّما تفرَّقَت عن فِهرِ بنِ مالكٍ. والذي عليه من أدركتُ من نُسّاب قريشٍ، أن ولَدَ فِهرِ بنِ مالكٍ قرشيٌّ، وأنَّ مَن جَاوزَ فِهرَ بنَ مالكٍ بنَسَبِه فليس من قريشٍ. ثُم نَصرَ هذا القولَ نَصرًا عزيزًا، وتحامَى له بأنَّه ونَحوَه أعلمُ بأنسابِ قومِهم وأحفظُ لمآثِرِهم.

وقد روَى البخاريُّ من حديثِ كُلَيب بن وائلٍ، قال: قلتُ لربيبةِ النبيِّ ﷺ - يعني زينبَ - في حديثٍ ذكَرَه -: أخبريني عن النبي ﷺ، أكان من مُضَرَ؟ قالت: فممَّن كان إلاَّ من مُضَرَ؟ من بني النَّضرِ بن كنانة(١).

وقال الطَّبرانيُّ: ثنا إبراهيمُ بن نائلَةَ الأصبهانيُّ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ عمرٍو البجليُّ، ثنا الحسنُ بن صالحٍ، عن أبيه، عن الجُفْشِيشِ الكنديِّ، قال: جاءَ قومٌ من كندَةَ إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالوا: أنت مِنّا. وادَّعَوْه، فقال: «**لا نَقْفُو أُمَّنا، ولا نَنْتَفِي من أبِينَا، نحن ولَدُ النَّضْرِ بن كنَانَةَ**»(٢).

---

(١) البخاري (٣٤٩١، ٣٤٩٢).

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢١٩٠) وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٩٥) وفيه إسماعيل بن عمرو البجلي ضعفه أبو حاتم والدارقطني ووثقه ابن حبان. وبقية رجاله ثقات.

وقال الإمامُ أبو عثمانَ سعيدُ بنُ يَحيَى بن سعيد: ثنا أبي، ثنا الكَلبيُّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: جاءَ رجلٌ من كِندةَ يقالُ له: الجُفْشِيشُ. إلى النبي، فقال: يا رسولَ اللَّه، إنَّا نزعمُ أنَّ عبد منافٍ منَّا. فأعرَضَ عنه، ثُمَّ عادَ فقال مثلَ ذلك، ثُمَّ أعرَضَ عنه، ثُم عادَ فقال مثلَ ذلك، فقال النبيُّ ﷺ: **«نحن بنو النَّضر بن كنانَةَ، لا نَقفُو أُمَّنا، ولا ننتفي من أبينَا»**(١). فقال الأشعثُ: ألا كنتَ سكتَّ في المرَّةِ الأولىٰ. فأبطَلَ ذلك من قولِهم، علىٰ لسانِ نبيه ﷺ. وهذا غريبٌ أيضًا من هذا الوجهِ، والكلبيُّ ضعيفٌ. واللَّهُ أعلم.

وقد قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا بهزٌ وعفَّانُ قالا: ثنا حمّادُ بن سلمةَ، ثنیٰ عقيلُ بن طلحةَ. وقال عفانُ: عقيلُ بن طلحة السُّلميُّ، عن مسلمِ بنِ الهيصم، عن الأشعث بن قيسٍ، أنَّه قال: أتيتُ رسولَ اللَّه ﷺ، في وفدٍ من كندَةَ. قال عفانُ: لا يَرَوني أفضَلَهم. قال: فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، إنّا نَزعمُ أنّكُم منّا. قال: فقال رسول الله ﷺ: **«نحن بنو النَّضر بن كنَانَةَ، لا نَقفُو أُمَّنا، ولا ننتفي من أبينَا»**(٢). قال: فقال الأشعثُ: فواللَّه لا أسمَعُ أحدًا نَفىٰ قريشًا من النَّضر بن كنانَةَ إلاَّ جلَدتُه الحَدَّ. وهكذا رَواه ابن ماجه من طُرُقٍ عن حمادِ بن سلمَةَ به. وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويٌّ، وهو فيصلٌ في هذه المسألة فلا التفاتَ إلىٰ قولِ من خالفه. واللَّهُ أعلم.

وقد قال جَريرُ بنُ عطيَّةَ التَّميميُّ، يَمدَحُ هشامَ بنَ عبدِ الملكِ بنِ مَرَوَانَ:

فـمـا الأمُّ الـتي ولَدت قـريشًا ... بمُقـرِفَـة النِّجَـار ولا عَـقـيمِ
ومـا قَـرْمٌ بـأنْجَـبَ مِـن أبـيكـم ... ولا خـالٌ بـأكـرَمَ من تـمـيـمِ

قال ابن هشام: يعني أُمَّ النَّضرِ بنِ كِنَانَةَ، وهي بَرَّةُ بنتُ مُرٍّ، أختُ تَميمِ بنِ مُرٍّ.

وأمّا اشتقاقُ قُريشٍ، فقيل: من التَّقَرُّشِ التَّجمُّعُ بعدَ التَّفرقِ، وذلك في زمنِ قُصيٍّ بن كلابٍ، فإنَّهم كانوا مُتفرِّقين، فجمعَهَم بالحرمِ، كما سيأتي بيانُه، وقد قال حذافةُ بن غانمٍ العدويُّ:

أبوكم قُـصيٌّ كـان يُـدعَى مُـجـمِّـعًـا ... بـه جـمَّـع الـلَّهُ الـقـبـائـلَ من فـهـرِ

وقال بعضهم: كان قُصيٌّ يقالُ له: قريشٌ. وقيل: من التَّجَمُّعِ.

والتُّقرُّشُ: التَّجمُّعُ، كما قال أبو خَلدَةَ اليَشكُريُّ:

إخـوةٌ قَـرَّشُـوا الذُّنوبَ علينا ... في حـديث مـن دهـرنـا وقـديـمِ

وقيل: سُمِّيَت قريشٌ من التَّقرشِ، وهو التكسُّبُ والتجارةُ. حكَاه ابنُ هشامٍ رحمه الله. وقال الجوهري: القرشُ: الكسبُ والجمعُ، وقد قَرشَ يَقرِشُ، قال الفَرَّاءُ: وبه سُمِّيَت قريشٌ، وهي قبيلةٌ، وأبوهم النَّضرُ بن كنانَةَ، فكلٌّ من كان من ولدِه، فهو قرشيٌّ دون ولدِ كنانَةَ فما فوقه. وقيل:

---

(١) **إسناده ضعيف**: وفيه الكلبي وهو ضعيف وله شاهد فيما يليه من حديث الأشعث بن قيس.

(٢) **إسناده لين**: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢١٢) ومسلم بن هيصم ذكره ابن حبان في «الثقات» وروىٰ عنه ثلاثة وبقية رجاله ثقات.

من التّفتيشِ. قال هشام بن الكلبيِّ: كان النضرُ بن كنانَةَ تَسَمَّى قُريشًا؛ لأنَّه كان يَقرُشُ عن خلَّةِ الناس وحاجتهم، فيسُدُّها بماله، والتَّقرُشُ هو التفتيشُ، وكان بنُوه يقرُشُون أهل الموسمِ عن الحاجة، فيَرفِدُونهم بما يُبلِّغهم بلادَهم، فسُمُّوا بذلك؛ مِن فعلِهم وقَرشِهم قريشًا، وقد قال الحارثُ بنُ حِلِّزة في بَيانِ أنَّ التَّقرشَ التفتيشُ:

أيُّها الناطقُ المُقَرِّشُ عنّا ... عندَ عمرٍو فهل له إبقاءُ

حكى ذلك الزبيرُ بنُ بَكّارٍ. وقيل: قريشٌ تصغيرُ قِرْشٍ، وهو دابَّةٌ في البحرِ. قال بعض الشُّعراء:

وقريشٌ هي التي تسكُنُ البَحْـ ... ـرَ بها سُمِّيَت قريشٌ قريشا

قال البيهقيُّ: أخبرنا أبو نصرِ بنُ قتادةَ، ثنا أبو الحسنِ عليُّ بن عيسى الماليِنيُّ، حدثنا محمد بن الحسن بن الخليلِ النَّسَويُّ، أنَّ أبا كُريبٍ حدَّثهم، حدَّثنا وكيع بن الجراحِ، عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن أبي رُكانَةَ العامريِّ، أنَّ معاويةَ قال لابنِ عباسٍ: فلِمَ سُمِّيَت قريشٌ قريشًا؟ فقال: لدابَّةٍ تكونُ في البحرِ، تكونُ أعظمَ دوابِّه يقالُ لها: القِرشُ. لا تَمُرُّ بشيءٍ مِن الغَثِّ والسَّمينِ إلاَّ أكلته. قال: فأنشدني في ذلك شيئًا. فأنشَدَه شعرَ الجُمَحيِّ إذ يقولُ:

وقريشٌ هي التي تسكُنُ البحـ ... ـرَ بها سُمِّيت قريشٌ قريشا

تأكُلُ الغثَّ والسَّمينَ ولا تَتْـ ... ـرُكُ منها لذي جَناحَين ريشا

هكذا في البلادِ حيُّ قريشٍ ... يأكلون البلادَ أكلاً كَميشا

ولهم آخرَ الزمانِ نبيٌّ ... يُكثِرُ القَتلَ فيهم والخُموشا

وقيل: سُمُّوا بقريشِ بنِ الحارث بن يخلُدَ بنِ النَّضرِ بنِ كنَانَةَ، وكان دليلَ بني النَّضرِ وصاحبَ ميرَتِهم، فكانت العربُ تقولُ: قد جاءت عيرُ قريشٍ. قالوا: وابنُه بَدرُ بنُ قريشٍ هو الذي حفَر البئرَ المنسوبةَ إليه، التي كانت عندَها الوقعةُ العُظمَى يومَ الفرقانِ، يومَ التقى الجمعانِ. واللَّهُ أعلمُ.

ويقالُ في النِّسبةِ إلى قريشٍ: قُرشيٌّ، وقُرَيشيٌّ. قال الجوهريُّ: وهو القياسُ، قال الشاعرُ:

بكلِّ قُريشيٍّ عليه مَهابةٌ ... سريعٍ إلى داعي النَّدَا والتَّكرُّمِ

قال: فإن أردتَ بقريشٍ الحيَّ صَرَفته، وإن أردتَ القبيلةَ منعتَه، قال الشاعرُ في تركِ الصَّرفِ:

وكَفَى قريشَ المُعضِلاتِ وَسَادَها

وقد روى مسلمٌ في «صحيحه» من حديث عمرٍو الأوزاعيِّ، قال: حدثني شدادٌ أبو عمارٍ، حدثني واثلةُ بن الأسقَعِ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللَّهَ اصطفَى كنَانَةَ من ولد إسماعيلَ، واصطفَى قُريشًا من كنَانَةَ، واصطفَى من قريش بني هاشم، واصطفَاني من بَني هاشم»**[1]. قال أبو عُمَرَ ابن عبدِ البرِّ: يقالُ: بنو عبدِ المطلبِ فَصيلَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وبنو هاشمٍ فَخِذُه، وبنو عبد

(١) مسلم (٢٢٧٦).

مَنَاف بَطنُه، وقريشٌ عِمارتُه، وبنو كِنَانَةَ قبيلتُه، ومُضَرُ شعبُه، صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه دائمًا إلى يوم الدينِ.

ثم قال ابن إسحاقَ: فولدَ النَّضرُ بن كنانَةَ مالكًا ويخلُدَ. قال ابن هشامٍ: والصَّلْتَ، وأُمُّهم جميعًا بنت سعد بنِ الظَّرِب العدوانيِّ، قال كثيرُ بن عبدِ الرحمنِ، وهو كثيرُ عزَّةَ، أحدُ بني مُليحِ بن عمرو، من خُزاعةَ:

أليسَ أبي بالصَّلت أم ليس إخوتي	لكلِّ هجَانٍ من بني النَّضر أزهَرَا
رأيتُ ثيابَ العَصبِ مُختلطَ السَّدَى	بنا وبهم والحَضرميَّ المُخَصَّرَا
فإن لم تكونوا من بني النَّضر فاتركُوا	أرَاكًا بأذناب الفوائج أخضَرَا

قال ابن هشام: وبنو مُليحِ بن عمرٍو يُعزونَ إلى الصَّلتِ بنِ النَّضرِ.

قال ابن إسحاقَ: فولدَ مالكُ بنُ النضرِ فهرَ بن مالكٍ، وأمُّهُ جَندَلَةُ بنت الحارث بن مضاضٍ الأصغرِ، وولَدَ فهرٌ غالبًا ومُحاربًا والحارثَ وأسدًا، وأُمهم ليلى بنت سعدِ بن هُذيلِ بن مُدرِكَةَ.

قال ابن هشام: وأختُهم لأبوَيهم جندَلَةُ بنتُ فهرٍ. قال ابنُ إسحاقَ: فولَدَ غالبُ بنُ فهرٍ لُؤَيَّ بن غالبٍ، وتيمَ بن غالبٍ، وهم الذين يُقالُ لهم: بنو الأدرَم، وأُمُّهما سلمَى بنت عمرو الخُزاعيِّ. قال ابن هشامٍ: وقيسُ بن غالبٍ وأمُّه سَلمَى بنت كعب بن عمرو الخُزاعيِّ، وهي أمُّ لُؤيٍّ وتَيمِ ابنَي غالبٍ. قال ابن إسحاقَ: فولَدَ لُؤَيُّ بنُ غالبٍ أربعةَ نفرٍ؛ كعبًا وعامرًا وسامةَ وعوفًا. قال ابن هشامٍ: ويقالُ: والحارثَ، وهم جُشمُ بنُ الحارث، في هِزّانَ، من ربيعةَ، وسعدَ بنَ لؤيٍّ، وهم بنانَةُ، في شَيبَانَ بنِ ثعلبَةَ، وبُنانَةُ حاضنَةٌ لهم، وخُزيمَةَ بن لُؤيٍّ، وهم عائذةُ، في شيبانَ بنِ ثعلبةَ.

ثم ذكر ابن إسحاقَ خبرَ سامَةَ بن لُؤيٍّ، وأنه خرجَ إلى عُمانَ فكان بها، وذلك لشَنَآنٍ كان بينه وبين أخيه عامرٍ، فأخَافَه عامرٌ، فخرج عنه هاربًا إلى عُمَانَ، وأنَّه مات بها غريبًا، وذلك أنَّه كان يَرعَى ناقتَه، فَعَلقَتْ حيَّةٌ بمشفَرِها، فوقعت لشقِّها، ثم نَهشتِ الحيةُ سامةَ حتى قتَلته، فيُقالُ: إنَّه كتب بأُصبُعِه على الأرضِ:

عَينُ فابكي لسامةَ بنِ لُؤَيٍّ	علقَتْ ما بسَامةَ العَلاَّقَهْ
لا أرَى مثلَ سامةَ بنِ لُؤَيٍّ	يومَ حَلُّوا به قَتِيلاً لناقَهْ
بَلِّغا عامرًا وكعبًا رسولاً	أنَّ نفسي إليهما مُشتَاقَهْ
إن تكُنْ في عُمَانَ داري فإني	غالبيٌّ خَرجْتُ من غيرِ فاقَهْ
رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا بنَ لُؤَيٍّ	حَذَرَ الموت لم تَكُنْ مُهْرَاقَهْ
رُمتَ دفعَ الحُتُوف يا بنَ لُؤَيٍّ	ما لمَن رامَ ذاك بالحَتْفِ طاقَهْ
وخَرُوسَ السُّرَي تَركْتَ رَذيًّا	بعدَ جِدٍّ وجِدَّةٍ ورَشَاقَهْ

قال ابن هشام: وبَلَغَني أنَّ بعض ولده أتىٰ رسول الله ﷺ، فانتَسَبَ إلىٰ سامة بن لُؤَيٍّ، فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «**آلشَّاعرُ؟**» فقال له بعضُ أصحابه: كأنَّك يا رسولَ اللَّه أردتَ قوله:

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتَ يا ابنَ لُؤَيٍّ ... حَذَرَ الموتِ لم تكنْ مُهْرَاقَهْ

فقال: «**أجَلْ**».

وذكر السُّهيليُّ: عن بعضهم أنَّه لم يُعقب. وقال الزبيرُ: وَلَد سامةُ ابنُ لُؤيٍّ غالبًا والنَّبيتَ والحارث. قالوا: وكانت له ذريةٌ بالعراق يُبغضُون عليًّا، ومنهم عليُّ بن الجعد، كان يشتُمُ أباه لكونه سمّاه عليًّا، ومن بني سامةَ بني لؤيٍّ محمدُ بن عرعَرَةَ بن البِرِند شيخُ البخاريِّ.

وقال ابن إسحاق: وأما عوفُ بنُ لُؤيٍّ؛ فإنه خرج ـ فيما يزعُمونَ ـ في ركبٍ من قريشٍ، حتىٰ إذا كان بأرضِ غطفَانَ بن سعد بن قيسِ بن عيلانَ أُبطِئَ به، فانطَلَقَ من كان معه من قومه، فأتاه ثعلبةُ بنُ سعدٍ، وهو أخوه في نَسَبِ بني ذُبيَانَ، فحَبَسَه وزوَّجَه والتاطَه وآخاه، فشاع نسَبُه في ذُبيَانَ وثعلبةَ، فيما يزعُمون.

قال ابن إسحاق: وحدَّثني محمدُ بن جعفرِ بن الزُّبير، أو محمدُ بنُ عبدِ الرحمن بن عبد اللَّه بن الحصين، أنَّ عُمَرَ بن الخطَّاب قال: لو كنتُ مُدَّعيًا حيًّا من العرب أو مُلحقَهم بنا، لادَّعيتُ بني مُرَّةَ ابن عوفٍ، إنّا لنَعرِفُ فيهم الأشبَاه، مع ما نَعرفُ مع موقعِ ذلك الرجلِ حيثُ وقَع. يعني عوفَ بن لُؤيٍّ[1].

قال ابن إسحاق: وحدثني من لا أتَّهم، أنَّ عمر بن الخطاب قال لرجالٍ منهم من بني مُرَّةَ: إن شئتُم أن ترجعوا إلىٰ نسبِكم، فارجعُوا إليه. قال ابن إسحاق: وكان القومُ أشرافًا في غطفانَ، هم سادَتهم وقادتُهم، قومٌ لهم صيتٌ في غطفَانَ وقيسٍ كلِّها، فأقامُوا علىٰ نسبِهم. قال: وكانوا يقولون إذا ذُكِرَ لهم نسبُهم: ما نُنكره، وما نَجحدُه، وإنه لأحبُّ النَّسَبِ إلينا. ثم ذكَر أشعارَهم في انتمائهم إلىٰ لُؤيٍّ[2]. قال ابن إسحاق: وفيهم كان البَسلُ، وهو تحريمُ ثمانيةِ أشهرٍ لهم من كلِّ سنةٍ من بين العربِ، وكانت العربُ تَعرفُ لهم ذلك، ويأمَنُونهم فيها، ويؤمِّنُونَهم أيضًا. قُلتُ: وكانت ربيعةُ ومُضرُ إنَّما يحرِّمونَ أربعة أشهُرٍ من السَّنةِ، وهي: ذو القعدة، وذو الحجَّة والمُحرَّم، واختلفت ربيعةُ ومُضرُ في الرابع، وهو رَجَبٌ؛ فقالت مُضرُ: هو الذي بين جماديٰ وشعبان. وقالت ربيعة: هو الذي بين شعبان وشَوَّالٍ.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن أبي بكرَةَ، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال في خطبة حجَّة الوداع: «**إنَّ الزمانَ قد استدارَ كهيئته يومَ خلق السموات والأرضَ، السَّنةُ اثنا عشرَ شهرًا، منها أربعةٌ حُرُمٌ، ثلاثٌ مُتواليات: ذو القعدة وذو الحَجَّة والمُحرَّمُ، ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جمادى وشعبانَ**» فنصَّ علىٰ ترجيح قول مُضَرَ لا ربيعةَ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ**

---

(١) إسناده منقطع إلى عمر: محمد بن جعفر ومحمد بن عبد الرحمن لم يدركا عمر بن الخطاب.
(٢) إسناده منقطع إلى عمر كسابقه.

وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾(١) [التوبة: ٣٦]. فهذا ردٌّ على بني عوفِ بن لؤيٍّ، في جعلِهم الأشهرَ الحُرمَ ثمانيةً، فزادوا على حُكمِ الله وأدخلُوا فيه ما ليس منه، وقوله: في الحديث: «ثلاثٌ متوالياتٌ» ردٌّ على أهلِ النَّسيءِ؛ الذين كانوا يُؤخِّرون تحريمَ المُحرَّمِ إلى صفرٍ. وقوله فيه: «ورجبُ مُضَرَ» ردٌّ على ربيعةَ.

قال ابن إسحاقَ: فولدَ كعبُ بنُ لُؤَيٍّ ثلاثةً؛ مُرَّةَ، وعَديًا، وهُصَيْصًا، وولَدَ مُرَّةُ ثلاثةً أيضًا؛ كلابَ بن مُرَّةَ، وتَيمَ بنَ مُرَّةَ، ويقَظَةَ بنَ مُرَّةَ، من أُمَّهاتٍ ثلاثٍ. قال: وولَدَ كلابٌ رَجُلَين؛ قُصيَّ بن كلابٍ، وزُهرَةَ بن كلابٍ، وأُمهما فاطمةُ بنت سعدِ بن سيَلٍ، أحد الجَدَرَة، من جُعثُمة الأسدِ، من اليمنِ، حُلفاءِ بني الدُّئلِ بن بكرِ بن عبدِ مناةَ بن كنانةَ، وفي أبيها يقولُ الشَّاعرُ:

مـا نَرَى في الناسِ شَخصًا واحدًا	مَن عَلِمْناه كسَعْدِ بنِ سَيَلْ
فارسًا أضْبطَ، فيه عُسْرَةٌ	وإذا ما واقفَ القِرْنَ نَزَلْ
فارسًا يَسْتَدرجُ الخيلَ كما اسْـ	ـتَدرَجَ الحُرُّ القطاميُّ الحَجَلْ

قال السُّهيليُّ: سَيَلٌ اسمه خيرُ بن حمَالَةَ، وهو أوَّلُ مَن طُلِيَتْ له السُّيوفُ بالذهبِ والفضة.

قال ابن إسحاقَ: وإنَّما سُمُّوا الجَدَرَةَ؛ لأن عامرَ بن عمرِو بن خُزيمةَ بن جُعثُمَةَ تزوَّجَ بنت الحارثِ ابن مُضاضٍ الجُرهُميِّ، وكانت جُرهُمٌ إذ ذاك ولاةَ البيتِ، فبَنَى للكعبةِ جدارًا، فسُمِّي عامرٌ بذلك الجادرَ، فقيلَ لولَده: الجَدَرَةُ. لذلك.

خبرُ قُصَيِّ بنِ كِلابٍ

وما كان من أمرِه في ارتجاعِه ولايةَ البيتِ إلى قُريشٍ وانتزاعِه ذلك مِن خُزاعةَ، واجتماعِ قريشٍ إلى الحرمِ الذي جعله الله تعالى أمْنًا للعبادِ، بعد تفرقِها في البلادِ وتمزُّقِها في الجبالِ والمِهادِ وذلك أنَّه لَمَّا ماتَ أبوه كلابٌ، تزوَّجَ أمَّه ربيعةُ بنُ حَرَامٍ، من عُذْرَةَ، وخرجَ بها وبه إلى بلادِه، ثم قدمَ قُصيٌّ مكَّةَ وهو شابٌّ فتزوَّجَ حُبَّى ابنةَ رئيسِ خُزاعة حُليلِ بن حُبشيَّةَ. فأمَّا خزاعةُ، فتزعُمُ أنَّ حُليلاً أوصَى إلى قُصيٍّ بولايةِ البيتِ؛ لما رأى من كثرةِ نسلِه؛ من ابنتِه، وقال: أنتَ أحقُّ بذلك منِّي. قال ابن إسحاقَ: ولم نسمَع ذلك إلاَّ منهم. وأمَّا غيرُهم فإنَّهم يزعُمُونَ أنَّه استَجاشَ بإخوتِه مِن أُمِّه -وكانَ رئيسُهم رِزَاحَ ابن ربيعة- وإخوةِ إخوتِه وبَنِي كِنانةَ وقُضاعةَ، ومن حول مكَّةَ مِن قريشٍ وغيرِهم، فأجلاهُم عن البيتِ، واستقلَّ هو بولايةِ البيتِ، إلاَّ أن إجازةَ الحجيجِ كانت إلى صُوفةَ، وهم بنُو الغوثِ بنِ مُرِّ بنِ أُدِّ ابن طابخَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ، فكان النَّاسُ لا يرمُونَ الجمارَ حتى يَرمُوا، ولا يَنفرُونَ من مِنًى حتى يَنفرُوا، فلم يَزَل كذلك فيهم حتَّى انقرضوا، فورِثَهُم ذلك بالقُعدَدِ بنو سَعدِ بن زَيدِ مناةَ بن تميمٍ، فكان أوَّلُهم صفوانَ بنَ الحارثِ بنِ شِجنَةَ بنِ عُطَارِدَ بنِ عوفِ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ زَيدِ مَناةَ بن تميمٍ، وكان ذلك في بيتِه حتَّى قام على آخرِهم الإسلامُ، وهو كَرِبُ بن صفوانَ، وكانت الإجازةُ من المُزدَلِفَةِ في

---

(١) في البخاري (٣١٩٧، ٤٤٠٦، ٤٦٦٢)، مسلم (١٦٧٩).

عدوانَ، حتىٰ قام الإسلامُ علىٰ آخرِهم، وهو أبو سيَّارةَ عُميلَةُ بن الأعزَلِ؛ وقيلَ: اسمُه العاصُ بنُ خالدٍ. وكان يُجيزُ بالنَّاسِ علىٰ أتانٍ له عوراءَ، مكَث يَدفَعُ عليها في المَوقفِ أربعين سنةً، وهو أوَّلُ من جعَل الدِّيَةَ مائةً، وأوَّلُ مَن كان يقولُ: أشرِقْ ثَبِيرُ؛ كيما نُغِيرُ. حكاهُ السُّهيليُّ. وكان عامرُ بنُ الظَّرِبِ العدوانيُّ، لا يكونُ بينَ العربِ نائرةٌ إلاَّ تحاكَمُوا إليه، فيَرضَون بما يقضِي به، فتحاكَمُوا إليه مرَّةً في ميراثِ خُنثَىٰ، فباتَ ليلتَه ساهرًا يَتَرَوَّىٰ ماذا يحكمُ به فرأته جاريةٌ له كانت ترْعىٰ عليه غَنَمَهُ اسمها سُخيلَةُ، فقالت له: مالكَ - لا أبالَكَ - الليلةَ ساهرًا؟ فذكَر لها ما هو مُفكِّرٌ فيه، وقال: لعلَّها يكونُ عندَها في ذلك شيءٌ، فقالت: أتبعِ القضاءَ المَبَالَ. فقال: فرَّجتِها واللَّهِ يا سُخَيلَةُ. وحكَم بذلك.

قال السُّهَيليُّ: وهذا الحُكمُ مِن بابِ الاستدلالِ بالأماراتِ والعَلاماتِ، وله أصلٌ في الشَّرعِ؛ قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ **وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ** ﴾ [يوسف:١٨]. حيثُ لا أثرَ لأنيابِ الذِّئبِ فيه. وقال تعالىٰ: ﴿ **إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** (٢٦) **وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [يوسف:٢٦، ٢٧]. وفي الحديث: «**أنظِرُوها، فإن جاءت به أورقَ جعدًا جُماليًا، فهو للَّذي رُميت به**» [(١)].

قال ابن إسحاقَ: وكان النَّسِيءُ في بَنِي فُقَيمِ بنِ عديٍّ بنِ عامرِ بن ثعلبَةَ بن الحارث بن مالكِ بن كنانَةَ بن خزيمةَ بن مدركةَ بن إلياسَ بن مضرَ. قال ابن إسحاق: وكان أوَّلَ من نَسَأَ الشُّهُور علىٰ العرب القَلَمَّسُ، وهو حُذيفَةُ بن عبدِ بن فُقَيمِ بن عديٍّ، ثم قامَ بعدَه ابنُه عبَّادٌ، ثم قَلَعُ بنُ عبَّادٍ، ثم أُميَّةُ بنُ قَلَعٍ، ثم عوفُ بن أُميَّةَ، ثم كان آخرَهم أبو ثُمامَةَ جُنادةُ بنُ عوفِ بنِ قلعِ بنِ عبّادِ بن حُذيفَةَ، وهو القَلَمَّسُ. فعلَىٰ أبي ثمامةَ قام الإسلامُ، وكانتِ العَرَبُ إذا فرَغَتْ من حَجِّها اجتمَعَتْ إليه، فخطَبَهم، فحرَّم الأشهُرَ الحُرُمَ، فإذا أرادَ أن يُحِلَّ منها شيئًا أحلَّ المُحرَّمَ، وجَعَلَ مكانَه صَفَرًا؛ ليُواطِئُوا عِدَّةَ ما حَرَّمَ اللَّهُ، فيقولُ: اللهُمَّ إنِّي أحلَلتُ أحَدَ الصَّفَرَين؛ الصَّفَرَ الأوَّلَ، وأنسأتُ الآخَرَ للعامِ المُقبِلِ، فتتَبَّعُه العربُ في ذلك، ففي ذلك يقولُ عُمَيرُ بنُ قيسٍ، أحدُ بَنِي فِراسِ بنِ غَنمِ بنِ مالكِ ابنِ كِنَانَةَ، ويُعرفُ عُميرُ بن قيسٍ هذا بِجَذلِ الطِّعَانِ:

لقَدْ علِمَتْ مَعَدٌّ أنَّ قَومِي ... كرامُ النّاسِ أنَّ لَهُم كِراما
فأَيُّ النَّاسِ فاتُونَا بوِتْرٍ ... وأيُّ النَّاسِ لم نَعْلُكْ لِجاما
أَلَسْنا النَّاسِئِينَ على مَعَدٍّ ... شُهُورَ الحِلِّ نَجْعَلُها حَراما

---

(١) **صحيح من غير هذا الوجه**: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٣٨)، وأبو داود في «السنن» برقم (٢٢٥٦)، من طريق عباد ابن منصور عن عكرمة عن ابن عباس به مطولاً وفيه قصة، وفيه عباد بن منصور ضعيف، وذكر الحافظ في «التهذيب» (٣/ ٧٢) قول أبي بكر البزار: روىٰ عن عكرمة أحاديث ولم يسمع منه.
قلت: وللحديث طرق أخرىٰ عن ابن عباس أخرجها البخاري برقم (٥٣١٦)، والنسائي في «المجتبىٰ» برقم (٣٤٧١)، وأحمد في «المسند»، وله شاهد عند مسلم برقم (١٤٩٦) وغيره من طريق أنس بن مالك، وآخر عند أبي داود برقم (٢٢٥٣)، من طريق ابن مسعود، وثالث عند البخاري برقم (٥٣٠٩) من طريق سهل بن سعد.

وكان قُصَيٌّ في قومه سيِّدًا رئيسًا مطاعًا معظَّمًا، والمقصودُ أنَّه جمع قريشًا من مُتفرقات مواضعهم من جزيرة العرب، واستعانَ بمن أطاعَه من أحياء العرب على حرب خُزاعةَ، وإجلائهم عن البيت الحرام، وتسليمه إلى قُصَيٍّ، فكانَ بينَهم قتالٌ كثيرٌ، ودماءٌ غزيرةٌ، ثم تداعَوا إلى التَّحكيم، فتحاكَموا إلى يعمُرَ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناةَ بن كنانةَ، فحكَم بأنَّ قُصيًا أولى بالبيت من خُزاعةَ، وأنَّ كلَّ دَمٍ أصابَه قُصيٌّ من خُزاعةَ وبَني بكرٍ موضوعٌ، يَشدَخُه تحت قدَمَيه، وأنهَ ما أصابَته خُزاعةُ وبنو بكرٍ من قريشٍ، وكنانةَ وقُضاعةَ ففيه الدِّيَةُ مُؤدَّاةٌ، وأن يُخَلَّى بينَ قُصَيٍّ وبينَ مكَّةَ والكعبة، فسُمِّيَ يعمُرُ يومئذٍ الشَّدَّاخَ.

قال ابن إسحاق: فولِيَ قُصَيٌّ البيتَ وأَمرَ مكَّةَ، وجمَع قومه من منازلهم إلى مكَّةَ، وتملَّكَ على قومه وأهلِ مكَّةَ فملَّكُوه، إلَّا أنَّه أقرَّ للعرب على ما كانوا عليه؛ لأنه يرَىٰ ذلك دينًا في نفسه، لا ينبغي تغييرُه، فأقرَّ آلَ صفوان وَعَدوان والنَّسَأَةَ ومُرَّةَ بن عوف على ما كانوا عليه، حتى جاءَ الإسلامُ فهدَم اللَّه به ذلك كُلَّه. قال: فكانَ قُصيٌّ أوَّلَ بني كعبٍ أصابَ مُلكًا أطاع له به قومه، فكانت إليه الحجَابةُ، والسِّقايةُ، والرِّفادةُ، والنَّدوةُ، واللِّواءُ، فحازَ شَرَفَ مكَّةَ كلَّه، وقطَّع مكَّةَ رِباعًا بين قومه، فأنزل كلَّ قومٍ من قريشٍ منازِلَهم من مكَّةَ.

قلت: فرجَعَ الحقُّ إلى نصابه، وردَّ شاردُ العدل بعد إيابه، واستقرَّت بقريشٍ الدَّارُ، وقضَت من خزاعة المراد والأوطارَ، وتسلَّمَت بينَهم العَتيقَ القديمَ، لكن بما أحدثَت خُزاعةُ من عبادة الأوثان، ونصبها إيَّاها حولَ الكعبة، ونَحرِهم لها، وتَضرُّعِهم عندها، واستنصارِهم بها، وطَلَبِهم الرِّزقَ منها، وأنزلَ قُصيٌّ قبائلَ قريشٍ أباطحَ مكَّةَ، وأنزلَ طائفةً منهم ظواهرَها، فكان يُقالُ: قريش البِطَاح، وقريشُ الظَّواهرِ، فكانت لقُصيِّ بن كلاب جميعُ الرِّئاسة؛ من حجَابة البيت وسِدَانَته واللِّواء، وبَنَى دارًا لإزاحة الظُّلُمات وفصلِ الخُصومات، سمَّاها دارَ النَّدوةِ، إذا أعضلَت قضيَّةٌ، اجتمعَ الرؤساءُ من كلِّ قبيلةٍ، فاشتَوَرُوا فيها، وفصلُوها، ولا يُعقَدُ عقدُ لواءٍ ولا عَقدُ نكاحٍ إلَّا بها، ولا تَبلُغُ جاريةٌ أن تدَّرعَ فتدَّرعَ إلَّا بها، وكان بابُ هذه الدار إلى المسجد الحرام، ثم صارت هذه الدار فيما بعدُ إلى حكيم بن حزام بعدَ بني عبد الدار، فباعَها في زَمنِ معاويةَ بمائة ألف درهم، فلامَه على بَيعها معاويةُ، وقال: بعتَ مكرُمَةَ قومك وشرَفَهم بمائة ألف؟ فقال: إنَّما الشَّرَفُ اليومَ بالتَّقوىٰ، واللَّه لقد ابتعتُها في الجاهليَّة بزِقِّ خمرٍ، وها أنا قد بعتُها بمائة ألفٍ، وأُشهدُكم أن ثمنها صدقةٌ في سبيل الله، فأيُّنا المغبُون؟ ذكَرَه الدَّارقطني في «أسماء رجال الموطَّأ».

وكانت إلى قُصيٍّ سِقايةُ الحجيج، فلا يشرَبُون إلَّا من ماء حياضه، وكانت زمزمُ إذ ذاك مَطمُوسَةً من زمنِ جُرهُم، فقد تَنَاسَوا أمرَها؛ من تقادُم عهدها، ولا يهتدُون إلى موضعها.

قال الواقديُّ: وكان قُصيٌّ أوَّلَ من أحدثَ وَقِيدَ النَّار بالمُزدلفَة؛ ليهتديَ إليها من يَأتي من عرفاتٍ، وأوَّلَ من أحدث الرِّفادةَ؛ وهي إطعامُ الحجيج أيَّامَ الموسِم، إلى أن يَخرجُوا راجعين إلى بِلادهم.

قال ابنُ إسحاقَ: وذلك أنَّ قُصيًّا فرَضَه علىٰ قريشٍ، فقال لهم: يا مَعشَرَ قريشٍ، إنَّكم جِيرانُ اللَّهِ، وأهلُ مكَّةَ، وأهلُ الحرمِ، وإنَّ الحاجَّ ضيفُ اللَّهِ وزُوَّارُ بيته، وهم أحقُّ بالضِّيافة، فاجعلُوا لهم طعامًا وشرابًا أيام الحجِّ، حتىٰ يصدُرُوا عنكم. ففعلوا، فكانُوا يُخرِجُون لذلك في كلِّ عامٍ من أموالِهم خرجًا، فيدفعُونَه إليه، فيصنَعُه طعامًا للنَّاسِ أيّامَ مِنًىٰ، فجرَىٰ ذلك مِن أمرِه في الجاهليةِ حتىٰ قامَ الإسلامُ، ثم جرَىٰ في الإسلامِ إلىٰ يومِك هذا، فهو الطَّعامُ الذي يصنَعُه السلطانُ كلَّ عامٍ بمنًىٰ للناسِ، حتىٰ يَنقضِيَ الحجُّ.

قلت: ثم انقطع هذا بعد ابن إسحاقَ، ثم أُمِرَ بإخراجِ طائفةٍ من بيتِ المال، فيُصرفُ في حملِ زادٍ وماءٍ لأبناء السبيل القاصِدين إلىٰ الحجِّ، وهذا صنيعٌ حسنٌ من وجوهٍ يطُولُ ذكرُها، ولكنَّ الواجبَ أن يكونَ ذلك مِن خالصِ بيتِ المالِ، مِن أجلِّ ما فيه، والأولَىٰ أن يكونَ مِن جوَالِي الذِّمَّة؛ لأنَّهم لا يحُجُّونَ البيتَ العتيق، وقد جاء في الحديث: «**من استطَاعَ الحَجَّ، فلم يحج، فليَمُتْ إن شاءَ يهوديًا أو نصرانيًا**»(١).

وقال قائلُهم في مدحِ قُصيٍّ وشرَفِهِ في قومِه:

قُصَيٌّ لَعَمرِي كان يُدعَي مُجمِّعًا ... به جَمَعَ اللَّهُ القَبائلَ من فهرِ
همُو ملَئُوا البَطحَاءَ مجدًا وسُؤددًا ... وهم طَرَدُوا عنَّا غُواةَ بَنِي بَكرِ

قال ابن إسحاقَ: ولَمَّا فرغ قُصيٌّ مِن حربِه، انصرفَ أخُوه رِزاحُ بنُ ربيعةَ إلىٰ بلادِهِ بِمَنْ معه وإخوتِه مِن أبيه الثَّلاثةِ، وهم حُنٌّ ومحمُودٌ وجُلهُمَةُ. قال رِزاحٌ في إجابَتِه قُصيًّا:

ولَمّا أتَى مِن قُصَيٍّ رَسُولٌ ... فقالَ الرَّسُولُ أجِيبُوا الخَليلاَ
نَهَضْنَا إليه نَقُودُ الجِيَا ... دَ ونَطرحُ عنّا المُلُولَ الثَّقيلاَ
نَسيرُ بها اللَّيلَ حتَّى الصَّبا ... حِ ونَكْمِي النَّهارَ لِئَلاَّ نَزُولا
فهُنَّ سِرَاعٌ كَورْدِ القَطَا ... يُجِبْنَ بنا من قُصَيٍّ رَسُولاَ
جَمَعْنا مِن السِّرِّ من أشمذَيْن ... ومن كلِّ حَيٍّ جَمَعْنَا قَبِيلاَ
فَيَالَكَ حُلْبَةُ ما ليلةٌ ... تَزِيدُ على الألف سَيْبًا رَسِيلاَ
فلَمَّا مَرَرْنَ على عَسجَرٍ ... وأَسهَلْنَ من مُستَنَاخٍ سَبِيلاَ
وجَاوزْنَ بالرُّكْنِ من وَرقَانٌ ... وجَاوزْنَ بالعَرجِ حَيًّا حُلُولاَ
مَرَرْنَ على الحِلِّ ما ذُقْنَه ... وعَالَجْنَ مَن مَرَّ لَيلاً طَويلاَ
نُدنِّي مِن العُوذِ أفلاءَها ... إرادَةَ أن يَستَرِقْنَ الصَّهيلاَ

---

(١) **ضعيف:** أخرجه الترمذي (٨١٢) قال حدثنا محمد بن يحيىٰ القطان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هلال بن عبد اللَّه حدثنا أبو إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي قال: قال رسول اللَّه. وذكره. ثم قال وفي إسناده مقال وهلال بن عبد اللَّه مجهول والحارث يضعف في الحديث.

فَلمَّا انتَهَينا إلى مكَّة ... أَبَحْنَا الرِّجالَ قَبِيلاً قَبِيلاَ
نُاعورُهم ثَمَّ حَدَّ السُّيُوفَ ... وفي كلِّ أوب خَلَسْنَا العُقُولاَ
نُخَبِّزُهم بِصلاَبِ النُّسو ... رِ خَبْزَ القَوِيِّ العَزِيزِ الذَّلِيلاَ
قَتَلْنَا خُزَاعَةَ فِي دارِهَا ... وبَكراً قَتَلنَا وجَيلاً فَجِيلاَ
نَفَيْناهُمُ مِن بِلادِ الَمليك ... كما لا يَحلُّونَ أَرضًا سُهُولاَ
فأصبحَ سَبْيُهمُ فِي الحَدِيدِ ... ومِن كُلِّ حَيٍّ شَفَيْنا الغَلِيلاَ

قال ابنُ إسحاقَ: فَلمَّا رَجَع رِزاحٌ إلى بلادِهِ، نشَرَهُ اللَّهُ ونَشَر حُنًا، فهُما قَبِيلاَ عُذرَةَ إلى اليوم.

قال ابنُ إسحاقَ: وقال قُصَيٌّ بن كلابٍ في ذلك:

أنا ابْنُ العاصمينَ بَنِي لُؤَيٍّ ... بمكَّةَ مَنزِلي وبها رَبِيتُ
إلى البَطحاءِ قَد عَلِمَتْ مَعَدٌّ ... ومَروتُها رَضِيتُ بها رَضِيتُ
فلَستُ لِغالبَ إن لَم تأَثَّلْ ... بها أولادُ قَيدَرَ والنَّبِيتُ
رِزاحٌ ناصِري وبه أُسَامي ... فلَستُ أخَافُ ضَيْمًا ما حَيِيتُ

وقد ذكَر الأُمَويُّ، عن الأثرَمِ، عن أبي عُبيدةَ، عن مُحمَّدِ بن حفصٍ، أنَّ رِزاحًا إنَّما قدِمَ بعدَما نفى قُصيٌّ خزاعة. واللَّه أعلم.

فصلٌ

ثُمَّ لَمَّا كَبِر قُصيٌّ فوّضَ أمرَ هذه الوظائفِ التي كانت إليه، من رئاسات قريشٍ وشَرَفِها؛ من الرِّفادةِ، والسِّقايةِ، والحجابةِ، واللِّواءِ، والنَّدوةِ، إلى ابنه عبدِ الدّارِ، وكان أكبرَ ولدِه، وإنَّما خصَّصَه بها كلِّها؛ لأنَّ بقية إخوته، عبدَ منافٍ، وعبدَ العُزَّىٰ، وعبداً، كانوا قد شَرُفُوا في زمنِ أبيهم، وبلغُوا في قومهم شرفًا كبيرًا، فأحبَّ قُصيٌّ أن يُلحِقَ بهم عبد الدار في السُّؤدُدِ، فخصَّصَه بذلك، فكان إخوته لا يُنازِعُونه في ذلك، فلمَّا انقرضُوا، تشاجَرَ أبناؤهم في ذلك وقالوا: إنَّما خصَّصَ قُصيٌّ عبدَ الدّارِ بذلك ليُلحِقه بإخوتَه، فنحن نستَحقُّ ما كان آباؤُنا يستحقُّونه. وقال بنو عبدالدَّار: هذا أمرٌ جعله لنا قصيٌّ، فنحنُ أحقُّ به. واختلفُوا اختلافًا كثيراً، وانقسَمَت بُطونُ قريشٍ فِرقتينِ؛ ففرقةٌ بايَعَت بَنِي عبدِ الدَّارِ وحالفَتهُم، وفرقةٌ بايعت بَنِي عبدِ منافٍ وحالفتهم على ذلك، ووضعُوا أيديَهم عند الحلفِ في جفنةٍ فيها طيبٌ، ثم لَمَّا قامُوا مسحُوا أيديَهم بأركانِ الكعبةِ، فسمُّوا حِلفَ الُمطيَّبِين، وكان منهم مِن قبائلِ قريشٍ؛ بنو أسدِ بن عبدِ العُزىٰ بن قصيٍّ، وبنو زهرةَ، وبنو تيمٍ، وبنو الحارثِ بن فهرٍ، وكان مع بني عبدِ الدارِ بنو مخزومٍ، وبنو سهمٍ، وبنو جمحَ، وبنو عديٍّ، واعتزلَت بنو عامرِ بن لؤيٍّ، ومُحاربُ بن فهرِ الجميعَ، فلم يكونُوا مع واحدٍ منهما، ثم اصطلحُوا واتَّفقوا على أن تكونَ الرِّفادةُ والسِّقايةُ لبَنِي عبدِ منافٍ، وأن تَستَقِرَّ الحجابةُ واللِّواءُ والنَّدوةُ

في بَني عبد الدارِ، فانبَرَمَ الأمرُ على ذلك واستمرَّ.

وحكى الأمويُّ عن الأثرم، عن أبي عُبيدةَ، قال: وزعم قومٌ من خُزاعةَ، أنَّ قُصيًا لَمَّا تزوجَ حُبَّى بنت حُليلٍ، وثقُلَ حُليلٌ عن ولايةِ البيتِ، جعلها إلى ابنته حُبَّى، واستنابَ عنها أبا غُبشانَ سليمَ بن عَمرِو بن بُويٍّ بن ملكانَ بن أفصى بن حارثةَ بن عمرو بن عامرٍ، فاشترى قُصيٌّ ولايةَ البيت منه بزقٍّ خَمرٍ وقعُودٍ، فكان يُقالُ: أخسرُ من صفقةِ أبي غُبشانَ. ولمَّا رأت خُزاعةُ ذلك، اشتدُّوا على قُصيٍّ، فاستنصرَ أخاه، فقدمَ بمن معه، وكان ما كان، ثم فوَّضَ قُصيٌّ هذه الجهات التي كانت إليه؛ من السِّدانَة، والحجابة، واللِّواءِ، والنَّدوة، والرِّفادة، والسِّقاية، إلى ابنه عبد الدَّار - كما سيأتي تفصيلُه وإيضاحُه - وأقرَّ الإجازةَ من مزدلفَةَ في بَني عدوانَ، وأقرَّ النَّسيءَ في بَني فُقيمٍ، وأقرَّ الإجازةَ - وهو النَّفرُ - في صُوفَةَ، كما تقدَّم بيانُ ذلك كلِّه ممَّا كان بأيديهم قبل ذلك.

قال ابن إسحاق: فولَدَ قُصيٌّ أربعةَ نَفَرٍ؛ وامرأتين، عبد منافٍ، وعبد الدار، وعبد العُزَّى، وعبدًا وتَخْمُرَ، وبرَّةَ، وأُمُّهُم كلُّهم حُبَّى بنتُ حُليلِ بنِ حُبْشيَّةَ بنِ سُلولِ بنِ كعبِ بنِ عَمرٍو الخُزَاعيُّ وَهُوَ آخرُ مَن وَلِيَ البيتَ من خُزاعَةَ، ومِنْ يدِه أخَذَ البَيتَ قُصيُّ بنُ كلابٍ.

قال ابنُ إسحاق: فولَد عبدُ مناف بنِ قُصيٍّ أربعَةَ نَفَرٍ هاشمًا، وعبد شمسٍ، والمُطَّلبَ - وأُمهم عاتكةُ بنت مرَّةَ بن هلالٍ - ونوفلَ بنَ عبدِ منافٍ، وأمُّه واقدةُ بنت عمرٍو المازنيَّةُ.

قال ابن هشام: وولِدَ لعبدِ منافٍ أيضًا أبو عمرٍو، وتُماضِرُ، وقلابةُ وحيَّةُ، وريطَةُ، وأمُّ الأخثَمِ، وأُمُّ سفيانَ.

قال ابن هشام: وولَد هاشمُ بن عبد منافٍ أربعةَ نفرٍ وخمسَ نسوةٍ؛ عبدَ المُطَّلب، وأسدًا، وأبا صيفيٍّ، ونضلةَ، والشفاءَ، وخالدةَ، وضعيفةَ، ورقيَّةَ، وحيَّةَ، فأُمُّ عبدِ المطلب ورقيَّةَ سلمى بنتُ عمرِو بن زيدِ بن لبيدِ بن خداشِ بنِ عامرِ بن غنمِ بن عديٍّ بن النَّجَّارِ من المدينة، وذكرِ أُمَّهاتِ الباقين، قال: وولَدَ عبدُ المُطَّلبِ عشرةَ نَفَرٍ وستَّ نسوةٍ، وهم: العبَّاسُ، وحمزةُ، وعبدُ اللَّه، وأبو طالبٍ - واسمه عبدُ منافٍ - لا عمرانُ - والزُّبيرُ، والحارثُ - وكان بكر أبيه، وبه كان يُكنى - وجحلٌ. ومنهم من يقولُ: حجلٌ. وكانَ يُلقَّبُ بالغيداَق، لكثرة خيره، والمُقوِّمُ، وضرارٌ، وأبو لهبٍ - واسمه عبد العُزَّى - وصفيَّةُ، وأُمُّ حكيم البيضاء، وعاتكةُ، وأُميمةُ، وأروَى وبرَّةُ، وذكر أمهاتهم، إلى أن قال: وأمُّ عبداللَّه وأبي طالبٍ والزبيرِ وجميع النِّساء إلاَّ صفيَّةَ، فاطمةُ بنتُ عمرِو بن عائذ بن عمرانَ ابن مخزومِ بنَ يقظةَ بن مرَّةَ بنِ كعب بن لُؤيٍّ بن غالب بن فهرِ بن مالك بن النَّضرِ بن كنانةَ بن خُزيمةَ ابنِ مُدركَةَ بن إلياسَ بن مضرَ بن نزارِ بن معدٍّ بن عدنانَ. قال: فولدَ عبدُ اللَّه محمَّدًا رسول اللَّه ﷺ، سيِّد ولَدِ آدَمَ، وأمُّه آمنةُ بنت وهبِ بن عبد منافِ بنِ زهرةَ بن كلابِ بن مرَّةَ بن كعب بن لؤيٍّ. ثم ذكر أمهاتها فأغرقَ، إلى أن قال: فهو أشرفُ ولد آدَمَ حسَبًا، وأفضلُهم نسبًا، من قِبَلِ أبيه وأمه، صلواتُ الله وسلامهُ عليه دائمًا إلى يوم الدين.

وقد تقدم حديثُ الأوزاعيِّ، عن شدادِ أبي عمَّارٍ، عن واثلةَ بنِ الأسقعِ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «إنَّ اللَّه اصطفَى كنانةَ من ولَدِ إسماعيل، واصطفَى قُريشًا من كنانَةَ، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم[1]. وسيأتي بيانُ مولده الكريم وما وردَ فيه من الأخبار والآثار، وسنُوردُ عند سَردِ النَّسَبِ الشريف فوائدَ أُخَرَ ليست ها هنا، إن شاء اللَّه تعالىٰ، وبه الثِّقَةُ وعليه التُّكلانُ.

ذِكْرُ جُمَلٍ من الأحداثِ الواقعةِ في زمنِ الجاهليَّةِ

قد تقدَّم ما كان من أخذِ جُرهُمٍ ولايةَ البيتِ من بني إسماعيل، طَمِعُوا فيهم لأنَّهم أبناءُ بناتهم، وما كان من تَوثُّبِ خُزاعة علىٰ جُرهم، وانتزاعهم ولايةَ البيت منهم، ثم ما كان من رجوعِ ذلك إلىٰ قُصيٍّ وبَنيه، واستمرارِ ذلك في أيديهم إلىٰ أن بعثَ اللَّه رسوله ﷺ، فأقرَّ تلك الوظائفَ علىٰ ما كانت عليه.

بابُ ذِكرِ جماعةٍ كانوا مشهورين في زمنِ الجاهليَّةِ

خبرُ خالدِ بنِ سنانٍ العَبْسيِّ الذي كان في زمنِ الفترة

وقد زعم بعضهم أنه كان نبيًا، واللَّه أعلم.

قال الحافظُ أبو القاسم الطَّبرانيُّ: حدثنا أحمد بن زُهير التُّستَريُّ، حدَّثنا يحيىٰ بن المُعلَّىٰ بن منصورٍ الرَّازيُّ، حدثنا محمد بن الصَّلت، حدثنا قيسُ بنُ الربيع، عن سالمٍ الأفطس، عن سعيدِ بن جبيرٍ، عن ابن عباسٍ، قال: جاءت بنتُ خالدِ بن سنانٍ إلىٰ النبي ﷺ، فبَسطَ لها ثوبه، وقال: «بنت نَبيٍّ ضَيَّعَه قومُه»[2].

وقد رواهُ الحافظُ أبو بكرٍ البزَّارُ، عن يحيىٰ بن المُعلَّىٰ بن منصورٍ، عن محمَّدِ بن الصلت، عن قيسٍ، عن سالمٍ، عن سعيدٍ، عن ابن عباسٍ، قال: ذُكر خالدُ بن سنانٍ عند رسول اللَّه ﷺ، فقال: «ذاكَ نبيٌّ ضيَّعه قومُه»[3]. ثم قال: ولا نعرفهُ مرفُوعًا إلا من هذا الوجه، وكان قيسُ بن الربيع ثقةً في نفسه، إلاَّ أنَّه كان رديءَ الحفظ، وكان له ابنٌ يُدخِلُ في أحاديثه ما ليس منها. واللَّه أعلم.

قال البزَّارُ: وقد رواه الثوريُّ، عن سالمٍ الأفطس، عن سعيدِ بن جُبيرٍ مُرسلاً[4].

وقال الحافظُ أبو يعلىٰ الموصليُّ: حدثنا المُعلىٰ بن مهديٍّ الموصليُّ قال: حدثنا أبو عوانةَ، عن أبي يُونسَ، عن عكرمَةَ، عن ابن عبَّاسٍ أنَّ رجلاً من عبسٍ يُقالُ له: خالد بن سنانٍ، قال لقومه: أنا أُطفئُ عنكم نار الحدثان. فقال له رجلٌ من قومه: واللَّه يا خالدُ، ما قُلتَ لنا قطُّ إلا حقًا، فما شأنُك وشأنُ نارِ الحدثان

---

(١) برقم (٢٢٧٦).

(٢) إسناده ضعيف: فيه قيس بن الربيع ضعفه جماعة منهم أحمد وابن معين والنسائي والدارقطني وغيرهم ووثقه شعبة والثوري. والصحيح أنه مرسل كما سيأتي.

(٣) إسناده ضعيف كسابقه: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢٣٦١).

(٤) مرسل: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٢٣٦١). وهو الصحيح.

تزعُمُ **أنَّك تُطفئُها**؟ فخرَج خالدٌ ومعه أُناسٌ مِن قومِه، فيهم عمارةُ بن زيادٍ، فأتوها، فإذا هي تخرجُ من شقِّ جبلٍ، **فخطَّ** لهم خالدٌ خِطَّةً. فأجلسَهم فيها، فقال: إن أبطأتُ عليكم، فلا تدعُوني باسمِي، فخَرَجَت كأنّها خيلٌ شُقرٌ، يتبعُ بعضُها بعضًا، فاستقبَلَها خالدٌ فجعل يَضرِبُها بعصاهُ، وهو يقولُ: بَدا بَدا كلُّ هُدَىٰ مردا، زعَم ابنُ **راعيةِ المِعزَىٰ** أنِّي لا أخرُجُ منها وثيابي تَندَىٰ. حتىٰ دخَل معها الشَّقَّ، فأبطأَ عليهم، فقال لهم عُمارةُ بن زيادٍ: **واللَّهِ إن** صاحبَكم لو كان حيًا لقد خرج إليكم بعدُ. قالوا: فادعُوه باسمِه. قال: فقالوا: إنه قد **نهانا أن** ندعوَه باسمِه، فدعوهُ باسمِه، فخرَجَ وهو آخِذٌ برأسه، فقال: ألم أنهَكُم أن تدعُوني باسمِي؟ فقد **واللَّهِ** قَتلتُموني، فادفِنُوني، فإذا مرَّت بكم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أبترُ فانبِشُوني، فإنَّكم تجِدُوني حيًا، فدفَنُوه، فمرَّت بهم الحُمُرُ فيها حِمارٌ أبتَرُ، فقُلنا: انبِشُوه؛ فإنه أمرَنا أن ننبُشَه. فقال لهم عمارةُ: لا تنبُشُوه، لا واللَّهِ لا تُحدِّثُ مُضَرُ أنا نَنبُشُ موتانا. وقد كان قال لهم خالدٌ: إنَّ في عِكمِ امرأتِه لوحَين، فإن أشكَلَ عليكم أمرٌ فانظُرُوا فيهما؛ فإنكم ستجِدُونَ ما تسألونَ عنه. قال: ولا يمسُّهما حائضٌ. فلمَّا رجَعُوا إلىٰ امرأتِه، سألوها عنهما، فأخرَجَتهما إليهم وهي حائضٌ، فذهب ما كان فيهما من عِلمٍ [(١)] .

قال أبو يونُس:قال سِماكُ بن حربٍ: سُئِلَ عنه النبيُّ ﷺ فقال: **«ذاك نَبيٌّ أضاعَه قومُه»**. قال أبو يونُسَ: قال سِماكُ بن حربٍ: إنَّ ابنَ خالدِ بن سنانٍ أتىٰ النبيَّ ﷺ، فقال: **«مرحبًا بابنِ أخِي»** [(٢)].

فهذا السِّياقُ موقوفٌ علىٰ ابنِ عباسٍ، وليس فيه أنه كان نبيًا، والمُرسلاتُ التي فيها أنَّه نبيٌّ، لا يحتجُّ بها هاهنا، والأشبَهُ أنه كان رجلاً صالحًا، له أحوالٌ وكراماتٌ؛ فإنَّه إن كان في زمنِ الفترةِ، قد ثبَت في «صحيح البُخاريِّ» عن رسولِ اللَّه ﷺ، أنه قال: **«أنا أولى النَّاسِ بعيسَى ابنِ مريمَ، إنه ليسَ بَيني وبينَه نبيٌّ»**. وإن كان قبلها، فلا يُمكنُ أن يكونَ نبيًا؛ لأنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿ **لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ** ﴾ [السجدة: ٣]. وقد قال غير واحدٍ من العلماء: إنَّ اللَّه تعالىٰ لم يبعث بعد إسماعيلَ نبيًا في العربِ، إلاَّ محمداً ﷺ، خاتمَ الأنبياءِ، الذي دَعَا به إبراهيمُ الخليلُ، باني الكعبة المُكرَّمَةِ، التي جعلها الله قبلةً لأهلِ الأرضِ شرعًا، وبشَّرَت به الأنبياءُ لقومِهم، حتىٰ كان آخرَ من بشَّرَ به عيسىٰ ابن مريمَ، عليه السَّلامُ، وبهذا المسلَكِ بعينِه، يُردُّ ما ذكره السُّهيليُّ وغيره من إرسالِ نبيٍّ من العربِ يُقالُ له: شُعيبُ بن ذي مهذمِ بن شعيبِ بن صفوانَ، صاحبُ مدينَ، وبُعِثَ إلىٰ العربِ أيضًا حنظلةُ بن صفوانَ، فكذبُوهما، فسلَّطَ اللَّه علىٰ العربِ بُختُ نصَّرَ، فنال منهم من القتلِ والسَّبي نحو ما نال من

---

(١) **ضعيف إلى ابن عباس**:في إسناده المعلىٰ بن مهدي وهو ضعيف يأتي بالمناكير.

(٢) **ضعيف**:أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٩٨) برقم (١١٧٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩٨، ٥٩٩) من طريق معلىٰ بن مهدي به. وذكره الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٤)، وقال: «رواه الطبراني موقوفًا، وفيه المعلىٰ بن مهدي ضعفه أبو حاتم قال: يأتي أحيانًا بالمناكير. قلت: وهذا منها.

وعن ابن عباس قال: ذكر خالد بن سنان عند النبي ﷺ فقال: «ذاك نبي ضيعه قومه».

رواه البزار والطبراني إلا أنه قال: جاءت بنت خالد بن سنان إلىٰ النبي ﷺ فبسط لها ثوبه، وفيه قيس بن الربيع وقد وثقه شعبة والثوري ولكن ضعفه أحمد مع ورعه، وابن معين، وهذا الحديث معارض للحديث الصحيح قوله: «أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم الأنبياء إخوة لعلات وليس بيني وبينه نبي» قال البزار: رواه الثوري عن سالم عن سعيد بن جبير مرسلاً»اهـ.

بَني إسرائيلَ، وذلك في زمنِ مَعَدِّ بن عدنانَ. والظاهرُ أنَّ هؤلاءِ كانوا قومًا صالحينَ يدعونَ إلى الخيرِ. واللَّه أعلم. وقد تقدَّم ذكرُ عمرِو بن لحيِّ بن قمعةَ بنِ خندفَ، في أخبارِ خُزاعةَ بعد جُرْهُم.

ذِكْرُ حاتِمِ الطَّائيِّ أحدِ أجوادِ الجاهليَّةِ

وهو حاتمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بن سعدِ بن الحشرَجِ بنِ امرئِ القيسِ بن عديِّ بنِ أخزَمَ بنِ أبي أخزَمَ، واسمُه هزُومَةُ بن ربيعةَ بن جرولِ، بن ثُعَلَ بن عمرِو بنِ الغوثِ بن طيِّئٍ، أبو سفَّانَةَ الطَّائيُّ والدُ عديِّ بن حاتمٍ، الصَّحابيِّ، كان جَوَادًا مُمدَّحًا في الجاهليَّة، وكذلك كان ابنه في الإسلام، وكان لحاتمٍ مآثرُ وأُمورٌ عجيبةٌ، وأخبارٌ مُستغربَةٌ في كرمه، يطُولُ ذكرُها، ولكن لم يكُن يَقصِدُ بها وجهَ اللَّهِ والدَّارَ الآخرَةَ، وإنَّما كان قصدُه السُّمعَةَ والذِّكرَ.

قال الحافظُ أبو بكر البزَّارُ في «مُسنده»: حدثنا محمدُ بن معمرٍ، حدَّثنا عبيدُ بن واقدٍ القيسيُّ، حدَّثنا أبو مضَرَ، هو النَّاجيُّ، عن عبد اللَّه بن دينارٍ، عن ابن عُمَرَ، قال: ذُكِرَ حاتمٌ عند النبيِّ ﷺ، فقال: **«ذاكَ أرادَ أمرًا فأدركَه»**[1] . حديث غريب. قال الدارقطني: تفرَّدَ به عُبيدُ بن واقدٍ، عن أبي مُضرَ النَّاجيِّ. ويُقالُ: إنَّ اسمَه حمَّادٌ. قال ابنُ عساكرَ: وقد فرَّقَ أبو أحمد الحاكمُ بينَ أبي مُضرَ النَّاجيِّ وبين أبي نصرٍ حمَّادٍ، ولم يُسمِّ النَّاجي. ووقع في بعض روايات الحافظِ ابنِ عساكر، عن أبي نضر شيبةَ النَّاجيِّ. واللَّه أعلم.

وقال الإمامُ أحمد: حدَّثنا مؤمَّل بن إسماعيلَ، حدَّثنا سفيانُ، عن سماك بن حربٍ، عن مُريِّ بن قطريٍّ، عن عديِّ بن حاتمٍ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، إنَّ أبي كان يَصِلُ الرَّحِمَ، ويفعلُ، ويفعلُ، فهل له في ذلك؟ يعني: من أجر. قال: **«إنَّ أباك طلَب أمرًا فأصابَه»**[2] .

وهكذا رواه أبو يعلى، عن القواريريِّ، عن غُندرٍ عن شُعبةَ، عن سماكٍ به، وقال: **«إنَّ أباكَ أرادَ أمرًا، فأدركَه»**[3] . يعني الذِّكرَ. وهكذا رواه أبو القاسم البغويُّ، عن عليِّ بن الجعد، عن شعبةَ به سواءً، وقد ثبت في «الصحيح»[4] . في الثلاثة الذين تُسعَّرُ بهم جهنمُ، منهم الرَّجلُ الذي يُنفقُ ليُقالَ: إنَّه كريمٌ. فيكونُ جزاؤُه أن يقال ذلك في الدنيا، وكذا في العالمِ والمُجاهد. وفي الحديث الآخر في «الصحيح» أنهم سألوا رسولَ اللَّه ﷺ عن عبدِ اللَّه بنِ جُدعانَ بن عمرِو بن كعبِ بن سعدِ ابن تيم بن مرَّةَ، فقالُوا له: كان يَقري الضَّيفَ، ويعتقُ، ويتصدَّقُ، فهل ينفعه ذلك؟ فقال: **«إنَّه لم يُقل يومًا من الدَّهر: ربِّ اغفر لي خطيئتي يومَ الدِّين»**[5] هذا، وقد كان من الأجوادِ المشهورين أيضًا، المُطعمين في السِّنينَ المُمحلَةَ والأوقاتِ المُرملَةِ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ: أنبأنا أبو عبدِ اللَّه الحافظُ، حدَّثني أبو بكر محمدُ بن عبد الله بن يوسفَ

---

(١) **ضعيف**: أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (٩٢) وفي إسناده عبيد بن واقد وهو ضعيف.
(٢) **إسناده ضعيف**: وفيه هري بن قطري وهو مجهول أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٧٩).
(٣) **إسناده ضعيف كسابقه**.
(٤) مسلم (١٩٠٥). (٥) مسلم (٢١٤).

العُمَانيُّ، حدّثنا أبو سعيدٍ عبيدُ بنُ كثيرِ بن عبدِ الواحدِ الكُوفيُّ، حدثنا ضرارُ بن صردٍ، حدثنا عاصمُ بن حميدٍ، **عن أبي** حمزَةَ الثُّماليِّ، عن عبدِ الرحمنِ بن جُندبٍ، عن كُميلِ بن زيادِ النَّخعيِّ، قال: قال عليُّ بن أبي طالب: **«يا سبحانَ اللَّهِ، ما أزهدَ كثيراً مِن النَّاسِ في خيرٍ، عجبًا لرجلٍ يجيئُه أخُوه المسلمُ في حاجةٍ، فلا يَرَىٰ نفسَه للخيرِ أهلاً، فلو كان لا يرجُو ثوابًا ولا يخشَىٰ عِقابًا، لكان ينبغي له أن يُسارعَ في مكارمِ الأخلاقِ، فإنَّها تدلُّ علىٰ سبيلِ النجاحِ!»** فقامَ إليه رجلٌ وقال: فداكَ أبي وأُمِّي يا أميرَ المؤمنينَ، **أسمعتَه من رسولِ اللَّه** ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خيرٌ منه؛ لما أُتِيَ بِسَبايَا طيِّئٍ، وقعت جاريةٌ حمراءُ، لعساءُ، ذَلفاءُ، عيطاءُ، شمَّاءُ الأنف، مُعتدلةُ القامةِ والهامةِ، درماءُ الكعبَين، خدلَّةُ السّاقَين، لفَّاءُ الفَخذَين، خميصةُ الخَصرَين، ضامِرَةُ الكشحَين، مصقُولةُ المتنَين. قال: فلمَّا رأيتُها، أُعجبتُ بها وقلتُ: لأطلُبَنَّ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ فيجعلُها في فَيْئي. فلمّا تكلَّمت أُنسيتُ جمالها، لما رأيتُ من فصاحَتِها، فقالت: يا محمدُ، إن رأيتَ أن تُخلِّي عنِّي ولا تُشمت بي أحياءَ العربِ، فإنِّي ابنةُ سيِّدِ قومِي، وإنَّ أبي كان يحمِي الذِّمارَ، ويفُكُّ العانِي، ويُشبِعُ الجائعَ، ويكسُو العارِيَ، ويقرِي الضَّيفَ، ويُطعِمُ الطَّعامَ، ويفشِي السَّلامَ، ولم يَرُدَّ طالب حاجةٍ قطُّ، وأنا ابنةُ حاتمِ طَيِّئٍ. فقال النبيُّ ﷺ: **«يا جاريةُ هذه صفةُ المؤمنين حقًا، لو كان أبوكِ مُؤمنًا لترحَّمنا عليه، خلُّوا عنها؛ فإنَّ أباها كان يُحبُّ مكارمَ الأخلاق، واللَّهُ تعالى يُحبُّ مكارمَ الأخلاقِ»**. فقام أبو بُردة بنُ نِيَارٍ، فقالَ: يا رسولَ اللَّه، واللَّهُ يُحبُّ مكارمَ الأخلاقِ؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«والَّذي نفسي بيده، لا يدخُلُ الجنَّةَ أحدٌ إلا بحُسنِ الخُلُق»**(١) .

وقال أبو بكر ابن أبي الدُّنيا(٢) : حدثني عُمرُ بنُ بكرٍ، عن أبي عبدِ الرحمن الطَّائيِّ - هو الهيثَم بن عديٍّ - عن ملحانَ بن عركيِّ بن حلبسٍ الطائيِّ، عن أبيهِ، عن جدِّه - وكان أخا عديِّ بن حاتمٍ لأمه - قال: قيل لِنَوارَ امرأةِ حاتمٍ: حدِّثينا عن حاتمٍ. قالت: كلُّ أمرِه كان عجبًا؛ أصابتنا سنةٌ حصَّت كلَّ شيءٍ فاقشعرَّت لها الأرضُ، واغبرَّت لها السماءُ، وضنَّتِ المراضعُ علىٰ أولادها، وراحتِ الإبلُ حدباءَ حَدَابيرَ، ما تَبِضُّ بقطرةٍ وحلَقَ المالُ، وإنَّا لفي ليلةٍ صِنَّبرٍ، بعيدةِ ما بينَ الطَّرَفَينِ، إذ تَضاغَىٰ الأصبيَةُ من الجُوعِ؛ عبدُ اللَّهِ وعَديٌّ وسَفَّانَةُ، فوَاللَّه إن وَجَدنا شيئًا نُعلِّلُهم به، فقام إلىٰ أحدِ الصَّبيَّين فحملَهُ، وقُمتُ إلىٰ الصَّبيَّة فعلَّلتُها، فواللَّه إن سَكتَا إلاَّ بعد هدأةٍ من اللَّيلِ، ثُمَّ عُدنا إلىٰ الصَّبيِّ الآخرِ، فعلَّلنَاه حتىٰ سكَت وما كاد، ثُمَّ افترَشْنا قَطيفَةً لنا شاميَّةً ذات خَملٍ، فأضجَعنا الصِّبيانَ عليها، ونمتُ أنا وهو في حُجرَةٍ والصِّبيانُ بَينَنا، ثم أقبل عليّ يُعلِّلُني لأنامَ، وعرَفتُ ما يُريدُ فتَناومتُ، فقال: مالكِ أَنِمتِ؟ فسكتُّ. فقال: ما أراها إلاَّ قد نامَت. وما بِي نومٌ. فلمَّا ادلَهَمَّ اللَّيلُ، وتهوَّرَتِ النُّجُومُ، وهدأتِ الأصواتُ، وسكَنَتِ الرِّجلُ، إذا جانبُ البيتِ قد رُفِعَ، فقال: مَن هذا؟ فولَّىٰ حتىٰ إذا قلتُ: قد أسحرنَا أو كِدْنَا. عاد فقال: من هذا؟ قالت: جارتُكَ فُلانةُ يا

---

(١) **إسناده ضعيف:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٣٤١) وفي إسناده أبو حمزة النخالي وهو ضعيف وعبد الرحمن بن جندب لم أقِف له على ترجمته.

(٢) **ضعيف جداً:** أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٦٥)، من طريق ابن أبي الدنيا به، وفيه: ملحان بن عركي ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٣٣)، وقال: «... رواه غير ثبت عن مجهولين»اهـ. وفيه أيضًا الهيثم بن عدي متروك الحديث، ذكره ابن أبي حاتم (٩/ ٨٥).

أبا عَدِيٍّ، ما وَجَدتُ على أحدٍ مُعَوَّلاً غيرَك، أتيتُكَ من عند أصبِيَةٍ يتعاوَونَ عُواءَ الذِّئبِ من الجُوعِ. قال: أعجِلِيهِم عليَّ، قالت النَّوارُ: فوثَبْتُ، فقلتُ: ماذا صنَعتَ؟ واللَّه لقد تضاغَى أصبيتُك، فما وَجَدتَ ما تُعَلِّلُهم به، فكيف بهذه وبولَدِها؟ فقال: اسكُتي، فواللَّه لأُشبِعنَّكِ وإيَّاهم، إن شاء اللَّه. قالت: فأقبلَت تَحمِلُ اثنَين، وتَمشِي جَنبَتَيها أربعةٌ، كأنَّها نَعامةٌ حَولَها رِئالُها، فقام إلى فَرَسِه، فوجأَ بحربتِه في لَبَّتِه، ثم قَدَحَ زَندَه، وأورَى نارَه، ثم جاءَ بمُدْيَةٍ، فكَشَطَ عن جلدِه، ثم دَفَعَ المُدْيَةَ إلى المرأة، ثم قال: دُونَكِ. ثم قال: ابعَثي صبيانَكِ. فبعَثَتْهم. ثم قال: سَوءَةٌ، أتأكُلُونَ شيئًا دُونَ أهلِ الصِّرْمِ؟ فجعَلَ يُطوِّفُ فيهم، حتَّى هبُّوا وأقبَلُوا عليه، والتَفَعَ في ثَوبِه، ثم اضطَجَعَ ناحيةً ينظُرُ إلينا، لا واللَّه ما ذاقَ مِزعَةً، وإنَّه لأحوَجُهم إليه، فأصبَحنا وما على الأرضِ منه إلا عَظْمٌ أو حافِرٌ.

وقال الدَّارَقُطنيُّ[1]: حدثني القاضي أبو عبدِ اللَّه المَحامِليُّ، حدثنا عبدُ اللَّه بن أبي سعدٍ، حدثني غُنْمُ بن ثوابةَ بن حُمَيدٍ الطَّائيُّ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قالت امرأةُ حاتمٍ لحاتمٍ: يا أبا سفَّانة، أشتَهي أن آكُلَ أنا وأنت طعامًا وحدَنا، ليس عليه أحدٌ. فأمَرَها فحوَّلَت خيمَتَها من الجماعةِ على فرسخٍ، وأمَرَ بالطَّعامِ فهُيِّئَ، وهي مُرخَاةٌ ستورُها عليه وعليها، فلمَّا قارَبَ نُضجُ الطَّعامِ، كشَفَ عن رأسِه ثم قال:

فلا تَطبُخي قِدْرِي وسِتْرُكِ دُونَها ... عليَّ إذَنْ ما تَطبُخِين حَرامُ

ولكنْ بهذاكَ اليَفاعِ فأوقِدِي ... بِجَزْلٍ إذا أُوقِدتِ لا بِضِرامِ

قال: ثم كشَفَ السُّتورَ، وقدَّمَ الطَّعامَ، ودَعَى النَّاسَ، فأكَلَ وأكَلُوا، فقالت: ما أتمَمتَ لي ما قُلتَ. فأجابها: فإنِّي لا تُطاوِعُني نفسي، ونفسي أكرمُ عليَّ مِن أن يُثنَى عليَّ هذا، وقد سَبَقَ لِيَ السخاءُ، ثم أنشأ يقولُ:

أُمارِسُ نَفسَ الجُودِ حتى أُعِزَّها ... وأترُكُ نَفسَ البُخلِ لا أستَشِيرُها

ولا تَشْتَكِيني جارتي غَيرَ أنَّها ... إذا غابَ عنها بَعلُها لا أزُورُها

سَيَبْلُغُها خَيْرِي ويَرجِعُ بَعلُها ... إليها ولم تُقصَرْ عليَّ سُتُورُها

ومن شِعرِ حاتمٍ:

إذا ما بِتُّ أشرَبُ فَوقَ رِيِّي ... لِسُكْرٍ في الشَّرابِ فلا رَوِيتُ

إذا ما بِتُّ أَختِلُ عِرسَ جاري ... لِيُخفِيَني الظَّلامُ فلا خَفِيتُ

أأفضَحُ جارتي وأخُونُ جاري ... فلا واللَّهِ أفعَلُ ما حَيِيتُ

ومن شعرِه أيضًا:

ما ضَرَّ جارًا لي أُجاوِرُه ... أنْ لا يكونَ لِبابِه سِتْرُ

أُغضِي إذا ما جارتي بَرَزَتْ ... حتى يُوارِيَ جارتي الخِدْرُ

---

(١) في إسناده مجاهيل: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٦٦)، من طريق الدارقطني به.

ومِن شعرِ حاتمٍ أيضًا:

ومـا مِـن شِـيـمَـتِي شَـتْمُ ابنِ عـمِّي ... ومَـا أنا مُـخْلِفٌ مَن يَرْتَجِـينِي
وكَلِمَـةَ حَـاسِـدٍ من غَـيْـرِ جُـرْمٍ ... سَـمِـعتُ فـقُلتُ مُـرِّي فـانفُـذِينِي
وعـابُوهـا عـليَّ فلم تَـعِـبْنِي ... ولم يَـعْـرَقْ لـهـا يومًـا جَـبِـينِي
وذي وَجْـهَـيْنِ يَلْقـانِي طَلِيـقًـا ... ولـيـس إذا تَـغَـيَّـبَ يـأتـلِـينِي
ظَفِـرْتُ بعَـيْـبِـه فَكَفَـفْتُ عنه ... مُـحَـافَظَةً عـلى حَـسَـبِي ودِينِي

ومِن شِعرِه:

سَلِي البـائسَ المَقْـرُورَ يـا أُمَّ مـالك ... إذا مـا أتـاني بيَن نارِي ومَـجْـزَرِي
أأَبْـسُطُ وَجْـهِي أنَّـه أوَّلُ الـقِـرَى ... وأَبـذُلُ مَـعْـرُوفِي له دُونَ مُنكَرِي

وقال أيضًا:

وإنَّك إن أعطَيْتَ بَطنَك سُـؤْلَه ... وفَـرْجَكَ نَالاَ مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعا

وقال القاضي أبو الفَرَجِ المُعافَى بنُ زكَريا الجَريريُّ: حدَّثنا الحسينُ بنُ القاسمِ الكَوكَبيُّ، حدَّثنا أبو العباسِ المُبَرِّدُ، أخبرني الثَّوريُّ، عن أبي عُبيدةَ قال: لَمَّا بلغَ حاتِمَ طَيِّئٍ قولُ المُتلَمِّسِ:

قَليلُ المَال تُصْلِحُـهُ فـيَـبْـقَى ... ولا يَبْـقَى الكَثِـيـرُ على الـفَـسـادِ
وحِـفْظُ المالِ خَـيْـرٌ مِن فَنَاهُ ... وعَـسْفٍ في البـلادِ بغَـيرِ زادِ

قال: ما لَه؟ قطَعَ اللَّهُ لِسانَه، حَمَلَ النَّاسَ على البُخلِ، فهلاَّ قال:

فَـلا الجُـودُ يُفْني المالَ قَبْلَ فَنائه ... ولا البُـخلُ في مَـال الشَّـحيحِ يَزِيدُ
فَـلاَ تَلتَـمِس مـالاً بعَيْشٍ مُـقَـتَّـرٍ ... لكُلِّ غَـدٍ رزقٌ يَعُـودُ جَـدِيدُ
ألَـمْ تَـرَ أنَّ المالَ غـادٍ ورائِحٌ ... وأنَّ الذي يُعطِيكَ غـيرُ بَعِـيدِ

[قال] القاضي أبو الفَرَجِ: ولقد أحسَنَ في قوله: وأنَّ الذي يُعطيكَ غيرُ بعيدِ، ولو كان مُسلِمًا لرُجِيَ له الخيرُ في معادِه، وقد قال اللَّه في كتابه: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وعن الوضَّاحِ بن معبَدٍ الطَّائيِّ قال: وَفَدَ حاتمٌ الطَّائيُّ على النُّعمانِ بنِ المُنذرِ، فأكرَمه وأدنَاه، ثم زوَّدَه عند انصرافه حِملَين ذهبًا ووَرِقًا، غيرَ ما أعطاه مِن طرائفِ بلدِه، فرَحَل، فلمَّا أشرَفَ على أهلِه، تلقَّته أعاريبُ طيِّئٍ، فقالَت: يا حاتِمُ، أتيتَ مِن عندِ الملِكِ بالغِنَى، وأتينَا مِن عندِ أهالِينا بالفَقرِ. فقال حاتمٌ: هَلُمَّ، فخُذُوا ما بينَ يَدَيَّ. فتوزَّعُوه، فوثَبُوا إلى ما بينَ يديهِ مِن حباءِ النُّعمانِ، فاقتَسَمُوه، فخرَجَت إلى حاتمٍ طُرَيفةُ جاريتُه فقالَتْ له: اتَّقِ اللَّه وأبقِ على نفسِك، فما يدَعُ هؤلاءِ دِيناراً ولا دِرهمًا، ولا شاةً ولا بعيراً. فأنشأ يقولُ:

قالَتْ طُرَيْفَةُ ما تَبقَى دراهمُنا ... وما بنا سَرَفٌ فيها ولا خَرَقُ
إنْ يَفْنَ ما عندَنا فاللَّهُ يرزُقُنا ... مِمَّن سِوانا ولَسْنا نحنُ نَرتَزِقُ
ما يألَفُ الدِّرهمُ الكارِيُّ خِرقَتَنا ... إلاَّ يَمُرُّ عليها ثم ينطَلِقُ
إنَّا إذا اجتَمَعَتْ يومًا دراهمُنا ... ظلَّتْ إلى سُبُلِ المعروفِ تَستَبِقُ

وقال أبو بكْرِ بنُ عيَّاش: قِيلَ لحاتمٍ: هل في العَرَبِ أجوَدُ منك؟ فقال: كلُّ العَرَبِ أجوَدُ منِّي. ثُمَّ أنشَأَ يحدِّثُ، قال: نزلتُ علىٰ غلامٍ مِن العربِ يَتيمٍ ذاتَ ليلةٍ، وكانت له مِائةٌ مِن الغنمِ، فذَبَح لي شاةً منها، وأتاني بها، فلمَّا قرَّبَ إلىٰ دِماغَها قلتُ: ما أطيَبَ هذا الدِّماغَ. قال: فذَهَب، فلم يَزَل يَأتِيني منه حتىٰ قلتُ: قد اكتفَيتُ. فلمَّا أصبَحتُ، إذا هو قد ذبَح المائةَ شاةٍ، وبَقِيَ لا شيءَ له. فقيلَ: فما صنعتَ به؟ فقال: ومتىٰ أبلُغُ شُكرَه، ولو صنعتُ به كلَّ شيءٍ؟! قال: علىٰ كلِّ حالٍ؟ فقال: أعطَيتُه مائةَ ناقةٍ من خِيارِ إبِلي.

وقال محمدُ بن جعفر الخرائطيُّ، في كتاب «مكارمِ الأخلاق»(١): حدَّثنا العباسُ بن الفضلِ الرَّبَعِيُّ، حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ، حدثني حمَّادٌ الرَّاويةُ، ومشيخةٌ من مشيخةِ طَيِّئٍ، قالُوا: كانت غَنِيَّةُ بنتُ عفيفِ بن عمرِو بن امرئِ القيسِ، أُمُّ حاتمِ طَيِّئٍ لا تُمسِكُ شيئًا؛ سخاءً وجُودًا، وكان إخوتُها يمنعُونها فتأبَىٰ، وكانت امرأةً مُوسِرَةً، فحَبَسُوها في بيتٍ سنةً، يُطعِمُونَها قُوتَها لعلَّها تكُفُّ عمَّا تَصنَعُ، ثُم أخرجُوها بعدَ سنةٍ، وقد ظنُّوا أنَّها قد تَركَت ذلك الخُلُقَ، فدفَعُوا إليها صِرمةً مِن مالِها، وقالوا: استَمتعي بها. فأتَتْها امرأةٌ مِن هوازِنَ، وكانت تغشَاها فسألتها، فقالت: دُونَكِ هذه الصِّرمَةَ، فقد واللَّهِ مسَّني مِن الجُوعِ ما آلَيتُ أن لا أمنَعَ سائِلاً شيئًا. ثم أنشأت تقولُ:

لَعَمْرِي - لَقِدْمًا - عضَّني الجوعُ عَضَّةً ... فآلَيْتُ أن لا أمنَعَ الدَّهْرَ جائعًا
فَقُولا لِهَذا اللاَّئمي اليومَ: أعْفِني ... وإن أنتَ لم تَفعَلْ فعَضَّ الأصابِعَا
فماذا عَسَيتُم أن تَقُولُوا لأُختِكُم ... سِوَى عَذْلِكم أو عَذْلِ مَن كان مانِعَا
ومهما تَرَوْن اليومَ إلا طبيعةً ... فكَيفَ بِتَركي - يا ابنَ أُمِّ - الطَّبائِعَا

وقال الهيثمُ بنُ عَدِيٍّ: عن مِلحَانَ بنِ عركي بن عَدِيِّ بن حاتمٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: شَهِدتُ حاتمًا يَكيدُ بنفسه، فقالَ لي: أي بُنَيَّ، إنِّي أعهدُ من نفسِي ثلاثَ خصالٍ، ؛ واللَّهِ ما خَاتَلتُ جارةً لي لرِيبَةٍ قَطُّ، ولا اؤتُمِنْتُ علىٰ أمانةٍ إلاَّ أدَّيتُها، ولا أُتِيَ أحَدٌ مِن قِبَلي بسُوءٍ(٢).

وقال أبو بكرِ الخرائطيُّ(٣): حدَّثنا عليُّ بنُ حَربٍ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ يحيَىٰ العَدَوِيُّ،

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٧٠)، من طريق الخرائطي به.
(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٧٧) من طريق الهيثم بن عدي به، وتقدم بيان في هذا الإسناد من ضعفاء.
(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٣٧٧)، من طريق الخرائطي به مختصراً علىٰ ذكر الأبيات، وفيه هشام بن السائب: متروك، ومن دونه لم أقف لهم علىٰ ترجمة.

حدثنا هشامُ بن محمدِ بن السائبِ الكلبيُّ، عن أبي مسكينٍ - يعني جعفرَ بن المُحرِّزِ بن الوليد - عن المُحرَّرِ بن أبي هُريرةَ، قال: مَرَّ نفرٌ من عبدِ القيسِ بقبرِ حاتمِ طَيِّءٍ، فنزلُوا قريبًا منه، فقام إليه بعضُهم يقال له: أبو الخَيبَرِيِّ. فجعل يركُضُ قبره برجلِه، ويقولُ: يا أبا الجعراءِ، اقرِنَا. فقال له بعض أصحابه: ما تخاطِبُ من رِمَّةٍ وقد بَلِيَت. وأجنَّهُم الليلُ فنامُوا، فقام صاحبُ القولِ فَزِعًا يقولُ: يا قومُ عليكم بِمَطِيِّكُم، فإنَّ حاتمًا أتاني في النَّومِ، وأنشَدَني شعرًا وقد حَفِظتُه، يقولُ:

أبا خَيبَرِيٍّ وأنت امرُؤٌ ... ظَلُومُ العَشِيرَةِ شَتَّامُها
أتَيتَ بصَحْبِكَ تَبغي القِرَى ... لَدَي حُفرَةٍ صَخِبٍ هَامُها
تُبَغِّي لِيَ الذَّنبَ عندَ المَبِيت ... وحَولَكَ طَيٌّ وأنعَامُها
وإنا سَنُشْبِعُ أَضيافَنا ... ونَأتِي المَطِيَّ فنَعْتَامُها

قال: وإذا ناقةُ صاحبِ القولِ تَكُوسُ عَقِيرًا، فنحرُوها وقامُوا يَشتَوُون ويأكلون، وقالوا: واللَّه لقد أضافنا حاتمٌ حيًا وميتًا. قال: وأصبحَ القومُ وأردَفُوا صاحِبَهم وسارُوا، فإذا رجلٌ يُنَوِّهُ بهم، راكبًا جملاً ويقُودُ آخَرَ، فقالَ: أيُّكُم أبُو الخَيبَرِيِّ؟ قال: أنا. قال: إنَّ حاتمًا أتاني في النوم، فأخبَرَني أنَّه قَرَىٰ أصحابَك ناقتَكَ، وأمَرَني أن أحمِلكَ، وهذا بَعيرٌ فَخُذهُ. فدفعه إليه.

ذِكرُ شيءٍ من أخبارِ عبدِ اللَّه بن جُدعَانَ

هو عبدُ اللَّه بنُ جُدعَانَ بنِ عمرِو بن كعبِ بن سعدِ بن تيمِ بن مُرَّةَ، سيِّدُ بَني تَيمٍ، وهو ابنُ عمٍّ والدِ أبي بَكرٍ الصديقِ رضي الله عنه، وكان من الكُرماءِ الأجوادِ في الجاهليَّة، المُطعِمين للمُسنتينَ، وكان في بدءِ أمرِه فقيرًا مُملِقًا، وكان شرِّيرًا يُكثرُ من الجِنايات، حتىٰ أبغضَه قومُه وعشيرتُه، وأهلُه وقَبيلتُه، وأبغضُوه حتىٰ أبوه، فخرَجَ ذات يومٍ في شعابِ مكَّةَ حائرًا بائرًا، فرأىٰ شقًا في جبلٍ، فظنَّ أن يكونَ به شيءٌ يُؤذي، فقصَدَه لعلَّه يموتُ، فيستريحُ ممَّا هو فيه، فلمَّا اقترب منه إذا ثعبانٌ يخرُجُ إليه ويثبُ عليه، فجعلَ يحيدُ عنه ويثبُ، فلا يُغني شيئًا، فلمَّا دنا منه، إذا هو من ذهبٍ، وله عَينانِ هما ياقُوتَتانِ، فكسَرَه وأخذَه ودخلَ الغارَ، فإذا فيه قُبورٌ لرجالٍ من مُلُوكِ جُرهُمٍ، ومنهم الحارثُ بن مضاضٍ، الذي طالت غَيبتُه فلا يُدرىٰ أين ذهب، ووجَدَ عند رُءُوسهم لوحًا من ذهبٍ، فيه تاريخُ وفاتِهم ومُدَدُ ولايَتِهم، وإذا عندَهم من الجواهرِ واللآلِئ والذهبِ والفضة شيءٌ كثيرٌ، فأخذ منه حاجتَه ثُم خرَج، وعلَّم باب الغارِ، ثُم انصرفَ إلىٰ قومِه، فأعطاهم، حتىٰ أحبُّوه، وسادَهم وجعل يُطعمُ النَّاسَ، وكُلَّما قلَّ ما في يده، ذهب إلىٰ ذلك الغار فأخذ حاجَتَه ثُمَّ رجَع، فممَّن ذكر هذا عبدُالملكِ بنُ هشامٍ في كتابِ «التِّيجانِ» وذكره أحمدُ بن عمّارٍ في كتاب« ريِّ العاطشِ وأُنسِ الواحشِ».

وكانت له جفنَةٌ يأكلُ منها الراكبُ علىٰ بعيره، ووقَع فيها صغيرٌ فغرِقَ. وذكَر ابنُ قتيبة وغيره، أن رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**لقد كنتُ أستظلُّ بظلِّ جفنَةِ عبد اللَّه بن جُدعانَ صكَّةَ عُمَيٍّ**» أي: وقتَ الظهيرةِ، وفي حديث مقتلِ أبي جهلٍ، أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لأصحابِه: «**تَطَلَّبوه بين القتلى، وتعرَّفُوه**

بشَجَّة في رُكبَته فـإنِّي تزاحَمتُ أنَا وهو على مَأدبة لابن جُدْعان فَدَفعتُه فسقط على رُكْبَته، فانهشَمَت، فأثرُهَا بَاق في رَكبَته» (١) . فوجدوه كذلك. وذكروا أنه كان يُطعمُ التمرَ والسَّويقَ، ويسقي اللبنَ، حتىٰ سَمعَ قولَ أمية بن أبي الصَّلت:

ولقـــدْ رأيتُ الفـــاعلين وفـــعْلَهم ... فـــرأيتُ أكـــرمَـــهم بَني الدَّيَّـانِ
البُـــرُّ يُلْبَكُ بالشِّـــهَـــاد طعَـــامُـــهم ... لا مـــا يُعَلِّلُنا بنـو جُـــدْعَـــانِ

فأرسل ابنُ جُدعانَ إلىٰ الشام ألفَي بعير، تحملُ البُرَّ والشَّهدَ والسَّمنَ، وجعل مناديًا يُنادي كلَّ ليلة علىٰ ظهر الكعبة، أن هلمُّوا إلىٰ جفنة ابن جُدعَانَ. فقال أُميَّةُ في ذلك:

لـه داعٍ بمكةَ مُـــشْـــمَـــعِلٌّ ... وآخَـرُ فـوقَ كَـعـبَـتـهـا يُنادي
إلـى رُدُحٍ من الشِّـــيـــزَى مِـــلاءٍ ... لُبَـــابَ البُـــرِّ يُلْبَكُ بـالشِّـــهـــادِ

ومع هذا كلِّه فقد ثَبَت في «الصحيح» لمسلمٍ، أنَّ عائشةَ قالت: يا رسولَ اللَّه، إنَّ ابن جدعانَ كان يُطعمُ الطعامَ، ويَقري الضيفَ، فهل ينفعُه ذلك يوم القيامة؟ فقال: **«لا، إنَّه لم يَقُل يومًا: ربِّ اغفرْ لي خطيئتي يومَ الدين»** (٢) .

ذكر امرئ القيس بن حُجْر الكِنْديِّ، صاحب إحدىٰ المعلَّقات

وهي أفخَرُهُنَّ وأشهَرُهُنَّ التي أوَّلُها:

قِـفـا نَبْكِ مِنْ ذِكْـرَى حَـبِـيـبٍ ومَنْزِلِ

قال الإمامُ أحمدُ: حدثنا هشيمٌ، حدثنا أبو الجهمِ، عن الزهريِّ، عن أبي سلمَةَ، عن أبي هريرَةَ قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«امرُؤُ القيس صاحبُ لواء الشُّعراء إلى النَّار»** (٣) وقد روىٰ هذا الحديثَ عن هُشيم جماعةٌ كثيرون؛ منهم بِشرُ بنُ الحكمِ، والحَسَنُ بن عرفَةَ، وعبد اللَّه بن هارونَ، أميرُ المؤمنين المأمونُ أخو الأمين، ويحيىٰ بن معين، وأخرجَه ابنُ عديٍّ من طريقِ عبدِ الرَّزاقِ، عن الزُّهريِّ به، وهذا منقطعٌ (٤) . ورُوِيَ من وجهٍ آخَرَ، عن أبي هريرةَ، ولا يَصحُّ من غيرِ هذا الوجه.

وقـال الحافظُ ابن عساكرَ: هو امرؤُ القيسِ بنُ حُجرِ بنِ الحارثِ بن عمرِو بن حُجرٍ، آكِلِ المُرارِ، ابنِ عمرِو بن معـاويةَ بن الحارثِ بن يعربَ بن ثورِ بنِ مرتِّعِ بن معـاويةَ بن كِندَةَ، أبو يزيدَ، ويقـالُ:

---

(١) **إسناده ضعيف** وسيأتي في «السيرة».
(٢) تقدم أنه في مسلم.
(٣) **إسناده ضعيف:** أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٨) وفيه أبو الجهم الواسطي وهو صبيح بن عبد اللَّه قال عنه أبو زرعة: واهي الحديث وقال أحمد: مجهول انظر «الجرح والتعديل» (٩/ ٣٥٥).
(٤) **منقطع:** وعبد الرزاق بن عمر متروك كما قال الحافظ في «التقريب».

أبو وهب. ويقالُ: أبو الحارثِ الكنديُّ. كان بأعمالِ دمشقَ، وقد ذكَرَ مواضعَ منها في شعرِه، فمِن ذلك قولُه:

قفا نبْكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومنْزلِ	بسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعفُ رَسْمُها	لِمَا نَسَجَتْها مِن جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

قال: وهذه مواضعُ معروفةٌ بحَورانَ.

ثُم رَوَىٰ من طريق هشامِ بنِ محمدِ بنِ السائبِ الكَلْبيِّ، حدّثني فروةُ بنُ سعيدِ بن عفيفِ بنِ معدي كَرِبَ، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: بينَا نحنُ عندَ رسولِ اللَّه ﷺ إذ أقبَلَ وَفدٌ من اليمنِ، فقالُوا: يارسولَ اللَّه، لقد أحيانا اللَّهُ ببَيتَين من شعرِ امرئ القيس. قال: «وكيف ذاك»؟» قالوا: أقبَلنا نريدُك، حتىٰ إذا كنا ببعضِ الطريقِ أخطأنا الطَّريق، فمكَثنا ثلاثًا لا نقدرُ على الماء، فتفرَّقنا إلى أُصولِ طَلْحٍ وسَمُرٍ؛ ليموتَ كلُّ رجلٍ منَّا في ظلِّ شجرةٍ، فبينَا نحن بآخرِ رَمَقٍ إذا راكبٌ يُوضِعُ على بعيرٍ، فلمّا رآه بعضُنا قال والراكبُ يسمعُ:

ولمّا رأَتْ أنّ الشريعةَ هَمُّها	وأنّ البياضَ مِنْ فَرائصِها دامي
تيَمَّمَتِ العينَ التي عندَ ضارِجٍ	يَفيءُ عليها الظِّلُّ عَرمَضُها طامي

فقال الراكبُ: ومن يقولُ هذا الشِّعرَ؟ ـ وقد رأىٰ ما بنا من الجَهدِ ـ قال: قلنا: امرؤُ القيسِ بنُ حُجرٍ. قال: واللَّه ما كذَبَ، هذا ضارجٌ عندكم. فنَظَرنا فإذا بينَنا وبينَ الماء نحوٌ من خمسين ذراعًا، فحبَونا إليه على الرُّكَبِ، فإذا هو كما قال امرؤُ القيسِ؛ عليه العَرمَضُ يَفيءُ عليه الظِّلُّ. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«ذاكَ رَجُلٌ مَذكُورٌ في الدُّنْيَا، مَنْسيٌّ في الآخرَةِ، شَرِيفٌ في الدُّنْيا خَامِلٌ في الآخرَةِ، بيَدِه لِواءُ الشُّعَراءِ يَقُودُهم إلى النارِ»**[1].

وذكر الكلبيُّ أنّ امرأَ القَيسِ أقبَلَ براياته، يريدُ قتالَ بني أسدٍ حينَ قَتَلُوا أباه، فمَرَّ بتَبَالةَ وبها ذو الخَلَصةِ، وهو صنَمٌ، وكانت العربُ تَستَقسمُ عندَه، فاستَقسَمَ، فخرَجَ القدحُ النّاهي، ثُم الثانيةَ ثم الثالثةَ كذلك، فكسَرَ القداحَ وضرَبَ بها وَجهَ ذي الخَلَصةِ، وقال: عَضَضْتَ بأيْرِ أبيك، لو كان أبوك المقتولَ لَمَا عَوَّقتَني. ثُم أغارَ على بني أسدٍ فقتَلَهم قتلاً ذَريعًا. قال ابنُ الكَلْبيِّ: فلم يُستَقسَمْ عندَ ذي الخَلَصةِ حتّىٰ جاء الإسلامُ. وذكَرَ بعضُهم أنه امتدَحَ قيصرَ ملكَ الرُّومِ، يستنجدُه في بعضِ الحُروبِ ويسترفِدُه، فلم يَجد ما يُؤَمِّلُه عندَه فهجاه بعدَ ذلك، فيقالُ: إنَّه سقاه سُمًّا فقتلَه، فألجأَه الموتُ إلى جَنبِ قَبْرِ امرأةٍ، عند جبلٍ يُقالُ له: عَسِيبٌ. فكتَبَ هنالك:

أجارتَنا إنَّ المَزارَ قريبُ	وإنِّي مُقيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
أجارتَنا إنّا غريبانِ هاهنا	وكلُّ غريبٍ للغريبِ نَسِيبُ

(١) أخرجه ابن عساكر في «التاريخ» (٩/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) وفي إسناده من لم أقف عليهم.

وقد ذَكَروا أن المُعلَّقات السَّبعَ كانت مُعلَّقةً بالكعبة، وذلك أنَّ العربَ كانوا إذا عَمِلَ أحدُهم قصيدةً عَرَضَها على قريشٍ، فإن أجازُوها علَّقُوها على الكعبة، تعظيمًا لشأنها، فاجتمَعَ من ذلك هذه المُعلَّقاتُ السَّبعُ، فالأُولى لامرئ القيس بن حُجر الكِنْديِّ كما تقدَّمَ، وأوَّلُها:

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ ... بِسِقطِ اللِّوى بَينَ الدَّخولِ فَحَوْمَلِ

والثانيةُ للنّابغةِ الذُّبيانيِّ، واسمُه زيادُ بنُ مُعاويةَ، ويقالُ: زيادُ بنُ عمرو بن معاويةَ بن ضِبابِ بنِ جابرِ بن يربوعِ بن غيظِ بن مُرَّةَ بن عَوفِ بن سعدِ بن ذُبيانَ بن بغيضٍ. وأوَّلُها:

يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأَبَدِ

والثالثةُ لزهيرِ بن أبي سُلمى ربيعةَ بن رياحٍ المُزَنيِّ، وأوَّلُها:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ ... بِحَوْمانَةِ الدَّرَّاجِ فالمُتَثَلَّمِ

والرابعةُ لطَرَفَةَ بنِ العبدِ بن سفيانَ بنِ سعدِ بن مالكِ بن ضُبَيعةَ بنِ قيسِ بن ثعلبةَ بن عُكابةَ بنِ صعبِ بن عليِّ بن بكرِ بن وائلٍ، وأوَّلُها:

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ ... تلوحُ كباقي الوَشْمِ في ظاهِرِ اليَدِ

والخامسةُ لعنترَةَ بنِ شدَّادِ بنِ معاويةَ بن قُرادِ بن مخزوم بن ربيعةَ بن مالكِ بن غالبِ بن قُطيعةَ بن عَبسٍ العَبْسيِّ، وأوَّلُها:

هل غادَرَ الشُّعَراءُ من مُتَرَدَّمِ ... أَمْ هل عَرَفْتَ الدَّارَ بعدَ تَوَهُّمِ

والسادسةُ لعلقمَةَ بنِ عبَدَةَ بن النُّعمانِ بن قيسٍ، أحدِ بني تميمٍ، وأوَّلُها:

طحا بكَ قلبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ ... بُعَيدَ الشبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ

السابعةُ - ومنهم مَن لا يُثبِتُها في المُعلَّقات، وهو قولُ الأصمَعيِّ وغيرِه - وهي لِلَبيدِ بن ربيعةَ بن مالكِ بنِ جعفرِ بن كلابِ بنِ ربيعةَ بنِ عامرِ بنِ صعصعةَ بنِ معاويةَ بنِ بكرِ بن هوازنَ بن منصورِ بن عكرِمَةَ بنِ خصفَةَ بنِ قيسِ بن عَيلانَ بن مُضَرَ، وأوَّلُها:

عَفَتِ الديارُ مَحَلُّها فَمُقامُها ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجامُها

فأما القصيدةُ التي لا يُعرفُ قائلُها، فيما ذَكَره أبو عُبيدَةَ، والأصمعيُّ والمُبَرِّدُ، وغيرُهم، فهي قولُه:

هل بالطُّلولِ لسائلٍ رَدُّ ... أم هل لها بتَكَلُّمٍ عَهْدُ

وهي مُطوَّلَةٌ وفيها معانٍ حسنةٌ كثيرةٌ.

ذكر شيء من أخبار أمية بن أبي الصلت الثقفي كان من شعراء الجاهلية، وقد أدرك زمن الإسلام

قال الحافظُ ابنُ عساكر: هو أميةُ بنُ أبي الصَّلت عبد اللَّه بن أبي ربيعةَ بن عوف بن عُقدةَ بن غيرَةَ ابن عوف بن ثقيف بن منبِّه بن بكر بن هَوازنَ، أبو عثمانَ، ويقالُ: أبو الحكم الثَّقفيُّ. شاعرٌ جاهليٌّ، قَدمَ دمَشقَ قبلَ الإسلام، وقيل: إنَّه كان مُستقيمًا، وإنَّه كان في أوَّل أمره على الإيمان ثم زاغَ عنه، وإنَّه هو الذي أراده اللَّهُ تعالى بقوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال الزُّبيرُ بنُ بكار: فولَدَت رُقَيَّةُ بنتُ عبد شمس بن عبد مناف أُميّةَ الشاعرَ ابن أبي الصَّلت، واسمُ أبي الصَّلت ربيعةُ بنُ وهب بن علاج بن أبي سَلَمَةَ بن ثقيف. وقال غيرُه: كان أبوه من الشّعراء المشهورين بالطَّائف، وكان أميَّةُ أشعرَهم.

وقال عبدُ الرزّاق: قال الثَّوريُّ: أخبرَني حبيبُ بنُ أبي ثابت أنَّ عبدَ اللَّه بنَ عمرو قال في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ هو أميةُ ابنُ أبي الصّلت[١]. وكذا رواه أبو بكر ابن مردويه، عن أبي بكر الشافعيِّ، عن معاذ بن المُثنَّى، عن مسدَّد، عن أبي عوانَةَ، عن عبد الملك بن عُمير، عن نافع بن عاصم بن مسعود، قال: إنِّي لفي حَلَقَة فيها عبد اللَّه بنُ عمرو، فقرأ رجلٌ من القوم الآية التي في «الأعراف»: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ فقال: هل تدرونَ من هو؟ فقال بعضُهم: هو صيفيُّ بنُ الرّاهب، وقال آخرُ: بل هو بلعمُ، رجلٌ من بني إسرائيلَ. قال: لا. قال: فمَن هو؟ قال: أميةُ بن أبي الصَّلت. وهكذا قال أبو صالح، والكلبيُّ، وحكاه قتادةُ عن بعضهم.

وقال الطبراني: حدّثنا عليُّ بن عبد العزيز، حدّثنا عبدُ اللَّه بن شبيب الرَّبَعيُّ، حدثنا محمدُ بن سلمَةَ بن هشام المخزوميُّ، حدثنا إسماعيلُ بنُ الطَّريح بن إسماعيلَ الثَّقفيُّ، حدَّثني أبي، عن أبيه، عن مروانَ بن الحكم، عن معاويةَ بن أبي سفيانَ، عن أبيه، قال: خرجتُ وأميّةُ بن أبي الصّلت الثَّقفيُّ تُجارًا إلى الشّام، فكُلّما نزلنَا مَنزلاً أخذَ أُميّةُ سِفرًا له يقرَؤُه علينا، فكُنا كذلك حتى نزلنا قريةً من قُرىٰ النَّصارىٰ، فجاءُوه، وأهدَوا له وأكرمُوه، وذهب معهم إلى بيوتهم، ثُم رَجَعَ في وَسط النهار فطَرَح ثوبَيه، وأخذ ثوبَيْن له أسودَيْن، فلَبِسَهما، وقال لي: هل لك يا أبا سفيانَ في عالمٍ من عُلماء النصارىٰ، إليه يَتناهىٰ علمُ الكتاب تسألُه؟ قلتُ: لا أربَ لي فيه، واللَّه لَئنْ حدّثني بما أُحبُّ لا أثقُ به، ولئن حدّثني بما أكرهُ لأوجَلَنَّ منه. قال: فذَهَب وخالَفَه شيخٌ من النَّصارىٰ، فدَخَل عليَّ فقال: ما يمنعُك أن تذهَب إلى هذا الشيخ؟ قلتُ: لستُ على دينه. قال: وإن، فإنَّك تسمعُ منه عَجَبًا

---

(١) **إسناده ضعيف:** أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٩٥٨) وحبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عبد اللَّه بن عمرو.

وتراه. ثُم قال لي: أثَقَفِيٌّ أنت؟ قلتُ: لا، ولكن قُرشيٌّ. قال: فما يمنعُك من الشيخِ؟ فواللَّهِ إنَّه لَيُحبُّكم ويُوصي بكم. قال: فخرج من عندنا، ومكثَ أميَّة عندَهم حتىٰ جاءَنا بعد هدأةٍ من الليلِ، فطَرَح ثَوبَيه ثم انجدَلَ علىٰ فراشِه، فواللَّهِ ما نام ولا قام، حتىٰ أصبح كَئِيبًا حزينًا، ساقطًا غَبُوقُه علىٰ صَبُوحِه، ما يُكلِّمُنا ولا نُكلِّمُه، ثُم قال: ألا ترحَلُ؟ قلتُ: وهل بك من رحيلٍ؟ قال: نعم! قال: فرحَلنا فسِرنا بذلك لَيلَتَين؛ مِن هَمِّه، ثم قال في الليلة الثالثةِ: ألا تُحدِّثُ يا أبا سفيانَ؟ قلتُ: وهل بك من حديثٍ؟ واللَّه ما رأيتُ مِثلَ الذي رجعتَ به مِن عندِ صاحبِك. قال: أما إنَّ ذلك لِشَيءٍ لستَ فيه؛ إنَّما ذلك لشيءٍ وَجِلتُ به من مُنقَلَبِي. قلتُ: وهل لك مِن مُنقَلَبٍ. قال: إي واللَّهِ، لأَمُوتَنَّ ثُم لأُحيَيَنَّ. قال: قلتُ: هل أنت قابلٌ أمانتي؟ قال: علىٰ ماذا؟ قلتُ: علىٰ أنك لا تُبعَثُ ولا تُحاسبُ. قال: فضَحِكَ ثم قال: بلىٰ! واللَّهِ يا أبا سفيانَ، لَنُبعَثَنَّ ثُم لَنُحاسَبَنَّ، وليَدخلنَّ فريقٌ الجنَّةَ وفريقٌ النارَ. قلتُ: ففي أيِّهما أنت أخبَرَكَ صاحبُك؟ قال: لا عِلمَ لصاحبي بذلك، لا فيَّ ولا في نفسه. قال: فكُنّا في ذلك ليلتين يَعجبُ مني وأضحَكُ منه، حتىٰ قَدِمنا غُوطةَ دمَشقَ، فبِعنا متاعَنا وأقَمنَا بها شهرين، فارتحلنا حتىٰ نَزلنا قريةً من قُرَىٰ النَّصارَىٰ، فلما رأوه جاءُوه وأهدَوا له وذهب معهم إلىٰ بِيعتِهم، فما جاء إلا بعد منتصفِ النّهارِ، فلَبِسَ ثَوبَيه وذهب إليهم، حتىٰ جاء بعدَ هدأةٍ مِن الليلِ، فطَرَحَ ثَوبَيه، ورَمَىٰ بنفسه علىٰ فراشِه، فواللَّهِ ما نام ولا قام، وأصبح حزينًا كئيبًا، لا يُكلِّمنا ولا نكلِّمُه، ثم قال: ألا ترحلُ؟ قلتُ: بلىٰ إن شئتَ. فرَحَلنا كذلك من بثِّه وحُزنِه ليالي. ثُم قال لي: يا أبا سفيانَ، هل لك في المسيرِ لنتقدَّمَ أصحابَنا؟ قلتُ: هل لي فيه. قال: فسِرْ. فسِرْنا حتّىٰ بَرَزنا من أصحابِنا ساعةً ثم قال: هَيَا صَخرُ. قلتُ: ما تشاءُ؟ قال: حدِّثني عن عتبةَ بن ربيعةَ، أيجتنبُ المظالمَ والمحارمَ؟ قلتُ: إي واللَّهِ. قال: ويصِلُ الرَّحِمَ ويَأمُرُ بصلتِها؟ قلتُ: إي واللَّهِ. قال: وكريمُ الطَّرفَين وسَطٌ في العشيرةِ؟ قلتُ: نعم. قال: فهل تعلَمُ قُرشيًا أشرفَ منه؟ قلتُ: لا واللَّه، لا أعلمُ. قال: أمُحوجٌ هو؟ قلتُ: لا، بل هو ذو مالٍ كثيرٍ. قال: وكم أتىٰ عليه من السِّنِّ؟ قلتُ: قد زاد علىٰ المائةِ. قال: فالشَّرَفُ والسِّنُّ والمالُ أزرَينَ؟ قلتُ: ولم ذاكَ يزري به؟ لا واللَّهِ، بل يزيدُه خيرًا. قال: هو ذاك. هل لك في المبيتِ؟ قلت: هل لي فيه. قال: فاضطجعنا حتىٰ مَرَّ الثَّقلُ. قال: فسِرنا حتىٰ نزلنا في المنزلِ وبِتنا به، ثُم ارتحَلنا منه، فلمَّا كان الليلُ قال لي: يا أبا سفيانَ. قلتُ: ما تشاءُ؟ قال: هل لك في مثلِ البارحةِ؟ قلتُ: هل لي فيه. قال: فسِرنا علىٰ ناقتَينِ بُختيِّتَين، حتىٰ إذا برَزنا قال: هَيَا صَخرُ، هِيهِ عن عُتبةَ بن ربيعةَ. قال: قلتُ: هيهًا فيه. قال: أيجتنبُ المظالمَ والمحرمَ ويصلُ الرَّحمَ ويأمُرُ بصلَتِها؟ قلتُ: إي واللَّهِ إنَّه ليَفعَلُ. قال: وذو مالٍ. قلتُ: وذو مالٍ. قال: أتعلمُ قُرشيًا أسوَدَ منه؟ قلتُ: لا واللَّهِ ما أعلمُه. قال: كم أتىٰ له من السِّنِّ؟ قلتُ: قد زاد علىٰ المائة. قال: فإنَّ السِّنَّ والشَّرفَ والمالَ أزرينَ به؟ قلتُ: كلاَّ واللَّه، ما أزرَىٰ به ذاك، وأنت قائلٌ شيئًا فقُله. قال: لا تَذكُر حديثِي حتىٰ يأتيَ منه ما هو آتٍ. ثم قال: فإنَّ الَّذِي رأيتَ

أصابني، أنّي جئتُ هذا العالِمَ فسألتُه عن أشياءَ، ثُم قلتُ: أخبرني عن هذا النبيِّ الذي يُنتظرُ. قال: هو رجلٌ من العرب. قلتُ: قد علمتُ أنّه من العرب، فمن أيِّ العربِ هو؟ قال: من أهلِ بيتٍ تحُجُّه العربُ. قلتُ: وفينا بيتٌ تحُجُّه العربُ؟ قال: هو من إخوانكم من قريش. فأصابني واللَّه شيءٌ ما أصابَني مثلُه قطُّ، وخرج من يدَيَّ فوزُ الدنيا والآخرة، وكنتُ أرجُو أن أكونَ إيَّاه. قلتُ: فإذا كان ما كان فصفه لي. قال: رجلٌ شابٌّ، حين دَخَلَ في الكُهُولَةِ بُدُوُّ أمرِه، يَجتَنِبُ المظالمَ والمحارمَ، ويصِلُ الرَّحِمَ، ويَأمُرُ بصِلَتِها، وهو مُحوِجٌ كريمُ الطَّرفين، متوسِّطٌ في العشيرة، أكثر جُنده الملائكةُ، قلتُ: وما آيةُ ذلك؟ قال: قد رجَفَت الشَّامُ منذُ هَلَكَ عيسى ابن مريمَ، عليه السَّلامُ، ثمانينَ رجفةً، كلُّها مصيبةٌ، وبقيَت رجفةٌ عامّةٌ فيها مصائبُ. قال أبو سفيانَ: فقلتُ: هذا واللَّه الباطلُ، لَئِنْ بَعَثَ اللَّهُ رسولاً لا يأخذُه إلا مُسِنًّا شريفًا. قال أميةُ: والذي حَلفتَ به، إنَّ هذا لهكذا يا أبا سفيانَ، تقولُ: إن قولَ النَّصرانيِّ حقٌّ. هل لك في المبيت؟ قلتُ: هل لي فيه. قال: فبِتنَا حتى جاءنا الثَّقَلُ، ثُم خرجنا حتى إذا كُنّا بيننا وبين مكّةَ ليلتان، أدركَنا راكبٌ من خلفنا، فسألناه، فإذا هو يقولُ: أصابتْ أهلَ الشّام بعدَكم رجفةٌ دمَّرَت أهلَها، وأصابتهم فيها مصائبُ عظيمةٌ. قال أبو سفيانَ: فأقبلَ عليَّ أميةُ فقال: كيف ترىٰ قولَ النَّصرانيِّ يا أبا سفيان؟ قلتُ: أرىٰ واللَّه وأظنُّ أنَّ ما حدَّثك به صاحبُك حقٌّ.

قال: فقَدِمنا مكّةَ فقَضَيْتُ ما كان معي، ثُم انطلقتُ حتى جئتُ اليمنَ تاجرًا، فكنتُ بها خمسة أشهر، ثُم قَدِمتُ مكَّةَ، فبينَا أنا في منزلي جاءني النّاسُ يُسلِّمُون عليَّ، ويسألُوني عن بَضائعهم، حتى جاءني محمدُ بن عبد اللَّه، وهندٌ عندي تُلاعبُ صبيانَها، فسلَّمَ عَلَيَّ ورَحَّبَ بي، وسألني عن سَفَري ومُقامي، ولم يسألني عن بِضاعته ثُم قام، فقلتُ لهند: واللَّه إنَّ هذا يُعجبُني؛ ما من أحدٍ من قريشٍ له معي بضاعةٌ إلاَّ قد سألني عنها، وما سألني هذا عن بضاعته! فقالت لي هندٌ: وما علمت شأنَه؟ قلتُ وفَزِعتُ: ما شأنه؟ قالت: يزعُمُ أنَّه رسولُ اللَّه. فوَقَذَتني، وذَكَرتُ قولَ النَّصرانيِّ، فوَجَمتُ حتى قالت هندٌ: ما لَكَ؟ فانتبهتُ، فقلتُ: إنَّ هذا لهو الباطلُ! لهو أعقَلُ من أن يقولَ هذا. قالت: بَلَىٰ واللَّه، إنَّه ليقولَنَّ ذلك ويُواتَىٰ عليه، وإنَّ له لَصَحابةً على دينه. قلتُ: هذا الباطلُ. قال: وخَرَجتُ، فبَينا أنا أطوفُ بالبيتِ لقيتُه، فقلتُ: إنَّ بضاعتَك قد بَلَغَت كذا وكذا، وكان فيها خيرٌ فأرسل فَخُذها، ولستُ آخُذُ منك فيها ما آخُذُ من قومي، فأبَىٰ عليَّ وقال: إذَن لا آخُذَها. قلتُ: فأَرسِل فخُذها وأنا آخُذُ منك مثلَ ما آخُذُ من قومي. فأرسلَ إلى بِضاعته فأخَذَها، وأخَذتُ منه ما كنتُ آخُذُ من غيره، ولم أنشَبْ أن خَرَجتُ إلى اليمن، فقَدِمتُ الطّائفَ، فنزلتُ على أميّةَ بن أبي الصَّلت، فقُلتُ له: يا أبا عثمان. قال: ما تشاءُ؟ قلت: هل تذكرُ قولَ النصرانيِّ؟ قال: أذكُرُه، فقلتُ: فقد كان. قال: ومَن؟ قلتُ: محمدُ بنُ عبد اللَّه. قال: ابنُ عبد المطَّلب؟ قلتُ: ابنُ عبد المطَّلب. ثم قَصَصتُ عليه خَبَرَ هند. قال: فاللَّهُ يعلمُ لَتَصَبَّبَ عَرَقًا. ثم قال: واللَّه يا أبا سفيانَ، لعلَّه، إنَّ صِفَتَه لَهِيَ، ولَئِن ظَهَرَ وأنا حيٌّ لأُبلِيَنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ، في نصره عُذرًا. قال: ومضيتُ إلى

اليمن. فلم أنشبْ أن جاءني هُنالكَ استهلالُه، وأقبلتُ حتى نزلتُ على أميَّةَ بن أبي الصَّلتُ بالطائف، فقلتُ: يا أبا عثمانَ، قد كان مِن أمرِ الرجلِ ما قد بلغَكَ وسَمِعتَ. قال: قد كان لَعَمري. قلتُ: فأينَ أنت منه يا أبا عثمانَ؟ فقال: واللَّهِ ما كنتُ لأومنَ برسولٍ من غيرِ ثَقيفٍ أبدًا. قال أبو سفيان: وأقبلتُ إلى مكَّةَ، فواللَّهِ ما أنا ببعيدٍ حتى جئتُ مكَّةَ، فوجدتُ أصحابَه يُضربُونَ ويُحقَرُونَ. قال أبو سفيانَ: فجعلتُ أقولُ: فأينَ جُندُه من الملائكة؟ قال: فدَخَلَني ما يَدخُلُ الناسَ من النَّفاسة[1]. وقد رواه الحافظُ البيهقيُّ في كتاب «الدلائل»، من حديث إسماعيلَ بن طُريحٍ به، ولكنَّ سياقَ الطبرانيِّ الذي أوردناه أتمُّ وأطولُ. واللَّهُ أعلم.

وقال الطَّبَرانيُّ: حدثنا بكرُ بنُ أحمدَ بن مُقبِلٍ، حدثنا عبد الله بنُ شبيبٍ، حدثنا يعقوبُ بن محمدٍ الزُّهريُّ، حدثنا مجاشعُ بنُ عمرٍو الأسديُّ، حدثنا ليثُ بن سعدٍ، عن أبي الأسودِ محمد بنِ عبد الرَّحمنِ، عن عُروةَ بن الزُّبيرِ، عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ، عن أبي سفيانَ بنِ حربٍ، أنَّ أميَّةَ بنَ أبي الصَّلتِ كان بغَزَّةَ أو بإيلياءَ، فلمَّا قَفَلنا قال لي أميَّةُ: يا أبا سفيانَ، هل لك أن تَتَقَدَّمَ على الرُّفقةِ فنتحدَّثَ؟ قلتُ: نعم. قال: ففعلنا، فقال لي: يا أبا سفيانَ، إيهٍ عن عتبةَ بن ربيعةَ. قال: كريمُ الطَّرفينِ، ويجتنبُ المحارمَ والمظالمَ؟ قلتُ: نعم. قال: وشريفٌ مُسِنٌّ؟ قلتُ: وشريفٌ مُسِنٌّ. قال: السِّنُّ والشرفُ أزريا به، فقلتُ له: كذبتَ، ما ازدادَ سِنًّا إلا ازدادَ شرفًا. قال: يا أبا سفيان، إنَّها كلمةٌ ما سمعتُ أحدًا يقولُها لي منذُ تَبَصَّرتُ، فلا تَعجَل عليَّ حتى أُخبرَك. قال: قلتُ: هاتِ. قال: إنِّي كنتُ أجِدُ في كُتُبي نبيًّا يُبعَثُ من حرَّتنا هذه، فكنتُ أظُنُّ، بل كنتُ لا أشكُّ أني أنا هو، فلمَّا دارستُ أهلَ العلمِ إذا هو من بني عبدِ منافٍ، فنظرتُ في بني عبدِ منافٍ فلم أجِدْ أحدًا يَصلُحُ لهذا الأمرِ غيرَ عُتبةَ بن ربيعةَ، فلمَّا أخبرتَني بسنِّه عَرَفتُ أنَّه ليس به؛ حينَ جاوزَ الأربعينَ ولم يُوحَ إليه. قال أبو سفيان: فضَرَبَ الدَّهرُ من ضَرَبَه، فأُوحيَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، وخرجتُ في رَكبٍ من قريشٍ أريدُ اليمنَ في تجارةٍ، فمَرَرتُ بأميَّةَ، فقلتُ له كالمستهزئِ به: يا أميةُ، قد خَرَجَ النبيُّ الذي كنت تَنعَتُه. قال: أما إنَّه حقٌّ، فاتَّبِعه. قلتُ: ما يمنَعُك من اتِّباعه؟ قال: ما يمنَعُني إلا الاستحياءُ من نُسَيَّاتِ ثَقيفٍ؛ إنِّي كنتُ أُحدِّثُهُنَّ أنِّي هو، ثُم يَرينَني تابعًا لغلامٍ من بني عبدِ منافٍ. ثم قال أميةُ: وكأنِّي بكَ يا أبا سفيانَ إن خالفتَه قد رُبِطتَ كما يُربَطُ الجَدْيُ، حتى يُؤتى بكَ إليه، فيَحكُمَ فيك بما يُريدُ[2].

وقال عبدُ الرَّزَّاق: أخبَرَنا مَعمَرٌ، عن الكَلبيِّ قال: بَينَا أميةُ راقدٌ ومعه ابنتان له، إذ فَزِعَت إحداهما فصاحت عليه، فقال لها: ما شأنُكِ؟ قالت: رأيتُ نَسرَينِ كَشَطا سَقفَ البيتِ، فنزَلَ

---

(١) ما أبرز من إسناده: فيه إسماعيل بن الطريح عن الطريح عن إسماعيل الثقفي وأبوه وجده، ولم أقف لهم على ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٢٦٢) وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٣٢). فيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف.

أحدُهما إليك فشقَّ بطنَكَ، والآخرُ واقفٌ على ظَهرِ البيتِ، فناداه فقال: أوَعَىٰ؟ قال: وَعَىٰ. قال: أزَكَا؟ قال: لا. فقال: ذاك خيرٌ أُرِيدَ بأبيكما فلم يَقبَله.

وقد رُوِيَ من وجهٍ آخر بسياقٍ آخرَ، فقال إسحاق بن بشرٍ: عن محمدِ بن إسحاق، عن الزُّهريِّ، عن سعيدِ بن المسيَّبِ، وعثمان بن عبد الرحمنِ، عن الزُّهريِّ، عن سعيد بن المسيب قال: قَدِمت الفارعةُ أختُ أميّةَ بنِ أبي الصَّلتِ علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، بعد فتحِ مكَّةَ، وكانت ذاتَ لُبٍّ وعقلٍ وجمالٍ، وكان رسولُ اللَّه ﷺ، بها معجبًا، فقال لها ذات يومٍ: «**يا فارعةُ، هل تحفظينَ من شعر أخيك شيئًا؟**» فقالت: نعم، وأعجَبُ منه ما قد رأيتُ. قالت: كان أخي في سفرٍ، فلمّا انصَرَفَ بَدَأَ بي، فَدَخَلَ عليَّ فرَقَد علىٰ السّريرِ وأنا أحلُقُ أديمًا في يدي، إذ أقبلَ طائران أبيضان أو كالطَّيرَين أبيضَين، فوقَع علىٰ الكُوةِ أحدُهما، ودَخَلَ الآخرُ فوقَع عليه، فشقَّ الواقعُ عليه، ما بينَ قصِّه إلىٰ عانتِه، ثم أدخلَ يدَه في جوفِه، فأخرَجَ قلبَه، فوضَعَه في كفِّه ثُم شمَّه، فقال له الطائرُ الآخرُ: أوَعَىٰ؟ قال: وَعَىٰ. قال: أزكَا؟ قال: أَبَىٰ. ثُم رَدَّ القَلبَ إلىٰ مكانه، فالتأمَ الجُرحُ أسرعَ مِن طَرفَةِ عينٍ، ثُم ذَهَبا، فلمّا رأَيتُ ذلك دَنَوتُ منه فحرَّكتُه، فقلتُ: هل تَجِدُ شيئًا؟ قال: لا، إلاَّ تَوهينًا في جسدِي - وقد كنتُ ارتَعبْتُ مّما رَأَيتُ - فقال: ما لي أراكِ مُرتاعةً؟ قالتْ: فأخبَرتُه الخبرَ، فقال: خَيرٌ أُرِيدَ بي ثُم صُرِف عنّي، ثُمَّ أنشأَ يقولُ:

باتتْ همومي تَسْرِي طوارقُها	أَكُفُّ عَيْني والدمعُ سابقُها
مّما أتاني مِنَ اليقينِ ولم	أُوتَ براةً يَقصُّ ناطقُها
أم مَن تَلَظَّى عليه واقدةُ النَّـ	ـارِ محيطٌ بهم سُرادقُها
أم أسكُنُ الجَنَّةَ التي وُعِدَ الـ	ـأبرارُ مصفوفةً نمارِقُها
لا يَستَوِي المنزِلان ثَمَّ ولا الـ	ـأعمالُ لا تَستَوِي طرائقُها
هُمَا فريقان فِرقةٌ تدخلُ الجَـ	ـنَّةَ حَفَّتْ بهم حدائقُها
وفِرقةٌ منهم قدْ أُدْخِلَت النّـ	ـارَ فساءَتْهُمْ مرافقُها
تعاهدتْ هذه القلوبُ إذا	هَمَّتْ بخيرٍ عاقَتْ عوائقُها
وصدَّها للشَّقاء عن طلَبِ الـ	ـجنَّة دُنيا اللَّهُ ما حقُها
عبدٌ دعا نفسَه فعاتَبَها	يَعْلَمُ أنّ البصيرَ رامِقُها
ما رَغْبَةُ النفسِ في الحياةِ وإن	تَحْيَى قليلاً فالموتُ لاَحِقُها
يوشكُ مَنْ فَرَّ من مَنيَّتِه	يومًا على غِرَّةٍ يوافِقُها
مَنْ لم يَمُتْ عَبطَةً يَمُتْ هَرَمًا	للموتِ كأسٌ والمرءُ ذائقُها

قالت: ثُم انصرَفَ إلىٰ رَحله، فلم يَلبَث إلاَّ يسيرًا حتىٰ طُعِن في جنازتِه، فأتاني الخبرُ فانصرَفتُ إليه، فوَجَدتُه منعوشًا، قد سُجِّي عليه، فدنوتُ منه، فشَهِقَ شَهقَةً، وشقَّ بصرُه، ونَظَر نحوَ

السَّقف، ورفَع صوتَه وقال:

لبَّيكُما لبَّيكُما ... ها أنا ذَا لَديكُما

لا ذو مالٍ فيَفْدِيَني، ولا ذو أهلٍ فتحمِيَني.

ثُمَّ أُغميَ عليه إذ شَهقَ شهقةً فقلتُ: قد هلَك الرجلُ. فشقَّ بصرُه نحوَ السَّقفِ، فرفَع صوتَه، فقال:

لبَّيكُما لبَّيكُما ... ها أنا ذَا لَديكُما

لا ذو براءةٍ فأعتذر، ولا ذو عشيرةٍ فأنتَصِر.

ثُم أُغميَ عليه، إذ شَهقَ شهقةً، وشقَّ بصرُه ونظَر نحو السقف فقال:

لبَّيكُما لبَّيكُما ... ها أنا ذَا لَديكُما

بالنِّعم محفودٌ ... وبالذَّنْب محصودٌ

ثُمَّ أُغميَ عليه إذ شَهقَ شهقةً، فقال:

لبَّيكُما لبَّيكُما ... ها أنا ذَا لَديكُما

إن تَغفرِ اللَّهُمَّ تَغفرْ جَمَّا ... وأيُّ عَبدٍ لكَ لا أَلَمَّا

ثُمَّ أُغميَ عليه إذ شَهقَ شهقةً، فقال:

كلُّ عيشٍ وإن تطاولَ دَهرًا ... صائرٌ مرَّةً إلى أن يزولا

ليتني كنتُ قبلَ ما قدْ بدا لي ... في قلالِ الجبالِ أرْعَى الوُعُولا

قالت: ثُم مات. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «يا فارعةُ، فإنَّ مَثَلَ أخيك كمَثَلِ الذي آتاه اللَّهُ آياته: ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ الآية(١) [الأعراف: ١٧٥]. وقد تكلَّمَ الخَطَّابيُّ على غريبِ هذا الحديث.

ورَوَىٰ الحافظُ ابنُ عساكرَ عن الزُّهريِّ أنه قال: قال أميةُ بنُ أبي الصَّلت:

ألا رسولٌ لنا منَّا يُخَبِّرُنا ... ما بَعْدَ غايتِنا مِنْ رأسِ مَجْرانَا

قال: ثُم خرَجَ أميةُ بنُ أبي الصَّلت إلى البحرين، وتنبَّأ رسولُ اللَّه ﷺ، وأقام أميةُ بالبحرينِ ثمانيَ سنينَ، ثُم قَدِمَ الطَّائفَ فقال لهم: ما يقولُ محمدُ بن عبدِ اللَّه؟ قالوا: يزعُمُ أنَّه نبيٌّ، فهو الذي كنتَ تتمنَّى. قال: فخرَج حتى قَدِمَ عليه مكّةَ فلَقيهَ، فقال: يابنَ عبدِ المطَّلب، ما هذا الذي تقولُ؟ قال: «أقولُ: إنِّي رسولُ اللَّه وأن لا إله إلا هو». قال: إنّي أريدُ أن أكلِّمَكَ، فعِدني غدًا. قال: «فموعدُك غدًا». قال: فتُحبُّ أن آتيَكَ وحدي أو في جماعةٍ من أصحابي، وتأتيَني وحدَك أو في جماعةٍ من أصحابِك؟ فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «أيَّ ذلك شئتَ». قال: فإنّي آتيك في جماعةٍ، فأتِ في جماعةٍ. قال: فلمّا كان الغدُ غَدَا أميةُ في جماعةٍ من قريشٍ. قال: وغدَا رسولُ اللَّه ﷺ معه نَفَرٌ من أصحابه، حتى جلَسُوا في ظلِّ الكعبة. قال: فبدأ أميةُ فخطَب ثم سجَع ثم أنشدَ الشِّعرَ، حتى إذا فرغ قال:

---

(١) **مرسل**: أخرجه ابن عساكر في «التاريخ» (٩/ ٢٨٢ - ٢٣٤). من طريق إسحاق بن بشر به.

أجبني يا ابنَ عبد المطلب. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ يس ① وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾» [يس: ١، ٢]. حتى إذا فَرَغ منها وثَبَ أميّةُ يَجُرُّ رجلَيه. قال: فتبعَته قريشٌ يقولون: ما تقولُ يا أميّةُ؟ قال: أشهدُ أنّه على الحقِّ. فقالوا: هل تَتَّبعه؟ قال: حتى أنظرَ في أمرِه. قال: ثُم خَرَجَ أميّةُ إلى الشّام، وقَدِمَ رسولُ اللَّه ﷺ المدينةَ، فلمّا قُتِل أهلُ بدرٍ، قَدِمَ أميّةُ من الشّامِ حتى نَزَل بَدراً، ثُمَّ تَرَحَّلَ يريدُ رسولَ اللَّه ﷺ، فقال قائلٌ: يا أبا الصَّلتِ، ما تريدُ؟ قال: أريدُ محمداً. قال: وما تصنَعُ؟ قال: أُومِنُ به وأُلقِي إليه مقاليدَ هذا الأمرِ. قال: أتدري مَن في القليبِ؟ قال: لا. قال: فيه عُتبةُ بنُ ربيعةَ، وشيبةُ بن ربيعةَ، وهما ابنا خالك - وأمُّه ربيعةُ بنت عبد شمسٍ - قال: فجَدَعَ أُذُنَي ناقتِه وقطَع ذَنَبَها، ثُم وقَف على القَليبِ يقولُ:

ماذا ببَدرٍ فالعَقَنْـ ... ـقَلِ من مَرازِبَةٍ جَحاجِحْ

القصيدةُ إلى آخرِها كما سيأتي ذكرُها بتمامِها في قصّةِ بدرٍ، إن شاء اللَّهُ. ثم رَجَعَ إلى مكّةَ والطّائف، وتركَ الإسلامَ، ثم ذَكَر قصّةَ الطَّيرَين وقصّةَ وفاته كما تقدَّمَ، وأنشَدَ شِعرَه عندَ الوفاة:

كلُّ عيشٍ وإن تطاول دَهراً ... صائرٌ مَرّةً إلى أن يزولا

ليتني كنتُ قبلَ ما قد بدا لي ... في قِلالِ الجبالِ أرعَى الوُعُولا

فاجعلِ الموتَ نُصْبَ عينَيْك واحذَرْ ... غَولةَ الدَّهرِ إنّ للدهرِ غُولا

نائلاً ظُفْرُها القَساوِرَ والصّد ... عانَ والطِّفلَ في المنارِ الشّكِيلا

وبُغاثَ النِّيافِ واليَعْفُرَ النّافـ ... ـرَ والعَوْهَجَ البُرامَ الضَّئِيلا

فقوله «القساور»: جمعُ قسورَةٍ، وهو الأسدُ، والصّدعانُ: ثيرانُ الوحشِ، واحدُها صَدَعٌ. والطِّفلُ الشكِلُ: مِمن حُمرةِ العَينِ. والبُغاث: الرَّخَمُ. والنِّيافَ: الجبالُ. واليَعفُرُ: الظَّبيُ. والعوهجُ: ولدُ النَّعامة. يعني أنّ الموتَ لا ينجُو منه الوحوشُ في البراريّ، ولا الرَّخَمُ الساكنةُ في رُءُوسِ الجبالِ ولا يَترُكُ صغيراً لصغَرِه ولا كبيراً لكِبَرِه. وقد تكلَّمَ الخطّابيُّ وغيرُه على غريبِ هذه الأحاديث. وقد ذَكَر السُّهَيليُّ في كتابِه «التعريف والإعلام»، أنّ أميّةَ بن أبي الصَّلت أولُ من قال: باسمِكَ اللَّهُمَّ. وذكَرَ عندَ ذلك قصّةً غريبةً، وهو أنّهم خرجُوا في جماعةٍ من قريشٍ في سفرٍ، فيهم حربُ بن أميّةَ والدُ أبي سفيان، قال: فمرُّوا في مسيرِهم بحيّةٍ فقتلُوها، فلمّا أمسَوا جاءتهم امرأةٌ من الجانِّ فعاتَبَتهم في قتلِ تلك الحية، ومعها قَضيبٌ فضرَبَت به الأرضَ ضربةً نَفَّرتَ الإبلَ عن آخرِها، فذهبت وشردَت كلَّ مَذهَبٍ، وقاموا فلم يزالُوا في طلبِها حتى ردُّوها، فلمّا اجتمعُوا جاءتهم أيضاً، فضربتِ الأرضَ بقضيبِها فنفَّرَتِ الإبلَ، فذهبُوا في طَلَبِها، فلما أعياهُم ذلك قالوا: واللَّه، هل عندك لِمَا نحنُ فيه مِن مخرَجٍ؟ فقال: لا واللَّه، ولكن سأنظُرُ في ذلك. قال: فسارَ في تلك المحَلّة؛ لعلّه يَجِدُ أحداً يسألُه عمّا قد حلَّ بهم من العَناء، إذ نارٌ تلوحُ على بُعدٍ، فجاءَها فإذا شيخٌ على بابِ

خيمة يُوقِدُ نارًا، وإذا هو من الجانِّ في غاية الضآلة والدَّمامة، فسلَّمَ عليه، فسألهم عما هم فيه، فقال: إذا جاءتكم فقل: باسمكَ اللَّهُمَّ. فإنها تهربُ. فلمّا اجتمعُوا وجاءتهم الثالثةَ أو الرابعة، قال في وجهها أميَّةُ: باسمكَ اللَّهُمَّ. فشرَدَت ولم يَقَرَّ لها قرارٌ، لكنّ عدَت الجنُّ على حَرب بن أميَّةَ، فقتلُوه بتلك الحيَّة، فقبَرَه أصحابُه هنالك حيث لا جارَ ولا دارَ، ففي ذلك يقولُ الجانُّ:

وقَــبْــرُ حَــرْبٍ بمكان قَــفْــرٍ وليس قُــرْبَ قَــبْــرِ حَــرْبٍ قَــبْــرُ

وذكر بعضُهم أنَّه كانَ يَتَفَرَّسَ في بعضِ الأحيانِ في لُغاتِ الحيواناتِ، فكان يَمُرُّ في السفَرِ على الطَّيرِ فيقولُ لأصحابِه: إنّ هذا يقولُ كذا وكذا. فيقولون: لا نعلمُ صدقَ ما يقولُ. حتى مرُّوا على قَطيعِ غنمٍ قد انقطعت منه شاةٌ ومعها ولدُها، فالتفتت إليه، فثَغَتْ كأنَّها تَستَحثُّه، فقال: أتدرون ما تقولُ له؟ قالوا: لا. قال: إنَّها تقولُ: أسرعْ بنا لا يَجيءُ الذِّئبُ فيأكُلَكَ كما أكل الذئبُ أخاكَ عامَ أوَّلَ. فأسرَعوا حتى سألوا الرَّاعي: هل أكل له الذِّئبُ عامَ أوَّل حَمَلاً بتلك البقعة؟ فقال: نعم. قال: ومَرَّ يومًا على بعيرٍ عليه امرأةٌ راكبةٌ وهو يرفَعُ رأسَه إليها ويَرغُو، فقال: إنَّه يقولُ لها: إنَّكِ رَحَّلتِني وفي الحداجَة مخيَطٌ. فأنزلُوا تلك المرأةَ، وحلُّوا ذلك الرَّحلَ، فإذا فيه مخيطٌ كما قال.

وذكَر ابنُ السكِّيت أنَّ أميَّةَ بن أبي الصلتِ بينَما هو يَشرَبُ يومًا إذ نَعَبَ غُرابٌ. فقال له: بفيكَ التّرابُ. مرَّتَين. فقيل له: ما يقولُ؟ فقال: إنَّه يقولُ: إنَّك تشرَبُ هذا الكأسَ الَّذي في يدك ثُم تتَّكئُ فتموتُ. ثُم نَعَبَ الغرابُ مرّةً أخرى فقال: إنَّه يقولُ: وآيةُ ذلك أنّي أنزلُ على هذه المزبلة فآكُلُ منها فيَعلَقُ عظمٌ في حَلقِي فأموتُ. ثم نزل الغرابُ على تلك المزبلة فأكَلَ شيئًا فعَلِقَ في حلقه عظمٌ فمات. فقال أميةُ: أمّا هذا فقد صدَقَ في نفسه، ولكن سأنظرُ هل يصدُقُ فيَّ أم لا. ثُمّ شرِبَ ذلك الكأسَ الذي في يده ثُم اتّكأ فمات.

وقد ثَبت في «الصحيح» من حديث ابن مَهديٍّ، عن الثَّوريِّ، عن عبد الملكِ بن عُمَير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرةَ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أصدَقَ كَلمَة قالها شاعرٌ كَلمَةُ لَبِيد:**

ألا كُلُّ شَيءٍ مَـــا خَـــلا الـلَّـهَ بَاطِلُ

وكادَ أُميَّةُ بنُ أبي الصَّلت أن يُسْلمَ» [١].

وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا رَوحٌ، حدثنا زكريا بن إسحاق، حدثنا إبراهيمُ بن ميسرةَ أنَّه سَمعَ عمرَو بن الشَّريد يقولُ: قال الشَّريدُ: كنتُ ردفًا لرسول اللَّه ﷺ فقال لي: «**أمَعَكَ من شعر أُميَّةَ بن أبي الصَّلت شيءٌ؟**» قلتُ: نعم. قال: «**فأنشدني**» فأنشدتُه بيتًا، فلم يَزَل يقولُ لي كلّما أنشدتُه بيتًا: «**إيه**» حتى أنشدتُه مائةَ بيت، قال: ثم سكتَ النبيُّ ﷺ، وسكتُّ [٢]. وهكذا رواه مسلمٌ من حديث سفيانَ بن عُيينةَ، عن إبراهيم بنِ ميسرةَ به [٣]. ومن غيرِ وجهٍ عن عمرِو بنِ الشَّريد، عن أبيه الشَّريد

---

(١) البخاري (٦١٤٧) ومسلم (٢٢٥٦).

(٢) صحيح على شرط مسلم. ورجاله ثقات أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٩) وهو في مسلم كما سيأتي.

(٣) مسلم (٢٢٥٥).

ابنِ سُوَيدٍ الثَّقَفيِّ، عن النبيِّ ﷺ. وفي بعض الرِّوايات: فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «إن كادَ يُسلمُ»(١)

وقال يَحيى بن محمد بن صاعد: حدثنا إبراهيم بن سعيدٍ الجوهريُّ، حدثنا أبو أسامةَ، حدثنا حاتمُ بن أبي صغيرةَ، عن سِمَاكِ بن حرْبٍ، عن عمرو بن نافعٍ، عن الشَّريدِ الهمدانيِّ ـ وأخوالُه ثقيفٌ ـ قال: خَرجنا مع رسولِ اللَّه ﷺ، في حجَّةِ الوداعِ، فبَينَا أنا أمشي ذات يومٍ إذا وقعُ ناقةٍ خلفي، فالتفتُّ فإذا رسولُ اللَّه ﷺ فقال: «الشَّريدُ؟» فقلتُ: نعم. قال: «ألا أحملُكَ؟» قلتُ: بلى. وما بي مِن إعياءٍ ولا لُغُوبٍ، ولكنِّي أردتُ البَرَكةَ في رُكوبِي مع رسولِ اللَّه ﷺ، فأناخَ فحملَني، فقال: «أمَعَكَ من شعرِ أميّةَ بن أبي الصَّلت؟» قلتُ: نعم. قال: «هات» فأنشدتُه ـ قال: أظنُّه قال ـ مائةَ بيتٍ، فقال: «عندَ اللَّه علمُ أميّةَ بنِ أبي الصَّلت»(٢). ثم قال ابن صاعدٍ: هذا حديثٌ غريبٌ. فأمّا الذي يُروىٰ أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال في أميّةَ: «آمَنَ شعرُه وكَفَرَ قلبُه» فلا أعرفُه. واللَّهُ أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن محمدٍ ـ هو أبو بكرٍ ابنُ أبي شيبة ـ حدّثنا عبدةُ بنُ سليمانَ، عن محمدِ بن إسحاقَ، عن يعقوبَ بن عُتبةَ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسول اللَّه ﷺ، صدَّقَ أميّةَ في شيءٍ من شعرِه، قال:

رَجُلٌ وثَورٌ تَحتَ رجلِ يمينه ... والنَّسرُ للأُخرَى وليثٌ مُرصَدُ

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «صدق». وقال:

والشمسُ تَطلُعُ كلَّ آخرِ ليلةٍ ... حَمراءَ يُصبحُ لونُها يتَوَرَّدُ

تأبَى فما تَطلُع لنا في رِسلِها ... إلا مُعَذَّبةً وإلا تُجلَدُ

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «صَدَقَ»(٣). وفي روايةِ أبي بكرٍ الهُذليِّ، عن عكرمة، عن ابن عباسٍ، أنَّه قال: إنَّ الشمسَ لا تطلُعُ حتى يَنخُسَها سبعون ألف ملكٍ، يقولون لها: اطلُعي اطلُعي. فتقولُ: لا أطلُعُ على قومٍ يعبُدُونني من دونِ اللَّه. فإذا همَّت بالطُّلوعِ أتاها شيطانٌ يريد أن يُثَبِّطَها، فتطلُعُ بين قرنَيه وتحرقُه، فإذا تضَيَّفَت للغُروبِ غَرَبَت على السُّجودِ للَّه عزّ وجلَّ، فيأتيها شيطانٌ يريدُ أن يُثَبِّطَها عن السُّجودِ فتغرُبُ من قرنَيه وتَحرقُه. أوردَه ابنُ عساكرَ مُطوَّلاً، ومِن شعرِه في حَمَلَةِ العَرشِ:

فمِن حاملٍ إحدى قوائمِ عرشِه ... ولولا إلهُ الخَلقِ كَلُّوا وبَلَّدُوا

قيامٌ على الأقدامِ عانونَ تحتَه ... فرائصُهم من شدّةِ الخوفِ تُرعَدُ

---

(١) البخاري (٣٨٤١، ٦١٤٧) ومسلم (٢٢٥٥).

(٢) **ما أبرز من إسناده ضعيف**: لجهالة عمرو بن نافع.

(٣) **إسناده ضعيف**: لعنعنة ابن إسحاق أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٥٦).

رواه ابنُ عساكرَ. ورُوِيَ عن الأصمعيِّ، أنَّه كان يُنشِدُ من شعرِ أميةَ:

مَجِّدوا اللَّهَ فهو للمَجدِ أهلٌ ... ربُّنا في السماءِ أمسى كبيرًا

بالبناءِ الأعلى الذي سَبَقَ النـ ... ـاسَ وسوَّى فوقَ السماءِ سَريرا

شرجعًا لا ينالُه بصرُ العيـ ... ـنِ ترَى دونَه الملائكَ صُورا

ثم يقولُ الأصمعيُّ: الملائكُ جمع مَلَكٍ، والصُّورُ جمع أصوَرَ، وهو المائلُ العُنُقِ، وهؤلاءِ حَمَلَةُ العَرشِ.

ومن شعرِ أميّةَ بنِ أبي الصَّلتِ يَمدَحُ عبدَ اللَّهِ بنَ جُدعانَ التيميَّ:

أأذكُرُ حاجتي أم قد كفاني ... حياؤُكَ إنّ شيمَتَكَ الحياءُ

وعلمُكَ بالحقوقِ وأنتَ فَرْعٌ ... لكَ الحسَبُ المهذَّبُ والسَّناءُ

كريمٌ لا يُغَيِّرُهُ صباحٌ ... عن الخُلُقِ الجميلِ ولا مَساءُ

يُباري الريحَ مَكرُمَةً وجُودًا ... إذا ما الكلبُ أجْحَرَهُ الشِّتاءُ

وأرضُكَ أرضُ مَكرُمَةٍ بَنَتْها ... بنو تَيْمٍ وأنتَ لها سَماءُ

إذا أثنَى عليكَ المرءُ يومًا ... كفاهُ من تَعَرُّضِهِ الثَّناءُ

وله فيه مدائحُ أُخَرُ. وقد كان عبدُ اللَّهِ بنُ جُدعانَ هذا من الكُرماءِ الأجوادِ المُمَدَّحينَ المشهورين، وكان له جفنَةٌ يأكل الرّاكبُ منها وهو على بعيره؛ من عرَضِ حافَّتِها وكثرةِ طعامها، وكان يملؤُها لُبابَ البُرِّ يُلَبَّكُ بالشَّهدِ والسَّمنِ، وكان يُعتِقُ الرِّقابَ، ويُعينُ على النّوائبِ، وقد سألت عائشة عنه النبي ﷺ: أينفَعُه ذلك؟ فقال: «إنَّه لم يَقُلْ يومًا من الدَّهرِ: رَبِّ اغفرْ لي خَطيئتي يَوْمَ الدِّينِ».

ومن شعرِ أميةَ البديع:

لا يَنْكُتُونَ الأرضَ عندَ سُؤالِهِمْ ... كتَطَلُّبِ العِلّاتِ بالعِيدانِ

بل يُسفِرونَ وجوهَهم فتَرَى لها ... عندَ السؤالِ كأحسنِ الألوانِ

وإذا المُقِلُّ أقامَ وَسْطَ رِحالِهِمْ ... رَدُّوه رَبَّ صَواهلٍ وقِيانِ

وإذا دعَوتَهُمُ لكلِّ مُلِمَّةٍ ... سَدُّوا شُعاعَ الشمسِ بالفُرسانِ

آخرُ ترجمةِ أميةَ بنِ أبي الصَّلْتِ.

* * *

بَحِيرى الراهب

الذي تَوَسَّمَ في رسول الله ﷺ النُّبوَّةَ وهو مع عمِّه أبي طالب، حينَ قَدمَ الشَّامَ في تُجَّارٍ من أهلِ مكَّةَ، وعُمرُه إذ ذاك اثنتا عشرةَ سنةً، فرأىٰ الغمامةَ تُظلُّه من بينهم، فصنَع لهم طعامًا ضيافةً واستدعاهم، كما سيأتي بيانُ ذلك في السِّيرة. وقد روىٰ الترمذيُّ في ذلك حديثًا بسطنا الكلام عليه هنالك، وقد أورد له الحافظ ابن عساكرَ شواهدَ وسائغاتٍ في ترجمةِ بَحيرىٰ ولم يُوردْ ما رواه الترمذيُّ، وهذا عجبٌ وذكر ابنُ عساكر أن بحيري كان يسكنُ قريةً يقالُ لها: الكفرُ. بينها وبين بُصرىٰ ستةُ أميالٍ، وهي التي يُقالُ لها: دير بَحيرىٰ قال: ويقالُ: إنه كان يسكُنُ قريةً يقالُ لها: منفعةٌ. بالبلقاءِ وراءَ زيرا. واللَّهُ أعلم.

ذِكْرُ قُسّ بن سَاعِدَة الإِيَادِيّ

قال الحافظُ أبو بكر محمدُ بنُ جعفر بن سهل الخرائطيُّ في كتاب «هَواتف الجانِّ»: حدثنا داودُ القنطريُّ، حدثنا عبدُ اللَّه بن صالح، حدَّثني أبو عَبدِ الله المشرقيُّ، عن أبي الحارثِ الورّاقِ، عن ثورِ ابن يزيدَ، عن مُوَرِّقٍ العجليِّ، عن عُبادةَ بن الصَّامت، قال: لمَّا قَدم وَفدُ إيادٍ على النَّبيِّ ﷺ، قال: **«يا معشرَ وفد إياد، ما فعل قُسُّ بن ساعدةَ الإيَادي؟»**. قالوا: هلَك يا رسولَ الله. قال: **«لقد شَهِدتُه يومًا بسوقِ عُكَاظَ على جملٍ أحمرَ يتكلَّمُ بكلامٍ مُعجبٍ مُونقٍ، لا أجدُني أحفظُه»** فقام إليه أعرابيٌّ من أقاصِي القوم، فقال: أنا أحفظُه يا رسول اللَّه. قال: فسُرَّ النَّبيُّ ﷺ بذلك. قال: فكان بسوقِ عُكاظ علىٰ جملٍ أحمرَ، وهو يقول: يا معشرَ النَّاسِ، اجتمعُوا، فكلُّ من فات فات، وكلُّ شيءٍ آتٍ آتٍ، ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، وبحرٌ عجاجٌ، نجومٌ تَزهَرُ، وجبالٌ مَرسيَّةٌ، وأنهارٌ مَجريَّةٌ، إنَّ في السَّماءِ لَخبرًا، وإنَّ في الأرضِ لَعبَرًا، ما لي أرىٰ النَّاسَ يذهبُونَ فلا يرجعون، أرضُوا بالإقامةِ فأقامُوا، أم تُرِكَوا فناموا؟ أقسَم قُسٌّ باللَّهِ قَسمًا لا ريبَ فيه، إنَّ للَّه دِينًا هو أرضىٰ مِن دينِكم هذا، ثم أنشأَ يقُولُ:

فـي الـذاهـبِـينَ الأوَّلـيـ	ـنَ مِن القـرونِ لنا بصـائِرْ
لَـمَّـا رأَيـتُ مـوارِدًا	للمـوتِ ليس لهـا مصـادِرْ
ورأيـتُ قـومِي نـحـوَها	يَمـضِي الأصـاغِـرُ والأكـابِرْ
لا مَـنْ مَـضَـى يَأتِـي إليـ	ـكَ ولا من البـاقِـين غَـابِرْ
أيْقَنْتُ أنِّـي لا مـحـا	لَةَ حـيـثُ صـار القَـوْمُ صـائِرْ[1]

---

(١) هذا إسناد غريب لم أقف على رجاله وهم أبو الحارث الوراق وأبو عبد اللَّه المشرقي وأما ثور بن زيد ومورق فهم ثقات. وللحديث شاهد عند البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٠١) سيأتي قريبًا.

وهذا إسنادٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ، وقد رواه الطبرانيُّ من وجهٍ آخر، فقال في كتابه «المُعجمِ الكَبِيرِ»: حدَّثنا محمدُ بن السريِّ بن مهرانَ بن النّاقدِ البغداديُّ، حدَّثنا محمدُ بن حسَّانَ السَّمتِيُّ، حدثنا محمدُ بن الحجَّاجِ، عن مجالدٍ عن الشَّعبيِّ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قَدِمَ وفدُ عبدِ القيسِ على النَّبيِّ ﷺ، فقال: «**أيُّكم يَعرِفُ القُسَّ بن ساعدةَ الإياديَّ؟**» قالوا: كلُّنا يعرِفُه يا رسول اللَّهِ. قال: «**فما فَعَل؟**» قالوا: هَلَكَ. قال: «**فما أنسَاه بعُكاظ في الشَّهرِ الحرامِ، وهو على جملٍ أحمرَ، وهو يخطُبُ النَّاسَ، وهو يقولُ: يأيها النَّاسُ، اجتَمعوا واستَّمعوا وَعُوا، من عاش مات، ومن مات فات، وكلُّ ما هو آت آت، إنّ في السَّماء لخَبَرًا، وإنَّ في الأرضِ لَعبرًا، مهادٌ موضوعٌ، وسقفٌ مرفوعٌ، ونُجومٌ تَمُورُ، وبحَارٌ لاَ تغورُ، أقسَم قُسٌّ قَسمًا حقًا لَئن كان في الأمرِ رضًى ليكُونَنَّ بعدَه سُخطٌ، إنَّ للَّه لَدينًا هو أحبُّ إليه مِن دِينِكم الذي أنتم عليه، ما لي أرى النَّاسَ يَذهَبُونَ ولا يَرجعُونَ! أرَضُوا بالمُقامِ فأقاموا، أم تُرِكُوا فنَاموا!**». ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أفيكم مَن يروي شعرِه؟**» فأنشدَه بعضُهم:

في الذاهبينَ الأوَّليـ ... ـنَ مِن القرونِ لنا بصائرْ
لَمَّا رأيتُ مواردًا ... للموت ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوَها ... يَسعى الأصاغرُ والأكابرْ
لايرجعُ الماضي إلـ ... ـيَّ ولا مِنَ الباقِينَ غابرْ
أيقَنْتُ أنِّي لا محا ... لَةَ حَيثُ صار القَومُ صائرْ[1]

وهكذَا أورَدَه الحافظُ البيهقيُّ في كتابِه «دلائلِ النُّبوَّة» من طريق محمدِ بن حسَّانَ السَّمتِيِّ به.

وهكذا رَويناه في الجزءِ الذي جمَعَه الأستاذُ أبو محمدٍ عبد الله بن جعفر بن درستَوَيه في أخبارِ قُسٍّ، قال: حدَّثنا عبدُ الكريمِ بن الهيثَمِ الدَّيرُعاقوليِّ، عن سعيدَ بن شبيبٍ، عن محمدِ بن الحجَّاجِ، وهو أبو إبراهيمَ الواسِطيُّ نزيلُ بغدادَ، ويُعرفُ بصاحبِ الهَريسةِ به، وقد كذَّبَه يَحيَى بنُ مَعينٍ، وأبو حاتمٍ الرَّازيُّ، والدَّارقطنيُّ، واتَّهَمَه غيرُ واحدٍ، منهم ابنُ عديٍّ، بوضعِ الحديث، وقد رواه البزَّارُ وأبو نعيمٍ من حديثِ محمدِ بن الحجَّاجِ هذا[2].

ورَواه ابنُ دَرَستَويه، وأبو نُعيمٍ من طريق الكَلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، وهذه الطَّريقُ أمثَلُ مِن التي قبلَها[3]، وفيه أنَّ أبا بكرٍ هو الذي أوردَ القِصَّةَ بكمالِها نَظمَها ونثرَها بينَ يَدي رسولِ اللَّهِ ﷺ. ورواه الحافظُ أبو نُعيمٍ من حديثِ أحمد بن موسىٰ بن إسحاقَ الحطميِّ، حدَّثنا عليُّ

---

(١) **إسناده تالف**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٥٦١) وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف وفيه محمد بن الحجاج اللخمي قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٤١٩): كذاب.

(٢) كشف الأستار (٢٧٥٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٥٥) وفيه الكلبي.

ابن الحسين بن محمد المخزوميِّ، حدَّثنا أبو حاتم السِّجستَانيُّ، حدَّثنا وهبُ بنُ جرير، عن محمد بن إسحاقَ، عن الزُّهريِّ، عن سعيد بن المسيَّب، عن ابن عبَّاس، قال: قَدم وفدُ بكرِ بن وائلٍ على رسول اللَّه ﷺ، فقال لهم: «**ما فعل حليفٌ لكم يقالُ له: قُسُّ بنُ ساعدةَ الإياديُّ؟**». وذكرَ القصَّةَ مُطوَّلةً[1].

وأخبرَنا الشيخُ المسندُ الرُّحلَةُ أحمدُ بنُ أبي طالب الحجَّارُ إجازةً إن لم يَكُنْ سَمَاعًا، قال: أجازَ لنا جعفرُ بنُ عليٍّ الهَمدانيُّ، قال: أخبرَنا الحافظُ أبو طاهر أحمدُ بن محمد بن أحمدَ بن إبراهيمَ السِّلَفيُّ سَمَاعًا، وقرأتُ على شيخنا الحافظ أبي عبداللَّه الذَّهبيِّ، أخبرنا أبوعليٍّ الحسنُ بنُ عليٍّ بن أبي بكر الخلاَّل سَمَاعًا، قال: أنا جعفرُ بن عليٍّ سماعًا، قال: أنا السِّلفيُّ سَماعًا، أنا أبو عبد اللَّه محمدُ بنُ أحمدَ بن إبراهيمَ الرَّازيُّ، أنا أبو الفضل محمدُ بن أحمدَ بن عيسى السَّعديُّ، أنا أبو القاسم عبيدُ اللَّه ابن أحمدَ بن عليٍّ المُقرئُ، حدثنا أبو محمد عبدُ اللَّه بنُ جعفر بن دَرستَوَيه النَّحويُّ، قال: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بن أحمدَ السَّعديُّ - قاضي فارسَ - حدَّثنا أبو داودَ سليمانُ بنُ سيف بن يحيى بن درهم الطَّائيُّ، من أهل حرَّانَ، حدَّثنا أبو عمرو سعيدُ بنُ بَزيع، عن محمد بن إسحاقَ، حدَّثني بعضُ أصحابنا من أهل العلم، عن الحسن بن أبي الحسن البصريِّ، أنه قال: كان الجارودُ بن المعلَّى ابن حنش بن معلَّى العبديُّ نصرانيًا حسنَ المعرفة بتفسير الكُتُب وتأويلها، عالمًا بسيَر الفرس وأقاويلها، بصيرًا بالفلسفة والطِّبِّ، ظاهرَ الدَّهاء والأدب، كاملَ الجمال، ذا ثروةٍ ومالٍ، وإنَّه قَدم على النبيِّ ﷺ، وافدًا في رجالٍ من عبد القيس، ذَوِي آراءٍ وأسنانٍ وفصاحةٍ وبيانٍ وحججٍ وبرهانٍ، فلمَّا قَدمَ على النبيِّ ﷺ، وقَفَ بينَ يديه وأشار إليه وأنشأ يقول:

يا نبيَّ الهُدى أتتْك رجالٌ ... قطعتْ فدفدًا وآلاً فآلا

وطوتْ نحوكَ الصَّحاصحَ تهوى ... لا تَعُدُّ الكَلالَ فيك كلالا

كلُّ بهماءَ قصَّر الطرفُ عنها ... أَرْقَلَتْها قلاصُنا إرقالا

وطوتْها العتاقُ تجمَحُ فيها ... بكُماة كأنجمٍ تَتَلالا

تبتغي دفْعَ بأسِ يومٍ عظيمٍ ... هائلٍ أوجَعَ القلوبَ وهالا

ومزادًا لمحشرِ الخلْقِ طُرًا ... وفراقًا لمن تمادَى ضَلالا

نحو نورٍ من الإله وبرهانٍ وبَرٍّ ونعمةٍ أن تنالا

خصَّكَ اللَّهُ يا بنَ آمنةَ الخيْرِ بها إذ أتتْ سجالا سجالا

فاجعلِ الحظَّ منكَ يا حجةَ اللَّهِ جزيلاً لا حظَّ خُلفٍ أحالا

---

(١) هذا الإسناد فيه عنعنة محمد بن إسحاق.

قال: فأدناه النبيُّ ﷺ، وقرَّب مجلسه، وقال له: «**يا جارودُ، لقد تأخَّر الموعودُ بك وبقَومك**» فقال الجارودُ: فداك أبي وأمي، أمّا مَن تأخَّرَ عنك فقد فاته حظُّه، وتلك أعظمُ حُوبةٍ، وأغلظُ عقوبةٍ، وما كنتُ فيمَن رآك أو سمع بك فعداك واتَّبع سِواك، وإني الآن على دينٍ قد علمتَ به، قد جئتُك وها أنا تاركُه لدينك، أفذلك مما يُمحِّصُ الذنوب والمآثمَ والحُوب؟ ويُرضِي الربَّ عن المربوب؟ فقال له رسولُ اللَّه ﷺ: «**أنا ضامنٌ لك ذلك، وأخلص الآن للَّه بالوَحدانية، ودَع عنك دينَ النَّصرانيَّة**». فقال الجارودُ: فداك أبي وأمي، مُدَّ يدَك فأنا أشهدُ أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، وأشهدُ أنَّك محمدٌ عبدُه ورسولُه. قال: فأسلَمَ وأسلَمَ معه أُناسٌ من قومه، فسُرَّ النبيُّ ﷺ بإسلامِهم، وأظهَرَ من إكرامِهم ما سُرُّوا به وابتَهَجُوا به، ثُم أقبَلَ عليهم رسولُ اللَّه ﷺ، فقال: «**أفيكُم من يعرفُ قُسَّ بن ساعدةَ الإياديَّ؟**» فقال الجارود: فداك أبي وأمي، كلُّنا نعرِفُه، وإنِّي من بينهم لعالِمٌ بخبَرِه، واقفٌ على أمرِه، كان قُسٌّ، يا رسولَ اللَّه، سِبطًا من أسباطِ العربِ، عُمِّر ستمائةِ سنةٍ تقَفَّر منها خمسةَ أعمارٍ في البراريِّ والقفارِ، يضجُّ بالتَّسبيحِ على مثالِ المسيحِ، لا يُقرُّه قرارٌ، ولا تكنُّهُ دارٌ، ولا يستَمتعُ به جارٌ، كان يلبَسُ الأمساحَ، ويَفوقُ السُّيَّاحَ، ولا يفتُرُ من رهبانيته، يتحسَّى في سياحته بَيضَ النّعامِ، ويأنَسُ بالهَوامِّ، ويستَمتعُ بالظَّلامِ، يُبْصرُ فيعتبِرُ، ويُفكِّرُ فيَزدجِرُ، فصار لذلك واحداً تُضرَبُ بحِكمته الأمثالُ، وتُكشَفُ به الأهوالُ، أدرَك رأسَ الحوارِيِّين سمعانَ، وهو أولُ رَجُلٍ تألَّه من العَربِ ووحَّد، وأقرَّ وتعبَّد، وأيقَن بالبعثِ والحسابِ، وحذَر سُوءَ المآبِ، وأمر بالعملِ قبلَ الفَوتِ، ووعَظ بالموتِ، وسلَّم بالقضا، على السُّخطِ والرِّضا، وزار القبورَ، وذكر النُّشورَ، ونَدَب بالأشعارِ، وفكَّر في الأقدارِ، وأنبأ عن السَّماءِ والنَّماءِ، وذكر النُّجومَ، وكشَف الماء، ووصَف البِحارَ، وعَرَف الآثارَ، وخطَبَ راكبًا، ووعَظَ دائبًا، وحذَّرَ مِن الكَربِ، ومن شِدَّة الغَضَبِ، ورسَّل الرَّسائِل، وذكَر كلَّ هائل، وأرغَم في خُطَبِه، وبيَّن في كُتبه، وخوَّف الدَّهرَ، وحذَّر الأزرَ، وعظَّم الأمرَ، وجنَّب الكفرَ، وشوَّق إلى الحنيفيَّة، ودعا إلى اللاهُوتية، وهو القائلُ في يومِ عُكاظٍ: شرقٌ وغربٌ، ويَتمٌ وحِزبٌ، وسِلمٌ وحربٌ، ويابسٌ ورَطبٌ، وأُجاجٌ وعذبٌ، وشُموسٌ وأقمارٌ، ورِياحٌ وأمطارٌ، وليلٌ ونهارٌ، وإناثٌ وذكورٌ، وأبرارٌ وفُجورٌ، وحَبٌّ ونباتٌ، وآباءٌ وأمهاتٌ، وجمعٌ وأشتاتٌ، وآياتٌ في إثرِها آياتٌ، ونورٌ وظلامٌ، ويُسرٌ وإعدامٌ، وربٌّ وأصنامٌ، لقد ضلَّ الأنامُ، نُشُوءُ مولودٍ، ووأدُ مفقودٍ، وتربيةُ محصودٍ، وفقيرٌ وغنيٌّ، ومحسنٌ ومُسِيءٌ، تَبًا لأربابِ الغفلةِ، ليُصلِحَنَّ العاملُ عملَه، ولَيَفقِدَنَّ الآملُ أملَه، كلاَّ بل هو إلهٌ واحد، ليس بمولودٍ ولا والد، أعادَ وأبدَىٰ، وأمات وأحيَا، وخلَق الذَّكَرَ والأُنثَىٰ، ربُّ الآخِرةِ والأُولَىٰ، أمَّا بعدُ، فيا معشرَ إياد، أين ثمودُ وعاد؟ وأين الآباءُ والأجداد؟ وأين العَليلُ والعُوَّاد؟ كلٌّ له معاد، يُقسِمُ قُسٌّ بربِّ العباد، وساطحِ المِهاد، لتُحشَرُنَّ على الانفراد، في يومِ التَّناد، إذا نُفخَ في الصُّورِ، ونُقِرَ في النّاقورِ، وأشرقَتِ الأرضُ، ووَعَظَ الواعظُ، فانتُبِذَ القانطُ، وأبصَرَ اللاحظُ، فويلٌ لِمَن

صَدَفَ عن الحقِّ الأشهَرِ، والنُّورِ الأزهَرِ، والعَرضِ الأكبر في يومِ الفصلِ وميزانِ العدل، إذا حَكَمَ القديرُ، وشَهِدَ النَّذيرُ، وبَعُدَ النَّصِيرُ، وظَهَرَ التَّقصيرُ، ففريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعيرِ. وهو القائل:

ذكَّـر القلبَ مِن جَـواه ادّكـارُ … وليـالٍ خَـلا لهـنَّ نهـارُ
وسِجـالٌ هـواطلٌ مـن غمـامٍ … ثُرنَ مـاءً وفي جَـواهـنَّ نـارُ
ضـوءُها يطمِسُ العيـونَ وأرعـا … دٌ شِـدادٌ في الخـافـقيـن تطارُ
وقـصـورٌ مَشـيـدةٌ حـوتِ الخَيْـ … ـرَ وأخـرى خلتْ بهنَّ قِـفـارُ
وجبـالٌ شـوامخٌ راسيـاتٌ … وبحـارٌ ميـاهُهنَّ غـزارُ
ونجـومٌ تلوحُ في ظُلَمِ اللّيـ … ـلِ نَـراهـا فـي كـلِّ يـومٍ تُـدارُ
ثُم شـمسٌ يحُثُّـهـا قمـرُ اللّيـ … ـلِ وكـلٌّ مُـتـابعٌ مَـوَّارُ
وصـغـيـرٌ وأشـمَطٌ وكـبـيـرٌ … كلُّهم في الصـعـيـدِ يومًـا مُـزارُ
كـثـيـرٌ مما يُقـصِّـرُ عنه … حَـدْسُـه الخـاطرُ الذي لا يحـارُ
فـالَّذي قـد ذَكَـرْتُ دَلَّ على اللَّـ … ـه نُفُـوسًـا لهـا هُـدًى واعـتـبـارُ

قال: فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «مَهمَا نَسيتُ فَلَستُ أنسَاه بسوق عُكاظ، واقفًا على جَمَلٍ أحمَرَ يَخطُبُ النَّاسَ: اجتَمعوا فاسمَعوا، وإذا سَمعتُم فَعُوا، وإذا وَعَيتُم فانتَفعوا، وَقُولوا، وإذا قُلتُم فَاصدُقوا، مَن عاشَ ماتَ، ومَن ماتَ فات، وكلُّ ما هُو آت آت، مطرٌ ونباتٌ، وأحياءٌ وأمواتٌ، ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، ونجومٌ تَزهرُ، وبحـارٌ تزخرُ، وضوءٌ وظَلامٌ، وليلٌ وأيَّامٌ، وبرٌّ وآثامٌ، إنَّ في السَّماءِ خَبَرا، وإنَّ في الأرضِ عِبرا، يَحَارُ فيهنَّ البُصَرا، مِهادٌ موضوعٌ، وسَقفٌ مرفُوعٌ، ونجومٌ تغورُ، وبحارٌ لا تفورُ، ومنايا دوان، ودهرٌ خَوّان، كحدِّ النِّسطاسِ، ووزنِ القسطاسِ، أقسَمَ قُسٌّ قَسَمًا، لا كَاذبًا فيه، ولا آثما، لئِن كان في هذا الأمرِ رضًى، ليكُونَنَّ سُخطٌ. ثم قال: أيُّها الناسُ، إن للَّه دينًا هو أحبُّ إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، وهذا زمانه وأوانُه، ثم قال: ما لي أرَى الناس يذهَبونَ فلا يرجعونَ، أرَضُوا بالمُقامِ فأقاموا، أم تُرِكوا فنامُوا!» والتفتَ رسولُ اللَّه ﷺ إلى بعضِ أصحابِه، فقال: «أيُّكم يَروِي شِعرَه لنا؟» فقال أبو بكرٍ الصديقُ: فداكَ أبي وأمِّي، أنا شاهدٌ له في ذلك اليومِ حيثُ يقولُ:

فـي الذَّاهـبِـينَ الأولـيـ … ـنَ مِن القـرونِ لنا بصـائرْ
لمّـا رأيتُ مـواردًا … للمـوتِ ليس لهـا مصـادر
ورأيتُ قـومي نحـوَهـا … يمْضي الأصـاغِـر والأكـابر
لا يـرجـعُ المـاضـي إلـيَّ … ولا مِنَ البـاقـينَ غـابرْ
أيـقَنْـتُ أنِّـي لا مـحـا … لةَ حـيثُ صـارَ القـومُ صـائرْ

قال: فقام إلى رسول الله ﷺ، شيخٌ من عبد القيس عظيمُ الهامة، طويلُ القامة، بعيدُ ما بين المنكبين، فقال: فداك أبي وأمي، وأنا رأيتُ من قُسٍّ عجبًا. فقال له رسول الله ﷺ: «ما الذي رأيتَ يا أخا بني عبد القيس؟» فقال: خرجتُ في شَبيبَتي أربَعُ بعيرًا لي، ففرَّ مني فذَهبتُ أقفُو أثرَه في تَنائفَ قفافٍ ذاتِ ضَغَابيسَ، وعَرَصاتِ جَثجاثٍ، بين صدورِ جُذعانٍ، وغميرِ حواذنٍ، ومهمَهٍ ظلمانٍ، ورصيعِ أيهُقانٍ، فبينا أنا في تلك الفَلَواتِ أجولُ بسَبسَبِها وأرنُقُ فَدفَدَها، إذا أنا بهضبةٍ في نشَزاتِها أراكٌ كباثٌ مُخضَوضلةٌ، وأغصانها مُتهدِّلةٌ، كأنَّ بريرَها حبُّ الفُلفلِ وبواسقُ أُقحوانٍ، وإذا بعينٍ خرَّارةٍ وروضةٍ مُدهامَّةٍ، وشجرةٍ عارمةٍ، وإذا أنا بقُسِّ بن ساعدةَ في أصلِ تلك الشجرةِ وبيدِه قضيبٌ، فدنَوتُ منه وقلتُ له: أنعم صباحًا. فقال: وأنت فنعم صباحُك. وقد وردَت العينَ سباعٌ كثيرةٌ فكان كلَّما ذهب سبعٌ منها يشربُ من العينِ قبل صاحبِه ضربهُ قُسٌّ بالقضيبِ الذي بيده. وقال: اصبِر حتى يشربَ الذي قبلَكَ، فذُعِرتُ من ذلك ذُعرًا شديدًا، ونظرَ إليَّ فقال: لا تخفْ. وإذا بقَبرَين بينَهما مسجدٌ فقلتُ: ما هذانِ القبرانِ؟ قال: قبرا أخوينِ كانا يعبدانِ اللَّه عزَّ وجلَّ، بهذا الموضعِ، فأنا مقيمٌ بين قبرَيهما أعبدُ اللَّهَ حتى ألحق بهما، فقلتُ له: أفلا تلحقُ بقومِكَ فتكونَ معهم في خيرِهم وتُباينَهم على شرِّهم؟ فقال لي: ثكلتكَ أمُّكَ أوَ ما علمتَ أن ولَدَ إسماعيلَ تركوا دين أبيهم واتَّبعوا الأضدادَ وعظَّموا الأندادَ. ثُم أقبل على القبرينِ وأنشأ يقول:

خليلَيَّ هُبّا طالما قد رقَدتُما	أجِدُّكُما لا تَقضيانِ كَراكُما
أرى النومَ بينَ الجلدِ والعَظمِ منكما	كأنَّ الذي يَسقي العقارَ سَقاكما
أمِن طولِ نومٍ لا تُجيبانِ داعيًا	كأنَّ الذي يسقي العُقارَ سَقاكما
ألم تعلما أنّي بنَجرانَ مُفرَدًا	وما ليَ فيه من حبيبٍ سواكما
مقيمٌ على قَبرَيكما لَستُ بارحًا	إيابَ الليالي أو يُجيبَ صَداكما
أأبكيكُما طولَ الحياةِ وما الذي	يرُدُّ على ذي لوعةٍ أن بكاكما
فلو جُعِلت نفسٌ لنفسِ امرئٍ فدًى	لَجُدتُ بنفسي أن تكونَ فداكما
كأنكما والموتُ أقربُ غايةٍ	بروحيَ في قَبرَيكما قد أتاكما

وقال: فقال رسول الله ﷺ: «رَحمَ اللَّهُ قُسًّا، أمَا إنَّه سيُبعثُ يومَ القيامة أُمَّةً واحدةً»[1]. وهذا الحديثُ غريبٌ جدًا من هذا الوجه وهو مرسلٌ، إلاَّ أن يكونَ الحسنُ سَمِعَهُ من الجارُود. واللَّهُ أعلمُ.

وقد رواه البيهقيُّ، والحافظُ أبو القاسم ابنُ عَساكرَ من وجهٍ آخَرَ من حديثِ محمدِ بن عيسى بن محمد بن سعيدٍ القُرشيِّ الأخباريِّ، ثنا أبي، ثنا عليُّ بن سليمانَ عن سُليمان بن عليٍّ، عن عليِّ بن عبدِ اللَّه، عن عبدِ اللَّه بن عباسٍ رضي اللَّهُ عنهما، قال: قَدِمَ الجارُودُ بن عبدِ اللَّه. فذكر مثله أو

(١) إسناده ضعيف: أعله المصنف بالإرسال إلا إن سمعه الحسن من الجارود قلت: وفي إسناده إبهام الراوي عن الحسن.

نحوَه مطوَّلاً بزيادات كثيرة في نظمه ونثره، وفيه ما ذكره عن الذي ضَلَّ بعيره فذهب في طلبه، قال: فبِتُّ في وادٍ لا آمَنُ فيه حتفي، ولا أركَنُ إلى غير سيفي، فبتُّ أرقُبُ الكوكبَ، وأرمقُ الغَيهَبَ، حتى إذا الليلُ عَسعَسَ، وكاد الصبحُ أن يتنفَّسَ، هَتَفَ بي هاتفٌ يقولُ:

يا أيُّها الراقدُ في الليل الأجَمْ ... قد بعثَ اللَّهُ نبيًّا في الحَرَمْ
من هاشمٍ أهلِ الوفاءِ والكرم ... يجلو دُجُنَّاتِ الدَّياجي والبُهَمْ

قال: فأدرتُ طَرفي، فما رأيتُ له شخصًا ولا سمعتُ له فحصًا، قال: فأنشأت أقولُ:

يا أيُّها الهاتفُ في داجي الظُّلَم ... أهلاً وسهلاً بك من طيفٍ ألَمّ
بَيِّن هَداكَ اللَّهُ في لَحنِ الكَلِم ... ماذا الذي تدعو إليه يُغتَنَم

قال: فإذا أنا بنَحنَحَةٍ، وقائلٍ يقولُ: ظهرَ النُّورُ، وبطَلَ الزُّورُ، وبعثَ اللَّهُ محمدًا بالحُبُورِ، صاحبَ النَّجيبِ الأحمَرِ، والتاجِ والمِغفَرِ، والوجهِ الأزهرِ، والحاجبِ الأقمَرِ، والطَّرفِ الأحورِ، صاحبَ قولِ شهادةِ أن لا إله إلا اللَّه، فذلك محمدٌ المبعوثُ إلى الأسودِ والأبيضِ أهلِ المَدَرِ والوَبَرِ، ثُم أنشأ يقولُ:

الحمدُ للَّه الَّذي ... لَم يَخلُقِ الخَلقَ عَبَثْ
لم يُخلِنا يومًا سُدًى ... من بعدِ عيسى واكترثْ
أرسَلَ فينا أحمدًا ... خيرَ نبيٍّ قد بُعِثْ
صلَّى عليه اللَّهُ ما ... حجَّ لهُ رَكبٌ وحَثّ

وفيه من إنشادِ قُسِّ بن سَاعدةَ:

يا ناعيَ المَوت والملحودُ في جَدَثٍ ... عليهمُ من بقايا بَزِّهم خِرَقُ
دَعهم فإنَّ لهم يومًا يُصاحُ بهمْ ... فهم إذا انتَبَهوا من نومهم أرِقوا
حتى يعودوا بحالٍ غيرِ حالهم ... خَلقًا جَديدًا كما من قبله خُلِقوا
منهم عُراةٌ ومنهم في ثيابهمُ ... منها الجَديدُ ومنها المُنهَجُ الخَلَقُ[1]

ثُم رواه البيهقيُّ عن أبي محمدٍ عبدِ اللَّهِ بن يُوسُفَ بن أحمدَ الأصبهانيِّ، حدثنا أبو بكرٍ أحمدُ بن سعيدِ بن فرضَخٍ الإخميميُّ بمكَّةَ، ثنا القاسمُ بنُ عبدِ اللَّه بن مهديٍّ، ثنا أبو عُبيدِ اللَّه سعيدُ بن عبدِالرَّحمنِ المخزُوميُّ، ثنا سفيانُ بنُ عُيينَةَ، عن أبي حَمزَةَ الثُّماليِّ، عن سعيدِ بن جُبيرٍ، عن ابن

(١) إسناده لين: لجهالة سليمان بن علي قال ابن القطان هو مع شرفه لا يعرف حاله في الحديث انظر «التهذيب» (٤/ ١٨٥).

عبَّاسٍ، فذكر القصّةَ، وذكر الإنشادَ، قال: فوجَدوا عندَ رأسه صحيفةً فيها:

يا ناعيَ المَوت والأمواتُ في جَدَثٍ ... عليهمُ من بقايا ثوبِهم خِرَقُ
دَعْهم فإنَّ لهم يومًا يُصاحُ بهم ... كما يُنبَّهُ من نوماته الصَّعِقُ
منهم عُراةٌ وموتى في ثيابهمُ ... منها الجَديدُ ومنها الأزرقُ الخَلَقُ

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «والذي بَعَثني بالحقِّ، لقد آمَنَ قُسٌّ بالبَعث»(١) . وأصلُه مشهورٌ، وهذه الطُّرقُ على ضعفها، كالمُتعاضدَة على إثبات أصل القصَّة، وقد تكلَّم أبو محمدٍ ابنُ دَرَستَويه على غريبِ ما وقَع في هذه الأحاديث.

وقال البيهقيُّ: أنا أبو سعدِ بن محمد بنِ أحمد الشُّعيثيُّ، ثنا أبو عمرِو بن أبي طاهرٍ المُحمَّدآباذي، لفظًا، ثنا أبو لُبَابة محمدُ بن المهديِّ الأبيوَرديُّ، ثنا أبي، ثنا سعيدُ بن هُبيرةَ، ثنا المُعتمرُ بنُ سليمانَ، عن أبيه، عن أنسِ بن مالكٍ، قال: قَدِمَ وَفدُ إيادٍ على النبيِّ ﷺ، فقال: «ما فعل قُسُّ بنُ ساعدَة؟» قالوا: هلَك. قال: «أما إنِّي سَمعتُ منه كلامًا أُرى أنِّي أحفظُه». فقال بعضُ القوم: نحن نحفظُه يا رسولَ اللَّه. قال: «هاتوا» فقال قائلهم: إني واقفٌ بسُوقِ عُكاظٍ، فقال: يأيها النَّاسُ استَمِعُوا واسمَعوا وعُوا، كُلُّ من عاش مات، وكلُّ من مات فات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ، ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، ونجومٌ تزهرُ، وبحارٌ تزخرُ، وجبالٌ مُرسيَةٌ، وأنهارٌ مجريّةٌ، إنَّ في السماءِ لخبرًا، وإنَّ في الأرضِ لعبرًا، أرىٰ الناس يموتون ولا يرجعون، أرضُوا بالإقامة فأقاموا، أم تُركوا فناموا؟! أقسَمَ قُسٌّ قَسَمًا باللَّه لا إثمَ فيه، إنَّ للَّه دينًا هو أرضَىٰ مما أنتم عليه. ثم أنشأ يقولُ:

في الذَّاهبينَ الأوليـ ... ـنَ من القرون لنا بصائرْ
لما رأيتُ مواردًا ... للموت ليس لها مصادر
ورأيتُ قومي نحوَها ... يَمضي الأكابر الأصاغرُ
أيقَنتُ أنّي لا محا ... لةَ حيثُ صارَ القومُ صائرْ(٢)

ثُم ساقَه البيهقيُّ من طُرُقٍ أُخَرَ، قد نبَّهنَا عليها فيما تقدَّم، ثم قال بعد ذلك كلّه: وقد رُوِي هذا الحديثُ عن الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عبَّاسٍ بزيادةٍ ونُقصانٍ، ورُوِيَ من وجهٍ آخرَ عن الحسنِ البصريِّ مُنقطعًا، ورُوي مختصرًا من حديث سعدِ بن أبي وقَّاصٍ، وأبي هريرةَ، قلتُ: وعُبادةَ بنِ

---

(١) إسناده ضعيف: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٠٢). وفيه أبو حمزة الثمالي وهو ثابت بن أبي صفية وهو رافضي ضعيف.

(٢) إسناده ضعيف: لضعف سعيد بن هبيرة قال عنه أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ٧٠): ليس بالقوي روى أحاديث مناكير. أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٠١).

الصامت - كما تقدم - وعبد اللَّه بن مسعود، كما رواه أبو نُعيم في كتاب «الدَّلائل» عن عبد اللَّه بن محمد بن عثمانَ الواسطيِّ، عن أبي الوليد طريف بن عبيد اللَّه، مَولَى عليِّ بن أبي طالب، بالموصل، عن يحيىٰ بن عبد الحميد الحمَّانيِّ عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي الضُّحىٰ، عن مسروق، عن ابن مسعود، فذكره. ورَوَىٰ أبو نُعيم أيضًا حديثَ عُبادةَ المتقدِّمَ وسَعد بن أبي وقَّاص، ثم قال البيهقيُّ: وإذا رُوِيَ الحديثُ من أوجُهٍ أُخَرَ، وإن كان بعضُها ضَعيفًا، دلَّ علىٰ أنَّ للحديث أصلاً. واللَّهُ أعلمُ.

زيدُ بنُ عَمْرو بنِ نُفَيْل، رضيَ اللَّهُ عنه

هُو زيدُ بن عمرو بن نُفَيْل بن عبد العُزَّىٰ بن رياح بن عبد اللَّه بن قُرط بن رزاح بن عديِّ بن كعب ابن لُؤَيٍّ القُرشيُّ العَدَويُّ، وكان الخَطَّابُ - والدُ عُمرَ بن الخطاب - عمَّه وأخاه لأُمِّه؛ وذلك لأنَّ عَمرو بن نُفَيل، كان قد خَلَفَ علىٰ امرأة أبيه بعد أبيه، وكان لها من نُفَيل أخوه الخطَّابُ، قاله الزُّبيرُ ابنُ بكَّار، ومحمدُ بنُ إسحاقَ. وكان زَيدُ بن عَمرو، قد تَرَك عبادةَ الأوثان وفارَقَ دينَهم، وكان لا يَأكُلُ إلاَّ ما ذُبِحَ علىٰ اسم اللَّه وحده، قال يونسُ بنُ بُكَير، عن محمد بن إسحاقَ، حدَّثني هشامُ بن عُروَةَ، عن أبيه، عن أسماءَ بنت أبي بكر قالت: لقد رأيتُ زَيدَ بن عمرو بن نُفيل مُسندًا ظَهرَه إلىٰ الكعبة، يُقولُ: يا معشرَ قُريش! والَّذي نَفسُ زيد بيده، ما أصبَح أحدٌ منكم علىٰ دين إبراهيمَ غيري. ثُم يَقُولُ: اللَّهمَّ إنِّي لو أعلَمُ أحَبَّ الوُجُوه إليكَ عَبَدتُكَ به، ولكني لا أعلمُ. ثُم يَسجُدُ علىٰ راحلته، وكذا رواه أبو أُسامةَ عن هشام به، وزاد: وكان يُصلِّي إلىٰ الكعبة، ويقولُ: إلهي إلهُ إبراهيمَ، وديني دينُ إبراهيمَ. وكان يُحيِي المَوءُودَةَ، ويَقولُ للرَّجُل إذا أراد أن يَقتُلَ ابنتَه: لا تقتُلها، ادفَعها إليَّ أكفُلها. فإذا تَرَعْرَعَت قال: إن شئتَ فخُذها، وإن شئتَ فادفَعها. أخرَجه النَّسائيُّ من طريق أبي أسامةَ. وعلَّقَه البُخاريُّ، فقال: وقال اللَّيثُ: كَتَب إليَّ هشامُ بنُ عُروةَ، عن أبيه به.

وقال يونسُ بن بُكير، عن محمد بن إسحاقَ: وقد كان نَفَرٌ من قُريش؛ زيدُ بن عمرو بن نُفيل، وورَقَةُ بنُ نَوفَل بن أسد بن عبد العُزَّىٰ، وعُثمانُ بنُ الحُوَيرث بن أسد بن عبد العُزَّىٰ، وعُبيدُ اللَّه بنُ جَحش بن رئاب بن يَعمَرَ بن صَبِرةَ بن مُرَّةَ بن كبير بن غنم بن دُودانَ بن أسد بن خُزيمةَ، وأُمُّه أميمةُ بنتُ عبد المطلب، وأختُه زينبُ بنتُ جحش - الَّتي تزوَّجَها رَسُولُ اللَّه ﷺ، بعدَ مَولاه زَيد بن حارثَةَ، كما سيأتي بيانُه - حَضَرُوا قُريشًا عندَ وثَن لهم كانُوا يَذبَحُونَ عندَه لعيد من أعيادهم، فلمَّا اجتمَعُوا، خَلاَ بَعضُ أُولَئكَ النَّفَر إلىٰ بعض، وقالُوا: تصادَقُوا وليَكتُم بَعضُكُم علىٰ بعض. فقالَ قائلُهم: تعلَمُنَّ، واللَّه ما قَومُكُم علىٰ شيء، لَقَد أخطئوا دينَ إبراهيمَ وخالَفُوه، ما وثَنٌ يُعبدُ لا يضُرُّ ولا ينفَعُ؟! فابتَغُوا لأنفُسكُم. فخَرَجُوا يَطلُبُونَ ويسيرُونَ في الأرض، يلتَمسُونَ أهلَ كتاب من اليهود والنَّصارىٰ، والملَل كُلِّها يسألونهم الحنيفيَّةَ دينَ إبراهيمَ، فأمَّا ورقةُ بن نوفل فتنصَّرَ واستحكَمَ في النَّصرانية واتَّبع الكُتُبَ من أهلها، حتىٰ عَلمَ كثيرًا من أهل الكتاب، ولم يكُن فيهم أعدَلُ أمرًا وأعدلُ شأنًا من زيد بن عمرو بن نُفيل، اعتَزَلَ الأوثانَ، وفارَقَ الأديانَ من اليهود والنَّصارىٰ والملَل كلِّها إلا

دينَ الحنيفيَّة دينَ إبراهيمَ؛ يُوحِّدُ اللَّهَ ويخلَعُ من دُونه، ولا يأكُلُ ذبائحَ قومه، باداهم بالفراق لما هُم فيه. قال: وكان الخطَّابُ قد آذاهُ أذىً كثيراً، حتَّىٰ خرج منهُ إلىٰ أعلىٰ مكَّةَ، ووكَلَ به الخطَّابُ شَبَابًا من قُريش وسُفهاءَ من سُفهائهم، فقال: لا تتركُوه يدخُلُ مكَّةَ، فكانَ لا يدخُلُها إلا سرًّا منهم، فإذا عَلمُوا به أخرَجُوه وآذَوه، كراهيةَ أن يُفسدَ عليهم دينَهم، أو يُتَابعَه أحدٌ علىٰ مَا هو عليه. وقال مُوسىٰ ابنُ عقبَةَ: سَمعتُ مَن أرضَىٰ يُحَدِّثُ عن زيد بن عمرو بن نُفيل، كَانَ يَعيبُ علىٰ قُريش ذَبائحهَم، ويقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَها اللَّهُ، وأنزَلَ لَهَا من السَّماء ماءً، وأنبَتَ لها من الأرض، لِمَ تذبَحُونَها علىٰ غير اسم اللَّه؟ إنكاراً لذلك وإعظامًا له. وقال يونسُ، عن ابن إسحاقَ: وقد كان زيدُ بنُ عمرو بن نُفيل قد عزَمَ علىٰ الخُرُوج من مكَّةَ، يَضربُ في الأرض يطلُبُ الحنيفيَّةَ دينَ إبراهيمَ، وكانَت امرأتُهُ صفيَّةُ بنتُ الحضرَميِّ كُلَّمَا أبصرَته قد نَهضَ للخُرُوج وأرادَه، آذَنَت للخَطَّاب بن نُفَيل، فخَرَجَ زيدٌ إلىٰ الشَّام؛ يلتمس ويطلُبُ في أهل الكتَاب الأوَّل دينَ إبراهيمَ، ويسألُ عنهُ، ولَم يَزَل في ذلك، فيما يزعُمُونَ، حتىٰ أتىٰ المَوصلَ والجزيرَةَ كُلَّها، ثُم أقبلَ حتىٰ أتىٰ الشَّامَ، فجَالَ فيها حتىٰ أتىٰ راهبًا ببيعَة من أرض البلقَاء، كَانَ ينتَهي إليه علمُ النَّصرانيَّة، فيما يزعمُونَ، فسَألَه عن الحنيفيَّة دين إبراهيمَ، فقال لهُ الرَّاهبُ: إنَّكَ لَتَسألُ عن دين ما أنتَ بواجد مَن يَحملُك عليه اليومَ، لقد دَرَسَ من عَلمَه وذَهَبَ مَن كانَ يعرفُه، ولكنَّه قد أظلَّك خُروجُ نبيٍّ، وهذا زمانُه، وقد كَانَ شامَ اليهوديَّةَ والنصرانيَّةَ، فلم يَرضَ شَيئًا منها؛ فخَرَجَ سَريعًا حينَ قَالَ لَه الرَّاهبُ ما قَالَ، يريدُ مكَّةَ، حتَّىٰ إذا كان بأرض لَخم عَدَوا علَيه فَقَتَلُوه، فقَالَ ورَقَةُ يَرثيه:

رشدتَ وأنعَمْتَ ابنَ عَمرو وَإنَّما ... تَجَنَّبتَ تَنُّوراً منَ النَّار حَاميا
بدينكَ ربّا ليسَ ربٌّ كمثله ... وتَرْكك أوثَانَ الطَّوَاغي كَمَا هيا
وَقَد تُدركُ الإنسَانَ رَحمَةُ رَبِّه ... ولَوْ كَانَ تَحْتَ الأرض ستِّينَ وَاديا

وقال محمَّدُ بن عثمانَ بن أبي شيبةَ: حدثنا أحمد بن طارق الوابشيُّ، ثنا عمرُو بن عطيَّةَ، عن أبيه، عن ابن عُمَرَ، عن زيد بن عمرو بن نُفيل، أنَّه كان يتألَّهُ في الجاهليَّة، فانطَلَقَ حتىٰ أتىٰ رَجُلاً من اليهود، فقال لَهُ: أُحبُّ أن تُدخلَني معك في دينك. فقال له اليهوديُّ: لا أُدخلُكَ في ديني حتىٰ تَبُوءَ بنصيبك من غضَب اللَّه. فقالَ: من غَضَب اللَّه أَفرُّ. فانطَلَقَ حَتَّىٰ أتَىٰ نَصرَانيًا، فقَالَ لَه: أُحبُّ أن تُدخلَني مَعك في دينك. فقَالَ: لستُ أُدخلُكَ في ديني حَتَّىٰ تَبُوءَ بنَصيبكَ منَ الضَّلالَة. فقالَ: من الضَّلالَة أفرُّ. قال له النَّصرانيُّ: فإنِّي أدُلُّك علىٰ دين إن اتَّبعتَه اهتَديتَ. قال أيُّ دين: قال دينُ إبراهيمَ. قَال: فقال: اللَّهُمَّ إنِّي أُشهدُكَ أنِّي علىٰ دين إبراهيمَ. عليه أحيا، وعليه أموتُ. قال: فذَكَرَ شأنُه للنَّبيِّ ﷺ، فقال: «هُو أُمَّةٌ وَحْدَه يوم القيَامَة»[1].

---

(١) **إسناده ضعيف:** ما أبرز من إسناده ضعيف لضعف عمرو بن عطية وأبيه وهو عطية العوفي قال أبو زرعة في عمرو: ليس بالقوي انظر «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٥٠) وقال في عطية العوفي: لين وقال أحمد: ضعيف، «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٨٣).

وقد روىٰ موسىٰ بن عقبةَ، عن سالم، عن ابنِ عُمَرَ، نحو هذا. وقال محمَّدُ بنُ سعدٍ: حدَّثنا عليُّ بن محمَّدِ بن عبدِ اللَّه بن سيفٍ القُرشيُّ، عن إسماعيلَ بن مُجالدٍ عن مُجالدٍ، عن الشعبيِّ، عن عبد الرحمن بن زيدِ بن الخطاب، قال: قال زيدُ بن عمرو بن نُفيل: شَامَمت اليهوديَّةَ والنَّصرانيَّةَ فكرهتُهما، فكُنتُ بالشَّام وما والاَه، حتىٰ أتيتُ رَاهبًا في صومعةٍ فوقفتُ عليه، فذكرتُ له اغترَابي عن قومي وكرَاهتي عبادَةَ الأوثانِ واليهوديةَ والنَّصرانيَّةَ، فقال لي: أرَاكَ تُريدُ دينَ إبراهيمَ يا أخَا أهلِ مكَّةَ، إنَّكَ لتطلُبُ دينًا ما يُوجَدُ اليومَ أحدٌ يَدينُ به، وهو دينُ أبيكَ إبراهيمَ كان حنيفًا، لم يكُن يهوديًا ولا نصرانيًا، كان يُصلِّي ويسجُدُ إلىٰ هذا البيتِ الَّذي ببلادك، فالحقْ ببَلَدِكَ، فإنَّ اللَّه يبعثُ من قومك في بَلَدِكَ من يأتي بدينِ إبراهيمَ الحنيفيَّة، وهو أكرمُ الخلقِ علىٰ اللَّه[1].

وقَالَ يُونُسُ، عن ابن إسحَاقَ: حدَّثني بعضُ آل زيدِ بن عمرو بن نُفيل: إنَّ زيدًا كان إذا دَخَلَ الكعبةَ، قال: لبَّيكَ حقًا حقًا، تعبُّدًا ورِقًا، عُذتُ بِمَا عَاذَ به إبراهيمُ وهوَ قائمٌ إذ قال:

أنفي لَكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمُ	مَهْمَا تُجَشِّمْني فإنِّي جَاشِمُ

البرَّ أبْغي لا الخال، لَيْسَ مُهَجِّرٌ كَمَن قَالَ.

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ: حدثنا المسعوديُّ، عن نُفيلِ بن هشام بن سعيدِ بن زيدِ بن عمرو بن نفيلٍ العدويِّ، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ زيدَ بنَ عمرو وورقَةَ بن نوفلٍ خَرَجَا يلتمسان الدِّينَ حتىٰ انتهيَا إلىٰ راهبٍ بالموصل، فقال لزيدِ بنِ عمرو: من أينَ أقبَلتَ يا صاحِبَ البعيرِ؟ فقالَ: من بَنِيَّةِ إبرَاهيمَ. فقالَ: وما تلتَمِسُ؟ قال: ألتَمسُ الدِّينَ. قال: ارجع، فإنَّه يُوشِكُ أن يظهَرَ في أرضِك. قالَ: فأمَّا ورَقَةُ فتَنَصَّرَ، وأمَّا أنا فعزَمتُ علىٰ النَّصرانيَّة فلم يُوافقني. فرَجَعَ وهو يقُولُ:

لَبَّيْكَ حَقًّا حَقًّا	تَعَبُّدًا وَرِقًّا
البِرَّ أبغي لا الخَالْ	فَهَلْ مُهَجِّرٌ كَمَن قَالْ

آمَنتُ بِمَا آمَنَ به إبرَاهيمُ، وهو يَقُولُ:

أنفي لكَ اللَّهُمَّ عَانٍ رَاغِمُ	مَهْمَا تُجَشِّمني فإنِّي جاشِمُ

ثُمَّ يَخِرُّ فيَسجُدُ. قال: وجاءَ ابنهُ - يعني سعيدَ بن زيدٍ أحَدَ العشرة رضي الله عنه - فقال يا رسولَ اللَّه إنَّ أبي كَما رأيتَ وكَما بلَغَك، فاستغفِر له. قال: «نَعَم؛ فإنَّهُ يُبعَثُ يَومَ القيامَةِ أُمَّةً وَحدَه». قال: وأتىٰ زَيدُ بنُ عمرو علىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، ومعه زيدُ بن حارثَةَ، وهما يأكلانِ من سُفرةٍ لهُما، فدعَواه لطَعامهما، فقال زيدُ بن عمرو، يا بن أخي، أنا لا آكُلُ مِمَّا ذُبحَ علىٰ النُّصُب[2].

وقال محمَّدُ بن سعد: حدَّثنا محمدُ بنُ عُمَرَ، حدَّثني أبو بكر بن أبي سَبرَةَ، عن موسىٰ بن

---

(١) **إسناده ضعيف:** لضعف مجالد هو ابن سعيد.

(٢) **إسناده ضعيف:** لجهالة نفيل بن هشام وأبيه والمسعودي مختلط أخرجه الطيالسي (٢٣١)، أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٢٣) وأصل القصة في صحيح البخاري (٣٨٢٦-٣٨٢٨).

ميسرةَ، عن ابنِ أبي مُليكَةَ، عن حُجَير بن أبي إهابٍ، قال: رأيتُ زيد بن عمرو، وأنا عندَ صنمِ بُوانَةَ بعدَما رَجَع من الشامِ، وهو يُراقبُ الشَّمسَ، فإذا زالت استقبَلَ الكعبةَ، فصلَّى ركعةً وسجدَتَين، ثمَّ يقولُ: هذه قِبلةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ، لا أعبدُ حَجرًا ولا أُصلِّي له، ولا آكُلُ ما ذُبِحَ له، ولا أستقسمُ بالأزلامِ وأنا أُصلِّي إلى هذا البيت حتى أموتَ، وكان يحُجُّ فيقفُ بعرفَةَ، وكان يُلبِّي، فيقولُ: لبَّيكَ لا شريكَ لك، ولا ندَّ لك، ثم يدفعُ من عرَفَةَ ماشيًا، وهو يقولُ: لبَّيكَ متُعبِّدًا مرقوقًا[١].

وقال الواقدي: حدَّثني عليُّ بن عيسى الحكميُّ، عن أبيه، عن عامرِ بنِ ربيعةَ، قال: سمعتُ زيدَ ابن عمرو بن نُفيلٍ يقُولُ: أنا أنتظِرُ نبيًا من ولَدِ إسماعيلَ، ثم من بني عبد المطلب، ولا أراني أُدركُه، وأنا أُومنُ به، وأُصدِّقُهُ وأشهدُ أنه نبيٌّ، فإن طالت بك مُدَّةٌ فرأيتَه، فأقرِئه منِّي السلامَ، وسأخبرُك ما نعتُه، حتى لا يخفى عليك. قلت: هلُمَّ. قال: هو رجلٌ ليس بالطويل ولا بالقصيرِ، ولا بكثيرِ الشَّعرِ ولا بقليله، وليسَتْ تفارقُ عينه حُمرَةٌ، وخاتمُ النبوةِ بين كتفَيه، واسمُه أحمدُ، وهذا البلدُ مولدُه ومبعثُه، ثُمَّ يخرجُه قومُه منها، ويكرَهون ما جاء به؛ حتى يُهاجرَ إلى يثربَ، فيظهرَ أمرُه، فإيَّاك أن تُخدَعَ عنه، فإنِّي طُفتُ البلادَ كلَّها أطلبُ دينَ إبراهيمَ، فكان من أسألُ من اليهود والنصارى والمجوس يقولون: هذا الدِّين وراءَك، وينعتُونَهُ مثل ما نعتُّه لك، ويقولون: لم يبقَ نبيٌّ غيره. قال عامرُ بن ربيعةَ: فلمَّا أسلمتُ، أخبَرتُ رسولَ اللَّه ﷺ قولَ زيدِ بن عمرو، وأقرأتُه منه السَّلام، فردَّ عليه السلام وترحَّم عليه، وقال: «**قد رأيتُه في الجنَّة يَسحَبُ ذُيُولاً**»[٢].

وقال البخاري في «صحيحه»: ذِكرُ زيد بنِ عمرِو بنِ نُفَيلٍ: حدثنا محمدُ بن أبي بكرٍ، حدثنا فضَيلُ بن سليمان، حدَّثنا موسى بن عقبةَ، حدَّثني سالمُ بن عبدِ اللَّه، عن عبد اللَّهِ بن عمرَ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ لَقِيَ زيدَ بن عمرو بن نُفيلٍ بأسفَلِ بَلدَحَ، قبلَ أن ينزِلَ على النبيِّ ﷺ الوَحيُ، فقُدِّمت إلى النبيِّ ﷺ سُفرَةٌ، فأبى أن يأكُلَ منها، ثم قال زيدٌ: إنِّي لستُ آكُلُ مما تذبَحُونَ على أنصَابكم، ولا آكُلُ إلاَّ ما ذُكِرَ اسمُ اللَّه عليه، وإنَّ زيدَ بنَ عمرو كان يَعيبُ على قُريشٍ ذبائحهم، ويقولُ: الشاةُ خلقها اللَّهُ، وأنزلَ لها من السَّماءِ الماءَ، وأنبتَ لها من الأرضِ، ثم تذبحونها على غيرِ اسم اللَّه. إنكارًا لذلك وإعظامًا له[٣].

قال موسى بن عقبة: وحدَّثني سالمُ بنُ عبدِ الله ـ ولا أعلمُه إلاَّ تحدَّثَ به عن ابنِ عمر ـ أنَّ زيدَ بن عمرِو بن نفيلٍ خرجَ إلى الشام، يسألُ عن الدِّينِ ويتبعُه، فلقي عالمًا من اليهود، فسأله عن دينهم، فقال: إنِّي لعَلِّي أن أدينَ دينَكم، فأخبرني. فقال: إنَّك لا تكُونُ على دينِنا حتى تأخذَ بنَصيبِك من غضَبِ اللَّه. قال زيدٌ: ما أفِرُّ إلاَّ من غَضَبِ اللَّه تعالى، ولا أحملُ من غَضَبِ اللَّه شيئًا، ولا أستطيعُه، فهل تدلُّني على غيره؟ قال: ما أعلَمُه إلاَّ أن تكونَ حَنيفًا. قال زيدٌ وما الحنيفُ؟ قال: دينُ

---

(١) إسناده ضعيف: فيه الواقدي.
(٢) إسناده ضعيف: لضعف الواقدي.
(٣) البخاري (٣٨٢٦، ٣٨٢٧) تعليقًا.

إبراهيمَ عليه السَّلام، لم يكن يهوديًا ولا نصرانيًا، ولا يعبُدُ إلا اللَّهَ. فخرج زيدٌ فلقيَ عالمًا من النَّصارى، فذكر مثلَه؛ فقال: لن تكونَ على ديننا حتى تأخُذَ بنصيبِكَ من لعنَة اللَّه. قال: ما أفرُّ إلا من لعنة اللَّهِ، ولا أحملُ من لعنة اللَّهِ، ولا من غضبِه شيئًا أبدًا، ولا أستطيعُ، فهل تدُلُّني على غيره؟ قال: ما أعلَمُه إلاَّ أن تكُونَ حنيفًا. قال: وما الحنيفُ؟ قال: دينُ إبراهيمَ، لم يكُن يهُوديًا ولا نصرانيًا ولا يعبُدُ إلاَّ اللَّه. فلمَّا رأىٰ زيدٌ قولَهم في إبراهيمَ خرجَ فلما برز، رفع يديه وقال اللهم إنِّي أُشهدكَ على دينِ إبراهيمَ. قال: وقال الليثُ: كتبَ إليَّ هشامُ بنُ عُروةَ، عن أبيه، عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ، قالت: رأيتُ زيدَ بنَ عمرو بن نُفيلٍ قائمًا، مُسندًا ظهرَه إلى الكعبة، يقولُ: يا معشرَ قُريشٍ، واللَّه ما منكم على دينِ إبراهيمَ غيري، وكان يُحيي المَوءودةَ؛ يقولُ للرَّجُلِ، إذا أراد أن يقتُلَ ابنتَه: لا تقتُلها، أنا أكفيك مؤنتَها. فيأخُذُها، فإذا ترعرعَت، قال لأبيها: إن شئتَ دفعتُها إليك، وإن شئتَ كفيتُك مُؤنتَها. انتهى ما ذكره البخاري [١].

وهذا الحديث الأخيرُ؛ قد أسندَه الحافظُ ابنُ عساكرَ، من طريق أبي بكر بن أبي داودَ، عن عيسى ابن حمَّادٍ، عن الليث، عن هشامٍ، عن أبيه، عن أسماءَ، فذكَر نحوَه. وقال عبد الرحمن بنُ أبي الزِّناد، عن هشام بنِ عُروةَ، عن أبيه، عن أسماءَ، قالت: سمعتُ زيدَ بنَ عمرِو بن نُفَيلٍ، وهو مُسندٌ ظهرَه إلى الكعبةِ يقولُ: يا معشرَ قريشٍ، إياكم والزِّنا، فإنه يُورثُ الفقرَ.

وقد ساقَ ابنُ عساكرَ هاهنا أحاديثَ غريبةً جدًا، وفي بعضِها نكارةٌ شديدةٌ. ثم أوردَ من طُرُقٍ مُتعدِّدةٍ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «يُبعثُ يومَ القيامة أُمَّةً وحدَه» فمن ذلك ما رواه محمدُ بن عثمان بن أبي شيبةَ، حدَّثنا يوسفُ بن يعقوبَ الصفَّارُ، حدَّثنا يحيى بن سعيدٍ الأمويُّ عن مُجالدٍ، عن الشَّعبيِّ، عن جابرٍ، قال: سُئلَ رسولَ اللَّه ﷺ عن زيدِ بن عمرِو بن نُفيلٍ، أنه كان يستقبِلُ القِبلَةَ في الجاهليةِ، ويقولُ: إلهي إلهُ إبراهيمَ، وديني دينُ إبراهيمَ، ويسجُدُ. فقال رسول الله ﷺ: «يُحشَرُ ذاك أُمَّةً وحدَه، بيني وبينَ عيسى ابن مريم» [١]. إسنادُه جيِّدٌ حسنٌ.

وقال الواقدي [٢]: حدَّثني موسى بن شيبة، عن خارجةَ بنِ عبد اللَّه بنِ كعب بن مالك، قال: سَمعتُ سعيدَ بن المسيَّب يذكرُ زيدَ بن عمرو بنِ نُفيلٍ، فقال: تُوفِّيَ وقريشٌ تبني الكعبة، قبل أن يَنزِلَ الوحيُ على رسول اللَّه ﷺ بخمسِ سنينَ، ولقد نزَلَ به، وإنَّه ليقولُ: أنا على دينِ إبراهيمَ. فأسلَم ابنه سعيدُ بن زيدٍ، واتَّبعَ رسولَ اللَّه ﷺ، وأتى عمرُ بن الخطَّابِ وسعيدُ بن زيدٍ رسولَ اللَّه ﷺ، فسألاه عن زيدِ بن عمرِو بن نفيلٍ، فقال: «غفرَ اللَّهُ له ورحمَه، فإنه مات على دين إبراهيم» قال: فكان المسلمون بعد ذلك اليوم، لا يذكُرُه ذاكرٌ منهم؛ إلاَّ ترحَّمَ عليه واستغفرَ له، ثُمَّ يقولُ سعيدُ بن المسيب: رحمه اللَّهُ وغفرَ له.

---

(١) **إسناده ضعيف**: لضعف مجالد.

(٢) **ضعيف جدًا**: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩/ ٥١٢) من طريق الواقدي به، وفيه الواقدي متروك، وموسى بن شيبة: لين الحديث، وانقطاع بين ابن المسيب ورسول اللَّه ﷺ.

وقال محمدُ بن سعد: عن الواقديِّ: حدَّثني زكريا بنُ يحيى السَّعديُّ عن أبيه، قال: مات زيدُ ابنُ عمرِو بنِ نُفيلٍ بمكَّةَ، ودُفِن بأصلِ حِراءَ. وقد تقدَّم أنَّه مات بأرضِ البَلْقاءِ من الشّامِ، لمَّا عدا عليه قومٌ من بني لَخمٍ، فقتلوه بمكانٍ يقالُ له: ميفَعةُ. واللَّه أعلم.

وقال الباغنديُّ، عن أبي سعيدٍ الأشجِّ، عن أبي معاوية، عن هشامٍ، عن أبيه، عن عائشةَ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنَّةَ فرأيتُ لزيدِ بن عمرِو بن نُفيلٍ دوحتَين»[1] وهذا إسنادٌ جيدٌ وليس هو في شيءٍ من الكتب.

ومن شعرِ زيدِ بن عمرِو بن نفيلٍ رحمه الله، ما قدَّمناه في بَدءِ الخلقِ من تلك القصيدة:

إلى اللَّه أُهدي مِـدْحَتي وثَنائيا ... وقولاً رَضيّاً لا يَني الدهرَ باقيا
إلى الملِكِ الأعلى الذي ليس فوقَه ... إلهٌ ولا ربٌّ يَكونُ مُدانيا

قد قيل: إنَّها لأُميَّةَ بنِ أبي الصَّلتِ. واللَّهُ أعلمُ.

ومن شعرِه في التَّوحيدِ ما حكاه محمدُ بن إسحاقَ والزُّبيرُ بن بكَّارٍ وغيرُهما:

وأسلَمتُ وَجهي لمن أسلَمَتْ ... له الأرضُ تَحمِلُ صَخراً ثقالاً
دَحاها فلمّا استَوَتْ شدَّها ... سَواءً وأرسَى عليها الجبالا
وأسلَمْتُ وَجْهي لمن أسلَمتْ ... له المُزنُ تَحمِلُ عَذباً زُلالا
إذا هي سِيقَتْ إلى بَلدَةٍ ... أطاعتْ فصبَّتْ عليها سِجالا
وأسلَمتُ وجهي لمَن أسلمتْ ... له الرِّيحُ تُصرَفُ حالاً فحالا

وقال محمدُ بنُ إسحاق: حدَّثني هِشامُ بنُ عُروةَ قال: رَوَىٰ أبي، أنَّ زَيدَ بنَ عمرٍو قال:

أرَبّاً واحداً أم ألفَ رَبٍّ ... أدينُ إذا تُقُسِّمت الأُمورُ
عَزَلتُ اللاتَ والعُزَّى جميعاً ... كذلكَ يَفعَلُ الجَلْدُ الصَّبورُ
فلا العُزَّى أدينُ ولا ابنَتَيها ... ولا صَنَمَي بَني عَمرٍو أزُورُ
ولا هُبَلاً أدينُ وكانَ ربّاً ... لنا في الدَّهرِ إذ حِلمي يَسيرُ
عَجِبتُ وفي اللَّيالي مُعجِباتٌ ... وفي الأيامِ يَعرِفُها البَصيرُ
بأنَّ اللَّهَ قد أفنَى رِجالاً ... كَثيراً كانَ شَأنَهُم الفُجورُ
وأبقَى آخَرينَ بِبِرِّ قَومٍ ... فيَربلُ منهُمُ الطِّفلُ الصَّغيرُ
وبينا المَرءُ يَعثُرُ ثابَ يَوماً ... كما يَتَروَّحُ الغُصنُ المَطيرُ
ولَكنْ أعبُدُ الرَّحمَنَ رَبِّي ... لِيَغفِرَ ذَنبِيَ الرَّبُّ الغَفورُ

---

(١) ما أبرز من رجال إسناده ثقات: أبو معاوية هو محمد بن خلزم الضرير وأبو سعيد الأشج هو عبد اللّه بن سعيد الكندي وهو ثقة.

فتقوى الله ربكم احفظوها ... متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الأبرار دارهم جنان ... وللكفار حامية سعير
وخزي في الحياة وإن يموتوا ... يلاقوا ما تضيق به الصدور[1]

هذا تمامُ ما ذكره محمدُ بن إسحاقَ من هذه القصيدة.

وقد رواه أبو القاسم البغويُّ، عن مصعب بن عبد الله، عن الضحاك بن عثمانَ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، ، قال: قال هشامُ بن عروةَ، عن أبيه، عن أسماءَ بنت أبي بكر، قالت: قال زيدُ بن عمرو بن نفيل:

عزلتُ الجنَّ والجنَّانَ عنِّي ... كذلكَ يفعلُ الجلدُ الصبورُ
فلا العزَّى أدينُ ولا ابنتيها ... ولا صنمَي بني طسمٍ أديرُ
ولا غنمًا أدينُ وكان ربًّا ... لنا في الدهر إذ حلمي صغيرُ
أربًّا واحدًا أم ألفَ ربٍّ ... أدينُ إذا تُقُسِّمَت الأمورُ
ألم تعلم بأنَّ اللهَ أفنى ... رجالاً كان شأنهُمُ الفجورُ
وأبقى آخرينَ ببرِّ قومٍ ... فيربو منهمُ الطفلُ الصغيرُ
وبينا المرءُ يعثُرُ ثابَ يومًا ... كما يتروَّحُ الغصنُ النضيرُ

قالت: فقال ورقةُ بنُ نوفلٍ:

رشدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرٍو وإنَّما ... تجنَّبتَ تنُّورًا من النار حاميا
لدينكَ ربًّا ليس ربٌّ كمثله ... وتركُكَ جنانَ الجبال كما هيا
أقولُ إذا أهبطتُ أرضًا مخوفةً ... حنانَيْكَ لا تُظهرْ عليَّ الأعاديا
حنانَيكَ إنَّ الجنَّ كانت رجاءَهم ... وأنتَ إلهي ربُّنا ورجائيا
لتدركنَّ المرءَ رحمةُ ربِّه ... وإن كان تحتَ الأرض سبعين واديا
أدينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أرى ... أدينُ لما لا يسمعُ الدهرَ داعيا
أقولُ إذا صلَّيتُ في كلِّ بيعةٍ ... تباركتَ قد أكثرتُ باسمكَ داعيا[2]

تقدَّمَ أنَّ زيدَ بن عمرو بن نُفيل، خرجَ إلى الشام هو وورقة بن نوفل، وعثمانُ بن الحويرث، وعُبيدُ الله بن جحش، فتنصَّروا إلا زيدًا، فإنَّه لم يدخُل في شيءٍ من الأديان، بل بَقيَ على فطرته؛ من عبادةِ اللهِ وحده لا شريكَ له، مُتَّبعًا ما أمكنَه من دينِ إبراهيم، على ما ذكرناه، وأمَّا ورقة بن نوفلٍ،

(١) إسناده منقطع: أخرجه محمد بن إسحاق في «السيرة» ص٩٦-٩٧.

(٢) ما أبرز من إسناده فهو حسن: عبد الرحمن بن أبي الزناد وإن كان فيه كلام إلا أن يحيى بن معين قال: أثبت الناس في حديث هشام بن عروة. انظر «التهذيب» (٦/ ١٥٦). وقال ابن المديني: حديثه في المدينة صحيح وما حدث ببغداد ضعيف. والظاهر هنا أنه من حديث المدينة.

فسيأتي خبرُه في أول المبعث، وأمَّا عثمانُ بن الحُويرث، فأقامَ بالشَّام حتَّىٰ مات فيها عند قيصرَ، وله خبرٌ عجيبٌ ذكره الأمويُّ، ومختصرُه؛ أنَّه لما قدِمَ علىٰ قيصرَ فشكَا إليه ما لَقِيَ من قومِه، كَتَبَ له إلىٰ ابن جفنةَ، ملكِ عَرَبِ الشَّام، ليُجهِّزَ معه جيشًا لحرب قُريشٍ، فعَزَمَ علىٰ ذلك، فكتَبَتْ إليه الأعرابُ تنهاه عن ذلك؛ لما رأوا من عظمة مكَّةَ، وكيفَ فعَلَ اللَّهُ بأصحاب الفيلِ، فكساه ابنُ جفنةَ قميصًا مصبوغًا مَسمومًا؛ فمات من سُمِّه، فرثاه زيدُ بن عمرو بن نُفيلٍ، بشعرٍ ذكَره الأمويُّ، تركناه اختصارًا.

وكانت وفاتُه قبلَ المبعث بثلاث سنينَ أو نحوِها. واللَّهُ سبحانَه وتعالىٰ أعلم.

شيءٌ من الحوادث في زمن الفترة، فمن ذلك بُنيان الكعبة

وقد قيلَ: إنَّ أوَّلَ من بناه آدم. وجاء في ذلك حديثٌ مرفوعٌ، عن عبد اللَّه بن عمرو، وفي سنده ابنُ لهيعةَ، وهو ضعيفٌ. وأقوىٰ الأقوال أنَّ أوَّلَ من بناه الخليل عليه السلامُ، كما تقدَّم، وكذلك رواه سماكُ بن حربٍ[1]، عن خالد بن عرعَرَةَ، عن عليِّ بن أبي طالبٍ، قال: ثم تهدَّمَ فبنته العمالقةُ، ثم تهدَّمَ فبنَته جُرهمٌ، ثم تهدَّم فبنَته قريشٌ، قُلتُ: سيأتي بناءُ قريش له، وذلك قبلَ المبعث بخمس سنينَ. وقيل: بخمسَ عشرةَ سنةً. وقال الزهريُّ: كان رسولُ اللَّه ﷺ، قد بَلَغ الحُلُمَ، وسيأتي ذلك كلُّه في موضعِه. إن شاءَ اللَّهُ، وبه الثقةُ.

ذكرُ كعب بن لؤيّ

رویٰ أبو نعيم، من طريق محمد بن الحسن بن زَبالةَ، عن محمد بن طلحةَ التَّيميِّ، عن محمد بن إبراهيمَ بن الحارث، عن أبي سلمةَ. قال: كان كعبُ بن لؤيٍّ يجمعُ قومَه يوم الجمعة، وكانت قريشٌ تسمِّي يومَ الجُمعة العرُوبةَ فيَخطُبُهم، فيقولُ: أمَّا بعدُ، فاسمَعوا وتعلَّموا، وافهَموا واعلموا، ليلٌ ساجٍ، ونهارٌ ضاحٍ، والأرضُ مِهَادٌ، والسَّماءُ بناءٌ، والجبالُ أوتادٌ، والنجومُ أعلامٌ، والأوَّلون كالآخِرينَ، والأُنثىٰ والذَّكَرُ والرُّوحُ وما يهيجُ إلىٰ بلًىٰ، فصِلُوا أرحَامكم، واحفَظوا أصهارَكم، وثمِّروا أموالكم، فهل رأيتم من هالكٍ رَجَعَ، أو ميِّتٍ نُشرَ؟ الدارُ أمامكم، والظنُّ غيرُ ما تقولون، حرَمُكم زيِّنوه وعظِّموه، وتمسَّكوا به، فسيأتي نبأٌ عظيم، وسيخرجُ منه نبيٌّ كريمٌ ثم يقولُ:

نَهارٌ وليلٌ كلَّ يومٍ بحادثٍ ... سَواءٌ علينا ليلُها ونهارُها
يثُوبان بالأحداث حتى تأوَّبا ... وبالنِّعَم الضافي علينا سُتورُها
على غفلَةٍ يأتي النبيُّ محمدٌ ... فيُخبرُ أخبارًا صَدوقًا خبيرُها

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الطيالسي في «مسنده» برقم (١١٣)، ومن طريقه البيهقي في «الكبير» (٥/ ٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٢٩)، والأصبهاني في «دلائل النبوة» برقم (٢٧٢)، من طرق عن سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة عن علي به مطولاً. وفيه سماك بن حرب: صدوق، وخالد بن عرعرة: ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» برقم (٥٥٧)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٣٤٣) ولم يذكرا فيه جرحًا ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان والعجلي في «الثقات». ولبعض فقرات الحديث شواهد، انظر «الفتح» (٧/ ١٨٠) تحت باب بنيان الكعبة.

ثم يقولُ: واللّه لو كنتُ فيها ذا سمعٍ وبصرٍ، ويدٍ ورجلٍ، لتنصَّبتُ فيها تنصُّبَ الجملِ، ولارقَلتُ فيها إرقالَ الفحلِ. ثم يقولُ:

يا ليتني شاهدٌ نجواءَ دعوتِه حينَ العشيرةُ تَبغي الحقَّ خذلانا

قال: وكان بينَ موتِ كعبِ بن لؤيٍّ ومبعثِ رسولِ اللّه ﷺ، خمسُمائةِ عامٍ وستونَ سنةً.

ذكرُ تجديدِ حفرِ زمزمَ

على يَدَي عبدِ المُطَّلبِ بن هاشمٍ، التي كان قد دَرَسَ رسمُها بعد طمِّ جُرهُمٍ لها إلى زمانه.

قال محمدُ بن إسحاقَ: ثُم إنَّ عبدَ المطلبِ بينَما هو نائمٌ في الحِجر إذ أُتِيَ فَأُمِرَ بحفرِ زمزمَ، وكان أوَّلَ ما ابتُدئ به عبدُ المطلب من حفرها، كما حدَّثني يزيدُ بن أبي حبيبٍ المصريُّ، عن مرثد بن عبداللّه اليَزَنيِّ، عن عبدِ الله بن زُرَيرٍ العافقيِّ، أنَّه سمعَ عليَّ بن أبي طالبٍ يُحدِّثُ حديثَ زَمزَمَ، حينَ أُمِرَ عبدُ المُطَّلبِ بحفرها، قال: قال عبدُ المطلبِ: إنِّي لَنائمٌ في الحِجرِ، إذ أتاني آتٍ فقال: احفر طيبَةَ. قال: قلتُ: وما طيبةُ؟ قال: ثُمَّ ذهبَ عنِّي، فلمَّا كان الغدُ، رجَعتُ إلى مضجعي فَنِمت، فجاءني فقال: احفر بَرَّةَ. قال: قلتُ: وما بَرَّةُ؟ قال: ثُم ذهبَ عنِّي، فلمَّا كان الغدُ رجعتُ إلى مضجَعي، فنمتُ، فجاءني، فقال: احفرِ المضنونَةَ. قال: قلت: وما المضنونةُ؟ قال: ثُم ذَهَب عنِّي، فلمَّا كان الغدُ رَجعتُ إلى مضجعي، فنمتُ فيه فجاءني، فقال: احفر زمزمَ. قال: قلت: وما زمزمُ؟ قال: لا تَنزِفُ أبدًا ولا تُذمُّ، تَسقي الحَجيجَ الأعظمَ، وهي بين الفرثِ والدَّمِ، عندَ نُقرةِ الغرابِ الأعصمِ، عندَ قريةِ النَّملِ. قال: فلمّا بُيِّنَ له شأنُها، ودُلَّ على موضعها، وعَرَفَ أنه قد صُدِقَ، غَدَا بمعوَلِه ومعه ابنُه الحارثُ بن عبد المُطلبِ، وليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه، فحفرَ، فلمَّا بدا لعبد المُطَّلبِ الطَّيُّ كبَّر، فعرَفَتْ قريشٌ أنَّه قد أدركَ حاجتَه، فقاموا إليه، فقالوا: يا عبدَ المطلبِ، إنَّها بئرُ أبينا إسماعيلَ، وإنَّ لنا فيها حقًّا، فأشرِكنا معكَ فيها. قال: ما أنا بفاعلٍ، إنَّ هذا الأمرَ قد خُصصتُ به دونَكم، وأعطيتُه من بينكم. قالو له: فأنصفنا؛ فإنَّا غيرُ تاركيك حتى نُخاصِمَك فيها. قال: فاجعلوا بيني وبينَكم مَن شئتُم، أُحاكمكم إليه. قالوا: كاهنةُ بني سعدِ بنِ هُذَيمٍ. قال: نعم. وكانت بأشرافِ الشَّامِ، فَركبَ عبدُ المطَّلبِ، ومعه نَفَرٌ من بني أبيه، وركبَ من كلِّ قبيلةٍ من قريشٍ نفرٌ، فخرَجوا، والأرضُ إذ ذاك مفاوزُ، حتى إذا كانوا ببعضها نَفِدَ ماءُ عبد المطَّلبِ وأصحابِه، فعطشوا حتى استيقَنوا بالهلَكة، فاستسقَوا من معهم فأبَوا عليهم، وقالوا: إنَّا بمفازةٍ، وإنَّا نَخشَى على أنفُسنا مثلَ ما أصابكم. فقال عبدُ المطَّلبِ: إنِّي أرى أن يحفرَ كلُّ رجُلٍ منكم حُفرتَه لنفسه بما بكم الآنَ من القُوَّة، فكُلَّما ماتَ رجلٌ دفعَه أصحابُه في حفرته ثم وارَوْه، حتى يكُونَ آخرُهم رَجُلاً واحدًا، فضيعَةُ رجلٍ واحدٍ أيسَرُ من ضيعةِ ركبٍ جميعًا. فقالوا: نِعمَ ما أمَرتَ به. فحفَرَ كلُّ رجلٍ لنفسه حُفرةً، ثم قَعَدوا ينتَظِرونَ الموتَ عطشَى، ثم إنَّ عبدَ المطلب قال لأصحابه: إنَّ إلقاءَنا بأيدينا هكذا للموت، لا نَضربُ في الأرضِ، لا نبتَغي لأنفسنا، لَعَجزٌ، فعسى أن يرزقنا الله ماءً ببعضِ البلادِ، فارتحَلوا حتَّى إذا بَعثَ عبدُ المطَّلبِ راحلتَه، انفجَرَت من تحتِ خُفِّها عينُ ماءٍ عذبٍ، فكبَّر عبدُ المُطلبِ وكبَّر أصحابُه، ثُم نزل فَشرِبَ وشرِبَ أصحابُه، واستَقَوا حتى ملئُوا أسقِيَتَهم، ثم دعا قبائلَ قريشٍ، وهم

ينظُرون إليهم في جميع هذه الأحوال، فقال: هلُمُّوا إلى الماء فقد سقانا اللَّهُ. فجاءوا فشَربوا واستقَوا كلُّهم، **ثم قالوا لعبد المطلب: قد واللَّهِ قُضيَ** لك علينا، واللَّه لا نخاصمُكَ في زمزمَ أبدًا، إنَّ الذي سقاك هذا الماء **بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزمَ**، فارجع إلى سقايَتِك راشدًا. فرَجَع ورجَعوا معه، ولم يَصِلُوا إلى الكاهنة **وخلَّوا بينَه وبينَ زمزمَ**[١].

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن عليٍّ بن أبي طالب في زمزَمَ، قال ابنُ إسحاق: وقد سمعتُ من يُحدِّثُ عن عبد المطلب أنه قيل له حين أُمِرَ بحفر زمزَمَ.

ثُم ادعُ بالماءِ الروِّي غيرِ الكَدِرْ يَسْقي حجيجَ اللَّهِ في كلِّ مَبَرْ
ليس يُخافُ منه شيءٌ ما عَمَرْ

قال: فخرَجَ عبدُ المُطَّلبِ حين قيل له ذلك إلى قريشٍ فقال: تعلَّموا أني قد أُمِرت أن أحفرَ زمزَمَ. قالوا: فهل بُيِّن لكَ أينَ هي؟ قال: لا. قالوا: فارجعْ إلى مضجعكَ الذي رأيتَ فيه ما رأيتَ، فإن يَكُ حقًّا من اللَّهِ يُبَيِّن لك، وإن يكُ من الشَّيطانِ فلن يعودَ إليك. فرجَعَ فنامَ فأُتيَ، فقيل له: احفر زمزم، إنك إن حفَرتَها لن تندم، وهي تراثٌ من أبيك الأعظم، لا تنزفُ أبدًا ولا تُذَم، تَسقي الحجيجَ الأعظم، مثلَ نعامٍ حافلٍ لم يُقسَمْ، ينذرُ فيها ناذرٌ لمُنعِم، تكونُ ميراثًا وعقدًا مُحكَم، ليسَت كَبَعضِ ما قَد تَعلَم، وهي بينَ الفَرثِ والدَّم.

قال ابنُ إسحاق: فزعموا أنَّ عبد المطلبِ حين قيل له ذلك قال: وأين هي؟ قيل له: عند قرية النملِ حيثُ ينقُرُ الغرابُ غدًا. فاللَّهُ أعلم أيُّ ذلك كان. قال: فغدا عبدُ المطَّلبِ ومعه ابنُه الحارثُ، وليس له يومئذٍ ولدٌ غيرُه ـ زادَ الأمويُّ: ومولاه أصرمُ ـ فوجدَ قريةَ النملِ، ووجَدَ الغرابَ ينقُرُ عندَها بينَ الوثَنين؛ إسافٍ ونائلةَ، اللذين كانت قريشٌ تَنحَرُ عندَهما، فجاء بالمعولِ وقامَ ليحفرَ حيثُ أُمرَ، فقامت إليه قريشٌ، فقالوا: واللَّهِ لا نَترُكُك تحفرُ بينَ وثَنينا هذين اللذين نَنحَرُ عندَهما. فقال عبدُالمطَّلب لابنه الحارث: ذُدْ عني حتى أحفرَ، فواللَّهِ لأمضينَّ لما أُمرتُ به. فلمّا عرَفوا أنَّه غيرُ نازعٍ، خلَّوا بينه وبينَ الحفرِ، وكفُّوا عنه، فلم يَحفر إلاَّ يسيرًا حتى بدا له الطَّيُّ، فكبَّر وعَرفَ أنه قد صُدِقَ، فلما تَمادَىٰ به الحَفرُ وجدَ فيها غزالَتَين من ذهبٍ، اللتين كانت جُرهُمٌ قد دَفَنَتهما، ووجدَ فيها أسيافًا قلعيةً وأدراعًا، فقالت له قريشٌ: يا عبدَ المطَّلب، لنا معك في هذا شركٌ وحقٌّ. قال: لا، ولكن هَلُمَّ إلى أمرٍ نصفٍ بيني وبينكم، نَضربُ عليها بالقداحِ. قالوا: وكيف تصنَعُ؟ قال: أجعلُ للكعبةِ قدحَين ولي قدحين ولكم قدحَين، فمن خرجَ قدحاه على شيءٍ، كان له، ومن تخلَّف قدحاه فلا شيء له. قالوا: أنصفتَ. فجعل للكعبة قدحين أصفَرَين وله أسوَدَين ولهم أبيَضين، ثُم أعطَوُا القداحَ للذي يَضربُ عندَ هُبَلَ، وهُبَلُ أكبرُ أصنامِهم، ولهذا قال أبو سفيان يومَ أحدٍ: اعلُ هُبَلُ. يعني هذا الصَّنَمَ. وقامَ عبدُ المطَّلب يدعُو اللَّهَ.

---

(١) إسناده حسن إلى علي بن أبي طالب: أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٣ـ٥).

وذكر يونسُ بنُ بُكيرٍ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، أنَّ عبدَالمُطلبِ جعل يقُولُ:

اللهُمَّ أنتَ الملِكُ المحمودْ ... ربِّي فأنتَ المبدئُ المعيدْ
وممسكُ الراسيةِ الجُلْمودْ ... مِن عندك الطارفُ والتَّليدّ
إن شئتَ ألهمتَ كما تريدْ ... لموضعِ الحِليةِ والحديدْ
فبيِّنِ اليومَ لما تريدْ ... إنِّي نَذَرْتُ العاهدَ المعهودْ

اجعله لِي رَبِّ فلا أعودْ

قالَ: وضربَ صاحبُ القِداحِ، فخرجَ الأصفرانِ على الغزالَتينِ للكعبةِ، وخرجَ الأسودانِ على الأسيافِ والأَدْراعِ لعبدِ المطلبِ، وتخلَّف قدحا قريشٍ، فضربَ عبدُ المطَّلبِ الأسيافَ بابًا للكعبةِ، وضربَ في البابِ الغزالتَينِ مِن ذهبٍ، فكانَ أوَّل ذهبٍ حُلِّيَته الكعبةُ فيما يزعُمون، ثُمَّ إن عبدَالمطَّلبِ أقام سقايةَ زمزمَ للحاجِّ.

وذكر ابنُ إسحاقَ وغيرُهُ أنَّ مكةَ كان فيها أبيارٌ كثيرةٌ قبل ظهورِ زمزمَ في زمنِ عبد المطَّلب، ثم عدَّدها ابنُ إسحاقَ، وسماها، وذكَرَ أماكنَها من مكَّةَ وحَافريها، إلى أن قال: فَعفَت زمزمُ على البئارِ كلِّها، وانصَرَفَ النَّاسُ كلُّهم إليها لمكانها من المسجدِ الحَرَامِ، ولِفَضلها على ما سواها من المِيَاه، ولأنَّها بئرُ إسماعيلَ بنِ إبرَاهيمَ، وافتخَرَت بها بَنو عبدِ مَنافٍ على قُريشٍ كُلِّها وعلى سائرِ العَرَبِ.

وقد ثَبتَ في «صَحيحِ مُسلمٍ» في حديثِ إسلامِ أبي ذَرٍّ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال في زَمزَمَ: **«إنَّها لَطَعَامُ طُعْمٍ، وشفاءُ سُقْمٍ»** (١).

وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا عبد الله بن الوليد، عن عبد اللَّه بن المُؤمَّلِ، عن أبي الزُّبيرِ، عن جابرِ ابن عبد اللَّه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ماءُ زَمَزمَ لمَا شُربَ منه»** (٢).

وقد رَواه ابن ماجه، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المُؤمَّلِ، وقد تكلَّموا فيه، ولفظُه: **«ماءُ زَمزمَ لمَا شُربَ له»** (٣). ورواه سُويدُ بنُ سعيدٍ، عن عبدِ اللَّه بن المُبارك، عن عبدِ الرَّحمنِ بن أبي المَوَالِ، عن محمدِ بنِ المُنكَدرِ، عن جابرٍ، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: **«ماءُ زَمزمَ لمَا شُربَ له»** (٤). ولكنِ سُويدُ بنُ سعيدٍ ضعيفٌ، والمحفوظُ عن ابنِ المُبارك، عن عبدِ اللَّه بنِ المؤمَّلِ، كما تقدَّمَ.

وقد روَاه الحاكِمُ عن ابنِ عباسٍ مرفُوعًا: **«ماءُ زمزمَ لمَا شُربَ له»** (٥). وفيه نَظَرٌ. واللَّه أعلم.

---

(١) مسلم (٢٤٧٣) دون قوله وشفاء سقم.
(٢) **إسناده ضعيف والحديث حسن بمجموع طرقه وشواهده**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٧٢) فيه عبد اللَّه بن المؤمل وهو ضعيف والحديث حسن بمجموع طرقه وشواهده وسيأتي بعضها.
(٣) ابن ماجه (٣٠٦٢).
(٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤١٢٨). وفيه سويد بن سعيد وهو ضعيف.
(٥) **الصحيح أنه من قول مجاهد**: أخرجه مرفوعًا الحاكم (١/ ٤٧٣) من طريق محمد بن حبيب الجارودي عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس. ومحمد بن حبيب غمزه الحاكم وأقل ما يقال فيه: أنه صدوق لكن روايته هذه شاذة فقد رواه عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن أبي عمر عن بن عيينة به موقوفًا على مجاهد.

وهكذا رَوَىٰ ابنُ ماجه أيضًا، والحاكمُ عن ابنِ عباسٍ أنَّه قال لِرَجُلٍ: إذا شَرِبتَ من زمزمَ فاستَقبِلِ الكعبةَ، واذكُرِ اسمَ اللَّه، وتنفَّسْ ثلاثًا، وتضلَّع منها، فإذا فرَغتَ فاحمَدِ اللَّهَ؛ فإنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «إنَّ آيةَ ما بينَنا وبَينَ المُنافقينَ لا يتضلَّعُونَ من ماءِ زَمزَمَ»[1] .

وقد ذُكِرَ عن عبد المُطَّلِبِ أنَّه قال: اللَّهمَّ إنِّي لا أُحِلُّها لمُغتَسِلٍ، وهي لِشاربٍ حِلٌّ وبِلٌّ. وقد ذكره بعض الفقهاءِ عن العبَّاسِ بن عبد المُطلبِ، والصحيحُ أنَّه عن عبد المطلبِ نفسه، فإنَّه هو الذي جدَّد حَفرَ زَمزَمَ كما قدَّمنا، واللَّه أعلم.

وقد قال الأُمويُّ في «مغازيه»: حدَّثنا أبو عبيدٍ، أخبَرني يحيىٰ بنُ سعيدٍ، عن عبدِ الرحمنِ بن حرملَةَ، سمعتُ سعيدَ بن المسيَّبِ يحدِّثُ، أنَّ عبدَ المطلب بن هاشمٍ حينَ احتفَرَ زَمزَمَ، قال: لا أُحِلُّها لمُغتسلٍ، وهي لشاربٍ حِلٌّ وبِلٌّ. وذلك أنَّه جَعَلَ لها حوضَين؛ حوضًا للشربِ، وحوضًا للوضوءِ، فعند ذلك قال: لا أُحِلُّها لمغتسلٍ. لِيُنَزِّهَ المسجدَ عن أن يُغتسَلَ فيه[2] .

قال أبو عبيد: قال الأصمعيُّ: قولُه: وبِلٌّ. إتباعٌ. قال أبو عُبيد: والإتباعُ لا يكونُ بواوِ العَطفِ، وإنَّما هو كما قال مُعتمرُ بنُ سُليمانَ: إنَّ «بِلٌّ» بِلُغَةِ حِميَرَ: مُباحٌ.

ثم قال أبو عبيد: حدَّثنا أبو بكرِ بن عيَّاشٍ، عن عاصمِ بنِ أبي النَّجودِ، أنَّه سَمِعَ زِرًّا، أنَّه سَمِعَ العبَّاسَ يقولُ: لا أُحِلُّها لمُغتَسِلٍ، وهي لشاربٍ حِلٌّ وَبِلٌّ[3] . وحدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ، حدَّثنا سفيانُ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ علقمةَ، أنهُ سَمِعَ ابن عبَّاسٍ يقولُ ذلك. وهذا صحيحٌ إليهما، وكأنَّهما يُقولانِ ذلك في أيامهما على سبيلِ التَّبليغِ والإعلامِ، بما اشترَطَه عبدُ المُطَّلبِ عند حفرِه لها، فلا يُنافي ما تقدَّم، واللَّهُ أعلم.

وقد كانت السِّقايَةُ إلىٰ عبدِ المُطلبِ أيامَ حياته، ثُم صارت إلىٰ ابنه أبي طالبٍ مُدَّةً، ثم اتَّفَقَ أنه أملَقَ في بعضِ السِّنينَ؛ فاستَدانَ من أخيه العبَّاسِ عشَرَةَ آلافٍ، إلى الموسمِ الآخَرِ، وصَرفَها أبو طالبٍ في الحجيجِ في عامِه، فيما يتعلَّقُ بالسِّقايةِ، فلمَّا كان العامُ المُقبلُ لم يَكُن مع أبي طالبٍ شيءٌ، فقال لأخيه العباس: أسلِفني أربعَةَ عشرَ ألفًا أيضًا إلى العامِ المُقبلِ، أُعطِك جميعَ مالك. فقال له العبَّاسُ: بشرطِ إن لم تُعطني تترُكُ السِّقايَةَ لي أكفِكَها. فقال: نعم. فلمَّا جاء العامُ الآخَرُ لم يَكُ مع أبي طالبٍ ما يُعطي العبَّاسَ، فتَرَكَ له السِّقايَةَ، فصارت إليه، ثُمَّ من بعده صارت إلىٰ عبدِ اللَّه ولدِه، ثُم إلىٰ عليِّ بن عبد الله بن عباسٍ، ثم إلىٰ داود بن عليٍّ، ثم إلىٰ سُليمانَ بن عليٍّ، ثم إلىٰ عيسىٰ ابن عليٍّ، ثم أخذَها المنصورُ، واستنابَ عليها مَولاه أبا رزينٍ، ذكره الأُمويُّ.

---

(١) ضعيف: روي هذا الحديث من عدة طرق عن ابن عباس وفيه خلاف على عثمان بن الأسود وأمثل هذه الطرق هو طريق عثمان بن الأسود عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الثوريين عن ابن عباس، وأبو الثوريين لم يوثقه معتبر وروىٰ عنه اثنان انظر «التهذيب» (٩/ ٢٦٠).

(٢) إسناده صحيح إلى ابن المسيب: أخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٤/ ٢٦)، عن يحيىٰ بن سعيد به، وقد قال المصنف ـ كما سيأتي ـ: وهذا صحيح إليهما...

(٣) إسناده حسن إلى العباس: فيه عاصم بن بهدلة وهو حسن الحديث.

ذكرُ نذرِ عبدِ المطَّلبِ ذبحَ أحدِ ولدِه

قال ابنُ إسحاقَ: وكان عبدُ المطَّلبِ - فيما يزعُمُون - نَذَرَ حينَ لَقِي من قُريشٍ ما لَقِي، عندَ حفرِ زمزَمَ، لَئِن وُلِد له عشَرةُ نفرٍ، ثُم بَلغَوا معه حتى يمنَعوه، ليَنحَرَنَّ أحدَهم للَّه عندَ الكعبة، فلمَّا تكَامَلَ بنُوه عشَرةً، وعَرَفَ أنَّهم سيَمنَعونه، وهم؛ الحارثُ، والزُّبيرُ، وحَجلٌ، وضِرارٌ، والمقوَّمُ، وأبو لهبٍ، والعبَّاسُ، وحمزةُ، وأبو طالبٍ، وعبدُ الله، جمعهم، ثُمَّ أخبرهم بنذرِه، ودعاهم إلى الوفاء للَّه، عزَّ وجلَّ، بذلك، فأطاعوه، وقالوا: كيفَ نصنَعُ؟ قال: ليأخُذ كلُّ رجُلٍ منكم قدحًا، ثُم يَكتب فيه اسمَه، ثم ائتُوني. ففَعلوا، ثم أتَوه، فَدَخَلَ بهم على هُبَلَ في جوفِ الكعبة، وكان هُبَلُ على بئرٍ في جوفِ الكعبةِ وكانت تلك البئرُ هي التي يُجمعُ فيها ما يُهدىٰ للكعبة، وكان عندَ هُبَلَ قداحٌ سبعةٌ؛ وهي الأزلامُ التي يتَحاكَمُونَ إليها إذا أعضَلَ عليهم أمرٌ، من عَقلٍ، أو نَسَبٍ، أو أمرٍ من الأمورِ، جاءوه فاستقسَمُوا بها، فما أمرَتهم به أو نهتهُم عنه امتثَلوه.

والمقصودُ أنَّ عبدَ المطلبِ لمَّا جاء يستقسِمُ بالقداحِ عندَ هُبَلَ، خَرَجَ القدحُ على ابنه عبدِ اللَّه، وكان أصغرَ ولده وأحبَّهم إليه، فأخَذ عبدُ المطَّلبِ بيدِ ابنه عبدِ اللَّه، وأخَذَ الشَّفرَةَ، ثُمَّ أقبَلَ به إلى إسافٍ ونائلةَ، ليَذبَحَه فقامت إليه قريشٌ من أنديتها، فقالوا: ما تريدُ يا عبدَ المطلب؟ قال: أذبحُهُ. فقالت له قُريشٌ وبنوه: واللَّه لا تذبحُه أبدًا حتَّى تُعذِرَ فيه؛ لئِن فَعَلتَ هذا لا يَزالُ الرَّجُلُ يَجيءُ بابنه حتى يَذبَحَه، فما بقاءُ النَّاسِ على هذا!

وذَكَر يُونسُ بن بُكيرٍ، عن ابن إسحاق: أنَّ العباسَ هو الذي اجتذَبَ عبدَ اللَّه من تحت رجلِ أبيه، حين وضعها عليه ليذبَحَه، فيُقالُ: إنَّه شجَّ وجهَه شَجًا لم يزَل في وجهه إلى أن مات، ثُمَّ أشارت قريشٌ على عبد المطَّلبِ، أن يذهبَ إلى الحجازِ، فإنَّ بها عرَّافةً، لها تابعٌ، فيسألها عن ذلك، ثم أنت على رأسِ أمرِك، إن أمرَتك بذبحه فاذبَحه، وإن أمرتكَ بأمرٍ لك وله فيه مخرَجٌ قبلتَه. فانطَلَقُوا حتى أتَوُا المدينةَ فوجَدوا العرَّافَةَ، وهي سَجَاحُ - فيما ذَكَره يونسُ بنُ بكير، عن ابنِ إسحاقَ - بخَيبَرَ، فركبوا حتى جاءوها فسألوها، وقصَّ عليها عبدُ المطلبِ خبره وخبر ابنه، فقالت لهم: ارجعوا عنِّي اليومَ حتَّى يأتيَني تابعي فأسألَهُ، فرجَعوا من عندها، فلمَّا خَرَجوا قام عبدُ المطَّلبِ يدعُو اللَّه، ثم غدَوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخَبرُ، كم الدِّيَةُ فيكم؟ قالوا: عشرٌ من الإبلِ. وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قرِّبوا صاحبكم، وقرِّبوا عشرًا من الإبل، ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبلِ حتَّى يَرضَىٰ ربُّكم، وإن خرَجت على الإبلِ فانحَروها عنه؛ فقد رضِي ربُّكم ونجا صاحبُكم، فخَرَجوا حتَّى قدِمُوا مكَّةَ، فلمَّا أجمَعُوا على ذلك من الأمرِ، قام عبدُ المُطلب يدعو الله، ثُمَّ قرَّبوا عبد اللَّه وعشرًا من الإبلِ، ثُم ضرَبوا، فخَرَجَ القدحُ على عبدِ اللَّه، فزادوا عشرًا، ثمَّ ضربوا فخرجَ القدحُ على عبد اللَّه، فزادوا عشرًا، فلم يزالوا يزيدون عشرًا عشرًا، ويخرُجُ القدحُ على عبدِ الله حتى بلغتِ الإبلُ مائةً، ثُمَّ ضرَبوا، فخرَجَ القدحُ على

الإبلِ، فقالت عند ذلك قريشٌ لعبدِ المُطلبِ، وهو قائمٌ عند هُبَلَ يدعُو اللَّه: قد انتهى رِضى ربِّك يا عبدَ المُطَّلب. فزَعَموا أنَّه قال: لا، حتى أضرِبَ عليها بالقِداحِ ثلاثَ مراتٍ. فضربُوا ثلاثًا؛ ويقعُ القدحُ فيها على الإبلِ، فنُحرت، ثمَّ تُركت لا يُصَدُّ عنها إنسانٌ، ولا يُمنعُ. قال ابنُ هشامٍ: ويُقالُ: ولا سَبُعٌ.

ويُقالُ: إنَّه لَمَّا بَلَغَت الإبلُ مائةً، خَرَجَ على عبدِ اللَّه أيضًا، فَزَادُوا مائةً أُخرى حتى بَلَغت مائتَين، فخرَجَ القدحُ على عبدِ الله؛ فزادُوا مائةً أُخرى، فصارَت الإبلُ ثلاثمائةٍ، ثُمَّ ضربُوا فخَرجَ القدحُ على الإبلِ، فنحرَها عندَ ذلك عبدُ المُطَّلبِ، والصحيحُ الأول. واللَّه أعلم.

وقد روى ابن جريرٍ، عن يُونُسَ بن عبد الأعلى عن ابنِ وهبٍ، عن يُونُسَ بن يزيدَ، عن الزُّهريِّ، عن قبيصةَ بن ذؤيبٍ، أنَّ ابن عبَّاسٍ سألَتْه امرأةٌ أنَّها نَذَرَت ذَبحَ وَلَدها عندَ الكعبة، فأمَرها بذبحِ مائةٍ من الإبلِ، وذَكَرَ لها هذه القصَّةَ عن عبدِ المُطلبِ، وسألت عبدَ اللَّه بن عُمَرَ، فلم يُفتِها بشيءٍ، بل تَوقَّف، فبَلَغَ ذلك مَروانَ بنَ الحَكَم، وهو أميرٌ على المدينة، فقال: إنَّهما لم يُصيبا الفُتيا، ثُمَّ أمَرَ المَرأةَ أن تَعمَلَ ما استطاعَت من الخيرِ، ونهاها عن ذَبحِ وَلَدها، ولم يَأمُرها بذَبحِ الإبلِ، وأخَذَ الناسُ بقولِ مَروانَ في ذلك [1]. واللَّهُ أعلمُ.

ذكرُ تزويجِ عبدِ المطلبِ ابنَه عبدَ اللَّه، من آمنةَ بنتِ وهبٍ الزُّهريَّة

قالَ ابنُ إسحاق: ثم انصرَف عبدُ المُطلب آخذًا بيَد ابنه عبدِ اللَّه، فمرَّ به - فيما يَزعُمونَ - على امرأةٍ من بَني أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصيٍّ، وهي أمُّ قَتَّالٍ أُختُ ورَقَةَ بنِ نوفلِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ قُصيٍّ وهي عندَ الكعبة، فنظرَت إلى وجهه، فقالَت: أين تَذهَبُ يا عبدَ اللَّه؟ قال: معَ أبي. قالَت: لك مثلُ الإبلِ التي نُحرَت عنك، وقَع عليَّ الآن. قال: أنا معَ أبي، ولا أستَطيعُ خلافَه ولا فراقَه. فخرَجَ به عبدُ المُطَّلبِ حتى أتى به وَهْبَ بنَ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ بنِ كلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤيِّ بنِ غالبِ بنِ فهرٍ، وهو يومئذٍ سيِّدُ بني زُهرةَ نَسبًا وشرَفًا، فزوَّجَه ابنتَه آمنةَ بنتَ وهبٍ، وهي يومئذٍ سيِّدةُ نساءِ قومها، فزعَموا أنَّه دَخَل عليها حين أُملكَها مكانَه، فوقعَ عليها، فحمَلَت برسُولِ اللَّه ﷺ، ثمَّ خرَجَ من عندها، فأتى المرأةَ التي عرَضَت عليه ما عرَضت، فقال لها: ما لكِ لا تعرضِينَ عليَّ اليومَ ما كُنتِ عرَضتِ عليَّ بالأمسِ؟ قالت له: فارَقَك النُّورُ الذي كان معَك بالأمسِ، فلَيسَ لي بك اليوم حاجةٌ، وقد كانت تسمَعُ من أخيها ورَقَةَ بنِ نوفلٍ - وكان قد تنصَّرَ واتَّبعَ الكُتُبَ - أنَّه كائنٌ في هذه الأُمَّةِ نبيٌّ، فطَمعَت أن يكونَ منها، فجعلهُ اللَّهُ تعالى في أشرَفِ عُنصرٍ، وأكرَمِ محتدٍ، وأطيَبِ أصلٍ، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وسنَذكُرُ المَولدَ مُفصَّلاً.

وممَّا قالت أمُّ قَتَّالٍ بنتُ نوفلٍ من الشِّعرِ، تتأسَّفُ على ما فاتها من الأمرِ الذي رَامَته، وذلك فيما

---

(١) إسناده صحيح إلى ابن عباس: رجاله ثقات.

رواهُ البيهقيُّ[١] من طريقِ يُونُسَ بنِ بُكَيرٍ، عن مُحمَّدِ بن إسحاقَ رحمهُ اللَّهُ:

عليكَ بآلِ زُهرةَ حيثُ كانوا ... وآمنةَ التي حَمَلَت غُلامَا
تَرَى المَهدِيَّ حينَ نَزَا عليها ... ونُوراً قد تَقدَّمهُ أمامَا

إلى أن قالت:

فكلُّ الخَلقِ يَرجُوهُ جَميعاً ... يَسُودُ النَّاسَ مُهتدياً إمامَا
بَرَاهُ اللَّهُ مِن نورٍ صَفاءً ... فأذهَبَ نُورُه عنَّا الظَّلامَا
وذلكَ صُنْعُ ربِّكَ إذ حَباهُ ... إذا ما سَارَ يومًا أو أقامَا
فيَهدِي أهلَ مَكَّةَ بعدَ كُفرٍ ... ويَفرِضُ بعدَ ذلكُمُ الصِّيامَا

وقال أبو بكرٍ محمدُ بن جعفرِ بن سهلٍ الخرائطيُّ[٢]: حدَّثنا عليُّ بنُ حَربٍ، حدَّثنا محمَّدُ ابنُ عَمارةَ القُرشيُّ، حدثنا مُسلمُ بنُ خالدٍ الزَّنجيُّ، حدَّثنا ابنُ جريجٍ، عن عطاءِ بن أبي رباحٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: لَمَّا انطلَقَ عبدُ المُطَّلبِ بابْنِه عبد اللَّه ليُزَوِّجه، مرَّ به على كاهنةٍ من أهلِ تَبالَةَ مُتهوِّدةٍ قد قرَأت الكُتُبَ، يُقالُ لها: فاطمةُ بنتُ مُرٍّ الخثعميَّةُ، فرأَت نُورَ النُّبوَّةِ في وجه عبدِ اللَّه، فقالَت: يا فَتَى، هل لك أن تَقَعَ عليَّ الآنَ وأُعطيَك مائةً من الإبلِ؟ فقالَ عبدُ اللَّه:

أمَّا الحَرامُ فالمَماتُ دُونَه ... والحِلُّ لا حِلٌّ فأَستَبينَهْ
فكيفَ بالأمرِ الذي تَبْغِينَهْ ... يَحْمِي الكريمُ عِرضَه ودينَه

ثُم مضَى معَ أبيه، فزَوَّجه آمنةَ بنتَ وَهبِ بنِ عَبدِ مَنافِ بنِ زُهرَةَ، فأقامَ عندَها ثلاثًا، ثُمَّ إنَّ نَفسَه دعَته إلى ما دَعَتهُ إليه الكَاهنةُ، فأتاها، فقالَت: ما صَنَعتَ بعدي؟ فأخبرَها، فقالت: واللَّه ما أنا بصَاحبَةِ ريبةٍ، ولكنِّي رأيتُ في وَجهِكَ نوراً، فأردتُ أن يكونَ فيَّ، وأبَى اللَّهُ إلاَّ أن يجعلَه حيثُ أرَادَ. ثم أنشأت فاطمةُ تقولُ:

إنِّي رأيتُ مُخِيلَةً لَمَعَتْ ... فتَلألأتْ بحَناتِمِ القَطرِ
فلمَائُها نُوراً يُضيءُ له ... ما حَولَه كإضاءةِ البَدْرِ
ورَجَوتُها فَخراً أَبُوءُ به ... ما كُلُّ قادحِ زَندِه يُورِي
للَّه ما زُهرِيَّةٌ سَلَبَتْ ... ثَوبَيْكَ ما استَلَبَتْ وَمَا تَدرِي

وقالَتْ فاطمةُ أيضًا:

بني هاشمٍ قد غادَرَتْ مِن أخيكُمُ ... أمينةُ إذ للباهِ يَعتَرِكانِ

---

(١) في «دلائل النبوة» (١/ ١٠٣).

(٢) أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٠٤) من طريق الخرائطي به، وفيه محمد بن عمارة القريشي لم أقف على ترجمته، وفيه عنعنة ابن جريج وهو مدلس.

كَمَا غَادَرَ المِصْبَاحَ عِندَ خُمُودِهِ ... فَتَائِلُ قَد مِيثَت لَه بِدِهَانِ
وَمَا كُلُّ مَا يَحوِي الفَتَى مِن تِلَادِهِ ... بِحَزمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِتَوَانِي
فَأَجمِلْ إِذَا طَالَبتَ أَمرًا فَإِنَّهُ ... سَيَكفِيكَهُ جَدَّانِ يَعتَلِجَانِ
سَيَكفِيكَهُ إِمَّا يَدٌ مُقفَعِلَّةٌ ... وَإِمَّا يَدٌ مَبسُوطَةٌ بِبَنَانِ
وَلَمَّا حَوَتْ مِنهُ أُمَينَةُ مَا حَوَتْ ... حَوَتْ مِنهُ فَخرًا مَا لِذَلِكَ ثَانِ

وروىٰ أبو نُعَيمٍ الحافظُ في كتابِ «دَلائِلِ النُّبوَّةِ» من طريقِ يَعقُوب بنِ مُحمَّدٍ الزُّهريِّ، عن عبدِالعزيزِ بنِ عمرانَ، عن عبدِ اللَّهِ بن جعفرٍ، عن أبي عونٍ، عن المِسوَرِ بنِ مَخرَمَةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن أبيه العباسِ قال: إنَّ عبدَ المُطَّلِبِ قَدمَ اليمنَ في رِحلَةِ الشِّتاءِ، فَنَزَلَ علىٰ حبرٍ من اليهودِ، قال: فقالَ لي رجلٌ من أهلِ الزَّبُورِ، يعني أهلَ الكتابِ: يا عبدَ المُطَّلِبِ، أتأذَنُ لي أن أنظُرَ إلىٰ بعضِك؟ قال: نَعَمْ ما لم يكن عورةً. قال: ففَتَح إحدَىٰ مَنخَرَيَّ، فنَظَرَ فيه، ثُم نَظَر في الآخَرِ، فقالَ: أشهدُ أنَّ في إحدىٰ يَدَيك مُلكًا، وفي الأُخرَىٰ نُبوَّةً، وأنَّا نجدُ ذلك في بَني زُهرَةَ، فكيف ذلك؟ قلتُ: لا أدرِي. قال: هل لك من شاعةٍ. قلتُ: وما الشَّاعةُ؟ قال: الزَّوجَةُ. قلتُ: أمَّا اليومَ، فلا. قال: فإذا رَجَعتَ فتَزَوَّج فيهم. فرجَعَ عبدُ المُطَّلِبِ فتَزوَّجَ هالةَ بنتَ وُهيب بن عبدِ مناف بن زُهرَةَ، فَوَلَدَت حمزةَ وصفيَّةَ، ثُم تزوَّجَ عبدُ اللَّه بنُ عبدِ المُطَّلِب آمنةَ بنتَ وهبٍ، فوَلَدَت رسولَ اللَّه ﷺ، فقالَت قُريشٌ حينَ تزوَّجَ عبدُ اللَّهِ بآمنَةَ: فَلَج. أي فازَ وغَلَب عبَدُ اللَّهِ علىٰ أبيه عبد المُطَّلِب[1].

* * *

(١) إسناده ضعيف جداً: فيه أبو عون مجهول قال أبو زرعة: لا يعرف انظر «الجرح» (٩/ ٤١٤) وعبد العزيز بن عمران هو الزهري متروك كما قال الحافظ في «التقريب» ويعقوب بن محمد ضعيف وأخرجه الحاكم (٢/ ٦٠١) من طريق يعقوب بن محمد به.

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب سيرة رسول الله ﷺ وذكر أيامه وغزواته وسراياه والوفود إليه، وشمائله وفضائله ودلائله الدالة عليه

باب ذكر نسبه الشريف، وطيب أصله المنيف

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. ولما سأل هرقلُ ملكُ الرّوم أبا سفيان تلك الأسئلةَ عن صفاته، عليه الصَّلاة والسَّلام، قال: كيف نسبُه فيكم؟ قال: هو فينا ذُو نسبٍ. قال: كذلك الرُّسلُ تُبعثُ في أنسابِ قومِها[1]. يعني في أكرمِها أحسابًا وأكثرها قبيلةً، صلواتُ اللَّه عليهم أجمعينَ.

فهو سيِّدُ ولد آدمَ وفخرُهم في الدُّنيا والآخرة؛ أبو القاسمِ، وأبو إبراهيمَ، محمدٌ، وأحمدُ، والماحي الَّذي يُمحَىٰ به الكفرُ، والعاقبُ الَّذي ليس بعدَه نبيٌّ، والحاشرُ الَّذي يُحشرُ النَّاسُ على قدمَيه، والمُقفِّي، ونبيُّ الرَّحمةِ، ونبيُّ التوبة، ونبيُّ الملحَمةِ، وخاتمُ النَّبيِّين، والفاتحُ، وطَه، ويَس، وعبدُ اللَّه.

قال البيهقيُّ: وزاد بعضُ العلماء، فقال: سمَّاه اللَّه في القرآن رَسولاً، نبيًا، أُميًّا، شاهدًا، مبشرًا، نذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه، وسراجًا منيرًا، ورءُوفًا رَحيمًا، ومُذكِّرًا، وجعلَه رحمةً، ونعمةً، وهاديًا.

وسنُوردُ الأحاديثَ المرويَّةَ في أسمائه عليه الصَّلاة والسَّلام، في بابٍ نعقدُه بعد فراغِ السِّيرَة؛ فإنَّه قد ورَدت أحاديثُ كثيرة في ذلك، اعتنَىٰ بجمعها الحافظان الكبيران؛ أبو بكر البيهقيُّ، وأبو القاسم ابن عساكرَ، وأفردَ النَّاسُ في ذلك مؤلفاتٍ، حتىٰ رام بعضُهم أن يجمَعَ له عليه الصَّلاة والسلام، ألف اسمٍ. وأما الفقيهُ الكبيرُ أبوبكر ابن العربيُّ المالكي، شارحُ «التِّرمذيِّ» بكتابِه الَّذي سماه «الأحوذيِّ» فإنه ذَكَر من ذلك أربعةً وستِّين اسمًا. واللَّه أعلم.

وهو ابنُ عبدِ اللَّهِ، وكان أصغرَ ولَدِ أبيه عبدِ المُطلبِ، وهو الذَّبيحُ الثَّاني، المَفديُّ بمائةٍ من الإبلِ، كما تقدَّم.

قال الزُّهريُّ: وكان أجملَ رجالِ قريشٍ. وهو أخو الحارث، والزبير، وحمزَةَ، وضرارٍ، وأبي طالبٍ، واسمُه عبدُ منافٍ، وأبي لهبٍ، واسمُه عبد العزىٰ، والمُقوِّم، واسمُه عبدُ الكعبة، وقيل: هما اثنان. وحجلٍ، واسمُه المغيرةُ، والغيداقِ، وهو كثيرُ الجُودِ، واسمُه نوفلٌ، ويقالُ: إنَّه

---

(١) **صحيح**: رواه البخاري برقم ١٧١.

حَجلٌ، والعباس. فهؤلاء أعمامُه عليه الصَّلاة والسَّلام. وعمَّاتُه ستٌّ؛ وهنَّ: أروىٰ، وبرَّةٌ، وأُميمَةُ، وصفيَّةُ، وعاتِكَةُ، وأُمُّ حكيم، وهي البيضاءُ، وسنتكلَّمُ علىٰ كلٍّ منهم فيما بعدُ، إن شاء الله تعالىٰ.

فهؤلاء أولادُ عبد المُطلب، واسمُه شيبَةُ، يُقالُ: لشيبَةٍ كانَت في رأسه. ويُقالُ له: شَيبَةُ الحمدِ لجوده، وإنَّما قيل له: عبدُ المطَّلب؛ لأنَّ أباه هاشمًا لَمَّا مَرَّ بالمدينة في تجارته إلىٰ الشَّام، نَزَلَ علىٰ عمرو بن زيد بن لَبيد بن حرام بن خداش بن عامر بن غنم بن عديٍّ بن النجَّار الخزرجيِّ النَّجَّاريِّ، وكانَ سيِّدَ قومه فأعجبَته ابنتُه سَلمَىٰ، فخطَبَها إلىٰ أبيها فزوَّجها منه، واشترَط عليه مُقامها عندَه. وقيل: بل اشتَرط عليه أن لا تَلدَ إلاَّ عندَه بالمدينة. فلمَّا رجَعَ، من الشَّام بَنَىٰ بها، وأخذَها معه إلىٰ مكَّةَ، فلمَّا خرجَ في تجارةٍ، أخَذَها معه، وهي حُبلَىٰ، فتَركها بالمدينة، ودَخَلَ الشَّامَ فمات بغزَّةَ، ووَضَعت سَلمَىٰ وَلَدَها، فسمَّته شيبةَ، فأقام عندَ أخواله بني عديِّ بن النَّجَّار، سَبعَ سنينَ، ثُم جاءَ عمُّه المطَّلبُ بنُ عبد مناف، فأخَذَه خُفيةً من أُمِّه، فَذَهَبَ به إلىٰ مكَّةَ، فلمَّا رآه النَّاسُ ورأوه علىٰ الرَّاحلة، قالوا: من هذا معك؟ فقال: عبدي. ثمَّ جاءُوا فهنَّئوه به، وجعلوا يقولون له: عبدُالمطَّلب. لذلك، فغَلَبَ عليه، وسادَ في قريش سيادةً عظيمةً، وذَهَب بشَرَفهم ورئاستهم، فكان جماعُ أمرهم إليه، وكانت إليه السِّقايةُ والرِّفادةُ بعد المطَّلب، وهو الذي جدَّد حَفرَ زمزَمَ بعدَما كانت مطمُومَةً من عهد جُرهُم، وهو أوَّلُ من حَلَّىٰ الكعبةَ بذهب في أبوابها، من تَينَكَ الغزالتَيْن اللَّتين من ذهب، وجدهما في زمزَمَ مع تلك الأسياف القلعية.

قال ابن هشام: وعبدُ المطَّلب أخو أسد ونضلَةَ وأبي صيفيٍّ وحيَّةَ وخالدةَ ورُقَيَّةَ والشِّفاء وضعيفةَ، كلُّهم أولادُ هاشم، واسمُه عمرٌو، وإنما سُمِّيَ هاشمًا، لهشمه الثَّريدَ مع اللَّحم لقومه في سِني المحل، كما قال مطرودُ بنُ كعب الخُزاعيُّ في قصيدَته، وقيل: هي لعبد اللَّه بن الزِّبعري:

عَمرُو الذي هَشَم الثَّريدَ لقومه ... قومٍ بمكةَ مُسنِتين عِجافِ
سُنَّتْ إليه الرِّحلتان كلاهُما ... سَفَرُ الشتاءِ ورحلةُ الأصيافِ

وذلك لأنه أوَّلُ مَن سنَّ رِحلَتَي الشِّتاءِ والصَّيف، وكان أكبرَ وَلَد أبيه، وحكىٰ ابنُ جرير أنَّه كان تَوْأمَ أخيه عبد شمس، وأنَّ هاشمًا خَرَج ورجلُه مُلتصقةٌ برأس عبد شَمس، فما تخلَّصت حتَّىٰ سال بينَهما دمٌ، فقال النَّاسُ: بذلك يكونُ بينَ أولادهما حُرُوبٌ. فكانت وقعةُ بني العبَّاس مع بني أُميَّةَ بن عبد شمس سنةَ ثلاث وثلاثين ومائة من الهجرة، وشقيقُهم الثالثُ المطلبُ، وكان المطَّلبُ أصغرَ ولد أبيه، وأُمُّهم عاتكةُ بنتُ مُرَّةَ بن هلال، ورابعُهم نوفلٌ، من أمٍّ أخرىٰ، وهي واقدة بنت عمرو المازنيةُ، وكانوا قد سادوا قومهم بعد أبيهم، وصارت إليهم الرِّياسةُ، وكان يُقالُ لهم: المُجيرون. وذلك لأنَّهم أخذوا لقومهم قُريش الأمانَ من مُلوك الأقاليم؛ ليدخُلوا في التِّجارات إلىٰ بلادهم،

فكان هاشمٌ قد أخذ أمانًا من ملُوكِ الشَّام والروم وغسَّانَ، وأخذ لهم عبدُ شمسٍ من النَّجاشيِّ الأكبر ملك الحبشةِ، وأخذ لهم نوفلٌ من الأكاسرةِ، وأخذ لهم المُطَّلبُ أمانًا من ملوكِ حميَرَ، ولهم يقُولُ الشاعرُ:

يا أيها الرَّجُلُ المُحَوِّلُ رَحلَه ألا نزلت بآل عبد مَناف!

وكان إلى هاشمٍ السِّقايةُ والرِّفادةُ بعد أبيه، وإليه وإلى أخيه المُطَّلبِ نسبُ ذوي القربى، وقد كانوا شيئًا واحدًا في حالتي الجاهليَّة والإسلام لم يفترقوا، ودخلوا معهم في الشِّعبِ، وانخذلَ عنهم بنو عبد شمسٍ ونوفلٍ، ولهذا يقولُ أبو طالبٍ في قصيدته:

جَزى اللَّهُ عنَّا عبدَ شمسٍ ونوفلاً عُقوبةَ شرٍّ عاجلاً غيرَ آجلِ

ولا يُعرفُ بنو أبٍ تَباينوا في الوفاة مثلُهم؛ فإنَّ هاشمًا مات بغزَّةَ من أرض الشَّام، وعبدَ شمسٍ مات بمكَّةَ، ونوفلاً مات بسَلمانَ من أرض العراق، ومات المُطَّلبُ - وكان يقالُ له: القمرُ. لحُسنه - بردمان من طريق اليمن، فهؤلاء الإخوةُ الأربعةُ المشاهيرُ، وهم؛ هاشمٌ، وعبدُ شمسٍ، ونوفلٌ، والمطَّلبُ، ولهم أخٌ خامسٌ ليس بمشهورٍ وهو أبو عمرو، واسمُهُ عبدٌ، وأصلُ اسمه عبدُ قُصيٍّ، فقال الناسُ: عبدُ بنُ قُصيٍّ دَرَجَ، ولا عقبَ له. قاله الزبيرُ بنُ بكَّارٍ وغيرُه. وأخَوَاتٌ ستٌّ وهنَّ؛ تُماضِرُ، وحيَّةُ، وريطَةُ، وقلابةُ، وأمُّ الأخثم، وأمُّ سفيانَ. كلُّ هؤلاء أولادُ عبد منافٍ، ومنافٌ اسمُ صنمٍ، وأصلُ اسم عبدِ منافٍ المغيرةُ، وكان قد رأَسَ في زَمَنِ والده، وذهَبَ به الشَّرفُ كلَّ مذهبٍ، وهو أخو عبد الدَّار الَّذي كان أكبرَ ولد أبيه وإليه أوصَى بالمناصب كما تقدَّم، وعبد العُزَّى، وعبدٍ، وبرَّة وتخمُرَ، وأمُّهم كلّهم حُبى بنتُ حُلَيلِ بنِ حُبشيَّةَ بنِ سَلُولَ بن كعبِ بن عمرٍو الخُزاعيِّ، وأبُوها آخرُ مُلوكِ خُزاعةَ، ووُلاةُ البيتِ منهم، وكلُّهم أولادُ قُصيٍّ، واسمُهُ زيدٌ، وإنَّما سُمِّي بذلك؛ لأن أُمه تزوَّجت بعد أبيه بربيعةَ بنِ حرامِ بن عُذرةَ، فسافرَ بها إلى بلاده، وابنُها صغيرٌ؛ فسُمِّي قُصيًا لذلك، ثُم عاد إلى مكَّةَ وهو كبيرٌ، ولمَّ شعْثَ قريشٍ، وجمَعها من مُتَفرِّقاتِ البلاد، وأزاحَ يَدَ خُزاعةَ عن البيتِ، وأجلاهم عن مكَّةَ، ورَجَع الحقُّ إلى نصابه، وصار رئيسَ قريشٍ على الإطلاق، وكانت إليه الرِّفادةُ، وهو سنَّها، والسِّقايةُ والسِّدانةُ والحجابةُ واللِّواءُ، ودارُه دارُ النَّدوةِ، كما تقدَّم بَسطُ ذلك كلِّه ولهذا قال الشاعرُ:

قُصيٌّ لَعَمْري كان يُدعَى مُجَمِّعًا به جَمَّعَ اللَّهُ القبائلَ من فهرِ

وهو أخو زُهرةَ، كلاهما ابنا كلابٍ أخي تَيمٍ ويقظَةَ أبي مَخزوم، ثلاثتُهم أبناءُ مُرَّةَ أخي عَديٍّ وهُصَيصٍ، وهم أبناءُ كعبٍ، وهو الَّذي كان يخطُبُ قومَه كُلَّ جُمُعةٍ، ويُبَشِّرُهم ببعث رسول اللَّه ﷺ، ويُنشدُ في ذلك أشعارًا كما قدَّمنا، وهو أخو عامرٍ وسامةَ وخُزيمَةَ وسعدٍ والحارث وعوفٍ، سبعتُهم أبناءُ لُؤيٍّ أخي تيمِ الأدرَم، وهُما أبناءُ غالبٍ أخي الحارث ومُحاربٍ، ثلاثتُهم أبناءُ فهرٍ، وهو أخو الحارثِ، وكلاهما ابنُ مالكٍ، وهو أخو الصَّلتِ ويَخلُدَ، وهم بنو النَّضرِ الذي إليه جماعُ

قُريشٍ على الصَّحيح كما قدَّمنا الدَّليلَ عليه، وهو أخو مالكٍ وملكانَ وعبدِ مناةَ وغيرِهم، كلُّهم أولادُ كنانةَ أخي أسدٍ وأسَدةَ والهونِ أولادِ خُزَيمةَ، وهو أخو هُذَيلٍ، وهُما ابنا مُدركةَ - واسمُه عَمرٌو أخو طابخةَ - واسمُهُ عامرٌ - وقمَعَةَ، ثلاثتُهم أبناءُ إلياسَ، وأخو إلياسَ هو عَيلان والدُ قَيسٍ كُلِّها، وهما ولدا مُضَرَ أخي ربيعَةَ، ويقالُ لهما: الصَّريحان من ولد إسماعيلَ، وأخَوهما أنمارٌ وإيادٌ تَيامنا، أربعتُهم أبناءُ نزارٍ أخي قُضاعةَ - في قولِ طائفةٍ ممَّن ذهب إلى أنَّ قُضاعةَ حجازيَّةٌ عَدنانيَّةٌ - وقد تقدَّم بيانُه، كلاهما أبناءُ معدِّ بن عدنانَ.

وهذا النَّسَبُ بهذه الصِّفَة لا خلافَ فيه بين العلماء، فجميعُ قبائلِ عربِ الحجازِ ينتَهُونَ إلى هذا النَّسبِ، ولهذا قال ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه في قوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴾ [الشورى: ٢٣]: لم يكُن بطنٌ من بُطونِ قُريشٍ، إلاَّ ولرسولِ اللَّهِ ﷺ نسبٌ يتَّصلُ بهم. وصدَق ابنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه، فيما قال: وأزيَدَ ممّا قال؛ وذلك أنَّ جميعَ قبائلِ العرب العدنانية تنتهي إليه بالآباء، وكثيرٌ منهم بالأمَّهات أيضًا، كما ذكَره محمدُ بن إسحاق وغيرُه في أُمهاته وأُمَّهات آبائه وأُمَّهاتهم، ممَّا يطولُ ذكرُه. وقد حرَّره ابن إسحاق رحمه الله، والحافظُ ابنُ عساكرَ، وقد ذَكَرنا في ترجمة عدنانَ، نسَبَه وما قيل فيه، وأنَّه من ولَدِ إسماعيلَ لا محالةَ، وإن اختُلفَ في كَم بينَهما أبًا؟ على أقوالٍ قد بَسَطناها فيما تقدَّمَ. واللَّه أعلمُ.

وقد ذَكَرنا بقيةَ النَّسبِ من عدنانَ إلى آدمَ، وأوردْنا قصيدةَ أبي العباسِ النّاشئِ المتضمِّنَةَ ذلك، كلُّ ذلك في أخبارِ عربِ الحجازِ، وللَّه الحمدُ.

وقد تكلَّمَ الإمامُ أبو جعفرِ بن جريرٍ، رحمه اللَّهُ، في أوَّلِ «تاريخه» على ذلك كلامًا مبسوطًا جيدًا محرَّرًا نافعًا، وقد ورَد حديثٌ في انتسابه، عليه السلامُ، إلى عدنانَ وهو على المنبرِ، ولكن اللَّهُ أعلمُ بصحته، كما قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ: أنبأنا أبو الحسنِ عليُّ بن أحمدَ بنِ عُمرَ بنِ حفصٍ المُقرئُ ببغدادَ، حدَّثنا أبو عيسى بكَّارُ بنُ أحمدَ بنِ بكارٍ، حدثنا أبو جعفرٍ أحمد بن موسى بن سعيدٍ، إملاءً سنَةَ ستٍّ وتسعينَ ومائتين، حدثنا أبو جعفرٍ محمدُ بن أبانَ القلانسيُّ، حدثنا أبو محمدٍ عبد الله بن محمد بن ربيعةَ القُداميُّ، حدثنا مالك بن أنس عن الزُّهريِّ، عن أنسٍ، وعن أبي بكرِ بن عبدالرحمنِ ابن الحارثِ بن هشامٍ. قالا: بلغ النبي ﷺ، أنَّ رِجالاً من كِندَةَ يزعُمون أنهم منه، وأنه منهم، فقال: «**إنَّما كان يقولُ ذلك العبَّاسُ وأبو سفيانَ بن حربٍ إذا قدما المدينة ليأمَنا بذلك، وإنا لن ننتفي من آبائنا، نحنُ بنو النَّضرِ بن كنانة**». قال: وخطَب النبيُّ ﷺ فقال: «**أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّه بن عبدِ المطَّلبِ بن هاشمِ بنِ عبدِ منافِ بن قُصيٍّ بن كلابِ بن مُرَّةَ بن كعبِ بن لُؤيٍّ بن غالبِ بن فِهرِ بن مالكِ بنِ النَّضرِ**

ابن كِنانةَ بن خُزيمةَ بن مُدركةَ بن إلياسَ بن مُضَرَ بن نزار، **وما افترق النَّاسُ فرقتَين إلاَّ جعلَني اللَّهُ في خيرِهما، فأُخرجتُ من بينِ أبويَّ فلم يُصبْني شيءٌ من عُهرِ الجاهلية، وخرجتُ من نكاحٍ ولَم أخرُج من سفاحٍ، من لَدُن آدمَ حتَّى انتهَيتُ إلى أبي وأُمِّي، فأنا خيرُكم نَفسًا، وخيرُكم أبًا»**[١].

وهذا حديثٌ غريبٌ جدًا من حديثِ مالكٍ. تفرَّدَ به القُداميُّ، وهو ضعيف.

ولكن سَنذكُرُ له شواهدَ من وجوهٍ أُخَرَ، فمن ذلك قولُه: **«خرَجتُ من نكاحٍ لا من سفاحٍ»**.

قال عبدُ الرزَّاق: أخبرنا ابنُ عُيينَةَ، عن جعفرِ بن محمد، عن أبيه أبي جعفرٍ الباقرِ، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨]. قال: لم يُصِبْه شيءٌ من ولادَةِ الجاهليَّة. قال: وقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إنِّي خرَجتُ من نكاحٍ، ولم أخرُجْ من سفاحٍ»** وهذا مُرسلٌ جيِّدٌ. وهكذا رواه البيهقيُّ، عن الحاكمِ، عن الأصمِّ، عن محمدِ بن إسحاقَ الصَّاغانيِّ، عن يحيىٰ بنِ أبي بُكيرٍ، عن عبدِ الغفارِ بن القاسمِ، عن جعفرِ بن محمدٍ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ اللَّه أخرَجَني من النِّكاحِ ولم يُخرِجني من السِّفاحِ»**[٢].

وقد رواه ابن عديٍّ موصولاً، فقال: حدَّثنا أحمدُ بن حفصٍ، حدثنا محمدُ بن أبي عمَرَ، العدنيُّ المكِّيُّ، حدَّثنا محمدُ بن جعفرِ بن محمد بن عليِّ بن الحسينِ، قال: أشهدُ على أبي، حدثني عن أبيه، عن جدِّه، عن عليِّ بن أبي طالبٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«خرَجتُ من نكاحٍ ولم أخرُج من سفَاحٍ، من لَدُن آدَمَ إلى أن ولَدَني أبي وأمِّي، ولم يُصبني من سفاحِ الجاهليةِ شيءٌ»**. وهذا غريبٌ من هذا الوجهِ، ولا يكادُ يَصحُ[٣].

وقال هشيمٌ: حدثنا المدينيُّ، عن أبي الحُويرث، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«ما ولَدَني من نكاحِ أهلِ الجاهليةِ شَيءٌ، ما ولَدَني إلاَّ نكاحٌ كنكاحِ الإسلامِ»**[٤]. وهذا أيضًا غريبٌ أورده الحافظُ ابنُ عساكرَ، ثُمَّ أسنده من حديثِ أبي هريرَةَ، وفي إسنادِه ضعفٌ، واللَّه أعلمُ.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٧٤) فيه القدامي. والقلانسي وقوله: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح» لها شواهد فيها مقال إلا أن معناها صحيح كما قال الذهبي في «التاريخ» (١/ ٤١) وسيأتي الكلام عليها إن شاءاللَّه. والقدامي ضعيف كما ذكر ابن عدي في «الكامل» (٤/ ٢٥٨) حيث قال: «وعامة حديثه غير محفوظة. وهو ضعيف». والقلانسي هو محمد بن الوليد بن أبان القلانسي البغدادي: متهم بالكذب قال ابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٨٥) كان يضع الحديث ويوصله ويسرق ويقلب الأسانيد والمتون.

(٢) **مرسل**: أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٢٥٧) والطبري في «التفسير» (١٧٥٩) من طريق عبد الرزاق والبيهقي في «السنن» (٧/ ١٨٠) من طريق سعيد بن عبد الرحمن المخزومي به وأخرجه البيهقي في «الشعب» (١٣٩٦) من طريق عبدالغفار بن القاسم عن جعفر بن محمد به. وأخرجه بن سعد (١/ ٥٠) من طريق أنس بن عياض عن جعفر به.

(٣) **إسناده ضعيف**: بسبب الانقطاع بين علي بن الحسين وعلي بن أبي طالب. كما أن محمد بن جعفر متكلم فيه. أخرجه بهذا السند أبو نعيم في «الدلائل» (١/ ٦٥) والسهمي في «تاريخ جرجان» (٣٦١) وكذلك أخرجه السهمي من طريق محمد بن يحيىٰ العدني عن محمد بن جعفر به.

(٤) **إسناده ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (١/ ١٩٠) وفيه فليح بن سليمان وروي الحديث من طرق عن عكرمة عن ابن عباس ولكن كلها واهية. أخرجها ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥١) وأبو نعيم في «الدلائل» (١/ ٦٦).

وقال محمدُ بن سعد: أخبرنا محمدُ بنُ عُمَرَ، حدَّثني محمدُ بن عبدِ اللَّه بن مسلمٍ، عن عمِّه الزُّهريِّ، عن عروةَ، عن عائشةَ، قالت: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «**وُلِدتُ من نكاحٍ غيرِ سفاحٍ**»(١) ثُم أورد ابنُ عساكرَ من حديثِ أبي عاصمٍ، عن شبيبٍ، عن عِكرمَةَ، عن ابنِ عباسٍ، في قولِه تعالىٰ: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩] قال: مِن نبيٍّ إلىٰ نبيٍّ، حتىٰ أخرجتَ نبيًا(٢). ورواه عن عطاءٍ.

وقال محمدُ بنُ سعد: أخبرَنا هشامُ بنُ محمدٍ الكلبيُّ، عن أبيه، قال: كتبتُ للنبيِّ ﷺ خمسمائة أُمٍّ، فما وجَدتُ فيهنَّ سِفَاحًا، ولا شيئًا مما كان من أمر الجاهلية(٣). وثبتَ في «صحيح البخاريِّ» من حديث عمرِو بن أبي عمرٍو، عن سعيدٍ المقبُريِّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثتُ من خيرِ قُرونِ بني آدمَ قرنًا فقرنًا، حتى بُعثتُ من القرن الذي كنتُ فيه**»(٤).

وفي «صحيح مسلمٍ» من حديثِ الأوزاعيِّ، عن شَدَّادٍ أبي عمَّارٍ، عن واثلَةَ بنِ الأسقَعِ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ اللَّه اصطَفَى من ولدِ إبراهيمَ إسماعيلَ، واصطفَى من بني إسماعيلَ بني كِنانَةَ، واصطَفَى مِن بني كنانةَ قريشًا، واصطفَى مِن قريشٍ بني هاشمٍ، واصطَفاني مِن بني هاشمٍ**»(٥).

وقال الإمامُ أحمدُ: حدثنا أبو نعيمٍ، عن سفيانَ، عن يزيدَ بن أبي زيادٍ، عن عبدِ اللَّهِ بن الحارث ابن نوفلٍ، عن المطَّلبِ بن أبي وداعَة، قال: قال العبَّاسُ: بلَغَه ﷺ بعضُ ما يقولُ الناسُ، فَصَعدَ المنبرَ، فقال: «مَن أنا؟» قالوا: أنت رسولُ اللَّه، فقال: «**أنا محمدُ بنُ عبد اللَّه بن عبد المطلب، إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الخَلقَ فجعَلَني في خيرِ خلقه، وجعلَهم فرقَتين، فجعَلَني في خيرِ فرقة، وخَلَقَ القَبائلَ فجعَلَني في خيرِ قبيلة، وجعلَهم بيوتًا، فجعَلَني في خيرِهم بيتًا، فأنا خيرُكم بيتًا وخيرُكم نَفسًا**»(٦). صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليه دائمًا أبدًا إلىٰ يومِ الدينِ.

وقال يعقوبُ بنُ سُفيانَ: حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسىٰ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ، عن يزيدَ بن أبي زيادٍ، عن عبدِ اللَّهِ بن الحارثِ بن نوفلٍ، عن العبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، إنَّ قريشًا إذا التقَوا لَقِي بعضُهم بعضًا بالبشَاشةِ، وإذا لَقُونا لقُونا بوجوهٍ لا نعرفُها، فغَضِبَ رسولُ اللَّه ﷺ، عندَ ذلك غضبًا شديدًا، ثم قال: «**والَّذي نفسُ محمدٍ بيده، لا يدخُلُ قلبَ رجلٍ الإيمانُ حتى يُحبَّكم**

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥١) وفيه محمد بن عمر الأسلمي الواقدي وهو متروك.

(٢) **إسناده ضعيف إلى ابن عباس**: لضعف شبيب بن بشر.

(٣) **ضعيف جدًا**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٠) والد هشام هو محمد بن السائب الكلبي «متهم بالكذب ورمي بالرفض».

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٥٧) وفيه: «حتىٰ كنت في القرن الذي كنت فيه» بدلاً من «حتىٰ بعثت».

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (كتاب الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ برقم (٢٢٧٦). وليس فيه: «إن اللَّه اصطفىٰ من ولد إبراهيم إسماعيل» وهذا الحديث أصح ما في الباب وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٦٥) والترمذي (٥/ ٥٨٣) وأحمد (٤/ ١٠٧) كلهم من طريق الأوزاعي به وزيادة «إن اللَّه اصطفىٰ من ولد إبراهيم إسماعيل» ضعيفة تفرد بها محمد بن مصعب ولم يتابع عليها من الثقات ومحمد بن مصعب ضعيف إلا في المتابعات أخرجه من طريق محمد بن مصعب بهذا اللفظ الترمذي (٥/ ٥٨٣) وابن سعد (١/ ١٨) وبدون الزيادة أخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٧٨) والترمذي (٥/ ٥٨٣).

(٦) **إسناده ضعيف**: فيه يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف وله شاهد مرسل عن محمد بن علي أخرجه ابن سعد (١/ ١٨) وهذا الحديث أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٨٨)، والترمذي (٥/ ٥٨٤) من طريق سفيان الثوري به.

للَّه ولرسوله». فقلتُ: يا رسولَ اللَّه، إنَّ قريشًا جلسوا فتذاكَروا أحسابَهم، فجعلوا مثلَك مثل نخلةٍ في كبوةٍ مِن الأرضِ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: «**إن اللَّهَ يومَ خلقَ الخَلقَ جعلَني في خيرِهم، ثُم لمَّا فرَّقَهم قبائلَ جعلَني في خيرِهم قبيلَةً، ثُم حينَ جعلَ البيوتَ جعَلَني في خيرِ بيوتِهم، فأنا خيرُهم نَفسًا وخيرُهم بيتًا**»[١] .

ورواه أبو بكرِ بن أبي شيبةَ، عن ابن فُضيلٍ، عن يزيدَ بن أبي زيادٍ، عن عبدِ اللَّهِ بن الحارثِ، عن ربيعةَ ابنِ الحارثِ، قال: بَلغَ النبيَّ ﷺ. فذكَره بنحوِ ما تقدَّم[٢] ، ولم يَذكُرِ العبَّاسَ.

وقال يعقوبُ بنُ سُفيانَ: حدَّثني يحيىٰ بن عبد الحميد، حدَّثني قَيسُ بن عبدِ اللَّه، عن الأعمشِ عن عبايَةَ بنِ ربعيٍّ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ اللَّهَ قَسَمَ الخَلقَ قسمَين فجعلَني في خيرِهما قسمًا، فذلك قولُه: ﴿وأَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾، ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾، فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خيرُ أصحاب اليمين، ثُم جعل القسمَين أثلاثًا فجعلَني في خيرِها ثُلثًا، فذلك قوله: ﴿أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ ، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾، فأنا من السابقين، وأنا خيرُ السَّابقين، ثم جعلَ الأثلاثَ قبائلَ، فجعلَني في خيرِها قبيلةً، فذلك قوله: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وأنا أتقى ولَد آدمَ وأكرمُهم على اللَّه، ولا فَخرَ، ثم جعلَ القبائلَ بيوتًا، فجعلني في خيرِها بيتًا، وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأنا وأهلُ بيتي مُطهَّرُونَ من الذنوب**»[٣] . وهذا الحديثُ فيه غرابةٌ ونكارةٌ.

وروىٰ الحاكمُ والبيهقيُّ من حديث محمدِ بن ذكوانَ، خالِ حمادِ بنِ زيدٍ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن ابنِ عمرَ، قال: إنَّا لقُعُودٌ بفِناء النَّبيِّ ﷺ، إذ مرَّت به امرأةٌ، فقال بعضُ القومِ: هذه ابنةُ رسولِ اللَّه ﷺ، فقال أبو سفيانَ: مثلُ محمدٍ في بني هاشمٍ مَثَلُ الرَّيحانة في وَسَطِ النَّتَنِ. فانطَلَقت المرأةُ فأخبرَت النَّبيَّ ﷺ، فجاء رسولُ اللَّه ﷺ، يُعرَفُ في وجهِه الغضَبُ، فقال: «**ما بالُ أقوال تَبلُغُني عن أقوامٍ، إنَّ اللَّه خلقَ السَّموات سَبعًا فاختارَ العلياءَ منها، فأسكنَها من شاءَ من خلقه، ثم خَلقَ الخلقَ فاختارَ مِن الخلقِ بني آدمَ، واختارَ من بني آدمَ العربَ، واختارَ من العرب مُضَرَ، واختارَ من مُضَرَ قُريشًا، واختار مِن قريشٍ بني هاشمٍ، واختارَني من بني هاشمٍ، فأنا خيارٌ من خيارٍ، فمن أحبَّ العربَ فبِحُبِّي أحبَّهُم، ومن أبغضَ العربَ فببُغضي أبغَضَهُم**»[٤] . وهذا أيضًا حديثٌ غريبٌ.

وثبت في «الصحيحِ» أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، قال: «**أنا سيِّدُ ولد آدمَ يومَ القيامة ولا فَخرَ**»[٥] .

وروىٰ الحاكمُ والبيهقيُّ أيضًا مِن حديثِ موسىٰ بن عُبيدةَ، حدَّثنا عمرُو بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نَوفلٍ، عن

---

(١) إسناده ضعيف كما سبق: ومن هذا الطريق أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٦٧).

(٢) أخرجه من هذا الطريق ابن أبي شيبة (١/ ١٦٨) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٦٨).

(٣) إسناده ضعيف: فقد تفرد به عن ابن عباس عباية بن ربعي وهو ضعيف من غلاة الشيعة.

(٤) إسناده ضعيف: مداره على محمد بن ذكوان وهو ضعيف أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٧١، ١٧٢) والحاكم (٧٣١٤) وللحديث طريق آخر عند ابن سعد (١/ ١٨) عن حماد ابن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي مرسلاً وهذا مرسل قوي وهذا الحديث بمجموع هذه الطرق وإن كان فيها ضعف فقد يحسن.

(٥) صحيح: دون لفظة: «ولا فخر». أخرجه البخاري (٤٧١٢) بلفظ: «أنا سيد الناس يوم القيامة» وأخرجه مسلم (٢٢٧٨) وأما لفظة «ولا فخر» فليست في «الصحيحين» وأسانيدها فيها مقال ولكنها تصحح بمجموع الطرق.

الزُّهريِّ، عن أبي أُسامةَ ـ أو أبي سَلَمةَ ـ عن عائشةَ رضي اللَّه عنها، قالت: قال رسولُ اللَّه ﷺ: **«قال لي جبريلُ: قَلَبْتُ الأرضَ مشارِقَها ومغارِبَها فلم أجدْ رَجلاً أفضَلَ مِن محمدٍ، وقَلَبتُ الأرضَ مشارِقَها ومغارِبَهَا فلم أجد بني أب أفضلَ من بني هاشم»**(١) .

قال الحافظُ البيهقيُّ: وهذه الأحاديث وإن كان في رُواتِها مَن لا يُحتَجُّ به، فبعضُها يُؤكِّدُ بعضًا، ومعنىٰ جميعها يَرجعُ إلىٰ حديثِ واثِلَةَ بنِ الأسقَعِ. واللَّهُ أعلمُ.

قلت: وفي هذا المعنىٰ يَقُولُ أَبُو طالبٍ يَمتَدحُ النَّبِيَّ ﷺ:

إذا اجتَمَعَتْ يومًا قُريشٌ لِمَفْخَرٍ ... فعَبدُ مَناف سِرُّهَا وصَمِيمُها
فإنْ حُصِّلَتْ أَشْرَافُ عبدِ مَنافِها ... ففي هاشمٍ أَشْرَافُها وقَديمُها
وإنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فإنَّ مُحَمَّدًا ... هُو المُصطَفَىٰ من سِرِّها وكريمُها
تَداعَتْ قُرَيشٌ غَثُّها وسَمينُها ... عَلَينا فَلَمْ تَظفَرْ وطاشَتْ حُلُومُها
وكُنَّا قَديمًا لا نُقِرُّ ظُلامَةً ... إذا ما ثَنَوا صُعرَ الخُدُود نُقيمُه
ونَحْمي حِماها كُلَّ يَوْمِ كَريهَةٍ ... ونَضرِبُ عن أجحارِها مَن يَرُومُها
بِنا انتَعشَ العُودُ الذَّواءُ وإنَّما ... بأكنافِنا تَندَى وتَنْمي أُرُومُها

قال أبو السُّكَين زكريَّا بنُ يَحيى الطَّائيُّ، في الجزء المنسوبِ إليه المشهور: حدَّثني عمُّ أبي زَحرُ ابنُ حصنٍ، عن جدِّه حُميد بنِ مُنهِبٍ، قال: قال جدِّي خُرَيم بن أوسٍ: هَاجرتُ إلىٰ رسولِ اللَّه ﷺ، فقدمتُ عليه مُنصَرفَه من تَبوكَ، فأسلَمتُ، فسَمعتُ العبَّاسَ بن عبدِ المطلب، يقولُ: يا رسولَ اللَّه، إنِّي أُريدُ أن أمتدِحَك. فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«قُل، لا يَفضُضِ اللَّهُ فاك»** فأنشأ يَقُولُ:

من قَبلِها طبتَ في الظِّلالِ وفي ... مُستودَعٍ حيثُ يُخصَفُ الوَرَقُ
ثُم هَبَطتَ البلادَ لا بَشَرٌ ... أنت ولا مُضْغَةٌ ولا عَلَقُ
بل نُطفَةٌ تَركَبُ السَّفينَ وقد ... أَلجَمَ نَسْرًا وأهلَه الغَرَقُ
تُنقَلُ من صالبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مضَى عالمٌ بدا طَبَقُ
حتَّى احتَوى بيتُك المهَيمنُ مِنْ ... خِندفَ علياءَ تحتَها النُّطُقُ
وأنتَ لمَّا وُلِدتَ أشرقت الـ ... أرضُ وضاءتْ بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياءِ وفي الـ ... نُّورِ وسُبُلِ الرَّشَادِ نَختَرِقُ (٢)

وقد رُوِيَ هذا الشِّعرُ لحسَّانَ بنِ ثابتٍ، فروَىٰ الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عَسَاكِرَ مِن طريقِ أبي الحسَنِ

---

(١) إسناده ضعيف: فيه موسىٰ بن عبيدة الربذي وهو ضعيف كما قال الحافظ في «التقريب» وأخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٧٦).

(٢) إسناده ضعيف: ما أبرزه المصنف من الإسناد فيه من لم أقف عليه وهو حميد بن منهب وفيه إبهام راوٍ وهو قوله: عم أبي زحر بن حصن. وأبو السكن قال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق له أوهام.

ابن أبي الحديد، أخبرنا أبو محمد بنُ أبي نصرٍ، أنا عبدُ السَّلام بنُ أحمدَ بن محمدٍ القرشيُّ، حدَّثنا أبو حُصَينٍ محمَّدُ بن إسماعيلَ بنِ محمدٍ التَّميميُّ، حدَّثنا محمدُ بن عبد اللَّه الزَّاهدُ الخُراسانيُّ، حدثني إسحاقُ بن إبراهيمَ بن بُنانٍ، حدثنا سلاَّمُ بن سليمانَ، أبو العبَّاسِ المكفوفُ المدائنيُّ، حدثنا ورقاءُ بن عُمرَ، عن ابن أبي نجيحٍ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: سألتُ رسولَ اللَّه ﷺ فقلتُ: فداكَ أبي وأمِّي؛ أين كُنتَ وآدمُ في الجنة؟ قال: فتبسَّمَ حتَّى بدَت نَواجذُهُ، ثُمَّ قال: «**كُنتُ في صُلبِه، ورُكبَ بيَ السَّفينةُ في صُلبِ أبي نوحٍ، وقُذفَ بي في صُلبِ أبي إبراهيمَ، لَم يلتقِ أبَوايَ على سفاحٍ قَطُّ، لم يزل اللَّهُ ينقُلُني من الأصلابِ الحَسيبَةِ إلى الأرحامِ الطَّاهرَةِ، صِفَتي مَهديٌّ، لا يَنشعبُ شُعبتانِ إلاَّ كنتُ في خيرهما، قد أخذ اللَّهُ بالنبوَّةِ ميثاقي، وبالإسلامِ عهدي، وبشَّرَ في التَّوراةِ والإنجيلِ ذكري، وبيَّن كلُّ نبيٍّ صفَتي، تُشرقُ الأرضُ بنوري، والغَمامُ لوَجهي، وعلَّمَني كتابَه، روى بي سَحَابَه، وشقَّ لي اسمًا من أسمائه، فذو العرشِ محمودٌ، وأنا محمدٌ، ووعدَني أن يحبُوَني بالحوضِ والكَوثَرِ، وأن يجعَلَني أوَّلَ شافعٍ، وأوَّلَ مشفَّعٍ، ثُمَّ أخرَجني، مِن خيرِ قَرنٍ لأُمَّتي، وهم الحَمَّادُونَ، يأمُرون بالمعروف، وينهَونَ عن المُنكر**».

قال ابنُ عبَّاسٍ: فقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ في النبيِّ ﷺ:

من قبلِها طِبْتَ في الظِّلالِ وفي ... مُستَودَعٍ يَومَ يُخصَفُ الوَرَقُ
ثُم سَكنْتَ البِلادَ لا بَشَرٌ ... أنتَ ولا نُطفَةٌ ولا عَلَقُ
مُطهَّرٌ تركَبُ السَّفينَ وقد ... ألجَمَ نَسرًا وأهلَه الغَرَقُ
تُنتقَلُ مِن أصلُبٍ إلى رَحِمٍ ... إذا مَضَى طَبَقٌ بَدا طَبَقُ

فقال النبيُّ ﷺ: «**يَرحَمُ اللَّهُ حَسَّانَ**» فقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ: وجَبَت الجنَّةُ لحسَّانَ وربِّ الكعبة، ثُم قال الحافظُ ابنُ عساكرَ: هذا حديثٌ غريبٌ جداً. قلت: بل منكرٌ جداً[1].

قال: والمحفوظُ أنَّ هذه الأبيات للعبَّاسِ رضي اللَّهُ عنه، ثُم أوردَها مِن حديثِ أبي السُّكين زكريا ابنِ يحيَى الطَّائيِّ، كما تقدَّم.

قلتُ: ومن النَّاسِ من يزعُمُ أنها للعبَّاسِ بنِ مرداسٍ السُّلميِّ. فاللَّه أعلم.

تنبيهٌ: قال القاضي عياضٌ في كتابه «الشِّفاء»: وأمَّا أحمدُ الذي أتى في الكُتُبِ وبشَّرت به الأنبياءُ، فمنع اللَّهُ بحِكمتِه أن يُسمَّى به أحدٌ غيرُه، ولا يُدعَى به مدعُوٌّ قبلَه، حتى لا يدخُلَ لَبْسٌ على ضعيفِ القلبِ أو شَك، وكذلك محمدٌ لم يُسَمَّ به أحدٌ من العرب ولا غيرهم، إلى أن شاع قبلَ وجودِه وميلادِه، أنَّ نبيًا يُبعثُ اسمُه محمدٌ، فسمَّى قومٌ قليلٌ من العربِ أبناءَهم بذلك رجاءَ أن يكونَ

---

(١) **موضوع**: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٠٨) وابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ٢٨١) بإسناد آخر إلى بن عباس وقال هذا الحديث موضوع وضعه بعض القصاص. وإسناد ابن عساكر فيه سلام بن سليمان المدائني وهو ضعيف كما قال الحافظ في «التقريب» ولم أقف على أبي العباس المكفوف ولعل الوضع منه.

أحدهم هو و﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ وهم؛ محمدُ بنُ أُحيحَةَ بنِ الجُلاحِ الأوسيُّ، ومحمدُ ابنُ مسلَمةَ الأنصاريُّ، ومحمدُ بنُ البَرَاءِ البَكريُّ، ومحمدُ بن سُفيانَ بنِ مُجاشعٍ، ومحمدُ بن حُمرانَ الجُعفيُّ، ومحمدُ بن خُزاعيٍّ السُّلميُّ، لا سابع لهم. ويقالُ: إنَّ أولَ من سُمِّيَ محمداً محمدُ ابن سفيانَ بن مُجاشعٍ، واليمنُ تقولُ: بل محمدُ بنُ اليحمُدِ من الأزدِ. ثم إنَّ اللَّهَ حَمَىٰ كلَّ من تسمَّي به أن يدَّعيَ النُّبوَّةَ أو يدَّعيها له أحدٌ، أو يظهرَ عليه سببٌ يُشكِّكُ أحداً في أمرِه حتى تحقَّقَت السِّمتان له ﷺ، لم يُنازَع فيهما. هذا لفظُه.

بابُ مَولِدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ

وُلِدَ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه، يومَ الإثنينِ، لِمَا رَواه مسلمٌ في «صحيحه» من حديث غَيلانَ بنِ جريرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بن معبدٍ الزِّمَّانيِّ، عن أبي قتادةَ، أنَّ أعرابيًا قال: يا رسولَ اللَّهِ، ما تقولُ في صومِ يومِ الإثنينِ؟ فقال: «ذاك يومٌ وُلِدتُ فيه وأُنزِلَ عليَّ فيه»[1] .

وقال الإمامُ أحمدُ: حدثَّنا موسىٰ بنُ داودَ، حدثنا ابنُ لهيعةَ، عن خالدِ بن أبي عِمرانَ، عن حنشٍ الصَّنعانيِّ، عن ابنِ عباسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الإثنينِ، ، واستُنبئ يومَ الإثنينِ، وخرج مُهاجراً من مكَّةَ إلى المدينةِ يومَ الإثنينِ، وقَدِمَ المدينةَ يومَ الإثنينِ، وتُوفِّيَ يومَ الإثنينِ، ورَفَعَ الحجَرَ الأسودَ يومَ الإثنينِ. تفرَّدَ به أحمدُ، ورواه ابن عفير، وابن بكير، عن ابنِ لهيعةَ، وزاد: ونَزَلَت سورةُ «المائدة» يومَ الإثنينِ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[2] [المائدة: ٣]. وهكذا رواه بعضُهم، عن موسىٰ بن داودَ به، وزادَ أيضاً: وكانت وَقعَةُ بَدرٍ يومَ الإثنينِ. وممَّن قال هذا يزيدُ بنُ أبي حَبيبٍ. وهذا مُنكرٌ جداً.

قال ابن عساكر: والمحفوظُ أن بدراً ونزولَ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ يومُ الجمعةِ. وصدَقَ ابنُ عساكرَ.

ورَوىٰ عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عَمَرَ، عن كُريبٍ، عن ابنِ عباسٍ: وُلِد رسولُ اللَّهِ ﷺ، يومَ الإثنينِ، وتُوفِّيَ يومَ الإثنينِ. وهكذا رُوِي من غيرِ هذا الوجه عن ابن عباسٍ أنَّهُ وُلِدَ يومَ الإثنينِ. وهذا ممَّا لا خلافَ فيه أنه وُلِدَ ﷺ، يومَ الإثنينِ. وأبعدَ بل أخطأَ مَن قال: وُلِدَ يوم الجُمُعةِ، لِسبعَ عشرةَ خَلَت من ربيعٍ الأوَّلِ. نقَلَه الحافظُ ابنُ دِحيَةَ فيما قرأه في كتاب «إعلام الوَرَىٰ بأعلام الهُدَىٰ» لبعض الشِّيعةِ. ثم شرَعَ ابنُ دِحيَةَ في تضعيفه، وهو جديرٌ بالتضعيف؛ إذ هو خلافُ النَّصِّ، ثم الجُمهُورُ على أنَّ ذلك كان في شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ، فقيلَ: لِلَيلَتين خَلَتَا منه. قاله ابنُ عبدِ البَرِّ في «الاستيعاب». ورواه

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١١٦٢، ١٩٧).

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٧/ ٢٣٣) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٧٧) والطبراني في «الكبير» (١٢٩٨٤) من طرق عن عبد اللَّه بن لهيعة وهو ضعيف لكن للحديث شواهد تقوي بعضه فقوله: «ولد رسول اللَّه ﷺ يوم الإثنين واستنبئ يوم الإثنين» يشهد له رواية مسلم في الحديث السابق وقوله: توفي يوم الإثنين يشهد له حديث عائشة عند البخاري (١٣٨٧) وفيه أن أبا بكر قال لها في أي يوم توفي رسول اللَّه ﷺ؟ قالت يوم الإثنين.

الواقديُّ، عن أبي مَعشَر نَجيح بن عبدِ الرَّحمنِ المدنيِّ. وقيل: لثمانٍ خلَونَ منه. حكاه الحُميديُّ، عن ابنِ حزمٍ. ورواه مالكٌ وعقيلٌ ويونسُ بنُ يزيدَ وغيرُهم، عن الزُّهريِّ، عن محمدِ بنِ جُبيرِ بنِ مطعمٍ. ونقَلَ ابنُ عبدِ البرِّ، عن أصحابِ الزِّيجِ أنَّهم صحَّحُوه. وقطَعَ به الحافظُ الكبيرُ محمدُ بنُ موسىَ الخُوارزميُّ، ورجَّحَه الحافظُ أبو الخطَّاب ابنُ دحيَةَ في كتابه «التَّنوير في مولد البشيرِ النَّذيرِ».
وقيل: لعشرٍ خلَونَ منه. نقَله ابنُ دحيَةَ في كتابِه، ورواه ابنُ عَساكرَ عن أبي جعفرٍ البَاقرِ، ورواه مجالدٌ، عن الشَّعبيِّ. وقيلَ: لثِنتَي عشرةَ خلَت منه. نَصَّ عليه ابنُ إسحاقَ. ورواه ابنُ أبي شَيبةَ في «مُصنَّفه»، عن عفَّانَ، عن سعيدِ بنِ مينا، عن جابرٍ وابنِ عبَّاسٍ، أنَّهما قالا: وُلِدَ رسولُ اللَّه ﷺ، عامَ الفيلِ يومَ الإثنينِ الثاني عشَرَ من شهرِ ربيعٍ الأول، وفيه بُعثَ، وفيه عُرِجَ به إلى السَّماء، وفيه هاجرَ، وفيه مَاتَ[1] . وهذا هو المشهورُ عندَ الجمهورِ. واللَّه أعلمُ. وقيل: لسبعَ عشرةَ خلَت منه. كما نقَلَه ابنُ دِحيَةَ عن بعضِ الشِّيعَةِ. وقيل: لثمانٍ بَقِينَ منه. نَقَلَهُ ابنُ دحيَةَ من خَطِّ الوَزيرِ أبي رافعٍ ابن الحافظ أبي محمدِ ابنِ حزمٍ، عن أبيه. والصَّحيحُ عن ابنِ حَزمٍ الأوَّلُ؛ أنَّه لثمانٍ مَضَينَ منه. كما نَقَلَه عنه الحُميديُّ، وهو أثبتُ. والقول الثاني: أنه وُلِدَ في رَمَضَان. نقَلَهُ ابنُ عبدِ البرِّ، عن الزُّبيرِ بنِ بكَّارٍ، وهو قولٌ غريبٌ جداً، وكان مُستندُه أنه عليه الصلاةُ والسلامُ، أوحيَ إليه في رمَضَانَ بلا خلافٍ، وذلك على رأسِ أربعينَ سنةً من عُمُرِه، فيكونُ مَولدُه في رمضَانَ، وهذا فيه نظرٌ. واللَّهُ أعلمُ.

وقد رَوَىٰ خيثَمةُ بنُ سُليمانَ الحَافظُ، عن خَلَفِ بنِ محمدٍ، كُردُوسٍ الوَاسطيِّ، عن المُعلَّىٰ بن عبدِ الرحمنِ، عن عبدِ الحميدِ بن جعفرٍ، عن الزُّهريِّ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبد اللَّهِ، عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّه ﷺ، يومَ الإثنينِ في ربيعِ الأول، وأُنزلَت عليه النُّبوَّةُ يومَ الإثنينِ في أوَّلِ شهرِ ربيعِ الأول، وأُنزلت عليه «البقرة» يومَ الإثنينِ في ربيعِ الأوَّلِ وهاجَرَ إلى المدينة في ربيعِ الأول، وتُوفِّيَ يومَ الإثنينِ في ربيعِ الأول[2] وهذا غريبٌ جداً، رواه ابنُ عَساكرَ.

قال الزبيرُ بنُ بكَّارٍ: حَمَلت به أمُّه في أيَّامِ التَّشريقِ، في شعبِ أبي طالبٍ عندَ الجَمرَةِ الوُسطَىٰ، ووُلِدَ بمكةَ بالدارِ المعروفةِ لمحمَّدِ بنِ يُوسُفَ، أخي الحجَّاجِ بنِ يوسفَ، لثنتي عشرةَ ليلةً خلَت من شهرِ رَمضانَ. ورواه الحافظُ ابنُ عساكرَ من طريقِ محمدِ بنِ عُثمانَ، عن عقبةَ بنِ مكرَمٍ، عن المُسيَّبِ ابن شريكٍ، عن شُعيبِ بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: حُمِلَ رسولُ اللَّه ﷺ، في عاشُوراءِ المُحرَّمِ، ووُلِدَ يومَ الإثنينِ لثنتَي عشرةَ ليلةً خلَت من شهرِ رَمضانَ سنةَ ثلاث وعشرينَ من غزوةِ أصحابِ الفيلِ[3] . وذكر غيرُه أنَّ الخيزُرانَ، وهي أمُّ هارُونَ الرَّشيد، لمَّا حجَّت أمَرَت ببناءِ هذه الدَّارِ مسجداً. فهو يُعرفُ بها اليومَ. وذَكرَ السُّهيليُّ أنَّ مَولِدَه، عليه الصَّلاةُ والسلامُ، كان في العشرينَ من نَيسانَ. وهذا أعدلُ الأزمانِ والفصولِ، وذلك لسنةِ اثنينِ وثمانينَ وثمانمائةٍ لذي القَرنَينِ، فيما ذَكَرَ

---

(١) **منقطع**: لم أقف عليه عند ابن أبي شيبة وما أبرز من رجال إسناده ثقات إلا أن عفان بن مسلم لم يدرك سعيد بن مينا.
(٢) ما أبرز من رجال إسناده فيه المعلى بن عبد الرحمن وهو متهم بالوضع كما قال الحافظ في «التقريب».
(٣) ما أبرز من رجال إسناده فيه المسيب بن شريك وهو ضعيف الحديث متروك انظر «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٩٤).

أصحابُ الزِّيج. وزعموا أنَّ الطَّالعَ كان لعشرينَ دَرَجةً من الجَدي، وكان المُشتَرَىٰ وزُحَلُ مُقترنَينِ في ثلاث دَرَجٍ من العَقرب، وهي دَرَجةُ وَسطَ السَّماء، وكان مُوافقًا من البُروجِ الحَمَلَ، وكان ذلك عند طلوعِ القمرِ أوَّلَ الليلِ. نقله كلَّه ابنُ دِحية. واللَّه أعلمُ.

قال ابن إسحاق: وكان مولدُه عليه الصَّلاة والسَّلامُ، عامَ الفيلِ، وهذا هو المشهورُ عن الجمهورِ.

قال إبراهيمُ بنُ المُنذر الحزاميُّ: وهو الَّذي لا يشُكُّ فيه أحدٌ من عُلمائنا أنَّه عليه الصلاة والسلام، وُلدَ عامَ الفيلِ، وبُعثَ علىٰ رأسِ أربعينَ سنةً من الفيلِ.

وقد رواه البيهقيُّ من حديث أبي إسحاقَ السبيعيِّ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: وُلدَ رسولُ اللَّه ﷺ عامَ الفيلِ[1]. وقال محمدُ بن إسحاقَ: حدثني المطلبُ بن عبد اللَّه بن قيسِ بن مخرمةَ، عن أبيه، عن جدِّه قيسِ بن مخرَمَةَ، قال: وُلدتُ أنا ورسولُ اللَّه ﷺ، عامَ الفيلِ، كنا لِدَيْنِ قال: وسأل عثمانُ رضي الله عنه، قُباثَ بن أشيم، أخا بني يعمُرَ بنِ ليث: أنت أكبرُ أم رسولُ اللَّه ﷺ؟ فقال: رسولُ اللَّه ﷺ، أكبرُ منِّي، وأنا أقدَمُ منه في الميلادِ، ورأيتُ خَذْقَ الفيلِ أخضَرَ مُحيلاً[2]. رواه التِّرمذيُّ والحاكمُ من حديث محمدِ بنِ إسحاقَ به.

قال ابن إسحاق: وكانَ رسولُ اللَّه ﷺ، عامَ عُكَاظِ ابنَ عشرين سنة.

وقال ابنُ إسحاقَ: كانَ الفجارُ بعدَ الفيلِ بعشرينَ سنةً، وكان بناءُ الكعبة بعدَ الفجارِ بخمسَ عشرَةَ سنةً، والمَبعثُ بعد بنائها بخمسِ سنينَ. وقال محمدُ بن جُبيرِ بن مُطعمٍ: كانت عُكاظٌ بعدَ الفيلِ بخمسَ عشرَةَ سنةً، وبناءُ الكعبة بعدَ عُكاظٍ بعشرِ سنينَ، والمبعثُ بعد بنائها بخمسَ عشرَةَ سنةً.

ورَوىٰ الحافظُ البيهقيُّ من حديث عبد العزيز بن أبي ثابت المَدينيِّ، حدثنا الزُّبيرُ بن موسىٰ، عن أبي الحُوَيرثِ، قال: سمعتُ عبدَ الملكِ بنَ مَروانَ يقولُ لقُباثِ بنِ أُشَيمٍ الكنانيِّ، ثُمَّ الليثيِّ: يا قُباثُ، أنتَ أكبرُ أم رسولُ اللَّه ﷺ؟ قال: رسولُ اللَّه ﷺ، أكبرُ منِّي، وأنا أَسَنُّ منه، وُلِدَ رسولُ اللَّه عامَ الفيلِ، ووقَفَت بي أُمِّي علىٰ رَوثِ الفيلِ مُحيلاً أعقلُه، وتُنُبِّئَ رسولُ اللَّه ﷺ، علىٰ رأسِ أربعينَ سنةً[3].

---

(١) **إسناده لين:** أخرجه البيهقي من طريق يونس عن أبي إسحاق به وفيه عنعنة أبي إسحاق السبيعي وضعف يونس وكان أحمد يضعف حديثه عن أبيه انظر «التهذيب» (١١/ ٣٨٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٥) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٣) وابن سعد (١/ ٨١) وللحديث شاهد فيما يلي.

(٢) **حسن بمجموع طرقه:** أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٤١) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٦) والحاكم (٢/ ٦٠٣) والترمذي (٥/ ٥٨٩) والبخاري في «التاريخ» (٧/ ١٤٥) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٨٧٢) من طرق عن محمد بن إسحاق له. وفي إسناده المطلب بن عبد اللَّه لم يرو عنه إلا ابن إسحاق وذكره ابن حبان في «الثقات» وأخرجه ابن سعد (١/ ٨١) عن حكيم بن محمد بن قيس عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة وهذا إسناده حسن فحكيم صدوق وأبوه ثقة. وهذا الحديث حسنه الترمذي فقال: حديث حسن غريب وقال الحاكم: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٣) **إسناده ضعيف جداً:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٧) وأبو نعيم في «الدلائل» (١/ ١٧٨) والحاكم (٣/ ٦٢٥) وفي إسناده أبو الحويرث وهو عبد الرحمن بن معاوية وهو سيِّئ الحفظ كما قال الحافظ في «التقريب» والزبير بن موسىٰ بن مينا روىٰ له جمع وذكره ابن حبان في «الثقات» انظر «التهذيب» (٣/ ٢٧٦) وعبد العزيز هو عمران الزهري المزني الأعرج وهو متروك احترقت كتبه فحدث من حفظه فاشتد غلطه كما قال الحافظ في «التقريب». ومعناه صحيح كما في الحديث السابق ورجح ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٣١١) أن السائل هو مروان بن عبد الملك وليس عثمان بن عفان.

وقال يعقوبُ بنُ سُفيان:حدثنا يَحيَىٰ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بُكَيرٍ، حدثنا نُعيمٌ، يعني ابن ميسرةَ، عن بعضهم، عن سُويدِ بن غفلَةَ أنه قال: أنا لدَةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ وُلدت عامَ الفيلِ (١) .

قال البيهقي:وقد رُوِيَ عن سُويدِ بنِ غفَلَةَ أنَّه قال: أنا أصغرُ من رسولِ اللَّهِ ﷺ، بسنتَين. قال يعقوبُ بن سفيانَ: حدثنا إبراهيمُ بنُ المُنذرِ، حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابتٍ، حدثني عبد الله بن عثمان ابن أبي سليمان النَّوفَليُّ، عن أبيه، عن محمدِ بنِ جُبيرِ بن مطعم، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، عامَ الفيلِ، وكانت بعدَه عُكاظٌ بخَمسَ عشرةَ سنة، وبُنِيَ البيتُ على رأسِ خمسٍ وعشرينَ سنةً من الفيلِ، وتَنَبَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، على رأسِ أربعينَ سنةً من الفيلِ (٢) . والمقصودُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ، وُلدَ عامَ الفيلِ، على قول الجمهورِ. فقيل: بعدَه بشهرٍ، وقيل: بأربعين يوما. وقيل: بخمسين يومًا. وهو أشهر. وعن أبي جَعفرٍ الباقرِ، كان قدومُ الفيلِ للنِّصفِ من المُحرَّم، ومولدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ بعده بخمسٍ وخمسينَ ليلةً. وقال آخرونَ: بل كان عام الفيلِ قبلَ مولدِ رسولِ اللَّه ﷺ، بعشرِ سنينَ. قاله ابنُ أبزَىٰ. وقيل: بثلاثٍ وعشرين سنةً. رواه شعيبُ بنُ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، كما تقدم. وقيل: بعدَ الفيلِ بثلاثينَ سنةً. قاله موسىٰ بنُ عقبةَ، عن الزُّهريِّ، رحمه اللَّهُ. واختاره موسىٰ بنُ عقبةَ أيضًا رحمه اللَّهُ، وقال أبو زكريا العجلانيُّ: بعدَ الفيلِ بأربعين عامًا. رواه ابنُ عَساكرَ. وهذا غريبٌ جدًا، وأغربُ منه ما قال خليفةُ بنُ خيَّاطٍ: حدَّثني شعيبُ بنُ حيَّانَ، عن عبدالواحدِ ابن أبي عمرٍو، عن الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن ابن عباسٍ. قال: وُلِدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، قبلَ الفيلِ بخمسَ عشرةَ سنةً. وهذا حديثٌ غريبٌ ومنكرٌ وضعيفٌ أيضًا. قال خليفةُ بن خيَّاطٍ: والمُجتمعُ عليه أنَّه عليه السلام وُلدَ عامَ الفيلِ.

صفة مولده الشريف، عليه الصلاة والسلام

قد تقدَّم أنَّ عبدَ المطَّلبِ لمَّا ذَبَحَ تلك الإبلَ المائةَ عن ولده عبدِ اللَّهِ، حينَ كان نَذَرَ ذبحَه، فسلَّمه اللَّهُ تعالىٰ؛ لما كان قُدِّرَ في الأزلِ من ظهورِ النبيِّ الأميِّ ﷺ، خاتَمِ الرُّسلِ وسيدِ ولدِ آدمَ من صُلبِه، فذهبَ كما تقدَّم، فزوَّجه أشرفَ عقيلةٍ في قريشٍ؛ آمنةَ بنتَ وهبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ الزُّهريَّةَ، فحينَ دخلَ بها وأفضَىٰ إليها حَمَلَت برسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد كانت أمُّ قَتَّالٍ رُقَيقةُ بنتُ نوفلٍ أختُ وَرَقَةَ بن نوفلٍ، توسَّمت ما كان بينَ عَينَي عبدِ اللَّه، قبلَ أن يُجامعَ آمنةَ من النُّورِ، فودَّت أن يكونَ ذلك مُتَّصلاً بها؛ لما كانت تَسمَعُ من أخيها من البِشارات بوجودِ محمدٍ ﷺ، وأنَّه قد أزِفَ زمانُه؛ فعرَضت نفسَها عليه. قال بعضُهم: ليتَزَوَّجَها. وهو أظهرُ، واللَّه أعلم، فامتَنع عليها، فلمَّا انتقَلَ ذلك النُّورُ الباهرُ إلىٰ آمنةَ بمواقعته إيَّاها. كأنَّه تندَّم علىٰ ما كانت عرَضَتْ عليه، فتعرَّض لها لتُعاوِدَه، فقالت: لا حاجةَ لي فيكَ. وتأسَّفَت علىٰ ما فاتها من ذلك، وأنشَدَت في ذلك ما قدَّمناه من الشِّعرِ الفصيحِ البَليغ. وهذه الصِّيانةُ لعبدِ اللَّهِ ليست له، وإنَّما هي لرسولِ اللَّهِ ﷺ فإنَّه كما قال

---

(١) **إسناده ضعيف**:لقول نعيم بن ميسرة «عن بعضهم» ولم يسمهم.

(٢) **إسناده ضعيف**:لضعف عبد العزيز بن أبي ثابت فهو متروك كما سبق.

تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، وقد تقدم الحديثُ المرويُّ من طريقٍ جيِّدٍ أنَّه قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «وُلِدتُ من نكاحٍ لا من سِفَاحٍ»[١]. والمقصودُ أنَّ أمَّه حينَ حمَلت به تُوُفِّيَ أبوه عبدُ اللَّه، وهو حَملٌ في بَطنِ أمِّه، على المشهورِ. قال محمدُ بن سعدٍ: حدَّثنا محمدُ بن عمرَ، هو الواقديُّ، حدثنا موسى ابن عُبيدَةَ الرَّبَذي، عن محمدِ بن كعبٍ، وحدثنا سعيدُ بن أبي زيدٍ، عن أيُّوبَ بنِ عبدِ الرَّحمنِ بنِ أبي صعصعَةَ، قالا: خرج عبدُ اللَّه بنُ عبدِ المُطَّلبِ إلى الشَّام إلى غزَّةَ، في عيرٍ من عيراتِ قُريشٍ، يحملُونَ تجاراتٍ، ففرَغوا من تجاراتِهم، ثُمَّ انصرَفوا فمرُّوا بالمدينة، وعبدُ اللَّه ابنُ عبدِ المُطلبِ يومئذٍ مريضٌ، فقال: أتخلَّفُ عندَ أخوالي بني عَديِّ بن النَّجَّارِ. فأقَام عندَهم مَريضاً شَهراً، ومضى أصحابُهُ فقدمُوا مكَّةَ؛ فسألهم عبدُ المُطلبِ عن ابنِه عبدِ اللَّه، فقالوا: خلَّفناه عندَ أخواله بني عَديِّ بنِ النَّجارِ، وهو مريضٌ. فبعَث إليه عَبدُ المطلب أكبرَ ولده الحارثَ، فوجَده قد تُوُفِّي ودُفِنَ في دارِ النَّابغَة، فرجَعَ إلى أبيه فأخبرَه، فوجَدَ عليه عبدُ المُطَّلبِ وإخوتُه وأخَواتُه وَجداً شديداً، ورسولُ اللَّه ﷺ، يومئذٍ حَملٌ، ولعَبدِ اللَّه بن عبدِ المُطَّلبِ يومَ تُوفِّيَ خمسٌ وعشرون سنةً[٢].

قال الواقديُّ: هذا هو أثبتُ الأقاويلِ في وفاة عبدِ اللَّه وسنِّه عندَنا.

قال الواقديُّ: وحدثني معمرٌ، عن الزُّهريِّ أنَّ عبدَ المُطَّلبِ بعَث عبدَ اللَّه إلى المدينة يمتارُ لهم تمراً، فماتَ[٣]. قال محمَّدُ بن سعدٍ: وقد أنبأنا هشامُ بنُ محمدِ بن السَّائبِ الكلبيُّ عن أبيه، وعن عوانَةَ ابنِ الحكَمِ، قالا: تُوُفِّيَ عبدُ اللَّه بنُ عبدِ المُطَّلبِ بعدَما أتى على رسولِ اللَّه ﷺ ثمانيةٌ وعشرُونَ شهراً[٤]، ويُقالُ: سبعةُ أشهرٍ. وقال محمَّدُ بن سعدٍ: والأوَّلُ أثبتُ؛ أنَّه تُوُفِّيَ ورسولُ اللَّه ﷺ حَمْلٌ. وقال الزُّبيرُ بنُ بكَّارٍ: حدثني محمدُ بنُ حسنٍ عن عبدِ السلام، عن ابنِ خَرَّبُوذَ، قال: تُوُفِّيَ عبدُ اللَّه بالمدينة، ورسولُ اللَّه ﷺ ابنُ شهرين، وماتت أُمُّه وهو ابنُ أربعِ سنينَ، وماتَ جَدُّه وهو ابنُ ثمانِ سنينَ، فأوصى به إلى عمِّه أبي طالبٍ. والذي رَجَّحَه الواقديُّ وكاتبُه الحافظُ محمدُ بن سعدٍ، أنه عليه الصَّلاةُ والسلامُ، تُوُفِّيَ أبوه وهو جَنينٌ في بَطنِ أمِّه. وهذا أبلَغُ اليُتمِ وأعلى مراتبِه. وقد تقدَّم في الحديث: «**ورُؤيَا أُمِّي التي رأتْ حينَ حَمَلت بي كأنَّه خرجَ منها نُورٌ أضاءَت له قصورُ الشَّامِ**»[٥]. وقال محمدُ بن إسحاقَ: فكانت آمِنَةُ بنت وَهبٍ أمُّ رسولِ اللَّه ﷺ تُحدِّثُ أنَّها أُتيَتْ حينَ حَمَلَت برسولِ اللَّه ﷺ، فقيلَ لها: إنَّكِ قد حَمَلَت بسيِّدِ هذه الأُمَّة، فإذا وقَعَ إلى الارضِ، فقولي: أعيذُه بالواحدِ. من شرِّ كُلِّ حاسدٍ، في كُلِّ بَرٍّ عامدٍ، وكُلِّ عبدٍ رائدٍ، نُزُولٍ غيرِ زائدٍ، فإنَّه عبدُ الحميدِ الماجدِ، حتَّى أراه قد أتَى المشاهدَ. وآيَةُ ذلك أنَّه يَخرُجُ معه نورٌ يملأُ قُصُورَ بُصرَى من أرضِ الشَّامِ، فإذا وقَع فسمِّيه مُحمَّداً؛ فإنَّ اسمَهُ في التَّوراة أحمَدُ؛ يحمدُه أهلُ السماءِ وأهلُ الأرضِ، واسمُه في الإنجيلِ أحمدُ؛ يحمَدُه أهلُ السَّماءِ وأهلُ الأرضِ، واسمُه في القرآنِ محمدٌ. وهذا وذاك

---

(١) تقدم في بدء كتاب السيرة. (٢) **إسناد منقطع:** وفي رجال إسناده ضعفاء.

(٣) **إسناد ضعيف:** فيه الواقدي أخرجه ابن سعد في «الطبقات».

(٤) **إسناده ضعيف:** فيه محمد بن السائب الكلبي «رافضي متهم بالكذب».

(٥) تقدم وسيأتي إن شاء اللَّه مسنداً.

يقتضي أنها رأت حين حملت به عليه السلام، كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، ثم لما وضعته رأت عيانًا تأويل ذلك، كما رأته قبل ذلك في المنام. والله أعلم.

وقال محمد بن سعد: أنبأنا محمد بن عمر، هو الواقدي، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم، عن الزهري. قال الواقدي: وحدثنا موسى بن عبيدة، عن أخيه، ومحمد بن كعب القرظي. ح وحدثني عبدالله بن جعفر الزهري، عن عمته أم بكر بنت المسور عن أبيها. ح وحدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم المدني، وزياد بن حشرج، عن أبي وجزة. ح وحدثنا معمر، عن ابن نجيح، عن مجاهد. ح وحدثنا طلحة بن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس - دخل حديث بعضهم في حديث بعض - أن آمنة بنت وهب قالت: لقد علقت به - تعني رسول الله ﷺ - فما وجدت له مشقة حتى وضعته، فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب، ثم وقع إلى الأرض معتمدًا على يديه، ثم أخذ قبضة من التراب، فقبضها ورفع رأسه إلى السماء. وقال بعضهم: وقع جاثيًا على ركبتيه، وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها، حتى رأيت أعناق الإبل ببصرى، رافعًا رأسه إلى السماء[1].

وقال الحافظ أبو بكر البيهقي: أنبأنا محمد بن عبد الله الحافظ، أنبأنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا محمد بن إسحاق، حدثنا أبو بشر مبشر بن الحسن، حدثنا يعقوب بن محمد الزهري، حدثنا عبدالعزيز بن عمران، حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن ابن أبي سويد الثقفي، عن عثمان بن أبي العاص، حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله ﷺ ليلة ولدته، قالت: فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور، وأني أنظر إلى النجوم تدنو، حتى إني لأقول: ليقعن علي[2]. وذكر القاضي عياض، عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف، أنها كانت قابلته، وأنها أخبرت به حين سقط على يديها واستهل، سمعت قائلاً يقول: يرحمك الله، وأنه سطع منه نور رئيت منه قصور الروم.

قال محمد بن إسحاق: فلما وضعته بعثت إلى عبد المطلب جاريتها - وقد هلك أبوه، وهي حبلى - ويقال: إن عبد الله هلك، والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهرًا. فالله أعلم أي ذلك كان - فقالت: ولد لك الليلة غلام، فانظر إليه. فلما جاءها أخبرته وحدثته بما كانت رأت حين حملت به، وما قيل لها فيه، وما أمرت أن تسميه، فأخذه عبد المطلب فأدخله على هبل في جوف الكعبة، فقام عبدالمطلب يدعو ويشكر الله عز وجل، ويقول:

الحمد لله الذي أعطاني ... هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد في المهد على الغلمان ... أعيذه بالله ذي الأركان
حتى يكون بلغة الفتيان ... حتى أراه بالغ البنيان
أعيذه من كل ذي شنآن ... من حاسد مضطرب العنان

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد (١/ ٨١).

(٢) ضعيف: فيه عبد العزيز بن عمران متروك أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١١٠) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٠) رواه الطبراني.

أنتَ الذي سُمِّيتَ في الفُرقانِ ... في كُتُبٍ ثابتةِ المَثاني

أحمدَ مكتوبًا على اللسانِ

وقال البيهقيُّ: أنبأنا أبو عبد اللَّه الحافظُ، أنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ حاتمٍ الدَّارَبجرديُّ، بِمَروٍ، حدثنا أبو عبد اللَّه البُوشَنَجيُّ، حدثنا أبو أيوبَ سليمانُ بنُ سلمَةَ الخَبائريُّ، حدثنا يونس بن عطاءٍ، عن عثمانَ بنِ ربيعةَ بنِ زيادِ بنِ الحارثِ الصُّدائيِّ، بمصرَ، حدثنا الحكمُ بن أبانٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، عن أبيه العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ رَضِيَ اللَّه عنه، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّه ﷺ مَختونًا مَسرورًا. قال: فأعجبَ جَدَّهُ عبدَ المطلبِ، وحظِيَ عندَه. وقال: لَيَكُونَنَّ لابني هذا شأنٌ. فكان له شأنٌ[1]. وهذا الحديثُ في صحَّته نظرٌ. وقد رواه الحافظ ابنُ عساكر من حديث سُفيانَ بن محمدٍ المصِّيصيِّ، عن هُشيمٍ، عن يونُسَ بنِ عُبيدٍ، عن الحسنِ، عن أنسٍ، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من كرامتي على اللَّه أنِّي ولدتُ مَختونًا ولم يَرَ سَوأتي أحدٌ**»، ثم أوردَه من طريق الحسنِ بن عرفةَ، عن هُشيمٍ به[2]، ثم أورده من طريقِ محمدِ بن محمدِ بن سليمانَ، هو الباغَنديُّ، حدثنا عبدُالرحمن بنُ أيوبَ الحمصيُّ، حدثنا موسى بن أبي موسى المَقدِسيُّ، حدثني خالدُ بن سلمةَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمر، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّه ﷺ مسرورًا مختونًا[3].

وقال أبو نعيم: حدَّثنا أبو أحمدَ محمدُ بن أحمدَ الغطريفيُّ، حدثنا الحسينُ بن أحمدَ بن عبداللَّه المالكيُّ، حدثنا سليمانُ بنُ سلمةَ الخَبائريُّ، حدثنا يونسُ بنُ عطاءٍ، حدَّثنا الحكمُ بن أبانٍ، حدَّثنا عكرمةُ، عن ابنِ عبَّاسٍ، عن أبيه العبَّاسِ، قال: وُلِدَ رسولُ اللَّه ﷺ مَختونًا مسرورًا، فأعجَبَ ذلك جدَّه عبد المطَّلبِ، وحَظِيَ عندَه، وقال: ليكونَنَّ لابني هذا شأنٌ. فكان له شأنٌ[4]. وقد ادَّعى بعضُهم صحَّتَه؛ لمَا ورد له من الطُرقِ، حتى زعَم بعضهم أنَّه مُتواترٌ، وفي هذا كلِّه نظرٌ. ومعنى مختونًا؛ أي: مقطوعَ الختانِ. ومسرورًا؛ أي: مقطوعَ السُّرَّةِ من بَطنِ أمِّه.

وقد روى الحافظُ ابنُ عساكرَ من طريقِ عبدِ الرَّحمنِ بن عُيينَةَ البصريِّ، حدثنا عليُّ بنُ محمدٍ المَدائنيُّ السُّلميُّ، حدَّثنا سلمةُ بن مُحاربِ بنِ سلمِ بنِ زيادٍ، عن أبيه، عن أبي بَكرَةَ: أنَّ جبريلَ ختَنَ النَّبيَّ ﷺ حينَ طَهَّر قلبَه[5]. وهذا غريبٌ جدًا. وقد رُوِيَ أنَّ جدَّه عبدَ المُطَّلبِ ختَنَه، وعَمِلَ له دعوةً جَمع قُريشًا عليها. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) **إسناده ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١١٤) وفيه أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائري متروك والحكم بن أبان لا يقبل تفرده.

(٢) **إسناده ضعيف**: هشيم بن بشير مدلس وقد عنعن والحسن مدلس وقد عنعن أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤١٣) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٤) رواه الطبراني في «الصغير» و«الأوسط» وفيه سفيان بن الفزاري وهو متهم به.

(٣) ما أبرز من إسناده فيه خالد بن سلمة هو الفأفأ وهو حسن الحديث ونافع ثقة وبقية رجال الإسناد لم أقف عليهم.

(٤) **إسناده ضعيف**: تقدم الكلام عليه وفيه الخبائري وهو متروك.

(٥) **إسناد ضعيف**: أخرجه ابن عساكر وأبو نعيم في «الدلائل» (٩٣) والطبراني في «الأوسط» (٥٨١٧). والحديث في إسناده مجاهيل قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٤) «فيه عبد الرحمن بن عيينة ومسلمة بن محارب ولم أعرفهما وبقية رجاله ثقات».

وقال البيهقيُّ: أنبأنا أبو عبد اللَّه الحافظُ، أنبأني أحمدُ بنُ كاملٍ القاضي شفاهًا، أنَّ محمدَ بنَ إسماعيلَ حدَّثه، يعني السُّلَميَّ، حدَّثنا أبو صالحٍ عبدُ اللَّه بنُ صالحٍ، حدَّثني مُعاويةُ بن صالحٍ، عن أبي الحكَمِ التَّنوخيِّ قال: كان المولودُ إذا وُلِدَ في قريشٍ دفعوه إلى نسوةٍ من قريشٍ إلى الصُّبحِ، يكفأنَ عليه بُرمةً، فلمّا وُلدَ رسولُ اللَّه ﷺ، دفَعه عبدُ المطَّلبِ إلى نسوةٍ فكفَأنَ عليه بُرمَةً، فلمَّا أصبَحن أتَينَ، فوَجَدنَ البُرمَةَ قد انفلَقَت عنه باثنتَينِ، ووجَدنَه مفتوحَ العينين، شاخصًا ببَصَرِه إلى السَّماء، فأتاهُنَّ عبدُ المطلبِ، فقُلنَ له: ما رأَينا مولودًا مثلَه؛ وجَدناه قد انفلَقَت عنه البُرمَةُ، ووجَدناه مفتوحًا عَيناه شاخصًا ببَصَرِه إلى السَّماء. فقال: احفَظنَه؛ فإنِّي أرجو أن يكونَ له شأنٌ، أو أن يُصيبَ خيرًا. فلمَّا كان اليومُ السابعُ، ذَبَح عنه ودعا له قُرَيشًا، فلمَّا أكلوا، قالوا: يا عبدَ المُطلبِ، أرأيتَ ابنَك هذا الذي أكرمتَنا على وجهه، ما سمَّيتَه؟ قال: سمَّيتُه محمدًا. قالوا: فَلِمَ رَغِبتَ به عن أسماء أهلِ بيته؟ قال: أردتُ أن يحمَدَه اللَّهُ في السَّماءِ وخلقُه في الأرضِ[1]. قال أهل اللُّغةِ: كلُّ جامعٍ لصفاتِ الخيرِ يُسمَّى محمدًا، كما قال بعضهم:

إليك - أبيتَ اللَّعنَ - أعمَلتُ ناقتي ... إلى الماجدِ القَرْمِ الكريمِ المُحمَّدِ

قال بعضُ العلماء: ألهمهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ، أن سَمَّوه محمدًا؛ لما فيه من الصِّفاتِ الحميدة، ليَلتَقيَ الاسمُ والفعلُ، ويتطابَقَ الاسمُ والمُسمَّى، في الصُّورةِ والمعنى؛ كما قال عمُّه أبو طالبٍ، ويُروى لحسَّانَ:

وشَقَّ له من اسمه ليُجِلَّه ... فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

وسَنَذكُرُ أسماءَه عليه الصلاةُ والسلامُ، وشمائلَه، وهي صفاتُه الظَّاهرةُ، وأخلاقُه الطاهرةُ، ودلائلَ نُبوته، وفضائلَ مَنزلَته، في آخرِ السِّيرةِ إن شاءَ اللَّه.

قال الحافظُ أبو بكر البَيهَقيِ: أنبَأنا أبو عبد اللَّه الحافظُ، حدَّثنا أبو العبَّاسِ محمدُ بنُ يعقوبَ، حدثنا أحمدُ بنُ شَيبانَ الرمليُّ، حدثنا أحمدُ بنُ إبراهيمَ الحلَبيُّ، حدَّثنا الهَيثَمُ بنُ جميلٍ، حدَّثنا زُهَيرٌ، عن مُحاربِ بنِ دثارٍ، عن عمرِو بن يَثربيٍّ، عن العبَّاسِ بن عبد المطَّلب، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، دَعاني إلى الدُّخولِ في دينك أمارةٌ لنُبُوَّتك، رأيتُك في المهدِ تُناغي القمرَ، وتُشيرُ إليه بإصبُعِكَ، فحيثُ أشرتَ إليه مالَ. قال: «**إنِّي كنتُ أُحدِّثُه، ويُحدِّثُني، ويُلهيني عن البُكاءِ، وأسمعُ وَجبَتَه حينَ يَسجُدُ تحتَ العرشِ**»[2]. ثُم قال: تفرَّد به الحلبيُّ، وهو مجهولٌ.

* * *

(١) **مرسل**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١١٣٨) وأخرجه ابن سعد (١/ ٨٢) عن عكرمة مرسلاً وأخرجه أبو نعيم (١/ ١٧٢) عن ابن أبي هند مرسلاً.

(٢) **إسناده ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٤١) وضعف الإسناد لجهالة الحلبي كما قال البيهقي رحمه اللَّه وانظر «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٠).

فصلٌ
فيما وقع من الآيات
ليلةَ مولده، عليه الصلاة والسلامُ

قد ذَكرنا في باب هَواتفِ الجانِّ، ما تقدَّم من خُرورِ كثيرٍ من الأصنامِ لِيَلتَئذٍ لوجوهها، وسقوطِها عن أماكنِها، وما رآه النَّجاشيُّ مَلكُ الحَبَشَةِ، وظهورِ النُّورِ معه حتى أضاءت له قصورُ الشامِ حينَ وُلِدَ، وما كان من سقوطِه جاثيًا رافعًا رأسَه إلى السَّماءِ، وانفلاقِ تلك البُرمَةِ عن وجهِه الكريمِ، وما شُوهِدَ من النُّورِ في المَنزلِ الذي وُلِدَ فيه، ودُنُوِّ النُّجومِ منهم وغيرِ ذلك.

حكى السُّهَيليُّ عن «تفسير» بَقِيِّ بن مَخلَدٍ الحافظ: أنَّ إبليسَ رَنَّ أربعَ رنَّاتٍ؛ حينَ لُعِنَ، وحينَ أُهبِطَ، وحينَ وُلِدَ رسولُ اللَّه ﷺ، وحينَ أُنزِلت الفاتحةُ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ: وكان هشامُ بنُ عروةَ يُحدِّثُ، عن أبيه، عن عائشةَ، قالت: كان يَهوديٌّ قد سكَن مكَّةَ يتَّجرُ بها، فلمّا كانت الليلةُ التي وُلِدَ فيها رسولُ اللَّه ﷺ، قال في مَجلسٍ من قُريشٍ: يا معشَرَ قريشٍ، هل وُلِدَ فيكم الليلةَ مولودٌ؟ فقال القومُ: واللَّه ما نَعلَمُه. فقال: اللَّهُ أكبرُ، أمَا إذا أخطأكم فلا بأسَ، انظُروا واحفَظوا ما أقولُ لكم: وُلِد هذه الليلةَ نبيُّ هذه الأُمَّةِ الأخيرةِ، بينَ كَتفيه علامةٌ فيها شعَراتٌ متواتراتٌ كأنَّهنَّ عُرفُ فَرَسٍ، لا يَرضَعُ ليلتَين، وذلك أنَّ عِفريتًا من الجنِّ أدخَلَ أُصبُعَه في فَمِه، فمنَعه الرَّضاعَ، فتصدَّع القومُ من مجلسِهم، وهم يتعجَّبون من قَولِه وحديثِه، فلما صاروا إلى مَنازلِهم، أخبرَ كلُّ إنسانٍ منهم أهلَه. فقالوا: قد وُلِدَ لعبدِ اللَّه ابنِ عبدِ المطَّلبِ غلامٌ سمَّوه محمدًا. فالتقى القومُ، فقالوا: هل سَمِعتُم حديثَ اليهوديِّ؟ وهل بلَغكم مولدُ هذا الغلامِ؟ فانطلَقوا حتى جاءوا اليهوديَّ، فأخبَروه الخبرَ. قال: فاذهبوا معي حتى أنظُرَ إليه. فخرَجوا به حتى أدخَلوه على آمنَةَ، فقال: أخرِجي إلينا ابنَك. فأخرَجته، وكَشَفوا له عن ظَهرِه، فرأى تلك الشَّامةَ، فوقَع اليهوديُّ مُغشيًا عليه، فلما أفاق، قالوا له: ما لك؟ وَيلك! قال: ذهَبت واللَّه النُّبوَّةُ من بني إسرائيلَ، أفَرِحتُم به يا معشرَ قريشٍ؟ أمَا واللَّه لَيَسطُون بكم سَطوَةً، يَخرُجُ خبرُها من المشرقِ والمغربِ[1].

وقال محمدُ بنُ إسحاق: حدَّثني صالحُ بنُ إبراهيمَ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرَّحمن بن أسعَدَ بن زُرارةَ، قال: حدَّثني مَن شئت من رجالِ قَومي ممَّن لا أتَّهِمُ، عن حسّانَ بنِ ثابتٍ، قال: إنِّي لَغُلامٌ يَفَعَةٌ ابنُ سبعِ سنينَ، أو ثمانِ سنينَ، أَعقِلُ ما رأيتُ وسَمِعتُ، إذ بيهوديٍّ بيَثرِبَ يَصرُخُ ذات غداةٍ يا معشرَ يهودَ. فاجتمَعوا إليه، وأنا أسمعُ، فقالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلَع نجمُ أحمدَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٠٨) وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٢٦) من طريق هشام به ومحمد بن إسحاق مدلس ولم يصرح هنا بالسماع والحديث حسن بمجموع طرقه ومنها الطريق الآتي.

الذي يُولَدُ به في هذه الليلة[١] .

وروىٰ الحافظُ أبو نُعيم في كتاب «دلائل النُّبوَّة» من حديث أبي بكر بن عبد اللَّه العامريِّ، عن سليمانَ بن سُحَيم ورُبَيح بن عبد الرحمن، كلاهما عن عبد الرَّحمن بن أبي سعيد، عن أبيه، قال: سَمِعتُ أبي مالكَ بنَ سنانٍ يقولُ: جئتُ بني عبد الأشهَل يومًا لأتَحدَّثَ فيهم، ونحنُ يومئذٍ في هُدنَةٍ مِن الحرب، فسمعتُ يُوشَعَ اليهوديَّ يقول: أظَلَّ خروجُ نبيٍّ يقالُ له: أحمدُ. يخرجُ من الحَرَم. فقال له خليفةُ بنُ ثَعلَبَةَ الأشهليُّ، كالمُستَهزئ به: ما صفَتُه: فقال: رجلٌ ليس بالقَصير ولا بالطَّويل، في عينَيه حُمرةٌ، يَلبَسُ الشَّملَةَ، ويركَبُ الحمارَ، سَيفُه على عاتقه، وهذا البلدُ مُهاجَرُه. قال: فرَجَعتُ إلى قَومي بني خُدرَةَ، وأنا يومئذٍ أتعجَّبُ مما قال يُوشَعُ، فأسمعُ رَجلاً منّا يقولُ: ويوشَعُ يقولُ هذا وحدَه؟ كلُّ يهود يَثربَ يقولون هذا. قال أبي: مالكُ بنُ سنانٍ: فخرَجتُ حتى جئتُ بني قُرَيظَةَ فأجدُ جَمعًا، فتذاكَروا النبيَّ ﷺ، فقال الزُّبيرُ بنُ باطا: قد طلَع الكَوكبُ الأحمرُ الذي لَم يَطلُعْ إلاَّ لخروج نبيٍّ وظهوره، ولم يَبقَ أحدٌ إلاَّ أحمَدُ، وهذا مُهاجرُه.

قال أبو سعيد: فلمَّا قدمَ النَّبيُّ ﷺ، أخبَره أبي هذ الخبرَ، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«لو أسلمَ الزُّبيرُ وذَوُوه من رؤَساء اليهود، إنَّما هُم له تَبَعٌ»**[٢] .

وقال أبو نُعَيم: حدَّثنا عمرُ بنُ محمد، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ السِّنديِّ، حدَّثنا النَّضرُ بنُ سَلَمَةَ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ قَيس بن سُلَيمانَ بن زيد بن ثابت، عن أُمِّ سعد بنت سعد بن الرَّبيع، سَمِعتُ زَيدَ بنَ ثابتٍ، يَقُولُ: كان أحبارُ يهود بني قُريظَةَ والنَّضير يَذكُرونَ صفَةَ النَّبيِّ ﷺ، فلمَّا طَلَعَ الكوكبُ الأحمرُ أخبروا أنه نبيٌّ، وأنه لا نبيَّ بعده، واسمُه أحمد، ومُهاجَرُه إلى يثربَ، فلمَّا قَدمَ رسول اللَّه ﷺ، المدينةَ أنكرُوا وحَسَدُوا وكَفَروا .

وقد أوردَ هذه القصَّةَ الحافظُ أبو نُعيم في كتابه من طُرُق أخرىٰ. وللَّه الحمدُ.

وقال أبو نـعيم: حدثنا أبو محمد بن حيَّان، حدثنا أبو بكر بن أبي عاصم، حدثنا وهبُ بنُ بقيَّة، حدثنا خالدٌ، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلَمَةَ ويحيىٰ بن عبد الرَّحمن بن حاطب، عن أُسامَةَ بن زيد، قال: قال زيدُ بن عمرو بن نُفَيل: قال لي حبرٌ من أحبار الشّام: قد خرج في بلدك نبيٌّ، أو هو خارجٌ، قد خرَجَ نَجمُه فارجع فصدِّقه واتَّبِعه[٣] .

---

(١) **حسـن بمجموع طـرقه**: أخرجه ابن هشام (١/ ١٦٥) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٠٩) وأبو نعيم في «الدلائل» (٣٥) وجهالة الرواة عن حسان بن ثابت قد تضعف الإسناد لكن الحديث له شواهد تقويه إلىٰ مصاف القبول منها ما سبق وسيأتي له شواهد أخر إن شاء اللَّه تعالىٰ.

(٢) **إسناده تالف**: أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (١/ ٩٢) فيه أبو بكر بن أبي سبرة وهو متهم بالوضع.

(٣) **إسناده حسن**: عزاه المصنف لأبي نعيم ولم أجده في «الدلائل» ورجاله كلهم ثقات إلا محمد بن عمرو فهو صدوق.

ذِكْرُ ارْتِجاسِ إيوانِ كِسرىٰ وَسُقوطِ الشُّرُفاتِ، وخمودِ النيرانِ، ورُؤيا الموبذانِ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الدَّلالاتِ

قال الحافظُ أبو بَكْرٍ محمدُ بنُ جعفرِ بنِ سَهلٍ الخَرائطيُّ في كتاب «هَوَاتف الجَانِّ»: حدَّثنا عليُّ بنُ حربٍ، حدَّثنا أَبو أيُّوبَ يعلىٰ بنُ عِمرانَ ـ مِن آلِ جَريرِ بنِ عبدِ اللَّهِ البَجَلِيِّ ـ حدَّثني مَخزُومُ ابنُ هانئٍ المَخزُوميُّ، عن أبيه ـ وأتتْ عليه خمسون ومائةُ سَنَةٍ ـ قال: لَمّا كانت الليلةُ التي وُلِدَ فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، ارتَجَسَ إيوانُ كِسرىٰ، وسقَطتْ منه أربعَ عشرَةَ شُرفةً، وخَمَدَت نارُ فارِسَ، ولم تخمُدْ قبلَ ذلك بألفِ عامٍ، وغاضَت بُحَيرةُ سَاوَةَ، ورأىٰ المُوبِذَانُ إبلاً صِعابًا تقُودُ خيلاً عِرابًا قد قطَعَتْ دِجلَةَ وانتشَرَت في بلادِها، فلمّا أصبحَ كِسرىٰ أفزَعَهُ ذلك، فتَصبَّرَ عليه تشجُّعًا، ثُمّ رأىٰ أنه لا يدَّخِرُ ذلك عن مَرازِبَتِه، فجمَعَهُم ولَبِسَ تاجَه وجلَس علىٰ سَريرِه، ثُم بَعثَ إليهم، فلمَّا اجتَمَعُوا عندَه، قال: أتدرُونَ فيم بَعثتُ إليكُم؟ قالوا: لا إلاَّ أن يُخبرَنا الملكُ. فَبَينَما هم كذلك إذ ورَد عليهم كتابٌ بخُمودِ النِّيرانِ، فازدادَ غمًّا إلىٰ غمِّه، ثم أخبرَهُم بما رأىٰ، وما هالَه، فقال المُوبذَانُ: وأنا ـ أصلَحَ اللَّهُ الملكَ ـ قد رأيتُ في هذه الليلةِ رُؤيَا، ثُمَّ قصَّ رُؤياه في الإبلِ، فقال: أيُّ شيءٍ يكونُ هذا يا مُوبِذَانُ؟ قال: حَدَثٌ يكونُ في ناحيةِ العرَبِ. وكان أعلَمَهُم مِن أنفُسِهم. فكتَب عندَ ذلك: مِن كِسرَىٰ ملكِ الملوكِ إلىٰ النُّعمانِ بنِ المُنذرِ؛ أمَّا بعدُ: فوجِّه إليَّ برجلٍ عالمٍ بما أريدُ أن أسألَه عنه، فوجَّه إليه بعَبدِ المسيحِ بنِ عمرِو بن حيَّانَ بنِ بُقَيلَةَ الغسَّانيِّ، فلمَّا ورَد عليه قال له: ألك علمٌ بما أُريدُ أن أسألَكَ عنه؟ فقال: لِيُخبِرني أو لِيَسألني المَلكُ عمّا أحبَّ، فإن كانَ عندي منه علمٌ أخبَرتُه وإلاَّ أخبرتُه بمن يعلَمُ. فأخبرَه بالذي وَجَّهَ به إليه فيه: قال: عِلمُ ذلك عِندَ خَالٍ لي يَسكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ يُقالُ لَهُ: سَطِيحٌ. قال: فائتِه فاسأله عمَّا سألتُك عنه، ثُم ائتِني بتفسيرِه. فخرَج عبدُ المسيحِ حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ سَطِيحٍ، وقد أشفَىٰ علىٰ الضَّريحِ، فسلَّم عليه وكلَّمه، فلم يَرُدَّ إليه سَطِيحٌ جوابًا، فأنشأ يقولُ:

أَصُمٌّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ اليَمَنْ ... أم فادَ فازْلَمَّ به شَأْوُ العَنَنْ
يا فاصِلَ الخُطّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ ... وكاشفَ الكُربَةِ عن وَجْهِ غَضِنْ
أتاكَ شَيخُ الحَيِّ مِن آلِ سَنَنْ ... وأُمُّه مِن آلِ ذِئبِ بنِ حَجَنْ
أَزْرَقُ بَهْمُ النّابِ صَرّارُ الأُذُنْ ... أَبيضُ فَضْفَاضُ الرِّداءِ والبَدَنْ
رسولُ قَيْلِ العُجْمِ يَسْرِي للوَسَنْ ... لا يَرْهَبُ الرَّعْدَ ولا رَيْبَ الزَّمَنْ
تجوبُ بي الأرضَ عَلَنْداةٌ شَزَنْ ... تَرفَعُني وَجْنًا وتَهوِي بي وَجَنْ
حتى أتى عاري الجَآجِي والقَطَنْ ... تَلُفُّه في الريحِ بَوْغاءُ الدِّمَنْ

كأنّما حُثْحِثَ مِن حِضْنَيْ ثَكَنْ

قال: فلمّا سَمعَ سَطيحٌ شعرَهُ رفَع رأسَهَ يقولُ: عبدُ المسيح، على جَمَلٍ مُشيحْ، إلى سَطيحْ، وقد أوفَى على الضَّريحْ، بعثَكَ مَلِكُ بني سَاسَانْ، لارتجاس الإيوان، وخُمُود النِّيرانْ، ورُؤيا المُوبذان، رأَىٰ إبلاً صعَابًا، تقُودُ خَيلاً عرابًا، قد قطَعتْ دجلَةَ وانتشَرَت في بلادها، يا عَبدَ المسيح، إذ كَثُرَت التِّلاوَة، وظَهَرَ صَاحبُ الهرَاوَة، وفاض وادي السَّماوة، وغاضت بُحيرةُ سَاوَة، وخَمَدَت نارُ فارسَ، فليس الشَّامُ لسَطيحٍ شَامًا، يملكُ منهم ملوكٌ ومَلكات، على عَدَد الشُّرفَاتْ، وكلُّ ما هو آتٍ آتْ. ثم قَضَىٰ سَطيحٌ مكانَهُ، فنَهَضَ عَبدُ المَسيح إلى راحلته وهو يقُولُ:

شَمِّرْ فَإنَّكَ مَاضي العَزم شمِّيرُ ... لا يُفْزِعَنَّكَ تَفريقٌ وتَغييرُ

إنْ يُمْسِ مُلكُ بَني سَاسَانَ أفرَطَهُمْ ... فَإنَّ ذَا الدَّهرَ أطْوارٌ دَهَاريرُ

فَرُبَّمَا رُبَّمَا أضْحَوا بمَنزلَة ... يَخَافُ صَولَهُمُ الأُسْدُ المَهَاصيرُ

منهُم أخُو الصَّرْحِ بَهرامٌ وإخْوتُهُ ... والهُرمُزَانُ وَسَابورٌ وَسَابورُ

وَالنَّاسُ أولادُ عَلاَّتٍ فَمَنْ عَلمُوا ... أنْ قَدْ أقَلَّ فَمَحقُورٌ وَمَهجُورُ

وَرُبَّ قَومٍ لَهُم صُحبَانُ ذي أُذُنٍ ... بَدَتْ تُلَهِّيهمُ فيه المَزاميرُ

وَهُم بَنُو الأُمِّ إمَّا إن رَأَوا نَشَبًا ... فَذَاكَ بالغَيبِ مَحفُوظٌ ومَنصُورُ

وَالخَيرُ وَالشَّرُّ مَقرونانِ في قَرَنٍ ... فَالخَيرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحذُورُ

قال: فلمَّا قدمَ عبدُ المسيح على كسرَىٰ، أخبَرَه بما قال له سَطيحٌ، فقال كسرَىٰ: إلى أن يَملكَ منّا أربعةَ عشَرَ مَلكًا كانت أمورٌ وأمورٌ. فملَكَ منهم عشرَةٌ في أربع سنينَ، وملَك الباقون إلى خلافة عثمان رضي اللَّه عنه[1]. ورواه البيهقيُّ من حديث عبد الرَّحمن بن محمَّد بن إدريسَ، عن عليِّ بن حربٍ الموصليِّ بنحوه.

قلتُ: كان آخرَ ملوكهم - الذي سُلبَ منه المُلكُ - يَزدَجردُ بنُ شهرِيارَ بن أبرَويزَ بن هُرمُزَ بن أنُوشِروانَ، وهو الذي انشَقَّ الإيوانُ في زمانه، وكان لأسلافه في المُلك ثلاثةُ آلاف سنَة ومائةٌ وأربعةٌ وستون سنةً، وكان أوَّلَ ملوكهم خيُومَرتُ بنُ أميمَ بن لاوَذَ بن سام بن نُوحٍ عليه السلام.

أمَّا سَطيحٌ هذا فقال الحافظُ ابنُ عساكرَ في «تاريخه»: هو الربيعُ بنُ ربيعةَ بن مسعودِ بن مازنِ بن ذئب بن عديٍّ بن مازنِ بن الأزد. ويُقالُ: الرَّبيعُ بن مسعود. وأمُّهُ ردعا بنتُ سعدِ بن الحارث الحجوريِّ.

وذُكرَ غيرُ ذلك في نسَبه. قال: وكان يسكُنُ الجابيَةَ. ثُم رَوَىٰ عن أبي حاتم السِّجستانيِّ، قال: سمعتُ المَشيَخَةَ؛ منهم أبو عبيدةَ وغيره قالوا: وكان من بعد لُقمَانَ بن عادٍ، وُلدَ في زمن سَيل العَرم، وعاش إلى مُلك ذي نُواسٍ، وذلك نحوٌ من ثلاثين قرنًا، وكان مَسكَنُه البَحرَين، وزعَمَت عبدُ القيس

---

(١) في إسناده أبو أيوب ومخزوم بن هانئ وأبيه لم أقف لهم على ترجمة.

أنَّه منهم، وتزعُمُ الأزدُ أنَّه منهم، وأكثرُ المحدِّثينَ يقولون: هو من الأزدِ، ولا نَدرِي ممَّن هو، غيرَ أنَّ ولدَه يقولون: إنَّه مِن الأزدِ. ورُوِيَ عن ابنِ عبّاسٍ أنَّه قال: لم يَكن شيءٌ مِن بني آدَمَ يُشبِهُ سَطِيحًا؛ إنما كان لحمًا علىٰ وضَمٍ، ، ليس فيه عظمٌ ولا عَصبٌ، إلاَّ في رأسِه وعَينَيه وكَفَّيه، وكان يُطوَىٰ كما يُطوَىٰ الثَّوبُ مِن رِجلَيهِ إلىٰ عُنُقِه، ولم يكن فيه شيءٌ يَتَحَرَّكُ إلاَّ لسانُهُ، وقال غيرُه: إنَّه كان إذا غضِبَ انتفخ وجلَس. ثم ذَكَر ابنُ عبّاسٍ أنَّه قَدِم مكَّةَ فتلقّاه جماعةٌ مِن رؤسائها، منهم عبدُ شمسٍ وعبدُ منافٍ أبناءُ قُصَيٍّ، فامتحَنُوه في أشياءَ، فأجابَهم فيها بالصِّدقِ، فسألُوه عما يكونُ في آخرِ الزَّمانِ، فقال: خُذُوا مِنِّي ومن إلهامِ اللَّه إيَّايَ؛ أنتم الآنَ يا معشَرَ العَرَبِ في زمانِ الهَرَم، سواءٌ بصائرُكم وبصائرُ العَجَم، لا عِلمَ عِندَكم ولا فَهم، وينشأُ من عَقِبِكم ذَوُو فَهم، يطلُبونَ أنواعَ العِلم، فيكسِرون الصنَم، ويتعبون الرَّدَم، ويقتلون العَجَم، ويطلبون الغَنَم. ثم قال: والباقِي الأبدْ، والبالغِ الأمَدْ، ليَخرُجَنَّ مِن ذا البلدْ، نبيٌّ مُهتَدْ، يهدِي إلىٰ الرَّشَدْ، يَرفُضُ يَغُوثَ والفَنَدْ، يَبرأُ مِن عبادةِ الضِّدَدْ، يَعبُدُ ربًا انفرَدْ، ثُم يتوفّاه اللَّهُ بخيرِ دارٍ محمودًا، مِن الأرضِ مفقودًا، وفي السَّماءِ مشهودًا، ثُم يلي أمرَه الصِّديق، إذا قَضىٰ صدَقْ، وفي ردِّ الحقوقِ لا خَرِقٌ ولا نَزِق، ثُم يلي أمرَه الحنيف، مُجرِّبٌ غِطرِيفْ، قد أضاف المُضِيف، وأحكَمَ التَّحنِيف، ثُم ذكَر عثمانَ ومقتَلَه، وما يكونُ بعدَ ذلك مِن أيّامِ بني أُميَّةَ، ثم بني العباسِ، وما بعد ذلك من الفتنِ والملاحِمِ. ساقه ابنُ عساكرَ بسنَدِه عن ابنِ عباسٍ بطُولِه.

وقد قدَّمنا قولَه لربيعةَ بن نصرٍ ملكِ اليمنِ، حينَ أخبرَه برُؤياه قبل أن يُخبِرَهُ بها، ثُم ما يكونُ في بلادِ اليمنِ، مِن الفتنِ وتغييرِ الدُّوَلِ، حتىٰ يعودَ إلىٰ سيفِ بنِ ذي يَزَنَ، فقالَ له: أفيَدُومُ ذلك مِن سُلطانِه أم ينقَطعُ؟ قال: بل يَنقطِعُ. قال: ومَن يقطَعُه؟ قال: نبيٌّ زَكِيٌّ، يأتيهِ الوحيُ مِن قِبَلِ العَلِيِّ. قال: وممَّن هذا النبيُّ؟ قال: مِن وَلَدِ غالبِ بن فِهرِ بن مالكِ بنِ النَّضر؛ يكونُ المُلْكُ في قومِه إلىٰ آخرِ الدّهر. قال: وهل للدَّهرِ مِن آخرٍ؟ قال نَعَم، يومٌ يجمعُ فيه الأوّلون والآخِرون، يَسعَدُ فيه المُحسنون ويَشقَىٰ فيه المُسيئُون. قال: أحقٌّ ما تُخبِرُني؟ قال: نَعَمْ، والشَّفَقِ والغَسَقْ. والقمرِ إذا اتَّسَقْ، إنَّ ما أنبأتُك عليه لحقّ، ووافقَه علىٰ ذلك شِقٌ سواءً بسواءٍ بعبارةٍ أخرىٰ كما تقدَّم. ومن شِعرِ سَطِيحٍ قولُه:

عليكم بتقوى اللَّه في السِّرِّ والجَهرِ ... ولا تَلبِسُوا صدْقَ الأمانَةِ بالغَدرِ
وكونوا لجارِ الجَنْبِ حِصنًا وجُنَّةً ... إذا ما عَرَتهُ النّائباتُ مِنَ الدَّهرِ

وروىٰ ذلك الحافظُ ابن عساكرَ، ثم أوردَ ذلك المُعافَىٰ بنُ زكَريّا الجَرِيريُّ فقال: وأخبارُ سَطِيحٍ كثيرةٌ، وقد جمَعها غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ، والمشهورُ أنَّه كان كاهنًا، وقد أخبرَ عن النبيِّ ﷺ، وعن نَعتِه ومَبعَثِه. ورُوِيَ لنا بإسنادٍ، اللَّهُ به أعلمُ، أنَّ النبيَّ ﷺ، سُئِلَ عن سَطِيحٍ، فقال: «نبيٌّ ضَيَّعَه

قومُهُ»[١].

قلتُ: أمّا هذا الحديثُ فلا أصلَ له في شيءٍ من كُتُبِ الإسلامِ المعهودة، ولم أرَه بإسنادٍ أصلاً.

ويُروىٰ مثلُه في خَبرِ خالدِ بن سنَانٍ العَبسيِّ، ولا يَصحُّ أيضًا، وظاهرُ هذه العباراتِ تَدُلُّ علىٰ علمٍ جيدٍ **لسَطيح**، وفيها روائحُ التَّصديقِ، لكنَّه لم يُدرِك الإسلامَ كما قال الجريريُّ. فإنَّه قد ذكرنا في هذا **الأثرِ أنَّه قال** لابنِ أختِه: يا عبدَ المسيحِ، إذا كثُرتِ التِّلاوة، وظهرَ صاحبُ الهراوة، وفاض وادي السَّماوَة، وغاضت بُحَيرَةُ ساوَة، وخَمَدَت نارُ فارسَ، فليس الشَّامُ لسَطيحٍ شامًا، يَملكُ منهم مُلوكٌ ومَلِكات، علىٰ عَددِ الشُّرُفات، وكلُّ ما هو آتٍ آتٍ. ثُم قضَىٰ سَطيحٌ مكانَه، وكان ذلك بعدَ مولدِ رسولِ اللَّه ﷺ بشهرٍ أو شيعه -أي: أقلَّ منه- وكانت وفاتُه بأطرافِ الشام، ممّا يلي أرضَ العراق. فاللَّهُ أعلمُ بأمرِه، وما صارَ إليه، وذكَر ابنُ طَرّارٍ الجريريُّ أنه عاشَ سبعَمائةِ سنةٍ، وقال غيرُه: خمسمائة سنةٍ. وقيل: ثلاثمائة. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد رَوىٰ ابنُ عساكرَ أن مَلكًا سأل سَطيحًا عن نَسَبِ غُلامٍ اختُلفَ فيه، فأخبرَه علىٰ الجليَّة، في كلامٍ طويلٍ مَليحٍ فَصيحٍ، فقال له المَلكُ: يا سَطيحُ، ألا تُخبِرُني عن علمِك هذا؟ فقال: إنَّ علمي هذا ليس منِّي ولا بخَرْمٍ ولا بظَنٍّ، ولكن أخذتُه عن أخٍ لي جنِّيٍّ، قد سَمعَ الوَحيَ بطُورِ سيناءَ. فقال له: أرأيتَ أخاكَ هذا الجنِّيَّ، أهو معكَ لا يُفارقُك؟ فقال: إنَّه لَيزُولُ حيثُ أزول، ولا أنطقُ إلا بما يقول. وتقدَّمَ أنَّه وُلِدَ هو وشِقُّ بنُ مُصعَبِ بنِ يَشكُرَ بنِ رُهمِ بنِ بُسرِ بنِ عُقبَةَ الكاهنُ الآخَرُ، وُلِدا في يومٍ واحدٍ، فحُملا إلىٰ الكاهنةِ طريفةَ بنتِ الحُسَينِ الحميريَّة، فتفَلَت في أفواههما، فورثا منها الكِهانَةَ، وماتت من يومِها، وكان نصفَ إنسانٍ، ويُقالُ: إنّ خالدَ بن عبدِ اللَّهِ القَسريَّ من سُلالته، وقد ماتَ شِقٌّ قَبلَ سَطيحٍ بدَهرٍ.

وأمّا عبدُ المسيحِ بنُ عمرِو بنِ قيسِ بنِ حيّانَ بنِ بُقَيلَةَ الغسَّانيُّ النَّصرانيُّ فكان من المعمَّرينَ، وقد ترجَمَه الحافظُ ابنُ عساكرَ في «تاريخه»، وقال: هو الذي صالح خالدَ بن الوليدِ علىٰ الحيرة. وذكر له معه قصّة طويلةً وأنَّهُ أكلَ من يدِه سُمَّ ساعةٍ، فلم يُصبه سوءٌ؛ لأنَّه لمّا أخذَه قال: بسمِ اللَّهِ وباللَّهِ ربِّ الأرضِ والسَّماءِ، الذي لا يضُرُّ مع اسمِه أذًىٰ، ثم أكلَه فعَلَته غَشيَةٌ، فضرَبَ بيدَيه علىٰ صَدرِه ثُمَّ عَرِقَ وأفاق -رضي الله عنه-، وذكَرَ لعبدِ المسيحِ أشعارًا غيرَ ما تقدّم.

وقال أبو نُعيم: حدَّثَنا محمدُ بن أحمد بنِ الحسنِ، حدَّثَنا محمدُ بنُ عثمانَ بن أبي شيبةَ، حدثنا عُقبةُ بنُ مُكرَمٍ، حدَّثنا المسيَّبُ بن شريك، حدثنا محمدُ بنُ شريك، عن شعيبِ بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، قال: كان بمرِّ الظَّهرانِ راهبٌ من الرُّهبانِ يُدعَىٰ عيصًا، من أهلِ الشَّامِ وكان متخفِّرًا بالعاصِ بن وائلٍ، وكان اللَّهُ قد آتاه علمًا كثيرًا، وجعَل فيه منَافعَ كثيرةً لأهلِ مكَّةَ، من طيبٍ، ورفقٍ، وعلمٍ، وكان يَلزَمُ صَومَعةً له، ويَدخُلُ مكَّةَ في كلِّ سنةٍ، فيلقَىٰ النّاسَ، ويَقُولُ: إنَّه يُوشكُ أن يُولَدَ

---

(١) حديث لا أصل له.

فيكم مولودٌ يا أهلَ مكَّةَ، يَدينُ له العَرَبُ، ويَملكُ العَجَمَ، هذا زمانُهُ، ومَن أدركَه واتَّبَعه أصاب حاجتَه، ومن أدركَه فخالفَه أخطأَ حاجَتَه، وتَاللَّهِ ما تركتُ أرضَ الخَمرِ والخَميرِ والأمنِ، ولا حلَلتُ بأرضِ الجُوعِ والبُؤسِ والخَوفِ إلاَّ في طَلَبِه. وكان لا يُولَدُ بمكّةَ مولودٌ إلاَّ يُسألُ عنه، فيَقولُ: ما جاء بعدُ. فيقالُ له: فصِفهُ. فيقولُ: لا. ويكتُمُ ذلك؛ للّذي قد عَلِمَ أنَّه لاقٍ مِن قومِه؛ مَخافةً على نفسِه أن يَكونَ ذلك داعيةً إلى أدنى ما يَكونُ إليه مِن الأذىٰ يومًا، ولَمَّا كان صَبيحةُ اليومِ الذي وُلِدَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ خرَجَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المُطَّلبِ، حتىٰ أتىٰ عيصا، فوقف في أصلِ صَومَعَتِه، ثم نادىٰ، يا عيصا. فناداه: مَن هذا؟ فقال: أنا عبد الله، فأشرَفَ عليه فقال: كن أباه فقد وُلِدَ ذلك المولودُ الَّذي كنتُ أحدِّثُكُم عنه يوم الإثنين، ويُبعَثُ يومَ الإثنين، ويموتُ يومَ الإثنين. قال: فإنَّه قد وُلِدَ لي مع الصُّبحِ مولودٌ. قال: فما سمَّيتَه؟ قال: محمداً. قال: واللَّهِ، لقد كنتُ أشتَهي أن يكونَ هذا المولودُ فيكم أهلَ البيتِ، لثلاث خصالٍ بها نعرِفُه، منها؛ أنَّ نجمَهُ طَلَع البارِحَةَ، وأنَّهُ وُلِدَ اليومَ، وأنَّ اسمَه محمدٌ، انطَلِق إليه، فإنَّ الَّذي كنتُ أُحدِّثُكُم عنه ابنُك. قال: فما يُدريك أنَّه ابني، ولعلّه أن يُولَدَ في يومنا هذا مولودٌ غيرُه؟ قال: قد وافقَ ابنُك الاسمَ، ولم يكنِ اللَّهُ لِيُشَبِّه علمَه على العلماءِ؛ فإنَّه حُجَّةٌ، وآيةُ ذلك أنَّه الآنَ وَجِعٌ، فيَشتَكِي أيامًا ثلاثةً، يَظهَرُ به الجوع ثلاثًا، ثُمَّ يُعافىٰ، فاحفَظْ لسانَك، فإنَّه لم يُحسَدْ أحدٌ حَسَدَه قطُّ، ولم يُبغَ على أحدٍ كما يُبْغَىٰ عليه، إن تَعِش حتىٰ يبدُوَ مقالُه ثُم يَدعُو، لَظَهر لك مِن قومك ما لا تحتَمِلُه إلاَّ على صَبرٍ وعلى ذُلٍّ، فاحفَظ لسانَك ودارِ عنه، قال: فما عُمرُه؟ قال: إن طالَ عُمرُه أو قصُرَ لم يبلُغِ السَّبعين، يموتُ في وِترٍ دونَها مِن السِّتِّينَ في إحدىٰ وستِّينَ، أوثلاثٍ وستِّينَ، في أعمارِ جُلِّ أُمَّته. قال وحُمِلَ برسولِ اللَّهِ ﷺ، في عاشوراءِ المُحرَّمِ، ووُلِدَ يومَ الإثنين لثنتَي عَشرَةَ خلَت مِن رمضانَ، سنَةَ ثلاثٍ وعِشرين مِن غزوةِ أصحابِ الفيلِ[1].

هكذا رواه أبو نُعيمٍ، وفيه غرابةٌ.

ذِكرُ حَواضِنِه ومَراضعِه، عليه الصلاةُ والسَّلامُ

كانت أمُّ أيمَنَ، واسمُها برَكَةُ، تحضُنُه، وكان قد وَرِثها عليه الصَّلاةُ والسّلامُ، مِن أبيه، فلمّا كَبِر أعتَقَها وزوَّجَها مولاه زَيدَ بنَ حارِثةَ، فولَدت له أُسامةَ بنَ زيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه، وأرضَعته مع أمِّه، عليه الصَّلاة والسَّلام، مولاةُ عمِّه أبي لَهَب ثُوَيبَةُ، قَبْلَ حَلِيمةَ السَّعديَّةِ.

أخرَجَ البُخاريُّ ومسلمٌ في «صَحيحَيهما» مِن حديثِ الزُّهرِيِّ، عن عُروةَ بنِ الزُّبيرِ، عن زَينبَ بنتِ أمِّ سَلَمَةَ، عن أُمِّ حَبِيبَةَ بنتِ أبي سُفيانَ، أنَّها قالت: يا رسولَ اللَّه، انكِح أُختي بنتَ أبي سفيانَ. ولمسلمٍ: عزَّةَ بنتَ أبي سُفيانَ. فقال النبيُّ ﷺ: «أو تُحبِّينَ ذلك؟» قُلتُ: نَعَم! لَستُ لك بِمُخليَةٍ، وأَحَبُّ مَن شَارَكَني في خيرٍ أُختِي. فقال النبيُّ ﷺ: «فإنَّ ذلك لا يَحِلُّ لي». قالت: فإنَّا نُحدَّثُ أنَّك

---

(١) إسناده ضعيف: لضعف المسيب بن شريك وشعيب بن شعيب لم يتكلم فيه أحد وذكره ابن أبي حاتم (٤/ ٣٤٧) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلاً عزاه ابن كثير لأبي نعيم.

تُريدُ أن تَنكحَ بنتَ أبي سلمةَ. وفي روايةٍ: دُرَّةَ بنتَ أبي سَلَمَةَ. قال: «بنت أمِّ سلمةَ؟» قلتُ: نَعَمْ. قال: «إنَّها لو لم تَكُن رَبيبَتي في حَجري ما حلَّتْ لي، إنَّها لابنةُ أخي منَ الرَّضاعَة، أرضعَتني وأبا سَلَمَةَ ثُوَيبَةُ، فلا تَعرِضْنَ عليَّ بناتِكُنَّ ولا أخَواتِكُنَّ». زاد البخاريُّ: قال عُروةُ: وثُوَيبَةُ مَولاةٌ لأبي لَهَبٍ، وكان أبو لَهَبٍ أعتقَها فأرضَعَت رسولَ اللَّه ﷺ، فلمّا مات أبو لَهَبٍ أُرِيَه بعضُ أهله بشَرِّ حِيبَةٍ. فقال له: ماذا لقيتَ؟ فقال أبو لَهَبٍ: لم ألقَ بعدَكم خيرًا، غيرَ أنِّي سُقيتُ في هذه بعَتاقتي ثُوَيبَةَ. وأشار إلى النُّقرَةِ التي بين الإبهامِ والتي تليها من الأصابع [١].

وذكرَ السُّهيليُّ وغيرُه: أنَّ الرّائيَ له هو أخوه العبّاسُ. وكان ذلك بعدَ سنةٍ من وفاةِ أبي لَهَبٍ بعدَ وقعةِ بدرٍ. وفيه أنَّ أبا لهبٍ قال للعباسِ: إنَّه ليُخَفَّفُ عليَّ في مثلِ يومِ الإثنين. قالوا: لأنَّه لمّا بَشَّرَته ثُويبَةُ بميلادِ ابنِ أخيه محمدِ بن عبدِ اللَّهِ، أعتَقَها من ساعته، فجُوزِيَ بذلك لذلك.

ذِكرُ رضاعِه، عليه الصَّلاة والسَّلام، من حليمةَ بنتِ أبي ذُؤيبٍ السَّعديَّة، وما ظهرَ عليه منَ البركةِ وآياتِ النُّبوَّة

قال محمدُ بنُ إسحاقَ: واستُرضعَ له، عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، من حليمةَ بنتِ أبي ذُؤَيبٍ، واسمُه عبدُ اللَّه بنُ الحارثِ بنِ شِجنَةَ بن جابرِ بنِ رِزامِ بن ناصرَةَ بن سعدِ بنِ بكرِ بنِ هوازنَ بن منصورِ بنِ عكرمَةَ بنِ خَصَفَةَ بنِ قيسِ بنِ عَيلانَ بنِ مُضَرَ، واسمُ أبي رسولِ اللَّه ﷺ؛ الذي أرضَعه - يعني زوجَ حَليمةَ - الحارثُ بن عبدِ العُزَّى بن رفاعةَ بنِ ملأنَ بنِ ناصرةَ بن سعدِ بن بكرِ بن هَوازنَ. وإخوتُه عليه الصَّلاةُ والسلام - يعني من الرَّضاعة - عبدُ الله بنُ الحارث، وأُنَيسَةُ بنتُ الحارث، وحُذافةُ بنتُ الحارث، وهي الشَّيماءُ، وذَكَروا أنَّها كانت تحضُنُ رسولَ اللَّه ﷺ، مع أمِّه، إذ كان عندَهم.

قال ابنُ إسحاقَ: حدَّثني جَهمُ بنُ أبي جَهمٍ، مولًى لامرأةٍ من بَني تَميمٍ، كانت عندَ الحارثِ بنِ حاطبٍ، وكان يُقالُ له: مولَى الحارثِ بنِ حاطبٍ. قال: حدَّثني مَن سَمِعَ عبدَ اللَّه بن جعفرِ بن أبي طالبٍ، قال: حُدِّثتُ عن حليمةَ ابنةِ الحارثِ، أنَّها قالت: قَدِمتُ مكَّةَ في نِسوةٍ - وذكَر الواقديُّ بإسناده، أنَّهنَّ كُنَّ عَشرَ نِسوةٍ من بني سعدِ بنِ بكرٍ، يَتلَمسنَ بها الرُّضعاءَ - من بني سعدِ بن بكرٍ نلتمسُ بها الرُّضعاءَ، وفي سنَةٍ شَهباءَ، فقَدِمتُ على أتانٍ لي قمراءَ، كانت أذَمَّت بالرَّكب، ومَعي صَبِيٌّ لنا، وشارفٌ لنا، واللَّهِ ما تَبِضُّ بقطرةٍ، وما نَنامُ لَيلَتَنا ذلك أجمعَ مع صَبِيِّنا ذاك، ما نَجِدُ في ثَديَيَّ ما يُغنيه، ولا في شارفِنا ما يُغَذِّيه، ولكنَّا كنَّا نَرجُو الغيثَ والفَرَجَ، فخَرَجتُ على أتاني تلك، فلقد أذَمَّت بالرَّكب، حتَّى شَقَّ ذلك علَيهِم ضَعفًا وعَجَفًا، فقدِمنا مكَّةَ، فواللَّه ما علِمتُ منَّا امرأةً إلاَّ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥١٠١، ٥١٠٧، ٥٣٧٢). ومسلم (١٤٤٩). وقوله: «قال عروة....» هي من تعليقات البخاري وهي صحيحة إلى عروة.

وقد عُرِضَ عليها رسولُ اللَّه ﷺ فتأباه؛ إذا قيل: إنَّه يتيمٌ. تركناه، وقُلنا: ماذا عسىٰ أن تصنعَ إلينا أُمُّه؟ إنَّما نرجُوا المعروفَ مِن أبي الولَدِ، فأمَّا أُمُّه فماذا عسىٰ أن تصنَعَ إلينَا؟! فواللَّهِ ما بَقِيَ مِن صَوَاحِبِي امرأ: إلاَّ أخَذَت رَضِيعًا غيرِي، فلمَّا لم نَجد غيرَه، وأَجمَعنا الانطلاقَ، قلتُ لزَوجِي الحارثِ بنِ عبدِ العُزَّىٰ: واللَّهِ إنِّي لأكرَهُ أن أَرجعَ مِن بينِ صواحِبِي ليسَ معي رَضِيعٌ، لأنطلقَنَّ إلىٰ ذلك اليتيمِ فلآخُذَنَّه. فقال: لا عليكِ أن تفعَلِي، فعسىٰ اللَّهُ أن يَجعَلَ لنا فيه بركَةً. فذَهَبتُ فأخَذتُه، فواللَّه ما أخَذتُه إلاَّ أنِّي لم أجِدْ غيرَه، فما هو إلاَّ أن أخَذتُه، فَجِئتُ به رَحلِي، فأقبَلَ عليه ثَديايَ بما شاءَ مِن لبنٍ، فَشَرِبَ حتَّىٰ رَوِيَ، وشَرِبَ أخُوه حتىٰ رَوِيَ، وقام صاحِبِي إلىٰ شَارِفِنا تلك، فإذا إنَّها لَحَافِلٌ، فَحلَبَ ما شَرِبَ، وشَرِبتُ حتىٰ رَوينا، فَبِتنا بِخيرِ ليلةٍ، فقال صاحِبِي حينَ أصبَحنا: يا حَليمةُ، واللَّه، إنِّي لأراكِ قد أخذتِ نسَمةً مُباركَةً؛ ألَم تري ما بتنا به اللَّيلَةَ مِن الخيرِ والبَركةِ حين أخذناهُ! فلم يَزَلِ اللَّهُ، عزَّ وجَلَّ، يَزِيدُنا خيراً، ثُم خرجنا راجِعينَ إلىٰ بلادنا، فواللَّه لقطَعَت أتاني بالرَّكبِ، حتَّىٰ ما يتعلَّقُ بها حمَارٌ، حتَّىٰ أنَّ صَواحِبِي لَيَقُلنَ: وَيلَكِ يا بِنتَ أبِي ذُؤَيبٍ! هذه أتانُكِ التي خرَجتِ عليها مَعنا؟ فأقولُ: نَعَم، واللَّهِ إنَّها لهِيَ. فيقُلنَ: واللَّهِ إنَّ لها لَشأنًا. حتَّىٰ قَدمنا أرضَ بَنِي سَعدٍ، وما أعلَمُ أرضًا مِن أرضِ اللَّه أجدَبَ منها، فإن كانت غَنَمِي لَتَسرَحُ، ثُم تَرُوحُ شِباعًا لَبَنًا، فنَحلبُ ما شِئنا، وما حولنا أحَدٌ تَبِضُّ له شاةٌ بقَطرَةِ لبَنٍ، وإنَّ أغنامَهم لَتروحُ جِياعًا، حتَّىٰ إنَّهم لَيقولُونَ لِرُعاتِهم، أو لِرُعيانِهم: ويَحكُم! انظُرُوا حيثُ تَسرَحُ غنمُ بنتِ أبي ذُؤَيبٍ، فاسرَحوا معهم. فَيسرَحونَ مع غنمِي حيثُ تسرَحُ، فيُرِيحُونَ أغنَامهم جِياعًا، ما فيها قطرةُ لبنٍ، وتروحُ أغنامي شِباعًا لَبَنًا، نَحلبُ ما شِئنَا، فلم يَزَلِ اللَّهُ يُرِينا البركة ونتَعرَّفُها، حتىٰ بلَغَ سنَتَيه، فكان يشِبُّ شبابًا لا يشِبُّه الغِلمانُ، فواللَّهِ ما بلَغَ السَّنَتَينِ حتىٰ كان غُلامًا جَفراً، فقَدمنا به علىٰ أُمِّه، ونحن أضَنُّ شيءٍ به؛ مما رأينا فيه من البركة، فلمّا رأته أمُّه، قُلنا لها: يا ظِئرُ، دَعِينا نَرجِع بابنِنا هذه السَّنَةَ الأخرىٰ، فإنَّا نخشَىٰ عليه وَباءَ مكَّةَ، فوالله ما زلنا بها حتىٰ قالت: فنَعَم. فسرَّحَته معَنا، فأقَمنا به شَهرينِ أو ثلاثةً، فبينَا هو خَلفَ بُيوتِنا، مع أخٍ له مِن الرَّضاعةِ في بَهمٍ لنا، جاءَنا أخوه ذلك يَشتَدُّ، فقال: ذاك أخي القُرشيُّ، قد جاءَه رجُلان، عليهما ثيابٌ بيضٌ، فأضجَعاه، فشقَّا بطنَه، فخرَجتُ أنا وأبوه نشتَدُّ نحوَهُ، فنَجِدُه قائمًا مُنتَقعًا لونُه، فاعتنَقَه أبُوه، وقال: يا بُنيَّ، ما شأنُك؟ قال: جاءني رجلانِ، عليهما ثيابٌ بِيضٌ، فأضجَعاني، وشَقَّا بَطني، ثُم استخرَجا منه شيئًا، فطرَحاه، ثُم ردّاه كما كان، فرجَعنا به معنا. فقال أبوه: يا حليمةُ، لقد خَشيتُ أن يكونَ ابني قد أُصيبَ، فانطَلِقي بنا نَرُدُّه إلىٰ أهلِه، قبلَ أن يَظهَرَ به ما نتَخوَّفُ. قالت حليمةُ: فاحتَمَلناه، فلم تُرَع أمُّه إلا به، فقدمنا به عليها، فقالت: ما ردَّكما به، فقد كنتما عليه حَرِيصين؟ فقلنا: لا واللَّهِ يا ظِئرُ، إلاَّ أنَّ اللَّهَ قد أدَّىٰ عنَّا، وقَضَينا الذي علينا، وقلنا: نَخشَىٰ الإتلافَ والأحداثَ، نَرُدُّه إلىٰ أهلِه. فقالت: ما ذاك بكما، فاصدُقاني شأنَكما. فلَم تَدَعنا حتىٰ أخبَرناها خبرَه، فقالت: أخَشيتُما عليه الشيطانَ؟ كلاَّ واللَّهِ ما للشيطانِ عليه سبيلٌ، واللَّهِ، إنَّه لكائنٌ لابنِي هذا شأنٌ، ألا أُخبِرُكما خبَرَه؟ قلنا: بلىٰ. قالت:

حَمَلتُ به، فما حَمَلتُ حَملاً قَطُّ أخفَّ منه، فأُريتُ في النومِ حينَ حَمَلتُ به، كأنَّه خَرَجَ مِنِّي نُورٌ، أضاءَت له قصورُ الشامِ، ثُم وقع حينَ ولدتُه وُقوعًا ما يقَعُه المولودُ، مُعتَمِدًا على يَدَيه، رافعًا رأسَه إلى السماءِ، فدعاه عنكما [1]. وهذا الحديثُ قد رُوِيَ مِن طُرُقٍ أُخَرَ، وهو من الأحاديث المشهورةِ المُتداوَلَةِ بينَ أهلِ السِّيَرِ والمغازِي.

وقال الواقديُّ: حدّثني مُعاذُ بن محمدٍ، عن عطاءِ بن أبي رباحٍ، عن ابن عباسٍ، قال: خرجَتْ حليمةُ تطلبُ النَبيَّ ﷺ، وقد وَجَدَت البَهمَ تَقيلُ، فوجَدَته مع أخته، فقالت: في هذا الحَرِّ! فقالت أُختُه: يا أُمَّه، ما وجَد أخي حرًا، رأيتُ غَمامةً تُظِلُّ عليه، إذا وَقَفَ وَقَفَتْ، وإذا سَارَ سارت، حتى انتهى إلى هذا الموضعِ [2].

وقال ابنُ إسحاقَ: حدثني ثَورُ بن يزيدَ، عن خالدِ بنِ مَعدَان، عن أصحاب رسولِ اللَّه ﷺ؛ إنهم قالوا له: أخبِرنا عن نفسك. قال: «**أنا دَعوةُ أَبي إبراهيمَ، وبُشرَى عيسىَ عليهما السَّلامُ، ورَأت أُمِّي حينَ حَمَلَت بي، أنَّهُ خَرَجَ منها نورٌ، أضاءَت له قُصُورُ الشَّامِ، واستُرضِعتُ في بَنِي سعد بن بكر، فَبَينا أنَا في بَهمٍ لنا، أتاني رَجُلان عليهما ثيابٌ بيضٌ، معهما طَستٌ من ذَهَب مَملوءةٌ ثَلجًا، فَأَضجَعاني، فشقَّا بَطني، ثُم استَخرَجا قَلبي، فشقَّاهُ، فأخرَجا منه عَلَقَةً سَوداءَ فألقيَاها، ثُمَّ غَسَلا قَلبي وبَطني بذلك الثَّلجِ، حتَّى إذا أنقَيَاه رَدَّاهُ كما كان، ثُم قال أحدهما لصَاحبه: زنهُ بعشرَةٍ من أُمَّته فوزَنَني بعشرَة فوزَنتُهُم ثم قال: زنه بمائة من أمته، فَوزَنَني بمائَة فوزَنتُهُم، ثُمَّ قَال: زنه بألفٍ من أُمَّته، فوَزَنَني بِألفٍ فوَزَنتُهم، فقال: دَعه عَنكَ، فَلَو وزنتَهُ بأُمَّته لَوَزَنَهم**» [3]. وهذا إسنادٌ جيِّدٌ قويٌّ.

وقد روى أبو نُعَيمٍ الحافظُ في «الدَّلائل»، مِن طريقِ عُمَرَ بنِ الصُّبحِ، وهو أبو نُعيمٍ، عن ثورِ بنِ يزيدَ، عن مَكحُولٍ، عن شَدَّادِ بنِ أوسٍ، هذه القصَّةَ مُطَوَّلَةً جدًا، ولكنَّ عمرَ بنَ صُبحٍ هذا متروكٌ. كذّابٌ، مُتَّهمٌ بالوَضعِ؛ فلهذا لم نذكُر لفظَ الحديثِ، إذ لا يُفرحُ به، ثُم قال: وحدثنا أبو عمرِو بنُ حَمدانَ، حدثنا الحسنُ بنُ نُفيرٍ، حدثنا عمرُو بن عثمانَ، حدثنا بقيَّةُ بنُ الوليد عن بَحيرِ بن سعيدٍ، عن خالدِ بن مَعْدَانَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عمرٍو السُّلميِّ، عن عتبَة بن عبدٍ، أنَّه حدَّثه أنَّ رَجلاً سأل النَّبيَّ ﷺ، فقال: كيف كان أولُ شأنك يا رسولَ اللَّه؟ قال: «**كَانَت حَاضنَتي من بَني سَعد بن بَكر، فَانطَلَقتُ أنَا وَابنٌ لَها في بَهمٍ لَنَا، ولَم نَأخُذ مَعَنَا زَادًا، فَقُلتُ: يا أخي، اذهَب فَائتنا بزَاد من عند أُمِّنَا. فانطَلَقَ أخي، ومكَثتُ عندَ البَهم، فأقبَلَ طَائرانَ أبيَضان، كأنَّهُمَا نَسرَان، فَقَال أحَدُهُمَا لصَاحبه: أهُوَ هُوَ؟ قال: نَعَم، فأقبَلا يَبتَدرَاني، فأخَذَاني، فبَطَحَاني للقَفَا، فَشَقَّا بَطني، ثُمَّ استخرَجَا قَلبي فشَقَّاهُ، فأخرَجَا منهُ عَلَقَتَين سَودَاوَين، فقَال أحَدُهُمَا لصَاحبه: ائتني بماء ثَلج. فغَسَلا به جَوفي، ثُمَّ قَالَ: ائتني بمَاء بَرَد. فغَسَلا به قَلبي، ثُمَّ قَالَ: ائتني بالسَّكينَة. فذَرَّها في قَلبي، ثُمَّ قَالَ أحدُهُمَا لصَاحبه: حُصه. فحَاصَهُ، وخَتَم على**

(١) إسناده ضعيف: ولبعض أجزائه شواهد ستأتي إن شاء اللَّه.

(٢) إسناده ضعيف: أخرجه ابن سعد من طريق الواقدي به (١/ ١٤١).

(٣) حسن: أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٧٥) والحاكم (٢/ ٦٠٠) وصححه ووافقه الذهبي.

قلبي بخَاتَمِ النُّبوَّة، فقال أحَدُهُمَا لصَاحبه: اجعَله في كفَّة، واجعَلْ ألفًا من أُمَّته في كفَّة، فَإذَا أنَا أنظُرُ إلى الألف فَوقي، أُشفقُ أن يَخرَّ عليَّ بعضُهم، فقَال: لَو أنَّ أُمَّتهُ وُزنت به لَمَالَ بهم. ثُمَّ انطَلَقَا، وتَركَاني وَفرقتُ فَرقًا شَديدًا، ثُمَّ انطَلَقتُ إلى أُمِّي، فأخبَرتُها بالَّذي لَقيتُ، فَأشفَقَت أن يكُونَ قد التُبسَ بي، فَقَالت: أُعيذُكَ باللَّه. فَرَحَّلَتْ بعيرًا لها وجعلتني على الرَّحلِ، ورَكبَت خلفي حتَّى بَلَغنَا إلى أُمِّي، فَقَالت: أَدَّيتُ أمَانَتي وَذمَّتي. وحَدَّثَتها بالَّذي لَقيتُ فلم يَرُعها، وقالت: إنِّي رَأيتُ خَرَجَ مِنِّي نُورٌ أضَاءَت منه قُصُورُ الشَّامِ»[1] . ورواه أحمد، مِن حديثِ بقيَّةَ بنِ الوليدِ به.

وهكذا رواه عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ، وغيرُه، عن بقيَّةَ بنِ الوليدِ به، وقد رواه ابنُ عساكرَ، من طريقِ أبي داودَ الطَّيالِيسيِّ؛ حدثنا جعفرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ القُرشيُّ، أخبَرَني عُمَرُ بنُ عُروَةَ بنِ الزُّبيرِ، قال: سَمعتُ عُروةَ بنَ الزُّبيرِ يُحدِّثُ عن أبي ذرٍّ الغفَاريِّ، قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّه، كيف عَلمتَ أنَّكَ نَبيٌّ حينَ عَلمتَ ذلك، واستَيقَنتَ أنَّك نبيٌّ؟ قال: **«يَا أبَا ذَرٍّ، أتَاني مَلَكَان وأنا ببَعض بطحَاء مَكَّةَ، فَوقَعَ أحَدُهُمَا عَلى الأرض، وكَانَ الآخَرُ بينَ السَّماء والأرضِ، فقالَ أحدُهُمَا لصَاحبه: أَهُوَ هُوَ؟ قالَ: هُوَ هُوَ. قال: فزنه برَجُلٍ. فَوُزنتُ برَجُلٍ فَرَجَحتُه»**. وَذَكَر تمامَه، وذَكَر شَقَّ صَدرِه، وخياطَتَه، وجَعلَ الخَاتَمِ بين كتفَيه، قال: **«فَمَا هُوَ إلاَّ أن ولَّيَا عنِّي، فكأنَّمَا أُعَاينُ الأمرَ مُعَايَنَةً»**[2] . ثم رواه ابنُ عساكرَ، عن أُبَيِّ بنِ كعبٍ بنحوِ ذلك، ومِن حديثِ شدّادِ بن أوسٍ بأبسَطَ مِن ذلك. وثبت في «صحيحِ مسلمٍ» مِن طريقِ حمّادِ بنِ سلمَةَ، عن ثابتٍ، عن أنسِ بن مالكٍ، أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ، أتاه جِبرِيلُ عليه السلامُ، وهو يَلعَبُ مع الغلمانِ، فأخذَه، فصرَعَه، فشَقَّ عن قلبِه، فاستخرَجَ القلبَ، واستخرَجَ منه عَلَقَةً، فقال: هذا حظُّ الشيطانِ منكَ، ثُم غسَلَه في طَستٍ مِن ذهبٍ بماءِ زمزمَ، ثُم لأَمَه، ثم أعادَه في مكانه، وجاء الغلمانُ يَسعَونَ إلىٰ أمِّه - يعني ظِئرَه - فقالوا: إنَّ محمدًا قد قُتِلَ، فاستَقبَلُوه، وهو مُنتقَعُ اللَّونِ. قال أنسٌ: وقد كنتُ أرَىٰ أثَرَ ذلك المخيَطِ في صدرِه[3] . وقد رواه ابنُ عسَاكرَ، من طريقِ ابنِ وهبٍ، عن عمرِو بنِ الحارثِ، عن عبدِ ربِّه بنِ سعيدٍ، عن ثابتٍ البُنَانيِّ، عن أنسٍ، أنَّ الصلاة فُرضَت بالمدينة، وأنَّ مَلَكينِ أتيا رسولَ الله ﷺ، فذَهبا به إلىٰ زمزَمَ، فشَقَّا بَطنَه، فأخرَجَا حُشوَتَهُ في طَستٍ مِن ذَهَبٍ، فغسَلاه بماءِ زمزمَ، ثم كَبسَا جوفَه حِكمةً وعِلمًا[4] .

---

(١) **إسناده ضعيف**: فيه بقية بن الوليد وكان يدلس تدليس تسوية ولكن معناه له شواهد تصححه سبقت الإشارة إليها وسيأتي بعضها إن شاء اللَّه. عزاه ابن كثير لأبي نعيم في «الدلائل» من طريق عمرو بن عثمان عن بقية به. وأخرجه أحمد (٤/ ١٨٤) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٣١) والحاكم (٤/ ٦١٦) كلهم من طريق حيدة بن شريح به. ورواه الدارمي من طريق نعيم بن حماد والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٧) من طريق علي بن معبد وفي «الآحاد والمثاني» (١٣٦٩) والطبراني (١٧/ ١٣٦) من طريق الحوطي وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٢٢) وإسناد أحمد حسن.

(٢) **إسناده ضعيف والحديث حسن لشواهده**: أخرجه الدارمي (١/ ٩) والعقيلي (١/ ١٨٣) والبخاري في «التاريخ» (١/ ٢/ ١٩٤). وعزاه ابن كثير لابن عساكر. ومن شواهد الحديث ما يلي.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٢) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٦٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن عساكر (٣/ ٤٦٠).

ومن طريق ابنِ وهبٍ أيضًا، عن يعقوبَ بن عبدالرحمنِ الزُّهريِّ، عن أبيه، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هاشمِ بنِ عُتبةَ بنِ أبي وقاصٍ، عن أنسٍ، قال: أُتيَ رسولَ اللَّه ﷺ ثلاثُ ليالٍ، قال: خُذُوا خيرَهم، وسيِّدَهم، فأخَذُوا رسولَ اللَّه ﷺ فَعمدَ به إلى زمزمَ، فشُقَّ جَوفُه، ثُم أُتيَ بتُورٍ من ذهبٍ، فَغُسل جوفُه، ثُم مُلِئَ حكمةً وإيمانًا. وثبَتَ من روايةِ سليمانَ بنِ المغيرة، عن ثابت، عن أنسٍ. وفي «الصحيحَين» من طريقِ شَريكِ بنِ أبي نَمِرٍ، عن أنسٍ[1]، وعن الزُّهريِّ، عن أنسٍ، عن أبي ذرٍّ[2]، وقتادةَ عن أنسٍ، عن مالكِ بنِ صعصعَةَ[3]، عن النبيِّ ﷺ، في حديثِ الإسراءِ، كما سيأتي قصةُ شرحِ الصَّدرِ ليلَتئذٍ، وأنه غُسلَ بماءِ زمزمَ، ولا منافاةَ؛ لاحتمالِ وقوعِ ذلك مرَّتين؛ مرةً وهو صغيرٌ، ومرةً ليلةَ الإسراءِ؛ ليتأهَّبَ للوُفودِ إلى الملأ الأعلى، ولمناجاةِ الربِّ، عزَّ وجلَّ، والمُثولِ بينَ يدَيه، تبارك وتعالى.

وقال ابنُ إسحاقَ: وكان رسولُ اللَّه ﷺ، يقولُ لأصحابِه: «**أنَا أعربُكُم، أنَا قُرَشيٌّ، واستُرْضِعتُ في بَنِي سَعد بن بكرٍ**». وذكَر ابنُ إسحاقَ أن حليمةَ لما أرجَعَته إلى أمِّه بعدَ فطَامه، مرَّت به على رَكْبٍ من النَّصارَى، فقاموا إليه عليه الصلاةُ والسلامُ، فقَلَّبُوه، وقالوا: إنا سنَذهَبُ بهذا الغلامِ إلى مَلكِنا؛ فإنه كائنٌ له شأنٌ. فلم تَكَدْ تَنفَلتُ منهم إلا بعدَ جَهدٍ. وذَكَر أنَّها لمَّا ردَّته، حينَ تخوَّفَت عليه أن يكونَ أصابَه عارضٌ، فلمّا قَرُبَت من مكَّةَ افتقدَته، فلم تجِده، فجاءت جدَّه عبدَ المطلب، فخرجَ هو وجماعةٌ في طلبه، فوجَدَهُ ورَقَةُ بنُ نَوفَلٍ ورَجُلٌ آخرُ من قريشٍ فأتَيَا به جَدَّه فأخَذَه على عاتقِه، وذهَبَ فطافَ به يُعَوِّذُه، ويدعُو له، ثُم ردَّه إلى أمِّه آمنةَ.

وذكر الأُمويُّ من طريقِ عثمانَ بنِ عبدِ الرحمنِ الوَقَّاصيِّ -وهو ضعيف- عن الزُّهريِّ، عن سعيدِ ابنِ المسيَّبِ، قصةَ مولده عليه الصلاةُ والسلامُ، ورضاعه من حليمةَ، على غيرِ سياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ، وذكَرَ أنَّ عبدَ المطلبِ أمَرَ ابنَه عبدَ اللَّه أن يأخُذَه، فيطوفَ به في أحياءِ العربِ، ليَجدَ له مُرْضِعَةً، فطاف حتى استأجَرَ حليمةَ على رَضَاعه، وذَكَر أنَّه أقام عندَها ستَّ سنينَ، تُزيرُه جدَّه في كلِّ عامٍ، فلمّا كان من شَقِّ صدره عندَهم ما كان، رَدَّته إليهم، فأقام عندَ أمِّه، حتى كان عُمرُه ثمانيَ سنينَ، ماتت فكَفَلَهُ جَدُّه عبدُ المطَّلبِ، فمات وله عليه الصلاةُ والسلامُ، عشرُ سنينَ، فكَفَلَهُ عمَّاه شقيقا أبيه، الزبيرُ وأبو طالبٍ، فلمّا كان له بضعَ عشرةَ سنةً، خرجَ مع عمِّه الزبير إلى اليمنِ، فذَكَر أنهم رأوا منه آياتٍ في تلك السَّفرَةِ؛ منها أنَّ فَحلاً من الإبلِ كان قد قطَعَ بعضَ الطريقِ في وادٍ، ممَرُّهم عليه، فلمَّا رأى رسولَ اللَّه ﷺ، بَرَكَ حتى حَكَّ بكَلكَله الأرضَ، فركِبَه عليه الصلاة والسلام، ومنها أنَّه خاضَ بهم سَيلاً عَرَمرَمًا، فأيبَسَهُ اللَّهُ تعالى له حتى جاوَزوه، ثُم مات عمُّه الزبيرُ، وله أربع عشرةَ سنةً، فانفرَدَ به أبو طالبٍ.

---

(١) في البخاري (٧٥١٧) ومسلم (١٦٢).
(٢) في البخاري (٣٤٩) ومسلم (١٦٣).
(٣) في البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٤).

والمقصودُ أن بركَتَه عليه الصلاةُ والسلامُ، حلَّت على حليمةَ السعديّةِ وأهلِها، وهو صغيرٌ، ثُم عادت على هَوازِنَ بكمالِهم فواضِلُه، حينَ أسَرَهم بعدَ وقعتِهم، وذلك بعدَ فتحِ مكَّةَ بشهرٍ، فمَتُّوا إليه بِرَضاعِهِ فأعتَقَهم، وتحنَّنَ عليهم، وأحسَنَ إليهم، كما سيأتِي مُفصَّلاً في موضِعِه، إن شاءَ اللَّه تعالى.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ في وقعة هَوازنَ: عن عمرِو بنِ شُعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: كنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بحُنَينٍ، فلمّا أصابَ مِنَ أموالِهم وسباياهم، أدركَهُ وفدُ هَوازِنَ بالجِعرانَةِ وقد أسلَمُوا، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنا أصلٌ وعشيرةٌ، وقد أصابنا مِن البلاءِ ما لَم يَخفَ عليك، فامنُن علينا، مَنَّ اللهُ عليك، وقام خطيبُهم زهيرُ بنُ صُرَدٍ، فقال: يا رسول اللَّهِ، إنّ ما في الحَظائرِ مِن السّبايا خالاتُك وحواضِنُك اللاَّتي كُنَّ يكفُلنَكَ، فلو أنَّا مَلَحنا ابنَ أبي شمرٍ، أو النُّعمانَ بنَ المُنذرِ، ثُم أصابَنا منهما مثلُ الذي أصابَنا مِنكَ، رجَونا عائِدَتَهما وعطفَهما، وأنت خيرُ المكفولين، ثُم أنشَدَ:

امنُنْ علَينا رَسُولَ اللَّه في كَرَم ... فإنَّكَ المَرءُ نَرجُوهُ ونَدَّخرُ
امنُنْ على بيَضَةٍ قَدْ عَاقَها قَدَرٌ ... مُمَزَّق شَملُهَا في دَهرِهَا غيَرُ
أبقَتْ لَنا الدَّهرَ هُتَّافًا عَلَى حَزَن ... عَلَى قُلُوبِهِم الغَمَّاءُ والغُمَرُ
إنْ لَمْ تَداركْها نَعماءُ تَنشُرُهَا ... يَا أرجَحَ النَّاسِ حِلمًا حينَ يُختَبَرُ
امنُنْ على نسوَةٍ قَد كُنتَ تَرضَعُهَا ... إذْ فُوكَ يَملَؤُهُ من مَحضِهَا درَرُ
امنُنْ على نسوةٍ قَدْ كُنتَ تَرضَعُهَا ... وإذْ يُرِينَكَ مَا تَأتي وَمَا تَذَرُ
لا تجعلَنَّا كَمَنْ شَالَت نَعامَتُه ... واستَبقِ منَّا فإنَّا مَعشَرٌ زُهُرُ
إنَّا لَنَشكُرُ للنُّعمَى وإن كُفِرَت ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

وقد رُوِيَت هذه القصةُ مِن طريقِ عبيدِ اللَّه بن رُمَاحِسٍ الكَلبيِّ الرَّمليِّ، عن زيادِ بنِ طارقٍ الجُشَمِيِّ، عن أبي صُرَدٍ زهيرِ بنِ جَرولٍ - وكان رئيسَ قومِه - قال: لَمَّا أسَرَنا رسولُ اللَّه ﷺ يومَ حُنينٍ، فبينا هو يُمَيِّزُ بينَ الرجالِ والنِّساءِ، وثَبتُ حتى قَعَدتُ بينَ يدَيه، وأسمَعتُه شِعراً، أُذَكِّرُه حينَ شَبَّ ونَشأَ في هَوازِنَ حيثُ أرضَعُوه:

امنُنْ علَينا رَسُولَ اللَّه في دَعَة ... فإنَّكَ المَرءُ نَرجُوهُ وننتظر
امنُنْ على بيَضَةٍ قَدْ عَاقَها قَدَرٌ ... مُمَزَّق شَملُهَا في دَهرِهَا غيَرُ
أبقَتْ لَنَا الحربُ هُتَّافًا عَلَى حَزَن ... عَلَى قُلُوبِهِم الغَمَّاءُ والغُمَرُ
إنْ لَمْ تَداركْها نَعماءُ تَنشُرُهَا ... يَا أرجَحَ النَّاسِ حِلمًا حينَ يُختَبَرُ
امنُنْ على نسوَةٍ قَد كُنتَ تَرضَعُهَا ... إذْ فُوكَ تَملَؤُهُ من مَحضِهَا الدِّرَرُ
إذ أنت طفلٌ صَغيرٌ كُنتَ تَرضَعُهَا ... وإذْ يُرِينَكَ مَا تَأتي وَمَا تَذَرُ
لا تجعلَنَّا كَمَنْ شَالَت نَعامَتُه ... واستَبقِ منَّا فإنَّا مَعشَرٌ زُهُرُ
إنَّا لَنَشكُرُ للنُّعمَى وإن كُفِرَت ... وعندَنا بعدَ هذا اليومِ مُدَّخَرُ

فَألبس العَفوَ مَن قَدْ كُنت تَرضَعُهُ — من أُمَّهَاتك إنَّ العَفوَ مشتَهَرُ
إنَّا نُؤمِّلُ عَفواً منكَ تُلبسُهُ — هَذي البَرِيَّةَ إذ تَعفُو وتَنتَصرُ
فَاغفِر عَفا اللَّهُ عَمَّا أَنتَ رَاهِبُهُ — يَومَ القِيَامَةِ إذ يُهدِي لَكَ الظَّفَرُ

قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: **«أمَّا مَا كَانَ لِي ولِبَنِي عَبد المُطَّلب، فَهُوَ للَّه ولَكُم»**، فقالت الأنصارُ: وما كان لنا، فهو للَّه ولرسوله ﷺ، وسيأتي أنَّه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أطلَق لهم الذُّرِّيَّةَ، وكانت ستةَ آلافٍ؛ ما بينَ صبيٍّ وامرأةٍ، وأعطاهم أنعامًا، وأناسيَّ كثيرًا، حتىٰ قال أبو الحسينِ بنُ فارسَ: فكانَ قيمةُ ما أطلَقَ لهم يومَئذٍ، خَمسَمائةِ ألفِ ألفِ درهَمٍ، فهذا كُلُّه من بَرَكَته العاجلة في الدُّنيا، فكيف ببَرَكَته علىٰ مَن اتَّبَعَه في الدار الآخرة.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ، بعدَ ذكرِ رُجوعه، عليه الصلاةُ والسلامُ، إلى أمِّه آمنةَ، بعد رَضاعة حليمةَ له: فكان رسولُ اللَّه ﷺ، مع أمِّه آمنةَ بنتِ وهبٍ، وجدِّه عبد المطلب، في كلاءَة اللَّه تعالىٰ وحفظه، يُنبتُه اللَّهُ نباتًا حسنًا، لمَا يُريدُ به من كرامته، فلمَّا بلغَ ستَّ سنينَ، تُوُفِّيَت أُمُّه آمنةُ بنتُ وهبٍ.

قال ابن إسحاق: حدثني عبدُ اللَّهِ بنُ أبي بكرِ بنِ محمد بن عمرِو بنِ حزمٍ، أنَّ أمَّ رسولِ اللَّه ﷺ، آمنةَ، تُوُفِّيت وهو ابنُ ستِّ سنين، بالأبواء، بين مكةَ والمدينة، كانت قد قَدمَت به علىٰ أخواله، من بني عَديِّ بنِ النَّجَّارِ، تُزيرُهُ إيَّاهم، فماتَت وهي راجعةٌ به إلىٰ مكةَ[1]. وذَكَر الواقديُّ بأسانيده أنَّ النبيَّ ﷺ خَرَجَت به أمُّه إلىٰ المدينة، ومعه أمُّ أيمنَ، وله ستُّ سنينَ، فزارت أخوالَه، قالت أمُّ أيمنَ: فجاءَني ذات يومٍ رجلانِ من يهودِ المدينة، فقالا لي: أخرجي إلينا أحمدَ نَنظُر إليه. فنظَرا إليه، وقلَّباه، فقال أحدُهما لصاحبه: لهذا نبيُّ هذه الأمة، وهذه دارُ هجرته، وسيكونُ بها من القتلِ والسَّبي أمرٌ عظيمٌ. فلمّا سَمعَت أمُّه خافَت وانصرَفَت به، فماتت بالأبواء وهي راجعةٌ[2].

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا حسينُ بنُ محمد، حدَّثنا أيوبُ بنُ جَابرٍ، عن سِمَاكٍ، عن القَاسمِ بنِ عبد الرحمنِ، عن ابنِ بُريدَةَ، عن أبيه، قال: خرَجنا مع رسول اللَّه ﷺ، حتىٰ إذا كنَّا بودَّانَ قال: **«مَكَانَكُم حَتَّى آتِيَكُم»**. فانطَلَقَ، ثُم جاءَنا وهو سَقيمٌ، فقال: **«إنِّي أَتيتُ قَبرَ أُمِّ مُحَمَّدٍ، فَسَألتُ رَبِّيَ الشَّفَاعَةَ - يَعني لها - فمنَعَنيها، وإنِّي كُنتُ نَهَيتُكُم عن زيارَة القُبُور، فزُورُوها، ونَهَيتُكم عَن لحُومِ الأضاحي بعدَ ثلاثة أيَّام، فكلُوا، وأمسكُوا مَا بَدَا لكم، ونَهَيتُكم عن هذه الأشربَة في هذه الأوعيَة، فاشربُوا فيما بَدَا لكُم»**[3].

---

(١) مرسل.
(٢) ضعيف: أخرجه ابن سعد (١/ ٩٣) وأسانيد الواقدي لا تصح؛ لأنه متروك.
(٣) حديث صحيح لشواهده: والإسناد هنا ضعيف أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٦) وأخرجه البزار (٩٦) من طريق محمد بن جابر ابن سيار عن سماك به. وله شاهد في مسلم كما سيأتي.

وقد رواه البيهقيُّ من طريقِ سفيانَ الثوريِّ، عن علقمةَ بنِ مرثَدٍ، عن سليمانَ بنِ بُريدَةَ، عن أبيه، قال: انتهىٰ النبيُّ ﷺ، إلىٰ رَسمِ قَبْرٍ، فجَلَسَ، وجَلَسَ النَّاسُ حولَه كثيرٌ، فجَعَلَ يُحَرِّكُ رأسَه كالمُخاطَبِ، ثُم بَكَىٰ، فاستَقبَلَه عمرُ رضِيَ اللَّهُ عنه، فقال: ما يُبكيكَ يا رسولَ الله؟ قال: «**هَذَا قَبرُ آمنَةَ بنت وَهب، استَأذَنتُ ربِّي في أَن أَزُورَ قَبرَها، فَأَذنَ لي، واستَأذَنتُه في الاستغفار لَهَا، فَأَبَىٰ عَلَيَّ، وأَدرَكَتني رِقَّتهَا؛ فَبَكَيتُ**». قال: فما رأيتُ ساعةً أكثَرَ باكيًا من تلكَ السَاعة[1]. تابَعَه مُحارِبُ بنُ دثَارٍ، عن ابنِ بُريدَةَ، عن أبيه، ثُم رَوَىٰ البيهقيُّ، عن الحاكمِ، عن الأصمِّ، عن بحرِ بنِ نصرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بن وهبٍ، حدثنا ابنُ جُرَيجٍ، عن أيوبَ بنِ هانئ، عن مسروقِ بنِ الأجدَعِ، عن عبدِ اللَّه بن مسعودٍ، قال: خرَجَ رسولُ اللَّه ﷺ ينظُرُ في المقابرِ، وخرَجنَا معه، فأمَرَنا فجلَسنا، ثُم تخطَّىٰ القبورَ، حتىٰ انتهىٰ إلىٰ قبرٍ منها، فنَاجاه طويلاً، ثُم ارتفعَ نحيبُ رسولِ اللَّه ﷺ باكيًا، فبكَينا لبكاءِ رسولِ اللَّه ﷺ، ثُم إنَّ رسولَ اللَّه ﷺ أقبَلَ إلينا، فتلَقَّاه عمرُ بنُ الخطَّابِ فقال: يا رسولَ اللَّه، ما الذي أبكَاكَ؟ لقد أبكانا، وأفزَعَنا. فجاء، فجلسَ إلينا، فقال: «**أفزَعَكُم بُكائي؟**» فقلنا: نَعَم يا رسولَ اللَّه. فقال: «**إنَّ القَبرَ الَّذي رَأَيتُمُوني أُنَاجي فيه، قَبرُ آمنَةَ بنت وهب، وإنِّي استأذَنتُ ربِّي في زيارَتهَا، فَأَذنَ لي فيه، واستَأذَنتُ ربِّي في الاستغفار لَهَا، فَلَم يأذَن لي فيه، ونَزَلَ عليَّ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٣، ١١٤] فأخذَني مَا يأخُذُ الولَدَ للوالدَة منَ الرِّقَّة، فَذَلكَ الَّذي أبكَاني**»[2]. غريبٌ، ولم يُخرِجوه.

وروَىٰ مسلمٌ عن أبي بكرِ بنِ أبي شيبةَ، عن محمدِ بنِ عُبيدٍ، عن يزيدَ بنِ كَيسانَ، عن أبي حازمٍ، عن أبي هريرةَ، قال: زارَ النبيُّ ﷺ قبرَ أمِّه فبكَىٰ، وأبكَىٰ مَن حولَه، ثم قال: «**استأذَنتُ ربِّي في زيارَةِ قَبرِ أُمِّي، فأَذنَ لي، واستَأذَنتُه في الاستغفَار لها، فَلَم يأذَن لي، فَزُورُوا القُبورَ تُذَكِّرُكُمُ المَوتَ**»[3].

وروَىٰ مسلمٌ عن أبي بكرِ بنِ أبي شيبَةَ، عن عفَّان، عن حمَّادِ بنِ سلمَةَ، عن ثابتٍ، عن أنسٍ، أنَّ رَجلاً قال: يا رسولَ اللَّه، أين أبي؟ قال: «**في النَّار**» فلمَّا قَفَّىٰ، دعاه فقال: «**إنَّ أبي وأبَاكَ في النَّار**»[4].

وقد رَوىٰ البيهقيُّ، من حديث أبي نُعيمٍ الفضلِ بنِ دُكَينٍ، عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ، عن الزُّهريِّ، عن عامرِ بن سعدٍ، عن أبيه، قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: إن أبي كان يصلُ الرَّحِمَ، وكان، وكان، فأينَ هُوَ؟ قال: «**في النَّار**» قال: فكأنَّ الأعرابيَّ وجَدَ من ذلك، فقال: يا رسولَ اللَّه، فأينَ أبوك؟ قال: «**حيثُمَا مَرَرتَ بِقَبرِ كَافرٍ، فَبَشِّرْهُ بالنَّارِ**». قال: فأسلمَ الأعرابيُّ بعدُ، فقال: لقد كَلَّفَني

---

(١) **حديث صحيح لشواهده كما تقدم**: وهذا الإسناد فيه محمد بن يوسف الفريابي وهو مع ثقته إلا أن روايته عن سفيان فيها كلام. أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٨٩) وقال: تابعه محارب بن دينار كما ذكر المصنف وهو مما يقوي الحديث.

(٢) **إسناد ضعيف**: لانفراد أيوب بن هانئ بما لم يتابع عليه ولبعض ألفاظه شواهد تحسنه منها ما تقدم في الحديثين السابقين ومنها ما يلي.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩٧٦) مع إبدال لفظ الاستغفار مكان لفظ الاستئذان.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٠٣).

رسولُ اللَّه ﷺ تَعَبًا؛ ما مرَرت بقبرِ كافرٍ إلا بشَّرتُه بالنَّار[١] . غريبٌ، ولم يُخرِجوه مِن هذا الوجهِ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا سعيدٌ، هو ابنُ أبي أيوبَ، حدَّثنا ربيعةُ بنُ سيفٍ المعَافريُّ، عن أبي عبد الرحمنِ الحُبُليِّ، عن عبدِ اللَّه بنِ عمرٍو، قال: بينَما نحنُ نَمشِي مع رسولِ اللَّه ﷺ، إذ بَصُرَ بامرأةٍ لا نَظُنُّ أنه عرَفَها، فلمَّا توسَّطَ الطريقَ، وَقَفَ حتىٰ انتهت إليه، فإذا فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّه ﷺ، فقال: «**ما أخرجَكِ من بيتِك يا فاطمةُ؟**» فقالت: أتَيتُ أهلَ هذَا البيت، فرحَّمتُ إليهِم ميِّتَهم، وعزَّيتُهم، قال: «**لعلَّكِ بَلَغتَ معهمُ الكُدى؟**». قالت: معاذَ اللَّه أن أكُونَ بَلغتُها معَهُم، وقد سمعتُكَ تذكُرُ في ذَلكَ ما تذكُرُ. قَال: «**لو بَلَغتِها معَهُم ما رأيتِ الجنَّةَ، حتَّى يرَاهَا جدُّ أبيك**»[٢] . ثم رواه أحمدُ، وأبو داودَ، والنسائيُّ، والبيهقيُّ، مِن حديثِ ربيعةَ بن سيفِ بنِ ماتعٍ المعَافرِيِّ، الصنَّميِّ، الإسكندريِّ، وقد قال الإمامُ البخاريُّ: عندَه مناكيرُ. وقال النسائيُّ: ليس به بأسٌ. وقال مرَّةً: صَدوقٌ. وفي نسخةٍ: ضعيفٌ. وذكَرَه ابنُ حبَّانَ في «الثِّقات»، وقال: كان يُخطئُ كثيراً. وقال الدَّارقطنيُّ: صالحٌ. وقال ابنُ يونُسَ في «تاريخِ مصرَ»: في حديثِه مناكيرُ، تُوُفِّيَ قريبًا مِن سنةِ عشرينَ ومائةٍ، والمرادُ بالكُدَىٰ: القبورُ. وقيل: النَّوْحُ.

والمقصودُ، أنَّ عبدَ المُطَّلبِ مات علىٰ ما كان عليه من دينِ الجاهلية، خلافًا لفرقةِ الشيعةِ فيه وفي ابنِه أبي طالبٍ، علىٰ ما سيأتي في وفاةِ أبي طالبٍ، وقد قال البيهقيُّ بعدَ روايته هذه الأحاديثَ في كتابِه «دلائلِ النُّبوة»: وكيفَ لا يكونُ أبواهُ وجَدُّه عليه الصلاة والسلامُ بهذه الصِّفةِ في الآخرَة، وكانوا يَعبُدونَ الوثَنَ حتىٰ ماتوا، ولم يَدِينُوا دينَ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام، وكُفرُهم لا يَقدَحُ في نَسَبِه عليه الصلاة والسلامُ؛ لأنَّ أنكحَةَ الكُفَّار صحيحةٌ، ألا تراهم يُسلِمُون مع زوجاتهم، فلا يَلزَمُهم تجديدُ العَقدِ، ولا مُفارَقَتُهنَّ، إذا كان مثلُه يَجوزُ في الإسلامِ، وباللَّه التوفيقُ. انتهىٰ كلامُه.

قلتُ: وإخبارُه ﷺ عن أبويْه وجدِّه عبد المطلب، بأنَّهم من أهلِ النارِ، لا ينافِي الحديثَ[٣] الوارد عنه من طرقٍ متعددةٍ، أن أهلَ الفتْرةِ، والأطفالَ، والمجانين، والصُّمَّ، يمتحنُون في العَرَصات يوم القيامة، كما بسطْناه سندًا ومتنًا، في «تفسيرنا»، عند قوله تعالىٰ: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء: ١٥]، فيكون مِنهم من يجيب، ومنهم من لا يجيبُ، فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيبُ، فلا منافاة. ولله الحمد والمنَّةُ. وأمَّا الحديثُ الذي ذكره السهيليُّ[٤] ، وذكر أن في إسناده مجهولين إلىٰ ابن أبي الزِّناد، عن عروة، عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يحيي أبويه، فأحياهما وآمنا به. فإنه حديثٌ منكرٌ جدًا، وإن كان ممكنًا بالنظرِ إلىٰ قُدْرة الله تعالىٰ، لكن الذي ثبت في «الصحيح» يعارضه، والله أعلم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ١٩١ـ ١٩٢).

(٢) **ضعيف**: تفرد به ربيعة بن سيف بن ماتع وهو ممن لا يحتمل تفردهم. أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨ـ ١٦٩) والنسائي (٤/ ٢٧) وأبو داود (٣١٢٣) وابن حبان (٣١٧٧) والحاكم (٣٧٤٨) والبيهقي (٤/ ٧٧).

(٣) الحديث أخرجه أحمد (٤/ ٢٤) وابن حبان (٧٣٥٧) والطبراني (٨٤١) في «الكبير» والبزار (٢١٧٤).

(٤) **مكر الحديث**: كما قال المصنف.

فصل

قال ابن إسحاقَ: وكان رسولُ الله ﷺ مع جدِّه عبد المطلب بن هاشم - يعني بعد موت أمه آمنةَ بنتِ وهبٍ - فكان يوضَعُ لعبد المطلب فراشٌ في ظلِّ الكعبة، وكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك، حتىٰ يخرج إليه، لا يجلس عليه أحدٌ من بنيه؛ إجلالاً له. قال: فكان رسولُ اللهِ ﷺ يأتي، وهو غلامٌ جفرٌ، حتىٰ يجلس عليه، فيأخُذُه أعمامُه ليُؤَخِّروه عنه، فيقول عبدُ المطلبِ إذا رأىٰ ذلك منهم: دعوا ابني، فوالله إنَّ له لشأنًا. ثم يجلسه معه علىٰ فراشه، ويمسح ظهره، بيده، ويسرُّه ما يراه يصنعُ.

وقال الواقديُّ: حدثني محمد بن عبد الله، عن الزهري، وحدثنا عبد الله بن جعفر، عن عبدالواحدِ بن حمزة بن عبد اللهِ، وحدثنا هاشم بن عاصم الأسْلَمِيُّ، عن المنذر بن جهْمٍ، وحدثنا معْمَرٌ، عن ابن أبي نجيحٍ، عن مجاهد، وحدثنا عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن أبي الحُوَيْرِثِ، وحدثنا ابن أبي سبْرةَ، عن سليمان بن سُحَيْمٍ، عن نافع بن جُبَيْرٍ، - دخل حديثُ بعضهم في بعضٍ - قالوا: كان رسولُ اللهِ ﷺ يكون مع أمِّه آمنةَ بنت وهب، فلما توفِّيَتْ قبضه إليه جدُّه عبدُ المطلبِ، وضمَّه، ورَقَّ عليه رِقَّةً لم يرِقَّها علىٰ ولده، وكان يُقَرِّبُه منه، ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا، وإذا نام، وكان يجلس علىٰ فراشه، فيقول عبدُ المطلبِ إذا رأىٰ ذلك: دعُوا ابني، إنه ليُؤْنِسُ مُلْكًا.

وقال قومٌ من بني مُدْلِجٍ لعبدِ المطلبِ: احْتَفِظْ به، فإنَّا لم نَرَ قدَمًا أشْبَهَ بالقدَمِ الذي في المقامِ منه. فقال عبدُ المطلبِ لأبي طالبٍ: اسْمَعْ ما يقولُ هؤلاءِ! فكان أبو طالبٍ يحتفظُ به، وقال عبدُ المطلبِ لأُمِّ أيمنَ - وكانتْ تحضُنُه -: يا بركَةُ، لا تغْفُلِي عن ابني؛ فإني وجدتُه مع غِلْمان قريبًا من السِّدْرَة، وإنَّ أهلَ الكتابِ يزعمون أن ابني نبيُّ هذه الأمة. وكان عبدُ المطلبِ لا يأكُلُ طعامًا إلا يقول: عليَّ بابني، فيُؤْتَىٰ به إليه. فلما حضرتْ عبدَ المطلبِ الوفاةُ، أوصىٰ أبا طالبٍ بحفْظِ رسولِ الله ﷺ وحياطته، ثم ماتَ عبدُ المطلبِ ودُفِنَ بالحَجُونِ(١).

وقال ابنُ إسحاقَ: فلما بلغ رسولُ الله ﷺ ثماني سنين، هلَكَ جَدُّه عبدُ المطلبِ بنُ هاشمٍ. ثم ذكر جمْعه بناتِه، وأمْرَه إياهن أن يرْثِينَه، وهُنَّ: أرْوَىٰ، وأُمَيْمَةُ، وبرَّةُ، وصفيَّةُ، وعاتِكَةُ، وأمُّ حكيمٍ البيْضَاءُ، وذكر أشْعارهن، وما قُلْنَ في رِثاءِ أبيهنَّ، وهو يسْمَعُ قبْلَ موتِهِ، وهذا أبلغ النَّوْحِ، وبسط القول في ذلك. وقد قال ابنُ هشامٍ: ولم أرَ أحدًا من أهل العلم بالشِّعْرِ يعْرِفُ هذا الشِّعْرَ.

قال ابنُ إسحاقَ: فلما هلَكَ عبدُ المطلبِ بنُ هاشمٍ، وليَ زمْزَمَ والسقَايةَ بعدَه ابنه العباسُ، وهو

---

(١) **أسانيدها كلها من طرق الواقدي:** فهي ضعيفة ولقصة جلوسه ﷺ علىٰ مفرشه شواهد. منها ما رواه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٢) قال: أخبرنا محمد بن عبد اللّه الحافظ، حدثنا أبو العباس قال: حدثنا أحمد بن عبد الجبار قال: حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: وكان رسول اللّه ﷺ مع جده عبد المطلب فحدثني العباس بن عبد اللّه عن معبد عن بعض أهله. ومنها ما رواه عبد الرزاق (٥/ ٣١٨) عن معمر عن الزهري وهو من قول الزهري.

من أحدث إخوته سنًّا، فلم تزلْ إليه، حتى قام الإسلامُ، وأقرَّها في يده رسولُ الله ﷺ.

وكان رسولُ الله ﷺ، بعدَ جَدِّه عبدِ المطلب؛ مع عمِّه أبي طالب؛ لوَصيَّة عبد المطلب له به، ولأنه كان شقيق أبيه عبد الله، أمُّهما فاطمةُ بنتُ عمرو بن عائذ بن عمْرَانَ بن مخْزُوم. قال: فكان أبو طالب هو الذي يَلِي أمْرَ رسولِ الله ﷺ، وكان إليه ومعه.

وقال الواقديُّ: أخبرنا معْمَرٌ، عن ابن أبي نَجيح، عن مجاهدٍ. وحدثنا معاذ بن محمد الأنصاريُّ، عن عطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ، وحدثنا محمدُ بنُ صالح، وعبدُ الله بن جعفر، وإبراهيمُ ابنُ إسماعيلَ بن أبي حبيبةَ - دخل حديثُ بعضهم في حديث بعضٍ - قالوا: لما تُوُفِّيَ عبدُ المطلبِ، قبض أبو طالبٍ رسولَ الله ﷺ، فكان يكونُ معه، وكان أبو طالب لا مالَ له، وكان يُحبُّه حبًّا شديدًا، لا يُحبُّه ولدَه، وكان لا ينامُ إلا إلى جَنْبِه، ويخرُجُ فيَخْرُجُ معه، وصبَّ به أبو طالب صبابةً، لم يصبَّ مثْلَها بشيءٍ قطُّ، وكان يخُصُّه بالطعام، وكان إذا أكلَ عيالُ أبي طالبٍ جميعًا أو فُرادَىٰ لم يَشْبَعُوا، وإذا أكلَ معهم رسولُ الله ﷺ شَبِعُوا، فكان إذا أراد أن يُغدِّيَهُم. قال: كما أنتم حتىٰ يأتي ابني. فيأتي رسولُ الله ﷺ فيأكُلُ معهم، فكانوا يُفْضِلونَ من طعامِهم، وإن لم يكنْ معهم لم يشْبَعُوا، فيقولُ أبو طالبٍ: إنك لمباركٌ وكان الصبيان يصبحون رمْصًا شُعْثًا، ويصبحُ رسولُ الله ﷺ دهينًا كحيلاً[1].

وقال الحسنُ بنُ عرفةَ: حدثنا عليُّ بنُ ثابتٍ، عن طلحة بن عمرو، سمعتُ عطاءَ بن أبي رباح، سمعتُ ابن عباس يقولُ: كان بنو أبي طالب يصبحون غُمْصًا رُمْصًا، ويصبح رسولُ الله ﷺ صَقيلاً دهينًا، وكان أبو طالبٍ يُقَرِّبُ إلى الصبيان صفْحتهم أولَ البُكْرة، فيجلسون وينتهبون، ويكفُّ رسولُ الله ﷺ يده لا ينتهب معهم، فلما رأىٰ ذلك عمُّه، عزل له طعامه على حدَة[2].

وقال ابن إسحاقَ: حدثني يحيىٰ بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير، أن أباه حدثه، أن رجلاً من لِهْبٍ كان عائفًا، فكان إذا قدم مكة، أتاه رجالٌ من قريش بغلْمانهم ينظرُ إليهم، ويعْتاف لهم فيهم. قال: فأتىٰ أبو طالبٍ برسولِ الله ﷺ وهو غلامٌ، مع من يأتيه، قال: فنظر إلى رسولِ الله ﷺ ثم شَغَلَهُ عنه شيءٌ، فلمَّا فرغَ قال: الغلامُ، عليَّ به. فلما رأىٰ أبو طالبٍ حرْصَه عليه، غَيَّبَه عنه، فجعل يقولُ: ويلكم رُدُّوا عليَّ الغلامَ الذي رأيتُه آنفًا، فوالله ليكوننَّ له شأنٌ. قال: وانطلق به أبو طالبٍ[3].

---

(١) إسانيده كلها من طريق الواقدي فهي ضعيفة أخرجه ابن سعد (١/ ٩٦).
(٢) إسناد ضعيف: أخرجه ابن عساكر (٣/ ٨٤) وفيه طلحة بن عمرو وهو متروك.
(٣) مرسل: أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٧٩) والإسناد صحيح إلى عباد.

فصل

في خروجه عليه الصلاة والسلام مع عمه أبي طالب إلى الشَّام وقصَّته مع بَحيرَى الرَّاهب.

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ أبا طالبٍ خرج في ركبٍ تاجراً إلى الشَّام، فلما تهيَّأ للرَّحيل، وأجمع السَّيْرَ، صبَّ به رسولُ الله ﷺ - فيما يزعمون - فرقَّ له أبو طالبٍ، وقال: والله لأخْرُجَنَّ به معي، ولا أفارقُه ولا يُفارقُني أبداً. أوْ كما قال، فخرج به معه، فلمَّا نزل الرَّكْبُ بُصْرَىٰ من أرضِ الشَّام، وبها راهبٌ يقال له: بَحيرَىٰ. في صومعة له، وكان إليه علمُ أهلِ النَّصْرانيَّة، ولم يزلْ في تلك الصَّوْمعة منذُ قطُّ راهبٌ، إليه يصيرُ علمُهم عن كتابٍ - فيما يزعمونَ - يتوارثُونَه كابراً عن كابرٍ، فلما نزلوا ذلك العامَ ببحيرَىٰ، وكانوا كثيراً ما يمُرُّون به قبل ذلك، فلا يُكَلِّمُهم، ولا يعْرِضُ لهم، حتىٰ كان ذلك العامُ، فلما نزلوا قريبًا من صوْمَعَته، صنع لهم طعامًا كثيراً، وذلك - فيما يزعمون - عن شيءٍ رآه، وهو في صوْمعته، يزعمونَ أنه رأىٰ رسولَ الله ﷺ في الرَّكْبِ حين أقْبَلُوا وغَمامَةٌ تُظلُّه من بين القوم، ثُمَّ أقْبَلوا، فنزلوا في ظلِّ شجرةٍ قريبًا منه، فنظر إلىٰ الغمامة حين أظلَّت الشجرة، وتهصَّرتْ أغصانُ الشجرة علىٰ رسول الله ﷺ حتىٰ استظلَّ تحتها، فلما رأىٰ ذلك بحيرَىٰ، نزل من صوْمعته، وقد أمَرَ بطعامٍ فصُنع، ثم أرْسَلَ إليهم، فقال: إني قد صنعتُ لكم طعامًا يا معشر قريشٍ، فأنا أُحبُّ أن تحضُروا كلُّكم، صغيركم وكبيرُكم، وعبدُكم وحُرُّكم. فقال له رجلٌ منهم: والله يا بَحيرَىٰ، إنَّ لك لشأنًا اليومَ! ما كُنتَ تصنعُ هذا بنا، وقد كنا نَمُرُّ بك كثيراً، فما شأنُك اليومَ؟ قال له بَحيرَىٰ: صدَقْتَ، قد كان ما تقولُ، ولكنكم ضيْفٌ، وقد أحْببتُ أن أُكْرمكم، وأصنع لكم طعامًا، فتأكلوا منه كلُّكم. فاجْتَمَعُوا إليه، وتخلَّف رسولُ الله ﷺ، من بين القوم لحَداثة سنِّه، في رِحال القوم، تحتَ الشجرة، فلما نظر بحيرَىٰ في القومِ، لم يَرَ الصِّفَةَ التي يعْرفُ ويجدُ عنده، فقال: يا معْشَرَ قُريشٍ، لا يتخلَّفَنَّ أحدٌ منكم عن طعامي. قالوا: يا بحيرَىٰ، ما تخلَّفَ أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلا غلامٌ، وهو أحْدثُنا سنًّا، فتخلَّفَ في رحالنا. قال: لا تفْعلُوا! ادعوه فلْيحْضُرْ هذا الطعامَ معكم. قال: فقال رجلٌ من قُريشٍ مع القوم: واللاتِ والعُزَّىٰ، إنْ كان لَلُؤْمًا بنا، أن يتخلَّفَ محمدُ بنُ عبدالله بنِ عبد المطلب عن طعامٍ من بيننا، ثم قام إليه، فاحتضنه، وأجلسه مع القومِ، فلما رآه بحيرَىٰ جعل يلْحَظُه لحظًا شديدًا، وينظر إلىٰ أشْياءَ من جسده، قد كان يجدُها عنده من صفته، حتىٰ إذا فرغ القومُ من طعامهم وتفرَّقُوا، قام إليه بحيرَىٰ، وقال له: يا غلامُ أسألُك بحقِّ اللاتِ والعُزَّىٰ، إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه، وإنما قال له بحيرَىٰ ذلك؛ لأنه سمع قومَه يحلفون بهما. فزعَمُوا أن رسولَ الله ﷺ قال له: لا تسألني باللاتِ والعُزَّي، فوالله ما أبْغَضْتُ شيئًا قطُّ بُغْضهما. فقال له بحيرَىٰ: فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألُك عنه. فقال له: سَلْني عما بدا لك. فجعل يسأله عن أشياء من حاله؛ من نومه، وهيئته، وأموره، فجعل رسولُ الله ﷺ يُخبرُه، فيُوافقُ ذلك ما عند بحيرَىٰ من صفته، ثم نظر إلىٰ ظَهْرِه فرأىٰ خاتَمَ النُّبوَّة بين كتفيْه، علىٰ موضعه من صفته التي عنده، فلما فرغ

أقبل على عمِّه أبي طالبٍ، فقال: ما هذا الغلامُ منك؟ قال: ابني. قال بحيرَىٰ: ما هو بابنِك، وما ينبغي لهذا الغلامُ أن يكون أبوه حيًّا. قال: فإنه ابنُ أخي. قال: فما فعل أبوه؟ قال: مات و أمُّه حُبْلَىٰ به. قال: صدقْتَ، ارجعْ بابنِ أخيك إلىٰ بلدِه، واحذَرْ عليه يهُودَ، فوالله لئِنْ رأوْه، وعرَفُوا منه ما عرفْتُ ليبْغُنَّه شرًّا، فإنه كائنٌ لابن أخيك هذا شأنٌ عظيمٌ، فأسْرِعْ به إلىٰ بلادِه. فخرج به عمُّه أبو طالبٍ سريعًا، حتىٰ أقدمه مكةَ، حين فرغَ من تجارتِه بالشام.

قال ابن إسحاقَ: فزعموا - فيما روىٰ الناسُ - أن زُرَيْرًا، وتمَّامًا، ودريسًا - وهم نفَرٌ من أهل الكتابِ - قد كانوا رأَوْا رسولَ اللهِ ﷺ، مثْلَما رأىٰ بحيرَىٰ في ذلك السَّفْرِ، الذي كان فيه مع عمه أبي طالبٍ، فأرادُوه، فردَّهم عنه بحيرَىٰ، فذكَّرهم اللهَ، وما يجدونَ في الكتاب، من ذكْرِه، وصفتِه، وأنهم إن أجْمعوا لما أرادوا به، لم يخْلُصُوا إليه، حتىٰ عرَفوا ما قال لهم، وصدَّقوه بما قال، فتركوه، وانصرَفُوا عنه(١).

وقد ذكر يُونُسُ بنُ بُكَيرٍ، عن ابن إسحاقَ، أنَّ أبا طالبٍ قال في ذلك ثلاثَ قصائدَ. هكذا ذكر ابنُ إسحاقَ هذا السياق من غير إسنادٍ منه.

وقد ورد نحوُه من طريقٍ مُسْنَدٍ مرفوعٍ، فقال الحافظُ أبو بكر الخرائطِيُّ: حدثنا عبَّاسُ بن محمدٍ الدُّورِيُّ؛ حدثنا قرَادٌ أبو نوح، حدثنا يونس بن أبي إسحاقَ، عن أبي بكر بن أبي موسىٰ، عن أبيه قال: خرج أبو طالب إلىٰ الشام، ومعه رسولُ اللهِ ﷺ، في أشياخٍ من قريشٍ، فلما أشْرَفُوا علىٰ الرَّاهبِ - يعني بَحيرَىٰ - هبطُوا، فحلُّوا رِحالهم، فخرج إليهم الرَّاهبُ، وكانوا قبل ذلك يمُرُّون به فلا يخْرُجُ ولا يلتفتُ إليهم. قال: فنزل وهم يحُلُّون رِحالهم، فجعل يتخللهُم، حتىٰ جاء فأخذ بيدِ النبيِّ ﷺ فقال: هذا سيِّدُ العالمينَ. وفي رواية البيهقيِّ زيادةٌ هذا رسولُ رب العالمين، هذا يبْعثُه اللهُ رحمةً للعالمين. فقال له أشياخٌ من قريشٍ: وما علْمُكَ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقَبَة، لم يبقَ شجرةٌ ولا حجرٌ إلا خَرَّ ساجدًا، ولا يسجُدونَ إلا لنبيٍّ، وإني أعرِفُه بخاتمِ النُّبُوَّة، أسفل من غُضْروف كتفه. ثم رجع، فصنع لهم طعامًا، فلما أتاهم به - وكان هو في رِعْية الإبل - فقال: أرسلوا إليه. فأقْبل، وغمامةٌ تُظِلُّه، فلما دنا من القومِ، قال: انظُروا إليه، عليه غمامةٌ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبَقُوه إلىٰ فَيْءِ الشجرة، فلما جلس، مالَ فَيْءُ الشجرة عليه. قال: انظرُوا إلىٰ فَيْءِ الشجرة مالَ عليه. قال: فبينما هو قائمٌ عليهم، وهو يناشِدُهم ألاَّ يذهبُوا به إلىٰ الرُّومِ، فإنَّ الرُّومَ إنْ رأوْه، عرَفُوه بالصِّفةِ، فقتلوه، فالتفتَ، فإذا هو بسبعةِ نفرٍ من الرُّومِ، قد أقْبَلُوا. قال: فاستقْبَلهم، فقال: ما جاء بكم؟ قالوا: جِئْنا أن هذا النبي خارجٌ في هذا الشهْرِ، فلم يبقَ طريقٌ إلا بُعثَ إليه ناسٌ، وإنا أخبرْنا خبره إلىٰ طريقك هذه. قال: فهل خلَّفْتُم أحدًا هو خيرٌ منكم؟ قالوا: لا، إنَّما أخبرنا خبره إلىٰ طريقك هذه. قال: أفرأيْتُم أمرًا أرادَ الله أن

---

(١) رواه ابن إسحاق معلقًا كما ذكر المصنف وسيأتي من طرق مسندة ووجدته مسندًا أخرجه ابن سعد (١/ ١٢٢) من طريق الواقدي قال: أخبرنا محمد بن صالح بن دينار وعبد اللّه بن جعفر الزهري قال: حدثنا ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين قالوا: لما خرج أبو طالب... الحديث إلا أنه مرسل وابن أبي حبيبة ضعيف انظر «التقريب» (١٤٦) والواقدي متروك.

يقضيه، هل يستطيعُ أحدٌ من الناس ردَّه؟ فقالوا: لا. قال: فبايعُوه، وأقاموا عنده. قال: فقال الراهبُ: أنشدُكم اللهَ، أيُّكم وليُّه؟ قالوا: أبو طالبٍ. فلم يزلْ يناشدُه، حتى رده، وبعث معه أبو بكر بلالاً، وزوَّده الراهبُ من الكعْك والزَّيت(١). هكذا رواه الترمذيُّ، عن أبي العباسِ الفضْلِ بن سهْلٍ الأعْرجِ، عن قُرادٍ أبي نُوحٍ به. والحاكمُ، والبيهقيُّ، وابنُ عساكرَ، من طريقِ أبي العباسِ محمدِ بن يعقوبَ الأصَمِّ، عن عبَّاس بن محمد الدُّوريِّ به.

وهكذا رواه غيرُ واحدٍ من الحفَّاظ، من حديث أبي نوح عبد الرحمن بن غَزْوانَ الخُزَاعيِّ مَوْلاهم، ويُقالُ له: الضَّبِّيُّ. ويعْرَفُ بقُرادٍ، سكن بغْدادَ، وهو من الثِّقات، الذين أخرج لهم البخاريُّ، ووثَّقَه جماعةٌ من الأئمة والحفاظ، ولم أرَ أحدًا جرَّحه، ومع هذا في حديثه هذا غرابةٌ، قال الترمذيُّ: حسن غريبٌ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال عباسٌ الدُّوريُّ: ليس في الدنيا أحدٌ يحدثُ به، غيرُ قُرادٍ أبي نوحٍ، وقد سمعه منه أحمدُ بن حنبل، رحمه اللهُ ويحيى بنُ معين. لغرابته وانفراده. حكاه البيهقي وابنُ عساكر.

قلتُ: فيه من الغرائب، أنه من مُرْسلاتِ الصحابة، فإنَّ أبا موسى الأشْعريَّ، إنما قدمَ في سنة خيبرَ سنةَ سبع من الهجرة، ولا يُلتفتُ إلى قول ابن إسحاقَ في جعْله له من المُهاجرةِ إلى أرضِ الحبشة من مكَّةَ، وعلى كلِّ تقديرٍ فهو مُرْسَلٌ، فإنَّ هذه القصَّةَ كانتْ، ولرسول الله ﷺ من العُمُرِ فيما ذكره بعضُهم ثِنْتا عشْرةَ سنةً، ولعلَّ أبا موسى تلقَّاه من النبيِّ ﷺ، فيكونُ أبْلغَ، أو من بعضِ كبارِ الصَّحابة، رضي الله عنهم، أو كان هذا مشهوراً مذكوراً، أخذَه من طريقِ الاستفاضة.

الثاني: أنَّ الغمامةَ لم تُذْكَرْ في حديثٍ أصَحَّ من هذا.

الثالث: أن قوْله: وبعثَ معه أبو بكر بلالاً. إن كان عُمُرُه، عليه الصلاة والسلامُ، إذْ ذاك ثنتي عشرة سنة، فقد كان عمرُ أبي بكر إذْ ذاك تسع سنين أو عشرة، وعُمُرُ بلالٍ أقلَّ من ذلك، فأينَ كان أبو بكرٍ إذْ ذاك؟ ثم أينَ كان بلالٌ؟ كلاهما غريبٌ، اللهمَّ إلا أن يُقال: إنَّ هذا كان ورسولُ الله ﷺ كبيرٌ؛ إمَّا بأن يكون سَفَرُه بعد هذا، أو إن كان القولُ بأن عُمُرَه كان إذْ ذاك ثنتي عشرة سنة غير محفوظٍ، فإنه إنما ذكره مُقيَّدًا بهذا الواقديُّ. وحكى السهيليُّ عن بعضهم، أنه كان عُمُرُه، عليه الصلاة والسلامُ، إذْ ذاك تسعَ سنين. والله أعلم.

قال الواقديُّ: حدثني محمد بن صالح، وعبد الله بن جعفرٍ، وإبراهيمُ بن إسماعيلَ بن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، قالوا: لما بلغ رسولُ اللهِ ﷺ اثنتي عشرة سنة، خرج به عمُّه أبو طالبٍ

---

(١) انفرد برواية هذا الحديث قرار كما ذكر المصنف فأخرجه الحاكم (٢/ ٩١٦) والخرائطي كما ذكر المصنف من طريق عباس الدوري وأخرجه الترمذي (٣٦٢٠) من طريق أبي العباس الأعرج وأخرجه ابن أبي شيبة (١١/ ٤٧٩) مختصراً. كلهم من طريق قراد به. والإسناد صحيح إلى أبي موسى والمتن فيه نكارة في بعض المواضع مما جعل الذهبي يبالغ في حكمه على الحديث وقال «أظنه موضوعًا» وموضع النكارة في قوله «وبعث معه أبو بكر بلالاً» فإنهما آنذاك لم يكن لهما شأن فأبو بكر اشترى بلالاً بعد بعثة النبي ﷺ وأعتقه. وللحديث شاهد مختصر عن ابن سعد (١/ ١٢١) من طريق عبد اللّه بن جعفر الرقي عن أبي المليح عن ابن عقيل إلا أنه مرسل.

إلى الشام، في العيرِ التي خرج فيها للتِّجارةِ، ونزلوا بالرَّاهبِ بحيرَىٰ، فقال لأبي طالب في السِّرِّ ما قال، وأمَرَه أن يحتَفظَ به، فردَّه معه أبو طالبٍ إلىٰ مكَّة[١] .

وشَبَّ رسولُ اللهِ ﷺ مع أبي طالبٍ، يكْلَؤُه اللهُ، ويَحفظُه ويَحُوطُه من أمورِ الجاهليَّةِ، ومعائبها، لمَا يريدُ من كرامَته، حتىٰ بلَغَ أن كان رجلاً أفضلَ قومِه مروءةً، وأحسنَهم خُلُقًا، وأكرَمَهم مُخالَطةً، وأحسنَهم جوارًا، وأعظمَهم حلمًا وأمانةً، وأصدقَهم حديثًا، وأبعدَهم من الفُحشِ والأذىٰ، ما رُؤيَ مُلاحيًا، ولا مُماريًا أحدًا، حتىٰ سمّاه قومُه الأمينَ، لما جمعَ الله فيه منَ الأمورِ الصالحة، فكان أبو طالبٍ يَحْفَظُه، ويَحُوطُه، ويَنصرُه ويَعْضُدُه، حتَّىٰ مات.

وقال محمدُ بن سعد: أخبرَنا خالدُ بن خداشٍ، حدَّثَنا مُعتَمرُ بن سليمانَ، سَمِعْتُ أبي يحدِّث عن أبي مِجْلزٍ، أنَّ عبدَ المطَّلب ـ أو أبا طالبٍ، شكَّ خالدٌ، قال: لمَّا مات عبدُ الله، عطَفَ علىٰ محمدٍ، فكان لا يسافِر سفَرًا إلاَّ كان معه فيه، وأنه توجَّه نحوَ الشام، فنزَل مَنْزِلاً، فأتَاه فيه راهبٌ، فقال: إنَّ فيكم رجلاً صالحًا، ثُم قال: أينَ أبو هذا الغلام؟ قال: فقال: ها أنا ذا وليُّه. أو قيل: هذا وليُّه. قال: احتفظْ بهذا الغلامُ، ولا تذهَب به إلىٰ الشامِ، إنَّ اليهودَ حُسُدٌ، وإنِّي أخشاهم عليه، قال: ما أنت تَقولُ ذاك، ولكنَّ اللهَ يقولُه، فردَّه وقال: اللهمَّ إنِّي أستَودِعُك محمدًا. ثُم إنَّه مات[٢] .

قصة بَحيرىٰ

حكَىٰ السهَيْليُّ: عن سيَرِ الزُّهْري، أنَّ بَحيرىٰ كان حَبْرًا من أحبار يهودَ.

قلتُ: والذي يَظْهرُ من سياقِ القصَّة أنَّه كان راهبًا نَصرانيًا. والله أعلم.

وعن المسعودي: أنَّه كان من عبد القَيْس، وكان اسمُه سَرْجِسَ، وفي كتاب «المعارف» لابن قُتَيْبَةَ: سُمِعَ هاتفٌ في الجاهليَّة، قبْلَ الإسلامِ بقليلٍ يَهْتفُ ويقولُ: ألاَ إنَّ خيرَ أهلِ الأرض ثلاثة، بَحيرَي، ورِئَابٌ الشَّنِّيُّ، والثالثُ المُنتَظَرُ: وكان الثالثُ المنتظرُ هو الرسولَ ﷺ. قال ابن قُتَيْبَةَ، وكان قبرُ رِئابٍ الشَّنِّيِّ وقبرُ وَلَدِه من بعده، لا يزالُ يُرَىٰ عندَها طَشٌّ. وهو المطرُ الخفيفُ.

فصل
في منشئه، عليه الصلاة والسلام ومرباه، وكفاية الله له، وحياطته، وكيف كان يتيمًا فآواه، وعائلاً فأغناه

قال محمد بن إسحاقَ: فشبَّ رسول الله ﷺ، يكلَؤه الله، ويَحفظُه، ويحُوطُه من أقذارِ الجاهليَّة، لمَا يُريدُ به من كرامتهِ، ورسالته، حتّىٰ بلغ أن كان رجلاً أفضَلَ قومه مروءةً، وأحسنَهم خُلُقًا، وأكرَمهم حَسَبًا، وأحسَنَهم جِوارًا، وأعظَمَهم حِلمًا، وأصدَقَهم حديثًا، وأعظَمَهم أمانةً،

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٢٢، ١٢٣) وفيه الواقدي وابن أبي حبيبة.
(٢) مرسل.

وأبعدَهم من الفُحش، والأخلاقِ التي تُدنسُ الرِّجالَ، تنزُّهًا وتكرُّمًا، حتى ما اسمُه في قومه إلاّ الأمين؛ لمَا جمعَ اللّه فيه من الأمور الصالحة وكان رسولُ اللّه ﷺ - فيما ذُكرَ لي - يُحدِّث عمّا كان اللّهُ يحفظُه به في صغره، وأمرِ جاهليَّته، أنَّه قال: **«لقدْ رأيْتني في غلمانٍ منْ قريش، ننْقلُ الحجارةَ لبعضِ ما يلعبُ به الغلمانُ، كُلُّنا قد تعرَّى، وأخذَ إزارَه، وجعلَهُ على رقبته، يحملُ عليه الحجارةَ، فإني لأُقبلُ معهُمْ كذلكَ وأُدبرُ، إذ لكَمَني لاكمٌ ما أراهُ، لكمةً وجيعةً، ثُمَّ قالَ: شُدَّ عليكَ إزاركَ»**. قال: **«فأخذْتُه فشدَدْتُه عليَّ، ثُمَّ جعلتُ أحملُ الحجارةَ، على رقبتي، وإزاري عليَّ منْ بيْن أصْحابي»** وهذه القصّةُ شبيهةٌ بما في «الصحيح» عندَ بناء الكعبة حينَ كانَ ينقلُ هو وعمُّه العبّاسُ، فإن لم تكُنْها، فهي متقدِّمةٌ عليها كالتَّوطئة لها. واللّهُ أعلمُ.

قال عبد الرزَّاق: أخبرنا ابن جُريج، أخبرني عمرُو بن دينار، أنه سمعَ جابرَ بن عبد الله يقولُ: لمَّا بُنيت الكعبةُ، ذهبَ رسولُ الله ﷺ، ينقلُ الحجارةَ فقال العباسُ لرسول اللّه ﷺ اجعلْ إزاركَ على عاتقكَ من الحجارة، ففعلَ، فخرَّ إلى الأرض، وطمحتْ عيناه، إلى السماء، ثُم قام فقال: **«إزاري»**. فشدَّ عليه إزارَه [1] أخرجاه في «الصحيحين»[2]، من حديث عبد الرزّاق، وأخرجاه أيضًا من حديث روْح بن عُبادةَ، عن زكرياء بن إسحاقَ، عن عمرو بن دينار، عن جابر بنحوه.

وقال البيهقيُّ: أخبرنا أبو عبد الله الحافظُ، وأبو سعيد بن أبي عمرو، قالا: أخبرنا أبو العبّاس محمدُ بن يعقوبَ، حدثنا محمدُ بن إسحاقَ الصَّغاني، حدثنا محمد بن بكير الحضرميُّ، حدثنا عبدالرحمن بن عبد الله الدَّشْتكيُّ، حدثنا عمرُو بن أبي قيْس، عن سماك، عن عكرمةَ، حدثني ابن عباس، عن أبيه، أنه كان ينقُلُ الحجارةَ إلى البيت، حينَ بنتْ قريشٌ البيتَ، قال: وأفردَتْ قريشٌ رجُلين رجُلين، الرِّجالُ ينقُلُون الحجارةَ، وكانت النِّساءُ تنقلُ الشِّيدَ. قال: فكُنتُ أنا وابن أخي، وكنا نحملُ على رقابنا، وأُزُرُنا تحتَ الحجارة، فإذا غشيَنا الناسُ اتَّزرْنا، فبينما أنا أمشي ومحمدٌ أمامي. قال: فخرَّ وانبطحَ على وجهه، فجئتُ أسعَى وألقيتُ حجَري، وهو ينظرُ إلى السماء، فقلتُ: ما شأنُك؟ فقام وأخذَ إزارَه وقال: **«إنِّي نُهيتُ أنْ أمشيَ عُرْيانًا»** قال: وكنتُ أكتُمُها النَّاسَ، مخافةَ أن يقولوا: مجنونٌ[3].

وروى البيهقيُّ: من حديث يونسَ بن بكير، عن محمد بن إسحاقَ، حدثني محمدُ بن عبد الله بن قيس بن مخرمةَ، عن الحسن بن محمد بن عليِّ بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدِّه عليِّ بن أبي طالب، عن أبيه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: **«ما همَمْتُ بشيءٍ ممَّا كانَ أهلُ الجاهليَّة يهُمُّونَ به، منَ النسَاء، إلاَّ ليلتيْن، كلتاهما عصَمني اللهُ عزَّ وجلَّ، فيهما، قلتُ ليلةً لبعْض فتْيان مكَّةَ، ونحنُ في رعَاءِ غنَم أهْلها - فقلتُ لصَاحبِي: أبْصرْ لي غنَمي حتَّى أدْخُلَ مكَّةَ أسْمُرُ فيها، كمَا يسْمرُ الفتْيانُ. فقال:**

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٢) بإسناد صحيح.
(٢) في البخاري (٣٨٢٩) ومسلم (٣٤٠).
(٣) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٢، ٣٣) ورواية سماك عن عكرمة مضطربة لكن يشهد لهذا الحديث رواية الصحيحين السابقة دون قوله: إني نهيت أن أمشي عريانًا.

بلى. قال: فَدَخَلْتُ حَتَّى إذا جئتُ أوَّلَ دارٍ من دور مكةَ، سَمِعْتُ عَزْفًا بالغَرَابيلِ والمَزَاميرِ فقلتُ: مَا هذا؟ قَالوا: تَزَوَّجَ فلان فُلانَة. فجَلَسْتُ أنظرُ، وضَرَبَ الله على أذُني، فوالله ما أيْقَظَني إلاَّ مَسُّ الشَّمْس، فرَجَعْتُ إلى صَاحِبي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ: فقلتُ: ما فعلتُ شيئًا. ثمَّ أخبَرتُهُ بالَّذي رَأيتُ، ثُمَّ قلتُ لَهُ ليلةً أخْرَى: أبصرْ لي غَنَمي، حتَّى أسمُرَ. فَفَعَلَ، فدَخَلْتُ، فلَمَّا جئتُ مكةَ، سَمِعْتُ مثْلَ الذي سَمِعْتُ تلكَ الليلَةَ، فسَألْتُ، فَقِيلَ: نَكَحَ فُلانُ فلانَة. فَجَلَسْتُ أنظرُ، وضَرَبَ الله عَلَى أذُني، فوالله ما أيْقَظَني إلاَّ مَسُّ الشَّمْس، فَرَجَعْتُ إلَى صاحبي، فَقَالَ: مَا فَعَلْتَ؟ فقلتُ: لا شيءَ. ثُمَّ أخْبَرْتُهُ الْخَبَرَ، فوالله ما هَمَمْتُ، ولاَ عُدْتُ بَعْدَهَا لشيءٍ من ذلكَ، حتَّى أكرمَني اللهُ، عزَّ وَجَلَّ، بنُبُوَّته»[1] وهذا حديثٌ غريبٌ جداً، وقد يكونُ عن عليٍّ نفسه، ويكونُ قولُه في آخرِه: «حتَّى أكْرَمَني اللَّه، عزَّ وجلَّ، بنُبُوَّته» مقحَمًا واللهُ أعلمُ.

وشيخُ ابن إسحاقَ هذا، ذكَره ابنُ حبانَ في «الثِّقات» وزعَم بعضُهم أنه من رجال «الصحيح» قال شيخنا في «تهذيبه»: ولم أقفْ على ذلك واللهُ أعلمُ.

وقال الحافظ البيهقي: حدَّثني أبو عبد الله الحافظُ، حدَّثنا أبو العبَّاس محمدُ بن يعقوبَ، حدَّثنا الحسنُ بن عليٍّ بن عفانَ، العامريُّ، حدَّثنا أبو أسامةَ، حدثنا محمدُ بن عَمرو، عن أبي سَلَمَةَ، ويَحيى بن عبدِ الرحمنِ بن حاطبٍ، عن أسامةَ بن زيدٍ، عن زيدِ بن حارثَةَ، قال: كان صَنَمٌ من نُحاسٍ يُقالُ له: إسافٌ. أو: نائلَةُ. يتَمَسَّحُ به المشركونَ إذا طافوا، فطافَ، رَسول الله ﷺ، وطفْتُ معَه، فلمَّا مرَرْتُ مسَحْتُ به، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تَمَسَّهُ**» قال زيدٌ: فطُفْنا، فقُلْتُ في نفسي: لأمَسَّنَّهُ، حتى أنظرَ ما يكونُ فمَسَحْتُه، فقال رسول الله ﷺ: «**ألَمْ تُنْهَ؟**» قال البيهقي: زاد غيرُه، عن محمدِ بن عمرٍو، بإسناده: قال زيدٌ: فوالذي أكْرَمَه وأنزلَ عليه الكتابَ، ما استَلَمَ صَنَمًا، حتى أكرَمَهُ اللهُ تعالى بالذي أكرمَه، وأنزَل عليه[2].

وتقدَّمَ قولُه، عليه الصَّلاة والسَّلام، لبَحيرَى، حينَ سأله باللاَّت والعُزىَّ: «**لا تَسْألْني بهمَا؛ فوَالله مَا أبغضْتُ شيئا بغضهُمَا**» فأمَّا الحديثُ الذي قاله الحافظُ أبو بكرٍ البيهقي: أخبرَنا أبو سَعْدٍ المَالِينيُّ، أنبأنا أبو أحمدَ بن عديٍّ الحافظ، حدثنا إبراهيمُ بن أسباطٍ، حدَّثنا عثمانُ بن أبي شَيْبَةَ، حدَّثنا جَريرٌ، عن سفيَانَ الثَّوريِ، عن عبدِ الله بن محمدِ بن عَقيلٍ، عن جابرِ بن عبد اللهِ، رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ، يَشْهَدُ مع المشركينَ مَشاهِدَهم. قال: فسمع مَلَكَين خلفَه، وأحدُهما يقولُ لصاحبِه: اذهبْ بنا حتَّى نقومَ خلفَ رسولِ الله ﷺ. قال: كيفَ نقومُ خلفَه وإنما عهدُه باستلامِ الأصنامِ قُبَيْلُ؟ قال: فلم يَعُدْ

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٢٤٥) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٣) والبخاري في «التاريخ» (١/ ١/ ١٣٠) والبزار كما في «كشف الأستار» (٣/ ١٥٩) كلهم من طرق عن ابن إسحاق به. وفيه محمد بن عبد اللَّه بن قيس بن مخرمة وثقه ابن حبان وروىٰ عنه اثنان انظر «الجرح والتعديل» (٧/ ٣٠٣) و«التهذيب» (٩/ ٢٤٢) والبخاري في «التاريخ» (١/ ١/ ١٣٠).

(٢) **إسناده حسن**: أخرجه الطبراني (٤٦٦٥) والبيهقي (٢/ ٣٤) والحاكم (٣/ ٢١٥) كلهم من طريق أبي أسامة «حماد بن أسامة» به ورجال إسناده كلهم ثقات فيما عدا «محمد بن عمرو بن علقمة» وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٤١٧) رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو وهو حسن الحديث.

بعدَ ذلك أن يَشهَدَ مع المشركين مَشاهِدهم (١) . فهو حديثٌ أنكرَه غير واحدٍ من الأئمة على عثمانَ بن أبي شَيْبَةَ، حتَّىٰ قال الإمامُ أحمدُ فيه: لم يكُن أخوه يتلفَّظْ بشيءٍ من هذا. وقد حَكَىٰ البيهقيُّ: عن بعضِهم أنَّ مَعناه، أنه شَهِدَ معَ من يستَلِمُ الأصنامَ، وذلك قبلَ أن يُوحَىٰ إليه. والله أعلمُ. وقد تقدَّم في حديثِ زيدِ بن حارثةَ، أنه اعتَزَل شهودَ مَشاهِد المشركينَ، حتَّىٰ أكرَمَه اللهُ برسالته، وثبتَ في الحديث، أنه كان لا يقفُ بالمُزْدلِفَةِ لَيْلَةَ عَرَفَةَ، بل كان يقفُ مع الناس بعرفاتٍ، كما قال يُونُسُ بن بكيرٍ، عن محمدِ ابن إسحاقَ، حدَّثني عبدالله بن أبي بكرٍ، عن عُثمانَ بن أبي سُليمانَ، عن عمِّه، نافعِ بن جُبَيْرِ بن مطعمٍ، عن أبيه جُبَيرٍ، قال: لقد رأيت رسولَ اللهِ ﷺ، وهو علىٰ دينِ قومِهِ، وهو يَقِفُ علىٰ بعيرٍ له بعَرَفاتٍ مِن بينِ قومِهِ، حتَّىٰ يَدْفَعَ معهُم، توفيقًا من اللهِ، عزَّ وجلَّ، له.(٢)

قال البيهقي: معنىٰ قولِه: علىٰ دينِ قومِه، ما كان بَقِي من إرْثِ إبراهيمَ، وإسماعيلَ، عليهما السَّلامُ، ولم يُشْرِكْ باللهِ قطُّ، صلواتُ الله وسلامُه عليه دائمًا. قلتُ: ويُفهمُ مِن قوله هذا أيضًا، أنَّه كان يَقِف بعرفاتٍ قَبلَ أن يُوحَىٰ إليه. وهذا توفيقٌ منَ الله له. وراوه الإمام أحمدُ، عن يَعْقُوبَ، عن أبيه، عن محمدِ بن إسحاقَ به، ولفظُه، رأيتُ رسولَ الله ﷺ، قَبلَ أن يُنزَّلَ عليه، وإنّه لَواقِفٌ علىٰ بَعيرٍ له مع الناسِ بعَرَفاتٍ، حتَّىٰ يَدْفَعَ معهم؛ توفيقًا من اللهِ (٣).

وقال الإمام أحمدُ: حَدَّثَنا سفيانُ، عن عمرو بن (٤)محمدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عن أبيه، قال: أضْلَلْتُ بعيرًا لي بعَرَفَةَ، فذَهَبتُ أطْلُبُه، فإذا النبيُّ ﷺ، واقفٌ، فقُلْتُ: إنَّ هذا مِن الحُمْسِ، ما شأنه ههنا (٥)؟ وأخرجاه مِن حديثِ سفيَانَ بن عُيَيْنَةَ به.

ذكرُ شهودِه، عليه الصلاةُ والسَّلامُ، حَرْبَ الفِجَار

قال ابن إسحاق: هاجَتْ حربُ الفِجَار، ورسولُ الله ﷺ، ابنُ عِشرينَ، سنةً، وإنَّما سُمِّي يومَ الفِجَار؛ بما استَحَلَّ هذان الحيَّانِ، كِنانَةُ، وقَيْسُ عَيْلانَ - فيه مِن المحارِمِ بينَهم. وكان قائدَ قريشٍ وكِنانةَ حربُ بنُ أُمَيَّةَ بن عبدِ شمسٍ. وكان الظَّفَرُ في أوَّلِ النهارِ لِقَيْسٍ، علىٰ كِنانَة، حتَّىٰ إذا كان في وَسَطِ النَّهارِ، كان الظَّفَرُ لكِنانةَ علىٰ قَيسٍ.

وقال ابن هشام: فلمَّا بلَغَ رسولُ اللهِ ﷺ، أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، أو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً - فيما حدَّثَني به أبو عُبَيْدَةَ النَّحْوِيُّ، عَن أبي عمرِو بن العَلاءِ - هاجتْ حربُ الفِجَارِ بينَ قريشٍ ومن معها من كِنانةَ وبين

(١) **ضعيف وفي متنه نكارة كما قال المصنف:** أخرجه البيهقي (٢/ ٣٥) وأبو يعلىٰ (١٨٧٧، ١٨٧٨) عن عثمان بن أبي شيبة به وقال أبو يعلىٰ في مرة: حدثنا عثمان حدثنا جرير عن سفيان عن عبد اللَّه بن زياد بن حدير عن النبي ﷺ مرسلاً ولعل الوهم من عثمان بن أبي شيبة.

(٢) **حسن:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٧) والطبراني (١٥٧٧) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٦٤) وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي. ورجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالسماع.

(٣) **حسن:** أخرجه أحمد (٤/ ٨٢).

(٤) صوابه «عن» محمد بن جبير انظر أطراف المسند (٢/ ١٨٤).

(٥) **صحيح على شرط الشيخين:** وقد أخرجاه البخاري (١٦٦٤) ومسلم (١٢٢٠).

قَيْسِ عَيْلانَ وكانَ الَّذي هاجَهَا ، أنَّ عُرْوَةَ الرَّحَّالَ بن عُتْبةَ بنِ جَعْفَرِ بنِ كِلابِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عامرِ بن صَعْصَعَةَ بنِ مُعَاوِيَةَ بن بَكْر بن هَوَازِنَ، أَجار لَطِيمَةً - أي تجارةً - للنُّعمانِ بن المُنْذِر، فقال له البَرَّاضُ بنُ قَيْسٍ - أحدُ بني ضَمْرَةَ بنِ بكرِ بن عبد مَنَاة بنِ كِنَانَةَ -: أَتُجِيرُها على كِنانةَ؟ قال: نعم، وعلى الخَلْقِ. فخرَجَ فيها عُرْوَةُ الرَّحَّالُ، وخرَجَ البَرَّاضُ يَطْلُبُ غَفلَتَه، حتى إذا كان بتَيْمَنَ ذي ظِلالٍ بالعاليةِ، غفَلَ عُرْوَةُ، فوثَبَ عليه البَرَّاضُ، فقَتَلَه في الشهرِ الحرامِ، فلذلك سُمِّيَ الفِجَارَ، وقال البَرَّاضُ في ذلك:

وداهِيَةٍ تُهِمُّ الناسَ قَبْلي ... شَدَدْتُ لها بني بَكْرٍ ضُلوعي

هَدَمْتُ بِهَا بُيُوتَ بني كِلابٍ ... وأَرْضَعْتُ المَوالِيَ بالضُّروعِ

رَفَعْتُ له بذي ظَلَّالَ كَفِّي ... فَخَرَّ يَمِيدُ كالجِذْعِ الصَّرِيعِ

وقال لَبِيدُ بن رَبِيعَةَ بن مالكِ بن جعفرِ بن كِلابٍ.

وأَبْلِغْ - إن عَرَضْتَ - بني كِلابٍ ... وعامِرَ والخُطُوبُ لَهَا مَوَالي

وأَبْلِغْ - إن عَرَضْتَ - بَنِي نُمَيْرٍ ... وأَخْوالَ القَتِيلِ بَنِي هِلالِ

بأنَّ الوافِدَ الرَّحَّالَ أمْسَى ... مُقِيمًا عِنْدَ تَيْمَنَ ذي ظَلالِ

قال ابن هشام[1]: فأَتى آتٍ قُرَيشًا، فقال: إنَّ البَرَّاضَ قد قَتَلَ عُرْوَةَ، وهو في الشَّهرِ الحَرامِ، بعكَاظٍ. فارتَحَلُوا، وهَوَازِنُ لا تَشْعُرُ بِهم، ثُم بَلَغَهم الخَبرُ، فاتَّبَعُوهم، فأدْرَكوهم قبلَ أن يدَخُلُوا الحَرَمَ، فاقْتَتلَوا حتّى جاء الليلُ، فدَخَلُوا الحرَمَ، فأَمْسَكَتْ هَوَازِنُ عنهم، ثُم التقَوْا بعدَ هذا اليوم أيّامًا، والقومُ مُتَسانِدون، على كلِّ قَبِيلٍ مِن قريشٍ وكِنَانةَ رَئِيسٌ منهم، وعلى كُلِّ قَبِيلٍ مِن قَيْسٍ رَئِيسٌ منهم. قال: وشَهِد رسولُ الله ﷺ، بعضَ أيَّامِهم، أَخرَجه أعمامُه معهم، وقال رسولُ الله ﷺ: «**كُنْتُ أُنَبِّلُ على أَعْمَامي**» أي أرُدُّ عليهم نَبْلَ عدوِّهم إذا رَمَوْهم بها.

قال ابن هشام: وحديثُ الفِجَارِ أَطولُ مما ذكَرْتُ، وإنما منَعَني مِن استِقْصائه، قَطْعُه حديثَ سِيرَة رسولِ الله ﷺ.

وقال السُّهَيْليُّ: والفِجَارُ بكَسْرِ الفاءِ على وَزْنِ قِتالٍ: وكانت الفِجَاراتُ في العربِ أربعةً، ذكَرهنَّ المَسْعُوديُّ، وآخِرُهن؛ فِجَارُ البَرَّاضِ هذا. وكان القِتالُ فيه في أربعةِ أيَّامٍ، يوم شَمطَةَ، ويومِ العَبْلاَءِ، وهما عندَ عُكَاظٍ، ويومِ الشَّرب - وهو أعظمُها يومًا - وهو الذي حضَره رسولُ الله ﷺ، وفيه قَيَّدا - رئيسُ قريشٍ وبني كِنَانَةَ، وهما حَرْبُ بن أُمَيَّةَ وأخوه سُفْيَانُ - أنفسَهما لئلاَّ يَفِرَّا. وانهزَمَتْ يومئذٍ قيسٌ إلا بني نَضْرٍ، فإنَّهم ثَبَتُوا، ويوم الحُرَيْرَةَ عند نَخْلَةَ، ثم تَواعَدوا مِنَ العامِ المُقْبِلِ إلى عكاظٍ، فلمّا تَوَافَوُا المَوْعِدَ، رَكِبَ عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ جَمَلَه، ونادى: يا مَعْشَرَ مُضَرَ، عَلاَمَ تُقاتلون؟ فقالتْ له هَوَازِنُ: ما تَدْعو إليه؟ قال: الصُّلْحُ. قالوا: وكيف؟ قال نَدِي قَتْلاَكُم ونَرهَنُكم رَهائنَ عليها، ونَعفُو عن دمائِنا قالوا: ومَن لنا بذلك؟ قال: أنا. قالوا: ومَن أنت؟ قال: عُتْبَةُ بنُ رَبيعةَ، فوقَع الصُّلْحُ على ذلك،

(١) في «السيرة» (١/ ٢٠١)، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٠٦) عن الواقدي بمعناه، والواقدي «متروك».

وبَعثوا إليهم أربعين رجلاً، فيهم حكيمُ بن حِزَامٍ، فلمّا رأتْ بنو عامرِ بن صَعْصَعَةَ الرَّهْنَ في أيديهِم، عَفَوْا عن دمائِهم، وانقضَتْ حربُ الفجَارِ، وقد ذَكَر الأمَوِيُّ حُروبَ الفجَارِ، وأيّامَها، واستقْصَاها مُطوّلاً، فيما رواه عن الأثْرَم، وهو المُغِيرةُ بنُ عليٍّ، عن أبي عُبَيْدَةَ معْمرِ بن المُثَنَّى، فذكَر ذلك.

فصلٌ

قال الحافظُ البيْهَقيُّ: أخبَرَنا أبو سَعْدٍ المَالِينِيُّ، أنبأنَا أبو أحمدَ بن عديٍّ الحافظُ، حدَّثنا يَحيى بن عليٍّ ابن هاشمٍ الخَفَّافُ، حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ الأذْرميُّ حدَّثنا إسماعيلُ بن عُلَيَّةَ، عن عبدالرحمنِ بن إسحاقَ، عن الزُّهريِّ، عن محمدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عن أبيه، عن عبدالرحمن بن عوفٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **شَهِدْتُ مَعَ عُمُومَتي حلفَ المُطَيَّبِينَ، فما أُحبُّ أن أنْكُثَهُ ـ أو كَلمةً نحوَها ـ وأنَّ لي حُمْرَ النَّعَمِ**»[1] . قال: وكذلك رواه بشرُ بن المُفَضَّلِ، عن عبدِ الرحمنِ، قال: وأخبرَنا أبو نصرِ بن قَتادةَ، حدَّثنا أبو عَمرو بن مَطَرٍ، حدَّثنا أبو بكرٍ، بنُ أحمدَ بن داودَ السِّمنانِيُّ، حدَّثنا مُعَلَّى ابن مَهْدِيٍّ، حدَّثنا أبو عَوانَةَ، عن عمرَ بن أبي سَلَمةَ، عن أبيه، عن أبي هُرَيرَةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا شَهِدْتُ حلْفًا لقُرَيْشٍ إلاَّ حلفَ المطيَّبينَ، وَمَا أحبُّ أنَّ لي حُمْرَ النَّعَمِ وأني كُنْتُ نَقَضْتُه**». قال: والمُطَيَّبونَ؛ هاشمٌ، وأميَّةُ، وزُهْرَةُ، ومَخْزومٌ[2] ، قال البيهقيُّ: كذا رُوِيَ هذا التفسيرُ مُدْرَجًا في الحديث، ولا أدْرِي قائلَه، وزعَم بعضُ أهلِ السِّيَرِ أنَّه أرادَ حِلْفَ الفُضُولِ، وأنَّ النبيَّ ﷺ، لم يُدْرِكْ حِلْفَ المُطَيَّبِينَ.

قلتُ: هذا لا شكَّ فيه، وذلك أنَّ قريشًا تحَالفوا بعدَ موتِ قُصَيٍّ، وتَنازَعوا في الذي كان جعلَه قُصَيٌّ لابنه عبد الدَّارِ من السِّقايَةِ، والرِّفادَةِ، واللِّواءِ، والنَّدْوَةِ، والحِجابَةِ، ونازَعهم فيه بنو عبدمَنافٍ، وقامَتْ مع كلِّ طائفةٍ قبائلُ مِن قريشٍ، وتَحالَفوا على النُّصْرَةِ لحِزْبِهم، فأحضَرَ أصحابُ بني عبد منافٍ جَفنَةً فيها طِيبٌ، فوَضَعوا أيْدِيَهُمْ فيها، وتَحالَفوا، فلمَّا قاموا مسَحُوا أيديَهم بأركانِ البيتِ، فسُمُّوا المُطَيَّبِينَ، كما تقدَّمَ، وكان هذا قديمًا، ولكنَّ المُرادَ بهذا الحِلْفِ، حِلْفُ الفُضولِ، وكان في دارِ عبد الله بن جُدْعانَ، كما رواه الحُمَيْدِيُّ، عن سُفْيانَ بن عُيَيْنَةَ، عن عبدالله، عن محمدٍ وعبدالرحمنِ ابْنَيْ أبي بكْرٍ، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ شَهِدْتُ في دَارِ عَبْد الله بن جُدْعَانَ حلْفًا، لَوْ دُعيتُ به في الإسْلاَمِ لأَجبْتُ، تَحَالَفُوا أَنْ يَرُدُّوا الفُضُولَ عَلَى أهْلِهَا وَألاَّ يَعُزَّ ظَالِمٌ مظلُومًا**»[3] قالَوا: وكان حِلْفُ الفضولِ قبلَ المَبعثِ بعِشرين

---

(١) **صحيح:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٧) وابن حبان (٤٣٧٣) من طريق إسماعيل بن علية عن عبد الرحمن به وأخرجه أحمد (/ ١٩٠)، والبزار (١٠٠٠)، وأبو يعلى (٨٤٥)، والبيهقي (٦/ ٣٦٦) من طريق بشر بن المفضل عن عبدالرحمن به وأخرجه أبو يعلى (٨٤٤) وفي «الآحاد والمثاني» (٢٢٢) من طريق خالد الواسطي عن عبد الرحمن به. ورجاله ثقات وعبد الرحمن بن إسحاق صدوق من رجال مسلم قال عنه الإمام أحمد: أما ما كتبنا من حديثه فهو صحيح.

(٢) **صحيح لغيره:** ويشهد له الحديث السابق أخرجه البيهقي (٦/ ٣٣٦) وفي (٢/ ٣٨) وابن حبان (٤٣٧٤) من طرق عن معلى ابن مهدي به. ومعلى بن مهدي أورده ابن أبي حاتم (٨/ ٣٣٥) وقال: يحدث أحيانًا بالحديث المنكر ذكره ابن حبان في الثقات وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ١٥١): صدوق في نفسه.

(٣) **إسناد منقطع:** بين عبد اللَّه بن أبي بكر بن محمد بن حزم وبين محمد بن أبي بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر. أخرجه السهيلي في «الروض الأنف» (١/ ١٥٥) (٢/ ٧١) وله شاهد مرسل أخرجه البيهقي في «السنن» (٦/ ٣٦٧) من طريق يونس ابن بكير عن ابن إسحاق عن محمد بن زيد بن المهاجر عن طلحة بن عبد اللَّه بن عوف وسيأتي إن شاء اللَّه. وله شاهد ضعيف أخرجه ابن سعد في «الطبقات» من طريق الواقدي وهو ضعيف انظر «الطبقات» (١/ ١٠٣).

سنةً، في شهر ذي القَعدَة، وكان بعدَ حرب الفِجَارِ بأربعة أشهُرٍ، وذلك لأنَّ الفِجَارَ كان في شعبانَ مِن هذه السَّنَة، وكان حِلْفُ الفُضولِ أكرمَ حِلْفٍ سُمِعَ به، وأشرَفَه في العَرَب، وكان أوَّلَ مَن تكلَّمَ به، ودَعا إليه، الزبيرُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وكان سببُه، أنَّ رجلاً من زُبَيْدٍ قدِمَ مكةَ، ببِضَاعَةٍ، فاشتراها منه العاصُ بن وَائلٍ، فحَبَس عنه حقَّه، فاستَعْدَىٰ عليه الزُّبَيْدِيُّ الأَحلافَ؛ عبدَ الدارِ، ومخزومًا وجُمَحَ، وسهمًا وعَدِيَّ بن كعبٍ، فأَبَوْا أن يُعِينوا علىٰ العاصِ بن وائلٍ، وزَبَرُوه ـ أي انتَهَرُوه ـ فلمّا رأىٰ الزُّبَيْدِيُّ الشرَّ، أوْفَىٰ علىٰ أبي قُبَيْسٍ عندَ طُلوعِ الشَّمسِ ـ وقُريشٌ في أنديتِهم حولَ الكعبةِ ـ فنادىٰ بأعلىٰ صوتِه.

يا آلَ فِهْرٍ لمَظلُومٍ بضَاعَتُهُ   ببَطْنِ مكَّةَ نائي الدَّارِ والنَّفَرِ
ومُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لمْ يَقْضِ عُمْرَتَه   يَا لَلرِّجَالِ وبَيْنَ الحِجْرِ والحَجَرِ
إنَّ الحَرَامَ لمَنْ تَمَّتْ كَرامتُه   ولاَ حَرَامَ لثَوبِ الفَاجِرِ الغُدَرِ

فقام في ذلك الزُّبيرُ بن عبد المطَّلب، وقال: ما لهذا مَتْرَكٌ، فاجتمعَتْ هاشمٌ، وزُهْرَةُ، وتَيْمُ بنُ مُرَّةَ، في دارِ عبد الله بن جُدْعَانَ، فصَنَعَ لهم طعامًا، وتحالَفوا في ذي القَعْدَة، في شهرٍ حرامٍ، فتعَاقَدوا، وتعاهَدوا بالله، لَيَكُونُنَّ يدًا واحدةً مع المظلومِ علىٰ الظَّالمِ، حتىٰ يُؤَدَّىٰ إليه حقُّه، ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً وما رَسَا ثَبِيرٌ وحِرَاءُ مكَانَهما، وعلىٰ التَّأَسِّي في المعاشِ، فسمَّتْ قريشٌ ذلك الحِلْفَ حِلْفَ الفُضُول، وقالوا: لقد دخَل هؤلاءِ في فضْلٍ مِن الأمرِ. ثم مَشَوْا إلىٰ العاصِ بن وائلٍ، فانتزَعُوا منه سلْعَةَ الزُّبَيْدِيِّ، فدفَعُوها إليه، وقال الزُّبيرُ بن عبد المُطَّلِبِ في ذلك:

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنْ حلفًا عَلَيْهِمْ   وإنْ كُنَّا جَمِيعًا أهْلَ دَارِ
نُسَمِّيهِ الفُضُولَ إذَا عَقَدْنَا   يَعِزُّ بهِ الغَرِيبُ لِذي الجِوَارِ
ويَعْلَمُ مِن حَوَالِي البَيْتِ أنَّا   أُبَاةُ الضَّيْمِ نَمنَعُ كُلَّ عَارِ

وقال الزُّبيرُ أيضًا:

إنّ الفُضُولَ تعَاقَدُوا وتَحَالَفُوا   أَلاّ يُقِيمَ بِبَطْنِ مَكَّةَ ظَالِمُ
أَمْرٌ عليهِ تَعَاقَدُوا وتَوَاثَقُوا   فَالجَارُ والمُعْتَرُّ فِيهِمْ سَالِمُ

وذَكَر قاسمُ بن ثابتٍ في «غَريبِ الحديث» أنَّ رجلاً مِن خَثْعَمٍ قَدمَ مكَّةَ حاجًّا ـ أو مُعْتَمِراً ـ ومعه ابنَةٌ له، يُقالُ لها: القَتُولُ، مِن أوضَأ نساءِ العالَمينَ، فاغْتَصَبَها منه نُبَيْهُ بنُ الحَجَّاجِ، وغَيَّبَها عنه، فقال الخَثْعَمِيُّ: مَن يُعْدِيني علىٰ هذا الرَّجُلِ؟ فقيل له: عَلَيْكَ بحِلْفِ الفُضُول. فوقَفَ عندَ الكعْبَةِ، ونادَىٰ يا لَحِلْفِ الفُضُول. فإذا هم يُعْنِقُون إليه من كلِّ جانبٍ، وقد انْتَضَوْا أسيَافَهم يَقولون: جاءَك الغَوْثُ فما لك؟ فقال: إنَّ نُبَيْهًا ظَلَمَني في بِنْتي وانْتَزَعَها مِنِّي قَسْرًا. فساروا معه حتىٰ وقَفُوا علىٰ باب دَارِه، فخرَجَ إليهم، فقالوا له: أخرجِ الجَارِيَةَ ويْحَكَ! فقد علمْتَ مَن نحنُ، وما تَعاقَدْنا عليه. فقال: أَفْعَلُ، ولكنْ مَتِّعوني بها الليلةَ. فقالوا: لا والله، ولا شَخْبَ لَقْحَةٍ فأخرَجَها إليهم وهو يَقولُ:

راحَ صَحْبِي ولَمْ أُحَيِّ القَتُولاَ   لم أُوَدِّعْهُمُ وداعًا جَمِيلاَ
إذْ أَجَدَّ الفُضُولُ أن يَمْنَعُوهَا   قَدْ أرَاني ولاَ أخَافُ الفُضُولاَ
لاَ تَخَالِي أنّي عَشِيَّةَ رَاحَ الرَّكْـ   ـبُ هُنْتُمْ عَلَيَّ أنْ لا أقولا

وذكر أبياتًا أخَرَ غيرَ هذه وقد قيلَ: إنَّما سُمِّيَ هذا حلفَ الفُضُول؛ لأنَّه أَشْبَهَ حلْفًا تحالَفَتْهُ جُرْهُمُ على مثلِ هذا، من هذا، من نَصْرِ المظلوم على ظالمه، وكان الدَّاعي إليه ثلاثةٌ من أشرافهم، اسمُ كلٍّ واحد منهم فَضْلٌ، وهم: الفضلُ بن فَضَالَةَ، والفَضْلُ بن وَدَاعَةَ والفُضَيْلُ بنُ الحَارِثِ. هذا قولُ ابن قُتَيْبَةَ وقالَ غيرُه هُمُ الفُضَيْلُ بنُ شُراعَة والفَضْلُ بنُ وَدَاعة، والفَضْلُ بنُ قُضَاعَةَ. وقد أورد السهيليُّ هذا، رَحِمَه اللهُ. وقال محمدُ بن إسحاقَ بن يَسَارٍ: وتداعتْ قبائلُ من قريشٍ إلى حِلْفٍ، فاجتَمَعوا له في دارِ عبدالله بن جُدْعانَ؛ لشرَفِه، وسنِّه، وكان حِلْفُهم عندَه، بنو هاشم، وبنو المُطَّلِب، و أسدُ بنُ عبدِ العُزَّى، وزُهْرَةُ بنُ كِلابٍ، وتَيْمُ بن مُرَّةَ. فتعاهَدُوا، وتعاقَدُوا، على أن لا يَجِدُوا بمكةَ مَظلومًا من أهْلها، وغيرهم ممَّن دخَلَها، من سائرِ النَّاس؛ إلاَّ كانوا معه، وكانوا على مَن ظَلَمه، حتى يَرُدَّ عليه مَظْلِمَتَه، فسمَّتْ قريشٌ ذلك الحِلْفَ، حِلْفَ الفُضُول.

قال محمدُ بن إسحاقَ: فحدَّثني محمدُ بن زيدِ بن المُهاجرِ بن قُنْفذٍ التَّيميُّ، أنَّه سَمِع طَلحةَ بنَ عبد الله بن عَوْفٍ الزُّهْريُّ يقولُ: قال رسولُ الله ﷺ: **«لَقَدْ شَهِدْتُ في دَارِ عبدِ الله بن جُدْعانَ حِلْفًا، ما أُحبُّ أنَّ لي به حُمْرَ النَّعَم، ولوْ أُدْعَى به في الإسْلام لأَجَبْتُ»**[(١)].

قال ابنُ إسحاق: وحدَّثني يزيدُ بن عبد الله بنِ أسامةَ بن الهَادِي اللَّيْثيُّ، أنَّ محمدَ بنَ إبراهيمَ بن الحارث التَّيميَّ حدَّثه، أنه كان بينَ الحسين بنِ عليٍّ بن أبي طالبٍ، وبينَ الوليد بن عُتْبةَ بن أبي سفيانَ - والوليدُ يومئذٍ أميرُ المدينة أمَّرَه عليها عمُّه معاويةُ بن أبي سفيانَ - مُنازَعَةٌ في مالٍ كان بينَهما بذي المَرْوَة، فكان الوليدُ تَحَاملَ على الحسين في حقِّه لسُلطانه، فقال له الحسينُ: أحلفُ بالله، لَتُنْصِفَنِّي من حقِّي، أو لآخُذَن سيفي، ثُم لأَقُومَنَّ في مسجدِ رسُولِ الله ﷺ، ثُم لأَدْعُوَنَّ بحِلْفِ الفُضول، قال: فقال عبد الله بن الزبير - وهو عندَ الوليد حينَ قال له الحسينُ ما قال -: وأنا أحلفُ بالله لَئِنْ دَعَا به، لآخُذَنَّ سَيْفي، ثُم لأَقُومَنَّ معه، حتى يُنْصَفَ من حَقِّه أو نموتَ جميعًا، قال: وبَلَغت المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَةَ بن نَوْفَلٍ الزُّهْرِيَّ، فقال مثْلَ ذلك. وبلغتْ عبدَ الرحمن بنَ عثمانَ بن عُبيدِ الله التَّيميَّ، فقال مثلَ ذلك. فلمَّا بلغ ذلك الوليد بن عُتبةَ، أنصفَ الحسينَ من حقِّه، حتى رَضِيَ[(٢)].

فصل
في تزويجه، عليه الصلاة والسَّلامُ خديجةَ بنتَ خُوَيْلدٍ

قال ابن إسحاقَ: وكانت خديجةُ بنتُ خُوَيلدٍ امْرأةً تاجرةً، ذاتَ شَرَفٍ ومالٍ، تَستأجرُ الرِّجالَ على مالِها مُضارَبَةً، فلمَّا بلَغَها عن رسولِ الله ﷺ، ما بلَغَها؛ من صِدْق حديثِه، وعِظَم أمانته، وكَرَم أخلاقه، بعثَتْ إليه، فعَرَضَتْ عليه أن يَخْرُجَ لها في مالِها تاجرًا إلى الشام، وتُعْطِيَه أفضلَ ما تُعْطي غيرَه مِن التُّجَّار، مع غُلامٍ لها يقالُ له: مَيْسَرَةُ فقَبِلَه رسولُ الله ﷺ، منها، وخرجَ في مالِها

---

(١) **مرسل:** أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٤٠).
(٢) **صحيح إلى الحسين:** أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٤١).

ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى نزل الشام فنزل رسول الله ﷺ، في ظل شجرة، قريبًا من صومعة راهب من الرهبان، فاطّلع الراهب إلى ميسرة، فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ثم باع رسول الله ﷺ، سلعته - يعني تجارته - التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة ومعه ميسرة، فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر، يرى ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة، بمالها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريبًا، وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من إظلال الملكين إياه، وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامتها، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها، بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له - فيما يزعمون - يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك، وسطتك في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك. ثم عرضت نفسها عليه، وكانت أوسط نساء قريش نسبًا وأعظمهن شرفًا، وأكثرهن مالاً، كل قومها كان حريصًا على ذلك منها لو يقدر عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله ﷺ، ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه، فتزوجها، عليه الصلاة والسلام.

قال ابن هشام: فأصدقها عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت.

قال ابن إسحاق: فولدت لرسول الله ﷺ، ولده كلهم - إلا إبراهيم - القاسم، وكان به يكنى، والطيب والطاهر، وزينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة.

قال ابن هشام: أكبرهم القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر، وأكبر بناته رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة.

قال البيهقي: عن الحاكم: قرأت بخط أبي بكر بن أبي خيثمة: حدثنا مصعب بن عبد الله الزبيري قال: أكبر ولده، عليه الصلاة والسلام، القاسم، ثم زينب، ثم عبد الله، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية. وكان أول من مات من ولده القاسم، ثم عبد الله، وبلغت خديجة خمسًا وستين سنة، ويقال: خمسين. وهو أصح[1]. وقال غيره: بلغ القاسم أن يركب الدابة والنجيبة، ثم مات بعد النبوة وقيل: مات وهو رضيع، فقال رسول الله ﷺ: **«إن له مرضعًا في الجنة يستكمل رضاعه»**[2] والمعروف أن هذا في حق إبراهيم.

وقال يونس بن بكير: حدثنا إبراهيم بن عثمان عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: ولدت خديجة لرسول الله ﷺ، غلامين وأربع نسوة، القاسم، وعبد الله، وفاطمة، وأم كلثوم،

---

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٧٠، ٧١) ولو صح السند إلى مصعب فهو مرسل ومصعب بن عبد الله الزبيري صدوق عالم بالأنساب لذا قد يستأنس به في هذه المواطن.

(٢) المعروف أن هذا في حق إبراهيم كما ذكر المصنف والحديث أخرجه أحمد بسنده عن البراء بن عازب قال: توفي إبراهيم ابن النبي ﷺ ابن ستة عشر شهراً فقال: «ادفنوه بالبقيع فإن له مرضعًا تتم رضاعه في الجنة».

وزينبَ، ورُقَيَّةَ[١] . وقال الزُّبَيْرُ بن بَكَّارٍ: عبدُ اللهِ هو الطَّيِّبُ وهو الطَّاهِرُ، سُمِّيَ بذلك؛ لأنَّه وُلِد بعدَ النُّبوَّةِ، قال ابن إسحاقَ: فأمّا القاسمُ والطَّيِّبُ والطَّاهرُ فماتوا قبلَ البعْثةِ وأما بناتُه فادركْنَ البعثةَ، ودَخَلْنَ في الإسلام وهاجَرْنَ معه ﷺ.

قال ابنُ هشام: وأما إبراهيمُ فمن ماريةَ القِبْطيَّةِ، التي أهداها له المُقَوْقسُ صاحبُ إسكَنْدَريَّةَ، من حَفْنٍ من كُورَةِ أَنْصِنا، وسنتكلَّمُ على أزواجه وأولاده، عليه الصلاةُ والسلامُ، في بابٍ مُفْرَدٍ لذلك، في آخرِ السيرةِ، إن شاء الله تعالى، وبه الثِّقَةُ.

قال ابنُ هشام: وكان عمرُ رسولِ الله ﷺ، حينَ تَزَوَّجَ خديجةَ، خمسًا وعشرينَ سنةً، فيما حدَّثني غيرُ واحدٍ منْ أهلِ العلم، عن أبي عمرٍو المَدَنيِّ.

وقال يعقوبُ بن سُفْيانَ: كتبتُ عن إبراهيمَ بنِ المُنذرِ، حدَّثني عمرُ بن أبي بكرٍ المَوْصِليُّ، حدَّثني غير واحدٍ أن عمرَو بن أسَدٍ زوَّج خديجةَ من رسولِ الله ﷺ، وعمرُه خمسٌ وعشرون سنةً، وقريشٌ تَبني الكعبةَ، وهكذا نقَل البيهقيُّ[٢] ، عن الحاكمِ، أنَّه كان عمرُ رسول الله ﷺ، حينَ تزوَّجَ خديجةَ خمسًا وعشرينَ سنةً، وكان عمرُها، إذ ذاك، خمسًا وثلاثين. وقيل: خمسًا وعشرينَ سنةً.

وقال البيهقيُّ: بابُ ما كانَ يَشْتَغلُ به رسولُ الله ﷺ، قبلَ أن يَتزوَّجَ خديجةَ:

أخبرَنا أبو عبدِ الله الحافظُ، أخبرَنا أبو بكرِ بن عبدِ الله، أخبرَنا الحسنُ بن سفيانَ، حدَّثنا سُوَيْدُ ابن سعيدٍ، حدثنا عمرُو بن يحيَىٰ بن سعيدٍ القُرشيُّ، عن جدِّه سعيدٍ، عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما بَعَثَ اللهُ نبيًّا إلاَّ راعيَ غَنَم**» فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: «**وأنا رَعَيْتُها لأهْلِ مكَّةَ بالقَرَاريط**» رواه البخاريُّ[٣] ، عن أحمدَ بن محمدٍ المكِّيِّ، عن عمرِو بن يَحْيَىٰ به.

ثم رَوَىٰ البيهقيُّ، من طَريقِ الرَّبيعِ بن بَدْرٍ، وهو ضعيفٌ، عن أبي الزُّبيرِ، عن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**آجَرْتُ نَفْسِي من خَديجةَ سَفْرَتَيْنِ بقَلُوصٍ**»[٤] وروىٰ البيهقيُّ، من طريقِ حمَّادِ بن سَلَمةَ، عن عليِّ بن زيدٍ، عن عمَّارِ بن أبي عمارٍ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ أبا خديجةَ زَوَّجَ رسولَ الله ﷺ، وهو - أظنُّه قال - سَكْرانُ[٥] .

---

(١) **إسناده ضعيف:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٧٠) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ١٤٠) وفيه إبراهيم عن عثمان أبي شيبة العبسي وهو متروك.

(٢) **إسناد ضعيف:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٧٢) وفيه سويد بن سعيد وهو ضعيف.

(٣) **صحيح:** أخرجه البيهقي (٢/ ٦٥) وأخرجه البخاري كما ذكر المصنف في ٣٧ كتاب الإجارة (٢) باب رعي الغنم على قراريط.

(٤) **ضعيف:** أخرجه البيهقي (٢/ ٦٦) من طريق الربيع بن بدر وهو ضعيف كما ذكر المصنف وفيه أبو الزبير وهو محمد بن مسلم ابن تدرس وهو مدلس وقد عنعن عن جابر. وفيه الربيع بن بدر.

(٥) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٧٣) من طريق مسلم عن حماد به وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣١٢) من طريق أبي كامل وعفان عن حماد به وأخرجه الطبراني (١٢٨٣٨) من طريق سليمان بن جرير عن حماد به. ورواية أحمد والطبراني بإسقاط علي بن زيد وعلي بن زيد هو ابن جدعان وهو ضعيف.

ثم قال البيهقي: أخبرَنا أبو الحُسين بن الفَضْلِ القَطَّانُ، أنا عبدُ الله بن جَعْفرٍ، حدَّثنا يعقوبُ بن سفيانَ، قال: حدَّثني إبراهيمُ بن المنذر، حدَّثني عُمَرُ بن أبي بكرٍ المَوْصليُّ، حدَّثني عبدُ الله بن أبي عُبَيْدَةَ بن محمد بن عمَّارِ بن ياسرٍ، عن أبيه، عن مِقسَم أبي القاسم مَوْلَى عبدِ الله بن الحارث بن نَوْفَلٍ، أنَّ عبدَ الله بنَ الحارث حدَّثه، أنَّ عمَّارَ بن ياسر كان إذا سمعَ ما يَتحدَّثُ به الناسُ عن تزويج رسول الله ﷺ خَديجةَ، وما يُكثِرونَ فيه، يقولُ: أنا أعْلَمُ الناسِ بتَزْويجه إيَّاها، إنِّي كنتُ له تِرْبًا، وكنتُ له إلْفًا وخِدْنًا، وإنِّي خَرَجْتُ مع رسول الله ﷺ، ذاتَ يومٍ، حتَّى إذا كُنَّا بالحَزْوَرَةِ، أَجَزْنَا على أُخْتِ خديجةَ، وهي جالسةٌ على أَدَمٍ تبيعُها، فنادتْني فانْصَرَفتُ إليها، ووَقَف لي رسولُ الله ﷺ، فقالت: أما بصاحبِك هذا من حاجةٍ في تزويج خديجةَ؟ قال عمَّارٌ، فرَجَعْتُ إليه فأخبرتُه، فقال: «بَلَى لَعَمْري». فذكرتُ لها قول رسول اللَّه ﷺ فقالتْ: اغدُوَا علينا إذا أصبحْنا. فغَدَوْنا عليهم، فوجَدْناهم قد ذَبَحوا بَقَرةً وألبَسوا أبا خَديجةَ حُلَّةً، وصُفِّرتْ لحيَتُه، وكلَّمتُ أخَاها، فكلَّم أباه، وقد سُقِيَ خَمْرًا، فَذُكِرَ له رسولُ الله ﷺ، ومكانُه وسألَه أن يُزَوِّجَه، فزوَّجَه، خديجةَ، وصَنَعوا من البقرة طعامًا، فأكَلْنا منه، ونام أبوها، ثم استَيقَظَ صاحيًا: فقال: ما هذه الحُلَّةُ، وهذه النَّقِيعةُ وهذا الطعَّامُ؟ فقالتْ له ابنتُه التي كانت قد كلَّمتْ عَمَّارًا: هذه حُلَّةٌ كَساكَها محمدُ بن عبدِ الله، خَتَنُك، وبقرةٌ أهْداها لك، فذَبَحْناها حينَ زوَّجْتَه خَديجةَ. فأنْكَر أن يكُونَ زوَّجَه، وخَرَج يَصيحُ حتى جاء الحِجرَ، وخرج بنو هاشمٍ برسولِ الله ﷺ، فجاءُوه فكلَّموه، فقال: أين صاحبُكم الذي تَزْعُمونَ أنِّي زوَّجْتُه خَديجةَ؟ فبرزَ له رسولُ الله ﷺ، فلمَّا نَظَرَ إليه، قال: إن كنتُ زوَّجتُه، فسبيلُ ذاك، وإن لم أكُن فعلتُ، فقد زوَّجتُه (١) .

وقد ذكَر الزُّهريُّ في «سِيَرِه» ، أنَّ أباها زوَّجها منه، وهو سَكْرانُ، وذكَر نحوَ ما تقدَّم. حكاه السُّهَيْليُّ.

قال المَوْصليُّ: المُجْتَمَعُ عليه، أنَّ عَمَّها عَمرَو بن أسَدٍ زَوَّجها منه. وهذا هو الذي رَجَّحَه السُّهَيليُّ وحكاه عن ابنِ عباسٍ، وعائشةَ؛ قالت: وكان خُوَيْلدٌ قد مات قبلَ الفِجَارِ، وهو الذي نازعَ تُبَّعًا، حينَ أراد أخْذَ الحَجَرِ الأَسْودِ إلى اليمن، فقام من ذلك خُوَيْلدٌ، وقام معه جماعةٌ من قريشٍ، ثم رأى تُبَّعٌ في منامه ما رَوَّعَه، فنَزَعَ عن ذلك، وتَرَك الحَجَرَ الأَسودَ مكانَه.

وذكَر ابن إسحاقَ في آخر «السِّيرة» أنَّ أخاها عمرَو بن خُوَيْلدٍ، هو الذي زوَّجها رسولَ الله ﷺ: فاللهُ أعلمُ.

---

(١) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٧١، ٧٢) ورواه الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٢٠، ٢٢١). وفيه عمر بن أبي بكر الموصلي قال الذهبي في «الميزان» (٣/ ١٨٤) ضعفه أبو زرعة. قال أبو حاتم: «متروك ذاهب الحديث».

فصلٌ

قال ابن إسحاقَ: وقد كانتْ خديجةُ بنتُ خويْلدٍ ذكَرتْ لِورقةَ بن نوفَلِ بن أسَدِ بن عبدِ العُزَّىٰ بن قُصَيٍّ ـ وكان ابنَ عمِّها، وكان نَصرانيًّا قد تَتَبَّعَ الكُتُبَ، وعَلِمَ مِن عِلْم النَّاسِ ـ ما ذَكَرَ لها غلامُها مِن قولِ الرَّاهبِ، وما كان يَرَىٰ منه إذْ كان المَلَكان يُظِلاَّنه، فقال ورقةُ: لَئِنْ كان هذا حقًّا يا خَديجةُ؛ إنَّ محمدًا لَنبيُّ هذهِ الأمَّة، قد عرَفْتُ أنَّه كائنٌ لهذه الأمَّةِ نبيٌّ يُنْتَظَرُ، هذا زمانُه أو كما قال: فجعَلَ وَرَقَةُ يَسْتَبْطِئُ الأَمْرَ، ويَقُولُ: حتّىٰ متَىٰ؟ وقال في ذلك:

لَجِجْتُ وكنتُ في الذِّكرَى لَجُوجَا ... لِهَمٍّ طالَما بعَثَ النَّشِيجَا
وَوَصْفٍ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفٍ ... فَقَدْ طَالَ انتظَارِي يا خَدِيجَا
بِبَطْنِ المَكَّتَيْنِ على رَجَائِي ... حَدِيثَكِ أن أرَى منهُ خُروجَا
بِمَا خَبَّرْتِنَا مِنْ قَوْلِ قَسٍّ ... من الرُّهْبَانِ أكْرَهُ أن يَعُوجَا
بأنَّ محمدًا سَيَسُودُ فِينا ... وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُون له حَجِيجَا
ويُظْهِرُ في البِلاَدِ ضِيَاءَ نُورٍ ... يُقِيمُ به البَرِيَّةَ أَنْ تَمُوجَا
فَيَلْقَى مَنْ يُحَارِبُهُ خَسَاراً ... وَيَلْقَى مَن يُسَالِمُه فُلُوجَا
فَيا لَيْتِي إذَا مَا كَانَ ذَاكُمْ ... شَهِدْتُ وَكُنْتُ أوَّلَهُمْ وُلُوجَا
وُلُوجًا في الَّذِي كَرِهَتْ قُرَيْشٌ ... وَلَوْ عَجَّتْ بمكَّتِهَا عَجِيجَا
أرَجِّي بالَّذِي كَرِهُوا جَمِيعًا ... إلَى ذي العَرْشِ إنْ سَفَلُوا عُرُوجَا
وَهَلْ أَمْرُ السَّفَالَة غَيْرُ كُفْرٍ ... بمَنْ يَخْتَارُ مَنْ سَمَكَ البُرُوجَا
فَإنْ يَبْقَوْا وَأَبْقَ يَكُنْ أُمُورٌ ... يَضِجُّ الكَافِرُونَ لَهَا ضَجِيجَا
وَإنْ أَهْلِكَ فَكُلُّ فَتًى سَيَلْقَى ... مِنَ الأَقْدَارِ مَتْلَفَةً خَرُوجَا

وقال ورقةُ أيضًا: فيما روَاه يُونُسُ بنُ بُكَيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ عنه:

أَتُبْكِرُ أَمْ أَنْتَ العَشِيَّةَ رَائِحُ ... وَفي الصَّدْرِ مِنْ إضْمَارِكَ الحُزْنَ قَادِحُ
لِفُرْقَةِ قَوْمٍ لاَ أُحِبُّ فِرَاقَهُمْ ... كَأَنَّكَ عَنْهُمْ بَعْدَ يَوْمَيْنِ نَازِحُ
وَأَخْبَارِ صِدْقٍ خَبَّرَتْ عن مُحَمَّدٍ ... يُخَبِّرُهَا عَنْهُ إذَا غَابَ نَاصِحُ
فَتَاكَ الذي وَجَّهْتِ يا خَيْرَ حُرَّةٍ ... بِغَوْرٍ وبالنَّجْدَيْنِ حَيْثُ الصَّحَاصِحُ
إلى سُوقِ بُصْرَي في الرِّكَابِ الَّتِي غَدَتْ ... وَهُنَّ مِنَ الأَحْمَالِ قُعْصٌ دَوَالِحُ
فَيُخْبِرُنا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ بعلمه ... وَلِلْحَقِّ أَبْوابٌ لَهُنَّ مَفَاتِحُ
بأَنَّ ابنَ عبدِ الله أحْمَدَ مُرْسَلٌ ... إلَى كُلِّ مَنْ ضُمَّتْ عَلَيْهِ الأَبَاطِحُ
وَظَنِّي بِهِ أَنْ سَوْفَ يُبْعَثُ صَادِقًا ... كما أُرسِلَ العَبْدَانِ هُودٌ وَصَالِحُ
وَمُوسَى وَإبْرَاهِيمُ حَتَّى يُرَى لَهُ ... بَهَاءٌ وَمَنْشُورٌ مِنَ الذِّكْرِ وَاضِحُ

وَيَتْبَعُهُ حَيَّا لُؤَيٍّ وغالب شَبَابُهُمُ وَالأشْيَبُون الجَحَاجِحُ
فإنْ أبْقَ حَتَّى يُدْرِكَ النَّاسَ دَهْرُهُ فَإِنِّي به مُسْتَبْشِرُ الوُدِّ فَارِحُ
وَإِلاَّ فَإِنِّي يَا خَدِيجَةُ فاعْلَمِي عَنْ أرْضِكِ في الأرْضِ العَرِيضَةِ سَائِحُ

وزاد الأمَوِيُّ:

فَمُتَّبِعٌ دينَ الذي أسَّسَ البِنَا وكَانَ لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ رَاجِحُ
وأسَّسَ بُنْيَانًا بِمَكَّةَ ثَابِتًا تَلأْلأُ فِيهِ بِالظَّلاَمِ المَصَابِحُ
مَثَابًا لأفْنَاءِ القَبَائِلِ كُلِّهَا تَخُبُّ إِلَيْهِ اليَعْمَلاَتُ الطَّلاَئِحُ
حَرَاجِيجُ أمْثَالُ القِدَاحِ مِنَ السُّرَى يُعَلَّقُ في أرْسَاغِهِنَّ السَّرَايِحُ

ومن شعره، فيما أورده أبو القاسم السُّهَيْلِيُّ في «رَوْضِه»:

لقد نَصَحْتُ لأقْوام وقُلْتُ لَهُمْ أنَا النَّذِيرُ فَلاَ يَغْرُرْكُمُ أحَدُ
لا تَعْبُدُنَّ إلَهًا غَيْرَ خَالِقِكُمْ فَإِنْ دَعَوْكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا حَدَدُ
سُبْحَانَ ذي العَرْشِ سُبْحَانًا يَدُومُ لَه وَقَبْلَنَا سَبَّحَ الجُودِيُّ وَالجُمُدُ
مُسَخَّرٌ كُلُّ مَا تَحْتَ السَّمَاءِ لَهُ لا يَنْبَغِي أنْ يُنَاوِي مُلْكَهُ أحَدُ
لاَ شَيْءَ مِمَّا تَرَى تَبْقَى بَشَاشَتُهُ يَبْقَى الإلَهُ وَيُودي المَالُ وَالوَلَدُ
لم تُغْنِ عَنْ هُرْمُزٍ يَوْمًا خَزَائِنُهُ وَالخُلْدَ قَدْ حَاوَلَتْ عَادٌ فَمَا خَلَدُوا
وَلاَ سُلَيْمَانُ إذْ تَجْرِي الرِّيَاحُ بِه وَالجِنُّ والإنْسُ فِيمَا بَيْنَهَا مَرَدُ
أيْنَ المُلوكُ الَّتي كَانَتْ لِعِزَّتِهَا مِنْ كُلِّ أوْبٍ إلَيْهَا وَافِدٌ يَفِدُ
حَوْضٌ هُنَالِكَ مَوْرُودٌ بلاَ كَذِبٍ لاَ بُدَّ مِنْ وِرْدِهِ يَوْمًا كَمَا وَرَدُوا

ثم قال: هكذا نَسَبه أبو الفَرَجِ، إلى وَرَقَةَ. قال: وفيه أبياتٌ تُنسَبُ إلى أُمَيَّةَ بن أبي الصَّلْتِ. قُلْتُ: وقد رُوِّينَا عن أميرِ المؤمنينَ عمرَ بن الخطَّاب رَضي الله عنه، أنَّه كان يَستشْهِدُ في بَعْضِ الأحْيَان بشيءٍ من هذه الأبيات. واللهُ أعلمُ.

فصلٌ في تجديدِ قريشٍ بناءَ الكعبةِ قبلَ المبعثِ بخمسِ سنينَ

ذكَرَ البيهقيُّ بناءَ الكعبة قبلَ تزويجه، عليه الصلاةُ والسَّلامُ خَديجةَ والمشهورُ أنَّ بناءَ قريشٍ الكعبةَ بعدَ تزويج خَديجةَ، كما ذكَرْناه، بعَشْرِ سنينَ.

ثُم شَرَعَ البَيْهَقيُّ في ذِكْرِ بناء الكعبة في زمنِ إبراهيم، كما قدَّمْناه في قِصَّته وأوْرَد حديثَ ابن عباسٍ المُتَقَدِّمَ في «صحيح البخاري» وذكَرَ ما ورَدَ من الإسْرائيليَّات في بنائه في زَمَنِ آدمَ، ولا يَصحُّ ذلك؛ فإنَّ ظاهرَ القرآن يَقْتَضي أنَّ إبراهيمَ أوَّل منْ بناه مُبتَدئًا، وأول من أسَّسَه. وكانتْ بُقْعَتُه مُعَظَّمَةً قبلَ ذلك، مُعْتَنًى بها، مُشَرَّفَةً، في سائرِ الأعْصارِ والأوْقات. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ

عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧] وثَبتَ في «الصحيحين»، عن أبي ذرٍّ، قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مسجدٍ وُضعَ أوَّلُ؟ قال: **«المَسْجِدُ الحَرَامُ»** قُلْتُ: ثُم أيٌّ؟ قال: **«المَسْجِدُ الأَقصَى»** قلْتُ: كم بينَهما؟ قال: **«أرْبَعونَ سَنَةً»**(١) وقد تكلَّمْنا على هذا فيما تقدَّمَ، وأنَّ المسجدَ الأقصَى أسَّسَه إسْرائِيلُ، وهو يعقوبُ عليه السلامُ وفي «الصَّحيحين»: **«إنَّ هذا البَلَدَ حَرَّمَه الله يومَ خَلَقَ السموات والأرضَ، فهو حَرامٌ بحُرْمَةِ الله إلى يومِ القيامة»**(٢) وقال البيهقيُّ: أخبرَنا أبو عبدِ الله الحافظُ، حدَّثنا أبو عبدِ الله الصَّفَّارُ، حدَّثنا أحمدُ بن مهْرَانَ، حدَّثنا عُبَيْدُ الله، حدَّثنا إسْرائيلُ، عن أبي يَحْيَى، عن مُجاهدٍ، عن عبدِ الله بن عَمرٍو، قال: كان البيتُ قبلَ الأرضِ بألْفَي سَنَةٍ، ﴿ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ [الانشقاق: ٣] قال: من تَحْتَه مَدًّا(٣) قال: (٤) وقد تابعَه منصورٌ، عن مُجاهدٍ.

قلتُ: وهذا غريبٌ جدًّا، وكأنَّه مِن الزَّامِلَتَيْنِ اللَّتينِ أَصابَهما عبدُالله بنُ عمرٍو، يومَ اليَرْمُوكِ، وكان فيهما إسرائيلياتٌ، يُحَدِّثُ منهما، وفيهما مُنكَراتٌ وغرائبُ.

ثم قال البَيْهَقيُّ: أخبرَنا أبو عبدِ الله الحافظُ، أخبرَنا أبو جَعْفرٍ محمدُ بن محمد بن عبد الله البَغْداديُّ، حدَّثَنا يَحيَى بن عثمانَ بن صالحٍ، حدَّثَنا أبو صالحٍ الجُهَنيُّ، حدَّثني ابنُ لَهيعةَ، عن يَزيدَ، عن أبي الخَيْرِ، عن عبدِ الله بن عمرو بن العَاصِ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«بَعَثَ اللهُ جبْريلَ إلَى آدَمَ وَحَوَّاءَ فقالَ لهُما: ابْنيا لي بَيْتًا وخَطَّ لهُما جبريلُ فجعلَ آدَمَ يحفرُ وحواءُ تَنْقُلُ، حتَّى أجَابَه المَاءُ، نُودي من تَحتِه، حَسْبُكَ يَا آدَمُ، فَلَمَّا بَنَياه أوْحَى الله تَعَالَى إلَيْه أَنْ يَطُوفَ به، وقيلَ له: أنت أوَّلُ النَّاسِ، وهَذَا أَوَّلُ بَيْتٍ ثُمَّ تَنَاسَخَت القُرُونُ، حتَّى حَجَّهُ نُوحٌ، ثُمَّ تَنَاسَخَتِ القُرُونُ، حَتَّى رَفَعَ إِبْرَاهِيمُ القَوَاعِدَ منه»**(٥).

قال البيهقيُّ: تَفَرَّدَ به ابنُ لَهِيعةَ، هكذا مرفوعًا.

قلتُ: وهو ضعيفٌ، ووَقْفُه على عبدِ الله بنِ عمرٍو أقوَى وأَثْبَتُ. واللهُ أعلمُ.

وقال الربيعُ: أنبأَنا الشافعيُّ، أنبأَنا سُفْيانُ، عن ابنِ أبي لَبيدٍ، عن محمدِ بن كعبٍ القُرَظيِّ، أو غيرِه، قال: حَجَّ آدمُ، فَلَقِيَتْهُ الملائكَةُ، فقالوا: بُرَّ نُسُكُكَ يا آدَمُ، لقد حَجَجْنَا قبلَكَ بألْفَي عامٍ(٦).

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ: عن ابن إسحاقَ: حدَّثني بَقيَّةُ أو قال: ثقَةٌ، مِن أهلِ المدينةِ، عن عروةَ بن الزبيرِ، أنَّه قال: ما مِن نبيٍّ إلاَّ وقد حَجَّ البيتَ، إلاَّ ما كان مِن هودٍ وصالحٍ(٧).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الشيخان وتقدم. (٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٥٠) ومسلم (١٦٧٩).

(٣) **إسناد ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٤) والحاكم (٢/ ٥١٨) وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وأبو يحيى هو القتات قال الحافظ في «التقريب»: لين الحديث. وقال أحمد: روى إسرائيل عن أبي يحيى أحاديث مناكير جداً كثيراً انظر الميزان (٤/ ٥٨٦).

(٤) قال ذلك البيهقي (٢/ ٤٤) في «الدلائل» ولم أقف على هذه المتابعة.

(٥) **ضعيف**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٤، ٤٥). وقال تفرد به ابن لهيعة قلت: وهو ضعيف إلاَّ في رواية العبادلة عنه. ورجح المصنف وقفه على عبد الله بن عمرو وذلك الاحتمال الراجح أنه من الزاملتين اللتين أصابهما يوم اليرموك.

(٦) **مرسل**: أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٥).

(٧) **مرسل**: أخرجه البيهقي (٢/ ٤٥، ٤٦) بسنده من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: حدثني ثقة من أهل المدينة ولم يقل «بقية».

قلتُ: وقد قدَّمنا حَجَّهما إليه، والمقصودُ الحجُّ إلى مَحلِّه وبُقْعَته، وإن لم يَكُنْ ثَمَّ بِنَاءٌ واللهُ أعلمُ.

ثم أَوْرَد البَيْهَقيُّ حَديثَ ابن عباسٍ المتقدِّمَ، في قصةِ إبراهيمَ، عليه السلامُ، بِطُولِه وتَمامه، وهو في «صحيح البخاريِّ» ثُم رَوَىٰ البَيْهَقيُّ، مِن حديث سِمَاك بن حَرْبٍ، عن خالد بن عَرْعَرَةَ، قال: سأل رجلٌ عليًّا عن قوله تعالىٰ: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٦]؛ أهو أوَّلُ بيتٍ بُنِيَ في الأَرضِ؟ قال: لاَ، ولكنَّه أولُ بيتٍ وُضِعَ فيه البَرَكَةُ، والهُدَىٰ ومَقامُ إبراهيمُ، ومن دخله كان آمنًا وإنْ شئت نبأتك كيف بناؤه؛ إن اللَّه تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ إبراهيم أنِ ابنِ لي بيتًا في الأرضِ، فضاقَ به ذرعًا فأرْسَل إليه السَّكينةَ، وهي ريحٌ خَجُوجٌ لها رأسٌ، فاتَّبَع أحدُهما صاحبَه، حتَّىٰ انتهتْ، ثُم تطوَّقَتْ في مَوْضعِ البيتِ تَطَوُّقَ الحَيَّةِ، فبنَىٰ إبراهيمُ، حتَّىٰ إذا بلَغَ مكانَ الحَجَرِ، قال لابنهِ: أبْغِنِي حَجَرًا فالتمسَ حجرًا، حتّىٰ أتاه به، فوجَدَ الحَجَرَ الأَسْودَ قد رُكِّبَ، فقال لأبيه: مِن أين لك هذا؟ قال: جاء به مَن لا يَتَّكِلُ علىٰ بِنائِكَ، جاء به جبريلُ مِن السَّماء فأتَمَّه[١]، قال: فمرَّ عليه الدَهْرُ، فانهدَمَ فَبَنَتْهُ العَمالقةُ، ثُم انهدَمَ فَبَنَتْهُ جُرْهُمٌ، ثُم انهدَمَ فَبَنَتْه قُريشٌ، ورسولُ الله ﷺ، يومئذٍ رجلٌ شابٌّ، فلمّا أرادوا أن يرفعوا الحجرَ الأسوَدَ، اختَصَموا فِيه، فقالوا: يُحكِّمُ بيننَا أوَّلُ رجلٍ يَخرُجُ مِن هذه السكَّة. فكان رسولُ الله ﷺ، أولَ مَن خَرَجَ عليهم، فقضَىٰ بينَهم أن يَجْعَلُوه في مِرْطٍ، ثُم تَرْفَعَه جميعُ القَبَائلِ كلُّهم[٢].

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ: حدَّثَنا حمَّادُ بن سَلَمةَ، وقَيْسٌ، وسَلاَّمٌ، كلُّهم عن سِمَاكِ بن حربٍ، عن خالدِ بنِ عَرعَرَةَ، عن عليّ بن أبي طالبٍ، قال: لَمّا انهَدَمَ البيتُ بعدَ جُرْهُمٍ بَنَتْه قريشٌ، فلمَّا أرادُوا وَضْعَ الحَجَرِ تَشاجَرُوا؛ مَن يَضَعُه؟ فاتَّفَقوا أن يَضَعَه أوَّلُ مَن يَدْخُلُ مِن هذا البابِ، فدخَلَ رسولُ الله ﷺ، مِن بابِ بني شَيْبَةَ، فأمَرَ بِثَوبٍ، فوضَعَ الحجَرَ في وَسَطِه، وأمَرَ كلَّ فَخذٍ أن يأخُذُوا بِطَائفَةٍ من الثَّوبِ، فرَفَعوه، وأخَذَه رَسولُ الله ﷺ، فوضَعَه[٣].

---

(١) **ضعيف:** أخرجه هكذا مختصرًا البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٥) والحاكم (٢/ ٢٩٢) من طريق إسرائيل عن سماك به. وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم ووافقه الذهبي وأخرجه الطبري من طرق عن شعبة وحماد بن سلمة وأبو الأحوص عن سماك به (٢٠٥٨، ٥٩، ٦٠). وأخرجه الأزرق في تاريخ مكة (١/ ٢٤) عن حماد عن سماك به. وفيه خالد بن عرعرة. وهو مجهول الحال ولم أقف له علىٰ متابع. وقصة حمل الحجر لها شواهد ستأتي.

(٢) **ضعيف:** كما سبق أخرجه هكذا مطولاً البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٦) من طريق داود بن عمرو عن أبي الأحوص عن سماك بنفس الإسناد السابق.

(٣) **إسناده ضعيف ولكن له شواهد:** وإسناده سبق الكلام عليه في الحديث السابق ومن شواهده ما أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٢٥). سيأتي قريبًا إن شاء اللَّه، قال: حدثنا عبد الصمد حدثنا ثابت حدثنا هلال «يعني ابن خباب» عن مجاهد عن مولاه ثم ذكر حديثًا طويلاً فيه قصة الحجر. فأخرجه بنحوه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٨) من طريق عباد بن العوام عن هلال به وسمىٰ الصحابي «عبد اللَّه بن السائب» لكن صنيع الإمام أحمد يرجح أنه «السائب بن أبي السائب» أبوه حيث إنه وضع الحديث في مسنده.

والخلاف هنا لا يضر فعبد اللَّه وأبوه السائب كلاهما صحابيان ورجال الحديث كلهم ثقات رجال الصحيح فيما عدا هلال ففيه كلام كما قال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٢٩١، ٢٩٢) ووثقه ابن معين وله شاهد مرسل صحيح عند البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٧) من طريق يعقوب بن سفيان عن أصبغ بن فرج عن ابن وهب عن يونس عن الزهري. وسيأتي إن شاء اللَّه.

قال يعقوبُ بن سفيانَ: أخبرَني أصبَغُ بنُ فَرَجٍ، أخبرَني ابنُ وَهْبٍ، عن يُونُسَ، عن ابن شهابٍ، قال: لمّا بلَغَ رسولُ الله ﷺ الحُلُمَ، جَمَّرَت امرأةٌ الكعبة فطارت شرارةٌ من مجْمَرِها في ثياب الكعبة فاحترقت، فهَدَموها، حتَّى إذا بَنَوْها، فبلَغُوا موضع الرُّكْنِ، اختصَمَتْ قُريشٌ في الرُّكْنِ، أيُّ القبائل تَلي رَفْعَهُ؟ فقالوا: تعالوا نُحكِّم أولَ من يطلعُ علينا، فطلع عليهم رسولُ اللّه ﷺ وهو غلامٌ عليه وِشَاحُ نَمِرَةٍ، فَحكَّموه، فأمَرَ بالرُّكنِ، فَوُضِعَ في ثَوْبٍ، ثُم أخْرَجَ سيِّدَ كلِّ قبيلةٍ، فأعطاه ناحيةً من الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْتَقَىٰ هو، فرفَعوا إليه الرُّكنَ، فكان هو يَضَعُه، فكان لا يَزْدادُ علىٰ السِّنِّ إلاَّ رِضًا، حتَّىٰ دَعَوهُ الأمينَ، قبلَ أن ينزِلَ عليه الوَحْيُ، فطَفِقوا لا يَنْحَرون جَزُورًا، إلاَّ الْتَمَسُوه، فيَدْعو لهم فيها [(١)].

وهذا سياقٌ حَسَنٌ، وهو من «سِيَرِ الزُّهْرِيِّ» وفيه من الغرابة قَوْلُه: فلمَّا بلَغَ الحُلُمَ. والمشهورُ أنَّ هذا كان ورسولُ الله ﷺ، عُمُرُه خمسٌ وثلاثونَ سنَةً، وهو الذي نصَّ عليه محمدُ بنُ إسحاقَ بن يَسَارٍ رحمَه اللهُ.

وقال موسى بن عقبةَ: كان بِنَاء الكَعْبةِ قبل المبعث بِخمْس عَشْرَةَ سَنَةً، وهكذا قال مجاهدٌ وعروةُ ومحمد بنُ جبير بن مُطعِم وغيرُهم. فاللّه أعلم.

وقال موسى بن عقبةَ: كان بينَ الفجار وبينَ بِنَاء الكَعْبة خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

قلتُ: وكان الفجارُ وحِلْفُ الفُضُولِ في سنَةٍ واحدةٍ، إذ كان عُمُرُ رسول الله ﷺ، عِشْرِينَ سنةً، وهذا يُؤَيِّدُ ما قال محمدُ بن إسحاقَ. والله أعلمُ.

قال موسى بن عقبةَ: وإنَّما حَمَلَ قُريشًا علىٰ بنائها، أنَّ السُّيولَ كانتْ تَأتي من فوقها، من فوقِ الرَّدْم الذي صنَعوه فخرَّ به، فخافوا أن يَدْخُلَها الماءُ، وكان رَجُلٌ، يُقالُ له: مُلَيْحٌ، سَرَقَ طِيبَ الكَعْبَةِ، فأرادوا أن يَشيدُوا بنيانَها، وأن يرفَعُوا بابَها، حتَّىٰ لا يَدْخُلَها إلاَّ من شاءُوا، فأعَدُّوا لذلك نفَقَةً وعُمَّالاً، ثم غَدَوْا إليها ليَهدِمُوها، علىٰ شَفَقٍ وحَذَرٍ أن يمْنَعَهم اللهُ الذي أرادوا، فكان أولَ رَجُلٍ طَلَعها وهدَمَ منها شَيْئًا، الوليدُ بن المُغيرةِ، فلمَّا رأَوُا الذي فعَلَ الوليدُ، تَتابَعوا فوَضَعوها، فأعجَبَهُم ذلك. فلمّا أرادوا أن يأخُذُوا في بُنْيانها، أحْضَروا عُمَّالَهم، فلمْ يَقْدِرْ رجلٌ منهم أن يَمْضِيَ أمَامَه مَوْضعَ قَدَمٍ، فزعَمُوا أنَّهم رأَوْا حَيَّةً قد أحاطتْ بالبيتِ، رأسُها عندَ ذَنَبِها فأشْفَقوا منها شَفَقَةً شديدةً، وخَشَوْا أن يكونوا قد وَقَعُوا ممّا عَملوا في هَلَكَةٍ، وكانت الكعبةُ حِرْزَهم، ومَنَعَتَهُم من الناسِ، وشَرَفًا لهم، فلمَّا سُقِطَ في أيديهم، والتبَسَ عليهم أمرُهم، قام فيهم المُغيرةُ بن عبد الله بن عمرِو بنِ مخزومٍ، فذَكَر ما كان من نُصحه لهم، وأمْرِه إياهم؛ أن لا يَتشاجَرُوا، ولا يَتحاسَدُوا في بنائها، وأن يَقْتسموها أرْباعًا، وأن لا يُدْخلوا في بنائها، مالاً حرامًا، وذكَر أنَّهم لمّا عزَمُوا علىٰ ذلك، ذهَبَت الحيَّةُ في السَّماءِ، وتغيَّبَتْ عنهم، ورَأَوْا أنَّ ذلك من اللهِ عزَّ وجلَّ قال: ويقولُ بعض النَّاس، إنَّه

(١) **مرسل**: أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٣/ ٢٥٦) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٧).

وقال محمدُ بن إسحاق بن يَسَار[1] : فلَّما بَلَغ رسولُ الله ﷺ، خَمْسًا وثلاثينَ سَنَةً، اجتمَعَتْ **قُريشٌ لبُنيان** الكعبة، وكانوا يَهُمُّون بذلك، ليَسْقُفُوها، ويَهابُونَ هَدْمَهَا، وإنَّما كانتْ رَضَمًا، فوقَ **القَامَة**، فأرادوا رفْعَها وتَسْقيفَها، وذلك أنَّ نَفَرًا سَرقوا كَنْزَ الكعبة، وإنَّما كان في بِئرٍ في جَوْف **الكعبة**، وكان الذي وُجِدَ عندَه الكَنْزُ، دُوَيْكًا مولًى لبني مُلَيح بن عمرو بن خُزَاعَةَ، فقطَعَتْ قريشٌ يدَه، **وتَزْعُمُ قريشٌ** أنَّ الذين سرَقوه وضَعوه عندَ دُوَيْك، وكانَ البَحْرُ قد رَمَى بسفينةٍ إلى جُدَّةَ لرجُلٍ **من تُجَّار الرُّوم**، فتَحَطَّمتْ، فأخَذُوا خشَبَها، فأعَدُّوه لتَسْقيفِها. قال الأمَويُّ: كانتْ هذه السَّفينةُ **لقَيْصَرَ** ملك الرُّوم، تحملُ آلاتِ البناء، من الرُّخام، والخشَب، والحديد، سَرَّحها قَيْصَرُ مع باقوم الرُّوميِّ، إلى الكَنيسة التي أحْرَقَها الفُرْسُ للحَبَشَةِ، فلمَّا بلَغَتْ مَرْساها من جُدَّةَ، بعَثَ اللهُ عليها ريحًا فحطَّمَتْها.

قال ابن إسحاق: وكان بمكَّةَ رجلٌ قِبطيٌّ نجَّارٌ، فتهيَّأَ لهم في أنفُسِهم بعضُ ما يُصْلِحُها، وكانتْ حيَّةٌ تَخْرُجُ في بئرِ الكعبة ـ التي كانتْ يُطْرَحُ فيها ما يُهْدَىٰ إليها كلَّ يوم ـ فتَتَشَرَّقُ، على جدارِ الكعبة، وكانتْ ممَّا يَهَابُون، وذلك أنَّه كان لا يَدْنو منها أحَدٌ إلا احْزَأَلَّتْ، وكشَّتْ، وفتَحَتْ فاها، فكانوا يَهابونَها، فبينَما هي يومًا تُشْرِفُ على جدارِ الكعبة كما كانتْ تَصْنَعُ بعَثَ اللهُ إليها طائرًا فاختَطَفَها فذهَبَ بها فقالتْ قريشٌ، إنَّا لَنَرْجُوا أن يكونَ الله تعالى قد رَضِي ما أردْنا، عندَنا عاملٌ رفيقٌ، وعندَنا خشَبٌ، وقد كفَانا اللهُ الحيَّةَ.

وحَكَى السُّهَيليُّ: عن رَزِين: أنَّ سارقًا دخَلَ الكعبةَ في أيام جُرْهُم، ليَسْرِقَ كَنْزَها، فانْهارَ البئرُ عليه، حتَّى جاءوا، فأخرَجُوه وأخَذُوا منه ما كان أخَذَه، ثُم سكنَتْ هذه البِئْرَ حيَّةٌ رأسُها كرأسِ الجَدْي، وبطنُها أبيضُ وظهرُها أسْودُ، فأقامتْ فيها خَمسَمائَة عامٍ، وهي التي ذَكَرَها محمدُ ابن إسحاقَ.

قال محمدُ بن إسحاقَ: فلما أجْمَعوا أمرَهم لهدْمها، وبُنْيانها، قام أبو وَهْبِ عمرُو بن عائذِ بن عبدِ بن عمْرانَ بن مخزوم، وقال ابن هشام: عايذُ بنُ عِمْرانَ بن مخزوم ـ فتَناولَ منَ الكعبة حَجَرًا، فوثَبَ من يده، حتى رجَعَ إلى موضعه، فقال: يا معشرَ قريشٍ، لا تُدْخِلُوا في بُنْيَانِها من كَسْبِكم إلا طَيِّبًا؛ لا يَدْخُلُ فيها مَهْرُ بَغيٍّ، ولا بيعُ ربًا، ولا مَظْلمةُ أحدٍ منَ النَّاس.

والنَّاسُ يَنْحَلون هذا الكلامَ الوليدَ بنَ المغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مخزوم، ثُم رجَّحَ ابن إسحاقَ، أنَّ قائلَ ذلك أبو وَهْب بن عمرو. قال: وكان خالَ أبي النبيِّ ﷺ، وكان شريفًا مُمَدَّحًا.

وقال ابن إسحاق: ثُم إنَّ قريشًا تجزَّأت الكَعْبَةَ؛ فكان شقُّ الباب لِبَني عبد مَناف، وزُهْرَةَ، وما بينَ الرُّكْنِ الأسود والرُّكْنِ اليَمَانيِّ لِبَني مخزوم وقبائلَ من قريشٍ انْضَمُّوا إليهم، وكان ظَهْرُ الكعبة لِبَني جُمَحَ وسَهْم وكان شقُّ الحِجْرِ لِبَني عبدِ الدَّار بن قُصيٍّ، ولبني أسد بن عبد العزَّى، ولِبَني عَديِّ بن

(١) **أخرجه البخاري معلقًا**: قال: قال يزيد: وشهدت ابن الزبير حين هدمه وبناه وأدخل فيه من الحجر وقد رأيت أساس إبراهيم حجارة كأسنمة الإبل.

كَعْبٍ، وهو الحَطِيمُ. ثُم إنَّ الناسَ هابوا هَدْمَها، وفَرِقوا منه، فقال الوليدُ بن المغيرة: أنا أَبْدَؤُكم في هَدْمِها. فأخَذَ المِعْوَلَ ثُم قام عليها، وهو يَقولُ: اللَّهمَّ لم تُرَعْ، اللَّهمَّ إنَّا لا نُريدُ إلا الخَيْرَ. ثُم هَدَم من ناحية الرُّكْنَيْنِ، فتَرَبَّصَ الناسُ تلك الليلةَ، وقالوا: نَنظُرُ؛ فإن أُصيبَ لم نَهدِمْ منها شيئًا، ورَدَدْناها كما كانتْ، وإن لم يُصبْه شيءٌ، فقد رضي اللهُ ما صنعنا من هَدْمِها، فأَصْبَحَ الوليدُ غاديًا على عَمله فهدَم، وهدَمَ النَّاسُ معه، حتَّى إذا انتهَى الهَدْمُ بِهِم إلى الأساسِ - أساسِ إبراهيمَ - عليه السَّلامُ - أفضَوا إلى حجارةٍ خُضْرٍ كالأَسِنَّةِ آخذٍ بعضُها بعضًا، ووقَع في «صحيح البخاري»[1]، عن يزيدَ بن رُومانَ: كأَسْنِمَةِ الإبِلِ. قال السهيليُّ: وأرَى روايةَ «السيرة» كالأسنَّة وَهْمًا واللهُ أعلمُ.

قال ابن إسحاقَ: فحدَّثني بعضُ مَن يَرْوِي الحَديثَ، أنَّ رَجُلاً من قريشٍ ممَّن كان يَهدِمُها، أدخَلَ عَتَلَةً بينَ حجرَيْنِ منها؛ ليقْلَعَ بها أحدَهما، فلمَّا تحرك الحَجَرُ تَنَقَّضَت، مكةُ بأَسْرِها، فانتَهَوْا عن ذلك الأساسِ.

وقال موسى بن عُقْبةَ: وزعَم عبدُ الله بنُ عبَّاسٍ، أنَّ أوَّلِيَّةَ قريشٍ كانوا يُحَدِّثون، أنَّ رجالاً، من قريشٍ لمَّا اجْتَمَعُوا لينْزِعوا الحِجَارَةَ، و انتهَوا إلى تأسيسِ إبراهيمَ وإسماعيلَ، عليهما السلامُ، عَمَدَ رجُلٌ منهم إلى حَجَرٍ من الأساسِ الأوَّل فرفَعَه، وهو لا يَدْرِي أنَّه من الأساسِ الأوَّل، فأبصَرَ القومُ بَرْقَةً تحتَ الحَجَرِ، كادَتْ تَلْتَمِعُ بصَرَ الرَّجُلِ، ونزَا الحجرُ من يده، فوقَع في موضِعه، وفَزِعَ الرجلُ والبُناةُ، فلمَّا سَتَرَ الحَجَرُ عنهم ما تحتَه، عادوا إلى بُنيانِهم، وقالوا: لا تُحرِّكوا هذا الحَجَرَ، ولا شيئًا بحذائه.

قال ابنُ إسحاقَ: وحُدِّثْتُ أنَّ قريشًا وجَدُوا في الرُّكنِ كتابًا بالسُّرْيانية، فلم يَدْرُوا ما هو، حتَّى قرأَه لهم رَجُلٌ من يَهُودَ، فإذا هو: أنا اللهُ ذو بَكَّةَ، خَلَقْتُها يومَ خلَقْتُ السَّمواتِ والأرضَ، وصوَّرْتُ الشمسَ والقمرَ، وحَفَفْتُها بسبعة أمْلاكٍ حُنَفاءَ، لا تزولُ حتَّى يزولَ أَخْشَباها - قال ابنُ هِشام: يَعْنِي جَبَلاها - مُبارَكٌ لأهلها في الماءِ واللَّبَنِ.

قال ابن إسحاقَ: وحُدِّثْتُ أنَّهم وجَدوا في المَقَامِ كتابًا فيه: مكَّةُ اللهِ الحَرَامُ، يأتيها رِزْقُها من ثَلاثَةِ سُبُلٍ، لا يُحِلُّها أوَّلُ من أهلها، قال: وزعَم لَيْثُ بنُ أبي سُلَيْمٍ، أنَّهم وجَدوا في الكعبة قَبْلَ مَبْعَثِ النبيِّ ﷺ، بأَرْبعينَ سنَةً، إن كان ما ذُكِر حقًّا - مكتوبًا فيه: مَن يَزْرَعْ خيرًا يَحْصُدْ غبطَةً، ومَن يَزْرَعْ شرًّا يَحْصُدْ نَدَامةً، تَعمَلُونَ السيِّئات وتُجْزَوْنَ الحسنات! أَجَل، كما لا يُجْتَنَى من الشَّوْكِ العِنَبُ.

وقال سعيدُ بنُ يَحْيَى الأُمويُّ: حدثَنا مُعَمَّرُ بنُ سُلَيمانَ الرَّقِّيُّ، عن عبدِ الله بن بشْرٍ عن الزُّهريِّ، يَرْفَعُ الحديثَ إلى النبيِّ ﷺ، قال: «وُجِدَ في المَقَام ثلاثةُ أصْفُحٍ؛ في الصَّفْحِ الأوَّل: إنِّي أنا اللهُ ذو بَكَّةَ، صَنَعتها يومَ صنَعْتُ الشمسَ والقمرَ، وحَفَفْتُها بسبعة أملاكٍ حنفاءَ، وبارَكْتُ لأَهْلَها في اللَّحمِ واللَّبَن. وفي الصَّفحِ الثاني: إنِّي أنا اللهُ ذو بَكَّةَ، خلَقْتُ الرَّحمَ وشقَقْتُ لها من اسمي، فمَن وصلَها وَصَلْتُه،

---

(١) برقم (١٥٨٦).

ومَن قطعَها بتتُّه. وفي الصَّفْح الثالث: إنِّي أنا اللهُ ذو بكة، خلَقْتُ الخيرَ والشرَّ وقدَّرتُه، فطوبَى لمَن أجْرَيْتُ الخيرَ على يدَيْه، وويلٌ لِمَن أجرَيْتُ الشرَّ على يديْه» [(١)].

قال ابن إسحاق: ثم إنَّ القبائلَ من قريشٍ جَمَعَت الحجارةَ لبنائها، كلُّ قبيلةٍ تَجمَعُ على حدَة ثم بَنَوْها، حتَّى بلغَ البُنيانُ مَوْضعَ الرُّكْنِ، فاختَصَموا فيه، كلُّ قبيلةٍ تُريدُ أن تَرْفَعَه إلى مَوْضعه دُونَ الأُخرَى، حتَّى تَحاوَزوا و تَحالَفوا، وأعَدُّوا للقتال، فقرَّبَتْ بنو عبد الدار جَفْنَةً مملوءةً دمًا، ثُم تَعاقَدُوا هم وبنو عَديٍّ بن كعب بن لُؤَيٍّ على الموت، وأَدْخَلُوا أيديَهم في ذلك الدَّم، في تلك الجَفْنَة، فَسُمُّوا لَعَقَةَ الدَّم، فمكَثَتْ قريشٌ على ذلك أربعَ ليالٍ أو خمسًا، ثُم إنَّهم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا وتناصَفُوا فزعمَ بعض أهلِ الرواية أنَّ أبا أُميَّةَ بن المغيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم - وكان عامئذٍ أسنَّ قريشٍ كلِّها - قال: يا مَعْشَرَ قريشٍ، اجْعَلُوا بينكم فيما تَختلفُون فيه، أوَّلَ مَن يَدْخُلُ من باب هذا المَسْجد، يَقْضِي بينكم فيه، ففعَلُوا، فكان أَولَ داخلٍ دخَل رسول الله ﷺ، فلمَّا رأوْه قالوا: هذا الأمينُ رَضينا، هذا محمدٌ. فلمَّا انْتَهَى إليهم وأخبَرُوه الخبرَ، قال رسول الله ﷺ: «**هَلُمُّوا إليَّ ثوبًا**» فأُتيَ به وأخذ الرُّكن فوضَعَهَ فيه بيده ثم قال: «**لتأخذَ كلُّ قَبيلة بناحيَة من الثَّوْب، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَميعًا**» فَفَعَلوا، حتَّى إذا بلَغُوا به مَوْضعَه، وضَعَه هو بيده ﷺ، ثُم بَنَى عليه. وكانتْ قريشٌ تُسَمِّي رسولَ الله ﷺ، الأمينَ.

وقال الإمام أحمد: حدثَّنا عبد الصَّمَد، حدثَّنا ثابتٌ، يعني أبا زَيْدٍ حدثَّنا هلاَل - يعني ابنَ خَبَّابٍ - عن مُجَاهد، عن مَوْلاه - وهو السائبُ بن عبد الله - أنَّه حدثَّه، أنَّه كان فيمَن بَنَى الكَعْبَةَ في الجاهليَّة. قال: وكان لي حَجَرٌ، أنا نَحَتُّهُ، أَعْبُدُهُ من دون الله قال: وكنتُ أَجيءُ باللَّبَن الخاثر الذي أَنَفُه على نَفسي، فأَصُبُّه عليه، فيَجيءُ الكلبُ، فَيَلْحَسُهُ ثُم يَشْغَرُ فَيَبُولُ قال: فَبَيْنَا حتَّى بَلَغْنَا مَوْضعَ الحَجَر، ولا يَرَى الحَجَرَ أحدٌ، فإذا هو وَسْطَ أحْجارنا مثلُ رأس الرَّجُل يكادُ يَتَرايا منه وَجْهُ الرَّجُل. فقال بَطْنٌ من قريشٍ: نحن نَضَعُه. وقال آخرون: نحن نَضَعُه فقالوا: اجْعَلُوا بَيْنَكم حكَمًا فقالوا: أولُ رَجُلٍ يَطْلُعُ منَ الفَجِّ. فجاء رسولُ الله ﷺ، فقالوا: أتاكم الأمينُ. فقالوا له فوضَعَه في ثَوْبٍ، ثم دَعا بُطونَهم، فرفَعُوا نواحيَه، فوضَعَه هو ﷺ [(٢)].

قال ابن إسحاق: وكانت الكعبةُ على عهد النبيِّ ﷺ، ثمانيَ عَشْرَةَ ذراعًا، وكانتْ تُكسَى القَبَاطيَّ، ثم كُسِيَتْ البُرُودَ، وأوَّلُ مَن كَساها الدِّيباجَ الحجَّاجُ بن يوسُفَ.

قُلْتُ: وقد كانوا أَخْرَجَوا منها الحجْرَ - وهو ستَّةُ أذرُع، أو سبعةُ أذرُع من ناحية الشام - وذلك لَمَّا قَصرَت بِهِمْ النَّفَقَةُ، أي لم يَتمكَّنُوا أن يَبْنُوه على قواعد إبراهيمَ، وجعَلُوا للكعبة بابًا واحدًا، من

---

(١) **الصحيح أنه من قول الزهري:** أخرجه عبد الرزاق (٩٢١٩) عن معمر عن الزهري بمثل هذا الحديث.

(٢) **إسناده صحيح:** وقد تقدم الكلام عليه أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٥) وقوله في الإسناد: «السائب بن عبد الله» ليست من كلام الإمام أحمد بل هي من كلام ابن كثير والله أعلم. وهي خطأ والصواب أنه السائب ابن أبي السائب كما حررناه سابقًا.

ناحيةِ الشَّرقِ، وجَعَلُوه مُرْتَفِعًا لِئَلاَّ يَدْخُلَ إليها كلُّ أحدٍ، فيُدْخلوا مَن شاءوا، ويَمْنَعوا مَن شاءوا.

وقد ثبَت في «الصحيحين» عن عائشةَ، رضيَ الله عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال لها: **«ألمْ تَرَى أنَّ قَوْمَك قَصرَتْ بهم النَّفَقَةُ، ولو لا حِدْثَانُ قَوْمك بكُفْرٍ، لَنَقَضْتُ الكَعْبَةَ، وَجَعَلْتُ لها بَابًا شَرقيًّا، وبابًا غَربيًّا، وأدْخَلْتُ فيهَا الحجْرَ»**[1] . ولهذا لَمَّا تَمكَّنَ ابن الزُّبَيْرِ، بَنَاها على ما أَشارَ إليه رسولُ الله ﷺ، فجاءت في غايةِ البَهاءِ، والحُسْنِ، والسَّناءِ، كاملةً على قواعِدَ الخليلِ، لها بابانِ مُلْتَصِقانِ بالأرضِ، شرْقيًّا، وغربيًّا، يَدْخُلُ الناس مِن هذا، ويَخْرُجُونَ من الآخرِ، فلمّا قَتَلَ الحَجَّاجُ، ابنَ الزبيرِ، كتَبَ إلى عبدالمَلِكِ بن مَرْوانَ، وهو الخليفةُ يومئذٍ، فيما صنَعَهُ ابن الزُّبَيْرِ، واعتَقَدُوا أنَّه فعَلَ ذلك مِن تلقاء نفسه، فأمَرَ بإعادتِها إلى ما كانتْ عليه، فعمَدوا إلى الحائطِ الشاميِّ فحَصُّوه، وأَخرَجوا منه الحِجْرَ، ورَصُّوا حِجَارتَه في أرضِ الكعبةِ، فارتفعَ بابُها، وسدُّوا الغرْبِيَّ، واستمرَّ الشرقيُّ على ما كان عليه، فلمَّا كان في زَمَنِ المَهْدِيِّ، أو أبيه المَنْصُورِ، استشارَ مالكًا في إعادتِها على ما كان صَنَعَه ابنُ الزبيرِ، فقال مالكٌ، رحمه اللهُ: إنِّي أكْرَهُ أن يَتَّخِذَها الملوكُ مَلْعَبَةً، فتركَها على ما هي عليه، فهي إلى الآن كذلك.

وأمَّا المسجدُ الحرامُ، فأولُ مَن أخَّرَ البيوتَ مِن حولِ الكعبةِ عمرُ بن الخطاب، رَضِيَ الله عنه، اشتراها مِن أهلِها، وهدَمها، فلمَّا كان عثمانُ اشترى دوراً وزادَها فيه. فلمَّا وَلِيَ ابن الزبيرِ أحْكَمَ بُنيانَه، وحسَّنَ جُدْرانَه، وأكثرَ أبوابَه، ولم يُوَسِّعْه شيئًا آخرَ، فلمَّا استبدَّ عبدُ الملك بن مَرْوانَ، زاد في ارتفاعِ جُدْرانِه، وأَمَر بالكعبةِ، فكُسِيَتِ الدِّيباجَ، وكان الذي تولَّى ذلك بأَمْرِه الحَجَّاجُ بن يوسفَ، وقد ذكَرْنا قصةَ بناء البيت، والأحاديثَ الواردةَ في ذلك، في تفسير سورةِ «البقرةِ» عندَ قوله: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**﴾ [البقرة: ١٢٧].

قال ابنُ إسحاقَ: فلمَّا فرَغوا مِنَ البُنيانِ، وبَنَوْها على ما أَرادوا، قال الزبيرُ بن عبدِ المطَّلِبِ، فيما كان مِن أمرِ الحَيَّةِ التي كانتْ قريشٌ تَهابُ بُنيانَ الكعبةِ لَهَا:

عَجِبْتُ لِمَا تَصَوَّبَتِ العُقَابُ ... إلى الثُّعْبانِ وَهْيَ لَهَا اضْطِرابُ
وقد كانتْ يَكُونُ لَهَا كَشِيشٌ ... وأَحْيانًا يَكُونُ لها وِثَابُ
إذَا قُمنَا إلَى التَّأسِيسِ شَدَّتْ ... تُهَيِّبُنا البِناءَ وقد نَهَابُ
فلَمَّا أن خَشِينَا الرِّجْزَ جَاءَتْ ... عُقابٌ تَتْلَئِبُّ لها انْصِبابُ
فَضَمَّتْهَا إليها ثُم خَلَّتْ ... لنا البُنْيَانَ ليس لها حِجابُ
فَقُمْنَا حَاشِدِينَ إلَى بِنَاءٍ ... لنا منه القواعِدُ وَالتُّرابُ
غَداةَ نُرَفِّعُ التَّأسِيس منه ... ولَيْسَ عَلَى مُسَاوِينا ثِيَابُ
أعَزَّ بِهِ المَلِيكُ بَنِي لُؤَيٍّ ... فَلَيْسَ لأصْلِهِ منهم ذَهابُ

(١) **صحيح:** أخرجه الشيخان وهو في البخاري (١٥٨٦).

وقد حَشَدت هُنَاكَ بَنُو عَدِيٍّ ومُرَّةُ قَدْ تَقَدَّمَهَا كِلابُ
فَبَوَّأنَا المَلِيكُ بِذَاكَ عِزًّا وَعِنْدَ اللهِ يُلْتَمَسُ الثَّوَابُ

وقد قدَّمْنا في فصلِ ما كان اللهُ يَحُوطُ به رسولَه ﷺ، من أَقْذارِ الجاهلية، أنَّه كان هو والعبَّاسُ عمُّه يَنقُلان الحجارةَ، وأنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ، لمَّا وَضَعَ إزارَه تحتَ الحجارةِ على كَتِفِه، نُهِيَ عن خَلْعِ إزارِه، فأعادَه إلى سيرتِه الأولى.

فصلٌ

وذكَر ابن إسحاقَ ما كانتْ قريشٌ ابْتدَعوه في تسميتِهم الحُمْسَ، وهو الشِّدَّةُ في الدِّين والصَّلابَةُ، وذلك لأنَّهم عظَّموا الحرَمَ تعظيمًا زائدًا، بحيثُ التزَموا بسببِه أن لا يَخرُجوا منه ليلةَ عرَفَةَ، وكانوا يقولون: نحنُ أبناءُ الحَرَمِ وقُطَّانُ بيتِ الله، فكانوا لا يَقِفونَ بعرَفاتٍ، مع علمِهم أنَّها من مشاعرِ إبراهيمَ، عليه السَّلامُ، حتَّى لا يَخْرجوا عن نظامِ ما كانوا قَرَّرُوه من البِدْعَةِ الفاسدة، وكانوا لا يَدَّخِرونَ من اللَّبَنِ، أَقِطًا، ولا سَمْنًا، ولا يَسْلَئُون سَمْنًا، وهم حُرُمٌ، ولا يَدْخُلونَ بيتًا من شَعَرٍ، ولا يَسْتَظِلُّونَ إن اسْتظَلُّوا إلاَّ ببيتٍ من أدَمٍ، وكانوا يَمنَعونَ الحَجيجَ والعُمَّارَ، ما داموا مُحْرِمينَ، أن يأكُلوا إلاَّ من طعامِ قريشٍ، ولا يَطُوفوا إلاَّ في ثِيابِ قريشٍ، فإن لم يَجِدْ أحدٌ منهم ثوبَ أحدٍ من الحُمْسِ -وهم قريشٌ وما وَلَدُوا، ومَن دَخَل معهم من كِنانَةَ وخُزاعةَ- طاف عُريانًا ولو كانتِ امرأةً، ولهذا كانت المرأةُ إذا اتَّفَق طَوافُها لذلك، وضَعَتْ يَدَها على فَرْجِها، وتقولُ:

اليَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ وما بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فإن تَكَرَّم أحدٌ ممَّن يَجِدُ ثوبَ أحْمَسِيٍّ، فطاف في ثيابِ نَفسِه، فعليه إذا فَرَغَ من الطوافِ أن يُلقيَها، فلا يُنْتَفَعُ بها بعدَ ذلك، وليس له ولا لغيرِه أن يَمَسَّها، وكانتِ العربُ تُسَمِّي تلك الثياب اللَّقَى، قال بعض الشعراء:

كَفَى حَزَنًا كَرِّي عَلَيْهِ كَأَنَّهُ لَقًى بَيْنَ أَيْدِي الطائِفينَ حَرِيمُ

قال ابن إسحاقَ: فكانوا كذلك حتَّى بَعَثَ اللهُ محمداً ﷺ، وأنزل عليه القرآنَ، ردًّا عليهم فيما ابْتَدَعُوه، فقال: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ [البقرة: ١٩٩] أي: جمهورُ العربِ من عَرَفاتٍ ﴿ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٩٩] وقد قدَّمنا، أنَّ رسول الله ﷺ، كان يَقِف بعرَفاتٍ قبلَ أن يُنَزَّلَ عليه توْفيقًا من الله له، وأنزَل الله عليه ردًّا عليهم، فيما كانوا حَرَّمُوا من اللِّباسِ والطَّعامِ على النَّاس: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ الآية [الأعراف: ٣١، ٣٢] وقال زيادٌ البَكَّائيُّ، عن ابنِ إسحاقَ: ولا أَدري؛ أكان ابْتداعُهم لذلك قبلَ الفيلِ، أو بعدَه.

كتاب مبعث رسول الله ﷺ تسليمًا كثيرًا وذكر شيء من البشارات بذلك

قال محمدُ بن إسحاقَ :رحمَه اللهُ: وكانت الأحْبارُ من اليهودِ، والرهبانُ من النَّصارىٰ والكُهانُ مِن العربِ قد تحدَّثوا بأمر رسولِ الله ﷺ، قَبْلَ مبعَثِه، لَمّا تقارَبَ زمانُه، أمَّا الأحبارُ من اليهودِ، والرهبانُ من النّصارىٰ، فعَمَّا وجدوا في كُتبِهم مِن صفته وصفة زمانه، وما كان مِن عَهْدِ أنبيائهم إليهم فيه. قال الله تعالىٰ: ﴿**الَّذين يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف: ٦] وقال تعالىٰ: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ**﴾ [الفتح: ٢٩]. وقال الله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٨١]، وفي «صحيح البخاري»، عن ابنِ عباسٍ قال: ما بَعَثَ اللهُ نبيًّا إلاَّ أخَذ عليه الميثاقَ، لَئِن بُعثَ محمدٌ وهو حيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ به ولَيَنْصُرُنَّه، وأمَرَه أن يَأْخُذَ علىٰ أُمَّته الميثاقَ، لئن بُعثَ محمدٌ ﷺ وهم أحياءٌ لَيُؤْمِنُنَّ به ولَيَنْصُرُنَّه ولَيَتَّبِعُنَّه [1] يُعْلَمُ من هذا، أنَّ جميعَ الأنبياءِ بَشَّروا وأمَرُوا باتِّباعه.

وقد قال إبراهيمُ، عليه السلامُ: فيما دَعا به لأهلِ مكةَ: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ**﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقال الإمام أحمدُ: حدَّثَنا أبو النَّضْرِ، حدَّثَنا الفَرَجُ بن فَضَالَةَ، حدثَنا لقمانُ بن عامرٍ، سَمِعْتُ أبا أُمَامَةَ قال: قلتُ: يا رسولَ الله، ما كان بَدْءُ أمرِكَ؟ قال: «**دَعْوَةُ أَبِي إِبْراهيمَ، وبُشْرَىٰ عيسَى، ورأَتْ أُمِّي أَنَّه يَخْرُجُ منها نورٌ أضاءَتْ له قصورُ الشامِ**» [2]. وقد رَوَىٰ محمدُ بن إسحاقَ: عن ثَوْرِ ابن يزيدَ، عن خالدِ بن مَعْدَانَ، عن أصحابِ رسول الله ﷺ، عنه مِثْلَه [3]. ومعنىٰ هذا أنه أرادَ بَدْءَ أمرِه بينَ الناسِ، واشْتِهارَ ذكرِه وانتشارَه، فذكَرَ دعوةَ إبراهيمَ الذي تُنسَبُ إليه العربُ، ثم بُشْرَىٰ

(١) **ليس في صحيح البخاري**: وأورده ابن كثير في «التفسير» (١/ ٤١) بدون إسناد عن علي وابن عباس. وروىٰ مثله عن طاوس عن أبيه، أخرجه الطبري (٧٣٢٧).

(٢) **إسناده ضعيف والحديث حسن لغيره**: وسبب ضعف الإسناد هو ضعف الفرج بن فضالة. وقد روي الحديث من طرق عن الفضل بن فضالة أخرجها أحمد (٥/ ٢٦٢)، والطيالسي (١١٤٠) والطبراني (٧٧٢٩) والحديث له شاهد عند أحمد (٤/ ١٢٧). عن عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد عن عبد الله بن هلال عن العرباض بن سارية ولكن علقه سعيد بن سويد الكلبي وله شاهد أيضًا عند ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٧٥) عن ابن إسحاق عن ثور بن يزيد عن خالد بن مهران عن نفر من أصحاب النبي وأخرجه من طريق الطبري (٢٠٧٠)، والحاكم (٢/ ٦٠٠) وسيأتي قريبًا إن شاء الله.

(٣) **حسن بمجموع شواهده كما تقدم**: والإسناد فيه ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعن وباقي رجاله ثقات ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن هشام (١/ ١٧٥) والطبري (٢٠٧٠) والحاكم (٢/ ٦٠٠).

عيسىٰ، الذي هو خاتَمُ أنبياءِ بني إسرائيلَ، كما تقدَّم، يَدُلُّ هذا علىٰ أنَّ مَن بينَهما مِن الأنبياءِ بشَّروا به أيضًا. أما في الملأ الأعلَىٰ، فقد كان أمرُه مشهورًا، مذكورًا، معلومًا، ، من قَبْلِ خَلْقِ آدمَ، عليه الصلاةُ والسلامُ، كما قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا عبدُ الرحمن بنُ مَهْدِيٍّ، حدَّثَنا معاويةُ بن صالحٍ، عن سعيدِ بن سُوَيْدٍ الكلبيِّ، عن عبد الأعلَىٰ بن هلالٍ السُّلَمِيِّ، عن العِرْباضِ بنِ ساريَةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي عبدُ الله، خاتَمُ النَّبيين، وإنَّ آدمَ لَمُنْجَدِلٌ في طينته، وسأُنَبِّئُكم بأول ذلك، دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبِشارةُ عيسى بِي، ورُؤْيَا أمِّي التي رأَتْ، وكذلك أُمَّهَاتُ النَّبيِّين تريْنَ**»[1] وقد رواه اللَّيثُ، عن معاويةَ بن صالحٍ، وقال: إن أمَّه رأتْ - حينَ وضعَتْه - نورًا أضاءَتْ منه قصورُ الشامِ.

وقال الإمامُ أحمدُ أيضًا: حدَّثَنا عبد الرحمنِ، حدَّثَنا منصورُ بن سعدٍ، عن بُدَيلِ بن مَيْسَرَةَ، عن عبدِ اللهِ بن شَقِيقٍ، عن مَيْسَرَةَ الفَجْرِ، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسدِ**»[2]، تَفَرَّدَ بهن أحمدُ. وقد رواه عُمَرُ بن أحمدَ بن شاهينَ، في كتابِ «دلائلِ النُّبوَّة» مِن حديثِ أبي هريرةَ، فقال: حدَّثَنا عبد الله بن محمدِ بن عبدِ العزيزِ - يَعْني أبا القاسمِ البَغَويَّ - حدَّثَنا أبو همامٍ الوليدُ بن مسلمٍ، عن الأوزاعيِّ، حدَّثَني يحيىٰ، عن أبي سَلَمَةَ، عن أبي هريرةَ قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ: متىٰ وجبتَ لك النُّبُوةُ، قال: «**بين خلقِ آدمَ ونفخِ الرُّوح فيه**» ورواه من وجهٍ آخرَ عن الأوزاعيِّ به، وقال: «**وآدَمُ مُنْجَدِلٌ في طينَتِه**»[3].

ورُوي عن البَغَوِيِّ أيضًا، عن أحمدَ بن المِقْدَامِ، عن بَقِيَّةَ، عن سعيدِ بن بَشيرٍ، عن قَتَادَةَ، عن أبي هريرةَ مرفوعًا، في قولِ الله تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ**﴾ [الأحزاب: ٧]، قال رسول الله ﷺ: «**كُنْتُ أوَّلَ النَّبِيِّينَ في الخَلْقِ وآخرَهم في البعثِ**»[4].

ومن حديث ابن مُزَاحمٍ: عن قيسِ بن الربيعِ، عن جابرٍ، عن الشَّعبيِّ، عن ابن عباسٍ، قيل: يا رسولَ الله، متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجسد**»[5].

وأما الكُهَّانُ من العربِ، فأَتَتْهم به الشياطينُ من الجنِّ، ممَّا تَسْتَرِقُ مِن السمعِ، إذ كانت لا تُحْجَبُ عن ذلك بالقذفِ بالنجومِ، وكان الكاهنُ والكاهنةُ لا يَزالُ يَقَعُ منهما بعضُ ذِكْرِ أمورِه، ولا يُلقِي

---

(١) **حديث صحيح لشواهده وهذا الإسناد ضعيف**: لجهالة سعيد بن سويد الكلبي والحديث لأجزائه شواهد تصححه أما قوله «إني عبد اللَّه. . . وإن آدم لمنجدل في طينته» فله شاهد أخرجه أحمد وسيأتي في الحديث التالي. وأما قوله «وسأنبئكم بأول ذلك» إلىٰ قوله: «ورؤيا أمي التي رأت» فشواهده سبق الكلام عليها فيما تقدم منذ قليل.

(٢) **إسناد صحيح**: ولفظ «المسند» «متىٰ كتبت نبيا» بدلاً من «متىٰ كنت» رجاله ثقات رجال الصحيح ومسيرة الفجر هو عبد اللَّه ابن أبي الجدعاء وهو صحابي أخرجه أحمد بعد الإسناد (٥/ ٥٩) ومن طريقه الطبراني (٢٠/ ٨٣٤) وأخرجه أحمد (٤/ ٦٦) والمزي في «التهذيب» (١٤/ ٣٦٠) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٩١٨) وابن سعد (١/ ١١٨) عن حماد بن خالد به وقالوا: مرة عن رجل ومنهم من قال: عن أبي الجدعاء ولا يضر الإبهام فهو صحابي كما سبق.

(٣) **إسناده ضعيف ومعناه صحيح كما سبق**: وفيه الوليد بن مسلم وكان يدلس تدليس تسوية وخاصة عن الأوزاعي، وقد عنعن. ومن طريق الوليد بن مسلم أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٣٠) والترمذي (٥/ ٥٨٥) ولكن في هذين الطريقين تصريح الوليد بن مسلم السماع من الأوزاعي وهذا يقوي الحديث واللَّه أعلم.

(٤) **إسناد ضعيف**: لضعف سعيد بن بشير وعنعنة قتادة وبقية بن الوليد ومن طريق بقية أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٣).

(٥) **إسناد ضعيف**: فيه نصر بن مزاحم وهو متروك أخرجه العقيلي في «الكبير» (١٨٩٩) من طريق نصر بن مزاحم.

العربُ لذلك فيه بالاً، حتى بعثَه اللهُ تعالى، ووقَعت تلك الأمورُ التي كانوا يَذكُرون فعرَفوها، فلمَّا تقارَبَ أمرُ رسول الله ﷺ، وحضرَ زمانُ مبعثه، حُجِبَت الشياطينُ عن السمع، وحِيلَ بينها وبين المقاعد التي كانت تَقْعُدُ لاستراقِ السَّمْعِ فيها، فرُمُوا بالنُّجوم، فعرَفَت الجنُّ أنَّ ذلك لأمرٍ حدَث من أمرِ الله، عزَّ وجلَّ قال: وفي ذلكَ أنزَل الله على رسوله ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، إلى آخر السورة. وقد ذكَرْنا تفسيرَ ذلك كلِّه في كتابِنا «التفسير» وكذا قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الآيات [الأحقاف: ٢٩، ٣٠]، ذكَرْنا تفسيرَ ذلك كلِّه هناك.

قال محمد بن إسحاق(١): حدَّثني يعقوبُ بن عُتْبَةَ بن المُغيرةِ بن الأَخْنَسِ أنَّه حُدِّث أنَّ أولَ العرب فَزِعَ للرَّمْيِ بالنجوم حينَ رُمِي بها هذا الحيُّ من ثَقِيفٍ، وأنَّهم جاءُوا إلى رجلٍ منهم، يقال له: عمرُو ابنُ أُميَّةَ، أحد بني عِلاجٍ، وكان أَدْهَى العرب وأَنْكَرَها رأيًا، فقالوا له: يا عمرُو، ألم تَرَ ما حدَث في السماءِ من القَذْفِ بهذه النُّجوم؟ قال: بلى، فانظروا، فإنْ كانت معالمُ النُّجومِ التي يُهْتَدَى بها في البرِّ والبحرِ، ويُعْرَفُ بها الأَنْواءُ، من الصيف والشتاء، لِمَا يُصلِحُ الناسَ في معايشِهم، هي التي يُرْمَى بها، فهو والله طَيُّ الدُّنيا، وهلاكُ هذا الخَلْقِ، وإن كانت نجومًا غيرَها، وهي ثابتةٌ على حالِها، فهذا لأمرٍ أرادَ اللهُ به هذا الخَلْقَ، فانظُروا ما هو؟

وقال ابن إسحاق: وحدَّثني بعضُ أهلِ العلمِ، أنَّ امرأةً من بني سَهْمٍ، يقالُ لها: الغَيْطَلَةُ، كانت كاهنةً في الجاهلية، جاءَها صاحبُها ليلةً من الليالي، فانْقَضَّ تحتَها، ثم قال: أَدْرِ ما أَدْرِ، يومُ عَقْرٍ ونَحْرٍ، فقالت قريشٌ حينَ بلَغَها ذلك: ما يُريدُ؟ ثم جاءَها ليلةً أخرى، فانْقَضَّ تحتَها، ثم قال: شُعُوبٌ، ما شُعُوبٌ؟ يُصْرَعُ فيه كَعْبٌ لِجُنُوب. فلمَّا بلَغ ذلك قريشًا قالوا: ماذا يُريد؟ إنَّ هذا لأمرٍ هو كائنٌ، فانظُروا ما هو. فما عَرَفوه حتى كانت وقعةُ بدرٍ وأُحُدٍ بالشِّعبِ، فعرَفوا أنه كان الذي جاءَ به إلى صاحبته.

قال ابن إسحاق(٢): وحدَّثني عليُّ بن نافعٍ الجُرَشيُّ، أنَّ جَنْبًا - بَطْنًا من اليمن - كان لهم كاهنٌ في الجاهلية، فلَمَّا ذُكِرَ أمرُ رسولِ الله ﷺ، وانتَشَرَ في العربِ، قالت له جَنْبٌ: انظُرْ لنا في أمرِ هذا الرجلِ. واجْتَمَعوا له في أسفلِ جَبَلِه، فنزَل إليهم حينَ طَلَعتِ الشمسُ، فوقَفَ لهم قائمًا متَّكِئًا على قَوْسٍ له، فرَفَعَ رأسَه إلى السماءِ طويلاً ثُم جَعَلَ ينزو ثم قال: أيها الناسُ إنَّ اللَّه أكرمَ محمدًا واصطفاه وطهر قلبَه وحَشَاه، ومُكْثُه فيكم أيُّها الناسُ قليلٌ، ثم اشْتَدَّ في جَبَلِه راجعًا مِن حيثُ جاءَ.

---

(١) انظر «السيرة» لابن هشام (١/ ٢٢٤)، وفيه جهالة من حدث شيخه، وشيخه ثقة.

(٢) انظر «السيرة» لابن هشام (١/ ٢٢٦)، والجرشي هذا لم أقف منصوصًا عليه بلقبه هذا، وما وجدته في «الضعفاء» للعقيلي (٣/ ٢٥٣) علي بن نافع، وقال: «مجهول بالنقل حديثه غير محفوظ». وذكره الذهبي في «الميزان» ولم يذكره بشيء.

ثم ذكَر ابن إسحاقَ قصةَ سَوادِ بنِ قاربٍ، وقد أخَّرْناها إلى هواتِفِ الجانِّ.

فصلٌ

قال ابن إسحاقَ: وحَدَّثني عاصمُ بن عُمَرَ بن قتادةَ، عن رجالٍ من قومه، قالوا: إنَّ ممَّا دعَانا إلى الإسلام - مع رحمةِ اللهِ تعالى وهُدَاه لنا - ما كنا نَسْمَعُ من رجالٍ مِن يهودَ، وكُنَّا أهلَ شِرْكٍ، أصحابَ أوثانٍ، وكانوا أهلَ كتابٍ، عندَهم عِلْمٌ ليس لنا، وكانت لا يزالُ بينَنا وبينَهم شرورٌ، فإذا نلنَا منهم بعضَ ما يكْرَهُون، قالوا لنا: إنه قد تَقَارب زمانُ نبيٍّ يُبْعَثُ الآن، نَقْتُلُكم معه قَتْلَ عادٍ وإرَمَ. فكنا كثيراً ما نَسمَعُ ذلك منهم، فلما بعَث الله رسولَ الله ﷺ، أجَبْناه حينَ دعَانا إلى اللهِ، وعرَفنا ما كانوا يَتوعَّدونَنَا به، فبادَرْناهم، إليه، فآمنا به وكفَروا به، ففينا وفيهم نزَلَت هذه الآيةُ: ﴿ **ولمَّا جاءهم كتابٌ مَنْ عند اللَّه مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وكَانُوا مِن قَبْلُ يستفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾(1) [البقرة: 89].

وقال ورْقَاءُ، عن ابن أبي نَجِيحٍ، عن عليٍّ عن الأَزْدِيِّ: كانت اليهودَ تقولُ: اللهمَّ ابْعَثْ لنا هذا النبيَّ، يَحْكُمُ بينَنا وبينَ الناسِ. يَسْتَفْتِحون به؛ أي: يَسْتَنْصِرونَ به. رواه البَيْهَقيُّ(2).

ثم روَىٰ مِن طريقِ عبد الملكِ بن هارونَ بن عَنْتَرَةَ، عن أبيه عن جَدِّه، عن سعيدِ بن جُبَيْرٍ، عن ابن عباسٍ، قال: كانتِ اليهودُ بخيبرَ، تقاتِلُ غَطَفَانَ، فكلَّما التقَوْا، هُزِمَت يهودُ خَيْبَرَ، فعاذَت اليهودُ بهذا الدعاء، فقالوا: اللهم إنّا نَسأَلُك بحقِّ محمدٍ النبيِّ الأميِّ، الذي وعَدتنا أن تُخْرِجَه لنا في آخرِ الزمانِ، إلاَّ نَصَرْتَنا عليهم. قال: فكانوا إذا الْتقَوْا دعَوْا بهذا الدعاء، فهَزموا غَطَفَانَ، فلَمَّا بُعثَ النبيَّ ﷺ كفروا به، فأَنْزَل اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ الآية(3).

ورَوَىٰ عطيَّةُ عن ابن عباسٍ نحوَهُ، وروِيَ عن عِكْرِمةَ(4) من قولِه نحوَ ذلكَ أيضًا.

وقال ابنُ إسحاقَ: وحدَّثني صالحُ بن إبراهيمَ بن عبدِ الرحمنِ بن عوفٍ، عن محمودِ بن لَبِيدٍ، عن سلمةَ بن سلامةَ بن وَقْشٍ - وكان مِن أهلِ بدرٍ - قال: كان لنا جارٌ مِن يهودَ، في بني عبدِ الأَشْهَلِ. قال: فَخَرَجَ علينا يومًا من بيْته حتى وقفَ على بني عبد الأشهلِ قال سلمةُ: وأنا يومئذٍ أَحْدَثُ مَن فيه سنًّا عليَّ بُرْدَةٌ لي، مُضْطجعٌ فيها بفناءِ أهلي، فذكَر القيامةَ، والبعْثَ، والحسابَ، والميزانَ، والجنةَ، والنَّارَ، قال: فقال: ذلك لقومٍ أهلِ شِرْكٍ، أصحابِ أوثانٍ، لا يَرَوْنَ أنَّ بَعْثًا كائنٌ بعدَ الموتِ، فقالوا له: وَيْحَكَ

---

(1) **إسناد محتمل التحسين:** أخرجه ابن هشام (1/ 211) وإبهام رواة الحديث لا يضر إذ من الراجح أنهم من الصحابة وهذا ما يفهم من سياق الحديث.

(2) في «دلائل النبوة» (2/ 76)، من طريق ورقاء به. وفيه شيخ المصنف عبد الرحمن بن الحسن القاضي، وعلي الأزدي لم أقف لهما على ترجمة. والأثر ثابت من وجوه أخر عن قتادة وغيره، وراجع التفسير للمصنف عند تفسير الآية.

(3) **إسناد ضعيف:** أخرجه البيهقي (2/ 76، 77) والحاكم (2/ 263) وفي إسناده عبد الملك بن هارون عن أبيه وهو وأبوه ضعيفان.

(4) أخرجه البيهقي (2/ 77) من قول عكرمة.

يا فلانُ، أوَ تَرَىٰ هذا كائنًا، أنَّ الناسَ يُبعثون بعدَ موتِهم إلىٰ دارٍ فيها جنةٌ ونارٌ، يُجزَوْن فيها بأعمالِهم؟ قال: نعم، والذي يُحلَفُ به ويَوَدُّ أنَّ له بحظِّه من تلك النَّارِ أعظمَ تنُّورٍ في الدارِ يُحمُونَه، ثم يُدخلونه إياه، فيُطيِّنونَه عليه، بأنْ ينجُوَ من تلك النارِ غدًا. قالوا له: ويحكَ يا فلانُ فما آيةُ ذلك؟ قال: نبيٌّ مبعوثٌ من نحوِ هذه البلادِ، وأشارَ بيدِه إلىٰ نحوِ مكةَ واليمنِ. قالوا: ومتىٰ تُراه؟ قال: فنظرَ إليَّ، وأنا من أحدثِهم سنًّا، فقال: إنْ يستنفدْ هذا الغلامُ عمرَه، يدركْه. قال سلمةُ: فواللهِ ما ذهبَ الليلُ والنهارُ، حتىٰ بعثَ الله رسولَه ﷺ، وهو حيٌّ بينَ أظهُرِنا، فآمنَّا به، وكفرَ به بغيًا وحسدًا. قال: فقلنا له: ويحكَ يا فلانُ، ألستَ بالذي قلتَ لنا فيه ما قلتَ؟ قال: بلىٰ، ولكن ليس به [1]، رواه أحمدُ، عن يعقوبَ، عن أبيه، عن ابن إسحاقَ. ورواه البيهقيُّ، عن الحاكمِ بإسنادِه، من طريقِ يونسَ بن بُكَيْرٍ.

وروىٰ أبو نُعَيْمٍ في «الدلائلِ» عن عاصمِ بن عمرَ بن قتادةَ، عن محمودِ بن لَبيدٍ، عن محمدِ بن مَسْلَمَةَ، قال: لم يكنْ في بني عبدِ الأشهلِ إلاَّ يهوديٌّ واحدٌ، يقالُ له: يُوشَع فسمعْتُه يقولُ ـ وإني لغلامٌ في إزارٍ ـ: قد أظلَّكم خروجُ نبيٍّ يُبعثُ من نحوِ هذا البيتِ ـ ثُم أشارَ بيدِه إلىٰ بيتِ اللهِ ـ فمَن أدركَه فليُصدِّقْه. فبُعثَ رسولُ اللهِ ﷺ، فأسلَمنا وهو بينَ أظهُرِنا لم يُسلِمْ، حسدًا وبغيًا. وقد قدَّمنا حديثَ أبي سعيدٍ، عن أبيه، في إخبارِ يُوشَعَ هذا عن خروجِ رسولِ اللهِ ﷺ وصفتِه، ونعتِه، وإخبارِ الزُّبَيْرِ بن باطَا، عن ظهورِ كوكبِ مولدِ رسولِ ﷺ[2].

قال ابن إسحاقَ: حدثني عاصمُ بنُ عُمَرَ بن قتادةَ عن شيخٍ من بني قريظة، قال لي: هل تدري عمَّ إسلامُ ثَعْلَبَةَ بن سَعْيَةَ، وأُسَيْدِ بن سَعْيَةَ، وأَسَدِ بن عُبَيْدٍ، نفرٍ من بني هَدْلٍ، إخوةِ بني قُرَيْظَةَ، كانوا معهم في جاهليَّتِهم، ثم كانوا سادتَهم في الإسلامِ؟ قال: قلتُ: لا، قال: فإنَّ رجلاً من اليهودِ، من أرضِ الشامِ يقالُ له: ابن الهَيِّبَانِ. قَدِمَ علينا قبلَ الإسلامِ بسنينَ، فحَلَّ بينَ أظهُرِنا، لا واللهِ ما رأينا رجلاً قطُّ لا يُصلِّي الخمسَ أفضلَ منه، فأقامَ عندَنا، فكنا إذا قَحَطَ عنا المطرُ، قلنا له: اخرُجْ يا بنَ الهَيِّبَانِ فاستسقِ لنا. فيقولُ: لا واللهِ، حتىٰ تُقدِّموا بينَ يدَيْ مَخرجِكم صدقةً، فنقولُ له: كم؟ فيقولُ: صاعًا من تمرٍ، أو مُدَّيْنِ من شَعيرٍ، قال: فنُخرجُها، ثم يَخرُجُ بنا إلىٰ ظاهرِ حَرَّتِنا، فيَستسقِي لنا، فواللهِ ما يبرحُ مجلسَه حتىٰ يمرَّ السحابُ، نُسقَىٰ، وقد فعَلَ ذلك غيرَ مرةٍ، ولا مرتين، ولا ثلاثٍ، قال: ثم حضرَتْه الوفاةُ عندَنا، فلمَّا عرفَ أنَّه ميتٌ قال: يا معشرَ يهودَ، ما ترَونَه أخرجَني من أرضِ الخمرِ والخميرِ إلىٰ أرضِ البُؤسِ والجوعِ؟ قال: قلنا: أنت أعلمُ. قال: فإنِّي إنَّما قدِمْتُ هذه البلدةَ، أتوَكَّفُ خروجَ نبيٍّ، قد أظلَّ زمانُه، هذه البلدةُ مُهاجَرُه، فكنتُ أرجُو أنْ يُبعثَ فأتَّبِعَه، وقد

---

(١) **إسناد حسن:** أخرجه ابن هشام (١/ ٢١٢) وأحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٧) والبخاري في «التاريخ» (٤/ ٦٨) والطبراني في «الكبير» (٦٣٢٧) والحاكم (٣/ ٤١٧) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٧٨) ورجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالسماع.

(٢) **عزاه المصنف لأبي نعيم:** والإسناد المذكور صحيح ويشهد له ما قبله.

(٣) **إسناد ضعيف:** لجهالة راوي الحديث. أخرجه ابن هشام (١/ ٢١٣، ٢١٤). لكن يشهد له القصة التالية لإسلام بعض فتية من يهود بني قريظة.

أظَلَّكم زمانُه، فلا تُسْبَقُنَّ إليه يا معشرَ يهودَ، فإنه يُبْعَثُ بسَفْك الدماء، وسَبْي الذَّرَارِيِّ مِمَّن خالَفَه، فلا يَمْنَعَنَّكم ذلك منه (٣)، فلما بُعِثَ رسولُ الله ﷺ وحاصرَ بَني قُرَيْظَةَ، قال هؤلاء الفتيةُ ـ وكانوا شَبَابًا أَحْدَاثًا ـ يا بني قُرَيْظَةَ، والله إنه لَلنَّبيُّ الذي كان عَهِدَ إليكم فيه ابنُ الهَيِّبَان. قالوا: ليس به. قالوا: بلىٰ والله، إنَّه لهو بصفَته. فنَزَلوا فأَسْلَموا، فأَحْرَزُوا دماءَهم وأموالَهم وأَهْليهم.

قال ابن إسحاق: فهذا ما بَلَغَنا عن أخبار يهودَ.

قلتُ: وقد قَدَّمنا في قدوم تُبَّع اليَمَانيِّ ـ وهو أبو كَرِب تُبَّانُ أَسْعَدَ ـ إلى المدينة، ومُحَاصرته إيَّاها، وأنَّه خَرج إليه ذانكَ الحَبرَان من اليهود، فقالا له: إنَّه لا سبيلَ لك عليها، إنها مُهَاجَرُ نَبيٍّ يكونُ في آخر الزمان، فَثَناه ذلك عنها.

وقد روىٰ أبو نُعيم في «الدلائل» من طريق الوليد بن مسلم، حدثَنا محمدُ بن حمزةَ بن يوسفَ بن عبد الله بن سَلَام، عن أبيه، عن جَدِّه، قال عبدُ الله بنُ سَلام، إن اللهَ لـمَّا أرادَ هُدَىٰ زَيْد بن سُعْنَةَ، قال زيدٌ: لم يَبْقَ من علامات النُّبُوَّة شيءٌ إلاَّ وقد عَرَفْتُها في وجه محمد ﷺ حينَ نَظَرْتُ إليه، إلاَّ اثْنَتَيْن لم أَخْبُرْهما منه؛ يَسْبِقُ حِلْمُه جَهْلَه، ولا يَزيدُ شدةُ الجهل عليه إلا حِلْمًا. قال: فكنتُ أتَلَطَّفُ له، لأنْ أُخالطَه، فاعرفَ حِلْمَه وجهلَه، فذكر قصةَ إسلافه للنبيِّ ﷺ مالاً في تَمْر، قال: فلَمَّا حلَّ الأجلُ أَتَيْتُه، فأخذتُ بمَجَامع قميصه وردائه، وهو في جنازة مع أصحابه، ونظرتُ إليه بوجه غليظ، وقلتُ: يا محمدُ، ألاَ تَقْضيني حَقِّي؟ فوالله ما عَلمْتُكم بَني عبد المُطَّلب لَمُطْلٌ. قال: فنظرَ إليَّ عمرُ، وعيناه تَدُوران في وجهه كالفَلَك المُسْتدير، ثم قال: يا عدوَّ الله، أتقولُ لرسول الله ﷺ ما أَسْمَعُ، وتَفْعَلُ ما أَرَىٰ؟ فوالذي بَعَثَه بالحقِّ، لولا ما أُحَاذرُ فَوْتَه، لَضَرَبْتُ بسَيْفي رأسَكَ، ورسولُ الله ﷺ يَنْظُرُ إلى عُمَرَ في سكون وتُؤدة وتبسُّم، ثمَّ قال: «**أنا وهو كنَّا أحوجَ إلى غير هذا منكَ يا عُمَرُ أنْ تَأْمُرَني بحُسْن الأداء، وتَأْمُرَه بحُسْن التباعة، اذهبْ به يا عُمَرُ فاقْضه حَقَّه وزد عشرين صاعًا من تمر**» فأسلم زيدُ بن سُعْنَةَ رضيَ اللهُ عنه، وشَهِدَ بقيَّةَ المَشاهد مع رسول الله ﷺ، وتُوفِّيَ عامَ تَبُوكَ، رَحِمَه الله(١).

ثم ذكَر ابن إسحاق رَحِمَه اللهُ، إسلامَ سَلْمَانَ الفارسيِّ، رَضيَ الله عنه وأَرْضَاه، فقال: حدَّثَني عاصمُ بن عمرَ بن قتادةَ الأنصاريُّ، عن محمود بن لَبيد، عن عبد الله بن عباس، قال: حدَّثني سلمانُ الفارسيُّ من فيه، قال: كنتُ رجلاً فارسيًّا من أهل أَصْبَهَانَ، من أهل قرية يقال لها: جَيٌّ، وكان أبي دهْقَانَ قَرْيته، وكنتُ أحبَّ خلق الله إليه، لم يَزَلْ حبُّه إيَّايَ حتىٰ حَبَسَني في بيته، كما تُحْبَسُ الجاريةُ، واجتَهَدتُ في المجوسيَّة، حتىٰ كنتُ قَطِنَ النار التي يُوقدُها، لا يَتْرُكُها تَخْبُو ساعةً، قال: وكانت لأبي ضَيْعَةٌ عظيمةٌ، قال: فشُغلَ في بُنْيان له يومًا، فقال لي: يا بُنَيَّ، إني قد شُغلْتُ في بُنْياني هذا اليومَ عن ضَيْعَتي، فاذهبْ إليها، فاطَّلعْها. وأَمَرَني فيها ببعض ما يريدُ، ثم قال لي: ولا

(١) **حسنه الحافظ ابن حجر:** أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٤٨) والحاكم (٣/ ٦٠٤) من طريق محمد بن أبي السدي وتابعه عبد الوهاب بن نجره في رواية المزي في «تهذيب الكمال» (١٥٠٤) وقد حسن الحافظ ابن حجر هذا الحديث كما في «التهذيب» (٣/ ٣١) قلت: وفي إسناده حمزة بن يوسف روىٰ عنه ابنه وذكره ابن حبان في الثقات.

تَحْتَبِسْ عنِّي، فإنَّك إن احْتَبَسْتَ عني، كنتَ أَهَمَّ إليَّ من ضيعتي وشغلتني عن كلِّ شيءٍ من أمري. قالَ: فخرجتُ أريدُ ضَيْعَتَه التي بَعَثَني إليها، فمررْتُ بكنيسةٍ من كنائس النَّصارىٰ فسمعتُ أصواتهم فيها وهم يُصلُّون وكنتُ لا أَدْري ما أَمْرُ الناسِ، لحَبْسِ أبي إيَّايَ في بيتِه، فلما سَمِعْتُ أصواتَهم، دخلتُ عليهم، أَنْظُرُ ما يَصْنَعون فَلمَّا رأيتُهم، أَعْجَبَتْني صلاتُهم، ورَغِبْتُ في أمرِهم، وقلتُ: هذا واللهِ خيرٌ من الدين الذي نحنُ عليه. فو الله ما بَرِحتُهم حتىٰ غربَت الشمسُ، وتركتُ ضَيْعَةَ أبي، فلم آتِها ثم قلتُ لهم: أين أَصْلُ هذا الدينِ؟ قالوا: بالشامِ، فرجَعْتُ إلىٰ أبي، وقد بَعث في طَلَبي، وشَغَلْتُه عن أمرِه كلِّه، فلما جئتُه قال: أي بُنَيَّ، أين كنتَ، ألم أكنْ عَهِدْتُ إليك ما عَهِدْتُ؟ قال: قلتُ: يا أَبَت، مررتُ بأُناسٍ يُصلُّون في كنيسةٍ لهم، فأَعْجَبَني ما رأيتُ من دينِهم، فواللهِ ما زلْتُ عندَهم حتىٰ غَرَبَت الشمسُ، قال: أيْ بُنَيَّ، ليس في ذلك الدينِ خيرٌ، دينُك ودينُ آبائكَ خيرٌ منه. قال: قلت له: كلاَّ واللهِ، إنه لخيرٌ من دينِنا. قال: فخافَني، فجعلَ في رجلي قَيْدًا، ثم حبَسَني في بيته، قال: وبعثتُ إلىٰ النصارىٰ، فقلتُ لهم: إذا قَدمَ عليكم رَكْبٌ من الشام فأَخْبِروني بهم. قال: فقَدِمَ عليهم رَكْبٌ من الشام، تُجّارٌ من النصارىٰ، فأَخْبَروني بهم، فقلتُ لهم: إذا قَضَوْا حوائجَهم، وأَرادوا الرَّجْعَةَ إلىٰ بلادهم، فآذِنُوني، قال: فلَمّا أرادوا الرَّجْعَةَ إلىٰ بلادهم أخْبَرُوني بهم، فألْقَيْتُ الحديدَ من رِجْلي، ثُم خَرَجتُ معهم، حتىٰ قَدِمْتُ الشامَ، فلمّا قَدِمْتُها، قلت: مَن أَفْضَلُ أهلِ هذا الدينِ علْمًا، قالوا: الأسْقُفُ في الكنيسة، قال: فجئتُهُ، فقلتُ له: إني قد رَغِبتُ في هذا الدينِ، وأَحْبَبْتُ أن أكونَ معك، وأخْدُمَك في كنيستك، وأتَعلَّمَ منك، وأُصَلِّيَ معك. قال: ادْخُلْ. فدَخَلْتُ معه، فكان رجلَ سوءٍ، يأمُرُهم بالصدقةِ، ويُرغِّبهم فيها، فإذا جَمَعُوا له شيئًا منها، كَنَزَه لنفسه، ولم يُعطِه المساكينَ، حتىٰ جمعَ سَبْعَ قِلالٍ من ذهبٍ وورِقٍ. قال: وأَبْغَضْتُه بُغْضًا شديدًا، لمَا رأيتُه يَصْنَعُ، ثُم مات، واجْتَمَعَتْ له النّصارىٰ ليَدْفنوه، فقلتُ لهم: إنَّ هذا كان رجلَ سَوْءٍ، يأمُرُكم بالصدقة ويُرَغِّبُكم فيها، فإذا جئتُموه بها اكْتَنَزَها لنفسه، ولم يُعْطِ المساكينَ منها شيئًا. قال: فقالوا لي: وما علمُكَ بذلك؟ قال: قلتُ لهم: أنَا أدُلُّكم علىٰ كَنْزِه، قالوا: فَدُلَّنا عليه. قال: فأَرَيْتُهم موضعَه، فاستَخْرَجوا سَبْعَ قِلالٍ مملوءةً ذهبًا وورقًا، فلمَّا رأَوْها قالوا: لا نَدْفِنُه أبدًا، قال: فصَلَبُوه ورَجَمُوه بالحجارة. وجاءُوا برجلٍ آخَرَ، فجَعَلُوه مكانَه، قال: يقول سلمانُ: فما رأيتُ رجلاً لا يُصَلِّي الخَمْسَ أرىٰ أنه أَفْضَلُ منه، وأَزْهَدُ في الدنيا، ولا أَرْغَبُ في الآخرةِ، ولا أَدْأَبُ ليلاً ونهارًا، قال: فأحْبَبْتُه حُبًّا لم أُحبَّ شيئًا قَبْلَه. قال: فأَقَمْتُ معه زمانًا، ثم حضرَتْه الوفاةُ فقلتُ له: إنِّي قد كنتُ معك، وأَحْبَبْتُك حُبًّا لم أُحبَّه شيئًا قَبْلَك، و قد حضرَك ما ترىٰ من أمرِ الله تعالىٰ، فإلىٰ مَن تُوصي بي، وبمَ تأْمُرُني به؟ قال: أيْ بُنَيَّ، والله ما أَعْلَمُ اليومَ أحدًا علىٰ ما كنتُ عليه، لقد هلَك الناسُ، وبَدَّلوا، وتَركوا أكثَرَ ما كانوا عليه، إلاَّ رجلاً بالمَوْصِلِ، وهو فلانٌ، وهو علىٰ ما كنتُ عليه، فالْحَقْ به. قال: فلمّا مات، وغُيِّبَ، لَحِقْتُ بصاحبِ المَوْصِلِ فقلت: يا فلانُ، إنَّ فلانًا أَوْصَاني عندَ

موته أنْ أَلْحَقَ بك، وأَخْبَرَني أنَّك على أمرِه، فقال لي: أَقِمْ عندي، فأَقَمْتُ عندَه، فوجدتُه خيرَ رجلٍ، على أمرِ صاحبِه، فلم يَلْبَثْ أنْ ماتَ، فلَمّا حَضَرَتْه الوفاةُ، قلتُ له: يا فلانُ، إنَّ فلانًا، أوْصَىٰ بي إليك، وأَمَرَني باللُّحُوقِ بك، وقد حَضَرَك مِن أمرِ الله ما تَرَىٰ، فإلىٰ مَن تُوصِي بي، وبِمَ تَأْمُرُني؟ قال: يا بُنَيَّ، واللهِ ما أَعْلَمُ رجلاً علىٰ مِثْلِ ما كنَّا عليه، إلاَّ رجلاً بنَصِيبِينَ، وهو فلانٌ، فالْحَقْ به. فلما مات وغُيِّب، لحِقتُ بصاحِبِ نَصِيبِينَ، فأخْبَرْتُه خبَري، وما أَمَرَني به صاحِبَايَ، فقال: أَقِمْ عندي. فأقمتُ عندَه، فوجدتُه علىٰ أمرِ صاحِبَيْه، فأقمتُ مع خيرِ رجلٍ، فواللهِ ما لَبِثَ أنْ نَزَلَ به الموتُ، فلما حُضِرَ، قلتُ له: يا فلانُ، إنَّ فلانًا كان أَوْصَىٰ بي إلىٰ فلانٍ، ثُم أَوْصَىٰ بي فلانٌ إليك، فإلىٰ مَن تُوصِي بي، وبِمَ تَأْمُرُني؟ قال: يا بُنَيَّ، والله ما أَعْلَمُه بَقِيَ أحدٌ علىٰ أمرِنا آمُرُك أن تَأْتِيَه، إلاَّ رجلاً بِعَمُّورِيَّةَ مِن أرضِ الرُّومِ. فإنه علىٰ مِثْلِ ما نحن عليه، فإن أَحْبَبْتَ فأْتِه، فإنَّه علىٰ أمرِنا. فلما ماتَ وغُيِّب، لَحِقْتُ بصاحبِ عَمُّورِيَّةَ، فأَخبرتُه خبَرِي، فقال: أَقِمْ عندي. فأقمتُ عندَ خيرِ رَجُلٍ، علىٰ هَدْيِ أصحابِه وأمرِهم. قال: واكتَسَبْتُ، حتىٰ كانت لي بقراتٌ وغُنَيْمةٌ. قال: ثُم نَزَلَ به أمرُ اللَّه فلمَّا حُضِرَ قلتُ له: يا فلانُ؛ إنِّي كنتُ مع فلانٍ فأوصىٰ بي إلىٰ فلانٍ، ثُم أوْصَىٰ بي فلانٌ إلىٰ فلانٍ، ثُم أوْصَىٰ بي فلانٌ إليك، فإلىٰ مَن تُوصِي بي، وبِمَ تَأْمُرُني؟ قال: أي بُنَيَّ، واللهِ ما أَعْلَمُه أَصْبَحَ أحدٌ علىٰ مِثْلِ ما كنَّا عليه مِن الناسِ آمُرُك أن تَأْتِيَه، ولكنه قد أظَلَّ زمانُ نبيٍّ، وهو مبعوثٌ بدينِ إبراهيمَ، يَخْرُجُ بأرضِ العربِ، مُهاجَرُه إلىٰ أرضٍ بينَ حَرَّتَيْنِ، بينَهما نَخْلٌ به علاماتٌ لا تَخْفَىٰ، يَأْكُلُ الهَدِيَّةَ، ولا يَأْكُلُ الصدقَةَ، بينَ كَتِفَيْه خاتَمُ النبوةِ، فإن استطعتَ أنْ تَلْحَقَ بتلك البلادِ فافْعَلْ. قال: ثُم مات وغُيِّبَ، ومكَثْتُ بِعَمُّورِيَّةَ ما شاء الله أن أمْكُثَ، ثُم مَرَّ بي نَفَرٌ مِن كَلْبٍ تُجَّارٌ، فقلتُ لهم: احْمِلُوني إلىٰ أرضِ العربِ، وأُعْطِيَكم بَقَراتِي هذه وغُنَيْمَتِي هذه قالوا: نَعَم. فأعْطَيْتُهُمُوها وحَمَلُوني معهم، حتىٰ إذا بَلَغُوا وادِيَ القُرَىٰ، ظَلَمُوني، فباعُونِي مِن رجلٍ يهوديٍّ عبدًا، فكنتُ عندَه، ورأيتُ النخلَ فرجوتُ أنَّ يكونَ البلدُ الَّذي وصف لي صاحبي ولم يحقَّ في نفسي، فبَيْنَا أنا عندَه، إذْ قَدِمَ عليه ابنُ عَمٍّ له، مِن بَنِي قُرَيْظَةَ مِن المدينةِ، فابْتَاعَني منه، فاحْتَمَلني إلىٰ المدينةِ، فواللهِ ما هو إلاَّ أن رأيتُها، فعَرَفْتُها بِصِفَةِ صاحِبِي لها فأقمتُ بها وبُعِثَ رسولُ اللَّه ﷺ فأقامَ بمكةَ ما أقام لا أسمعُ له بذِكْرٍ، مِمّا أنَا فيه مِن شُغْلِ الرِّقِّ، ثُم هاجَرَ إلىٰ المدينةِ، فواللهِ إنِّي لَفِي رأسِ عذقٍ لسيِّدي أعملُ فيه بَعْضَ العملِ وسيِّدي جالسٌ تحتي إذْ أقبل ابنُ عمٍّ له حتىٰ وَقَفَ عليه، فقال: يا فلانُ، قاتَلَ اللهُ بَنِي قَيْلَةَ، واللهِ إنَّهم الآنَ لَمُجْتَمِعون بقُبَاءَ علىٰ رجلٍ قَدِمَ عليهم مِن مكةَ اليومَ، يَزْعُمُون أنه نبيٌّ، قال سلمانُ: فلَمّا سَمِعْتُها، أَخَذَتْنِي العُرَوَاءُ، حتىٰ ظننتُ أنِّي ساقطٌ علىٰ سيدي، فنَزَلْتُ عن النَّخْلةِ، فجعلتُ أقولُ لابنِ عَمِّه: ماذا تقولُ؟ ماذا تقولُ؟ فغَضِبَ سيدِي، فلَكَمَني لَكْمَةً شَدِيدةً، ثُم قال: ما لَكَ ولهذا؟ أَقْبِلْ علىٰ عَمَلِكَ. قال: قلتُ: لا شيءَ، إنَّما أردتُ أنْ أَسْتَثْبِتَه عمّا قال. قال: وقد كان عندي شيءٌ قد جَمَعْتُه، فَلَمَا أَمْسَيْتُ أخذتُه، ثُم ذهبتُ به إلىٰ رسولِ الله ﷺ،

وهو بقِبَاءَ، فدخلتُ عليه، فقلتُ له: إنه قد بَلَغَني أنَّك رجلٌ صالحٌ، ومعك أصحابٌ لك غرباءُ ذَوُو حاجةٍ، وهذا شيءٌ كان عندي للصدقة، فرأيتُكم أحقَّ به من غيرِكم، قال: فقَرَّبْتُه إليه، فقال رسول الله ﷺ، لأصحابِه: «كُلُوا» وأَمْسَكَ يَدَه، فلم يأْكُلْ، فقلتُ في نفسِي، هذه واحدةٌ ثُم انْصَرَفْتُ عنه، فجمعتُ شيئًا، وتَحَوَّلَ رسول الله ﷺ، إلى المدينةِ، ثم جئتُه، فقلتُ له: إنِّي قد رأيتُك لا تأْكُلُ الصدقَةَ، وهذه هديَّةٌ أَكْرَمْتُك بها. قال: فأكل رسولُ الله ﷺ، منها، وأمَرَ أصحابَه، فأكَلُوا معه. قال: فقلتُ في نفسِي: هاتان ثِنْتَانِ. قال: ثُم جِئْتُ رسولَ اللهِ ﷺ، وهو ببَقِيعِ الغَرْقَدِ، قد تَبِعَ جِنازةَ رجلٍ من أصحابِه، وعليَّ شَمْلَتَان لي، وهو جالسٌ في أصحابِه، فسلمتُ عليه، ثُم استَدْبَرْتُه أَنْظُرُ إلى ظهرِه، هل أَرَى الخاتَمَ الذي وصَفَ لي صاحبي؟ فلمَّا رآني رسولُ الله ﷺ، اسْتَدْبَرْتُه، عرَفَ أنِّي أَسْتَثْبِتُ في شيءٍ وُصِفَ لي، فأَلْقَى رداءَه عن ظهرِه، فنَظَرْتُ إلى الخاتَمِ، فعرَفْتُه، فأَكْبَبْتُ عليه أقَبِّلُه وأَبْكِي، فقال: لي رسولُ الله ﷺ: «**تَحَوَّلْ**». فتَحَوَّلْتُ بينَ يَدَيه فَقصَصتُ عليه حَدِيثِي كما حدثتك يا بنَ عباسٍ، فأَعْجَبَ رسولَ الله ﷺ أنْ يَسْمَعَ ذلك أصحابُه، ثُم شغَلَ سلمانَ الرقُّ، حتى فاتَه مع رسولِ الله ﷺ بَدْرٌ وأُحُدٌ، قال سلمانُ: ثُم قَال رسولُ الله ﷺ: «**كاتِبْ يا سلمانُ**» فكاتَبْتُ صاحبي على ثلثمائة نخلةٍ أُحْيِيها له بالفَقِيرِ، وأربعين أوقيَّةً، فقال رسولُ الله ﷺ لأصحابِه: «**أعينُوا أخَاكم**» فأعَانُوني بالنخلِ؛ الرجلُ بثلاثين وَدِيَّةً، والرجلُ بعشرين وَدِيَّةً، والرجلُ بخَمْسَ عَشْرَةَ وَدِيَّةً، والرجلُ بعَشْرٍ، يُعِينُ الرجلُ بقَدرِ ما عندَه، حتى اجْتَمَعَتْ لي ثلثُمائةِ وَدِيَّةٍ، فقال لي رسولُ الله ﷺ: «**اذهبْ يا سلمانُ فَفَقِّرْ لها، فإذا فَرَغْتَ، فأتني أَكُنْ أنا أضَعُها بيدي**» قال: فَفَقَّرْتُ، وأعانَنِي أصحابي، حتى إذا فَرَغْتُ، جِئْتُه، فأخْبَرْتُه، فخرَجَ رسولُ الله ﷺ معي إليها، فجعَلْنا نُقَرِّبُ إليه الوَدِيَّ، ويَضَعُه رسولُ الله ﷺ بيده، حتى إذا فَرَغْنا، فوالذي نفسُ سلمانَ بيدِه، ما ماتَتْ منها وَدِيَّةٌ واحدةٌ، فأدَّيْتُ النخلَ، وبَقِيَ عليَّ المالُ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بمِثْلِ بيضةِ الدجاجةِ من ذهبٍ، من بعضِ المعادِنِ، فقال: «**ما فعَلَ الفارسي المكُاتَبُ؟**» قال: فدُعيتُ له، قال: «**خُذْ هذه فأَدِّها مما عليك يا سلمانُ**» قال: قلتُ: وأين تَقَعُ هذه يا رسولَ الله مما عليَّ؟ قال: «**خُذْها فإن الله سيُؤَدِّي بها عنك**» قال: فأخَذْتُها، فوَزَنْتُ لهم منها - والذي نفسُ سلمانَ بيدِه - أربعين أوقيةً، فأَوْفَيْتُهم حقَّهم، وعَتَقَ سلمانُ، فشَهِدتُ مع رسولِ الله ﷺ الخَنْدَقَ حرًّا، ثُم لم يَفُتْنِي معه مَشْهَدٌ[1] .

قال ابن إسحاق: وحدَّثني يَزِيدُ بن أبي حبيبٍ، عن رجلٍ من عبدِ القَيسِ، عن سَلْمَانَ، أنه قال: لَمَّا قلتُ: وأين تَقَعُ هذه من الذي عليَّ يا رسولَ الله؟ أخَذَها رسولُ الله ﷺ فقَلَّبَها على لسانِه، ثُم قال: «**خُذْها فأَوْفِهم منها**» فأخَذْتُها فأوْفَيْتُهم منها حقَّهم كلَّه، أربعين أُوقيَّةً[2] .

---

(١) **إسناد حسن:** أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٢١٤ - ٢٢١) وأحمد في «المسند» (٥/ ٤٤١ - ٤٤٤) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٩٢، ٩٧).

(٢) **إسناد ضعيف:** وفيه إبهام الراوي عن سلمان الفارسي.

وقال محمد بن إسحاق: حدَّثَني عاصمُ بن عمر بن قَتَادةَ، حدَّثَني مَن لا أَتَّهِمُ، عن عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ ابن مَرْوَانَ، قال: حُدِّثْتُ عن سلمانَ، أنه قال لرسولِ الله ﷺ حينَ أخْبَرَه خبرَه أنَّ صاحبَ عَمُّورِيَّةَ قال: له: ائْتِ كذا وكذا مِن أرضِ الشامِ، فإن بها رجلاً بينَ غَيْضَتَيْنِ يَخْرُجُ كلَّ سنةٍ مِن هذه الغَيْضَةِ مستَجِيزاً يعترضُه ذوو الأسقامِ، فلا يَدْعُو لأحدٍ منهم إلا شُفِيَ، فاسألْه عن هذا الدين الذي تبتغي، فهو يُخْبِرُكَ عَنْهُ، قال سلمان: فخرجتُ حتىٰ جئتُ حيثُ وصفَ لي، فوجدتُ الناسَ قد اجتمعوا بمرضَاهم هُناك، حتىٰ خرجَ لهُمْ تِلْكَ اللَّيلةِ مستَجِيزاً من إحدَىٰ الغَيْضَتَيْن إلىٰ الأخرَىٰ، فغَشِيَه الناسُ بمَرْضَاهم، لا يَدْعُو لمريضٍ إلاَّ شُفِيَ، وغَلَبُوني عليه، فلم أَخْلُصْ إليه، حتىٰ دخَلَ الغَيْضَةَ التي يُرِيُد أنْ يَدْخُلَ، إلاّ مَنْكِبَه. قال: فتَنَاوَلْتُه، فقال: مَن هذا؟ والْتَفَتَ إليَّ. قال: قلتُ: يَرحَمُكَ اللهُ، أخْبِرْني عن الحَنِيفِيَّةِ دينِ إبراهيمَ. قال: إنَّك لَتَسأَلُ عن شيءٍ ما يَسْأَلُ عنه الناسُ اليومَ، قد أَظَلَّكَ زمانُ نبيٍّ يُبْعَثُ بهذا الدينِ مِن أهلِ الحرمِ، فأْتِه فهو يَحْمِلُك عليه. ثُم دَخَلَ. فقال رسولُ الله ﷺ لسلمانَ: «**لَئِنْ كنتَ صدَقْتَني يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ عيسَىٰ ابنَ مريمَ**»[1] هكذا وقَع في هذه الروايةِ، وفيه رجلٌ مُبْهَمٌ، وهو شيخُ عاصمِ بن عُمَرَ بن قَتَادَةَ، وقد قيلَ: إنَّه الحسنُ بن عُمَارَةَ، ثُم هو مُنْقَطِعٌ، بل مُعْضَلٌ بينَ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ وسلمانَ رَضِيَ اللهُ عنه: وقولُه: «**لئنْ كنتَ صدَقْتَني يا سلمانُ، لقد لَقِيتَ عيسى ابنَ مريمَ**» غريبٌ جداً، بل منْكَرٌ، فإنَّ الفترةَ أقلُّ ما قيل فيها: إنَّها أربعُمائَةِ سنةٍ، وقيل: ستُّمائَةِ سنةٍ بالشمسية. وسلمانُ أكثرُ ما قيل: أنَّه عاشَ ثَلَثَمائَةِ سنةٍ وخمسين سنةً، وحكىٰ العباسُ ابن يزيدَ البحْرَانيُّ إجماعَ مشايخِه علىٰ أنه عاشَ مائتين وخمسين سنةً، واختَلَفوا فيما زادَ إلىٰ ثَلَثمائَةٍ وخمسين سنةً، فاللهُ أعلمُ.

والظاهرُ أنه قال: «**لقد لَقِيتَ وَصِيَّ عيسى ابن مريمَ**». فهذا ممكنٌ، إذ قد يكونُ ذاك عَمَّرَ دهراً طويلاً، وسلمانُ عَمَّرَ بعدَه دهراً آخرَ. واللهُ أعلمُ بالصواب.

وقال السُّهَيْليُّ: الرجلُ المُبْهَمُ هو الحسنُ بن عمارةَ، وهو ضعيفٌ، وإنْ صحَّ لم يكُنْ فيه نكارةٌ، لأنَّ ابنَ جريرٍ ذكَرَ أنَّ المسيحَ نزلَ من السماءِ بعدَما رُفِع، فوجَد أمَّه وامرأةً أخرَىٰ يَبْكِيان عندَ جِذْعِ المَصلوبِ، فأخْبَرَهما أنه لم يُقْتَلْ، وبعَثَ الحوارِيِّين بعدَ ذلك. قال: وإذا جازَ نزولُه مرةً، جاز نزولُه مِرَاراً، ثُم يكونُ نزولُه الظاهرُ حينَ يَكْسِرُ الصليبَ، ويقْتُلُ الخنزيرَ، ويَتَزَوَّجُ، حينئذٍ امرأةً مِن بني جُذَامٍ، وإذا مات، دُفِن في حجرةِ روضةِ رسولِ الله ﷺ.

وقد روَىٰ البَيْهَقيُّ في كتاب «دلائلِ النبوةِ» قِصةَ سلمانَ هذه، مِن طريقِ يونسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن محمدِ بن إسحاقَ كما تقَدَّم، ورَوَاها أيضاً[2] عن الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن يَحْيَىٰ بن أبي طالبٍ،

---

(١) **إسناد منقطع والحديث منكر كما قال المصنف**: والانقطاع بين عمر بن عبد العزيز وسلمان وفيه إبهام شيخ عاصم. ورجح المصنف أنه الحسن بن عمارة وإن كان هو فهو ضعيف. أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٢٢٦، ٢٢٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٨٢ـ ٩٢) وإسناد ابن إسحاق أصح كما ذكر المصنف وزيد بن صدمان لم يوثقه معتبر.

حدثنا عليُّ بن عاصم، حدثنا حاتمُ بن أبي صَغيرةَ، عن سِماكِ بن حَرْبٍ، عن زيدِ بن صَوْحانَ، أنَّه سَمعَ سلمانَ يُحدِّثُ كيف كان أولُ إسلامه، فذكَرَ قصةً طويلةً، وذكر أنَّه كان من رامَهُرْمُزَ، وكان له أخٌ أكبرُ منه غَنيٌّ، وكان سلمانُ فقيرًا في كَنَفِ أخيه، وأن ابنَ دهقانها كان صاحبًا له، وكان يَختلفُ معه إلى مُعَلِّم لهم، وأنَّه كان يَختلف ذلك الغلامُ إلى عُبَّادٍ من النصارى في كهفٍ لهم، فسأله سلمانُ أنْ يَذْهَبَ به معه إليهم، فقال له: إنك غلامٌ، وأَخشى أن تَنُمَّ عليهم، فيَقْتُلَهم أبي. فالتَزَمَ له أنْ لا يكونَ منه شيءٌ يَكْرَهُه، فذهَب به معه، فإذا هم ستةٌ -أو سبعةٌ- كأنَّ الرُّوحَ قد خرَجَت منهم؛ من العبادة، يَصُومُون النهارَ، ويَقُومُون الليلَ، يأكُلُون الشجرَ وما وجَدُوا، فذكَر عنهم أنَّهم يُؤْمِنُون بالرسلِ المُتقدِّمين، وأنَّ عيسى عبدُ الله ورسولُه وابن أَمَتِه، أيَّدَه بالمعجزات، وقالوا له: يا غلامُ، إنَّ لك ربًّا، وإنَّ لك مَعَادًا، وإنَّ بين يَدَيْك جنةً ونارًا، وإنَّ هؤلاء القومَ الذين يَعْبُدُون النيرانَ أهلُ كفرٍ وضلالةٍ، لا يَرْضى اللهُ بما يَصْنَعُون وليسوا على دينٍ، ثُم جعَل يَتَرَدَّدُ مع ذلك الغلامِ إليهم، ثُم لَزِمَهم سلمانُ بالكُلِّيَّة، ثُم أَجْلاهم مَلِكُ تلك البلادِ -وهو أبو ذلك الغلامِ الذي صَحِبَه سلمانُ إليهم- عن أرضه، واحْتَبَسَ الملكُ ابنَه عنده، وعرَض سلمانُ دينَهم على أخيه، الذي هو أكبرُ منه، فقال: إني مُشْتَغِلٌ بنَفْسي في طلبِ المعيشة.

فارتحَلَ معهم سلمانُ، حتى دخلوا كنيسةَ المَوْصِل، فسَلَّمَ عليهم أهلُها، ثُم أرادوا أنْ يَتْرُكُوني عندَهم، فأَبَيْتُ إلا صُحْبَتَهم، فخرَجُوا حتى أتَوْا واديًا بينَ جبالٍ، فتحدَّر إليهم رهبانُ تلك الناحيةِ يُسَلِّمُون عليهم، واجتمَعُوا إليهم، وجَعَلُوا يَسْأَلُونهم عن غَيْبَتِهم عنهم، ويسْأَلُونهم عنِّي، فيُثْنُون عليَّ خيرًا، وجاء رجلٌ مُعظَّمٌ فيهم فخطَبَهم، فأَثْنى على الله بما هو أهْلُه، وذكَر الرسلَ وما أُيِّدُوا به، وذكَر عيسى ابن مريمَ، وأنَّه كان عبدَ الله ورسولَه، وأمَرَهم بالخير، ونَهاهم عن الشرِّ، ثُم لمَّا أرادوا الانصرافَ، تَبِعَه سلمانُ ولَزِمَه، قال: فكان يَصُومُ النهارَ ويَقومُ الليلَ من الأحدِ إلى الأحدِ الآخرِ، فيَخْرُجُ إليهم، ويَعِظُهم، ويأْمُرُهم، ويَنْهاهم، فمكَث على ذلك مدةً طويلةً، ثُم أرادَ أنْ يَزُورَ بيتَ المقدسِ، فصَحِبَه سلمانُ إليه. قال: فكان فيما يَمْشي، يَلْتَفِتُ إليَّ، ويُقْبِلُ عليَّ، فيَعِظُني ويُخْبِرُني أنَّ لي ربًّا، وأنَّ بين يَدَيَّ جنةً ونارًا وحسابًا، ويُعَلِّمُني، ويُذَكِّرُني، نحوَ ما كان يُذَكِّرُ القومَ يومَ الأحدِ، حتى قال فيما يقولُ لي: يا سلمانُ، إنَّ اللهَ سوف يَبْعَثُ رسولاً اسمُه أحمدُ يَخْرُجُ من تِهامَةَ، يأكُلُ الهديَّةَ، ولا يأكُلُ الصدقةَ، بينَ كَتِفَيْه خاتَمُ النبوة، وهذا زمانُه الذي يَخْرُجُ فيه قد تَقارَبَ، فأمَّا أنا فإنِّي شيخٌ كبيرٌ، ولا أَحْسَبُني أُدْرِكُه، فإن أدْرَكْتَه أنت فصَدِّقْه واتَّبِعْه قلتُ له: وإنْ أمَرَني بتَرْكِ دينِك وما أنتَ عليه؟ قال: وإن أمَرَك؛ فإنَّ الحقَّ فيما يَجيءُ به، ورضَا الرحمنِ فيما قال.

ثُم ذكَر قُدُومَهما إلى بيتِ المقدسِ، وأنَّ صاحبَه صلَّى فيه ههنا وههنا ثم نامَ، وقد أوْصاه أنَّه إذا بلَغ

الظلُّ مكانَ كذا، أن يُوقظَه، فتركَه سلمانُ حينًا آخرَ أزيَدَ ممَّا قال؛ ليَستَريحَ، فلمَّا استَيقَظَ ذكرَ اللهَ ولَامَ سلمانَ على ترْكِ ما أمرَه به من ذلك، ثُم خرَجَا من بيت المقدسِ، فسأله مُقْعَدٌ، فقال: يا عبدَالله، سألتُك حينَ دَخَلتَ، فلم تُعْطِني شيئًا، وها أنا أسألُك، فنظَر فلم يَجِدْ أحدًا، فأخَذ بيدِه وقال: قُمْ بسم الله. فقامَ وليس به بَأسٌ ولا قَلَبَة، كأنَّما نُشِطَ من عِقَالٍ، فقال لي: يا عبدَالله، احْمِل عليَّ مَتَاعِي؛ حتى أَذْهَبَ إلى أهلي فأُبَشِّرَهم. فاشْتَغَلْتُ به، ثُم أدْرَكْتُ الرجلَ فلم أَلْحَقْه، ولم أدرِ أين ذهَبَ، وكُلَّما سألتُ عنه قومًا قالوا: أمامَك، حتى لَقِيَني رَكْبٌ من العربِ من بني كلبٍ، فسألتُهم، فلمَّا سَمِعُوا لُغَتي، أنَاخَ رجلٌ منهم بعيرَه، فحمَلَني خَلْفه، حتى أتَوْا بي بلادَهم، فباعُوني، فاشْتَرَتْني امرأةٌ من الأنصارِ، فجعلَتْني في حائطٍ لها، وقَدِمَ رسولُ الله ﷺ. ثُم ذكَرَ ذَهَابَه إليه بالصدقة والهديَّة، ليَسْتَعْلِمَ ما قال صاحبُه، ثُم تَطَلَّبَ النظرَ إلى خاتَمِ النبوة، فلمَّا رآه، آمَن من ساعتِه، وأخْبَرَ رسولَ الله ﷺ خبرَه الذي جرَى له. قال: فأمَر رسولُ الله ﷺ أبا بكرٍ الصديقَ، فاشْتَراه من سيدته، فأعتَقَه. قال: ثُم سألْتُه يومًا عن دينِ النصارَى فقال: «**لا خيرَ فيهم**» قال: فوقَع في نفسي من أولئك الذين صَحِبْتُهم، ومن ذلك الرجلِ الصالح الذي كان معي ببيتِ المقدسِ، فدَخَلَني من ذلك أمرٌ عظيمٌ، حتى أنْزَلَ اللهُ على رسولِ الله ﷺ: ﴿ **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ [المائدة: ٨٢]. فدَعاني رسولُ الله ﷺ، فجئْتُ وأنا خائفٌ، فجلستُ بين يدَيْه، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾ الآيات. ثم قال: «**يا سلمانُ، أولئك الذين كنتَ معهم وصاحبُك، لم يكُونوا نصارَى، كانوا مسلمين**» فقلتُ: يا رسولَ الله، والذي بعثَك بالحقِّ، لَهُوَ أمرَني باتِّباعك، فقلتُ له: وإنْ أمَرَني بِتَرْكِ دِينِك وما أنتَ عليه؟ قال: نَعَمْ، فاتْرُكْه، فإنَّ الحقَّ وما يَرْضَى اللهُ فيما يَأْمُرُك.

وفي هذا السياق غرابةٌ كثيرةٌ وفيه بعضُ المخَالَفة لسياق محمد بن إسحاقَ، وطريقُ محمد بن إسحاقَ أقْوَى إسنادًا، وأحسنُ اقْتصاصًا، وأقربُ إلى ما رَوَاه البخاريُّ في «صحيحه»، من حديث مُعْتَمِر بن سليمانَ بن طَرْخَانَ التَّيْمِيِّ، عن أبيه، عن أبي عثمانَ النَّهْدِيِّ، عن سلمانَ الفارسيِّ، أنَّه تَدَاوَلَه بضعةَ عشَرَ، من ربٍّ إلى ربٍّ. أيْ؛ من مُعَلِّمٍ إلى مُعَلِّمٍ، ومُرَبٍّ إلى مثلِه[1]. والله أعلمُ.

قال السُّهَيْليُّ: تَدَاوَلَه ثلاثون سيِّدًا، من سيدٍ إلى سيدٍ، فاللهُ أعلمُ وكذلك استَقْصَى قصةَ إسلامه، الحافظُ أبو نُعَيْم في «الدلائل»[2] وأَوْرَدَ لها أسانيدَ وألفاظًا كثيرةً، وفي بعضها أنَّ اسمَ سيدته التي كاتَبَته حُلَيْسَةُ فاللهُ أعلمُ.

(١) أخرجه البخاري (٣٩٤٦).
(٢) انظر «الدلائل» لأبي نعيم (١٩٩).

ذكر أخبار غريبة في ذلك

وقال أبو نُعَيم في «الدلائل» حدَّثنا سليمانُ بن أحمدَ، حدَّثنا محمدُ بن زكريَّا الغَلاَبيُّ، حدَّثنا العلاءُ بن الفضل بن عبد الملك بن أبي سَوِيَّةَ المِنْقَريُّ، حدَّثنا عَبَّادُ بن كُسَيْب، عن أبيه، عن أبي عِتْوَارَةَ الخُزَاعيِّ، عن سِعْرِ بن سَوَادَةَ العامريِّ، قال: كنتُ عَسِيفًا لعَقِيلَةٍ، من عقائلِ الحيِّ، أرْكَبُ لها الصَّعْبَ والذَّلُولَ، لا أُبقي من البلاد مَطْرَحًا أرْجو ربْحًا في مَتْجرٍ، إلاَّ أَتَيْتُه، فانصرفتُ من الشام بخُرْثَةٍ، وأثاثٍ، أُريدُ به كُبَّةَ المَوْسم ودَهْماءَ العرب، فدخلتُ مكةَ بليلٍ مُسْدفٍ، فأقمتُ حتى تَعَرَّىٰ عني قميصُ الليلِ، فرفعتُ رأسي، فإذا قبابٌ مُسَامِتَةٌ شَعَفَ الجبال، مَضْرُوبَةٌ بأنْطَاعِ الطائف، وإذا جزائرُ تُنحرُ، وأخرىٰ تُسَاقُ، وإذا أكَلَةٌ وحَثَثَةٌ على الطُّهَاة يقولون: ألاَ عَجِّلُوا ألاَ عَجِّلُوا، وإذا رجلٌ يَجْهَرُ على نَشَزٍ، من الأرض يُنَادي: يا وفدَ الله، ميلُوا إلى الغَدَاء، وأُنَيْسانٌ على مَدْرَجَةٍ يقولُ: يا وفدَ الله، مَن طَعِمَ فليَرُحْ، إلى العَشَاء فجَهَرَني ما رأيتُ فأقبلْتُ أُريدُ عَميدَ القوم، فعرَفَ رجلٌ الذي بي، فقال: أمامَك. وإذا شيخٌ كأنَّ في خدَّيه الأسَاريعَ، وكأنَّ الشِّعْرَىٰ تَوَقَّدُ في جَبِينِه، قد لاَثَ على رأسه عمامةً سوداءَ، قد أبرَزَ من مِلاَئِها جُمَّةً فَيْنَانَةً، كأنَّها سَماسِمُ، قال في بعض الروايات: تحته كُرْسيٌّ سَاسَم ومن دونهما نُمْرُقَةٌ، بيده قضيبٌ يَتَخَصَّرُ به، حولَه مشايخُ جِلَّةٌ نواكسُ الأذقان، ما منهم أحدٌ يُفيضُ بكلمةٍ، وقد كان نَمَىٰ إليَّ حَبْرٌ من أحْبَار الشام، أنَّ النبيَّ الأُمِّيَّ هذا أوانُ نُجُومه، فلَمَّا رأيتُه ظننتُه ذلك، فقلتُ: السلامُ عليك يا رسولَ الله، فقال: مَهْ مَهْ، كلاَّ، وكأنْ قد ولَّيْتَني إياه، فقلتُ: مَن هذا الشيخُ، فقالوا: هذا أبو نضلَةَ، هذا هاشمُ بن عبد مَنَافٍ، فولَّيتُ وأنا أقولُ: هذا والله المَجْدُ، لا مَجْدُ آلِ جَفْنَةَ، يَعْني ملوكَ عرب الشام، من غَسَّانَ، كان يقالُ لهم: آلُ جَفْنَةَ وهذه الوظيفةُ التي حكاها عن هاشمٍ هي الرِّفادةُ، يَعني: إطعامَ الحجيج زمنَ المَوْسم[1].

وقال أبو نُعَيم: حدَّثنا عبدُ الله بن محمد بن جعفر، حدَّثنا محمدُ بن يحيى، حدَّثنا سعيدُ بن عثمانَ، حدَّثنا عليُّ بن قُتَيْبَةَ الخُراسانيُّ، حدَّثنا خالدُ بنُ إلياسَ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجَهْم، عن أبيه، عن جَدِّه، قال: سَمِعْتُ أبا طالبٍ، يُحَدِّثُ عن عبد المُطَّلب، قال: بَيْنَا أنا نائمٌ في الحِجْرِ، إذ رأيتُ رُؤْيَا هالَتْني، ففَزِعْتُ منها فَزَعًا شديدًا، فأتَيْتُ كاهنةَ قريشٍ، وعليَّ مُطْرَفُ خَزٍّ، وجُمَّتي تَضْرِبُ مَنْكِبَيَّ، فلمَّا نظرَتْ إليَّ، عرَفَتْ في وجْهِي التَغيُّرَ، وأنا يومئذٍ سيِّدُ قومي، فقالت: ما بالُ سيدنا قد أتَانَا متغيِّرَ اللون؟ هل رَابَه، مِنْ حدثان الدَّهْرِ شيءٌ؟ فقلتُ لها: بلى، وكان لا يُكلِّمُها أحدٌ من الناس حتى يُقَبِّلَ يدَها اليُمنَى، ثُم يَضَعَ يَدَه على أمِّ رأسها، ثُم يَذْكُرَ حاجتَه، ولم أفعلْ، لأنِّي كبيرُ قومي، فجلستُ فقلتُ: إنِّي رأيتُ الليلةَ وأنا نائمٌ في الحِجْرِ، كأن شجرةً نَبَتَتْ قد

---

(١) **إسناد ضعيف**: عزاه المصنف لأبي نعيم في «الدلائل» وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠/ ٤١٣) من طريق علاء ابن الفضل به وهو ضعيف كما قال الحافظ ابن حجر وقال البخاري في «التاريخ» (٦/ ٤٠): عباد بن كسيب سمع الطفيل بن عمرو روىٰ عنه العلاء بن الفضل لا يصح.

نالَ رأسُها السماءَ، وضَرَبَتْ بأغصانها المشرقَ والمغربَ، وما رأيتُ نوراً أزْهَرَ منها، أعظمُ من نورِ الشمسِ سبعين ضِعفًا، ورأيتُ العرب والعَجمَ ساجدين لها، وهي تَزْدادُ كلَّ ساعةٍ عِظَمًا ونوراً وارتفاعًا ساعة تَخْفَىٰ وساعةً تَزْهَرُ، ورأيتُ رَهْطًا من قريشٍ قد تَعَلَّقُوا بأغصانها، ورأيتُ قومًا من قريشٍ يُريدُون قطعَها، فإذا دَنَوْا منها، أخَّرَهم شابٌّ لم أرَ قطُّ أحسنَ منه وجهًا، ولا أطْيَبَ منه ريحًا، فيَكْسِرُ أظْهُرَهم، ويَقْلَعُ أعينهم فرفعتُ يَدي لأتناول منها نصيبًا فمنعني الشابُ فقلتُ لمنْ النصيبُ؟ فقال: النصيبُ لهؤلاء الذين تَعَلَّقُوا بها وسَبَقُوك إليها، فانْتَبَهْتُ مذْعُوراً فَزِعًا. فرأيتُ وجهَ الكاهنة قد تَغَيَّرَ، ثُم قالت: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْياك، لَيَخْرجَنَّ من صُلْبك رجلٌ يَمْلِكُ المشرقَ والمغربَ، ويَدينُ له الناسُ، ثُم قال: يَعْني عبدَ المطلب ـ لأبي طالبٍ: لَعَلَّك تكونُ هذا المولودُ. قال: فكان أبو طالبٍ يُحَدِّثُ بهذا الحديث، بعدَما وُلِدَ رسولُ الله ﷺ، وبعدمَا بُعِثَ. ثمُ قال: كانت الشجرةُ ـ واللهُ أعلمُ ـ أبا القاسمِ الأمينَ، فيقالُ لأبي طالب: ألاَ تُؤْمِنُ؟ فيقولُ: السُّبَّةُ والعارُ[1].

وقال أبو نُعَيم: حدَّثنا سليمانُ بن أحمدَ، حدثَّنا محمدُ بن زكريَّا الغَلابيُّ حدثَّنا العباسُ بن بَكَّارٍ الضبِّيُّ، حدثَّنا أبو بكرٍ الهُذَليُّ، عن عِكْرِمَةَ، عن ابن عباسٍ، قال: قال العباسُ، خرجتُ في تجارةٍ إلى اليَمَنِ في رَكْبٍ، منهم أبو سفيانَ بن حَرْبٍ، فقَدمْتُ اليمنَ، فكنتُ أصْنَعُ يومًا طعامًا، وأنْصَرِفُ بأبي سفيانَ وبالنَّفَرِ، ويَصْنَعُ أبو سفيانَ يومًا، ويفعلُ مثْلَ ذلك، فقال لي في يَوْمي الذي كنتُ أصْنَعُ فيه: هل لك يا أبا الفَضْلِ أن تَنْصَرِفَ إلى بَيْتي، وتُرْسِلَ إليَّ غَدَاءَك؟ فقلتُ: نَعَمْ. فانصرفتُ أنا والنَّفَرُ إلى بيته، وأرسلتُ إلى الغداء، فلمَّا تَغَدَّىٰ القومُ، قاموا واحْتَبَسَني، فقال: هل عَلِمْتَ يا أبا الفَضْلِ، أن ابنَ أخيك يَزْعُمُ أنَّه رسولُ الله؟ فقلتُ: أيَّ بَني أخي؟ فقال أبو سفيانَ: إيَّايَ تَكْتُمُ؟! وأيُّ بَني أخيك يَنْبَغي أنْ يقول هذا، إلاَّ رجلٌ واحدٌ؟! قلتُ: وأيُّهم على ذلك؟ قال: هو محمدُ بن عبدِ الله. فقلتُ قد فَعَل؟ قال: بلى، قد فعَل، وأخْرجَ كتابًا من ابنه حَنْظَلَةَ بنِ أبي سفيانَ، فيه: أُخْبِرُك أنَّ محمداً قامَ بالأبْطَحِ، فقال: «**أنا رسولُ الله، أدْعُوكم إلى الله، عزَّ وجلَّ**» فقال العباسُ: قلتُ: لعَلَّه يا أبا حَنْظَلَةَ صادقٌ. فقال: مَهْلاً يا أبا الفَضْلِ، فوالله ما أُحِبُّ أنْ يقولَ مثْلَ هذا، إنِّي لا أَخْشَىٰ أن يكونَ عليَّ ضَيْرٌ من هذا الحديث يا بني عبدِ المطلب، إنَّه والله ما بَرِحَتْ قريشٌ تَزْعُمُ أنَّ لكم هَنَةً وهَنَةً، كلُّ واحدةٍ منهما غايةٌ، لَنَشَدْتُك يا أبا الفَضْلِ، هل سَمِعتَ ذلك؟ قلتُ: نَعَمْ، قد سَمِعْتُ قال: فهذه والله شُؤْمَتُكم، قلتُ: فَلعَلَّها يُمْنَتُنا. قال: فما كان بعدَ ذلك إلاَّ لَيَالٍ، حتى قَدمَ عبدُ الله بن حذَافَةَ بالخبرِ وهو مؤمنٌ، ففَشَا ذلك في مجالسِ اليمنِ، وكان أبو سفيانَ، يَجْلسُ مجلسًا باليمنِ، يَتَحدَّثُ فيه حَبْرٌ من أحبارِ اليهودِ، فقال له اليهوديُّ: ما هذا الخبرُ؟ بَلَغَني أنَّ فيكم عَمَّ هذا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٥١) وفي إسناده من لم أقف عليه وهو علي بن قتيبة الخراساني.

الرجلِ الذي قال ما قال؟ قال أبو سفيانَ: صَدَقُوا، وأنَا عَمُّه. فقال اليهوديُّ: أخو أبيه؟ قال نَعَمْ. قال: فحدِّثْني عنه. قال: لا تَسْأَلْني، ما أُحِبُّ أنْ يَدَّعِيَ هذا الأمرَ أبدًا، وما أحِبُّ أنْ أَعِيبَه، وغيرُهُ خيرٌ منه. فرأىٰ اليهوديُّ أنه يُغَمِّضُ عليه، ولا يُحِبُّ أنْ يَعيبَه، فقال: اليهوديُّ: ليس به، لا بَأْسَ علىٰ اليهودِ، وتوراةِ موسىٰ. قال العباسُ، فنادَاني الحَبْرُ، فجئْتُ، فخرَجْتُ حتىٰ جلستُ ذلك المجلسَ من الغَدِ، وفيه أبو سفيانَ بن حَرْبٍ والحبر، فقلتُ للحَبرِ: بَلَغني أنَّك سألتَ عَمِّي عن رجلٍ منّا، زعَم أنَّه رسولُ الله ﷺ، فأخبَرَك أنَّه عَمُّه، وليس بعَمِّه، ولكن ابنَ عمِّه، وأنا عَمُّه وأخو أبيه. قال: أخو أبيه؟ قلتُ: أخو أبيه. فأقْبَلَ علىٰ أبي سفيانَ، فقال: صدَق؟ قال: نَعَمْ، صدَق، فقلتُ: سَلْني، فإنْ كَذَبْتُ فلْيَرُدَّه عليَّ، فأقْبَلَ عليَّ فقال: نَشَدْتُك، هل كان لابن أخيك صَبْوَةٌ أو سَفَهَةٌ؟ قلت: لا وإلهِ عبدِ المطَّلِب، ولا كذَب ولا خانَ، وإنْ كان اسمُه عندَ قريشٍ الأمينَ، قال: فهل كتَب بيده؟ قال العباسُ: فظَنَنْتُ أنه خيرٌ له أنْ يَكْتُبَ بيده، فأرَدْتُ أنْ أقولَها، ثُم ذكَرتُ مكانَ أبي سفيانَ، أنَّه مُكَذِّبي ورادٌّ عليَّ، فقلت: لا يَكْتُبُ. فوثَب الحَبْرُ، وترَك رِدَاءَه، وقال: ذُبِحَتْ يهودُ وقتلت يهودُ، قال العباس: فلمَّا رجَعْنَا إلىٰ مَنْزِلنَا قال أبو سفيانَ: يا أبا الفَضْلِ: إنَّ اليهودَ تَفْزَعُ من ابنِ أخيك! قلتُ: قد رأيتَ ما رأيتَ، فهل لك يا أبا سفيانَ أنْ تُؤْمِنَ به، فإنْ كان حقًّا، كنتَ قد سبَقْتَ، وإن كان باطلاً، فمعك غيرُك من أكْفائك، قال: لا أُؤْمِنُ به حتي أرَىٰ الخيلَ في كَدَاءٍ، قلتُ: ما تقولُ؟ قال: كلمةٌ جاءَتْ علىٰ فَمِي، إلا أنِّي أعْلَمُ أنَّ اللهَ لا يَتْرُكُ خيلاً تَطْلُعُ من كَدَاءٍ، قال العباسُ: فلمّا اسْتَفْتَحَ رسولُ الله ﷺ مكةَ، ونظَرْنا إلىٰ الخيلِ، وقد طَلَعَتْ من كَدَاءٍ، قلتُ: يا أبا سفيانَ، تَذْكُرُ الكلمةَ؟ قال: إي واللهِ لَذاكرُها، فالحمدُ لله الذي هَدَاني للإسلامِ [١] وهذا سياقٌ حسنٌ، عليه البهاءُ والنورُ وضياءُ الصدقِ، وإن كان في رجالِه مَن هو مُتَكَلَّمٌ فيه. والله أعلمُ.

وقد تَقَدَّم ما ذَكَرْناه في قصةِ أبي سفيانَ مع أميةَ بن أبي الصَّلْتِ، وهو شَبِيهٌ بهذا الباب، وهو من أغْرَبِ الأخبارِ، وأحسنِ السياقاتِ، وعليه النورُ.

وسيأتي أيضًا قصةُ أبي سفيانَ مع هِرَقْلَ ملكِ الرومِ، حينَ سأَله عن صفاتِ رسولِ الله ﷺ وأحواله، واسْتِدْلالُه بذلك علىٰ صدقه ونبوته ورسالته. وقال له: قد كنتُ أعْلَمُ أنه خارجٌ، ولكنْ لم أكنْ أظُنُّ أنَّه فيكم، ولو أَعْلَمُ أنِّي أخْلُصُ إليه، لَتَجَشَّمْتُ لُقِيَّهُ، ولو كنتُ عندَه لَغَسَلْتُ عن قَدَمَيْه، ولَئِنْ كان ما تقولُ حقًّا، لَيَمْلِكَنَّ موضعَ قدمَيَّ هاتين، وكذلك وقَع، ولله الحمدُ والمِنَّةُ.

وقد أكْثَرَ الحافظُ أبو نُعَيْمٍ من إيرادِ الآثارِ والأخبارِ عن الرهبانِ والأحبارِ والعربِ، فأكْثَرَ وأَطْنَبَ وأحسن وأطيب، رَحِمَه اللهُ، ورَضِيَ عنه.

---

(١) **إسناد ضعيف**: فيه أبو بكر الهذلي وهو إخباري متروك الحديث والعباس بن بكار منكر الحديث.

قصة عمرو بن مُرَّة الجُهَنيِّ

قال الطَّبَرانيُّ: حدثَّنا عليُّ بن إبراهيمَ الخُزاعيُّ الأهْوازيُّ، حدثَّنا عبدُ الله بن داودَ بنِ دلْهاثِ بن إسماعيلَ بن عبدِ الله بن شُرَيحِ بن ياسرِ بن سُوَيْدٍ صاحبِ رسولِ الله ﷺ، حدثَّنا أبي، عن أبيه دلهاثٍ، عن أبيه إسماعيلَ، أنَّ أباه عبدَ الله حدثَّه عن أبيه، أنَّ أباه ياسرَ بنَ سُوَيْدٍ حدثَّه عن عمرِو بن مُرَّةَ الجُهَنيِّ قال: خرَجْتُ حاجًّا في جماعةٍ مِن قومي في الجاهليةِ، فرأيْتُ في نَومي وأنا بمكَّةَ، نُوراً ساطعًا مِن الكعبةِ حتى وصَلَ إلى جبلِ يثْربَ وأشْعَرِ جُهَيْنَةَ، فسمِعْتُ صوتًا بينَ النورِ وهو يقولُ: انقشَعَتِ الظَّلْماءُ، وسَطَعَ الضياءُ، وبُعِثَ خاتمُ الأنبياءِ، ثُم أضاءَ إضاءةً أُخرىٰ، حتى نظَرْتُ إلىٰ قصورِ الحِيرةِ وأبْيَضِ المدائنِ، وسمِعْتُ صوتًا مِن النورِ وهو يقولُ: ظَهَرَ الإسلامُ وكُسِّرَتِ الأصنامُ، ووُصِلتِ الأرحامُ، فانتبهْتُ فَزِعًا، فقلتُ لقومي: والله لَيحْدُثَنَّ لهذا الحيِّ من قريشٍ حَدَثٌ. وأخبَرْتُهم بما رأيْتُ، فلمّا انتَهَيْنا إلىٰ بلادنا جاءني رجلٌ يقالُ له: أحمدُ، قد بُعِثَ فأتَيْتُه فأخبَرْتُه بما رأيْتُ، فقال: «**يا عمرُو بنَ مُرَّةَ، أنا النبيُّ المُرْسلُ إلى العباد كافَّةً، أدْعُوهم إلى الإسلامِ، وآمُرُهم بحَقْنِ الدِّماءِ وصِلَةِ الأرحامِ، وعبادةِ الله ورَفْضِ الأصنامِ، وحجِّ البيتِ، وصيامِ شهرِ رمضانَ من اثْنَي عَشَرَ شهْرًا، فمَن أجابَ فله الجنةُ، ومَن عصَى فله النارُ. فآمِنْ بالله يا عمرُو، يُؤمِّنْك اللهُ من هَوْلِ جهَنَّمَ**» فقلْتُ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّك رسولُ الله، آمَنْتُ بما جِئْتَ من حلالٍ وحرامٍ، وإن رَغَمَ ذلك كثيراً من الأقوامِ ثُم أنْشدتُه أبياتًا قُلْتُها حينَ سمِعْتُ به؛ وكان لنا صنمٌ، وكان أبي سادنًا له، فقُمتُ إليه فكسرتُه، ثُم لَحِقْتُ بالنبيِّ ﷺ، وأنا أقولُ:

شَهِدْتُ بأنَّ اللهَ حَقٌّ وأنَّني ... لآلهةِ الأحْجارِ أولُ تاركِ

وشمَّرْتُ عن ساقِ الإزارِ مُهاجرًا ... إليْكَ أجُوبُ القَفْرَ بَعْدَ الدَّكادِكِ

لأَصْحَبَ خيرَ الناسِ نفسًا ووالدًا ... رسولَ مليكِ الناسِ فوقَ الحَبائكِ

فقال النبي ﷺ: «**مَرحبًا يا عمرُو بنَ مُرَّةَ**» فقلتُ: يا رسولَ الله، ابْعَثْني إلىٰ قَوْمي، لعلَّ اللهَ يَمُنُّ عليهم بي، كما مَنَّ عليَّ بك، فبَعَثَني إليهم، وقال: «**عليك بالرِّفقِ والقولِ السَّديد، ولا تَكُنْ فظًّا، ولا متكَبِّرًا ولا حَسُودًا**». فذكَر أنَّه أتَىٰ قومَه، فدَعاهم إلىٰ ما دَعاه إليه رسولُ الله ﷺ، فأسلَموا كلُّهم إلاَّ رجلاً واحدًا منهم، وأنَّه وَفَدَ بهم إلىٰ رسول الله ﷺ، فرَحَّبَ بهم وحيَّاهم، وكتَب لهم كتابًا هذه نُسْخَتُه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتابٌ من الله على لسان رسول الله ﷺ، بكتاب صادق، وحقٍّ ناطق، مع عمرو بن مُرَّةَ الجُهَنيِّ لجُهَيْنَةَ بن زيد، إنَّ لكم بطونَ الأرضِ وسهولَها، وتلاعَ الأوديَةِ وظُهُورَها، تَزْرَعُونَ نَباتَه وتشرَبون صافيَه، على أن تُقِرُّوا بالخُمْسِ، وتُصَلُّوا صَلاةَ الخَمْسِ، وفي التَّبِيعةِ**

والصُّرَيْمَة إن اجْتَمَعَتا شاتان، وإن تَفَرَّقَتا شاةٌ شاةٌ، ليس على أهلِ الميرَة، صَدَقَةٌ، ولا على الواردة لبقة»(١)

وشَهِد علىٰ نَبِيِّنا ﷺ، مَن حَضَرَ من المُسْلمينَ بكتاب قَيْسِ بن شَمَّاسٍ، وذكَر شعْرًا قال عمرُو بنُ مرَّةَ في ذلك، كما هو مبسوطٌ في «المُسْنَد الكبير» وبالله الثِّقةُ، وعليه التُّكلانُ.

وقال الله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا**﴾ [الأحزاب: ٧].

قال كثيرٌ من المُفَسِّرين: لَمَّا أخذَ اللهُ ميثاقَ بني آدمَ يومَ قال: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾ [الأعراف: ١٧٢] أخَذَ من النَّبيِّين ميثاقًا خاصًّا؛ وأكَّدَ مع هؤلاء الخمسة، أُولي العزمِ أصحابِ الشرائع الكِبارِ، الذين أولُهم نوحٌ وآخرُهم محمدٌ، صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجْمَعين.

وقد روىٰ الحافظُ أبو نُعَيم في كتاب «دلائل النبوَّة» من طُرُقٍ، عن الوليد بن مسلم حدَّثنا الأوْزاعيُّ، حدَّثنا يَحْيىٰ بن أبي كَثيرٍ، عن أبي سَلَمَة، عن أبي هريرة: سُئِلَ النبيُّ ﷺ، متىٰ وَجَبَتْ لك النبوَّةُ؟ قال: «**بينَ خَلْقِ آدمَ ونَفْخِ الرُّوحِ فيه**»(٢) وهكذا رَواه الترمذيُّ من طريقِ الوليدِ بن مسلمٍ، وقال: حَسَنٌ غريبٌ من حديثِ أبي هريرةَ، لا نَعْرِفُه إلاَّ من هذا الوجه.

وقال أبو نُعَيْم: حدَّثنا سُلَيمانُ بن أحمدَ، حدَّثنا يَعقوبُ بن إسحاقَ بن الزُّبَيْرِ الحَلَبيُّ، حدَّثنا أبو جعفرٍ النُّفَيليُّ، حدثَنا عمرُو بن واقدٍ، عن عُرْوَةَ بن رُوَيْم عن الصُّنْبَاحي قال: قال عُمَرُ: يا رسولَ اللَّه متىٰ جُعلتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدمُ مُنْجَدلٌ في الطِّين**»(٣) ثم رواه من حديث نصرِ بن مُزاحمٍ.

عن قَيْسِ بن الرَّبيعِ، عن جابرٍ الجُعفيِّ، عن الشَّعْبيِّ، عن ابن عباسٍ، قال: قيل: يا رسولَ الله متىٰ كنتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدمُ بَيْنَ الروحِ والجسد**»(٤) وفي الحديث الذي أورَدْناه، في قصة آدمَ، حينَ استخرجَ اللهُ من صُلْبه ذُرِّيَّته خَصَّ الأنبياءَ بنورٍ بينَ أعيُنِهم والظاهرُ. واللهُ أعلمُ، أنَّه كان علىٰ قدْرِ منازلِهم ورُتَبِهم عندَ الله، وإذا كان الأمرُ كذلك، فنورُ محمدٍ ﷺ، كان أظهرَ وأكبرَ وأعظمَ منهم كلِّهم. وهذا تنويهٌ عظيمٌ، وتنبيهٌ ظاهرٌ علىٰ شرَفِه وعُلُوِّ قَدْرِه. وفي هذا المعنىٰ، الحديثُ الذي قال الإمامُ أحمدُ: حدَّثنا، عبدُ الرحمن بنُ مهديٍّ، حدَّثنا معاويةُ بن صالحٍ، عن سعيدِ بن سُوَيدٍ الكَلْبيِّ، عن عبد الأعْلىٰ بن هلالٍ السُّلَميِّ، عن العِرْباضِ بن ساريَةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنِّي عندَ الله لَخاتَمُ النَّبِيِّينَ وإنَّ آدمَ لمُنْجَدلٌ في طينته، وسأُنَبِّئُكم بأوَّلِ ذلك؛ دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبشارةُ عيسى بي، ورؤيا أمِّي التي رأتْ، وكذلك أمهاتُ الأنبياء يَرَيْنَ**»(٥) ورَوَاه اللَّيْثُ وابنُ وَهْبٍ وعبدُ الرحمنِ بن

---

(١) **إسناد ضعيف:** عزاه الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٤٤) إلى الطبراني، قال الذهبي في «الميزان» (٢/ ٧) داود بن دلهان الجهني عن آبائه لا يصح حديثه قاله الأزدي.

(٢) **حديث صحيح:** أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٨) والترمذي (٥/ ٥٨٥) والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٣٠) وهذا الإسناد فيه الوليد بن مسلم وهو مدلس لكن قد صرح بالسماع هنا والحديث له شواهد كثيرة تقدم الكلام عليها.

(٣) **إسناد ضعيف:** ما أبرز من إسناده فيه عمرو بن واقد وهو متروك. والحديث له طرق أخرىٰ صحيحة ولكن بألفاظ مختلفة.

(٤) **إسناد ضعيف:** تقدم الكلام عليه وفيه نصر بن مزاحم والحديث صحيح بمعناه كما سبق.

(٥) **حسن بمجموع شواهده:** كما تقدم فيما عدا قوله: «وكذلك أمهات الأنبياء يرين» فليس لها من الشواهد ما يقويها.

مهديٍّ، وعبدُ الله بنُ صالحٍ، عن معاويةَ بن صالحٍ وزاد: «**إنَّ أُمَّه رأت حينَ وضعَتْه نُوراً أضاءتْ منه قُصورُ الشام**».

وقال الإمامُ أحمدُ: حدثّنا عبدُ الرحمنِ، حدثّنا منصورُ بن سَعْدٍ، عن بُدَيْلٍ، عن عبد الله بن شَقيقٍ، عن مَيْسَرَةَ الفجرِ، قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، متى كُنْتَ نبيًّا؟ قال: «**وآدمُ بينَ الروحِ والجسد**» [(1)]. إسنادُه جَيِّدٌ أيضًا. وهكذا رواه إبراهيمُ بن طَهْمَان وحَمَّادُ بن زيدٍ وخالدٌ الحَذَّاءُ، عن بُدَيلِ بنِ مَيْسَرَةَ به. ورواه أبو نُعَيْم، عن محمدِ بن عمرَ بن أسلمَ، عن محمدِ بن بكرٍ بن عمرو الباهليِّ، عن شَيْبانَ، عن الحسَنِ بنِ دينارٍ، عن عبدِ الله بن شَقيقٍ عن مَيْسَرَةَ الفجرِ، قال: قُلْتُ: يا رسولَ الله، متى كُنْتَ نَبيًّا؟ قال: «**وآدمُ بينَ الرُّوحِ والجَسَد**».

وقال الحافظُ أبو نُعَيم: في كتابه «دلائل النبوة»: حدثّنا أبو عمرو بن حَمدانَ، حدثّنا الحسنُ بن سُفيانَ، حدثّنا هشامُ بن عمَّارٍ، حدثّنا الوليدُ بن مُسلمٍ، عن خُلَيْد بن دَعْلَجٍ، وسعيدٌ عن قتادةَ، عن الحَسَنِ، عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ**﴾ [الأحزاب: ٧]، قال: «**وكنتُ أولَ النَّبِيِّينَ في الخَلْقِ وآخرَهم في البعث**» [(2)]، ثُم رَواه من طريق هشامِ بن عَمَّارٍ، عن بَقِيَّةَ، عن سعيدِ بن بَشيرٍ، عن قتادةَ، عن الحسنِ، عن أبي هريرةَ مرفوعًا [(3)] مثْلَه.

وقد رواه من طريق سعيدِ بن أبي عَرُوبةَ وشَيْبانَ، عن قتادةَ قال: ذُكِرَ لنا أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال مثْلَه [(4)]. وهذا أثبتُ وأصحُّ. والله أعلمُ.

وهذا إخبارٌ عن التنويه بذكْرِه في الملأ الأعلى، وأنَّه معروفٌ بذلك بينَهم بأنَّه خَاتَمُ النَّبِيِّين وآدَمُ لم يُنْفَخْ فيه الرُّوحُ، لأنَّ عِلْمَ الله تعالى بذلك سابقٌ قَبْلَ خلقِ السمواتِ والأرضِ لا محالة فلمْ يَبْقَ إلاَّ هذا الذي ذكرناه من الإعلامِ به في الملأ الأعلى. والله أعلمُ.

وقد أوردَ أبو نُعَيْمٍ: من حديث عبدِ الرَّزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن هَمَّامٍ، عن أبي هريرةَ، الحديثَ المتَّفَقَ عليه: «**نحن الآخرون السابقون يومَ القيامةِ المَقْضيُّ لهم قبلَ الخلائق، بَيْدَ أنَّهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأُوتيناه من بعدهم**» [(5)] وزاد أبو نُعَيمٍ في آخرِه: فكان ﷺ، آخرَهم في البَعْثِ وبه خُتِمَت النبوَّةُ وهو السابقُ يومَ القيامة لأنه أولُ مكتوبٍ في النبوة والعهد. ثمُ قال: ففي هذا الحديث الفضيلةُ لرسول الله ﷺ؛ لِمَا أوْجَبَ اللهُ له النبوّةَ قبلَ تَمامِ خَلْقِ آدمَ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ هذا الإيجابُ هو ما أعلَمَ اللهُ ملائكتَه ما سَبَقَ في عِلْمِه وقَضائِه، من بعْثتِه له في آخرِ الزمانِ، وهذا الكلامُ يُوافِقُ ما ذكَرْناه. ولله الحمدُ.

---

(١) **صحيح**: تقدم.
(٢) **إسناد ضعيف**: لعنعنة الوليد بن مسلم وعنعنة قتادة كما أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة.
(٣) **إسناد ضعيف**: أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٣).
(٤) مرسل عن قتادة.
(٥) **الحديث في البخاري ومسلم**: في البخاري (٣٤٨٦) ومسلم (٨٥٥).

ورَوىٰ الحاكمُ في «مُستدرَكه» من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسْلَمَ، وفيه كلامٌ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن عمرَ بن الخطّاب، رَضيَ اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لما اقتَرَفَ آدمُ الخطيئةَ، قال: يا ربِّ، أسألُك، بحقِّ محمد إلاَّ غفَرْتَ لي. فقال اللهُ: يا آدمُ، كيف عرفْتَ محمدًا ولم أخلُقْه بعدُ؟ فقال: يا ربِّ؛ لأنّك لمّا خلَقْتَني بيدك ونفَخْتَ فيَّ من رُوحك، رفَعْتُ رأسي فرأيْتُ على قوائم العرش مكتوبًا: لا إله إلا اللهُ، محمدٌ رسولُ الله. فعَلمْتُ أنّك لم تُضفْ إلى اسمك إلاَّ أحبَّ الخلق إليك. فقال اللهُ: صدَقْتَ يا آدمُ، إنّه لأحَبُّ الخلق إليَّ، وإذ قد سألْتَني بحقِّه، فقد غفَرْتُ لك، ولولا محمدٌ ما خلقْتُك**»(١) . قال البيهقيُّ: تفرَّدَ به عبدُ الرحمن بن زيد بن أسْلَمَ، وهو ضعيفٌ. والله أعلمُ.

وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢]، قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ وعبدُ الله بن عبّاسٍ، رَضِي الله عنهما: ما بعَثَ اللهُ نبيًّا إلاَّ أخَذَ عليه الميثاقَ، لئنْ بُعثَ محمدٌ ﷺ، وهو حيٌّ لَيُؤْمنَنَّ به ولَيَنصُرَنَّه، وأمَرَه أن يأخُذَ الميثاقَ على أُمّته، لئن بُعثَ محمدٌ وهم أحياءٌ لَيُؤْمنُنَّ به ولَيَنصُرُنَّه(٢) .

وهذا تنويه على شَرَفه وعَظَمته في سائر الملَل وعلى ألسنة الأنبياء وإعلامٌ لهم ومنهم برسالَته في آخر الزمان، وأنّه أكرمُ المُرسَلينَ وخاتَمُ النَّبيِّينَ وقد أوْضَحَ أمرَه، وكشَفَ خَبَرَه وبيَّنَ سِرَّه، وجَلّى مجْدَه ومولدَه وبلَدَه، إبراهيمُ الخليلُ في قوله، عليه السّلام، حينَ فرَغَ من بناء البيت: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [البقرة: ١٢٩]، فكان أولُ بيانِ أمْره على الجَليَّة والوُضوح بين أهل الأرض، على لسان إبراهيمَ الخليلَ، أكرم الأنبياء على الله بعدَ محمد، صلواتُ الله وسلامُه عليهما وعلى سائر الأنبياء، ولهذا قال الإمامُ أحمدُ: حدثّنا أبو النَضْر، حدثّنا الفَرَجُ يَعْني ابنَ فَضالَة، حدثّنا لُقْمانُ بن عامرٍ، سمعْتُ أبا أُمامةَ، قال: قُلْتُ: يا نبيَّ الله، ما كان بَدْءُ أمْرك؟ قال: «**دَعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشْرَىٰ عيسى، ورأتْ أُمّي أنّه خَرَجَ منها نورٌ أضاءتْ منه قُصورُ الشام**»(٣) تفرَّد به الإمامُ أحمدُ، ولم يُخرجْه أحدٌ من أصحاب الكُتُب السِّتَّة. وروىٰ الحافظُ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب «المَوْلد»، من طريق بَقيَّةَ، عن صفوانَ ابن عَمرو، عن حُجْر بن حُجْر، عن أبي مَرْيَمَ أنَّ أعرابيًّا، قال: يا رسول الله، أيُّ شيءٍ كان أولَ أمْرِ نُبُوَّتك؟ فقال: «**أخَذَ اللهُ منّي الميثاقَ كما أخَذَ من النَّبيِّين ميثاقهم، ورأتْ أُمُّ رسول الله ﷺ في مَنامها،**

(١) **ضعيف جدًا**: أخرجه الحاكم (٢/ ٦١٥) ومن طريقه البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٤٨٨) وأخرجه الطبراني في «الصغير» (٢٠٧) من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو متفق على ضعفه وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي فقال: قلت: بل هو موضوع.

(٢) أورده المصنف في «التفسير» (٢/ ٥٦).

(٣) **إسناد ضعيف**: والحديث حسن لشواهده وتقدم.

أنَّه خرج من بين رِجْلَيْها سراجٌ أضاءتْ له قُصورُ الشام» (١) .

وقال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار: حدَّثني ثَوْر بن يزيدَ، عن خالد بن معْدانَ، عن أصحاب رسول الله ﷺ، أنَّهم قالوا: يا رسولَ الله، أخبِرْنا عن نفسك. قال: **«دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشْرَى عيسى، ورأت أُمِّي حينَ حَمَلَتْ، كأنَّه خرجَ منها نورٌ أضاءتْ له بُصْرَى من أرضِ الشام»** (٢) ، إسنادُه جيِّدٌ أيضًا، وفيه بشارةٌ لأهلِ محلَّتنا أرضِ بُصْرَىٰ، أنَّها أولُ بُقْعةٍ من أرضِ الشامِ خَلَصَ إليها نورُ النبوَّة، ولله الحمدُ والمنَّةُ، ولهذا كانتْ أولَ مدينةٍ فُتحَتْ من أرضِ الشام، وكان فتحُها صُلْحًا في خلافة أبي بكرٍ، رَضِي الله عنه، كما سيأتي بيانُه. وقد قَدِمها رسولُ الله ﷺ، مرَّتين؛ في صُحْبة عمِّه أبي طالبٍ، وهو ابنُ اثْنَتيْ عَشْرةَ سنةً، وكانتْ عندها قصةُ بَحيرَىٰ الراهب، كما بيَّنَّاه، والثانيةُ، ومعه مَيْسَرةُ مَوْلَىٰ خديجةَ في تجارةٍ لها، وبها مَبْرَكُ الناقة التي يُقالُ: إنَّ ناقةَ رسولِ ﷺ، بركَتْ عليه فأثَّر ذلك فيها فيما يُذكَرُ. ثُم نُقِل وبُنِيَ عليه مَسجدٌ مشهورٌ اليومَ. وهي المدينةُ التي أضاءتْ أعناقُ الإبلِ عندَها، من نورِ النارِ التي خرجَتْ من أرضِ الحجاز، سنةَ، أربعٍ وخَمْسينَ وستِّمائة، وَفْقَ ما أخبَرَ به رسولُ الله ﷺ، في قوله: **«تَخرُجُ نارٌ من أرضِ الحجازِ، تُضيءُ لها أعناقُ الإبلِ ببصرى»** (٣) وسيأتي الكلامُ علىٰ ذلك في مَوْضعه، إن شاء اللهُ، وبه الثِّقةُ وعليه التُّكْلانُ.

وقال الله تعالىٰ: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال الإمام أحمد: حدَّثنا إسماعيلُ، عن الجُرَيْريِّ، عن أبي صَخْرٍ العُقَيْليِّ: حدَّثني رجلٌ من الأعراب: قال: جلَبتُ جَلوبةً إلىٰ المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلمَّا فرغْتُ من بَيعي، قلْتُ: لأَلْقَيَنَّ هذ الرجلَ فَلأسمعَنَّ منه. قال: فتلَقَّاني بيْنَ أبي بكرٍ وعمرَ يَمشُون، فتَبِعتُهم حتىٰ أتَوْا علىٰ رجلٍ من اليهودِ ناشرَ التوراةَ يقرؤُها، يُعَزِّي بها نفسَه عن ابنٍ له في الموت كأحسنِ الفِتْيانِ وأجملِهم، فقالَ رسولُ الله ﷺ: **«أَنْشُدُكَ بالذي أنزلَ التوراةَ، هل تَجِدُ في كتابك ذا، صفتي ومَخْرَجي؟»** فقال برأسِه هكذا، أي: لا، فقال ابنُه: إي، والذي أنزلَ التوراةَ، إنَّا لَنَجِدُ في كتابِنا صفتَك ومَخرجَك، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّك رسولُ الله فقال: **«أقيموا اليهوديَّ عن أخيكم»** ثُم وَلِي كفْنَه والصلاةَ عليه (٤) . وهذا إسنادٌ جيِّدٌ، وله شاهدٌ في «الصحيح» عن أنسِ بن مالكٍ، رَضِيَ اللهُ عنه.

---

(١) **هذا الإسناد ضعيف:** لجهالة صفوان بن عمرو وعنعنة بقية أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٠٨) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ١٨٣) للطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في «الدلائل».

(٢) **إسناد حسن:** رجاله ثقات وصرح ابن إسحاق بالسماع.

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٠٢، ٧١١٨).

(٤) **إسناد ضعيف:** لجهالة أبي صخر العقيلي لم يرو عنه إلا سعيد الجريري أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤١١) قال الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢٣٤) رواه أحمد وأبو صخر لم أعرفه وبقية رجاله رجال «الصحيح». والحديث صحيح لشواهده كما سيأتي إن شاء الله.

وقال أبو القاسم البَغَوي: حدَّثنا عبدُ الواحدِ بن غياثٍ، أبو بحرٍ، حدَّثنا عبد العزيز بنُ مسلم، حدَّثنا عاصمُ بن كُلَيبٍ، عن أبيه، عن الفَلَتانِ بنِ عاصمٍ، وذكَرَ أنَّه، خالُه، قال كنتُ جالسًا عندَ النبيِّ ﷺ، إذ شَخَصَ بَصرُه إلى رجلٍ، فإذا يهوديٌّ عليه قميصٌ وسراويلُ ونَعْلان، قال: فجَعَلَ النبيُّ ﷺ يُكلمُه، وهو يَقولُ: يا رسول الله فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«أتشهدُ أنِّي رسولُ اللَّه؟»** قال: لا، قال رسول اللَّه ﷺ: **«أتقرأُ التوراةَ؟»** قال: نَعَم. قال: **«أتقرَأ الإنجيلَ؟»** قال: نَعَمْ. قال: والقرآنَ لو تَشاءُ قرأتُه: فقال النَّبيُّ ﷺ: **«فبمَ تَقرأُ التَّوراةَ والأنجيلَ، أتجدُني نبيًّا»**، قال: إنَّا نَجدُ نَعْتَكَ ومخْرَجَك، فلمَّا خرَجْتَ رجْونا أن تكونَ فينا، فلمَّا رأيْناك عرَفنا أنَّك لَسْتَ به، قال رسولُ الله ﷺ: **«ولمَ يا يهوديُّ؟»** قال: إنَّا نَجدُه مكتوبًا، يَدْخُلُ مِن أُمَّتِه سبعون ألفًا بغيرِ حسابٍ، ولا نَرىٰ معك إلاَّ نفرًا يسيرًا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **«إنَّ أمَّتي لأكثرُ من سبعين ألفًا وسبعين ألفًا»**[1] هذا حديثٌ غريبٌ من هذا الوجهِ، ولم يُخرجوه

وقال محمدُ بن إسحاقَ: عن سالمٍ مولىٰ عبد الله بن مُطيعٍ، عن أبي هريرةَ، قال: أتىٰ رسولُ الله ﷺ يهودَ فقالَ: **«أخرجوا أعلمكمْ»** فقالوا: عبد اللَّه بن صوريا، فخلا به رسولُ الله ﷺ، فناشَدَه بدينه، وما أنْعَمَ الله به عليهم، وأطعَمَهم مِن المَنِّ والسَّلْوَىٰ، وظلَّلَهم به مِن الغمامِ: **«أتَعْلَمُني رسولَ الله؟»** قال: اللهمَّ نَعَم، وإنَّ القومَ لَيَعرفون ما أَعْرِفُ، وإنَّ صفتَك ونَعْتَك لَمُبَيَّنٌ في التَّوْراةِ، ولكنَّهم حسَدوك.

قال: **«فما يَمنَعُكَ أنت؟»** قال: أكْرَهُ خلافَ قومي، وعسىٰ أن يَتَّبِعوك ويُسلموا فأُسْلِمَ[2].

وقال سَلَمةُ بنُ الفَضْلِ: عن محمدِ بن إسحاقَ، عن محمدِ بن أبي محمدٍ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّه كان يَقولُ: كَتَبَ رسولُ الله ﷺ، إلىٰ يهودِ خَيْبَرَ: **«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه، والمُصَدِّق بما جاء به موسى، ألا إنَّ الله قال لكم: يا مَعْشَرَ يهودَ وأهلَ التَّوْراة، وإنَّكم تجدون ذلك في كتابكم: إنَّ محمدًا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩]، وإنِّي أنْشُدُكم بالله وبالذي أُنزِلَ عليكم، وأنشُدُكم بالذي أطْعَمَ مَن كان قبلَكم من أسباطكم، المنَّ والسَّلْوَى، وأنْشُدُكم بالذي أَيْبَسَ البحرَ لآبائكم حتّى أنجاكم من فرعونَ وعمله، إلاَّ أخبَرْتُمونا: هل تَجدُون فيما أنْزَلَ اللهُ عليكم، أن تُؤمنُوا بمحمدٍ؟ فإن كنتُم لا تَجدُون ذلك في كتابكم، فلا كُرْهَ عليكم، قد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ**

---

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات وهو شاهد للحديث الذي قبله.

(٢) إسناد ضعيف: لعنعنة محمد بن إسحاق ومن طريق ابن إسحاق أخرجه ابن عساكر (٣/ ٤١٧، ٤١٨).

من الغيِّ،وأدعُوكم إلى الله وإلى نبيِّه ﷺ» (١) .

وقد ذكَرَ إسحاقُ بن بِشْرٍ في كتاب «المبتدأ» عن سعيد بن بَشِيرٍ، عن قتادةَ، عن كعب الأحبارِ، ورَوَىٰ غيرُهُ، عن وَهبِ بنِ مُنَبِّهٍ، أنَّ بُخْتَ نَصَّرَ بعدَ أن خرَّبَ بيتَ المَقْدِسِ واستذلَّ بني إسرائيلَ بسبعِ سنين، رأىٰ في المنامِ رؤيا عظيمةً هالتْه، فجمَعَ الكَهَنَةَ والحُزاةَ، وسألَهم عن رُؤْياه تلك، فقالوا: ليَقُصَّها المَلِكُ حتىٰ نُخْبِرَه بتأويلها، فقال: إنِّي أُنسيتُها، وإن لم تُخبِروني بها إلىٰ ثلاثةِ أيَّامٍ، قتلْتُكم عن آخرِكم. فذَهبوا خائفين وَجِلين من وعيدِه. فسمع بذلك دانْيالُ، عليه السَّلامُ، وهو في سِجْنه، فقال للسجَّان: اذهَبْ إليه، فقُل له: إنَّ ههنا رجلاً عندَه عِلْمُ رُؤْياك وتأويلُها. فذَهَبَ إليه فأعْلَمَه فطلَبَه، فلمّا دخَلَ عليه لم يَسْجُدْ له، فقال له: ما منَعَك من السجودِ لي؟ فقال: إنَّ اللهَ آتاني علمًا، وأمَرَني أن لا أَسجُدَ لغيرِه. فقال له بُخْتُ نَصَّرُ: إنِّي أُحبُّ الذين يُوفون لأرْبابِهِم بالعهودِ، فأَخبِرْني عن رُؤْيايَ. فقال له دانيالُ: رأيتَ صَنَمًا عظيمًا، رِجْلاه في الأرضِ ورأسُه في السَّماءِ، أعلاه من ذهبٍ ووَسَطُهُ من فضَّةٍ وأسْفَلُهُ من نُحاسٍ وساقاهُ من حَديدٍ ورجْلاهُ من فَخَّارٍ، فبَيْنَا أنت تَنظُرُ إليه قد أَعجَبَك حُسنُه وإحكامُ صَنْعَتِه، قذَفَه اللهُ بحجَرٍ من السماءِ، فوقعَ علىٰ قِمَّةِ رأسِه، حتىٰ طحنَه، واختلَط ذهبُه وفضتُّه ونُحاسُه وحديدُه وفَخَّارُه، حتىٰ تَخَيَّلَ إليك أنَّه لو اجْتَمَعَ جَميعُ الإنْسِ والجنِّ علىٰ أن يُميزوا بعضَه من بعضٍ، لم يَقْدروا علىٰ ذلك، ونظَرْتَ إلىٰ الحجَرِ الذي قُذفَ به، يَرْبُو ويَعْظُمُ ويَنْتَشِرُ، حتَّىٰ مَلأَ الأرضَ كُلَّها، فصِرْتَ لا ترَىٰ إلاَّ الحَجَرَ والسَّماءَ، فقال له بُخْتُ نَصَّرُ: صَدَقْتَ هذه الرؤيا التي رأيتُها، فما تأويلُها؟ فقال دانيالُ: أمّا الصَّنَمُ فأُمَمٌ مختلفةٌ؛ في أولِ الزمانِ وفي وسَطِه وفي آخرِه، وأمَّا الحجرُ الذي قُذفَ به الصَّنَمُ، فدينٌ يَقْذِفُ اللهُ به هذه الأمَمَ في آخرِ الزمانِ فيُظْهِرُه عليها، فيَبعَثُ اللهُ نبيًّا أميًّا من العربِ، فيُدَوِّخُ به الأمَمَ والأديانَ؛ كما رأيتَ الحجرَ دَوَّخَ أصنافَ الصنمِ، ويَظْهَرُ علىٰ الأَدْيانِ والأُممِ، كما رأيْتَ الحجرَ ظَهَرَ علىٰ الأرضِ كلِّها، فيُمَحِّصُ اللهُ به الحقَّ ويُزْهِقُ به الباطلَ، ويَهْدي أهلَ الضَّلالةِ، ويُعَلِّمُ به الأُمِّيِّين، ويُقَوِّي به الضَّعَفةَ ويُعِزُّ به الأذِلَّةَ، ويَنصُرُ به المُسْتَضْعَفين. وذكَرَ تمامَ القصةِ في إطلاقِ بُخْتُ نَصَّرَ بني إسرائيلَ علىٰ يَدَيْ دانيالَ، عليه السَّلامُ(٢) .

وذكَرَ الواقديُّ بأسانيده، عن المُغيرةِ بن شُعبةَ، في قصةِ وُفودِه علىٰ المُقَوقِسِ مَلِكِ الإسْكَنْدَريَّةِ وسؤالِه له عن صفاتِ رسولِ الله ﷺ، قريبًا من سؤالِ، هِرَقْلَ لأبي سفيانَ صَخْرِ بنِ حَرْبٍ، وذكَرَ أنَّه سأَلَ أساقفةَ النَّصارىٰ في الكنائسِ عن صفةِ رسولِ الله ﷺ، وأخبَرُوه عن ذلك، وهي قصةٌ طويلةٌ ذكَرَها الحافظُ أبو نُعَيْمٍ(٣) في «الدلائل».

(١) **إسناد ضعيف**: لعنعنة ابن إسحاق وجهالة محمد بن أبي محمد.

(٢) **إسناد ضعيف جدًا**: تفرد به أبو نعيم في «الدلائل» (٤٤) وفيه سعيد بن بشير وهو ضعيف لاتهامه بالكذب كما أن قتادة مدلس وقد عنعن والقصة شبيهة بقصص أهل الكتاب فلعلها منها وخاصة بما اشتهر به كعب الأحبار من النقل عنهم.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٤٥) بأسانيد ضعيفة فكلها من طريق الواقدي وهو متروك وفيها قصة طويلة لإسلام المغيرة.

وثَبَتَ في «الصحيح» أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ، مرَّ بِمِدْراسِ اليهودِ، فقال لهم: «يا مَعْشَرَ اليهودِ، أَسْلِموا فوالذي نفسي بيده، إنَّكم لَتَجدون صفتي في كُتُبكم»(١) الحديثَ.

وقال الإمامُ أحمدُ: حدَّثَنا موسىٰ بن داودَ، حدَّثَنا فُلَيْحُ بنُ سُلَيمانَ، عن هِلالِ بنِ عليٍّ، عن عَطاءِ بن يَسارٍ، قال: لقيتُ عَبْدَاللَّه بنَ عَمْرِو بنِ العاصِ، فقلت: أخبِرْني عن صِفةِ رسولِ الله ﷺ، في التوراةِ. فقال: أَجَلْ والله إنَّه لموصوفٌ في التوراةِ بصفتِه في القرآن: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً** ﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحِرزًا للأُمِّيِّين، وأنت عبدي ورسولي، سمَّيْتُك المتوكِّلَ، لا فَظٌّ ولا غليظٌ ولا سَخَّابٌ بالأسواقِ، ولا يَدْفَعُ بالسيِّئة السيِّئةَ ولكنِ يَعفُو ويَغْفِرُ، ولن يَقبِضَه اللهُ حتّىٰ يُقِيمُوا المِلَّةَ العَوْجاءَ بأن يقولوا لا إلـه إلا اللَّه، يَفْتَحُوا به أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقُلُوبًا غُلْفًا(٢).

ورواه البخاريُّ، عن محمدِ بن سِنانٍ العَوْفِيِّ، عن فُلَيْحٍ به(٣)، ورواه أيضًا عن عبدِ اللهِ ـ قيل: ابنُ رجاءٍ، وقيل: ابنُ صالحٍ ـ عن عبدِ العزيز بن أبي سَلَمةَ، عن هلالِ بن عَلِيٍّ به، ولفظُه قريبٌ مِن هذا وفيــه زِيادةٌ(٤). ورواه ابن جريرٍ من حديثِ فُلَيْحٍ، عن هِلالٍ، عن عطاءٍ، وزاد: قـال عطاءٌ فلَقِيتُ كعبًا فسألْتُه عن ذلك، فما أختَلَفَ حَرْفًا وقال في البُيُوع: وقال سعيدٌ، عن هلالٍ، عن عَطاءٍ، عن عبدِ الله بن سَلاَمٍ، قال الحافظُ أبو بكرٍ البَيْهقِيُّ: أخبرنا أبُو الحسينِ بنُ المفضَّلِ القطَّان، حدَّثَنا عَبْدُاللَّهِ بنُ جَعْفَرٍ حدَّثَنا يَعقوبُ بن سُفيانَ، حدَّثَنا أبو صالحٍ، حدَّثَنا اللَّيْثُ، حدَّثَني خالدُ بن يزيدَ، عن سعيدِ بن أبي هلالٍ، عن هلالِ بن أُسامَةَ، عن عَطاءِ بن يسارٍ، عن ابنِ سَلاَمٍ، أنَّه كان يقولُ: إنَّا لَنَجِدُ صفةَ رسولِ الله ﷺ؛ إنَّا أرسلْناك شاهدًا ومبشِّرًا ونذيرًا وحِرزًا للأُمِّيِّينَ، أنت عبدي ورسولي، سمَّيْتُه المُتَوكِّلَ ليس بِفَظٍّ ولا غَليظٍ ولا سَخَّابٍ في الأسواقِ، ولا يَجْزِي السيِّئةَ بمِثلها، ولكن يَعفُو ويَتَجاوَزُ، ولن أَقْبِضَه حتىٰ يُقِيمَ المِلَّةَ العوجاءَ بأن يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، يَفْتَحُ به أعْيُنًا عُمْيًا وآذانًا صُمًّا وقلوبًا غُلْفًا(٥). قال عَطاءُ بن يَسارٍ: وأخبَرَني اللَّيْثيُّ أنَّه سمعَ كَعبَ الأحبارِ يَقُولُ مِثْلَ ما قال ابنُ سلاَمٍ.

قلتُ: وهذا عن عبدِ الله بن سلاَمٍ، أشْبَهُ، ولكنَّ الرِّوايةَ، عن عبدِ الله بن عمرٍو أكثرُ، معَ أنَّه كان قد وَجَدَ يومَ اليَرْموكِ زامِلَتَيْن مِن كُتُبِ أهلِ الكتابِ، فَكان يُحَدِّثُ منهما كثيرًا، وليُعْلَمَ أنَّ كثيرًا

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٧، ٦٩٤٤، ٧٣٤٨).

(٢) **حديث صحيح:** رجاله ثقات رجال الصحيح وفليح بن سليمان متابع بغيره كما سيأتي أخرجه أحمد (٢/ ١٧٤) والطبري (١٥٢٢٦) وابن سعد (١/ ٢٧١) والبخاري (٢١٢٥) وفي «الأدب المفرد» (٢٤٦) من طرق عن فليح بن سليمان بن هلال به وأخرجه البخاري (٤٨٣٨) في صحيح ابن سعد (١/ ٢٧١) والبيهقي (١/ ٣٧٥) من طرق عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن هلال به وأخرجه البيهقي (١/ ٣٧٦) من طريق سعيد بن أبي هلال عن هلال به.

(٣) أخرجه البخاري (٥١٢٥) وأخرجه من نفس الطريق في «الأدب المفرد» (٢٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٣٨) وعبد اللَّه المذكور هو عبد اللَّه بن مسلمة رواه عن عبد العزيز الماجشون. ومن طريق عبد العزيز أخرجه ابن سعد (١/ ٢٧١) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٥).

(٥) **إسناد صحيح:** أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٦) والحديث صحيح كما تقدم والخلاف علىٰ الصحابي لا يضر وسعيد بن أبي هلال اتفقوا علىٰ توثيقه ولا يضر تضعيف ابن حزم له. ولعل الوهم من أبي صالح كاتب الليث.

من السلفِ كانوا يُطلِقُون التَّوْراةَ علىٰ كُتُبِ أهل الكتابِ، فهي عندَهم أعَمُّ مِن التي أنزلَها اللهُ علىٰ موسىٰ، وقد ثَبَتَ شاهدُ ذلكِ من الحديثِ.

وقال يونُسُ، عن محمدِ بن إسحاقَ، حدَّثني محمدُ بن ثابتِ بن شُرَحْبِيلٍ، عن أمِّ الدَّرْداء، قالتْ: قُلْتُ لكَعْبِ الأحبارِ: كيف تَجِدون صفةَ رسولِ الله ﷺ في التَّوراة، قال: نَجِدُه محمدٌ رسولُ الله، اسمُه المُتوكِّلُ، ليس بفَظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ في الأسواقِ، وأُعْطِيَ المفاتيحَ، فيُبَصِّرُ اللهُ به أعْيُنًا عُوراً، ويُسمعُ آذانًا وُقْراً، ويُقيمُ به أَلْسُنًا معْوَجَّةً، حتىٰ يَشهدوا أن لا إله الله وحْده لا شريكَ له، يُعينُ المظلومَ ويَمْنَعُه (١).

وقد رُوِيَ عن كعبٍ مِن غيرِ هذا الوجه (٢). وقد روَىٰ البيهقيُّ، عن الحاكمِ، عن أبي الوليد الفقيه، عن الحسنِ بنِ سُفْيانَ، حدَّثنا عُقْبَةُ بنُ مُكْرمٍ، حَدَّثنا أبو قَطَنٍ عمرُو بن الهيثمِ، حدَّثنا حَمْزةُ الزيَّاتُ، عن سُلَيمانَ الأعمشِ، عن عليِّ بن مُدْرِكٍ، عن أبي زُرْعَةَ، عن أبي هريرةَ: ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا** ﴾ [القصص: ٤٦] قال: نُودوا: يا أمةَ محمدٍ، استجبْتُ لكم قبلَ أن تَدعُوني، وأعطَيْتُكم قبلَ أن تَسألوني (٣)، وذكَرَ وهبُ بن مُنَبِّهٍ (٤)، أنَّ اللهَ تعالىٰ أوْحَىٰ إلىٰ داودَ في الزَّبُورِ، يا داودُ إنَّه سيَأتي مِن بعدك نبيٌّ اسمُه أحمدُ، ومحمدٌ، صادقًا، سيّدًا، لا أَغضَبُ عليه أبدًا، ولا يُغْضِبُني أبدًا، وقد غَفَرْتُ له، قبلَ أن يَعْصيَني، ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّرَ، وأمَّتُه مَرْحُومةٌ أعْطَيْتُهم مِن النوافلِ مِثلَ ما أعْطيتُ الأنبياءَ، وافْتَرضْتُ عليهم الفرائضَ التي افْتَرَضْتُ علىٰ الأنبياء والرُّسُلِ، حتىٰ يَأتُوني يومَ القيامة ونورُهم مِثلُ نورِ الأنبياء. إلىٰ أن قال: يا داود، إنِّي فضَّلْتُ محمداً وأُمَّتَه علىٰ الأُمَمِ كلِّها والعلم بأنَّه موجودٌ في كُتُبِ أهلِ الكتابِ، معلومٌ مِن الدينِ ضرورةً، وقد دلَّ علىٰ ذلك آياتٌ كثيرةٌ في الكتابِ العزيزِ، تكلَّمْنا عليها في مواضعها، ولله الحمدُ، فمن ذلك قوله: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ** ﴾ [القصص: ٥٢، ٥٣]. وقال تعالىٰ: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٤٦] وقال تعالىٰ: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا** ﴾ [الإسراء: ١٠٧، ١٠٨]، أي إن كان وَعدُ ربِّنا بوجودِ محمدٍ وإرساله، لكائنٌ لا محالةَ، فسُبحانَ القديرِ علىٰ ما يشاءُ الذي لا يُعْجزُه شيءٌ، وقال تعالىٰ إخباراً عن القسِّيسين والرُّهْبان: ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [المائدة: ٨٣]، وفي

---

(١) أخرجه من طريق ابن إسحاق البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٦) وفي إسناده محمد بن ثابت بن شرحبيل وهو مجهول.

(٢) أخرجه البيهقي (١/ ٣٧٧) بإسناد صحيح من طريق عبد الله بن عثمان قال أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا إبراهيم أبو إسحاق قال: حدثنا المسيب بن رافع قال: قال كعب: بنحو الحديث السابق.

(٣) **حسن**: أخرجه البيهقي (١/ ٣٨١) والحاكم (٢/ ٤٠٨) وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٨٠).

قصة النَّجَاشِيِّ وسَلْمانَ وعبدِ اللهِ بنِ سَلاَمٍ وغيرِهم، كما سيأتي، شواهدُ كثيرةٌ لهذا المعنىٰ، ولله الحمدُ والمنَّةُ.

وذكَرْنا في تضاعيف قَصَصِ الأنبياء، ما تقدَّمَ الإشارةُ إليه مِن وَصْفِهم لِبِعْثة رسولِ الله ﷺ، ونَعْته وبلَدِ مولده، ودارِ مُهاجَرِه، ونَعْتِ أُمَّته، في قِصَّةِ مُوسىٰ وشعيا وأَرميا ودانْيالَ وغيرِهم، وقد أخبرَ الله تعالىٰ عن آخرِ أنبياءِ بني إسرائيلَ وخاتَمهم عيسىٰ ابن مريمَ، أنَّه قام في بني إسرائيلَ خطيبًا قائلاً لهم: ﴿ **إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾ [الصف: ٦] وفي الإنجيل البشارةُ بالبَارَقْليطِ، والمرادُ به محمدٌ ﷺ.

ورَوَىٰ البَيْهَقيُّ، عن الحاكمِ، عن الأصَمِّ، عن أحمَدَ بن عبدِ الجبّارِ، عن يُونُسَ بن بُكَيْرٍ، عن يُونُسَ بن عمرٍو، عن العَيْزارِ بنِ حرْبٍ، عن عائشةَ، رَضي الله عنها، أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال: «**مكتوبٌ في الإنجيلِ: لا فَظٌّ، ولا غليظٌ، ولاسخّابٌ في الأسواقِ، ولا يَجْزِي بالسيئةِ مثلَها، بل يَعْفُو، ويَصفَحُ**»(١).

وقال يعقوبُ بن سفيانَ: حدثَنا فيْضٌ البَجَليُّ، حدَّثَنا سلاَّمُ بنُ مِسكينٍ، عن مُقاتلِ بنِ حَيَّانَ، قال: أَوحىٰ اللهُ، عَزَّ وجلَّ، إلىٰ عيسىٰ ابنِ مَرْيَمَ: جُدَّ في أمرِي، واسمَعْ وأَطِعْ يا بنَ الطاهرةِ البِكْرِ البَتُولِ، أنا خَلَقْتُك مِن غير فَحْلٍ فجعَلْتُك آيةً للعالَمينَ، فإيَّايَ فاعْبُدْ، فَبَيِّنْ لأَهلِ سُورانَ بالسُّرْيانيَّةِ، بَلِّغْ مَن بينَ يديك، أنِّي أنا الحقُّ القائمُ الذي لا أزولُ صَدِّقوا بالنبيِّ الأمِّيِّ العربيِّ صاحبِ الجمَلِ والمِدْرعَةِ والعمامةِ، وهي التَّاجُ، والنعلينِ والهِراوةِ وهي القضيبُ، الجعدُ الرَّأْسِ، الصَّلْتُ الجبينِ، المقرونُ الحاجبينِ، الأَنجَلُ العينيْن، الأهْدَبُ الأشْفارِ، الأدعَجُ العينين، الأَقْنىٰ الأنفِ، الواضحُ الخدَّين، الكَثُّ اللِّحيةِ، عَرَقُه في وجهِه كاللؤلؤِ، ريحُ المِسْكِ يَنضَحُ منه، كأنَّ عُنقَه إبريقُ فِضَّةٍ، وكأنَّ الذَّهبَ يَجْرِي في تراقيه، له شَعَراتٌ مِن لَبَّتِه إلىٰ سُرَّته، تَجْرِي كالقضيبِ، ليس في بَطْنِه شَعْرٌ غيرُه، شَثْنُ الكَفِّ والقَدَم، إذا جاء مع الناس غَمَرَهم، وإذا مشَىٰ كأنَّما يَتَقلَّعُ مِن الصَّخْر ويَتَحَدَّرُ مِن صَبَبٍ، ذو النَّسْلِ القليل(٢)، وكأنَّه أرادَ الذكورَ مِن صُلْبه. هكذا رواه البَيْهَقِيُّ في «دلائل النبوة» مِن طريقِ يَعقوبَ بن سُفيانَ، وروىٰ البَيْهَقيُّ، عن عُمرَ بنِ الحكمِ بن رافعِ بن سِنانٍ، حدَّثَني بعضُ عُمُومتي وآبائي، أنَّهم كانت عندَهم ورَقةٌ يَتوارَثُونها في الجاهليَّةِ حتىٰ جاءَ الله بالإسلامِ، وهي عندَهم، فلمَّا قَدمَ رَسولُ الله ﷺ، المدينةَ، ذكَرُوها له، وأتَوْه بها، مكتوبٌ فيها: بسم اللهِ وقولُه الحقُّ وقولُ الظالمينَ في تَبابٍ، هذا الذِّكْرُ لأُمَّةٍ تأْتي في آخرِ الزمانِ، يُسبِّلون أَطرافَهم، ويأْتَزِرون علىٰ أوساطِهم، ويَخُوضون البحورَ إلىٰ أعدائِهم، فيهم صلاةٌ لو كانتْ في قومِ نوحٍ ما أهْلكوا بالطُّوفانِ،

---

(١) **إسناد صحيح**: أخرجه البيهقي (١/ ٣٧٧) والحاكم (٢/ ٦١٤) من طريق أحمد بن عبد الجبار. وهو ضعيف ولكن سماعه «للسيرة» صحيح انظر «التهذيب» (١/ ٤٥). وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

(٢) **إسناد ضعيف**: أخرجه البيهقي (١/ ٣٧٨، ٣٧٩). وفيض هو ابن الفضل البجلي «مجهول».

وفي عادٍ ما أهْلكوا بالرِّيح، وفي ثمودَ ما أُهلكوا بالصَّيْحة بسم اللَّه وقولُه الحقُّ، وقول الظالمينَ في تَبابٍ ثم ذَكَرَ قصَّةً أخرىٰ، قال: فعَجَبَ رسولُ الله ﷺ، لَمَّا قرَأْتُ عليه [1]، لمَا فيها.

وذكَرْنا عندَ قوله تعالىٰ في سورة «الأعراف»: ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧] [2]، قصةَ هشام بن العاصِ الأمويِّ، حينَ بعثَه الصِّدِّيقُ في سَرِيَّةٍ إلىٰ هرَقْلَ يَدعْوه إلىٰ الله، عزَّ وجلَّ.

فذكَرَ أنَّه أخْرَجَ لهم صُوَرَ الأنبياءِ في رَبْعةٍ، من آدمَ إلىٰ محمدٍ- صلواتُ الله عليه وسلامُه عليهم أجمعين-، علىٰ النَّعْتِ والشَّكْلِ الذي كانوا عليه، ثُم ذَكَرَ أنَّه لَمَّا أخرجَ صورةَ رسولِ الله ﷺ، قام قائمًا إكرامًا له، ثُم جلَسَ وجعَلَ ينظُرُ إليها ويتأمَّلُها، قال: فقُلنا له: من أين لك هذه الصورُ؟ فقال: إنَّ آدمَ سأَلَ ربَّه أن يُريه الأنبياءَ من وَلَده، فأنْزَلَ عليه صُوَرَهم، فكان في خزانة آدمَ عليه السلامُ، عندَ مَغرِبِ الشمسِ، فاستَخْرَجَها، ذو القَرْنَيْنِ، فدفَعَها إلىٰ دانيالَ. ثُم قال: أمَا والله، إنَّ نَفْسي طابتْ بالخروجِ من مُلْكي، وإنِّي كنتُ عبدًا لأشَرِّكم مَلَكةً حتىٰ أموتَ، ثم أجازَنا فأحسنَ جائزتَنا، وسرَّحَنا فلمَّا أتَيْنا أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ، فحدَّثْناه بما رأَيْنا وما أَجازنا وما قال لنا، قال: فبكَىٰ أبو بكرٍ، وقال: مِسكينٌ، لو أرادَ اللهُ به خيرًا لَفَعَل، ثم قال: أخبَرَنا رسولُ الله ﷺ، أنَّهم واليهودَ يَجدون نَعْتَ محمدٍ عندَهم، رواه الحاكمُ بطوله، ورواه البَيْهَقيُّ في «دلائل النبوة».

وقال الأمويُّ: حدَّثَنا عبدُ الله، عن زيادٍ، عن ابن إسحاقَ: قال: وحدَّثني يَعْقُوبُ بنُ عَبْدِاللَّه ابن جعفرِ بن عمرِو بن أمَيَّةَ، عن أبيه، عنْ جَدِّه عمرِو بن أُميةَ، قال: قدِمْتُ برقيقٍ من عند النَّجاشيِّ أعْطانيهم، فقالوا لي: يا عمرُو، لو رأَيْنَا رسولَ الله لَعَرَفْناه من غيرِ أن تُخْبِرَنَا، فمرَّ أبو بكرٍ، فقُلْتُ: أهو هذا؟ قالوا: لا فمرَّ عُمَرُ، فقلتُ: أهو هذا؟ قالوا: لا. فدَخَلْنا الدارَ فمرَّ رسولُ الله ﷺ، فنادَوْني: يا عمرُو، هذا رسولُ الله. فنظَرْتُ فإذا هو، من غير أن يخبرَهم به أحدٌ، عرَفوه بما كانوا يَجِدونه مكتوبًا عندَهم [3] وقد تقدَّم إنذارُ سَبأ لقومه وبشارتُه لهم بوجودِ رسولِ الله ﷺ، في شِعْرٍ أسْلَفْناه في تَرْجَمته، فأغْنَىٰ عن إعادته، وتقدَّم قَوْلُ الحَبْرَيْنِ من اليهودِ لتُبَّعٍ اليمانيِّ، حينَ حاصَرَ أهلَ المدينةِ، إنّها مُهاجَرُ نبيٍّ يكونُ في آخرِ الزمانِ، فرَجَع عنها ونظَمَ شِعْرًا يتضمَّنُ السَّلامَ علىٰ النبيِّ ﷺ.

(١) **إسناد معلٌّ بالإرسال:** أخرجه البيهقي (١/ ٣٨٢) وقال أبو حاتم الرازي في «العلل» (٢/ ٤٠١) «بين عمر بن الحكم وبين النبي ﷺ رجل وهو مرسل وهو حديث منكر».

(٢) أخرج هذه القصة البيهقي في «الدلائل» (١/ ٣٧٦-٣٩٠) قال البيهقي: وفي كتابي عن شيخنا أبي عبد اللَّه الحافظ وهو فيما أنبأني به إجازة: أن أبا محمد عبد اللَّه بن إسحاق البغوي أخبرهم. قال حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدي قال: حدثنا عبدالعزيز بن مسلم بن إدريس قال: حدثنا عبد اللَّه بن إدريس عن شرحبيل بن مسلم عن أبي أمامة الباهلي عن هشام بن العاص الأموي قال: ثم ذكر القصة. وهذا الإسناد ضعيف فيه عبد العزيز بن مسلم وهو مجهول وشرحبيل بن مسلم لا يحتمل تفرده.

(٣) **في إسناد من لم أقف عليه:** وهو يعقوب بن عبد اللَّه بن جعفر وكذلك أبوه عبد اللَّه بن جعفر وبقية رجاله ثقات.

قصة سيف بن ذي يزن الحميري، وبشارته بالنبي الأمي

وقال الحافظُ أبو بكر محمدُ بن جعفر بن سهل الخرائطيُّ، في كتابه «هواتف الجانّ» حدثّنا عليُّ ابن حَرْبٍ، حدثّنا أحمدُ بن عثمانَ بن حكيمٍ، حدثّنا عمرُو بن بكرٍ - هو ابنُ بكّارٍ القَعْنَبِيُّ -، عن أحمدَ ابنِ القاسمِ عن محمدِ بنِ السّائبِ الكلبيِّ، عن أبي صالحٍ، عن عبدِ الله بن عبّاسٍ، قال: لمّا ظهَرَ سيفُ بنُ ذي يَزَنَ - قال ابنُ المُنذرِ: - واسمُه النُّعمانُ بن قَيْسٍ - على الحبَشةِ، وذلك بعدَ مولدِ رسولِ الله ﷺ، بسنَتَيْنِ، أتَتْه وفودُ العربِ وشُعَراؤُها، تُهَنِّئُه، وتَمْدَحُه، وتَذْكُرُ ما كان من حُسْنِ بلائه، وأتَاه فيمَن أتاه وَفْدُ قُرَيشٍ؛ فيهم عبدُ المُطّلبِ بن هاشمٍ، وأمَيّةُ بن عبدِ شمسٍ وعبدُ الله بن جُدْعَانَ، وخُوَيْلِدُ بن أسَدٍ، في أُناسٍ من وُجوهِ قريشٍ، فقَدِموا عليه صَنْعاءَ، فإذا هو في رأسِ غُمْدَانَ، الذي ذكَرَه أُمَيّةُ بن أبي الصَّلْتِ:

واشـربْ هَنِيئًا عليكَ التَّاجُ مُـرْتَفِعًا ... في رأسِ غُمْدانَ دارًا منك مِحْلالا

فدَخَل عليه الآذنُ، فأخبرَه بمكانهم فأذِنَ لهم، فدنَا عبدُ المُطّلبِ، فاستأْذَنَه في الكَلامِ، فقال له: إنْ كنتَ ممَّن يتَكلَّمُ بينَ يَدَيِ الملوكِ، فقد أذِنّا لك.

فقال له عبدُ المُطّلبِ: إنَّ اللهَ قد أحَلَّكَ، أيُّها الملكُ مَحَلًّا رفيعًا، صَعْبًا منيعًا، شامخًا باذخًا، وأنْبَتَكَ مَنبِتًا طابَتْ أرُومَتُه، وعزَّتْ جُرْثُومَتُه، وثَبَتَ أصلُه، وبَسَقَ فرعُه، في أكرمِ موطنٍ، وأطيبِ مَعْدنٍ، فأنت - أبَيْتَ اللَّعْنَ - مَلِكُ العربِ وربيعُها الذي تَخْصَبُ به البلادُ، ورأسُ العربِ الذي له تَنقادُ، وعمودُها الذي عليه العِمادُ، ومَعقِلُها الذي يَلْجأُ إليه العِبادُ، سَلَفُك خيرُ سَلَفٍ، وأنت لنا منهم خيرُ خَلَفٍ، فلن يَخْمُدَ مَن هم سَلَفُه، ولن يَهلِكَ مَن أنت خَلَفُه، ونحن أيُّها الملكُ أهلُ حَرَمِ الله وسَدَنَةُ بيْتِه، أشْخَصَنا إليك الذي أبْهَجَنا من كَشْفِك، الكَرْبَ الذي قد فَدَحَنا، وفدُ التهنئةِ لا وفدُ المَرْزِئَةِ. قال: وأيُّهم أنت أيُّها المتكلِّمُ؟ قال أنا عبدُ المطّلبِ بن هاشمٍ. قال: ابنُ أُخْتِنا؟ قال: نعم، قال: ادْنُ. فأدْناه، ثُم أقبَلَ عليه وعلى القومِ، فقال: مَرْحبًا وأهلًا، وناقةً ورَحْلًا، ومُستناخًا سَهْلًا، ومَلِكًا رِبَحْلًا، يُعْطي عطاءً جَزْلًا، قد سَمِعَ الملكُ مقالتَكم، وعرَفَ قرابتَكم، وقبِلَ وسيلتَكم، فأنتم أهلُ الليلِ والنهارِ، ولكم الكرامةُ ما أقَمتُم، والحِباءُ إذا ظَعَنْتُم. ثُم أُنْهِضُوا إلى دارِ الكَرامةِ والوفودِ، فأقاموا شهرًا لا يَصِلون إليه، ولا يَأْذَنُ لهم بالانصرافِ، ثُم انْتَبَهَ لهم انْتِباهةً، فأرسل إلى عبدِالمُطّلبِ، فأدنَى مَجْلِسَه وأخْلاه، ثُم قال: يا عبدَ المُطّلبِ، إنِّي مُفْضٍ إليك من سِرِّ عِلْمي، ما أنْ لو يكونُ غيرُك لم أبُحْ به، ولكنِّي رأيْتُك مَعْدِنَه، فأطْلَعْتُك طَلِيعه، فلْيَكُنْ عندك مَطْويًّا حتى يَأْذَنَ اللهُ فيه، فإنَّ اللهَ بالغُ أمْرِه، إنِّي أجِدُ في الكتابِ المكنونِ، والعِلمِ المخزونِ، الذي اخْتَرْناه لأنفُسِنا، واحْتَجَبْناه دونَ غيرِنا، خيرًا عظيمًا، وخطرًا جَسيمًا، فيه شرَفُ الحَياةِ، وفضيلةُ الوَفاةِ، للناسِ عامّةً، ولرَهْطِك كافّةً، ولك خاصّةً، فقال عبدُ المُطّلبِ: أيُّها الملكُ، مِثْلُك سَرَّ وبَرَّ، فما هو؟

فذاك أهلُ الوبَرْ، زُمَرًا بعدَ زُمَرْ قال: إذا وُلِد مولودٌ بتِهامة، غُلامٌ به علامة، بينَ كَتِفَيْه شامَةٌ، كانتْ له الإمامةُ، ولكم به الزعامةُ، إلى يوم القيامة، قال عبدُ المطّلب: أَبَيْتَ اللَّعْنَ، لقدْ أُبْتُ بخيرٍ ما آبَ به وافدٌ، ولولا هَيْبَةُ المَلك وإجلاله وإعظامه، لَسَأَلْتُه من سارِّه إيَّاي ما أَزْدَادُ به سرورًا، قال ابنُ ذي يَزَنَ: هذا حينُه الذي يُولَدُ فيه، أو قد وُلِدَ، واسمه محمدٌ، يَموتُ أبوه وأمُّه، ويَكْفُلُه جَدُّه وعَمُّه، ولَدْناه مرارًا، واللهُ باعثُه جِهارًا، وجاعلٌ له منّا أنصارًا، يُعِزُّ بهم أولياءَه، ويُذِلُّ بهم أعداءَه، ويَضْرِبُ بهم الناسَ عن عُرْضٍ، ويَسْتَبِيحُ، بهم كرائمَ الأرض، يَكْسِرُ الأوثانَ، ويُخْمِدُ النيرانَ، ويَعْبُدُ الرحمنَ، ويَدْحَرُ الشيطانَ، قولُه فَصْلٌ، وحُكمُه عَدْلٌ، يأمُرُ بالمعروف ويَفْعَلُه، ويَنهَى عن المنكَرِ ويُبْطِلُه، فقال عبدُ المُطَّلب: أيُّها الملكُ، عزَّ جَدُّك وعَلاَ كَعْبُك، ودام مُلْكُك، وطالَ عُمْرُك، فهذا نِجَاري، فهل المَلكُ سارِّني بإفصاحٍ، فقد وَضَّحَ لي بعضَ الإيضاحِ، فقال ابنُ ذي يَزَنَ، والبيتِ ذي الحُجُبِ، والعلاماتِ على النُّقُبِ، إنَّك يا عبدَ المُطَّلب، لَجَدُّه غيرَ كَذِبٍ. فَخرَّ عبدُ المُطَّلب ساجدًا، فقال: ارْفَعْ رأسَك، ثَلَجَ صَدْرُك، وعَلاَ أمرُك، فهل أحْسَسْتَ شيئًا مما ذكَرْتُ لك؟ فقال: أيُّها الملكُ، كان لي ابنٌ، وكنتُ به مُعْجَبًا وعليه رفيقًا، فزوَّجْتُه كريمةً من كرائم قومه؛ آمنةَ بنتَ وهبٍ، فجاءتْ بغلام، سَمَّيْتُه محمدًا، فماتَ أبوه وأمُّه، وكفَلْتُه أنا وعمُّه، قال ابن ذي يَزَنَ: إنَّ الذي قلتُ لك كما قلتَ؛ فاحتفظْ بابنِك، واحْذَرْ عليه اليهودَ، فإنَّهم له أعداءٌ، ولن يَجْعَلَ اللهُ لهم عليه سبيلاً، واطوِ ما ذكرتُ لكَ دُونَ هؤلاء الرَّهطِ الذين معكَ فإنِّي لستُ آمنُ أَنْ تَدْخُلَهُمْ النَّفاسَةُ، مِن أن تكونَ لكم الرياسةُ، فيطْلُبُون له الغوائل، ويَنْصِبون له الحَبائلَ، فهم فاعلُون أو أبناؤُهم، ولولا أنِّي أعْلَمُ أنَّ الموتَ مُجْتاحِي قبلَ مَبْعَثِه، لسرْتُ بخَيْلي ورَجِلي، حتَّى أصَيِّرَ يثربَ دارَ مُلْكي، فإنِّي أَجِدُ في الكتابِ الناطقِ، والعلمِ السابقِ، أنَّ يثربَ استحكامُ أمْرِه، وأهلُ نُصْرته، وموضعُ قبرِه، ولولا أنِّي أَقِيه الآفاتِ، وأحْذَرُ عليه العاهاتِ، لأَعْلَنْتُ ـ على حَدَاثة سنِّه ـ أمْرَه، ولأَوْطَأْتُ على أَسْنانِ العربِ عَقِبَه، ولكنِّي صادفٌ ذلك إليك، عن غيرِ تقصيرٍ بِمَن معك. قال: ثُم أمَرَ لكلِّ رجلٍ منهم بعَشَرَةِ أعْبُدٍ وعَشْرِ إماءٍ، وبمائةٍ من الإبلِ، وحُلَّتَيْنِ من البُرُودِ، وبخمسةِ أرطالٍ من الذَّهب، وعَشَرَةِ أرطالِ فضةٍ، وكَرِشٍ مملوءٍ عنبرًا، وأمَرَ لعبد المطلب بعَشَرَةِ أضعافِ ذلك، وقال له: إذا حالَ الحَوْلُ فأْتني. فماتَ ابنُ ذي يَزَنَ قبلَ أنْ يَحُولَ الحَوْلُ، فكان عبدُ المُطَّلب كثيرًا ما يَقولُ: لا يَغْبِطْني رجلٌ منكم بجزيلِ عطاءِ المَلك، فإنَّه إلى نَفادٍ، ولكن ليَغْبِطْني بما يَبْقَى لي، ولعَقِبي من بعدي، ذِكْرُه وفَخْرُه وشَرَفُه، فإذا قيل له: متى ذلك؟ قال: سيُعْلَمُ ولو بعدَ حينٍ. قال: وفي ذلك يقولُ أُمَيَّةُ بنُ عبدِ شمسٍ:

جَلَبْنا النُّصْحَ تَحْقُبُه المطايا ... على أكْوارِ أجْمالٍ ونُوقِ
مُغَلْغَلَةٌ مَراتعُها تُعالي ... إلى صَنْعاءَ من فَجٍّ عَمِيقِ
تَؤُمُّ بنا ابن ذي يَزَن ويُفْري ... بذاتِ بُطونِها ذَمُّ الطريقِ

وتَرْعَى مِن مَخَائِلِه بُروقًا ... مُواصِلَةَ الوَمِيضِ إلى بُروقِ
فلمّا واقَعَتْ صَنْعَاءَ حلَّتْ ... بدارِ المُلكِ والحَسَبِ العتيقِ[١]

وهكذا رَواه الحافظُ أبو نُعَيمٍ في «الدلائلِ»، مِن طريقِ عمرِو بن بَكْرِ بن بَكّارٍ القَعْنَبِيِّ به ثم قال **أبو نُعَيْمٍ: أُخْبِرْتُ عن أبي الحَسَنِ** عليِّ بن إبراهيمِ بنِ عبدِ اللهِ بن محمدِ بن عبدِ العزيزِ بن عُفَيرِ بن **عبدِ العزيزِ بن الصَّقْرِ بن عُفَيْرِ** بن زُرْعةَ بن سيفِ بن ذي يَزَنَ، حدَّثني أبي أبو يَزَنَ إبراهيمُ، حدَّثنا عمِّي أحمدُ بن **محمدٍ أبو رَجَاءٍ**، حدَّثنا عَمِّي محمدُ بن عبدِ العزيزِ، حدَّثني عبدُ العزيزِ بن عُفَيرٍ، عن أبيه، عن زُرْعةَ بن سَيْف بن ذي يَزَنَ الحمْيَرِيِّ قال: لمّا ظَهَرَ جَدِّي سَيْفُ بنُ ذي يَزَنَ على الحَبَشَةِ. وذكَرَه بطولِه[٢] .

وقال أبو بكر الخَرَائطيُّ: حدَّثنا أبو يُوسُفَ يَعقُوبُ بن إسحاقَ القُلُوسيُّ، حدَّثنا العَلاءُ بن الفَضْلِ ابن أبي سُوَيَّةَ، أَخبرَنِي أبي، عن أبيه عبدِ الملكِ بن أبي سُوَيَّةَ، عن جَدِّه أبي سُوَيَّةَ، عن أبيه خليفةَ قال: سأَلْتُ محمدَ بنَ عثمانَ بن ربيعةَ بن سواةَ بن خَثْعَمِ بن سعدٍ فقلتُ: كيف سَمّاك أبوك محمدًا؟ فقال: سأَلْتُ أبي عمّا سأَلْتني عنه، فقال: خرَجْتُ رابعَ أربعةٍ مِن بني تَميمٍ أنَا منهم، وسُفيانُ بن مُجاشع بنِ دارِمٍ، وأسامةُ بن مالكِ بن جُندُبِ بن العقيدِ، ويزيدُ بن ربيعةَ بن كنانةَ بن حَرْبوصِ بن مازنٍ، ونحن نريدُ ابن جَفْنَةَ مَلكَ غَسّانَ، فلمّا شارَفْنا الشامَ نزَلْنا علىٰ غَديرٍ عليهْ شجراتٌ، فتحدَّثْنا فسَمِعَ كلامَنا راهبٌ، فأَشْرَفَ علينا، فقال: إنَّ هذه لغةٌ ما هي بلُغَةِ هذه البلادِ. قلنا: نَعَمْ، نحن قومٌ مِن مُضَرَ، قال: من أيِّ المُضَرِيِّين؟ قلنا: مِن خنْدفٍ. قال: أمَا إنَّه سيُبْعَثُ وشيكًا نبيٌّ خاتَمُ النَّبيِّين، فسارِعوا إليه، وخذُوا بحظِّكم منه تَرْشُدُوا. فقُلْنَا له: ما اسمُه؟ قال: محمدٌ. قال: فرَجَعْنا مِن عند ابن جَفْنَةَ، فوُلِدَ لكلِّ واحدٍ منا ابنٌ، فسمَّاه محمدًا، يَعْنِي، أنَّ كلَّ واحدٍ منهم، طَمِعَ في أنْ يكونَ هذا النبيُّ المبشَّرُ به ولدَه[٣] .

وقال الحافظُ أبو بكر الخَرائطيُّ: حدَّثنا عبدُ الله بن أبي سَعدٍ، حدَّثنا حازمُ بن عِقَال بن الزهرِ بنِ حَبِيبِ بن المنذرِ بن أبي الحُصَيْنِ بنَ السَّمَوْءَلِ بن عادِيَاءَ، حدَّثني جابرُ بن حيرانَ، بن جميعِ بن عثمانَ بن سِمَاكَ بن الحُصَيْنِ بن السَّمَوْءَلِ بن عادِيَاءَ، قال: لمّا حَضَرتِ الأوسَ بن حارثةَ بن ثَعْلَبَةَ بن عمرِو بن عامرٍ الوفاةُ، اجتَمَعَ إليه قومُه مِن غَسَّانَ فقالوا: إنَّه قد حضَرَ مِن أمرِ الله ما تَرىٰ، وقد كنَّا نَأْمُرُك بالتَّزْويجِ في شبابِك فَتأْبَىٰ، وهذا أخوك الخَزْرَجُ له خَمسةُ بنِينَ، وليس لك ولدٌ غيرُ مالكٍ، فقال: لن يَهْلِكَ هالكٌ، ترَك مِثلَ مالكٍ، إنَّ الذي يُخْرِجُ النارُ مِن الوثيمةِ، قادرٌ أن يَجْعَلَ لمالكٍ نَسْلاً، ورِجالاً

---

(١) **إسناد ضعيف جدًا**: أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٥) من طريق الخرائطي به وأبو نعيم في «الدلائل» (٥٠) من طريق أحمد بن يحيى بن خالد عن عمرو بن بكير به. وفيه محمد بن السائب الكلبي قال الحافظ في «التقريب»: متهم بالكذب ورمي بالرفض.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٩) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣/ ٤٤٥) وإسناده مسلسل بالمجاهيل.

(٣) لم أقف على رجاله.

بُسْلاً، وكلٌّ إلى الموت. ثُم أقْبَلَ على مالكٍ وقال: أيْ بُنَيَّ، المنيَّةُ ولا الدَّنِيَّةُ، العِقابُ ولا العِتاب، التجلُّدُ ولا التَّلَدُّدُ، القبرُ خيرٌ من الفقرِ، إنَّه مَن قلَّ ذلَّ، ومَن كَرَّ فَرَّ، ومِن كَرَمِ الكريمِ الدَّفْعُ عن الحريمِ، والدهْرُ يومان، فيومٌ لك، ويومٌ عليك، فإذا كان لك فلا تَبْطَر، وإذا كان عليك فاصْطَبِرْ، وكلاهما سيَنْحَسِرُ، ليس يُفْلِتُ منهما الملِكُ المُتَوَّجُ، ولا اللئيمُ المُعَلْهَجُ، سَلِّمْ ليومك حِيَالَ ربِّك. ثُم أنْشَأَ يقولُ:

شَهِدْتُ السبايا يومَ آلِ مُحَرِّقٍ ... وأدْرَكَ عُمْرِي صيحةَ الله في الحِجْرِ

فلم أرَ ذا مُلْك من الناسِ واحداً ... ولا سُوقةً إلاَّ إلى الموت والقَبْرِ

فعَلَّ الذي أرْدَى ثَمودًا وجُرْهُمًا ... سَيُعْقِبُ لي نَسْلاً على آخرِ الدهر

تَقَرُّ بهم من آلِ عمرو بن عامرٍ ... عُيُونٌ لَدَى الداعي إلى طَلَبِ الوِتْرِ

فإن لم تَكُ الأيامُ أبْلَيْنَ جِدَّتي ... وشَيَّبْنَ رأسي والمَشيبُ مع العُمْرِ

فإنَّ لنا ربًّا عَلا فوقَ عَرْشِهِ ... عَليمًا بما يأتي من الخيرِ والشرِّ

ألم يأتِ قَوْمي أنَّ لله دعوةً ... يَفُوزُ بها أهلُ السعادةِ والبِرِّ

إذا بُعِثَ المبعوثُ من آل غالبٍ ... بمكَّةَ فيما بينَ مكَّةَ والحِجْرِ

هنالك فابْغُوا نَصْرَهُ ببلادِكُمْ ... بَني عامرٍ إنَّ السعادةَ في النَّصْرِ

قال: ثُم قَضَى من ساعته.

باب في هَوَاتِفِ الجانّ وهو ما ألقته الجانُّ على ألسنةِ الكُهان، ومسموعًا من الأوثان

قال البخاري: حدَّثنا يحيى بن سليمانَ الجُعْفيُّ، حدَّثني ابن وَهبٍ، حدَّثني عُمَرُ ـ وهو ابن محمد ابن زيدٍ ـ أنَّ سالمًا حدَّثَه، عن عبدِ الله بن عُمَرَ قال: ما سمعتُ عُمَرَ يقولُ لشيءٍ قطُّ: إني لأظُنُّه، إلاَّ كان كما يَظُنُّ، بينما عمرُ بن الخطَّابِ جالسٌ، إذْ مَرَّ به رجلٌ جميلٌ، فقال: لقد أخْطَأَ ظنِّي، أو إنَّ هذا على دِينِه في الجاهليَّة، أو لقد كان كاهنَهم، عليَّ الرجلَ فدُعِيَ به، فقال له ذلك: فقال: ما رأيتُ كاليوم اسْتُقْبِلَ به رجلاً مسلمًا. قال: فإنِّي أعْزِمُ عليك إلاَّ ما أخبرْتَني. قال: كنتُ كاهنَهم في الجاهليةِ. قال: فما أعْجَبُ ما جاءَتْك به جِنِّيَّتُك؟ قال: بينَما أنا يومًا في السوقِ، جاءَتْني أعْرِفُ فيها الفَزَعَ، فقالتْ:

ألم تَرَ الجِنَّ وإبلاسَها ... ويَأْسَها من بعدِ إنكاسِها

ولُحوقَها بالقِلاصِ وأحْلاسِها

قال عمر: صدَقَ، بينَما أنا نائمٌ عندَ آلهتِهم، إذ جاءَ رجلٌ بعِجْلٍ فذبَحَه فصرَخ به صارخٌ، لم أسْمَعْ صارخًا قطُّ أشدَّ صَوْتًا منه، يقول: يا جَلِيح أمْرٌ نَجيح، رَجُلٌ فَصِيح: يقولُ: لا إله إلا اللهُ، فوثَبَ القومُ، فقلْتُ: لا أبْرَحُ حتى أعْلَمَ ما وراءَ هذا. ثُم نادَى: يا جَلِيح، أمْرٌ نَجِيح، رجلٌ فصيح،

يقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ. فقُمْتُ. فما نَشِبْنا أن قيلَ: هذا نبيٌّ. تَفرَّد به البخاري[1]

وهذا الرجلَ هو سَوادُ بن قاربِ الأزديُّ، ويُقالُ: السَّدُوسيُّ. من أهلِ السَّراةِ، من جبالِ البَلْقَاء، **له صُحْبةٌ ووِفادةٌ، قال أبو حاتمٍ** وابن مَنْدَه: روىٰ عنه سعيدُ بن جُبَيْر، وأبو جَعْفَر محمدُ بن عليٍّ. **وقال البخاري**[2]: **له صُحْبةٌ**. وهكذا ذكَرَه في أسماءِ الصَّحابة أحمدُ بن رَوْحٍ البَرْذَعيُّ الحافظُ، **والدارقُطنيُّ**[3] **وغيرُهما**. وقال الحافظُ عبدُ الغَنيِّ بن سعيدٍ المصريُّ: سَوَادُ بن قاربٍ بالتخفيف. وقال عثمانُ الوقَّاصيُّ، عن محمد بن كَعْبٍ القُرَظيِّ: كان من أشرافِ أهلِ اليمنِ. ذكَرَه أبو نُعَيْمٍ[4] في «الدلائل» وقد رُوِيَ حديثُه من وجوهٍ أُخَرَ، مُطَوَّلةً بأَبسَطَ من روايةِ البخاريِّ.

وقال محمدُ بن إسحاقَ: حدثَّني مَن لا أَتَّهِمُ، عن عبدِ الله بن كَعْبٍ مولىٰ عثمانَ بن عفَّانَ، أنَّه حدَّثَ أنَّ عمرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ الله عنه، بينما هو جالسٌ في الناسِ، في مسجدِ رسولِ الله ﷺ، إذ أقبلَ رجلٌ من العربِ داخلَ المسجدِ يريدُ عُمَرَ بن الخطابِ، فلمَّا نظرَ إليه عمرُ، قال: إنَّ الرجلَ لَعَلىٰ شِرْكِه ما فارَقَه بعدُ. أو لقد كان كاهنًا في الجاهلية. فسلَّم عليه الرجلُ ثُم جلَسَ، فقال له عمرُ: هل أَسلَمْتَ؟ قال: نعم، يا أميرَ المؤمنين. قال: فهل كنتَ كاهنًا في الجاهلية؟ فقال الرجلُ: سبحانَ الله، يا أميرَ المؤمنين، لقد خلْتَ فيَّ، واستقبلْتَني بأمْرٍ ما أراك قلتَه لأحدٍ من رَعِيَّتك منذُ وُلِّيتَ مَا وُلِّيتَ، فقال عمرُ: اللهمَّ غَفْرًا، قد كنَّا في الجاهلية علىٰ شرٍّ من هذا، نَعبُدُ الأصنامَ، ونَعتنقُ الأوثانَ، حتىٰ أكرَمَنا اللهُ برسولِه وبالإسلامِ. قال: نَعَم والله يا أميرَ المؤمنين، لقد كنتُ كاهنًا في الجاهليةِ. قال: فأخْبِرْني ما جاء به صاحبُك. قال: جاءني قبلَ الإسلامِ بشهرٍ أو شَيْعِه، فقال:

ألَـم تَـرَ إلى الجنِّ وإبلاسِهـا ... وإياسِهـا مِـن دينِهـا
ولُحوقِهـا بالقِلاصِ وأَحْلاسِهـا

قال ابن إسحاقَ: هذا الكلامُ سَجْعٌ، وليس بشِعْرٍ. قال عبدُالله بن كعبٍ:

فقال عمرُ عندَ ذلك يُحدِّثُ الناسَ: والله، إنِّي لَعِندَ وَثَنٍ من أوثانِ الجاهليةِ، في نَفَرٍ من قُرَيْشٍ قد ذبَحَ له رجلٌ من العربِ عِجْلًا، فنحن نَنتظرُ قَسْمَه أن يَقْسِمَ لنا منه، إذ سَمِعْتُ من جَوْفِ العِجْلِ صَوْتًا، ما سمعْتُ صوتًا، قطُّ أشدَّ منه، وذلك قُبَيْلَ الإسلامِ بشهرٍ أو شَيْعِه، يقولُ: يا ذَرِيح، أمرٌ نَجِيح، رجلٌ يصيح، يقولُ: لا إله إلا اللهُ. قال ابنُ هِشامٍ: ويُقالُ: رجلٌ يَصيحُ بلسانٍ فصيحٍ، يَقولُ: لا إلهَ إلا اللهُ. قال: وأنشدَني بعضُ أهلِ العلْمِ بالشِّعْرِ:

عَجِبْتَ للجنِّ وإبلاسِهـا ... وشَدِّها العِيسَ بأَحْلاسِهـا
تَهْوِي إلى مكةَ تَبْغِي الهُدَى ... ما مُؤْمِنو الجنِّ كأنجاسِهـا[5]

---

(1) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨٦٦).

(2) ذكره في «التاريخ الكبير» (٤/ ٢٠٢).

(3) أورد قول الدارقطني الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٣/ ٢١٩).

(4) «الدلائل» لأبي نعيم (٦٢).

(5) **إسناد ضعيف والحديث صحيح لشواهده**: منها ما رواه البخاري كما تقدم أخرجه ابن هشام في «السيرة» (١/ ٢٠٩) والضعف بسبب إبهام الراوي عن عبد الله بن كعب.

وقال الحافظُ أبو يَعْلَى المَوصلِيُّ: حدَّثَنا يَحْيىٰ بن حُجْرِ بن النُّعمانِ السامي، حدَّثَنا عليُّ بن منصورِ الأنبارِيُّ، عن محمدِ بن عبدِ الرحمنِ الوقَّاصيِّ، عن محمدِ بن كعبٍ القُرَظيِّ، قال: بينَما عمرُ بن الخطَّابِ، رَضِيَ الله عنه، ذاتَ يومٍ جالسٌ، إذ مرَّ به رجلٌ، فقيل: يا أميرَ المؤمنين، أتَعْرِفُ هذا المارَّ؟ قال: ومَن هذا؟ قالوا: هذا سَوادُ بن قاربٍ الذي أَتاه رَئِيُّه بظهُورِ رسولِ الله ﷺ. قال: فأرْسَلَ إليه عُمرُ، فقال له: أنت سَوَادُ بنُ قاربٍ؟ قال: نَعَمْ. قال: أنت الذي أتاك رَئِيُّك بظهورِ النبيِّ ﷺ؟ قال: نعم. قال: فأنت علىٰ ما كنتَ عليه من كِهانتك؟ قال: فغضبَ. وقال: ما استَقْبَلَني بهذا أحدٌ منذُ أسلَمْتُ، يا أميرَ المؤمنين، فقال عمرُ: يا سبحانَ الله، ما كنّا عليه مِن الشركِ أعظمُ ممَّا كنتَ عليه مِن كِهانتك، فأخْبِرني بإتْيانك رَئِيُّك بظهورِ رسول الله ﷺ. قال: نعم، يا أميرَ المؤمنين، بينَما أنا ذاتَ ليلةٍ بينَ النائمِ واليَقظان، إذ أتاني رَئِيِّي فضربَني برِجْله، وقال: قُمْ يا سَوادُ بنَ قاربٍ، واسمَعْ مقالتي واعقِلْ إن كنت تعقِلُ، إنَّه قد بُعِثَ رسولٌ، مِن لُؤَيِّ بن غالبٍ: يَدْعُو إلىٰ اللهِ وإلىٰ عبادتِه، ثُم أنشأ يَقولُ:

عَجِبْتُ للجنِّ وتَطلابِها   وشَدِّها العيسَ بأقتابِها
تهوِي إلى مكَّةَ تَبْغِي الهُدَى   ما صادقُ الجنِّ ككذَّابِها
فارْحَل إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ   ليسَ قُدامَاها كأذنابِها

قال: قلتُ: دَعْني أنامُ فإنِّي أمسَيتُ ناعسًا. قال: فلمَّا كانت الليلةُ الثانية، أتاني فضَربَني برِجْله، وقال: قمْ يا سَوادُ بن قاربٍ واسمَعْ مَقالتي، واعقِلْ إن كنتَ تعقلُ؛ إنَّه بُعِثَ رسولٌ مِن لُؤَيِّ بن غالبٍ، يَدْعُو إلىٰ اللهِ وإلىٰ عبادتِه، ثُم أنشأَ يقولُ:

عجِبْتُ للجنِّ وتَخْيارِها   وشدِّها العيسَ بأكْوارِها
تَهْوِي إلى مكَّةَ تَبْغِي الهُدى   ما مؤمنو الجنِّ ككُفَّارِها
فارْحَلْ إلى الصَّفوةِ مِن هاشمٍ   بينَ رَوابِيها وأحْجَارِها

قال: قلتُ: دعْني أنامُ، فإنِّي أمسيتُ ناعسًا، فلمَّا كانت الليلةُ الثالثةُ، أَتاني فضربَني برِجْله، وقال: قمْ يا سوادُ بنَ قاربٍ، فاسمَعْ مَقالتي، واعقِلْ إن كنتَ تَعْقِلُ، إنَّه قد بُعِثَ رسولٌ من لُؤَيِّ بنِ غالبٍ، يَدْعو إلىٰ اللهِ وإلىٰ عبادتِه. ثم أنشأَ يَقولُ:

عَجِبْتُ للجنِّ وتَحساسِها   وشدِّها العيسَ بأحلاسِها
تهوِّي إلى مكَّةَ تبغِي الهُدَى   ما خَيِّرُ الجنِّ كأنجاسِها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ مِن هاشمٍ   واسمُ بعينيك إلى رأسِها

قال: فقمتُ، وقلتُ: قد امتحنَ اللهُ قلبي. فرَحَّلْتُ ناقتي، ثم أتيتُ المدينةَ، يعني مكَّةَ، فإذا رسولُ الله ﷺ في أصحابِه، فدنَوْتُ، فقلتُ: اسمَعْ مقالتي، يا رسولَ الله. قال: هاتِ. فَأَنْشَأتُ

أقولُ:

أتاني نَجيِّي بعدَ هَدْءٍ ورقدةٍ ... ولم يكُ فيما قد تَلَوْتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاكَ رسولٌ من لُؤَيِّ بن غالبِ
فشمَّرتُ عن ذَيلي الإزارَ ووسَّطَتْ ... بِيَ الذِّعلبُ الوَجناءُ غُبْرَ السباسبِ
فأشهدُ أنَّ اللهَ لا شيءَ غيرُه ... وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غالبِ
وأنَّك أدنى المرسلين وسيلةً ... إلى الله يا بنَ الأكرمين الأطايبِ
فمُرنا بما يأتيك يا خيرَ مَن مَشَى ... وإن كانَ فيما جاءَ شَيْبُ الذوائبِ
وكنْ لي شفيعًا يومَ لا ذو شفاعةٍ ... سواكَ بمُغنٍ عن سَوادِ بن قاربِ

قال: ففرِحَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه بمقالتي فرحًا شديدًا، حتى رُئِيَ الفرحُ في وجوههم، قال: فوثَبَ إليه عمرُ بن الخطاب فالتزَمَه، وقال: قد كنتُ أشتهي أن أسمَعَ هذا الحديثَ منك، فهل يأتيك رَئِيُّك اليومَ؟ قال: أمَّا منذُ قرَأتُ القرآنَ فلا، ونعْمَ العوَضُ كتابُ الله من الجنِّ، ثُم قال عمرُ: كنّا يومًا في حَيٍّ من قريش، يُقالُ لهم: آلُ ذَريح، وقد ذبَحُوا عجْلاً لهم والجزَّارُ يُعالجهُ، إذ سمعْنا صوتًا من جَوفِ العجْلِ، ولا نَرَىٰ شيئًا: قال: يا آلَ ذَريح، أمرٌ نَجيح، صائحٌ يَصيح، بلسانٍ فَصيح، يَشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ [(١)]. وهذا منقطعٌ من هذا الوجه، ويَشْهَدُ له روايةُ البخاري، وقد تساعدوا على أنَّ السامعَ الصوتَ من العجلِ هو عمرُ بن الخطاب. واللهُ أعلمُ.

وقال الحافظُ أبو بكر محمدُ بن جعفر بن سَهل الخَرَائطي في كتابه الذي جمعَه في «هواتفِ الجانِّ»: حدَّثنا أبو موسىٰ عمرانُ بن موسىٰ المؤدِّبُ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرانَ بن محمدِ بن عبدالرحمنِ بن أبي ليلىٰ، حدَّثنا سعيدُ بن عُبَيْد الله الوصَّافيُّ، عن أبيه، عن أبي جعفرٍ محمد بن عليٍّ، قال: دخَلَ سَوادُ بن قاربٍ السَّدوسيُّ علىٰ عمرَ بن الخطاب، رَضيَ الله عنه، فقال: نَشَدْتُك بالله، يا سوادُ بن قاربٍ، هل تُحْسِن اليومَ من كهانتك شيئًا؟ فقال: سبحانَ الله، يا أميرَ المؤمنين، ما استقبلْتَ أحَدًا من جُلَسائك بمثلِ ما استقبَلْتَني به. قال: سبحانَ الله، يا سَوادُ ما كنَّا عليه من شرْكنا أعظمُ ممَّا كُنْتَ عليه من كهَانَتكَ، واللَّه يا سوادُ لقد بَلَغَني، عنك حديثٌ إنَّه لَعجبٌ من العجَبِ قال: إي والله، يا أميرَ المؤمنين، إنَّه لَعَجَبٌ من العجب. قال: فحدِّثْنيه. قال: كنتُ كاهنًا في الجاهلية، فبينا أنا ذاتَ ليلةٍ نائمٌ إذْ أتاني نَجيِّي فضرَبني برِجْلِه، ثُم قال: يا سَوادُ، اسمَعْ أَقُلْ لك. قلتُ: هاتِ. قال:

عَجِبْتُ للجنِّ وأنجاسِها ... ورَحْلِها العيسَ بأحلاسِها
تَهْوي إلى مكَّةَ تَبْغي الهُدَى ... ما مؤمنوها مثلَ أرجاسِها
فارحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... واسْمُ بعينَيْكَ إلى رأسِها

---

(١) إسناد ضعيف ومعنى الحديث صحيح لحديث البخاري السابق: باستثناء بعض الزيادات. وسبب الضعف كما قال المصنف الانقطاع بين محمد بن كعب وعمر بن الخطاب أخرجه من طريق أبي يعلى الموصلي البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٥٢).

قال: فنمْتُ، ولم أَحْفلْ بقوله شيئًا، فلمّا كانت الليلةُ الثانيةُ أتاني، فضربَني برجْله، ثُم قال لي: قُمْ، يا سَوادُ بنَ قاربٍ، اسْمَعْ أَقُلْ لك، قلت: هاتِ. قال:

عَجِبْتُ للجنّ وتَطلابِها ... وشدِّها العيسَ بأقتابِها
تَهْوي إلى مكَّةَ تَبْغي الهُدَى ... ما صادقُ الجنِّ ككذَّابِها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... ليس المقاديمُ كأذنابِها

قال: فحرَّكَ قولُه مني شيئًا، ونمتُ، فلمّا كانت الليلةُ الثالثةُ أتاني، فضربَني برجْله، ثُم قال: يا سوادُ بنَ قاربٍ، أتَعقلُ أم لا تَعقلُ؟ قلت: وما ذاك؟ قال: ظَهَرَ بمكة نَبيٌّ يَدْعو إلى عبادة الله فالْحَقْ به، اسْمَعْ أَقُلْ لك، قلتُ: هاتِ. قال:

عَجِبْتُ للجنِّ وتَنفارِها ... ورَحْلِها العيسَ بأكوارِها
تَهْوي إلى مكَّةَ تَبْغي الهُدَى ... ما مُؤمنو الجنِّ ككفّارِها
فارْحَلْ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... بينَ رَوابيها وأحجارِها

قال: فَعلمْتُ أنَّ الله قد أَراد بي خيراً، فقمْتُ إلى بُرْدَةٍ لي ففتَقْتُها ولَبِسْتُها، ووضَعْتُ رِجْلي في غَرْزِ رِكابِ النّاقة، وأقبَلْتُ حتى انتَهَيْتُ إلى النبيِّ ﷺ، فعرَضَ عليَّ الإسلامَ فَأسْلَمْتُ، وأخبَرْتُه الخبرَ، فقال: «**إذا اجتَمعَ المسلمون فأخْبِرْهم**» فلمّا اجتَمعَ المسلمون قُمْتُ، فقلْتُ:

أتاني نَجيِّي بَعْدَ هَدءٍ ورقدةٍ ... ولم يَكُ فيما قد بَلَوْتُ بكاذبِ
ثلاثَ ليالٍ قولُه كلَّ ليلةٍ ... أتاك رسولٌ من لُؤيِّ بن غالبِ
فشمَّرْتُ عن ساقي الإزارَ ووسَّطَتْ ... بيَ الذِّعْلبُ الوَجناءُ غُبْرَ السَّباسبِ
وأعلَمُ أنَّ اللهَ لا ربَّ غيرُه ... وأنَّك مأمونٌ على كلِّ غالبِ
وأنَّكَ أدنى المُرسَلينَ وسيلةً ... إلى الله يا بنَ الأكرمينَ الأطايبِ
فمُرْنا بما يأتيكَ يا خيرَ مُرسَلٍ ... وإن كانَ فيما جاءَ شَيْبُ الذَّوائبِ

قال: فسُرَّ المسلمون بذلك. فقال عمرُ: هل تُحِسُّ اليومَ منها بشيءٍ؟ قال: أمَّا مُذْ علَّمَني اللهُ القرآنَ، فلا[(١)] .

وقد رواه محمدُ بنُ السائب الكَلْبيُّ. عن أبيه، عن عمرَ بن حفصٍ، قال: لمَّا وردَ سَوادُ بن قاربٍ على عُمَرَ، قال: يا سوادُ بنَ قاربٍ، ما بَقِيَ من كهانتك؟ فغَضِبَ، وقال: ما أظُنُّك، يا أميرَ المؤمنين، استقبَلْت أحداً من العرب بمثلِ هذا. فلمّا رأى ما في وجهه من الغضب، قال: انْظُرْ سَوادُ لَلّذي كُنّا عليه قبلَ اليوم من الشرك أعظمُ، ثُم قال: يا سَوادُ، حدِّثْني حَديثًا كنتُ أشْتَهي أسْمَعُه

(١) إسناد ضعيف ومعنى الحديث صحيح لشواهده كما سبق: وسبب الضعف الانقطاع بين أبي جعفر وعمر بن الخطاب.

منك . قال : نَعَمْ ، بَيْنا أنا في إبِلٍ لي بالسَّراة ليلاً ، وأنا نائمٌ وكانَ لي نَجيٌّ من الجنِّ فأتاني فضرَبَني برجله فقالَ لي قُمْ يا سوادُ بنَ قاربٍ ، فقد ظهرَ بتِهامَةَ نَبيٌّ يَدْعُو إلى الحقِّ وإلى طريق مستقيم ، فذكَرَ القصةَ كما تقدَّمَ ، وزادَ في آخرِ الشِّعْرِ :

وكُن لي شفيعًا يومَ لا ذو قَرابة ... سواك بمُغْنٍ عن سوادِ بن قاربِ

فقال رسولُ الله ﷺ : «سِرْ في قومك وقلْ هذا الشِّعْرَ فيهم» (١) .

ورواه الحافظُ ابن عساكرَ ، من طريق سليمانَ بن عبدِ الرحمن ، عن الحَكَم بن يَعْلَى بن عطاءٍ المحُاربيِّ ، عن عبَّادِ بن عبدِ الصمدِ ، عن سعيدِ بن جبيرٍ ، قال : أخبرَني سَوادُ بن قاربٍ الأزْديُّ ، قال : كنتُ نائمًا على جبلٍ من جبالِ السَّراة ، فأتَاني آتٍ فضربَني برِجْله . وذكَر القصَّةَ أيضًا (٢) .

ورواه أيضًا من طريقِ محمدِ بن البراءِ ، عن أبي بكرِ بن عيَّاشٍ ، عن أبي إسحاقَ ، عن البراءِ ، قال : قال سَوادُ بن قاربٍ : كنتُ نازلاً بالهند فجاءني رَئِيِّي ذاتَ ليلةٍ ، فذكَرَ القصةَ ، وقال بعدَ إنشادِ الشِّعرِ الأخيرِ : فضحكَ رسولُ الله ﷺ ، حتَّى بَدَتْ نواجذُه ، وقال : «أفلَحْتَ يا سَوَادُ» (٣) .

وروى الحافظُ أبو نُعَيْم : من حديثِ عبدِ الله بن محمد بن عَقِيلٍ : عن جابرِ بن عبدِ اللهِ ، قال : إنَّ أولَ خبرٍ كان بالمدينة بَمَبْعَثِ رسول الله ﷺ ، أنَّ امرأةً بالمدينة كانَ لها تابعٌ من الجنِّ فجاء في صورةِ طائرٍ أبيضَ فوقعَ على حائطٍ لهم فقالتْ له : لِمَ لا تَنْزِلُ إلينا ، فتحدثَنا ونُحدثُكَ ، وتُخبِرَنَا ونُخْبِركَ؟ فقال لها : إنَّه قد بُعِثَ نبيٌّ بمكَّةَ ، حرَّمَ الزِّنا ومنَعَ منّا القَرارَ (٤) .

وقال الواقدي: حدَّثَني عبدُ الرحمن بن عبدِ العزيزِ ، عن الزُّهْريِّ ، عن عَليِّ بن الحُسَيْنِ ، قال : إنَّ أولَ خَبَرٍ قدمَ المَدينةَ عن رسولِ الله ﷺ ، أنَّ امرأةً ، تُدْعَى فاطمةَ ، كان لها تابعٌ ، فجاءها ذاتَ يومٍ ، فقام على الجدارِ ، فقالت : ألاَ تَنْزِلُ؟ فقال : لا ، إنَّه قد بُعِثَ الرسولُ الذي حرَّمَ الزِّنا (٥) .

وأرسَلَه بعضُ التَّابعينَ أيضًا ، وسمّاه بابنِ لَوْذانَ ، وذكَرَ أنَّه كان قد غاب عنها مُدَّةً ، ثُم لمَّا قَدِم عاتَبَتْه ، فقال : إنِّي جئتُ الرسولَ فسَمعتُه يُحَرِّمُ الزِّنا فعليكِ السَّلامُ (٦) .

وقال الواقدي: حدَّثَني محمدُ بن صالحٍ ، عن عاصمِ بن عمرَ بن قَتادةَ ، قال : قال عثمانُ بن عفَّانَ ، خرجنا في عِيرٍ إلى الشامِ ، قبلَ أن يُبْعَثَ ، رسولُ اللهِ ﷺ ، فلمّا كنّا بأفواهِ الشامِ ، وبها كاهنةٌ ،

---

(١) **إسناد ضعيف جدًا**: فيه محمد بن السائب متهم بالكذب.

(٢) **إسناد ضعيف. والحديث صحيح كما تقدم**: أخرجه من طريق سليمان بن عبد الرحمن البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٢٥٣) وفيه عباد بن عبد الصمد قال فيه أبو حاتم الرازي في «الجرح والتعديل» (٦/ ٨٢). ضعيف الحديث جدًا منكر الحديث لا أعرف له حديثًا صحيحًا.

(٣) أخرجه البيهقي من طريق أبي بكر بن عياش في «الدلائل» (٢/ ٢٤٨). والحديث معناه صحيح كما تقدم وهذا الإسناد فيه أبو إسحاق وقد عنعن.

(٤) **إسناد ضعيف**: أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٥٦) وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل ضعيف وعبد الجبار بن عاصم مجهول انظر «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٣).

(٥) **إسناد ضعيف**: فيه الواقدي وهو معل بالإرسال.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٥٧) بإسناد فيه ضعف. قال أبو نعيم: حدثنا عبد الله بن جعفر قال: ثنا إبراهيم عن محمد بن الحسن قال: ثنا أبو رضوان قال: ثنا أشعث بن شعبة عن أرطاة بن المنذر قال: سمعت ضمرة يقول: وساق الحديث.

فتعرَّضْتنا، فقالت: أتاني صاحبي، فوقَفَ على بابي، فقلتُ: ألا تَدْخُلُ؟ فقال: لا سبيلَ إلى ذلك، خرَجَ أحمدُ، وجاء أمرٌ لا يُطاقُ. ثُم انصرَفْتُ فرجَعْتُ إلى مكَّةَ، فوجدْتُ رسولَ الله ﷺ قد خرَجَ بمكَّةَ، يَدعُو إلى الله، عزَّ وجلَّ(١).

وقال الواقديُّ: حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الله، عن الزُّهْرِيِّ، قال: كان الوحيُ يُسْمَعُ، فلمّا كان الإسلامُ مُنعوا، وكانت امرأةٌ من بني أسدٍ، يُقالُ لها: سُعَيرةُ. لها تابعٌ من الجنِّ، فلمَّا رأى الوحْيَ لا يُستطاعُ، أتاها فدخَلَ في صدْرِها، فضجَّ في صدْرِها، فذهَبَ عقْلُها، فجعلَ يقولُ من صدْرِها: وُضعَ العناق، ومنعَ الرِّفاق، وجاء أمرٌ لا يُطاق، وأحمدُ حرَّمَ الزِّنا(٢).

وقال الحافظ أبو بكرٍ الخرَائطيُّ: حدَّثنا عبدُ الله بن محمدٍ البَلَويُّ: بمِصْرَ، حدَّثنا عُمارةُ بنُ زيدٍ، حدَّثنا عيسى بن يَزيدَ، عن صالح بن كَيْسانَ، عمَّن حدَّثه، عن مِرْداس بن قيسٍ الدَّوْسيِّ، قال: حضَرتُ النبيَّ ﷺ -وقد ذُكرَتْ عندَه الكهانةُ، وما كان من تغييرها عندَ مَخْرَجه- فقُلْتُ: يا رسولَ الله، قد كان عندنا من ذلك شيءٌ أخبرُك أنَّ جاريةً منَّا، يُقالُ لها: الخَلَصَةُ: لم يُعْلَمْ عليها إلاَّ خيرًا، إذ جَاءتْنا فقالتْ يا مَعْشَرَ دَوْسٍ العَجَبُ العَجَبُ لِمَا أصابَني، هل عَلمْتُمْ إلاَّ خَيْرًا قُلْنا: وما ذاك؟ قالتْ: إنِّي لَفي غَنَمي إذ غَشِيَتْني ظُلمةٌ، ووجدْتُ كحسِّ الرجلِ مع المرأة، فقد خشيتُ أن أكونَ قد حَبِلْتُ، حتى إذا دَنَتْ ولادتُها وضَعَتْ غلامًا أغضَفَ، له أُذنان كأذنَي الكلب، فمكثَ فينا حتى إنَّه لَيَلْعَبُ مع الغلْمان إذ وثَبَ وثبةً، وألقى إزارَه، وصاح بأعلى صوته، وجعَلَ يقولُ: يا وَيْلة يا وَيْلة، يا عَوْلة، يا عَوْلة، يا وَيْلَ غَنْم، يا وَيْلَ فَهْم، من قابسِ النارِ الخيلُ واللهِ وراءَ العَقَبة، فيهن فتْيانٌ حسانٌ نَجبةٌ، قال: فركِبْنا وأخذْنا الأداةَ، وقلنا: يا ويلكَ، ما تَرَىٰ؟ فقال: هل من جاريةٍ طامثٍ، فقلنا: ومَن لنا بها؟ فقال شيخٌ منّا: هي والله عندي عفيفةُ الأم. فقلنا: فعجِّلْها، فأتَى بالجارية وطلَعَ الجبلَ، وقال للجارية، اطرَحي ثوبَكِ، واخرُجي في وجوههم. وقال القومُ: اتَّبِعُوا أثرَها. وقال لرجلٍ منا يُقالُ له: أحْمَرُ بنُ حابسٍ: يا أحْمَرَ بنَ حابسٍ: عليك أوَّلُ فارسٍ. فحمَلَ أحْمَرُ، فطعَنَ أولَ فارسٍ، فصرَعَه، وانهزموا فغنِمْناهم. فقالوا: فابتَنَيْنا عليهم بيْتًا، وسمَّيْناه ذا الخَلَصَة، وكان لا يَقُول لنا شيئًا إلا كان كما يَقولُ، حتى إذا كان مَبْعثُك، يا رسولَ الله، قال لنا يومًا: يا مَعْشَرَ دَوْسٍ، نَزلَت بنو الحارثِ بنِ كعبٍ، فاركبوا، فركِبْنا، فقال لنا: أكْدِسوا الخيلَ كَدْسًا، احْشُوا القومَ رَمْسًا، الْقَوْهم غَدِيَّةً، واشربوا الخمرَ عَشِيَّةً، قال: فلَقِيناهم، فهزَمونا وغلَبونا، فرجَعْنا إليه فقلنا: ما حالُك، وما الذي صَنَعْتَ بنا؟ فنظَرْنا إليه، وقد احمرَّتْ عيناه، وانتصبَتْ أُذُناه وانبرَمَ غَضْبانَ حتَّى كاد أن يَنفَطِرَ، وقام فركِبْنا واغتَفَرْنا هذه له، ومكَثْنا بعدَ ذلك حينًا، ثُم دَعانا، فقال: هل لكم في غَـزْوةٍ تَهَبُ لكم عِـزًّا، وتَجْعَلُ لكم حِرْزًا، ويكونُ في أيديكم كَنْزًا؟ فقُلْنا: ما أحْوَجَنا إلى ذلك.

---

(١) إسناد ضعيف: فيه الواقدي وهو متروك ومن طريقه أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٥٨).
(٢) إسناد ضعيف: فيه الواقدي.

فقال: اركبوا. فركبْنا، فقلنا: ما تقولُ؟ فقال: بنو الحارثِ بن مَسْلَمَةَ. ثُم قال: قفوا. فوَقَفْنا، ثُم قال: عليكم بفَهْم. ثُم قال: ليس لكم فيهم ذم، عليكم بمُضَرَ، هم أربابُ خيلٍ ونَعَم، ثُم قال: لا، رَهطُ دُرَيْد بن الصِّمَّة، قليلُ العدد وَفيُّ الذِّمَّة. ثُم قال: لا، ولكن عليكم بكَعب بن ربيعةَ، واشكروها صنيعة عامرِ بن صَعْصَعَة، فلْيَكُنْ بهم الوقيعة، قال: فلَقيناهم فهزَموناوفضَحونا، فرجَعْنا وقلنا: ويْلَك، ماذا تَصْنَعُ بنا؟ قال: ما أَدْري، كذَبَني الذي كان يَصدُقُني، اسْجُنوني في بيتي ثلاثًا، ثُم أْتوني ففعَلْنا به ذلك، ثُم أتَيْناه، بعدَ ثالثة، ففَتحْنا عنه، فإذا هو كأنَّه جَمْرةُ نارٍ، فقال: يا مَعْشرَ دَوْسٍ، حُرِسَتِ السَّماء، وخرَجَ خيرُ الأنبياء. قلنا: أين؟ قال: بمكةَ، وأنا ميِّتٌ، فادفنوني في رأسِ جَبلٍ، فإنِّي سوف أضْطَرِمُ نارًا، وإن تركتُموني كنتُ عليكم عارًا، فإذا رأيتُم اضطرامي وتلهُّبي، فاقذفوني بثلاثة أحجارٍ، ثُم قولوا مع كلِّ حَجرٍ: باسْمِك اللهمَّ، فإنِّي أهْدأُ وأطْفَأُ قال: وإنَّه مات، فاشتَعَلَ نارًا، ففعَلْنا به ما أمَرَ، وقذَفناه بثلاثة أحجارٍ، نقولُ مع كلِّ حجرٍ: باسْمِكَ اللهمَّ، فخَمَدَ وطَفِئَ، وأقَمْنا حتى قَدِمَ علينا الحاجُّ، فأخبَرونا بمبعثك يا رسول الله[1]. غريبٌ جدًّا.

وروىٰ الواقديُّ عن ابن أبي ذِئْبٍ، عن مُسْلِم بن جُنْدُبٍ، عن النَّضْر بن سُفْيانَ الهُذَليِّ، عن أبيه، قال: خرجْنا في عِيرٍ لنا إلىٰ الشام، فلمّا كنا بين الزَّرْقاء ومَعانٍ قد عرَّسْنا من الليلِ، فإذا بفارسٍ يَقولُ، وهو بينَ السماء والأرضِ: أيُّها النِّيامُ هُبُّوا، فليس هذا بحينِ رُقادٍ، قد خرَجَ أحمَدُ، وطُرِّدَتِ الجنُّ كلَّ مَطْرَدٍ، ففزِعْنا، ونحن رُفقةٌ حزَاوِرَةٌ، كلُّهم قد سَمِعَ بهذا، فرجَعْنا إلىٰ أهلنا، فإذا هم يذْكُرُون اختلافًا بمكةَ بينَ قريشٍ، في نبيٍّ قد خرَجَ فيهم من بني عبدِ المُطَّلِب، اسمُه أحمدُ[2]. ذكَرَه أبو نُعَيم[3].

وقال الخرائطيُّ: حدَّثنا عبدُ الله بنُ محمدٍ البَلَويُّ، بمِصْرَ، حدَّثنا عُمارةُ بن زيدٍ، حدَّثني عُبَيْدُ الله ابن العلاء، حدَّثني يَحْيَىٰ بن عُرْوَةَ، عن أبيه، أنَّ نفرًا من قريشٍ، منهم ورقةُ بن نَوْفَلٍ بن أسد بن عبد العُزَّىٰ بن قُصَيٍّ، وزيدُ بن عمرو بن نُفَيْلٍ، وعُبَيدُ الله بن جَحْشِ بن رِئابٍ، وعثمانُ بن الحُوَيْرِث، كانوا عندَ صَنمٍ لهم يَجتَمعون إليه، قد اتَّخَذوا ذلك اليوم من كلِّ سنةٍ عيدًا، كانوا يُعَظِّمونَه ويَنْحَرُون له الجَزُورَ، ثُم يأْكُلونَ ويَشْرَبون الخمرَ ويَعْكُفُون عليه، فدخَلوا عليه في الليلِ، فرَأَوْه مَكْبوبًا على وجهِه، فأَنكروا ذلك، فأخَذوه فردُّوه إلى حالِه، فلم يَلْبَثْ أن انْقَلَبَ انقلابًا عنيفًا، فأخَذُوه فردُّوه إلىٰ حالِه، فانقَلَبَ الثالثةَ، فلمَّا رأَوْا ذلك اغتَمُّوا له وأعظَمُوا ذلك، فقال عثمانُ بنُ الحُوَيْرِثِ: ما له قد أكثرَ التَّنَكُّسَ، إنَّ هذا لأَمْرٍ قد حدَثَ، وذلك في الليلة التي ولدَ فيها

---

(١) موضوع: فيه عبد اللَّه بن محمد البلوي قال الدارقطني: كان يضع الحديث انظر «الميزان» (٢/ ٤٩١) وفيه عيسى بن يزيد قال الحافظ في «الإصابة» (٦/ ٥٨). أظنه ابن داب وهو كذاب. أخرجه من طريق الخرائطي ابن عساكر (٣/ ٤٥١).

(٢) إسناد ضعيف: فيه الواقدي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٥٩). من طريق ابن أبي ذئب عن مسلم بن جندب عن النضر بن سفيان الهذلي عن أبيه قال: وساق الحديث والنضر بن سفيان لم أقف عليه.

رسولُ الله ﷺ، فجعَل عثمانُ يَقولُ:

أيَا صنمَ العـيـد الذي صُفَّ حـولَه ... صَناديدُ وَفـد من بعـيـد ومن قُـرْبِ
تَكَوَّسْتَ مـغلوبًا فـمـا ذاكَ قُلْ لنا ... أذاكَ سَـفـيـهٌ أم تكَوَّستَ للعَـتْبِ
فـإن كـانَ من ذَنب أتَينا فـإنَّنا ... نَبـوءُ بإقـرار ونَلوي عن الذَّنْبِ
وإن كنتَ مغلوبًا تكَوَّسْتَ صَاغرًا ... فـمـا أنتَ في الأوثانِ بالسَّيِّد الربِّ

قال: فأخَذُوا الصَّنَمَ، فرَدُّوه إلىٰ حالِه، فلمّا استَوَىٰ، هَتَفَ بهم هَاتِفٌ من الصَّنم، بصوتٍ جَهيرٍ، وهو يَقولُ:

تَـرَدَّى لمـولـود أنـارتْ بـنـوره ... جـميعُ فجاجِ الأرضِ في الشَّرق والغَرْبِ
وخَـرَّتْ له الأوثانُ طُـرًّا وأرْعـدَتْ ... قلوبُ مُلوكِ الأرضِ طُـرًّا من الرُّعبِ
ونارُ جـمـيعِ الفُـرسِ باختْ وأظلَمَتْ ... وقـد بَاتَ شـاهُ الفـرسِ في أعظَمِ الكَرْبِ
وصُـدَّتْ عن الكُهَّـانِ بالغيب جِنُّهـا ... فـلا مُخـبـرٌ عنهم بحقٍّ ولا كَـذْبِ
فَـيـالَ قُـصيٍّ ارجـعـوا عن ضَـلالكم ... وهُبُّـوا إلى الإسـلام والمنزلِ الرَّحْبِ

قال: فلمّا سمعوا ذلك خلَصُوا نَجيًّا، فقال بعضُهم لبعضٍ: تَصادَقُوا، وليَكتُمْ بعضُكم علىٰ بعضٍ، فقالوا: أجَلْ. فقال لهم ورَقَةُ بن نَوْفَلٍ تعلَمون - والله - ما قَوْمُكم علىٰ دينٍ، ولقد أخطَئُوا الحُجَّةَ وتَركُوا دينَ إبراهيمَ، ما حَجَرٌ تُطيفون به لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ، ولا يَنْفَعُ ولا يَضُرُّ؟ يا قوم، التمِسُوا لأنفسكم الدِّين. قال: فخرَجوا عندَ ذلك يَضْرِبون في الأرضِ، ويَسألون عن الحنيفيَّة دينِ إبراهيمَ - عليه السَّلامُ - فأمَّا ورقَةُ بن نَوْفَلٍ، فتنصَّرَ وقرَأَ الكُتُبَ، حتىٰ عَلِمَ عِلْمًا، وأمَّا عُثمانُ بن الحُوَيْرِث، فَصار إلىٰ قَيْصَرَ، فتَنَصَّرَ وحسُنَتْ منزلَتُه عندَه، وأمَّا زيدُ بن عمرِو بن نُفَيلٍ، فأراد الخروجَ، فحُبِسَ، ثُم إنَّه خرَجَ بعدَ ذلك، فضرَبَ في الأرضِ، حتىٰ بلَغَ الرَّقَّةَ، من أرضِ الجزيرة، فلَقِيَ بها راهبًا عالمًا، فأخبرَه بالذي يَطلُبُ، فقال له الراهبُ: إنَّك لَتَطْلُبُ دينًا ما تَجدُ مَن يَحمِلُك عليه، ولكن قد أظَلَّك زمانُ نبيٍّ يَخرُجُ من بلدك، يُبعَثُ بدينِ الحنيفيَّة، فلمَّا قال له ذلك، رجعَ يُريدُ مكةَ، فغارتْ عليه لَخْمٌ فقتَلوه، وأمَّا عُبَيْدُ الله بنُ جَحْشٍ، فأقام بمكةَ حتىٰ بُعثَ النبيُّ ﷺ، ثُم خرَجَ مع مَن خرَجَ إلىٰ أرضِ الحَبَشة، فلمّا صارَ بها، تنصَّر وفارقَ الإسلامَ، فكان بها حتىٰ هلَكَ هنالك نَصْرانيًّا [1]. تقدَّمَ في تَرجمة زيدِ بنِ عمرِو بن نُفَيْلٍ له شاهدٌ.

وقد قال الخرائطيُّ: حدثَّنا أحمدُ بنُ إسحاقَ بن صالحٍ أبو بكرٍ الورَّاقُ، حدثَّنا عمرُو بن عثمانَ، حدثَّني أبي، حدثَّنا عبدُ الله بن عبدِ العزيزِ، حدثَّني محمدُ بن عبدِ العزيزِ، عن الزُّهريِّ، عن

(١) **موضوع**: فيه عبد الله بن محمد البلوي أخرجه من طريق الخرائطي ابن عساكر (٣/ ٤٢٣).

عبدِ الرحمنِ بن أنسٍ السُّلَميِّ، عن العباسِ بن مِرْداسٍ، أنَّه كان بغَمْرةٍ في لِقاحٍ له نصفَ النهارِ، إذ طلَعَتْ عليه نَعامةٌ، عليها راكبٌ، عليه ثيابٌ بيضٌ، مثلُ اللبنِ، فقال: يَا عباسُ بنَ مِرْداسٍ، ألم تَرَ أنَّ السماءَ كفَتْ أَحراسَها، وأنَّ الحربَ تجرَّعَتْ أنفاسَها، وأنَّ الخيلَ وضعتْ أحلاسَها، وأنَّ الذي نزَلَ بالبرِّ والتَّقْوىٰ، يومَ الإثنينِ ليلةَ الثُّلاثا، صاحبُ الناقةِ القَصْوَا. قال: فرَجَعْتُ مَرْعُوبًا قد راعني ما رأيتُ وسمعْتُ، حتىٰ جئتُ وثَنًا لنا يُدْعَىٰ الضِّمارَ، وكنَّا نَعْبُدُه ونُكَلِّمُ من جوفِه فكنَسْتُ ما حَوْلَه، ثم تَمَسَّحْتُ به وقبَّلْتُه، فإذا صائحٌ مِن جوفِه يَقولُ:

قلْ للقبائلِ من سُلَيمٍ كلِّها ... هلكَ الضِّمارُ وفازَ أهلُ المسجدِ
هلَكَ الضِّمارُ وكانَ يُعبَدُ مَرَّةً ... قبلَ الكتابِ إلى النبيِّ محمدِ
إنَّ الذي وَرِثَ النبوةَ والهُدَىٰ ... بعدَ ابنِ مَريمَ من قريشٍ مهتدِ

قال: فخرَجْتُ مرعوبًا حتىٰ أتَيتُ قومي، فقصَصْتُ عليهم القصةَ، وأخبرْتُهم الخبرَ، وخرَجْتُ في ثلثمائةٍ مِن قومي مِن بني حارثةَ، إلىٰ رسولِ الله ﷺ، وهو بالمدينةِ، فدخَلْنا المسجدَ، فلمّا رآني رسولُ الله ﷺ، قال لي: «يا عبّاسُ، كيف كان إسلامُكَ؟» فقصَصْتُ عليه القصَّةَ: قال: فسر بذلك، وأسلَمْتُ أنا وقومي [1].

ورواه الحافظُ أبو نعَيْمٍ: في «الدلائل» مِن حديثِ أبي بكرِ بن أبي عاصمٍ، عن عمرِو بن عثمانَ به. ثم رواه أيضًا مِن طريقِ الأَصْمَعيِّ، حدَّثَني الوَصَّافيُّ، عن منصورِ بن المُعْتَمِرِ، عن قبيصةَ بنِ عمرِو بن إسحاقَ الخُزاعيِّ، عن العباسِ بن مِرْداسٍ، قال: أولُ إسلامي، أنَّ مِرْداسًا أبي لمّا حضَرَتْه الوفاةُ، أوْصاني بصنَمٍ له يُقالُ له: ضِمارٌ، فجعلْتُه في بيتٍ، وجعَلْتُ آتيه كلَّ يومٍ مَرَّةً، فلمّا ظهَرَ النبيُّ ﷺ، سَمِعتُ صوتًا مُرْسَلاً في جوفِ الليلِ راعَني، فوثَبْتُ إلىٰ ضِمارٍ مُستغيثًا، فإذا بالصوتِ من جوفِه، وهو يَقولُ:

قُلْ للقبيلةِ من سُلَيمٍ كلِّها ... هلَكَ الأنيسُ وعاشَ أهلُ المسجدِ
أودَى ضِمارُ وكانَ يُعبَدُ مَرَّةً ... قبلَ الكتابِ إلى النبي محمدِ
إنَّ الذي ورثَ النبوةَ والهُدَىٰ ... بعدَ ابن مريَمَ من قريشٍ مهتدِ

قال: فكتَمْتُه الناسَ، فلمَّا رجعَ الناسُ مِن الأحزابِ، بَينا أنا في إبِلي بطرَفِ العَقيقِ مِن ذاتِ عِرْقٍ راقدًا، سمِعْتُ صوتًا، وإذا برجلٍ علىٰ جَناحِ نَعامةٍ، وهو يَقولُ: النُّورُ الذي وقَعَ لَيْلَةَ الثلاثاءِ، مع صاحبِ الناقةِ العَضْباءِ، في ديارِ إخوانِ بني العَنْقاءِ. فأجابه هاتفٌ مِن شمالِه، وهو يَقولُ:

بَشِّرِ الجِنَّ وإبلاسَها ... أن وضَعَتِ المَطيُّ أحلاسَها
وكَلأتِ السَّماءَ أحراسُها

---

(١) أخرجه من طريق الخرائطي ابنُ عساكر (٢٦/ ٤١٠).

قال: فوثَبْتُ مَذْعوراً، وعلِمْتُ أَنَّ محمداً مُرْسَلٌ، فركِبْتُ فَرَسي واحتَثَثْتُ السَّيْرَ، حتّىٰ انتَهَيتُ إليه فبايَعْتُه، ثُم انصرَفْتُ إلىٰ ضِمارٍ فأَحْرَقْتُه بالنارِ، ثُم رَجَعْتُ إلىٰ رسولِ الله ﷺ، فأنشَدْتُه شِعْراً أقولُ فيه:

لَعَمْرُك إنِّي يومَ أَجْعَلُ جاهلاً ... ضِماراً لربِّ العالَمينَ مُشارِكا
وتركِ رسولَ اللهِ والأوسَ حولَه ... أولئك أنصارٌ له ما أولئكا
كتاركِ سهلِ الأرضِ والحَزْنَ يبتغي ... ليَسْلُكَ في وَعْثِ الأمورِ المسالكا
فآمَنْتُ باللهِ الذي أنا عَبْدُه ... وخالفتُ مَن أمْسَى يُريدُ المهالكا
ووجَّهْتُ وَجْهي نحْو، مكةَ قاصداً ... أبايعُ نبيَّ الأكرمينَ المباركا
نبيٌّ أتانا بعدَ عيسى بناطقٍ ... من الحقِّ فيه الفَصْلُ فيه كذلكا
أمينٌ علَى الفُرقانِ أوَّلُ شافعٍ ... وأوّلُ مبعوثٍ يُجيبُ الملائكا
تَلافَى عُرَى الإسلامِ بعدَ انتقاضِها ... فأحْكَمَها حتَّى أقامَ المَناسكا
عَنَيْتُكَ يا خيرَ البريّةِ كلِّها ... تَوَسَّطتَ في الفَرعَين والمجدِ مالكا
وأنتَ المُصفَّى من قُريشٍ إذا سَمَتْ ... على ضُمْرِها تَبقَى القرونَ المُباركا
إذا انتسبَ الحَيَّانِ كَعْبٌ ومالكٌ ... وجَدْناكَ مَحْضًا والنساءَ العَوارِكا (١)

قال الخرائطيُّ: وحدَّثَنا عبد اللهِ بن محمدٍ البَلَوِيُّ بمِصرَ، حدَّثَنا عُمارةُ بن زيدٍ، حدَّثَنا إسحاقُ بن بشرٍ وسَلَمةُ بنُ الفَضْلِ، عن محمدِ بن إسحاقَ، حدَّثَني شيخٌ مِن الأنصارِ يُقالُ له: عبدُ اللهِ بن محمودٍ من آلِ محمد بنِ مَسْلَمةَ، قال: بلَغني أنَّ رجالاً، مِن خَثْعَمٍ كانوا يقولون: إنَّ ممَّا دعانا إلىٰ الإسلامِ أنَّا كنَّا قومًا نَعْبُدُ الأوثانَ، فبينا نحن ذاتَ يومٍ عندَ وَثَنٍ لنا، إذ أقْبَلَ نفرٌ يَتَقاضَونَ إليه، يَرْجُون الفَرَجَ مِن عندِه لشيءٍ شَجَرَ بينَهم، إذ هتَفَ بهم هاتفٌ مِن الصنمِ فجعلَ يَقولُ:

يا أيُّها الناسُ ذَوُو الأجسامِ ... مِن بينِ أشياخٍ إلى غلامِ
ما أنتمُ وطائشُ الأحلامِ ... ومُسْنِدُ الحُكْمِ إلى الأصنامِ
أكلُّكم في حيرةِ النِّيامِ ... أمْ لا تَرَونْ ما أَرَى أمامي
مِن ساطعٍ يَجْلُو دُجَى الظَّلامِ ... قد لاحَ للناظرِ من تِهَامِ
ذاك نبيٌّ سيِّدُ الأنامِ ... قد جاء بعدَ الكُفْرِ بالإسلامِ
أكْرَمَه الرحمنُ مِن إمامِ ... ومِن رسولٍ صادقِ الكلامِ
أعْدَلَ ذي حُكْمٍ مِن الأحكامِ ... يأمُرُ بالصَّلاةِ والصِّيامِ
والبِرِّ والصِّلاتِ للأرحامِ ... ويزجُرُ النَّاسَ عن الآثامِ
والرِّجْسِ والأوثانِ والحرامِ ... مِن هاشمٍ في ذِروَةِ السَّنامِ

مُستَعلِنًا في البلدِ الحرامِ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٦٦) وفيه من لم أقف عليه وهو قبيصة بن عمرو بن إسحاق والعباس بن مرداس الأسلمي.

قال: فلمَّا سمعْنا ذلك تفرَّقْنا عنه، وأتَيْنا النبيَّ ﷺ، فأسلَمْنا[١].

وقال الخرائطيُّ: حدَّثنا عبدُ الله البَلَويُّ، حدَّثنا عُمارةُ، حدَّثني عُبَيْدُ الله بنُ العَلاء، حدَّثنا محمدُ ابن عكبر، عن سَعيد بن جُبَير أنَّ رَجُلاً من بني تميم، يُقالُ له: رافعُ بنُ عُمَيْر. وكان أهدىٰ الناسِ للطريق وأسراهم بليلٍ، وأهجَمَهم علىٰ هَوْلٍ، وكانت العربُ تُسَمِّيه لذلك دُعْمُوصَ العرب، لهدايته وجراءته علىٰ السَّيْر، فذكَرَ عن بَدْء إسلامه، قال: إنِّي لأسيرُ برَمْلِ عالجٍ ذاتَ ليلة، إذ غلَبَني النومُ، فنزلْتُ عن راحلتي وأنَخْتُها، وتوسَّدْتُ ذراعَها ونمْتُ، وقد تعوَّذْتُ قبلَ نومي، فقلتُ: أعوذُ بعظيم هذا الوادي من الجنِّ من أن أوْذىٰ أو أهاجَ. فرأيتُ في مَنامي رجلاً شابًّا يَرْصُدُ ناقتي، وبيده حَرْبةٌ يُريدُ أن يَضَعَها في نَحْرِها، فانتَبَهْتُ لذلك فَزِعًا، فنظَرْتُ يمينًا وشمالاً، فلم أرَ شيئًا، فقلتُ: هذا حُلْمٌ. ثُمَّ عُدتُ فغَفَوْتُ، فرأيْتُ في مَنامي مثلَ رُؤيايَ الأولىٰ، فانتَبهْتُ فدُرْتُ حوْلَ ناقتي، فلم أرَ شيئًا، وإذا ناقتي تُرْعدُ، ثُم غَفَوْتُ، فرأيْتُ مثْلَ ذلك، فانتَبَهتُ فرأيتُ ناقتي تَضْطَرِبُ، والتَفَتُّ فإذا أنا برجلٍ شابٍّ كالذي رأيتُ في المنام بيده حَرْبةٌ، ورجلٌ شيخٌ مُمْسِكٌ بيده يَرُدُّه عنها، وهو يَقولُ:

يا مالكُ بنَ مُهَلْهِل بن دثار ... مَهْلاً فدًىٰ لك مِئْزَري وإزاري
عن ناقة الإنسيِّ لا تَعْرِضْ لها ... واختَرْ بها ما شئْتَ من أثْواري
ولقد بَدا ليَ منكما لم أحْتَسِبْ ... ألاَّ رَعَيْتَ قَرابتي وذِماري
تَسْمُو إليه بحَرْبة مَسْمومةٍ ... تبًّا لفِعْلك يا أبا الغَفَّار
لولا الحَياءُ وأنَّ أهلَك جِيرةٌ ... لَعَلِمْتَ ما كَشَّفْتَ من أخباري

قال: فأجابه الشابُّ، وهو يقولُ:

أأردْتَ أن تَعْلُو وتَخْفِضَ ذكْرَنا ... في غَيْرِ مُزْرِيَةٍ أبا العَيْزار
ما كانَ فيهم سيِّدٌ فيما مَضَىٰ ... إنَّ الخِيارَ هُمُو بنو الأخْيار
فاقْصِدْ لقَصْدك يا مُعَكْبَرُ إنَّما ... كانَ المجيرُ مُهَلْهِلَ بنَ دثار

قال: فبينَما هما يَتنازَعان، إذ طلَعَتْ ثلاثةُ أثْوارٍ من الوَحْش، فقال الشيخُ للفتىٰ قُمْ يا ابنَ أخت، فخُذْ أيَّها شئْتَ فداءً لناقة جاري الإنسيِّ، فقام الفتَىٰ فأخَذَ منها ثَوْرًا وانصرَفَ، ثم التفَتَ إليَّ الشيخُ، فقال: يا هذا، إذا نزلْتَ واديًا من الأودية فخفْت هَوْلَه، فقل: أعوذ بالله ربِّ محمدٍ من هَوْلِ هذا الوادي. ولا تَعُذْ بأحد من الجنِّ، فقد بطَلَ أمْرُها. قال: فقُلْتُ له: ومَن محمدٌ هذا؟ قال: نبيٌّ عَربيٌّ، لا شَرْقيٌّ ولا غربيٌّ، بُعثَ يومَ الإثنينَ، قلتُ: وأين مَسْكَنُه؟ قال: يَثْربُ ذاتُ النخلِ. قال: فركَبْتُ راحلَتي حينَ برَقَ ليَ الصبحُ، وجدَدْتُ السيرَ حتىٰ تَقَحَّمْتُ المدينةَ، فرآني رسولُ الله ﷺ، فحدَّثني بحديثي قبلَ أن أذْكُرَ له منه شيئًا، ودعَاني إلىٰ الإسلام[٢]، فأسلَمْتُ. قال سعيدُ بن

---

(١) **موضوع**: فيه عبد الله بن محمد البلوي. ولا يصح من طريق ابن إسحاق لإبهام من يروي عنه أخرجه من طريق الخرائطي ابنُ عساكر (٣/ ٤٥٠).

(٢) **موضوع**: فيه البلوي.

جُبَيْرٍ: وكنَّا نرىٰ أنَّه هو الذي أنزَلَ اللهُ فيه: ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦]. ورَوىٰ الخرائِطيُّ، مِن طريقِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بن أبي حَبِيبةَ عن داودَ ابنِ الحُصَيْنِ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، عن عليٍّ، قال: إذا كنتَ بوادٍ تَخافُ السَّبُعَ، فقل: أعوذُ بدانيالَ والجُبِّ، مِن شرِّ الأسدِ[1].

ورَوَىٰ البَلَوِيُّ، عن عُمارةَ بن زيدٍ، عن إبراهيمَ بن سعدٍ، عن محمدِ بن إسحاقَ، حدَّثني يَحْيَىٰ ابنُ عبدِ الله بن الحارثِ، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قِصَّةَ، قتالِ عليٍّ الجِنَّ بالبئرِ ذاتِ العَلَمِ التي بالجُحْفَةِ، حينَ بَعَثَه رَسُولُ الله ﷺ، يَسْتَقِي لهم الماءَ فأرادوا مَنْعَه، وقطَعُوا الدَّلْوَ، فنزَلَ إليهم، وهي قِصَّةٌ مطوَّلَةٌ مُنكرةٌ جدًّا. والله أعلمُ[2].

وقال الخرائطيُّ: حدَّثني أبو الحارث محمدُ بن مُصْعَبٍ الدِّمَشْقِيُّ وغيرُه، حدَّثنا سليمانُ بنُ بنتِ شُرَحْبيلٍ الدِّمشْقيُّ، حدَّثنا عبدُ القُدُّوسِ بنُ الحَجَّاج، حدَّثنا مُجالدُ بن سعيدٍ، عن الشَّعبيِّ، عن رجلٍ، قال: كنتُ في مَجْلِسِ عمرَ بن الخطابِ، وعندَه جماعةٌ من أصحابِ النبيِّ ﷺ، يَتَذاكَرون فضائلَ القرآنِ، فقال بعضُهم: خواتيمُ سُورةِ «النَّحْلِ» وقال بعضُهم: سورةُ «يس» وقال عليٌّ: فأين أنتم عن فضيلةِ آيةِ الكُرْسِيِّ؟ أمَا إنَّها خَمْسون كلمةً، في كلِّ كلمةٍ، سبعون بَرَكةً، قال: وفي القومِ عمرُو بن مَعْدِي كَرِبَ لا يُحِيرُ جوابًا، فقال: أينَ أنتم عن بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ؟ فقال عمرُ: حدِّثنا يا أبا ثورٍ. قال: بَينا أنا في الجاهليةِ، إذ جَهَدَني الجوعُ، فأقحَمْتُ فَرسي البريَّةَ، فما أصبتُ إلا بَيضَ النعامِ، فبينَا أنا أسيرُ، إذ أنا بشيخٍ عربيٍّ في خَيْمةٍ، وإلىٰ جانبِه جاريةٌ كأنَّها شمسٌ طالعةٌ، ومعه غُنَيْماتٌ له، فقُلْتُ له: استَأْسِرْ، ثَكِلَتْكَ أمُّك. فرفَعَ رأْسَه إليَّ، وقال: يا فَتَىٰ، إن أردْتَ قِرَىٰ فانزِلْ، وإن أردْتَ مَعونَةً أعنَّاك. فقلت له: استأْسِر. فقال:

عَرضْنا عَليكَ النُّزْلَ منَّا تكرُّمًا ... فَلم تَرْعَوِي جَهْلاً كَفِعلِ الأشائمِ
وَجِئتَ بِبُهتانٍ وزورٍ ودونَ ما ... تَمنّيتَهُ بالبَيضِ حَزُّ الحلاقمِ

قال: ووثَبَ إليَّ وَثْبةً، وهو يَقولُ: بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ.

فكأني مَثَلْتُ تحتَه، ثُم قال: أَقْتُلُك أمْ أُخَلِّي عنك؟ قلتُ: بل خلِّ عني. قال: فَخلَّىٰ عني. ثُم إنَّ نَفسِي حدَّثتْني بالمعاوَدةِ. فقلتُ: استَأْسِرْ، ثَكِلَتْك أمُّك فقال:

ببسمِ اللهِ والرَّحْمنِ فُزْنا ... هُنالكَ والرحيمِ به قَهَرْنا
وما تُغني جَلادَةُ ذي حِفاظٍ ... إذا يومًا لمعركةٍ بَرزْنا

---

(١) **إسناد ضعيف:** لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة كما أن داود بن حصين ثقة إلا في عكرمة كما قال الحافظ فإنه ضعيف في عكرمة. والمتن منكر جداً.

(٢) **موضوع:** فيه البلوي ولا يصح من طريق ابن إسحاق لضعف يحيى بن عبد الله بن الحارث.

ثُم وثَبَ إليهَ وثبةً كأنِّي مَثَلْتُ تحتَه. فقال: أَقْتُلُك أمْ أخَلِّي عنك؟ قالْ: قلت: بل خلِّ عني. . فخلَّي عني، فانطلَقْتُ غيرَ بعيد، ثُم قُلْتُ في نفسي: يا عمرو، أيَقْهَرُك هذا الشيخُ، والله لَلموتُ خيرٌ لك من الحياة، فرَجَعْتُ إليه، فقلتُ له: استأسِرْ، ثَكِلَتْك أمُّك. فوَثَبَ، إليَّ وثبةً، وهو يَقولُ: بِسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ فكأنِّي مثَلْتُ تحتَه، فقال: أقْتلُك أم أخَلِّي عنك؟ قلت: بل خَلِّ عنِّي. فقال: هَيْهاتَ، يا جاريةُ، ائتيني بالُمدْية، فأتَتْه بالُمدْية فجزَّ ناصيتي، وكانت العربُ إذا ظَفِرَتْ برجلٍ فجزَّتْ ناصيتَه استعبَدَتْه، فكنتُ معه أخْدمُه مُدَّةً، ثُم إنه قال: يا عمرُو، أريدُ أن تَرْكَبَ معي البريَّةَ وليس بي منك وَجَلٌ، وإنِّي بـ بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ ـ لَواثقٌ، قال: فسرْنا حتى أتَيْنا واديًا أشِبًا مُهَوِّلاً مُغوِّلاً، فنادىٰ بأعلىٰ صوته ـ بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ـ، فلم يَبْقَ طيرٌ في وَكْرِه إلاَّ طارَ، ثم أعاد الصوت، فلم يبق سَبُعٌ في مَربضه، إلاَّ هرَبَ، ثم أعاد الصوتَ، فإذاَ نحن بحبشيٍّ قد خرَجَ علينا من الوادي كالنَّخلةِ السحوق، فقال لي: يا عمرُو، إذا رأيتَنا قد اتَّحَدنا، فقل: غلَبَه صاحبي بـ بسمِ الله الرحمن الرحيم ـ قال: فلمَّا رأيتهما قد اتَّحَدَا، قلت: غلبَه صاحبي باللاَّت والعُزَّىٰ، فلم يَصنَعِ الشيخ شيئًا، فرجَعَ إليَّ، وقال: قد علِمْت أنَّك قد خالفْتَ قولي. قلت: أجَلْ، ولستُ بعائد فقال: إذا رأيتَنا قد اتحدْنا، فقلْ: غلَبَه صاحبي بـ بسم الله الرحمنِ الرحيمِ ـ فقلتُ: أجَلْ فلمَّا رأيتُهما قد اتَّحَدَا، قلتُ: غلبَه صاحبي بـ بِسم الله الرحمنِ الرحيمِ ـ قال: فاتَّكَأَ عليه الشيخُ فبَعَجَه بسيفه، فاشتقَّ جوفَه، فاستخرَجَ منه شيئًا، كهيئةِ القنديل الأسود، ثُم قال: يا عمرُو، هذا غِشُّه وغِلُّه. ثُم قال: أتدْرِي مَن تلك الجاريةُ؟ قلتُ: لا.

قال: تلك الفارعةُ بنتُ السليلِ الجُرْهُميِّ، وكان أبوها من خيارِ الجنِّ، وهؤلاء أهلُها وبنو عمِّها، يَغزُوني منهم كلَّ عامٍ رجلٌ، يَنْصرني الله عليه بـ بسم الله الرحمن الرحيم ـ ثُم قال: قد رأيتَ ما كان مني إلى الحبشيِّ، وقد غلَبَ عليَّ الجوعُ فأتِني بشيءٍ آكُلُه. فاقحَمْتُ بفرسي البَريَّةَ، فما أصَبْتُ إلا بيضَ النعام، فأتَيْتُه به فوجَدْتُه نائمًا، وإذا تحتَ رأسه شيءٌ كَهيئة الخشبة، فاستَلَلْتُه فإذا هو سيفٌ عرضُه شبرٌ في سبعة أشبارٍ، فضربَتُ ساقَيْه ضَربةً أبَنْتُ السَّاقينَ مع القدَمين، فاستَوىٰ على فَقَار ظهره، وهو يقول: قاتلَك الله، ما أغدرَك، يا غدَّارُ. قال عُمرُ: ثُم ماذا صنَعْتَ؟ قلتُ: فلم أزَلْ أضرِبُه بسيفي حتى قطَّعته إربًا إربًا، قال: فوجَمَ لذلك، ثم أنشأَ يقولُ:

بالغــدر نلتَ أخـا الإسـلام عن كَـثَبِ ... مـا إن سـمـعْتُ كَـذا فـي سـالف العَـرَبِ
والعُـجْمُ تـأنَفُ مما جـئـتَـه كَـرَمًـا ... تبًّـا لما جـئـتـه فـي السَّـيِّـد الأربِ
إنِّي لأعـجبُ أنَّى نلتَ قـتْلَتَـهُ ... أم كـيـف جـازك عنْد الذَّنْب لَمْ تَنُبِ
قـرْمٌ عَـفـا عنكَ مَـرَّات وقـد عَلقَتْ ... بالجـسم منكَ يـداه مَـوضـعَ العَـطَبِ
لو كنتُ آخـذُ فـي الإسـلامِ مـا فَـعَلوا ... في الجـاهـليـة أهـلُ الشـركِ والصلُبِ
إذًا لنـالتْكَ من عـدلـي مُـشَـطَّبَـةٌ ... تدعـو لذائقـهـا بـالويل والحَـرَبِ

قال: ثُم ما كان من حالِ الجارية؟ قلتُ: ثُم إني أتيتُ لجاريةَ، فلّما رأتني، قالتْ: ما فعَلَ الشيخُ: قلتُ: قتَله الحبشيُّ: فقالتْ: كذَبتَ، بل قتلْتَه أنت بغَدْرِك. ثم أنشأَتْ تَقولُ:

عينُ جُودي للفارسِ المغوارِ	ثُم جُودي بواكفاتٍ غزارِ
لا تَمَلِّي البكاءَ إذ خانك الدَّ	هرُ بوافٍ حقيقةً صبّارِ
وتقيٍّ وذي وقارٍ وحلمٍ	وعديلِ الفَخارِ يومَ الفَخارِ
لَهفَ نفسي على بقائك عمرو	أسلمَتْكَ الأعمارُ للأقدارِ
ولعمري لو لم ترُمْه بغدرٍ	رُمتَ ليثًا بصارمٍ بتّارِ

قال: فأحفَظَني قولُها، فاستلَلْتُ سيفي، ودخلْتُ الخيمةَ لأقتلها، فلم أرَ في الخيمةِ أحدًا، فاستَقْتُ الماشيةَ وجئتُ إلى أهلي[1].

وهذ أثر عجيبٌ، والظاهرُ أنَّ الشيخَ كان من الجانِّ، وكان ممَّن أسْلَمَ وتعلَّمَ القرآن، وفيما تعلَّمَه ﴿بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيم﴾، وكان يَتَعَوَّذُ بها.

وقال الخرائطي: حدَّثنا عبد الله بن محمد البَلَوِيُّ، حدَّثنا عُمارةُ بن زيدٍ، قال: حدثني عبد الله ابنُ العلاء، عن هشام بن عروةَ، عن أبيه، عن جَدَّتِه أسماءَ بنت أبي بكرٍ، قالت: كان زيدُ بنُ عمرو ابن نُفَيل، وورَقَةُ بن نَوْفَل يَذكُران أنَّهما أتَيا النجاشيَّ بعدَ رجوعِ أبْرهةَ من مكةَ، ، قالا: فلمّا دخَلْنا عليه، قال لنا: اصْدُقاني أيُّها القُرشيَّان، هل ولِدَ فيكم مولودٌ أرادَ أبوه ذَبْحَه، فضرَبَ عليه بالقداح فسلم، ونُحرَت عنه إبلٌ كثيرةٌ؟ قلنا: نَعَمْ قال: فهل لكما علمٌ به، ما فَعَلَ؟ قلنا: تزوَّجَ امرأةً يُقالُ لها آمنةُ بنت وَهبٍ: تركها حاملاً وخرجَ. قال: فهل تَعْلَمان ولَدَ أم لا؟ قال ورقَةُ بن نوفلٍ: أخبرُك أيُّها الملكُ أنّي ليلةً قد بتُّ عندَ وثَنٍ لنا كُنّا نُطيفُ به ونَعْبُده، إذ سمعْتُ من جَوْفه هاتفًا يقولُ:

وُلِدَ النبيُّ فذلَّت الأملاكُ ... ونأى الضلالُ وأدبَر الإشراكُ

ثم انتكَس الصنَمُ على وجهه، فقال زيدُ بن عمرو بن نُفَيلٍ: عندي كخبرِه أيها الملكُ. فقال: هات. قال: إنِّي في مثلِ هذه الليلة التي ذكَرَ فيها حديثَه، خرَجْتُ من عند أهلي وهم يَذْكُرون حَمْلَ آمنةَ، حتى أتيتُ جَبَلَ أبي قبَيْس، أريدُ الخلوَّ فيه لأمرٍ رابَني، إذ رأيتُ رجلاً يَنزِلُ من السماء له جَناحان أخضران، فوقَفَ على أبي قُبيْس، ثُم أشرَفَ على مكةَ، فقال: ذلَّ الشيطان، وبطَلَت الأوثان، ووُلدَ الأمين. ثم نشَرَ ثوبًا معَه، وأهْوَى به نحْوَ المَشرق والمغرب فرأيْتُه قَدْ جَلَّلَ ما تَحْتَ السَّماء وسَطَعَ نورٌ كادَ أنْ يَخْتَطِفَ بَصَري، وهالَني ما رأيتُ، وخَفَقَ الهاتفُ بجناحَيْه، حتى سقَطَ على الكعبة، فسطَعَ له نورٌ أشرقتْ له تِهامةُ. وقال: ذَكَتِ الأرضُ، وأدَّت ربيعَها، وأَوْمَأ إلى الأصنام التي كانتْ على الكعبة فسقَطَتْ كلُّها. قال النَّجاشي: وَيْحَكما!

أخْبرُكما عمّا أصابني؛ إنِّي لَنائم في الليلةِ التي ذكرتُما في قُبَّةٍ وقتَ خلوتي، إذْ خرجَ عليَّ من

---

(١) إسناد ضعيف: لضعف مجالد بن سعيد وإبهام الراوي عن عمر.

الأرض عُنُقٌ ورأسٌ، وهو يقولُ: حلَّ الويْلُ بأصحابِ الفيلِ، رمَتْهم طيرٌ أبابيلٌ، بحجارةٍ من سجيل، هلَكَ الأشرَم، المعتدي المجرم، ولدَ النبي الأميُّ، المكيُّ الحرَميُّ، مَن أجابَه سعدْ، ومَن أباه عَنَدْ.

ثُم دخَلَ الأرضَ فغابَ، فذهَبْتُ أصيحُ، فلم أطِقِ الكلامَ، ورُمْتُ القيامَ، فلم أطِقِ القيامَ، فصرَعْتُ القبةَ بيَدي، فسمعَ بذلك أهلي فجاءُوني، فقلتُ: احجُبُوا عني الحَبشةَ. فحجَبوهم عني، ثُم أطلِقَ عن لِساني ورجْلي(١).

وروَىٰ الحافظُ أبو القاسمِ ابن عساكرَ في «تاريخه» في ترجمةِ الحارثِ بن هانئِ بن المُدْلِج بن المقداد ابن زملِ بن عمرو العذريِّ، عن أبيه، عن جدِّه عن أبيه، عن زَملِ بن عمرو العُذْريِّ، قال: كان لبني عُذْرَةَ صنَمٌ يُقالُ له: حَمامٌ. وكانوا يُعَظِّمونه، وكان في بني هندِ بن حرامِ بن ضنَّةَ بن عبدِ بن كثيرِ بن عذرةَ، وكان سادنُه رجلاً يُقالُ له: طارقٌ. وكانوا يَعْترون عندَه، فلمّا ظهَر رسول الله ﷺ، سمِعْنا صوتًا يَقولُ: يا بني هندِ بن حرام، ظهَرَ الحق وأوْدَىٰ حَمام، ودفَعَ الشركَ الإسلام، قال: ففزِعْنا لذلك وهالنا، فمكَثْنا أيامًا، ثم سمِعنا صوتًا، وهو يقولُ: يا طارقُ يا طارقْ، بُعِثَ النبيُّ الصادق، بوحيٍ ناطق، صدَع صادعٌ بأرضِ تهامة، لناصريه السَّلامة، . ولخاذليه الندامة، هذا الوداع مني إلىٰ يوم القيامة، قال زمِل: فوقَعَ الصنمُ لوجهِه. قال زملٌ: فابتَعْتُ راحلةً، ورحَلْتُ حتىٰ أتيتُ النبي ﷺ مع نفَرٍ من قومي، وأنشدته شعرًا قلته:

إليكَ رَسُولَ اللَّهِ أعْمَلتُ نَصَّها ... وكَفَّلْتُها حَزْنًا وقَوزًا منَ الرَّمْلِ
لأنصُرَ خَيْرَ النَّاسِ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ... وأعْقِدَ حَبْلاً من حِبَالكَ في حَبْلي
وأشْهَدَ أنَّ اللَّهَ لا شَيْءَ غَيْرُهُ ... أدينُ لَهُ مَا أثْقَلَتْ قَدَمي نَعْلي

قال: فأسلَمت وبايعتُه وأخبرْناه بما سمعنا، فقال: «ذاك من كلامِ الجن» ثم قالَ: «يا معشَرَ العرب، إني رسولُ الله إلى الأنام كافَّةً أدْعُوهم إلى عبادة الله وحدَه، وأنِّي رسولُه وعبدُه، وأن يَحجوا البيتَ، ويصوموا شهرًا من اثنَي عشرَ شهرًا، وهو شهرُ رمضانَ، فمن أجابني، فله الجنَّةُ نزُلاً، ومَن عَصاني كانت النارُ له مُنقلَبًا» قال: فأسلَمْنا وعقدَ لنا لواءً، وكتَب لنا كتابًا نسختُه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد، رسول الله لزَمِل بن عمرو ومَن أسلَم معه خاصَّةً، إنِّي بَعَثْتُه إلى قومه عامدًا، فمَن أسلَمَ ففي حزبِ الله ورسوله، ومَن أبى فله أمانُ شهرين، شهدَ عليُّ بن أبي طالب، ومحمدُ بن مسلَمةَ الأنصاريُّ» ثم قال ابن عساكرَ: غريبٌ جدًا(٢).

وقال أبو نعَيم: في كتاب «دلائل النبوة» حدثَّنا عبد الله بن محمدِ بن جعفرٍ، حدثَّنا عبد الرحمن ابن الحسنِ، حدثَّنا عليُّ بن حربٍ، حدثَّنا أبو المنذرِ هشام بن محمدِ بن السائبِ، عن أبيه، عن عبدالله العمانيِّ، قال: كان منّا رجلٌ يقالُ له: مازنُ بن الغَضوبةِ يَسدُنُ صنمًا بقريةٍ يقالُ لها: سمايا من عمانَ، وكانتْ تُعَظمُه بنو الصامت وبنو حُطامةَ ومَهْرةُ، وهم أخوالُ مازنٍ: أُمُّه زَيْنَبُ بنتُ

(١) موضوع: فيه البلوي.

(٢) أخرجه ابن عساكر (١١/ ٤٨٩).

عَبْدالله بن رَبيعة بن خُوَيْصِر أَحَدُ بني نُمْران، قال مازن: فعتَرْنا يومًا عندَ الصنم عَتيرةً، وهي الذبيحةُ، فسمعْتُ صوتًا من الصنم يقولُ: يا مازنُ، اسمعْ تُسَر، ظهَرَ خيرٌ وبطَنَ شر، بعثَ نبيٌّ من مضَرْ، بدينِ الله الأكبرْ، فدَعْ نحيتًا من حجرْ، تسلَم من حرِّ سقَر، قال: ففزعْتُ لذلك فزعًا شديدًا، ثم عتَرْنا بعد أيام عَتيرة أخرىٰ، فسمعْتُ صوتًا من الصنم يقولُ: أقبلْ إليَّ أقبلْ، تَسْمَع ما لا تَجْهَل، هذا نبي مرسَل، جاء بحقٍّ منزَل، فآمن به كي تَعْدِل، عن حرِّ نارٍ تشْعَل، وَقودها الجَنْدَل. قال مازنٌ: فقلتُ: إنَّ هذا لَعَجَبٌ، وإنَّ هذا لخير يُرادُ بي. وقدمَ علينا رجلٌ من الحجاز، فقلت: ما الخَبَرُ وراءَك؟ فقال: ظهَرَ رجلٌ يُقالُ له: أحمدُ. يَقول لمن أتاه: «أجيبُوا داعيَ الله» فقلتُ: هذا نبأُ ما سمِعْتُ. فثُرْتُ إلىٰ الصَّنم فكسَّرْتُه جذاذًا، وركبْتُ راحلتي حتىٰ قدِمْتُ علىٰ رسول الله ﷺ، فشرَحَ الله صدري للإسلام، فأسلَمت، وقلتُ:

كسَرْتُ بَاجِرَ أجذاذًا وكان لنا ... ربًا نُطيفُ به ضلاً بتَضلال
بالهاشميِّ هَدانا من ضَلالتنا ... ولم يكنْ دينُه منِّي على بالَ
يا راكبًا بلغنْ عمرًا وإخوتَه ... أنيِّ لمَنْ قالَ ربي باجرٌ قالَ

يعني بعمرو الصامتَ، وإخوته حطامةَ، فقلتُ: يا رسولَ الله، إنِّي امرُؤٌ مُولَعٌ بالطرَب وبالهَلوك من النساء، وشُرب الخمر، وألَحَّتْ علينا السِّنونَ، فأذهبْن الأموالَ وأهزَلْنَ السَّراريَّ، وليس لي ولد، فادعُ اللهَ أن يذهبَ عنِّي ما أجدُ، ويأتيَنا بالحَيَا، ويهَبَ لي ولدًا. فقال: النبيُّ ﷺ: **«اللهمَّ أبْدلْه بالطَّرَب قراءةَ القرآن، وبالحرام الحلالَ، وبالإثم وبالعَهْر عفَّةً، وآته بالحيَا، وهَبْ له ولدًا»** قال: فأَذْهَبَ اللهُ عنِّي ما أجدُ، وأخْصبتْ عُمانُ، وتزوَّجْتُ أربعَ حرائرَ، وحَفظْت شَطْرَ القرآن، ووَهَبَ اللهُ لي حيَّانَ بنَ مازن. وأنشأ يقولُ:

إليكَ رسولَ الله خَبَّتْ مَطِيَّتي ... تجوبُ الفيافي من عُمانَ إلى العَرْج
لتَشفعَ لي يا خيرَ من وَطِئَ الحَصَى ... فيَغفر لي ربي فأرْجعَ بالفَلْج
إلى معْشَر خالفتُ في الله دينَهم ... فلا رأيُهم رأيي ولا شَرْجُهم شَرْجي
وكنتُ امْرأً بالخَمر والعَهْر مُولَعًا ... شبابيَ حتى آذانَ الجِسْمُ بالنَّهْج
فبدَّلَني بالخمر خوفًا وخَشْيةً ... وبالعهر إحصانًا فحصَّنَ لي فَرْجي
فأصبحتُ هَمِّي في الجهاد ونيَّتي ... فللَّه ما صَوْمي ولله ما حَجِّي

قال: فلمّا أتيتُ قومي أنَّبوني، وشتَموني، وأمَرُوا شاعرًا لهم فهجَاني، فقلتُ: إن ردَدْتُ عليه، فإنَّما أهْجُو نَفْسي، فرَحَلْتُ عنهم، فأتَتْني منهم زُلفةٌ عظيمةٌ وكنتُ القَيِّمَ بأمورهم، فقالوا: يا بنَ عمٍّ، عبْنا عليك أمرًا وكرِهْنا ذلك، فإن أبيْتَ ذلك فارْجعْ وقُمْ بأُمورنا، وشأنُك وما تَدينُ به فرجَعْتُ معهم، وقُلْتُ:

لُبْغضُكُم عندنَا مُرٌّ مَذَاقتُه | وبُغضُنا عندكُم يا قومَنا لَبَنُ
لا يَفطِنُ الدهرُ إن بُثّتْ معائبُكم | وكلُّكم حينَ يُثْنَى عَيبُنا فَطِنُ
شاعرُنا مُفحَمٌ عنكم وشاعرُكم | في حدبنا مُبلِغٌ في شتمنا لَسِنُ
ما في القلوبِ عليكم فاعلَموا وغرٌ | وفي قلوبِكمُ البغضاءُ والإحَنُ

قال مازنٌ: فهَداهم الله بعدُ إلى الإسلام جميعًا[1].

وقال سعيد بن يحيى بن سعيد الأمَويُّ: في «مَغازيه»: حدثّني محمد بن سعيدٍ، يَعني عمَّه، قال: قال مُحمدُ بن المُنْكَدِرِ: إنَّه ذُكِرَ لي عن ابن عباس، قال: هتفَ هاتفٌ من الجنِّ على أبي قُبَيسٍ، فقال:

قَبَّحَ اللهُ رأيَكم آلَ فهرٍ | ما أرَقَّ العقولَ والأفهامَ
حينَ تَعصي لمن يَعيبُ عليها | دينَ آبائها الحُماة الكرام
حَالَفَ الجنُّ جنَّ بُصْرَى عليكم | ورجالَ النَّخيلِ والآطام
تُوشكُ الخيلُ أن تَرَوْها تَهادَى | تَقْتُلُ القومَ في حَرامٍ بِهامِ
هَلْ كريمٌ منكم لهُ نفسُ حُرٍّ | مَاجِدُ الوالدَيْنِ والأعْمامِ
ضَاربٌ ضَربةً تكونُ نَكالاً | ورَواحًا من كُربةٍ واغتمامِ

قال ابن عباس: فأصبحَ هذا الشعرُ حديثًا لأهلِ مكةَ يَتَناشَدونه بينَهم، فقال رسول الله ﷺ: **«هذا شيطانٌ يُكلِّمُ الناسَ في الأوثان، يُقالُ له: مِسعَرٌ. واللهُ مخزيه»** فمكَثوا ثلاثةَ أيامٍ فإذا هاتفٌ يَهتفُ على الجبلِ يَقولُ:

نحن قتلنا في ثلاث مِسْعَرا | إذ سَفَّهَ الجنَّ وسنَّ المُنكَرا
قَنَّعْتُه سَيفًا حُسامًا مُشهَرا | بشتمه نبيَّنا المُطَهَّرا

فقال رسولُ الله ﷺ: **«هذا عفريتٌ من الجنِّ، اسمه سَمْحٌ، آمَنَ بي سَمَّيتُه عبدَ الله، أخبرَني أنَّه في طلبه ثلاثةَ أيام»** فقال عليٌّ: جزاه الله خيرًا يا رسولَ الله[2].

وقد رَوَى الحافظُ أبو نُعَيمٍ في «الدلائلِ» قال: حدثّنا عبدُ الله بن محمدِ بن جعفرٍ، حدثّنا أبو الفضلِ محمدُ بن عبدِ الرحمنِ بن موسَى بن أبي حَرْبٍ الصَّفّارُ، حدثّنا عباسُ بن الفرَجِ، الرِّياشيُّ، حدثّنا سليمانُ بن عبدِ العزيزِ بنِ أبي ثابت، عن أبيه، عن عبدِ الحميدِ بن بَهْرام، عن شَهْرِ ابن حَوشَبٍ. عن ابن عباسٍ، عن سعدِ بن عُبادَةَ، قال: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ، إلى حَضْرَموتَ في حاجةٍ قبلَ الهجرةِ، حتى إذا كنتُ في بعضِ الطريقِ ساعةً من الليلِ، فسمعتُ هاتفًا يقولُ:

---

(١) **إسناد ضعيف جدًا:** فيه محمد بن السائب الكلبي وأبوه أخرجه أبو نعيم في «الدلائل» (٦٣).

(٢) **إسناد ضعيف:** فيه محمد بن سعيد بن أبان الأموي وهو مجهول.

أبا عَمرو تَناوبَني السُّهودُ ... وراحَ النومُ وامتَنَعَ الهُجُودُ
لذكرِ عصَابة سَلَفوا وبادوا ... وكلُّ الخَلق قَصْرُهم يَبيدُ
تَولَّوا وارِدينَ إلى المنايا ... حِياضًا ليسَ مَنهلَها الورودُ
مضَوا لسبَيلهم وبَقيتُ خَلفًا ... وَحيداً ليس يُسْعِفُني وحيدُ
سُدًى لا أستطيعُ علاجَ أمرٍ ... إذا ما عالَجَ الطِّفلُ الوليدُ
فَلأيًا ما بقيتُ إلى أناسٍ ... وقد باتتْ بمَهْلكها ثَمودُ
وعادٌ والقرونُ بذي شُعوبٍ ... سَواءٌ كلُّهم إرَمٌ حَصيدُ

قال: ثُم صاحَ به آخَرُ: يا خَرْعَبْ، ذهَبَ بك العجَب، إنَّ العجَبَ كلَّ العَجَبْ، بينَ زُهْرةَ ويَثْرِبْ، قال: وما ذاك يا شاحب؟ قال: نبيُّ السَّلام، بُعثَ بخيرِ الكلام، إلىٰ جميعِ الأنام، فاخْرُجْ مِن البلدِ الحرام، إلىٰ نخيلٍ وآطام. قال: ما هذا النبيُّ المُرْسَلْ، و الكتابُ المُنْزَلْ، والأُمِّيُّ المُفَضَّلْ؟ قال: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ لُؤَيَّ بنَ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النضْرِ بنِ كِنَانَةَ، قال: هيهات، فاتَ عن هذا سِنِّي، وذهَبَ عنه زَمَني، لقد رأَيْتُني والنَّضْرَ بنَ كنانَةَ نَرمِي واحداً، ونَشْرَبُ حلَبًا بارداً، ولقد خرَجْتُ به مِن دَوحة، في غَداةٍ شَبِمَة وطلَعَ مع الشمسِ وغرَبَ معها، يَرْوِي ما يَسْمَعُ، ويُثْبِتُ ما يُبْصِرُ، ولئن كان هذا مِن وَلدِه لقد سُلَّ السيف، وذهَبَ الخوف، ودُحِضَ الزِّنا، وهلَكَ الرِّبا، قال: فأخبرني ما يكونُ؟ قال: ذهبَت السَّرّاءُ والمجاعة، والشِدّةُ والشَجاعة، إلاَّ بقيةً في خُزاعة، وذهبت الضَّرَّاءُ والبُؤسْ، والخُلُقُ المَنْقوسْ، إلا بقيّةً مِن الخزرج والأوْس، وذَهَبْت الخُيَلاءُ والفخر، والنَّميمةُ والغَدْر، إلا بقيةً في بني بكر - يعني بَكْرَ بنَ هَوازِنَ - وذهَبَ الفعلُ المُنَدِّمْ، والعمَلُ المُؤَثِّمْ، إلا بقيَّةً في خَثْعَم، قال: أخبِرْني ما يكونُ؟ قال: إذا غُلبتِ البرَّة، ولُطِمتِ الحُرَّة، فاخْرُجْ مِن بلادِ الهجرة، وإذا كُفَّ السَّلام، وقطعَت الأَرحام، فاخْرُجْ مِن البلدِ الحَرام، قال: أخبرني ما يكونُ، قال: لو لا أذُنٌ تَسْمَع، وعينٌ تَلْمَع، لأَخبَرْتُك بما يُفْزِع. ثم قال:

لا مَنامٌ هدَّأَنَه بنعيمٍ ... يا بنَ غوط ولا صباحُ أتانا

قال: ثُم صَرْصَرَ صرصرة كأنَّها صَرْصَرَةُ حُبْلَى، فذَهَبَ الفجرُ، فذهَبْتُ لأَنْظُرَ فإذا عَظايةٌ، وثُعبانٌ ميِّتان[1]، قال: فما عَلِمْتُ أنَّ رسولَ الله ﷺ، هاجَرَ إلىٰ المدينةِ إلاَّ بهذا الحديث، ثُمَّ رواهُ عن محمدِ بنِ جعفرٍ عن إبراهيمَ بنِ عليٍّ، عن النَّضْرِ بن سَلمةَ، عن حَسّانَ بنِ عُبادَةَ بن مُوسىٰ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرَام، عن شَهْرٍ، عن ابن عباسٍ، عن سعدِ بن عبادةَ، قال: لمّا بايَعْنا رسولَ الله ﷺ، بَيْعةَ العَقَبَةِ، خرجْتُ إلىٰ حضْرَموْتَ لبعض الحاجة، قال: فقضَيْتُ حاجَتي، ثم أَقبلْتُ حتىٰ إذا كنتُ ببعض الطريقِ نِمْتُ، ففَزِعْتُ مِن الليلِ بصائحٍ يَقولُ:

أبا عَمرٍو تَناوبَني السُّهودُ ... وراحَ النومُ وانقطَعَ الهُجودُ

---

(١) **إسناد ضعيف:** فيه عبد العزيز بن أبي ثابت وهو متروك.

وذَكَر مثْلَه بطُوله(١).

وقال أبو نعيم: حدثَنا عُمرُ بن محمد بن جعْفَر، حدثَنا إبراهيمُ بن عليٍّ، حدثَنا النَّضرُ بن سَلمةَ، حدثَنا أبو غَزيَّةَ محمدُ بن موسى، عن العطَّاف بن خالد الوابصيِّ، عن خالد بن سعيد، عن أبيه، قال: سمعتُ تميمًا الدَّاريَّ يقول: كُنتُ بالشَّام حين بُعث النَّبيُّ ﷺ، فخرَجتُ لبعض حاجَتي، فأدْرَكَني الليلُ، فقلتُ: أنا في جوار عظيم هذا الوادي الليلةَ. قال: فلمَّا أخذْتُ مَضْجَعي، إذا أنا بمُنادٍ يُنادي، لا أراه: عُذْ بالله، فإنَّ الجنَّ لا تُجيرُ أحدًا على الله، فقلتُ: ايمُ الله تقولُ؟ فقال: قد خرَجَ رسولُ الأمِّيِّين رسولُ الله، وصلَّيْنا خَلْفَه بالحَجُون، فأسْلَمْنا واتَّبعناه، وذَهَب كَيْدُ الجنِّ ورُميَتْ بالشُّهُب، فانطَلِق إلى محمدٍ، رسول ربِّ العالَمين، فأسْلِمْ. قال تميمٌ: فلمَّا أصْبَحْتُ ذَهبْتُ إلى دَيْر أيُّوبَ، فسألتُ راهبًا وأخبَرْتُه الخَبَرَ. فقال الرَّاهبُ: قد صَدَقُوكَ، يَخْرُجُ من الحَرَم، ومُهاجَرُه الحَرَمُ، وهو خيرُ الأنبياء فلا تُسْبَقْ إليه. قال تميمٌ: فتكلَّفْتُ الشُّخُوصَ، حتى جئتُ رسولَ الله ﷺ، فأسْلَمْتُ(٢).

وقال حاتمُ بن إسماعيلَ: عن عبد الله بن يزيدَ الهُذَليِّ، عن عبد الله بن ساعدةَ الهُذَليِّ، عن أبيه قال: كُنَّا عندَ صَنَمنا سُواع، وقد جَلَبْنا إليه غَنَمًا لنا، مائتَي شاةٍ قد أصابَها جَرَبٌ، فأدْنيناها منه، لنَطْلُب بَرَكَته، فسَمعْتُ مناديًا من جَوْف الصَّنَم يُنادي: قد ذَهَب كيدُ الجنِّ، ورُمينا بالشُّهُب لنَبيٍّ اسمُه أحمدُ قال: فقلتُ: غَويتُ والله. فصَرَفْتُ وجهَ غَنَمي مُنْجدًا إلى أهلي فلَقيتُ رَجُلاً فخَبَّرني بظُهُور النبيِّ ﷺ. ذَكَرَه أبو نعيم هكذا معلَّقًا ثُمَّ قال: حدثَنا عُمرُ بن محمد بن جعْفَر، حدثَنا إبراهيمُ ابن السِّنْديِّ، حدثَنا النَّضْرُ بن سَلمةَ، حدثَنا محمدُ بن سَلمةَ، المَخْزُوميُّ، حدثَنا يحيى بن سُلَيمانَ، عن حَكيم بن عطاء الظَّفَريِّ - من بني سُلَيم، من وَلَد راشد بن عبد ربِّه - عن أبيه، عن جدِّه، عن راشد بن عبد ربِّه قال: كان الصَّنَم الذي يُقال له: سُواعٌ بالمَعْلاة من رُهاط، تَدينُ له هُذَيْلٌ وبنو ظَفَر ابن سُلَيم، فأرْسَلَتْ بنو ظفَر راشدَ بن عبد ربِّه بهَديَّة من سُلَيم إلى سُواع، قال راشدٌ: فألْفَيْتُ مع الفجر إلى صَنَم قبْلَ صنم سُواع، فإذا صارخٌ يَصْرُخُ من جَوْفه: العَجَب كلَّ العجَبْ، من خُرُوج نبيٍّ من بني عبد المُطَّلبْ، يُحَرِّمُ الزِّنا والرِّبا والذَّبْحَ للأصنام وحُرِسَت السَّماءُ ورُمينا بالشُّهُبْ، العَجَب كلَّ العجَبْ، ثُمَّ هَتَفَ صنمٌ آخَرُ من جوفه: تُرِك الضِّمارُ وكان يُعْبَدْ، خَرَج أحمدْ، نَبيٌّ يُصَلِّي الصلاةَ، ويَأمُرُ بالزَّكاة والصِّيام والبرِّ والصِّلات للأرحام، ثُمَّ هَتَفَ من جوف صنمٍ آخَرَ هاتفٌ يقولُ:

إنَّ الذي وَرِثَ النُّبُوَّةَ والهُدَى ... بعدَ ابن مريمَ من قُرَيش مُهْتَدْ
نبيٌّ يُخَبِّرُ بما قد سَبَق ... وبما يَكُونُ منَ الغَدْ

قال راشدٌ: فألْفَيْتُ سُواعًا مع الفجر وثَعْلبان يَلْحَسان ما حَوْلَه، ويَأكُلان ما يُهدَى له، ثُمَّ يُعَرِّجان، عليه ببَوْلهما. فعندَ ذلك يقولُ راشدُ بن عبد ربِّه:

أرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبانُ برأسه ... لقد ذَلَّ مَن بالَتْ عليه الثَّعالبُ

---

(١) إسناد ضعيف: حسان بن عبادة مجهول لم أقف له على ترجمة.

(٢) أخرجه ابن عساكر (١١/ ٧٣) من طريق العطاف به، وفي إسناد من لم أقف على ترجمة له مثل العطاف وأبي غزية وغيرهم.

وذلك عندَ مَخْرَجِ النبي ﷺ، ومُهاجَرِه إلى المدينة، وتسامع الناسُ به، فخَرَج راشدٌ حتى أتى النبيَّ ﷺ المدينةَ، ومعه كلبٌ له، واسمُ راشدٍ يومئذٍ ظالمٌ، واسمُ كلبه: راشدٌ، فقال له النبيُّ ﷺ: «ما اسمُكَ؟» قال: ظالمٌ قال: «فما اسمُ كلبِكَ؟» قال: راشدٌ قال: «اسمُكَ رَاشدٌ، واسْمُ كلبِكَ ظالمٌ» وضَحِكَ النبيُّ ﷺ. ، وبايَعَ النبيَّ ﷺ، وأقام بمكَّةَ معه، ثُمَّ طَلَب من رسول الله ﷺ قطيعَةً برُهاطٍ، ووَصَفَها له، فأقْطَعَه رسولُ الله ﷺ بالمَعْلاة من رُهاطٍ شأْوَ الفَرَسِ، ورَمْيَتَه ثلاثُ مرَّاتٍ بحَجَرٍ، وأعطاه إداوةً مملُوءةً من ماءٍ، وتَفَلَ فيها، وقال له: «فرِّغْها في أعْلَى القَطيعَةِ، ولا تَمْنَعِ النَّاسَ فُضُولَها» ففعَلَ، فجعَلَ الماءَ مَعينًا يَجري إلى اليوم، فغَرَسَ عليه النَّخْلَ. ويُقالُ: إنَّ رُهاطًا كلَّها تَشْرَبُ منه، فسَمَّاها الناسُ ماءَ الرسولِ وأهلُ رُهاطٍ يَغْتَسلُون بها، وبَلَغَتْ رَمْيَةُ راشدٍ الرَّكيبَ الذي يُقالُ له: رَكيبُ الحجرِ، وغَدا راشدٌ على سُواعٍ فكَسَرَه[1] .

وقال أبو نُعَيم: حَدَّثنا سُلَيمانُ بن أحمدَ، حدَّثنا عليُّ بن إبراهيمَ الخُزاعيُّ الأهْوازيُّ، حَدَّثنا أبو محمدٍ عبدُ الله بن داودَ بن دِلْهاث بن إسماعيلَ بن عبدِ الله، بن مسرع بن ياسرِ بن سُوَيْدٍ صاحبِ رسول الله ﷺ، حدَّثنا أبي، عن أبيه دِلْهاث عن أبيه إسماعيلَ أنَّ أباهُ عبدَ اللَّه حَدَّثَه عن أبيه مسرعِ بن ياسرٍ أنَّ أباه ياسرًا حَدَّثه عن عمْرِو بن مُرَّةَ الجُهَنيِّ، أنَّه كان يُحدِّثُ قال: خرَجْتُ حاجًا في جماعةٍ من قومي في الجاهليَّة، فرأيْتُ في المنام، وأنا بمكةَ، نورًا ساطعًا من الكعبة، حتى أضاء في جبل يثرب، وأشعر جهينة، فسمعت صوتًا في النور وهو يقول: انقشعت الظلماء، وسطع الضياء، وبعث خاتم الأنبياء. ثم أضاء إضاءة أخرى، حتى نظرت إلى قصور الحيرة وأبيض المدائن، فسمعت صوتًا في النور وهو يقول: ظهر الإسلام، وكسرت الأصنام، ووصلت الأرحام، فانتبهت فزعًا، فقلت لقومي: والله ليحدثن في هذا الحي من قريش حدث، وأخبرتهم بما رأيت، فلما انتهينا إلى بلادنا، جاءنا رجل، فأخبرنا أن رجلاً يقال له: أحمد، قد بعث، فأتيته فأخبرته بما رأيت، فقال: «يا عمرو ابن مرة، إني المرسل إلى العباد كافة، أدعوهم إلى الإسلام، وآمرهم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الأصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان؛ شهر من اثني عشر شهرًا، فمن أجاب، فله الجنة، ومن عصى، فله النار، فآمن يا عمرو بن مرة، يؤمنك الله من نار جهنم». فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، آمنت بكل ما جئت به من حلال وحرام، وإن أرغم ذلك كثيرًا من الأقوام، ثم أنشده أبياتًا قلتها حين سمعت به، وكان لنا صنم وكان أبي سادنًا له، فقمت إليه فكسرته، ثم للحقت النبي ﷺ، وأنا أقول:

شَهِدتُ بأنَّ اللَّهَ حَقٌ وأنَّني ... لآلهةِ الأحْجارِ أوَّلُ تاركِ
فشَمَّرْتُ عن ساقي إزارَ مهَاجِرٍ ... إليكَ أدبُّ الغَوْرَ بَعْدَ الدَّكادكَ
لأصْحَبَ خَيْرَ النَّاسِ نفسًا ووالدًا ... رَسُولَ مليكِ النَّاسِ فوقَ الحبائكَ

(1) أخرجه أبو نعيم (٦٨) وفي إسناده من لم أقف عليه. وهو حكيم بن عطاء الظفري.

فقال النبي ﷺ: «**مرحبًا بك يا عمرو بن مرة**». فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، ابعث بي إلى قومي، لعل الله أن يمن بي عليهم، كما من بك عليَّ. فبعثني إليهم وقال: «عليك بالقول السديد، ولا تكن فظًا، ولا متكبرًا، ولا حسودًا». فأتيت قومي، فقلت لهم: يا بني رفاعة، ثم يا بني جهينة، إني رسول من رسول الله إليكم، أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم النار، وآمركم بحقن الدماء، وصلة الأرحام، وعبادة الله، ورفض الإصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان؛ شهرٍ من اثني عشر شهرًا، فمن أجاب فله الجنة، ومن عصى فله النار، يا معشر جهينة، إن الله، وله الحمد، جعلكم خيار من أنتم منه، وبغض إليكم في جاهليتكم ما حبب إلى غيركم من الرَّفثِ؛ لأنهم كانوا يجمعون بين الأختين، ويحلف الرجل على امرأة أبيه، والتَّرات في الشهر الحرام، فأجيبوا هذا النبي المرسل ﷺ، من بني لؤي بن غالب، تنالوا شرف الدنيا وكرامة الآخرة، سارعوا سارعوا في ذلك؛ تكن لكم فضيلة عند الله. فأجابوا إلا رجلاً منهم، قام فقال: يا عمرو بن مرة، أمر الله عليك عيشك، أتأمرنا أن نرفض آلهتنا، ونفرق جماعتنا، بمخالفة دين آبائنا إلى ما يدعو هذا القرشي من أهل تهامة؟! لا، ولا مرحبًا ولا كرامة. ثم أنشأ يقول:

إن ابنَ مُرَّةَ قد أتى بمقالة ... ليستْ مقالةَ من يُريُد صَلاحَا
إنِّي لأحْسَبُ قولَهُ وفَعالَهُ ... يومًا وإن طالَ الزَّمانُ رِياحا
أيُسَفِّهُ الأشياخَ ممَّن قد مَضَى ... مَن رامَ ذلكَ لا أصابَ فَلاَحا

فقال عَمْرُو بن مُرَّةَ: الكاذبُ منِّي ومنك أمَرَّ الله عَيْشَه، وأبْكَمَ لِسانَه، وأكْمَهَ بَصَرَه، قال عَمْرُو ابن مُرَّةَ: والله ما مات حتى سَقَط فُوهُ، وكان لا يَجدُ طَعْمَ الطَّعام، وعَمِيَ وخَرِسَ، وخَرَج عَمْرُو بن مُرَّةَ ومَن أسْلَمَ مِن قومه، حتى أتَوُا النبيَّ ﷺ، فرَحَّبَ بهم وحَيَّاهم، وكَتَب لهم كِتابًا هذه نُسْخَتُه:

«**بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتابٌ من الله على لسانِ رسول الله، بكتاب صادق، وحقٍّ ناطق مع عَمْرو بن مُرَّةَ الجُهَنِيِّ لجُهَيْنَةَ بن زيد، إنَّ لَكم بُطونَ الأرضِ وسُهُولَها، وتلاعَ الأوْديةِ وظُهورَها، تَرْعَون نباتَه، وتَشربُون صافيَةَ، على أن تُقرُّوا بالخُمْسِ، وتُصَلُّوا الصَّلَوات الخَمْسَ وفي التَّبَعَة والصُّرَيْمَة شاتان إن اجْتَمَعَتا وإنْ تَفرَّقَتَا، فشَاةٌ شَاةٌ. ليس على أهلِ المِيرَة صدَقَةٌ، ولا على الوارِدَة لبقةٌ**» وشهِد مَن حَضَرَنا مِن المسلمين بكتابِ قَيْسِ بن شَمَّاسٍ، رَضِيَ اللهُ عنهم. وذلك حينَ يقولُ عَمْرُو بنُ مُرَّةَ:

ألم ترَ أنَّ اللهَ أظَهَرَ دينَهُ ... وبيَّنَ بُرهانَ القُرانِ لعامِرِ
كتابٌ منَ الرحمنِ نورٌ لجَمْعنا ... وأحلافنا في كُلِّ بادٍ وحاضِرِ
إلى خيرِ مَن يَمْشي على الأرض كُلِّهَا ... وأفْضَلِهَا عندَ اعْتكارِ الضَّرائرِ
أطَعْنا رسولَ الله لَمَّا تَقَطَّعَتْ ... بُطُونُ الأعَادي بالظُّبَا والخَواطر
فنحنُ قَبيلٌ قد بُنِي المَجدُ حَولَنا ... إذا اجْتُلِيَتْ في الحرب هامُ الأكابِرِ
بنو الحرب نَفْديها بأيد طويلة ... وبيضٍ تَلألأ في أكُفِّ المَغَاوِرِ
ترى حولَه الأنْصارَ تَحمي أميرَهمْ ... بسُمْرِ العَوالي والصِّفاحِ البَواتِرِ

إذا الحربُ دارتْ عندَ كلِّ عظيمةٍ ودارتْ رَحاها باللُّيوثِ الهَواصرِ
تَبَلَّجَ منهُ اللونُ وازدادَ وجهُهُ كَمثلِ ضياءِ البدرِ بَينَ الزَّواهرِ[١]

وقال أبو عثمانَ سعيدُ بن يحيى الأُمَويُّ: في «مغازيه»: حدَّثَنا عبدُ الله، حدَّثَنا أبو عبدِ الله، حدَّثَنا المجُالدُ بن سعيدٍ والأجلَحُ، عن الشَّعْبِيِّ، حَدَّثَني شيخٌ من جُهَيْنَةَ قال: مَرِض منّا رجُلٌ مرضًا شديدًا، فَثقُلَ حتى حَفَرْنا له قبرَه، وهيَّأنا أمرَه، فأُغْمِيَ عليه. ثُم فتَح عينيه وأفاق، فقال: أَحَفَرْتُم لي؟ قالوا: نعم. قال: فما فَعَلَ الفَضلُ؟ وهو ابنُ عَمٍّ له. قلنا: صالحٌ، مَرَّ آنفًا يَسألُ عنك. قال: أمَا إنَّه يُوشكُ أن يُجْعَلَ في حُفْرتي، إنَّه أتاني آتٍ حينَ أُغْمِيَ عليَّ، فقال: ابكِ هُبَل، أمَا ترَىٰ حُفرتَك تُنْتَثَل، وأمُّك قد كادتْ تَثْكَل؟ أرأَيْتَك إن حَوَّلْناها عنك بالمحول، ثُم مَلأْناها بالجَنْدَلْ، وقَذَفْنا فيها الفضلَ الذي مَضَىٰ فأجْزَأَك، وظَنَّ أن لن يَفْعَلْ. أتَشْكُرُ لربِّكَ وتُصَلِّ، وتَدَعُ دينَ من أشرَكَ وضَلَّ؟ قال: قُلتُ: نعم. قال: قُمْ، قد برِئتَ. قال: فبَرِئَ الرَّجُلُ ومات الفضلُ، فجُعِلَ في حُفْرَته. قال الجهَنِيُّ: فرأيتُ الجُهَنِيَّ بعد ذلك يُصَلِّي، ويَسُبُّ الأوثانَ ويَقَعُ فيها[٢].

وقال الأمويُّ: حَدثَنا عبد الله، قال: بيْنَما عُمرُ بن الخطَّاب، رَضي الله عنه، في مَجْلسٍ يتحدثون عن الجنِّ، فقال خُرَيْمُ بن فاتكٍ الأسْديُّ: ألا أحدثُك كيف كان إسلامي؟ قال: بلىٰ قال: إنِّي يومًا في طَلَبِ ذَودٍ لي، أنا منها علىٰ أثَرٍ، تَنْصَبُ وتَصْعَدُ، حتىٰ إذا كُنتُ بأبْرَقِ العراقِ، أَنَخْتُ راحِلَتي وقُلتُ: أعُوذُ بعظيمِ هذه البلدة، أعوذُ برئيسِ هذا الوادي، فإذا بهاتفٍ يَهْتِفُ بي:

وَيحَكَ عُذْ باللهِ ذي الجَلالِ والمجدِ والنَّعْماءِ والإفْضالِ
ثُمَّ اتلُ آياتٍ منَ الأنفالِ ووحِّدِ اللهَ ولا تُبالِي

قال: فذُعِرْت ذُعرًا شديدًا، ثُمَّ رَجَعْتُ إلىٰ نَفْسي فقُلتُ:

يا أيها الهاتفُ ما تقولُ أرَشَدٌ عندَك أم تَضليلُ
بَيِّنْ هَداكَ اللهُ ما الحَويلُ

قال: فقال:

هذا رسولُ اللهِ ذو الخيراتِ بيثربٍ يَدْعو إلى النَّجاةِ
يَأمُرُ بالبِرِّ وبالصَّلاةِ ويَزَعُ النَّاسَ عنِ الهَنَاتِ

قال: قُلْتُ له: والله لا أبْرَحُ حتي آتيَه وأُومِنَ به. فنَصَبْتُ رِجلي في غَرْزِ راحلَتي وقُلْتُ:

أرْشِدْني أرْشِدْني هُدِيتا لا جُعْتَ ما عِشْتَ ولا عَرِيتا
ولا بَرِحْتَ سَيِّدًا مُقِيتا لا تُؤثِرِ الخَيرَ الذي أُتِيتا
علىٰ جَميعِ الجنِّ ما بَقِيتا

---

(١) إسناد ضعيف: فيه سلسلة دلاث عن آبائه وهي ضعيفة كما سبق أخرجه من طريق دلاث ابن عساكر (٦٠٨/١٣).
(٢) إسناد ضعيف: لابهام الشيخ الراوي، والمجالد بن سعيد ضعيف.

فقال:

صاحَبَك اللهُ وأدّى رَحْلَكا	وعَظَّمَ الأجرَ وعافى نَفْسَكا
آمِنْ به أفلَجَ ربِّي حَقَّكا	وانصُرْهُ أعَزَّ ربِّي نَصْرَكا

قال: قلتُ: مَن أنت ـ عافاك اللهُ ـ حتى أخبرَه إذا قَدمتُ عليه؟ فقال: أنا مالك بن مالك، وأنا نقيبُه على جنِّ نَصيبين، وكَفَيْتُ إبِلَك حتى أَضُمَّها إلى أهْلِك ـ إن شاءَ الله ـ قال: فخَرَجْتُ حتى أتيْتُ المدينةَ يومَ الجمعة، والنَّاسَ أرسالٌ إلى المسجد، والنبيُّ ﷺ على المنبر كأنَّه البدرُ يَخطُبُ الناس، فقُلتُ: أُنيخُ على باب المسجد حتى يُصَلِّيَ، وأدْخَلَ عليه فأُسَلِّمُ وأخبرُه عن إسلامي. فلمَّا أنَخْتُ، خَرَج إليَّ أبو ذَرٍّ، فقال: مرحبًا وأهلاً وسهلاً، قد بلَغَنا إسلامك، فادخُلْ فصَلِّ. ففعَلْتُ، ثُمَّ جئتُ إلى رسول الله ﷺ، فأخبَرَني بإسلامي، فقُلْتُ: الحمدُ لله. قال: **«أما إنَّ صاحبَك قد وفَّى لك، وهو أهْلُ ذلك، وأدَّى إلى أهْلِكَ»** [١].

وقد رَواه الطَّبراني في ترجمة خُرَيْم بن فاتك، من «معْجَمه الكبير» قائلا:

حَدَّثنا الحسينُ بن إسحاقَ اليسيريُّ، حدَّثنا محمدُ بن إبراهيمَ الشَّاميُّ، حدَّثنا عبدُ الله بن موسى الإسكَندَريُّ، حدَّثنا محمدُ بن إسحاقَ، عن سعيد ابن أبي سعيد المَقْبُريِّ، عن أبي هُرَيرةَ، قال: قال خُرَيْمُ بن فاتك لعُمرَ بن الخطَّاب: يا أميرَ المؤمنين، ألا أخبِرُك كيف كان بَدْءُ إسلامي؟ قال: بلى.

فذَكَرَه، غيرَ أنَّه قال: فخرَج إليَّ أبو بكر الصِّدِّيقُ فقال: ادخُلْ، فقد بلَغَنا إسلامُك، فقُلتُ: لا أحسنُ الطُّهورَ، فعَلَّمني. فدَخَلتُ المسجدَ، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ، كأنَّه البدرُ، وهو يقولُ: **«ما منْ مُسلم توَضَّأ فأحْسنَ الوُضوءَ، ثم صلَّى صلاةً يحْفَظُها ويعْقلُها؛ إلاَّ دَخَلَ الجنَّةَ»** فقال لي عُمرُ: لتأتيَنِّي على هذا ببينة، أو لأنَكِّلَنَّ بك، فشَهدَ لي شيخُ قُرَيش عثمانُ بن عفَّانَ فأجاز شَهادَتَه. ثُمَّ رَواه عن محمد ابن عثمانَ بن أبي شَيْبَةَ، عن محمد بن تَسْنيم، عن محمد بن خَليفَةَ، عن الحسن بن محمد، عن أبيه قال: قال عُمرُ بن الخطَّاب لخُرَيم بن فاتك: حَدِّثني بحديث يُعْجِبُني. فذكَرَ مثْلَ السِّياق الأوَّل سَواءً [٢].

وقال أبو نعَيْم: حدَّثنا سُلَيمانُ بن أحمدَ، حدَّثنا أبو عبد الملك أحمدُ بن إبراهيم القُرَشيُّ الدِّمشقي: حَدَّثنا سليمان بن عبد الرحمن ابن بنت شُرَحْبيل، حدَّثنا إسماعيلُ بن عَيَّاش، عن يحيى بن أبي عَمرو الشَّيْبانيِّ، عن عبد الله بن الدَّيْلَميِّ قال: أتى رجلٌ ابنَ عبَّاس فقال: بَلَغنا أنَّك تَذْكُرُ سَطيحًا، تَزْعُمُ أنَّ اللهَ خلَقَه، لم يَخْلُقْ من وَلَد آدَمَ شيئًا يُشْبِهُه؟ قال: نعم، إنَّ الله خلَقَ سَطيحًا الغَسَّاني لحمًا على وَضَم، ولم يكُنْ فيه عَظْمٌ ولا عَصَبٌ، إلا الجُمجُمةُ والكَفَّان، وكان يُطْوَى من رجْلَيه إلى تَرْقُوَته كما يُطوى الثَّوبُ، ولم يكُنْ فيه شيءٌ يَتَحرَّكُ إلاَّ لسانُه، فلمَّا أراد الخُروج إلى مكَّةَ، حُمل على وَضَمه فأتي به مكةَ، فخَرَجَ إليه أربعةٌ من قريش؛ عبدُ شَمْس، وهاشمٌ ابنا عبد مناف بن قُصَيٍّ،

---

(١) إسناد ضعيف جداً: لجهالة عبد الله والانقطاع بينه وبين عمر أخرجه ابن عساكر (١٦/٣٤٨).

(٢) موضوع: فيه محمد بن إبراهيم الشامي وهو كذاب. أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤١٦٥).

والأحوص بن فهر، وعقيل بن أبي وقاص، فانتموا إلى غير نسبهم، وقالوا: نحن أناس من جمح أتيناك، بلغنا قدومك، فرأينا أن إتياننا إياك حق لك واجب علينا. وأهدى إليه عقيل صفيحة هندية، وصعدة ردينية، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا؛ أهل يراها سطيح أم لا.

فقال: ياعقيل، ناولني يدك، فناوله يده، فقال: يا عقيل، والعالم الخفية، والغافر الخطية، والذمة الوفية، والكعبة المبنية إنك لجاء بالهدية؛ الصفيحة الهندية، والصعدة الردينية. قالوا: صدقت يا سطيح. فقال: والآتي بالفرح، وقوس قزح، وسائر الفرح، واللطيم المنبطح، والنخل والرطب والبلح، إن الغراب حيث مر سنح، فأخبر أن القوم ليسوا من جمح، وأن نسبهم من قريش ذي البطح، قالوا: صدقت يا سطيح، نحن أهل البيت الحرام، أتيناك لنزورك؛ لما بلغنا من علمك، فأخبرنا عما يكون في زماننا هذا، وما يكون بعده فلعل أن يكون عندك في ذلك علم. قال: الآن صدقتم، خذوا مني؛ من إلهام الله إياي؛ أنتم يا معشر العرب في زمان الهرم سواء بصائركم وبصائر العجم لا علم عندكم ولا فهم، وينشأ من عقبكم ذوو فهم، يطلبون أنواع العلم فيكسرون الصنم، ويبلغون الردم، ويقتلون العجم، يطلبون الغنم، قالوا: يا سطيح. فمن يكون أولئك؟ فقال لهم: والبيت ذي الأركان، والأمن والسكان، لينشؤن من عقبكم ولدان، يكسرون الأوثان، وينكرون عبادة الشيطان، ويوحدون الرحمن، وينشرون دين الديان، يشرفون البنيان ويستفتون الفتيان. قالوا: يا سطيح، من نسل من يكون أولئك؟ قال: وأشرف الأشراف، والمفضي للإسراف، والمزعزع الأحقاف، والمضعف الأضعاف، لينشؤن آلالاف، من عبد شمس وعبد مناف، نشوءا يكون فيه اختلاف. قالوا: يا سوأتاه قالوا: يا سطيح. فما تخبرنا من العلم بأمرهم، ومن أي بلد يخرج أولئك؟ فقال: والباقي الأبد، والبالغ الأمد، ليخرجن من ذا البلد، فتى يهدي إلى الرشد، يرفض يغوث والفند، يبرأ من عبادة الضدد، يعبد ربا انفرد، ثم يتوفاه الله محمودا، من الأرض مفقودا، في السماء مشهودا، ثم يلي أمره الصديق، إذا قضى صدق، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نزق، ثم يلي أمره الحنيف، مجرب غطريف، ويترك قول العنيف، قد ضاف المضيف، وأحكم التحنيف، ثم يلي أمره داعيا، لأمره مجربا، فيجتمع له جموعا وعصبا، فيقتلونه نقمة عليه وغضبا، فيؤخذ الشيخ فيذبح إربا، فيقوم به رجال خطباء ثم يلي أمره الناصر، يخلط الرأي برأي الناكر، يظهر في الأرض العساكر، ثم يلي بعده ابنه، يأخذ جمعه ويقل حمده، ويأخذ المال، ويأكل وحده ويكثر المال لعقبه من بعده ثم يلي من بعده عدة ملوك، لا شك الدم فيهم مسفوك، ثم يلي من بعدهم الصعلوك يطويهم كطي الدرنوك، ثم يلي من بعده عظهور، يقصي الخلق، ويدني مضر يفتتح الأرض افتتاحا منكرا. ثم يلي قصير القامة، بظهره علامة، يموت موتا وسلامة، ثم يلي قليلا باكر، فيترك الملك بائر، ثم يلي أخوه بسنته سابر، يختص بالأموال، والمنابر، ثم يلي من بعده أهوج، صاحب دنيا ونعيم مخلج، يتشاوره، معاشره وذووه، ينهضون إليه يخلعونه بأخذ الملك ويقتلونه، ثم يلي أمره من بعده، السابع، يترك الملك محلا ضائع، بنوه في ملكه كالمشوه

جائعٌ، عندَ ذلك يَطْمَعُ في المُلك كلُّ عُرْيان، ويَلِي أمرَه اللَّهْفان. يُرضي نزارًا جَمْع قَحْطان، إذا الْتَقيا بدِمَشْقَ جَمْعان بين بَنْيانَ ولُبنان، يُصَنَّفُ اليمنُ يومَئذٍ صِنْفان؛ صِنفُ المسرة، وصنفُ المَخْذُول، لا تَرَىٰ إلا حِباءً محلول، وأسيرًا مغلول، بين القِراب والخُيُول، عندَ ذلك تُخْرَبُ المَنازِل وتُسْلَبُ الأرامِلُ وتُسقط الحَوامِلُ، وتَظْهَرُ الزَّلازِلُ، وتَطْلُبُ الخِلافَةَ وائِلُ، فتَغْضَبُ نِزار، فتُدْني العبيدَ والأشرار، وتُقصي الأَمْثالَ والأخْيار، وتَغْلُو الأسعار في صَفَرِ الأصْفار، يَغلُ كُلُّ جبَّارٍ منه، ثُمَّ يَسيرُون إلىٰ خَنادقَ وإنَّها ذاتُ أشعارٍ وأشجار، تَصُدُّ له الأنهار، ويَهزِمُهم أوَّلَ النَّهار، تَظْهَرُ الأخيار، فلا يَنْفَعُهم نومٌ ولا قَرار، حتى يَدْخُلَ مِصرًا من الأمصار، فيُدْرِكَه القَضاءُ والأقْدار، ثُمَّ يَجيءُ الرُّماة، تَلُفُّ مُشاة، لقتْلِ الكُماة، وأسْرِ الحُماة، ومَهْلكُ الغُواة، هنالك يُدْرِكُ في أعْلَىٰ المياة، ثم يبورُ الدِّينُ، وتُقْلَبُ الامور، وتُكْفَرُ الزَّبور، وتُقْطَعُ الجُسُور، فلا يُفلتُ إلاَّ مَن كان في جزائرِ البُحُور، ثُمَّ تَبُورُ الحبُوب، وتَظْهَرُ الأعاريب، ليس فيهم مُعيب، علىٰ أهلِ الفُسُوقِ والرِّيَب، في زمانٍ عَصيب، لو كان للقوم حَياءٌ، وما تُغْني المُنَىٰ، قالوا: ثُمَّ ماذا يا سَطيحُ؟ قال: ثُمَّ يَظْهَرُ رجُلٌ مِن أهلِ اليمن، كالشَّطَن، يُذهِبُ الله علىٰ رأسه الفتَن [1].

وهذا أثرٌ غريب كَتَبْناه لغَرابَته، وما تَضَمَّن من الفتن والملاحم، وقد تَقَدَّم قِصَّةُ شِقٍّ وسَطيح مع رَبيعَةَ بن نَصْر مَلِك اليمن، وكيف بَشَّرا بوجُود رسول الله ﷺ، وكذلك تَقَدَّم قِصَّةُ سَطيح مع ابن أخته عبد المسيح، حينَ أرْسَلَه مَلكُ بَني ساسانَ، لارْتجاسِ الإيوان، وخُمُودِ النيران، ورؤيا المُوبذان وذلك ليلةَ مَولِدِ الذي نُسِخ بشَريعته سائرُ الأدْيان.

انتهى بحمد الله وعونه الجزء الثاني من كتاب البداية والنهاية

ويليه الجزء الثالث وأوله:

باب كيفية بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم (٦٩) في «الدلائل» وفيه سليمان بن عبد الرحمن وإسماعيل بن عياش، ومتنه غريب كما قال المصنف.




فهرست الموضوعات

فهرست الموضوعات